رسائل جامعية

بهاء الدين العاملي

أديبًا وفقيهًا وعالمًا

د. دلال عباس



دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

رسائل جامعية
١

بهاء الدين العاملي

أديبًا وفقيهًا وعالمًا

د. دلال عباس

طبع الكتاب بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لوفاة
الشيخ بهاء الدين العاملي
(١٠٣٠/١٤٣٠هـ)



دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب: ٢٤/١٢٤ - تلفاكس: ٥٤١٤٣١ هاتف: ٥٤٤٨٠٥
Email: al_mouarekh@hotmail.com

الإهداء

إلى رفيق الدرب والتعب...

إلى زوجي الحبيب الذي شدَّ عزمي وأعانني في أحلك لحظات الجهد.

إلى حبات قلبي ونور عينيَّ: رفيف ومحمد وعلي وحسن الذين كنت بنور عيونهم أكثر رؤية وأبعد إلهاماً.

مقدمة المؤلفة

محمد بهاء الدين العاملي موضوع هذه الدراسة، من اللبنانيين المهاجرين إلى إيران في حمأة الصراع المذهبي الدموي بين الأمبراطوريتين العثمانية والصفوية، وقد عاش في إيران عامة عمره لم يغادرها إلا لأمدٍ قصير نسبياً.

كان متعدد جوانب المعرفة، فيلسوفاً حكيماً وفقيهاً مفسراً، وعالماً رياضياً ومهندساً، وأديباً شاعراً، حاز مكانة فكرية متميزة، ونال شهرة في حياته أهّلته لأن يخترق الحدود التي أقفلتها مطامع السّاسة في عصره، وأن يترك في إيران والعالم الإسلامي أثراً لا يزال حتى الآن باقياً تتناقلُه الأجيال.

إن لبهاء الدين العاملي من القيمة الحضارية ما يدفع إلى دراسته، فعلى الرغم من كثرة مدوّني أخباره منذ عصره حتى يومنا الحاضر، لا تزال جوانبُ من حياته لم تدرس كما ينبغي، وقد كانت مجالاً لحشر كثير من الأقاويل والأساطير، التي تناقلها المؤرخون دون تمحيص، ونُسبت إليه نوادرُ وغرائب أكثرها من الأكاذيب ولا مستندَ لها؛ وكتُبه العربيّة لم تدرس كما يبنغي [عدا «خلاصة الحساب»]، والفارسيةُ غيرُ معرَّبة لذلك يجهلها الناس في وطن البهائي الأم لبنان وفي الأقطار العربية الأخرى.

لذلك فإن اهتمامنا بالشيخ البهائي، وإحياءَنا لتراثه، تطلُّعٌ مخلصٌ

لخدمة الثقافة الإنسانية، التي شكّلَ هذا العالِمُ الفَذُّ حَلْقةً مهمة من حلقاتها، ورغبةٌ في تصحيح الكثير من الأوهام التي تتعلق بسيرته، وفي تعرّف شخصيته في جميع مراحلها، ومختلِف تجلياتها، لمعرفة النظام الفكري لصاحبها.

حاولتُ إضاءَة كلّ ما يتعلق بالشيخ البهائي، وكانت كتبه العربية والفارسية مصابيحي وأدلّتي وقسَّمت الدراسة إلى أربعة أبواب، والباب الأول في ثلاثة فصول:

تناولت في الفصل الأول منها العصر والبيئة وأهمَّ الملامح البنيويّة للدولة الصفوية في إيران حيث عاش البهائي معظم حياته وارتبط اسمه باسم أبرزِ ملوكها «الشاه عباس الكبير»، وحيث ألف وأبدع أهمَّ مؤلفاته، وترك بصماته على كثير من معالمها الفنّيّة والحضاريّة... كما تحدّثت عن الصراع العثمانيّ الصفويّ وأثرِه في هجرة العلماء العامليين إلى إيران...

وفي الفصل الثاني من الباب الأول تحدّثت عن سيرته، وحقّقت مكان ولادته وزمانها لأنَّ المؤرخين ذكروا في مولده مكاناً وزماناً أقوالاً مختلفة، وقد رجَّحت أن ولادته كانت في بعلبك في السابع عشر من ذي الحجّةِ سنة ثلاث وخمسين وتسعمئة هجرية، ست وأربعين وخمسمئة وألف ميلادية (٩٥٣هـ، ١٥٤٦م).

ورجَّحتُ أن تكون الهجرةُ في حياة الشهيد الثاني حدود سنة ستين وتسعمئة هجرية، ثلاث وخمسين وخمسمئة وألف ميلادية (٩٦٠هـ ـ ١٥٥٣م)...

وردَدْت الأسطورة التي تقول إنه ساح في الأرضِ ثلاثين سنة، وقد تبيّن لنا أنّه أتمّ أسفاره خارج إيران في الحجاز ومصر والشام في أقلّ من

سنتين من بدءِ رحلته، ثم ناقشت مسألة تولّيه «مشيخة الإسلام»، هذه المسألة التي أثارت جدلاً بين مدوّني أخباره، فأغرق بعضهم في الحديث عن أهميته في دولة الشاه عباس، وكان هذا الأمر بالنسبة إليهم مدعاة لامتداحه، بينما عدّ آخرون من الذين كتبوا عنه مسألة تولّيه مشيخة الإسلام سقطة حاولوا بكلّ وسيلةٍ أن يبرّئوه منها وتالياً أن ينفوا عنه تهمة الالتحاق بالشاه عباس...

والحقيقة أن الشيخ البهائي لم يتوانَ عن انتقاد الشاه عباس في كثير من المواقف، كما أن كثيراً من إيجابيّات الشاه عباس تعود إلى تأثير الشيخ البهائي فيه؛ وإنّ أدَبه شعراً ونثراً يعطينا صورة واضحة عن ذلك الصراع الذي عاشه الشيخ في نفسه، بين الواقع المعاش، وبين الموقف المثاليّ الذي كان يدعو إليه. إنّ لهجة الرفض والاحتجاج تظهر قوية لديه في كثير من المواقع في مواجهة السلطة..

وفي الفصل الثالث من الباب الأول تحدثت عن شخصيته بوجهيها الواقعيّ والأسطوريّ، وعن ثقافته وأسلوبه في التعليم: فهو لم يقتصر في تدريسه على المتداول من كتب الفقه والنحو والرياضيات، وإنما وضع الكتب والرسائل بهدف تيسير المعرفة للطلاب كما ذكر هو في مقدمات هذه الكتب والرسائل:

وقد قدَّمت كتابه *«الفوائد الصمدية في النحو»* أنموذجاً لعقليته ومنهجيته، وهو كتاب في النحو الميسَّر، كان عملاً لم يقم به أحدٌ قبله ولا بعده إلى زمن قريب؛ إنّ كثيراً من كتب النحو المبسَّطة الحديثة، تشبه في أسلوب تبويبها كتاب *«الصمدية»* الذي وضعه صاحبُه قبل أربعة قرون، إنّ هذا الكتاب إذا أعيدت طباعته بحلَّة جديدة، فإنه يصلح لأن يدَّرس في مختلِف المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية، لأنّه خلاصة علم النحو وقواعدِه الأساسية...

وفي الحديث عن مؤلفاته في هذا الفصل، أشرت إلى المبالغة التي لحقت بعدد كتبه، وقد وصل بها بعض المؤرخين والدارسين إلى مئة أثر، وقد وجدنا أنها أقل من ذلك بكثير، أما أخطر الأمور المتعلقة بمؤلّفات البهائي، فهي أن بغاة الارتزاق نشروا كتباً لمؤلّفين مجهولين ونسبوها إلى البهائي افتراءً وتزويراً، إما من باب التطابق بين اسمه [مع شهرته] وبين اسم أو لقبٍ لمؤلف مغمور تطلباً لإنجاح الكتاب المنسوب، *كرسالة وحدة الوجود*، أو لغير هذه الأسباب كـ«*أسرار البلاغة*» و«*المخلاة*» وكتاب «*الأسرار القاسمي*» و«*فالنامه شيخ بهائي*» أي «*كتاب الفأل*».

وفي **الباب الثاني**: «وعنوانه *بهاء الدين العاملي الأديب*»، فقد تحدثت في الفصل الأول منه عن شيخنا البهائي كاتباً، وبيّنتُ أن أسلوبه كان أرقى من أساليب معاصريه في الأقطار العربية وإيران، حتى الذين امتلكوا مثله ناصيتَيْ اللغتين العربيّة والفارسيّة وكتبوا بكلتيهما أو كتبوا باللغة العربيّة وحدها، وتحدّثت عن كتاب الكشكول وعن الدافع إلى كتابته، وعن سبب تسميته وتنوّع موضوعاته وأسلوبه التأليفيّ وأهمّ مصادره والمآخذ عليه، وفي الفصل الثاني من هذا الباب تحدثت عن شعره العربي وعن ميزات هذا الشعر وموضوعاته ومبتكراته.

ـ لقد نظم البهائي في معظم فنون الشعر عدا الهجاءَ، كما نظم القصائدَ التي بلغ بعضُها ستين وسبعين بيتاً...

ـ لم يصغ قصائده على طراز صياغة أحدٍ من الشعراء قبله، بمعنى أنه لم يبنِ قصائده كلّياً على أصول الرسم الهندسيّ الذي خطّطه الشعراء الأعلام قبله.

ـ إن كثيراً من تجديده كان مردّه إلى تأثره بالبيئة والثقافة الفارسيتين... فهو أوّل من نظم الشعر العربي على طريقة الرباعيات

الفارسية، كما أنه نوّع في أوزانه وقوافيه في عدد كبير من قصائده. . .

ـ تحرّر شعره من وطأة الجمود الذي يغلّف شعر الفقهاء، ولم يلجأ إلى التأريخ الشعري الذي لجأ إليه غالبية الشعراء المعاصرين له. . .

ـ إنّ أجمل قصائده هي التي قالها في مدح الرسول وأهل البيت عليهم السلام، وقصائده الخمرية التي قالها في العشق الإلهي على طريقة المتصوفة وهي ملمّعات، بعضها عربيّ وبعضها فارسيّ. . .

ـ اعتمد الرموز وأحياناً القصة، على عادة الشعراء الإيرانيّين، الذين تقدّموه باعتماد الرمز في أشعارهم، وهو مثلهم، يجعل الكأس والنديم والمدام، والدف، والمطرب، والصنج، والساقي، رموزاً لأشياء أو معانٍ يعبّر عنها بالإيماء. . .

وفي دراستي لشعره الفارسي، في الفصل الثالث من الباب الثاني، عرضتُ أولاً فنونه الشعريّة، وحاولتُ بعد ذلك التغلغل في لباب النص، والاندماج بحقيقته روحيّاً وذوقيّاً وفكريّاً، مظهِرَةً ما فيه من نَفَسٍ عرفاني، مركزة على آرائه النقدية؛ فقد انتقد بصراحة مثيرة، المتشرعين الذين يجترّون آراء السابقين دون اللحاق بهم، ودون أن تكون لهم آراؤهم الخاصة، وكذلك انتقد الفقهاء الذين استغلوا منصبهم الديني لخداع العوام، أو للتقرّب من السلاطين، كما انتقد المتصوّفة الذين غلّبوا الطريقة على الحقيقة. . .

شعره الفارسي الذي تصبغه كلّه صبغةٌ عرفانية، بيّنة، يُظهِر عمقَ تأثره بشعراء الفارسية العظام، ولقد وُجد من ينسب بعض أبياته إلى المولويّ الذي ينتصب في ذروةِ شعراء الفارسية ومبدعيها في العرفان. . .

إن البهائي هو أول من نظم شعراً بالفارسية على وزن الخبب، وهذا الوزن لم يكن معروفاً عند الشعراء الفرس قبل البهائي. .

في الباب الثالث: تحدثت عن البهائي فقيهاً، فبدأت بتمهيد بيّنت فيه منهجه الفقهي الذي يتمحور حول ثلاثة مدارات:

أولاً ـ اتباعه المنهج الأصولي والكلامي لوالده الشيخ حسين بن عبد الصمد وتالياً لأستاذ والده الشهيد الثاني.

ثانياً ـ إنه يُعدُّ من الأصوليين أو الاجتهاديين الذين يقولون بأدلّة الأحكام الأربعة: الكتاب والسنّة والإجماع ودليل العقل..

ثالثاً ـ جعل الفقه علماً ميسوراً لعامة الناس، فهو أول من ألّف في الفقه الميسَّر (جامع عباسى)، وجعل المعارف الفقهية الأساسية، في متناول طبقات الشعب المختلفة..

وفي **الفصل الأول** من الباب الثالث وضّحتُ أثر الشيخ البهائي في تنسيق علم الحديث وتبويبه، وتأثير نضجه العلمي على آرائه فقهياً.

أما **الفصل الثاني**: فقد تحدثت فيه عن علوم القرآن: وبيّنت كيف أن منهجه تطور من تعليق على تفسير الآخرين إلى منهج واضح خاصٍ به: وقد جمع بين البحث على أساس تشريعي والبحث على أساس منطقي وأدبي.

وفي **الفصل الثالث**: من الباب الثالث: في المسائل الاعتقادية: اتضح لنا أن أهمّ ما يميز الشيخ البهائي في مناقشة المسائل الاعتقاديّة، هو عرضه لمجمل الآراء وإظهار موقفه من المسألة، بأسلوب رصين دون تشنيع أو تجريح برأي أحد من السابقين أو اللاحقين، في زمن وُجد فيه بين معاصريه من يردّون على أخصامهم بصيغ فيها الكثير من التحدّي والتجريح والتسفيه، أما كتابه «*جامع عباسى*» أو «الجامع العباسي» بالفارسية فهو أول كتاب في الفقه الميسَّر، وأكثر الكتب الفقهية شهرة وتداولاً في إيران والهند؛ والكتاب غير معروف بالعربية بسبب أن صاحبه كتبه باللغة الفارسية ولم يُنقل إلى العربية حتى الآن.

الباب الرابع: البهائي العالم:

الفصل الأول: نشاط البهائي العلمي وقيمته: لعلَّ سبب نبوغ البهائي العلمي، هو أن العناية الإلهية أتاحت لهذه العبقرية، أن تتفتح بعيداً من القهر والتضييق، الذي كان يمارس على مواطني الدولة العثمانية وبخاصة على مواطني جبل عامل... أن تتفتح في إيران في مرحلة من أهم المراحل في تاريخها السياسي، وجَّه في أثنائها الحكام بعضاً من عنايتهم إلى العلوم وشجعوا المشتغلين بها..

الفصل الثاني: من الباب الرابع وقفته على نتاجه العلميّ، وتناولت فيه كتاب *«بحر الحساب»* الذي لم يُستنسخ في عصره، والذي رجَّحت أن يكون قد سرقه أحدُ أولئك الأوروبيين الذين زاروا إيران كسيّاح وتجّار ومبعوثين ومبشرين...

أما **الفصل الثالث**: وهو الأخير من الباب فقد خصّصته للحديث بشيء من التفصيل عن كتابه *«خلاصة الحساب»*، الذي يُعدّ أهمَّ كتبه العلميّة والذي نال بسببه شهرةً لا نظير لها في الأوساط العلمية.. إنّ ما يميز هذا الكتاب، المنهجَ العلمي الذي اتبعه صاحبهُ، وترتيب الموضوعات وتبويبها بأسلوب تعليمي مباشر...

لقد استوعب بهاء الدين العاملي العلوم الرياضية، بفروعها المختلفة، وقدّم العديد من الابتكارات الجديدة التي لم يسبقه أحدٌ إليها، كما أنه اهتم بالناحية التطبيقيّة في مجالات البيئة بمختلف مظاهرها كالفلك والهندسة والضّوء والهندسة المعمارية وحساب المواريث والأعمالِ التجارية..

وأخيراً، أود أن أشير إلى أنني اعتمدت في هذه الدراسة [كما ورد في الطبعة الأولى] نوعين من الحواشي، أدرجتهما معاً في الصفحة

الواحدة تحت المتن، واحدة تلي المتن مباشرة، ويفصل بينها وبينه خط صغير رفيع، **والثانية** بعد الأولى أي في أسفل الصفحة، ويفصلها عمّا قبلها خط كبير بطول السَّطر كلّه.

إنّما في هذه الطبعة دُمجت الحاشيتان في حاشية واحدة: تضم ما قد ورد في الحاشية الأولى من الإحالات والإرجاعات إلى المصادر والمراجع، وقد اعتمدنا أسماء المراجع دون أسماء المؤلفين، وتركنا تفصيل مشخصات المصادر والمراجع إلى نهاية الكتاب، إلاَّ في حالات قليلة، عندما تكون لبعض المراجع أسماء متشابهة، فإنّنا نضع بعد اسم المرجع، اسم صاحبه بخط صغير، تمييزًا له من كتاب آخر يحمل الاسم نفسه.

وتضمّ كذلك ما كان قد ورد في الحاشية الثانية من تعريف بالأعلام المذكورين في المتن، ما عدا قلّة لهم من الشهرة ما يغني عن تعريفهم، وبالفرق المذهبية والصوفية وبالمدن والمواقع الجغرافية، إلا ما كان معروفاً جداً، وهي تضم الروايات كذلك أو التعليقات التوضيحية أو الأصل الفارسي لنصوص ترجمتها عن الفارسية.

واعتمدنا في حاشية كل آية ثلاثة أمور: **أولاً**: ذكر الجزء ورمزه (ج)، واسم السورة ورقمها ثم رقم الآية...

أما بقية الرموز المعتمدة فهي:

ت = توفي.

ج = جزء.

جل = جلوس.

س = سورة، سنة.

ش = شماره (عدد).

صـ = صلى الله عليه وسلم.

صـ ن = الصفحة نفسها.

ط = طبعة.

ع = عليه السلام، عدد.

م = ميلادي.

مج = مجلد.

م.ن = المصدر نفسه.

هـ = هجري.

و = ولد.

ي = آية.

الباب الأول

البهائي الإنسان

١ ـ **الفصل الأول:** ظرف الزمان وظرف المكان.

٢ ـ **الفصل الثاني:** سيرته.

٣ ـ **الفصل الثالث:** شخصيته.

الفصل الأول

ظرف الزمان والمكان

- الدولة الصفوية: البيئة السياسية.
- الصفويون والعمران.
- الصراع العثماني الصفوي وأثره في المجتمع الإسلامي.
- هجرة العلماء العامليين إلى إيران: تاريخها ـ أسبابها ـ نتائجها.
- البيئة الاجتماعية في إيران في عصر البهائي.

البيئة السياسيّة

الدولة الصفويّة:

تمتاز الدولة الصفويّة، التي بدأ حكمها في أوائل القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) واستمرّ أكثر من قرنين، والتي عاش البهائي في كنفها، بأنها استطاعت أن توحّد تحت حكمها، كل البلاد الإيرانية، التي كانت قبل قيامها دويلات متعدّدة، وأن توصل إيران إلى حدودها القديمة أو ما يقاربها، كما أنها تمتاز بأنها أول دولة إيرانية إسلامية، جعلت المذهب الشيعي، المذهب الرسمي والإجباري للدولة، وقامت بنشر تعاليمه بتحمّس واندفاع، واهتمّت ببسط قواعده وتحكيم أسسه العلمية، والفلسفية[1].

يعود نسب الصفويين إلى الشيخ الصوفي «إسحق صفي الدين الأردبيلي» الذي ولد سنة (٦٥٠ هـ، ١٢٥٢م) في أردبيل[2] في الشمال

---

(١) *الأدب الفارسي* (محمدي) ص ١٩.

(٢) **أردبيل**: ذكرها ياقوت وقال إنها أشهر مدن آذربيجان بينها وبين بحر الخزر مسيرة يومين، معجم البلدان ج١ ص ١٤٥.
وتقع اليوم في (آذربيجان الشرقية)، وهي محاطة بالجبال، وإلى الغرب منها بركان سيلان الخامد الذي يبلغ ارتفاعه ٤٨٢٠ متراً، وأهم آثار أردبيل التاريخية مقبرة الشيخ صفي الدين الأردبيلي جد الملوك الصفويين: *لغت نامه* مج٣ ص ١٦٩ *ودائرة المعارف*، أعلمي، ج٢ ص ١٥٩ وفرهنگ *فارسى* (معين) ج٥ ص ١١٦.

الغربيّ من إيران اليوم، كان في الخامسة من عمره عندما سيطر «هولاكو»[1] على إيران ثم سافر إلى كيلان[2]، لملاقاة الشيخ تاج الدين إبراهيم زاهد الجيلاني[3]، الذي سمّى في أواخر حياته الشيخ إسحٰق خليفة له، وقد بلغ عدد مريدي الشيخ إسحق الوافدين إليه من مختلف

---

(١) **هولاكو خان**: حفيد جنگيز خان، قضى بسهولة على أمراء إيران المحليين، وقضى على الإسماعيلية وخرّب قلاعهم، فتح بغداد عام ٦٥٦هـ. ق١٢٥٨ م، وقتل المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، وقتل أهل بغداد عن بكرة أبيهم، لم يلق مقاومة سوى من المماليك، وقد جعل مراغة عاصمته، بعد أن بسط سلطته على إيران وآسيا الصغرى، وقسم من الهند. . ومن أعقابه الملوك الإيلخانيون: *لغت نامه* ش ١٤٣ ص ٣٤٤، و*فرهنگ فارسى*. ج٦ ص ٢٣١٢.
- كما يذكر الدكتور شيباني أنّه كان في الواحدة والأربعين آونة رحلة «سعدي الشيرازي» الكاتب، الشاعر، والمفكر الإنساني مشرف بن مصلح أبو عبد الله سعدي الشيرازي، كان مولده في غرّة القرن السابع الهجري، شهرته هي نسبة إلى سعد بن زنكي الأمير الأتابكي في شيراز الذي تولاه بعد وفاة والده، درس في المدرسة النظاميّة. . . وتطايرت شهرته في نظم الشعر ولا سيما الشعر الغزلي البديع وأهم نتاجه الفكري والأدبي كتابان شهر بهما. راجع كتاب *سعدي الشيرازي* ط دمشق ١٩٨٥م.

(٢) **گيلان**: بالعربية جيلان، قال ياقوت إنه اسم بلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان: معجم *البلدان* ج٢ ص ٢٠١.
وهي تقع بين بحر الخزر ومازندران وآذربيجان وهي منطقة غنية بالآثار التاريخية، ومن أهم مدن هذا الإقليم اليوم «رشت» و«بندر پهلوي» و«لاهيجان»: راجع *لغت نامه* مج ٢١ ص ٦٤٣ و*فرهنگ فارسى* ج٦ ص ١٧٥٥.

(٣) **إبراهيم زاهد الجيلاني**: تاج الدين إبراهيم زاهد الگيلاني من عرفاء إيران المشهورين (توفي سنة ٧٠٠هـ ١٣٠٠م)، قضى معظم أوقاته في گيلان، وسافر إلى شروان وبعض مناطق آذربيجان، عاش في أواخر حياته في «سور مرده» من نواحي شروان، وفيها توفي، ونقل جثمانه إلى جيلان: *لغت نامه* ج٢ ص ٢٧٥. *وأعيان الشيعة* مج ٢ ص١٣ ، و*فرهنگ فارسى* ج٥ ص٦٤٥.
وقد جاء في *سلسلة النسب صفويه* ص٣٦ أنّ الشيخ صفي الدين تزوج ابنة الشيخ زاهد الجيلاني (فاطمة).

الأقطار عشرين ألف مريد[1].

إن حياة الشيخ صفي الدين، الذي كان صاحب طريقة خاصة به، وزهده وتقواه، ونزاهته، وتعلّق مريديه به، هي التي جعلت الناس ينسبون إليه الكثير من المعجزات والخوارق والخرافات، وأن يجلّوه إجلالاً عظياً، إضافة إلى أن التصوّف وجد الأرض الخصبة في إيران بعد حملات المغول، فكثر المتصوّفون والتالي كثر الأنصار والمريدون لأولاد الشيخ صفي الدين، الذين ساروا بعده على نهجه، ومنهم حفيده «خواجه علي»[2] الذي كان في السادسة والثلاثين آونة حملة تيمورلنگ على إيران، وقد كان من نتائج المجازر التي ارتكبها جنود تيمورلنگ[3]

(١) *لغت نامه* مجلد ١٧ ص٢٦٧ وتشكيل شاهنشاهی *صفويه*: ص ٥٦.

(٢) **خواجه علي**: ابن صدر الدين، ابن صفي الدين الأردبيلي العارف المشهور، تولى بعد موت والده ٧٩٤هـ ١٣٩٢م، وتوفي في فلسطين سنة ٨٣٠ هـ ١٤٢٦م في طريق عودته من الحج ودفن في بيت المقدس وقبره هناك يعرف بقبر الشيخ «علي العجمي». (*تشكيل شاهنشاهي صفويه* ص٦٤ *وزندگانی شاه عباس أول* ج١ ص ١٥٦، وفرهنگ *فارسی* ج٥ ص١١٩٨).

(٣) **تيمورلنگ**: أو تيمور الأعرج أو تيمور كورگان: أي الصهر.
ولد ٧٣٦هـ ١٣٣٥م. جل ٧٧١هـ ١٣٦٩م ووفاته سنة ٨٠٧هـ ١٦٠٦م وهو ابن الأمير «ترغاي»، تربّى في تركستان، خلف عمه في إمارة كيش سنة ١٣٦٠م. وبعد زواجه من ابنة خان كاشغر سُمّي كورگان أي الصهر.
وقد أصابه العرج بعد معركة بينه وبين والي سيستان، وظل أعرج إلى نهاية عمره لذلك سمي «تيمورلنگ» أي تيمور الأعرج، هاجم خوارزم أربع مرات بين ٧٧٣هـ ١٣٧١م و٧٨١هـ ١٣٧٩م، وفي النهاية جعلها خراباً ثم فتح بعد ذلك منغوليا وخراسان ونيسابور وهراة، وفي هراة صنع من جثث القتلى هرماً. كما أنّه احتل مازندران وآذربيجان ولُرستان وآرمنستان وكرجستان وشروان وفي أصفهان صنع هرماً من الرؤوس التي قيل إنها كانت سبعين ألفاً. ومنها سار إلى جنوبي روسيا وفتح إقليم آزاق وفتح معظم الهند الإنكليزية، ومنها عاد إلى الغرب ففتح بلاد الشام، ومدينة بغداد التي خرّبها عن آخرها.. وسنة ٨٠٤هـ حارب العثمانيين وأخذ بايزيد الأول العثماني أسيراً. مات سنة ٨٠٧هـ ١٤٠٥م عن ٧١ سنة، وبعد =

أيضاً ـ كأسلافهم ـ أنْ كَثُرَ عدد الصوفيين المحيطين «بخواجه علي»، الذي أحبَّهُ تيمورلنگ، فلم يلحق أيّ أذى بأنصاره[1]، ووجد خواجه علي الفرصة مؤاتية لتعريف أنصاره بالمذهب الشيعي، فأعلن أنه رأى في المنام الإمام «محمد التقي الجواد» عليه السلام[2]، يطلب إليه أن يهدي أهالي «دزفول»[3] إلى التشيُّع، فكانت هذه أولى محاولات الصفويين في ترويج مذهب الشيعة في إيران[4].

وصادف أن خواجه علي التقى بتيمورلنگ في أردبيل بعد هزيمة بايزيد الأول[5] على يديه سنة ٨٠٤هـ ١٤٠٢م، ونقلِه لعدد كبير من

= موته تفرّقت مملكته بين ولده شاهرُخ وأحفاده وأولاد أحفاده. انظر: *لغت نامه* مج٩ ص ١٢٣٩ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص٤٠٨ *والدولة العليّة العثمانية* ص ١٤٠.

(١) تشكيل شاهنشاهى صفويه ص ٦٤، وسلسلة النسب صفويه ص٤٨، وعالم آراى صفوى ص ٢٣ ودين ومذهب در عصر صفوى ص٥٠.

(٢) **أبو جعفر محمد التقي الجواد**: الإمام التاسع عند الشيعة الإثني عشرية ابن الإمام علي الرضا، الذي كان ولي عهد المأمون العباسي، ولد في شهر رمضان من سنة مائة وخمس وتسعين هجرية ٨١٠م واستشهد أول خلافة المعتصم سنة ٢٢٠هـ ٨٣٥م، ودفن في مقابر قريش في بلدة الكاظمية قرب بغداد (بظهر قبر جده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام)، وفوق بقعتيهما قبتان عاليتان من ذهب مع أربع مآذن كبار عاليات: *في رحاب أئمة أهل البيت* مج٢ ص ١٦١ وما بعدها *وأعيان الشيعة* ج٢ ص ٣٢ وما بعدها، *والدروس البهيّة* ص ١٤٧.

(٣) **دزفول**: مدينة واقعة في خوزستان قرب نهر آبديز «تقع على الطريق التي تصل صالح آباد ـ طهران بخرمشهر، فيها خط حديدي، ويتكلم أهلها لهجة خاصة بهم، وهي على ما يظهر بقايا اللسان (الخوزي) فرهنگ *فارسى* ج٥ ص ٥٢٨.

(٤) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٦٤، ومن المفارقات أن يكون أجداد الصفويين من السنة كما يرجّح أكثر المؤرخين: *لغت نامه* مج١٧ ص٢٦٢، على عكس أجداد العثمانيين الذين كانوا من الشيعة.

(٥) **بايزيد الأول العثماني**: ابن مراد خان الأول ولد سنة ٧٦١هـ ١٣٦٠م، أخضع لحكمه جميع الإمارات التي قامت على أطلال دولة السلجوقيين، ثم ضم بلاد البلغار إلى الأملاك العثمانية، وأعلن ملوك أوروبا حرباً مقدسة ضدّه، ولكنه =

الأسرى الأتراك معه إلى آذربيجان[1]، فطلب إليه خواجه علي تحرير أولئك الأسرى فلبّى تيمورلنگ طلبه، كما أنه جعل أردبيل وضواحيها وأصفهان[2] وهمدان [3]..............................

= انتصر عليم في ٢٣ ذي القعدة سنة ٧٩٨هـ ٢٧ أيلول ١٣٩٦م، ثم شدد الحصار على القسطنطينية، في الوقت الذي أغارت فيه جيوش المغول بقيادة تيمورلنگ على بلاد آسيا الصغرى، وتقابل الجيش العثماني والجيش المغولي في سهل أنقرة، ولكنه وقع أسيراً في أيدي المغول في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ ٢٠ حزيران سنة ١٤٠٢م. ويقال إنه سجنه في قفص من الحديد حتى مات في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥هـ ١٠ آذار ١٤٠٣م، وعمره ٤٤ سنة ومدة حكمه ١٣ سنة: نقلاً عن *الدولة العليّة العثمانية* ص١٤٦.

(١) **آذربيجان**: آذربيجان مقاطعة في شمال غربي إيران على حدود الاتحاد السوفياتي (سابقاً) من الشمال والشمال الشرقي، ويحدّها من المغرب تركيا، ومن الشرق بحر الخزر، وفيها بحيرة رضائية المعروفة، وتقسم اليوم إلى مقاطعتين: آذربيجان الشرقية وآذربيجان الغربية:

معجم *البلدان* ج١ ص ١٥٩، ولغت *نامه* ج١٤ ص٥٤، *ودائرة المعارف*. أعلمي ج٢ ص٢٠٥، وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص ٢١٣.

(٢) **أصفهان**: وتسمى أيضاً أصبهان، قال عنها ياقوت إنها مدينة عظيمة مشهورة، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب وقد نسب إلى أصفهان جماعة من العلماء يعرفون بالأصبهاني: معجم *البلدان* ج١ ص٢١٠. وقد جعلها الشاه عباس الأول عاصمة ملكه سنة ١٠٠٦هـ ١٥٩٧م، وهي الآن تعد المدينة الثانية في إيران بعد طهران العاصمة. وهي أهم المدن الصناعية الآن، كما أن فيها الكثير من الآثار التاريخية التي يعود تاريخ بنائها إلى العهد الصفوي، *دائرة المعارف*، أعلمي ج٥ ص٢٣، *لغت نامه* مج٤ ص٢٧٧٦ و(فرهنگ *فارسى* ج٥ ص ١٥٤).

(٣) **همذان**: قال عنها ياقوت إنها من أحسن البلاد وأنزهها وأطيبها وأرفهها (معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٠) وقد كانت في القديم عاصمة الماديين، ويعود تاريخ بنائها إلى سنة ٨٠٠ ق.م، وهي مركز تجاري تربط إيران بالعراق. وفيها قبر ابن سينا الفيلسوف الطبيب العالم المشهور، وقبر بابا طهر عريان، الشاعر المعروف، وفيها ولد أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان الهمداني: راجع *لغت نامه* مج١٢٩ ص ٢٨٦ وفرهنگ *فارسى* ج٦ ص ٢٢٩٨.

وقفاً عليه وعلى أعقابه الذكور من بعده[1]. وهكذا انتهت ملكية هذا الوقف إلى أن تكون إرثاً يؤول إلى أعقاب الشيخ المؤسّس كمشيخة الطريقة سواء بسواء.

هؤلاء الأسرى الأتراك الذين نالوا حرّيتهم على يد خواجه علي ـ مع أنهم كانوا من السُّنَة ـ أصبحوا من مريدي العائلة الصفوية وفدائييها الذين استماتوا في الدفاع عنها، وهم الذين حاربوا تحت لواء الصفويين أبناء جلدتهم في الحروب العثمانية الصفوية في ما بعد[2].

توفي خواجه علي سنة ٨٣٠هـ ١٤٢٧م فتولى مشيخة **الطريقة**[3] من بعده ابنه شيخ شاه، ثم حفيده «السلطان جُنَيْد»، ثم ابن السلطان جنيد «الشيخ حيدر» والد الشاه إسماعيل، الذي سار على خطى أبيه في تجميع الجيوش، وكان جنوده في غالبيتهم من التركمان الشيعة، وقد ألبسهم الشيخ حيدر قبعة حمراء، ذات تاج واثنتي عشرة درزة، على عدد الأئمة، سمّوا بسببها «القُزَلباش»[4]، أي الرؤوس الحمراء بالتركية، وجنود القُزَلباش هؤلاء، سيكونون بعد قليل، الصّنو والندّ للجنود

---

(١) تشكيل شاهنشاهى صفويه ص٦٥ وتاريخ الشعوب الإسلامية ص٤٩٣ وعالم آراى صفوى ص٢٣.

(٢) تشكيل شاهنشاهى صفويه ص٦٦ و«ثلاثة ملوك باسم إسماعيل الصفوي» ص٤٠.

(٣) **الطريقة**: نعني بها الطريقة الجيلانية في التصوف نسبة إلى إبراهيم زاهد الجيلاني أو الكيلاني.

(٤) ادّعى الشيخ حيدر أنه رأى في المنام الإمام علياً عليه السلام، وأنه هو الذي وصف له شكل القبعة التي يجب أن يلبسها أنصاره ولونها، وكان لا يُسمح لأحد أن يلبس ذلك التاج غير القُزلباش ليتميزوا به من غيرهم، ولكنَّ هذا التاج فقد قيمته المعنوية بعد الشاه إسماعيل، إذ فقد بساطته، ولبسه غير القُزلباش، حتى أن الشاه عباس الأول هيّأ لنفسه تاجاً خاصاً به. انظر: *عالم آراى عباسى*: ج١ ص٢٩ و*تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٥٢ *زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٥٧ ـ ١٥٨.

الإنكشارية[١] في الجيش العثماني[٢].

إلا أن «الشيخ حيدر» قُتِل، كما قتل أبوه من قبله، وهو يحاول فتح «شروان»[٣] وقد خلّف ثلاثة أبناء ذكور، قُتل كبيرُهم أما الباقيان إسماعيل وأخوه الثالث، فقد أخفاهما أنصار أبيهما في لاهيجان[٤] شمالي إيران أمداً طويلاً[٥].

ولد «إسماعيل» ابن الشيخ حيدر، الذي غدا بعدئذ أول ملك من

---

(١) **الإنكشارية**: أو (يني تشاري، أو يني چرى، بالتركية ـ تعني «الجيش الجديد» بالعربية ـ تبعاً للنظام الذي وُضع للجيوش العثمانية زمن السلطان أورخان الأول (٦٨٠هـ ١٢٨١م) ت٧٢٦هـ ١٣٢٦م. وذلك بعد أن جعل الجيش جيشاً دائماً وكان قبل ذلك لا يُجمع إلا وقت الحرب، ويُصرف بعده، وكان الشبان من أسرى الحرب يؤخذون ويفصلون عن كل ما يذكّرهم بجنسهم وأصلهم، ويربون تربية إسلامية عثمانية، بحيث لا يعرفون أباً إلا السلطان ولا حرفة إلا الجهاد، ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي لا يُخشى من تحزّبهم معهم... ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده، وكان هو من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية راجع: *لغت نامه* ش١٩٩ ص ٢٨٥ *والدولة العليَّة* ص١٢٣ وفرهنگ *فارسى* ج٦ ص٢٣٤٢.

(٢) عالم آراى صفوى ص ٣٠ وعالم آراى عباسى ج١ ص ١٩ وتشكيل شاهنشاهى صفويه ص ٦٤ و٦٨ و٧٧، ونصر الله فلسفي: زندگانى شاه عباس أول ج١ ص ١٩٥.

(٣) **شروان**: ولاية في جنوبي شرق القوقاز، كانت تعدُّ قديماً ناحية من نواحي باب الأبواب (دربند)، وقعت في يد الصفويين سنة ٩٤٥هـ ١٥٣٨م زمن الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل وهي في المنطقة الشمالية من إيران المتاخمة للاتحاد السوفياتي السابق: *لغت نامه* مجلد ١٦ ص ٣٤٢، *الدولة العليَّة* ص١٨٩، وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص٩٠٢.

(٤) **لاهيجان**: مدينة في گيلان يحدّها شمالاً بحر الخزر وجنوباً مدينة قزوين، تبعد عن طهران ٣٤١ كلم، راجع: *لغت نامه* مج ٢١ ص ٨٨ وفرهنگ *فارسى* ج٦ ص ١٧٩٨.

(٥) عالم آراى عباسى ج١ ص١٩ ودين ومذهب در عصر *صفوى* ص ٥٠.

الأسرة الصفوية، سنة ٨٩٢هـ ١٤٨٧م، وبدأ حكمه سنة ٩٠٧هـ ١٥٠١م، ، وتوفي سنة ٩٣٠هـ ١٥٢٣م. احتل آذربيجان في العام ٩٠٧هـ ١٥٠٢م، ودخل عاصمتها «تبريز»[١]، وأعلنها عاصمة له، ثم توّج نفسه ملكاً على بلاد فارس وسمّى نفسه: «أبو المظفر شاه إسماعيل الهادي الوالي»، وأعلن المذهب الشيعي، مذهباً رسمياً وإجبارياً لدولته، فرضه على كل أتباعها وسكّانها، وعلى سكّان الولايات التي فتحها بعد ذلك[٢]، وقد تمكن في أقلّ من تسع سنوات من الاستيلاء على «خراسان»[٣] وتعدّاها إلى «هراة»[٤] في أفغانستان اليوم، فامتدت دولته

---

(١) **تبريز**: قال ياقوت إنها أشهر مدن آذربيجان وهي مدينة عامرة وفي وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها، ولقد كانت قرية صغيرة حتى نزلها الروّاد الأزدي المتغلب على آذربيجان في أيام المتوكل (معجم *البلدان* ج٢ ص٣). كانت تحتوي على العديد من الآثار التاريخية إلا أن الحروب المتكررة والزلازل، قضت عليها. وهي معتدلة الماء والهواء، انظر *لغت نامه* مج٨ ص٣١٨ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص ٣٧٨.

(٢) عالم آراى عباسى ج١ ص٢٨ وص٦٤ وتشكيل *شاهنشاهى صفويه* ص ٨٣.

(٣) **خراسان**: أول حدودها يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وغزنه وسجستان وكرمان، وتشتمل على أمهات البلدان كنيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان وأبيورد وسرخس. (معجم البلدان ج٢ ص٣٥٤). أما خراسان اليوم فيحدها شمالاً الاتحاد السوفياتي (سابقاً)، وشرقاً أفغانستان ومن الجنوب كرمان وسيستان، ومن الغرب أصفهان وگرگان، عاصمتها مدينة مشهد المقدّسة. وهي أوسع محافظات إيران، والسجاد الخراساني معروف بجودته في جميع أنحاء العالم: انظر *لغت نامه* مج ١١ ص٣٨١ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص ٤٧٦.

(٤) **هراة**: اسم مدينة في خراسان قديماً، تقع اليوم شمالي غربي أفغانستان (فرهنگ *فارسى* ج٦ ص ٢٢٦٤)، قال ياقوت إنها أعمر مدن خراسان كلها، خرّبها التتار سنة ٦١٨هـ (١٢٢١م)، ونسب إليها خلق من الأئمة والعلماء (معجم *البلدان*: ج٧ مادة هراة) والمدينة لا تزال موجودة اليوم ولكنها ليست بكبر الماضي وهي مما سلخ من خراسان وموقعها اليوم في أفغانستان: *لغت نامه* عدد ١٠٤ ص١٧١، ولواساني، سير *الملوك* ص٢٤٦.

من نهر جيحون[1] إلى الخليج، ومن الفرات إلى أفغانستان[2].

وكان سعي الشاه إسماعيل حثيثاً للوصول إلى العتبات المقدّسة في العراق[3]، . . . .

---

(١) **نهر جيحون**: يسمى نهر بلخ مجازاً لأنه يمر بأعمالها (معجم البلدان ج٢ ص١٩٦) اسمه اليوم آمودريا وهو اليوم في آسيا السوفياتية (سابقاً)، ينبع من جبال «پامير» شمالي أفغانستان ويصب في بحيرة آرال ـ كان يصب قديماً في بحر الخزر ـ طوله ٢٦٥٠كلم. يستفاد من مائه في ري مزارع القطن. كان اليونان يسمونه (oxus أكسوس) (وباليونانية المعاصرة vaxsu: انظر *لغت نامه* مج ١٠ ص٨٧ وفرهنگ *فارسی* ج٥ ص٦٠.

(٢) المصدر السابق ص٦٨ و٦٩ و٨٣ وطبقات سلاطين الإسلام ص٣٧.

(٣) **أ ـ العتبات المقدسة في العراق هي**: مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في النجف الأشرف ويدعونه «المشهد الغروي» ٩١٤هـ ١٥٠٨م: بعد أن استولى الشاه إسماعيل على بغداد قدّم للحضرة هدايا جزيلة فاخرة، وبعد أن استرد العثمانيون بغداد زار السلطان سليمان القانوني النجف سنة ٩٤١ هـ ١٥٣٤م، وأهداها مقادير من السجاد والشمعدانات الفاخرة كما زار الكاظمية وكربلاء، ولما أعاد الشاه عباس فتح بغداد ١٠٣٢هـ زار أيضاً العتبات المقدسة، ثم أعاد العثمانيون فتحها سنة ١٠٤٩هـ ١٦٣٩م. انظر *موسوعة العتبات المقدسة* قسم النجف ج٦.

ب ـ المقامات المشرّفة في كربلاء: مرقد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس بن علي: انظر *موسوعة العتبات المقدّسة* ج٨ قسم كربلاء، مجلة *نور الإسلام*، العدد ١ السنة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ص ٦٤.

ج ـ الكاظميّين: أو الكاظمية وفيها مشهد الإمامين: موسى الكاظم بن جعفر الصادق الإمام السابع عند الشيعة الإمامية، والإمام محمد الجواد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم، الإمام التاسع عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية. وفي سنة ٩٢٦هـ ١٥٢٠م قام الشاه إسماعيل الصفويّ بتجديد عمارة المشهد المقدس الكاظمي، وفي سنة ٩٤١هـ ١٥٣٥م أمر السلطان سليمان القانوني ببناء المنبر الموجود اليوم في الجامع الصفوي، وفي سنة ٩٧٨هـ ١٥٧٠م أكمل السلطان سليم الثاني العثماني المنارة الواقعة ما بين الشرق والشمال. وأضاف الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٣٢هـ ١٦٢٦م والشاه صفي الصفوي سنة ١٠٤٢هـ ١٦٣٤م إلى المكان تجديدات وتحسينات عديدة.. وفي سنة ١٢١١هـ ١٨٠٥م أمر السلطان =

لذلك وجّه رسالة إلى علاء الدولة ذي القدر[1]، الذي كان حاكماً على النواحي الشرقية، لآسيا الصغرى وحوض الفرات وديار بكر[2]، طالباً إليه فيها أن يعتنق التشيّع وينشره في بلاده فيبقيه حاكماً على ديار بكر، وحين رفض علاء الدولة الرضوخ لتهديد الشاه، وجّه هذا الأخير جيشاً إلى بلاده، وبعد سيطرته على بغداد أصبحت كربلاء والنجف تحت سلطته (٩١٤هـ ١٥٠٨م)، فزار الأماكن المقدسة، وأهدى مشهد الحسين مقادير من الشمعدانات والسجاد النفيس، والستائر الحريرية[3].

والذي عليه معظم المؤرخين والمحققين أنه، بما أن العائلة الصفوية عدّت نفسها حامية المذهب الشيعي، وبما أن الصفويين كانوا يريدون أن يضفوا على شهرتهم ومحبة أتباعهم لهم شيئاً من التقديس،

= محمد شاه الأول بتذهيب القبتين الكريمتين وأضاف إليهما ثلاث منائر على طراز المنارة التي بناها السلطان سليم العثمانيّ، *موسوعة العتبات المقدّسة* ج٩ قسم الكاظميّين.

د ـ وفي سامراء قبر الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر وابنه الحسن بن علي العسكريين. وسامراء بلد على دجلة كانت بين بغداد وتكريت وفيها سكن المعتصم وجنوده الأتراك، وبنى فيها مسجداً واشتقّ من دجلة قناتين، وقد بنى فيها المتوكل أبنية جليلة (معجم البلدان ج٣ ص١٧٨). و*موسوعة العتبات المقدسة*، قسم سامراء.

(١) **إمارة ذي القدر**: هي إمارة صغيرة تقع في شرقي الأناضول إلى الجنوب، إذ تبدأ حدودها من غربي مدينة مرسين وتذهب بخط صاعد ومائل فتمر من أمام قيصرى وتنتهي خلف ملاطية ثم تنحدر حتى تصل إلى البحر الأبيض المتوسط مشتملة على خليج الإسكندرونة (تاريخ الدولة العليَّة ص١٩١).

(٢) **ديار بكر**: وهي بلاد واسعة كما يقول ياقوت، تنسب إلى بكر بن وائل وحدّها ما غرّب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين. (*معجم البلدان* ج٢ ص ٤٩٤) وكانت ولاية من ولايات الأتراك وتقع إلى الشمال من الحدود السورية على ساحل دجلة: انظر *لغت نامه* مج١٣ ص ٤٩٣، وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص٥٤٨ و*الدولة العليّة العثمانية* ص ١٨٩.

(٣) تشكيل شاهنشاهى صفويه ص١٠٧ و١٠٩.

ادّعوا أنهم سادة، يعودون بنسبهم إلى أهل البيت عليهم السلام[1]، ولذلك كان الشاه إسماعيل الأول يحسب نفسه سيّداً، ويفتخر بهذا النسب، وفي مخطوطة بخط الشاه إسماعيل يقول: «نفيسى» إنها موجودة في جامعة «اسطنبول»، يسمي نفسه فيها «إسماعيل بن حيدر الحسيني»، وكذلك في رسالة أرسلها إلى شيبك خان زعيم الأوزبك، وفي ديوان أشعاره باللغة التركيّة، أشار إلى أنه من آل علي عليه السلام[2].

استطاع الشاه إسماعيل، وهو الشاب الجريء الطموح، الذي لم يتعدّ الخامسة عشر من عمره، والصوفيّ المحاط برفاق من الصوفيين

---

(١) يقول الدكتور شيباني: إن مؤرخي الدولة الصفوية يذكرون أن الصفويين من سلالة حمزة ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام المتوفى سنة ١٨٣هـ ٧٩٩م.. ولكن دراسة بعض الوقائع والمستندات وتمحيصها، قلّلت من قيمة هذا المدّعى، إذ يبدو أن كل المؤرخين الإيرانيين والأجانب، الذين نسبوا الصفويين إلى أهل البيت، أخذوا معلوماتهم من كتاب «صفوة الصفا» لابن البزّاز من أهالي أدربيل. هذا الكتاب كُتب في زمان الشيخ صدر الدين ابن الشيخ صفي الدين وبأمره، ونُقّح في زمان الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل وفي التنقيح على الكتاب الأصلي، تحوير لبعض النصوص لمصلحة العائلة الصفوية، ويدّعي مُنقّح هذا الكتاب أن أسلاف الملوك الصفويين سادة، ولكنهم تسمّوا بالمشايخ تقيّة «*تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص ٤٥ و٥٢» كما يذكر العلامة «محمد قزويني» أن في المكتبة الوطنية في باريس صورة عن الأمر الصادر عن السلطان أحمد جلاير (٧٨٤ ـ ٨١٣هـ = ١٣٧٨ ـ ١٤٠٧م)، يلقّب فيه حاكم تبريز وبغداد الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين، بشيخ الإسلام الأعظم، سلطان المشايخ والمحققين، قدوة السالكين، ناصح الملوك والسلاطين مرشد الخلائق أجمعين «وليس في هذه الألقاب أيّ إشارة إلى كونه سيداً من أهل البيت، وبخاصة أن لقب سيد كان من ألقاب السيادة والوجاهة في عصره وكان السادة يُلَقبون بـ: «الأمير» «الإمام» أو «السيد الأصل» أو «المرتضى الأعظم» أو «سلطان العترة» أو «جلال الأشراف».. ويقول العلامة القزويني إن هذا سبب نضيفه إلى الأسباب العديدة الأخرى في نفي صفة «السادة» عن العائلة الصفوية: *مجلة يادگار* السنة الأولى. العدد ٤ ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق ص٥٢ و*زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

القُزَلباش، الذين كانوا يعدّونه كأبيه وأجداده من قبله، «المرشد الكامل»[١]، ويطيعونه طاعة عمياء، أن يُعلن في جامع «تبريز» بعد دخوله منتصراً، وجلوسه على سرير السلطنة، أنَّ مذهب إيران الوحيد والإجباري هو المذهب الشيعي، وأنْ يذكر في الأذان والإقامة: «أشهد أنَّ علياً وليّ الله، وحيّ على خير العمل» على الرغم من معارضة أهلها السنة[٢]، وبعد إتمام الأذان يعلن على الملأ التولي بمحمد وآل محمد، والتبرؤ من أعدائهم، ولعن الخلفاء الثلاثة والسنة جميعاً، وقاتلي الأئمة، وقد تجاوز الطعن واللعن المساجد وأماكن العبادة، إلى الحارات والأسواق، والمحال التجارية، وكل من لا يقول ذلك، يُقتل بحد السيف، كما قرّر أن يضرب على أحد وجهي السكّة: «الشاه عبد الولاية»، كما سمى نفسه، وعلى الوجه الآخر: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي وليّ الله، محاطة بأسماء الأئمة الأحد عشر الآخرين»[٣].

هذا الأمر دفع العلماء المعتدلين من الشيعة في تبريز، إلى لوم الشاه على فرض المذهب بالقوة، وعدّوا هذا القرار متهوّراً، لأن إيران من الناحية الرسمية، كانت في غالبيتها من السنة، وكان ثلثا سكان مدينة

---

(١) **المرشد الكامل**: إن مجاهدات المتصوف الأساسية ثلاث: مجاهدة التقوى، ومجاهدة الاستقامة، ومجاهدة الكشف، وهذه المجاهدة الأخيرة ثمرة ما قبلها من مجاهدات ولا بد فيها من الاقتداء **بشيخ سالك هو المرشد الكامل**، يكون قد خَبِرَ المجاهدات وقطع طريق الله وارتفع له الحجاب، وتجلّت له الأنوار. . . فإذا ظَفَر بهذا الشيخ فليلقِ بنفسه بين يديه كالميت بين يدي الغاسل. هذا التعبير الأخير لابن عربي نقلاً عن *شفاء السائل* لابن خلدون ص ٤١.

(٢) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٣٩ وص ٨٩ *وزندگانى شاه عباس أول* ج١ ص ١٧٠.

(٣) بروكلمان. *تاريخ الشعوب الإسلامية* ص٤٩٧ و
Henri corbin: en islam iranien p.89.

تبريز من السنّة أيضاً، كما حذّروه من فتنة، يكون من الصعب تداركها بعد أن يفوت الأوان[1]، ولكن الشاه كان مصرّاً على موقفه[2].

إن أهم ما كان يميز أوضاع إيران المذهبية، قبل بدء سلطنة الشاه إسماعيل، قلّة عدد الشيعة، الذين كانوا متفرقين في نواحي إيران مثل قمّ[3]، وكاشان[4]، والرَيَّ[5]، . . . .

---

(١) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص ١٩٠ و*زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٧٠، ١٧١.

(٢) لما فتح الشاه إسماعيل هراة، كانت هذه المدينة مسرحاً لأفظع مجازره المذهبية، فهو حين دخلها في العام ٩١٦هـ ١٥١٠م، أمر بقتل جماعة من علمائها السنة، بينهم شيخ الإسلام فيها، الأمر الذي انتقده عليه الكركي علي بن عبد العالي، وهو من أوائل العامليّين المهاجرين إلى إيران (*مستدرك الوسائل* ج٣ ص ٤٣٢).

(٣) **قم**: هي مدينة مستحدثة إسلامية كما يقول ياقوت، وأهلها كلهم شيعة إمامية (معجم البلدان ج٤ ص ٣٩٧)، تقع شمالي كاشان، وجنوبي طهران، ويحدها غرباً العراق وساوه، اكتُشف فيها مؤخراً بئرا نفط عظيمان. وفيها قبر المعصومة ابنة الإمام موسى بن جعفر، وهو أحد المزارات لدى الشيعة. كما أن حوزة قم من أهم المراكز الدينية الشيعية: راجع *لغت نامه* مج٢٠ ص ٤٣٦ و*فرهنگ فارسى* ج٦ ص١٤٧٧.

(٤) **كاشان**: إحدى مدن إيران، تحدها من الشمال والشمال الغربي مدينة قم، ومن المشرق والشمال الشرقي سهل كوير ومن الجنوب قرى محافظة أصفهان، ومن المغرب مدينتا گلبايگان ومحلات. أهم آثارها منارة مسجد الجمعة (من العهد السلجوقي)، مسجد ميدان فيض من القرن التاسع الهجري، مقبرة الإمام سلطان مير أحمد من القرن العاشر الهجري ومقبرة الإمام حبيب بن موسى من العهد الصفوي والمدرسة السلطانية من العهد القاجاري. ولأهل كاشان لهجة خاصة بهم (فرهنگ فارسى ج٦ ص ١٥٢٢).

(٥) **الري**: يقول ياقوت إن بينها وبين نيسابور مائة وستين فرسخاً، وبينها وبين قزوين سبعة وعشرين فرسخاً.. وذُكر عن الأصمعي قوله إن الري عروس الدنيا، وكان عُبيدُ الله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبي وقاص ولاية الري إن خرج على رأس الجيش الذي توجه لقتال الحسين عليه السلام. (معجم البلدان ج٣ ص١١٦). =

ومازندران[1]، وسبزوار[2]، ومن الناحية الاجتماعية، كان الشعب الإيراني مكوناً من عناصر عرقية مختلفة، «أتراك»، «تاتار»، «مغول»، وكانت الضغائن متفشية بين هذه العناصر التي لم تمتزج قط مع العناصر الإيرانية. أما على الصعيد السياسي فإن أهم ما يميّز تاريخ إيران قبل تأسيس الدولة الصفوية، وجود حكومات محلية مستقلة، وبسط نفوذ الدول المجاورة لإيران على هذه الأرض، والاضطرابات الداخلية، والنزاعات الدامية[3].

هنا تكمن أهمية الدور الذي اضطلع الشاه إسماعيل بأن يقوم به، من الارتفاع ببلاد إيران من شعوب عرقية متصارعة، إلى دولة واحدة «على أساس المذهب»[4]، هذا التوحيد في المذهب، أوجد رابطاً مشتركاً بين الأقوام الإيرانيين، ووحّد البلاد عاطفياً وسياسياً واجتماعياً وعسكرياً، بخاصة في حروبها، سواء في عهده، أو في عهد خلفائه،

= وكانت تسمى سابقاً «حضرت عبد العظيم» لأن فيها مزار عبد العظيم والإمام حمزة والإمام إبراهيم وابن بابويه، وضريح ناصر الدين القاجاري وضريح رضا شاه پهلوى: انظر *لغت نامه* مج١٤ ص٣٤٣ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص٦٣٦.

(١) **مازندران**: يقول ياقوت إنها اسم لولاية طبرستان (معجم البلدان ج٥ ص٤٠). ورد اسمها كثيراً في الشاهنامه، ويحدها من الشمال بحر الخزر وجمهورية تركستان، ومن الشرق خراسان، ومن الجنوب حكومة سمنان، ومن الغرب: گيلان: انظر *لغت نامه* ش١٩٥ ص٥٢، وفرهنگ فارسى ج٦ ص١٨٧٤، وتاريخ إيران أز دورهٔ باستان تا پايان سدهٔ هيجدهم ص ٤٥٧.

(٢) **سبزوار**: مدينة في خراسان بين نيسابور وشاهرود، غربي مشهد كان اسمها في القرون الإسلامية الأولى «بيهق» وهي على الطريق التي تصل بين طهران ومشهد (فرهنگ فارسى ج٥ ص٧٢٨).

(٣) تشكيل شاهنشاهى صفويه ص٣٩، وعقيدة الشيعة ص٢٩٠ والتشيع والشيعة ص ٥٢.

(٤) المصدر السابق ص١٣٥،

J. Aubin, la politique religieuse des safavides, op.cit. p.236.

كما استطاع أن يوجد دولة ذات نظام ومؤسسات في إيران، استمرت بعده مائتي سنة، وتعدّ من أهم الأدوار في تاريخ إيران بعد الإسلام[1].

إلاّ أن التعصب المذهبي أدّى إلى ردود فعل متباينة، فقد أدّى إلى صراع يحتدم كثيراً، ويخفت في أحيان قليلة بين إيران وجيرانها الأتراك والأفغانيين.

كما أن ظاهرة السب المقترن بالاضطهاد الطائفي تركت ردَّ فعل سلبياً أثّر على الإثني عشرية في الحجاز والعراق وبلاد الشام، الذين تعرّضوا للاضطهاد بفعل الردَّ بالمثل، في المناطق الخاضعة للحكم العثماني، بعد أن تسلم السلطان سليم[2] الحكم في الدولة العثمانية وأجبر أباه السلطان بايزيد الثاني[3] على التنازل عن العرش، وقتل

---

(١) لقد وجد المحققون في تاريخ إيران أوجه شبه كثيرة، بين هذه الدولة والدولة الساسانية التي قامت في القرن الثالث للمسيح، على أعقاب ملوك الطوائف، والتي قضت على الدويلات المتعددة، ووحّدت البلاد كلها، تحت حكم دولة واحدة على أسس عتيدة منها توحيد الدين والدولة، بجعل المذهب الزرادشتي مذهباً رسمياً، وأصبحت هذه الحكمة المأثورة عن أردشير الملك مؤسس الدولة الساسانية، الدستور الرئيسي لهذه الدولة التي دامت أكثر من أربعة قرون وهي: «الدين والملك توأمان، لا غنى لواحد منهما عن الآخر، والدين أس الملك، والملك حارسه، فما لم يكن له أسّ فمهدوم، وما لم يكن له حارس فضائع، وهذا العمل نفسه هو الذي قامت به الدولة الصفوية بالنسبة إلى المذهب الشيعي: محمدي: في الأدب الفارسي ص١٩.

(٢) **سليم الأول**: ابن بايزيد الثاني (جل ٩١٨هـ ١٥١٢م) ـ وفاته ٩٤٦هـ ١٥٢٠م كان أبوه قد عينه والياً على طرابزون.. وقد عصى والده جهاراً.. ثم سار إلى أدرنه وأعلن نفسه سلطاناً عليها؛ وكان الإنكشارية يحبونه، فأتوا به إلى القسطنطينية، وطلبوا إلى السلطان بايزيد التنازل عن العرش لابنه سليم، فقبل واستقال في ٥ صفر ٩١٨هـ ٢٥ أبريل ١٥١٢م، وسافر هو إلى ديموتيقا فتوفي في الطريق: الدولة العليَّة ص١٨٦.

(٣) **السلطان بايزيد العثماني الثاني**: (٨٨٦هـ ١٤٨١م ـ ٩١٨هـ ١٥١٢م)، كان شاعراً =

مخالفيه وأخوته وأولادهم، وكان على النقيض من والده كلياً، فهو أقل وعياً، وأقل تديناً، وأكثر تعصباً وبأساً وطموحاً وحباً للجاه والسيطرة[1].

وها هو يرى بنفسه أن انتصارات الشاه إسماعيل على الأوزبك والأعداء الآخرين، قد أوجدت سدّاً منيعاً أمام توسع الدولة العثمانية، وأمام طموحه إلى أن يكون خليفة المسلمين، لذلك صمم سليم على حرب الشاه إسماعيل، وجاءته الخصومة المذهبية ذريعة، تلائم ميله إلى الحرب وحب التوسع، وتلائم أخلاقه العدوانية، واستغل ما نقله الفارون من إيران، والمهاجرون من أهل السنة إلى أراضي الدولة العثمانية، وذكرهم لتعديات الشاه والقُزَلباش فاستحصل على فتوى من بعض فقهائه، تعدّ الشيعة خارجين على الدين الإسلامي، وتقرّ وجوب

= ويجد في رعاية العلوم متعة لعقله المتروي، ولقد ترك آثاراً عمرانية رائعة.. استطاع بتعقله وحكمته أن يؤجّل الصراع بين الدولتين، على الرغم مما أظهره الشاه إسماعيل من التحدي، مثل:

١ ـ إرسال الرسل إلى البلاد الواقعة تحت حكم العثمانيين وتحريض الناس فيها على الثورة على العثمانيين.

٢ ـ مساعدته الأمير أحمد وأولاده على والدهم السلطان بايزيد، ثم على أخيه السلطان سليم.

٣ ـ إرساله الرسل إلى «قانصوه الغوْري» سلطان مصر يطلب إليه فيها أن يتحدا معاً لمواجهة عدوهما المشترك الدولة العثمانية.

٤ ـ تمثيله بجثة **شيبك خان** زعيم الأوزبك السنَّة بعد فتح خراسان، وقتله أهل مرو قتلاً عاماً وكان بينهم عدد من رجال الدين، ثم حشا جلد رأس شيبك خان بالتراب، وأرسله إلى السلطان بايزيد تشفياً. انظر في تفصيل هذه الحوادث: *لغت نامه* مج٥ ص٦١٧ وتشكيل شاهنشاهى صفويه من ص ١٢٥ إلى ص ١٦٥، وزندگانى شاه عباس أول ج١ ص ١٥٧ إلى ص ١٧٠، وج٤ ص١٢٣، وتاريخ الدولة العليَّة العثمانية ص ١٨٩، وتاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٩٨.

(١) تشكيل شاهنشاهى صفويه ص ١٦٢، تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٤٤.

محاربتهم وقتلهم. . . لذلك أمر بقتل كل من كان معروفاً بالتشيع داخل بلاده، من سنّ سبع سنوات إلى سبعين سنة[(١)]، وهيَّأ جيشاً قوياً لمحاربة الشاه إسماعيل فأوقع الهزيمة بالشاه عند وادي «چالدران»[(٢)]، في ٢ رجب سنة ٩٢٠هـ، ٢٣ آب ١٥١٤م، ثم تقدم إلى عاصمة خصمه تبريز، واستولى على خزائن الشاه، وأرسلها إلى القسطنطينية[(٣)]. ثم قرر القضاء على دولة المماليك فأحرز في معركة «مرج دابق»[(٤)] ٢٥ رجب سنة ٩٢٢هـ ٢٤ آب ١٥١٦م نصراً حاسماً على قانصوه الغوري[(٥)]، وبعد ذلك بأقل من سنة دخل القاهرة، بعد أن انتصر على طومان بابي[(٦)] في معركة

---

(١) هذه الحادثة من أفجع الأعمال التي لبست رداء مذهبياً، كما أن مؤرخي الأتراك أكدوا أن عدد القتلى وصل إلى ٤٠ ألف إنسان. طبقات *سلاطين الإسلام* ص ٥٣٨ وتشكيل *شاهنشاهى صفويه* ص١٦٣ و١٦٤ و١٦٥، *وتاريخ الدولة العليَّة العثمانية* ص١٨٩ *وتاريخ فرهنگ إيران* ص٢٣٠.

(٢) **وادي چالدران**: وهناك مدينة بهذا الاسم تقع في شرقي الأناضول إلى الجنوب من مدينة قارض، استمد المكان شهرته من المعركة التي جرت فيه بين الشاه إسماعيل والعثمانيين. انظر *لغت نامه* مج١٠ ص٦٥.

(٣) *البلاد العربية والدولة العثمانية* ص ٤٠، *تاريخ الشعوب الإسلامية* ص٤٦٦ *وتاريخ الدولة العليَّة العثمانية* ص١٩١.

(٤) **مرج دابق**: قرية بين عزاز وحلب، فيها قبر سليمان بن عبد الملك وكان عسكر فيها في طريقه إلى فتح القسطنطينية. *لغت نامه* مج١٢ ص٨٥.

(٥) **قانصوه الغوري**: الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قانصوه الغوري الظاهري الأشرفي أصله من مماليك الأشرف الظاهر خُشْقَدَم، ثم انتقل إلى الأشرف قائد باي.

بويع له بالملك سنة ٩٠٦هـ ١٥٠٠م ومن آثاره أنه بنى سور مدينة جدة ودائر الحجر الأسود وبعض أروقة المسجد الحرام وباب إبراهيم وعدة خانات وآبار في طريق الحج المصري وأجرى الماء من مصر القديمة إلى قلعة الجبل وعمَّر بعض أبراج الإسكندرية: انظر *لغت نامه* ج١٩ ص١١٩، *وتاريخ الدولة العليَّة* ١٩٢.

(٦) **طومان باي**: ٨٧٩ ـ ٩٢٣هـ = ١٤٧٤ ـ ١٥١٧م أبو النصر الملقب بالملك الأشرف: من ملوك الجراكسة بمصر اشتراه قانصوه الغوري وقدمه إلى الأشرف قايتباي. . . =

الرَّيدانية[1]، وبعد موقعة مرج دابق دخلت سوريا تحت حكمه[2]، وجبل عامل[3] الذي هو جزء من بلاد الشام، وقع عليه هذا الحدث بثقله،

= أنابه قانصوه الغوري عن نفسه حين توجه من مصر لحرب العثمانيين في حلب سنة ٩٢٢هـ ١٥١٦م. . وقد بويع بالملك بعد مقتل قانصوه الغوري وقام بأعبائه. .

ولم يكد السلطان العثماني يستقر حتى خرج طومان باي من مخبئه بقوة من المماليك والعبيد فداهموا العثمانيين ليلاً ونشبت معركة حامية سنة ٩٢٣هـ ١٥٢٧م، كاد العثمانيون يُهزمون، ولكن بعض جند طومان باي وشوا به فاقتيد إلى باب زويلة وأعدم شنقاً. وكان محمود السيرة في سيرته مع الرعية، وبمقتله دخلت مصر في حكم الدولة العثمانية. *تاريخ ابن أياس* ج٣ ص ٦٨ ـ ١١٦، الأعلام ج٣ ص ٢٣٤.

(١) **معركة الريدانية**: لما وصل خبر موت السلطان قانصوه الغوري إلى مصر انتخب المماليك طومان باي خلفاً له، وأرسل إليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الباب العالي على مصر، فلم يقبل بل استعدّ لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود، ولكنّ مقدمة جيوش المماليك هُزمت، واحتل العثمانيون غزة على طريق مصر،، وساروا نحو القاهرة واحتدم القتال بين الطرفين، وأظهر طومان باي ومن معه شجاعة نادرة ومقاومة باسلة، وعلى الرغم من ذلك دخل العثمانيون مدينة القاهرة بعد معارك في شوارع المدينة قتل فيها أكثر من خمسين ألف نسمة. أما طومان باي فالتجأ ومن بقي معه إلى بر الجيزة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من يأسره منهم، ولكنه وقع بأيدي العثمانيين بخيانة بعض من معه، وشُنق بأمر السلطان سليم في ١٣ نيسان ١٥٢٧م، ٢١ ربيع الأول ٩٢٣هـ بباب زويلة، ودفن بالقبر الذي كان أعدّه السلطان الغوري لنفسه: تاريخ الدولة العليَّة العثمانية ص١٩٣ وAmin maalouf: léon 1,africain.p.281.

(٢) يقول محمد كرد علي «إن سورية لم تكن بعد استيلاء العثمانيين عليها، أحسن حظاً مما كانت عليه في عهد المماليك، وإنما صار حالها بعد الفتح العثماني، ينتقل من سيِّىء إلى أسوأ، وتسير من بؤس إلى بؤس، وتَعَاقَبَ تبدّل الولاة عليها، والولاية تبتاع ابتياعاً، والمزايد الأكبر هو الذي توسد إليه، يضاف إلى ظلم الولاة وأعوانهم الذين يكونون في الأعم الأغلب عتاة مرتشين،، ظلم الجنود في حلهم وترحالهم. . .»، *خطط الشام* ج٢ ص ٢٣٥ و٢٦٠ و٣٣٣. . .

(٣) **جبل عامل**: تعرف الناحية التي نزلها بنو عاملة من أرض الشام باسم جبل عامل وجبل عاملة، وترخيم التاء أكثر في العصور المتأخرة، وهو اسم شائع في الأقطار =

فأصابه من الشر أكثر مما أصاب بلاد الشام الأخرى، لأن أهله كانوا بنظر العثمانيين متهمين بميوليهم إلى الدولة الصفوية عدوة العثمانيين.

توفي الشاه إسماعيل سنة ٩٣١هـ ١٥٢٤م، فانتقل الحكم إلى ابنه طهماسب، الذي كان في العاشرة من عمره، والذي عاش في طفولته الأولى في هراة، وكانت عهدئذ من جملة خراسان، لأن أباه كان قد عينه حاكماً على خراسان، وقد عانى وهو في هذه السن المبكرة، من غزو الأوزبك المتعصبين سنّياً لهراة سنة ٩٢٧هـ ١٥٢١م[١]، وكان لذلك أثر كبير في تكوينه من بعد.

تميّز عهد طهماسب ـ الذي طال ٥٢ عاماً ـ بالحروب المتواصلة بينه وبين العثمانيين في الغرب والأوزبك المتعصبين في الشرق، وقد شن هؤلاء على إيران أكثر من سبع حملات متواصلة، كان من نصيب هراة ومشهد المقدسة[٢]، . . . .

= الشرقية عند الشيعة الإمامية في الهند وإيران، والعراق وبعض الحجاز، وذلك بما كان لأهل هذا الجبل من التقدم العلمي، وبما أخرج من العلماء والفقهاء على مذهب الإمامية الجعفرية: *جبل عامل في التاريخ* ص٣٧، *وأعيان الشيعة* ج١ ص٢٥ وص١٩٩ و*خطط جبل عامل* ج١ ص٣٦ و*جواهر الحكم* من ٥٩٥ إلى ٥٩٧ و٦٠٣. وقد اتفق جميع المؤرخين على أن التشيع في جبل عامل قديم يمتد حتى خلافة عثمان، إلى عهد نفي أبي ذر إلى هذه البقعة (٢٤هـ ٦٤٤م): *خطط الشام* ج٦ ص٢٥٢ والإسلام وإيران ص٤٣٧، وذكر الحر العاملي أنه لم يسبق أهل جبل عامل إلى التشيع إلاّ جماعة محصورون من أهل المدينة (*أمل الآمل* ج١ ص١٣).

(١) *تاريخ الشعوب الإسلامية*: ص٤٥٢، *وزندگانى شاه عباس أول*، ج١ ص ١٨٥.

(٢) **مشهد المقدسة**: (كانت تسمى طوس) مدينة مشهد عاصمة إقليم خراسان ترتفع ١٠١٠ أمتار عن سطح البحر، تبعد عن طهران ٩١٣ كيلو متراً، لم يكن لمدينة المشهد أهمية قبل القرن الثالث الهجري، وبالتحديد سنة ٢٠٣هـ، بعد استشهاد الإمام علي الرضا ودفنه فيها وقد سميت «مشهد الرضا ٢٠٣ هـ ٨١٨م» زادت =

أن تعانيا منها أكثر من أي مدينة أخرى[1].

كان الشاه طهماسب هو المتدين الوحيد بين ملوك الدولة الصفوية، وقد اتبع اتباعاً دقيقاً جميع التعاليم الدّينية حتى الثانوية منها[2]، وكان يجل العلماء ويحترمهم، وقد ذكر المؤرخون كثيراً من القصص عن شدة تعظيمه للعلماء[3]، ولذلك كان لا يألو جهداً في تشجيع العلماء الأعلام، وترغيبهم في الذهاب إلى إيران والعيش فيها، ولقد بدأت الدولة في عهده باجتذاب المتكلمين رويداً رويداً من النجف أو من جبل عامل، لينهضوا بمهمة نشر المذهب وتطبيقه، وقد أطلق الشاه طهماسب يد رجال الدين في شؤون المملكة[4]. وهو الذي نقل العاصمة إلى

= عمارتها زمن التيموريين والصفويين وبخاصة زمن الشاه طهماسب الصفوي، أهم أبنيتها: «مشهد الإمام الرضا» «ومسجد گوهر شاد». (فرهنگ فارسى ج٥ ص١٩٨٥).

وموسوعات *العتبات المقدسة* ج١١ قسم خراسان من ص ١٩٧ إلى ٢٩١.

الإمام الرضا: هو علي الثالث، ثامن الأئمة الأبرار، وعاشر المعصومين، كنيته أبو الحسن الثاني وأهم ألقابه: الرضا، وغريب الغرباء، والده الإمام موسى بن جعفر، ولد في المدينة المنورة سنة ١٥٣هـ ـ ٧٧٠ م وكانت إمامته بقية خلافة الرشيد، ثم خلافة الأمين، ثم خلافة المأمون، الذي انتهت حياة الإمام الرضا ﷺ في عهده. وقد زوّجه المأمون ابنته «أم حبيب» وعقد له الأمر بولاية العهد.. وفي شهر صفر سنة ٢٠٣هـ ٨١٨م مات الرضا ﷺ مسموماً، وقيل إن الذي سمه المأمون: في رحاب أئمة أهل البيت ج٢ ص١٠٢. *أعيان الشيعة* ج٢ ص ١٢ ـ ٣١ *والدروس البهية* ص١١٥ إلى ١٢٩.

(١) *تاريخ الشعوب الإسلامية* ص ٤٥٢ و٤٩٩.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠٠.

(٣) *عالم آراى عباسى* ج١ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ *وريحانة الأدب* ص٢٤٥ *وأعيان الشيعة* ج٣ ص٨٢، *وتاريخ فرهنگ إيران* ص٢٤١.

(٤) لقد تأثر طهماسب بشخصية الكركي علي بن عبد العالي (المحقق الثاني) ٨٧٠هـ ١٤٦٠م، ٩٤٠هـ ١٥٣٣م، وإنجازاته حتى أنه بعد موت هذا الأخير بعيداً من =

داخل البلاد بعيداً من قبضة العثمانيين، متخذاً مدينة «قزوين» عاصمة جديدة له، وفي عهده هاجر عدد من علماء النجف وكرك نوح وجبل عامل إلى إيران وكان من بينهم الشيخ حسين بن عبد الصمد والد البهائي.

ولما توفي الشاه طهماسب، بعد حكم دام أكثر من نصف قرن ٩٣١هـ ١٥٢٤م، تولى بعده ابنه حيدر[1]، الذي قُتل بعد بضع ساعات، قبل دفن أبيه، ودفنا معاً، ثم تولى العرش ابنه إسماعيل الثاني، الذي

= إيران أعرض أمداً غير قصير عن تعيين خلف له (*رياض العلماء* ص١١٠). لم يفرّق المحقق الثاني بين السياسة والدين بل قال بالتلازم بين شؤون الدين وشجون السياسة، ووضع خطة العمل لبناء دولة إسلامية، دستورها الشرع الحنيف، وهو الذي لام الشاه إسماعيل، عندما علم أن جنوده قتلوا شيخ الإسلام في هراة (أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازاني المعروف بالحفيد)، (*أعيان الشيعة* ج١٠ ص٩٥). ولما تولى الشاه طهماسب سنة ٩٣٠هـ ١٥٢٣م، قرّب المحقق الكركي ومنحه لقب (نائب الإمام)، وكتب رُقماً إلى جميع الممالك بامتثال ما يأمر به الشيخ علي بن عبد العالي، لأن أصل الملك إنما هو له، لأنه نائب الإمام[1] عليه السلام. فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان كتباً بدستور العمل في الخراج وما ينبغي تدبيره في شؤون الرعية. . «وكان الشاه يكتب إلى عماله بامتثال أوامر الشيخ وأنه الأصل في تلك الأوامر والنواهي، وأكّد أن معزول الشيخ لا يستخدم، ومنصوبه لا يعزل»:

عالم آراى عباسى ج١ ص١٥٤، *ولؤلؤة البحرين* ١٥١ـ١٥٢ *وروضات الجنات* ج٤ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(١) **نائب الإمام**: يؤمن الشيعة أنه في عهد غيبة الإمام الثاني عشر ينهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عادل، يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي منهم، ويجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا، ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول وأمير المؤمنين، على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة لأن فضائلهم لم تكن تخولهم أن يخالفوا تعاليم الشرع أو يتحكموا في الناس بعيداً من أمر الله (*الحكومة الإسلامية. الإمام الخميني* ص١١٤).

كان أبوه قد سجنه في قلعة «قهقهة»[1]، بمساندة بعض طوائف القُزَلباش ـ مما أوجد شيعاً وأحزاباً متناحرة حول السلطة والنفوذ ـ ثم أقدم على الفتك بكل من نازعه السلطة من إخوته، وأبناء إخوته، ومن ساعدهم من زعماء القُزلباش[2]، عدا أخيه الضرير محمد خدابنده وابنه عباس الذي نجا من الموت بأعجوبة[3].

أظهر إسماعيل الثاني كراهة علنية للمذهب الشيعي، وقد حظر سبّ الخلفاء الثلاثة، من على المنابر دون أن يعرف أحدٌ دوافعه[4].

منذ أن تسلم إسماعيل الثاني الحكم تحولت العلاقة بين أبناء البيت الصفوي، إلى علاقة عداء وتوجّس وخيفة، كما أصبح الشاه لعبة في أيدي القُزلباش، يوجهونه وفق أهوائم حتى أن بعض طوائف القُزَلباش، أرادت أن تمتص الخلافات الداخلية بافتعال خصومة خارجية، بتشجيع إسماعيل الثاني على مهاجمة العثمانيين، ولكن العثمانيين عاجلوهم بضربة قاصمة، ممّا زاد من حنق الناس والأمراء على إسماعيل الثاني فسارعوا إلى اغتياله، وذلك بعد تسعة عشر شهراً من توليه الحكم (٢٧ جمادى الأولى ٩٨٤هـ الثلاثاء ٢٤ تموز ١٥٧٦م) إلى ذي الحجة ٩٨٥هـ/ الخميس ١٣ شباط ١٥٧٨م)[5].

---

(١) **قهقهة**: قلعة في نواحي «يافت» من أعمال «قراجه داغ»، بنيت على قمة جبل عال. انظر *لغت نامه* مج٢٠ ص٥٤٠ وفرهنگ *فارسى* ج٦ ص ١٤٨٢.

(٢) *تاريخ الشعوب الإسلامية* ص٥٠٠، *الدولة العليّة العثمانية* ص٢٦١ *وزندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٩٥، *وأعيان الشيعة* ج٢ ص١١٤.

(٣) *زندگاني شاه عباس أول* ج٤ ص٩٥.

(٤) *عالم آراى عباسى* ج١ ص٢١٣، *وتاريخ الشعوب الإسلامية* ص٥٠١ *والفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية* ص٢٦٧.

(٥) *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٩٥.

بعد اغتيال إسماعيل الثاني، لم يعد من أبناء البيت المالك الصفوي على قيد الحياة إلا أخوه الضرير محمد خدابنده[١]، الذي كان والياً على فارس زمن أبيه طهماسب وأخيه إسماعيل[٢]، وقد اغتنم أعداء الدولة الصفوية ضعف الشاه محمد خدابنده، وهاجموا البلاد من الشرق والغرب، فوقع قسم مهم من آذربيجان بيد مراد الثالث العثماني[٣]، وظلّت خراسان زمناً طويلاً مسرحاً لهجمات الأوزبك وتعدياتهم[٤].

وأمام ضعف شخصية الشاه الجديد، بدأ دور أميرات البيت الصفوي في الظهور على مسرح الأحداث، فقد حاولت «پريخان خانم»[٥]، التي شاركت القُزلباشية في اغتيال أخيها إسماعيل الثاني، أن تجعل من أخيها محمد خدابنده واجهة تختفي وراءها، مما أثار غيرة

---

(١) **خدابنده**: تعني عبد الله.

(٢) المصدر نفسه ج.ن. ص.ن.

(٣) **مراد الثالث العثماني**: ابن السلطان سليم خان الثاني، ولد في القسطنطينية ٩٥٣هـ ١٥٤٦م، في عهده وقعت الهدنة بين الدولة العثمانية وملك النمسا، كما كانت علاقاته طيبة مع فرنسا والبندقية... كما أنه استغل فترة الاضطرابات الداخلية في إيران بعد وفاة الشاه طهماسب وهاجمها ودخل مدينة تبريز، وفي ٢١ آذار ١٥٨٥م تم الصلح بين الفريقين على أن تتنازل إيران للدولة العثمانية عن إقليم الكرج وشيروان ولورستان (جنوب غربي إيران)... أصيب هذا السلطان بداء عياء وتوفي مساء ٨ جمادى الأولى ١٠٠٣هـ ١٩ كانون الثاني ١٥٩٥م وله من العمر خمسون عاماً: لطف السمر ج٢ ص ٦٤٨ *والدولة العليّة العثمانية* من ص ٢٥٩ إلى ص ٢٦٦.

(٤) *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص ٩٥.

(٥) أورد البهائي في الكشكول أبياتاً للشاعر «محتشم» يقول إنها من قصيدة يمدح بها الملكة المرحومة «پريخان خانم» الكشكول ج٣ ص ٣١٧.

زوجته «مهد عليا»[1]، والدة الشاه عباس الكبير، التي تآمرت عليها، وبعد قتل پريخان خانم بدأت «مهد عليا»، تفرض سلطتها وجبروتها على كل رجال الدولة، وعلى طوائف القُزَلباش، الذين ضاقوا ذرعاً بتدخلها في شؤون الحكم، فسارعوا إلى اغتيالها واغتيال ابنها ولي العهد «حمزة ميرزا» في ٢٢ ذي الحجة ٩٩٤هـ ١٥٨٦م، كما اغتالوا والدتها وعائلتها جميعاً[2].

اضطراب الأحوال السياسية هذا، سنرى أثره بوضوح في شعر البهائي كما أنه كان الدافع الأساسي لرحلة الحج كما سنرى.

الشاه عباس الكبير

الذي ارتبط اسم البهائي به.

الشاه عباس الأول أو الشاه عباس الكبير، الذي ارتبط اسم الشيخ البهائي به، أشهر ملوك الدولة الصفوية وأهمهم، حكم من سنة ٩٩٥ هـ ١٥٨٧م إلى سنة ١٠٣٨هـ ١٦٢٩م وعلى يده استعيدت بعض المناطق الغربية التي استولى عليها العثمانيون، وقد فرض منذ بداية حكمه استقراراً داخلياً، لم تنعم به إيران إلا في عهده، وفي المقابل، بدأت الاضطرابات الداخلية في الدولة العثمانية في عهد معاصِرَيه أحمد خان

---

(١) **مهد عليا**: زوجة الشاه محمد خدابنده والدة الشاه عباس الكبير من السادات المرعشية في مازندران. ويعود نسب السادات المرعشية إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ووجود هذه العائلة هو الذي جعل من مازندران مركزاً من المراكز المهمّة للشيعة قبل الصفويين (*تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٣٩). وراجع: *دين ومذهب در عصر صفوى* لمريم مير أحمدي ص ٢٢.

(٢) *تاريخ الشعوب الإسلامية* ص ٥٠٢ و*زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص٢٢ وج٤ ص٩٦.

الأول[١]، ومراد خان الرابع[٢][٣].

ولد عباس بن محمد خدابنده غرّة رمضان العام ٩٧٨هـ، الموافق الأحد ٧ كانون الثاني ١٥٧١م في مدينة هراة مركز حكومة خراسان، حيث كان والده يتولى أمر خراسان زمن والده الشاه طهماسب[٤]، وحين كان الشيخ حسين بن عبد الصمد والد البهائي شيخ الإسلام في هذه المدينة.

سنة ٩٨٠هـ ١٥٧٣م، صدرت أوامر الشاه طهماسب إلى محمد خدابنده بالتوجه إلى شيراز (لتولي حكم ولاية فارس) وتعيين عباس حاكماً على خراسان، بعد عام ونصف من ولادته، بوصاية أحد زعماء القُزَلباش؛ ولعلَّ تربية عباس بعيداً من والديه، كانت ذات آثار بعيدة في معاملته لأبيه، وفي قسوته على أبنائه بعد ذلك.

سنة ٩٨٥هـ ١٥٧٨م، نجا عباس من الموت بأعجوبة، إذ إنَّ الذي كان الشاه إسماعيل الثاني قد كلفه بقتله أجَّل فعلته إلى أن ينتهي شهر رمضان، فكان أن قُتِل الشاه إسماعيل الثاني في ١٣ رمضان، وعُيِّنَ والد

---

(١) **أحمد خان الأول**: (ولد سنة ٩٩٨هـ ١٥٩٠م وتوفي وعمره ٢٨ سنة، عام ١٠٢٦هـ ١٦١٧م) وأوصى بالملك بعده لأخيه مصطفى خان الأول الذي لم يبق في الحكم إلا ثلاثة أشهر، ثم عُزل وعُيّن مكانه عثمان خان الثاني ثم قُتل وأعيد السلطان مصطفى ثم عزل وفي عهد أحمد خان الأول ثار جانبولاد الكردي والأمير فخر الدين المعني (*الدولة العليّة* ص ٢٧١).

(٢) **مراد خان الرابع**: ابن أحمد خان الأول ولد ١٠١٨هـ ١٦٠٩م وولاه الإنكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول وفي عهده سقطت بغداد بأيدي الفرس ١٠٣٢هـ ١٦٢٣م، وتوفي سنة ١٠٤٩هـ ١٦٤٠م وسنُّه ٣١ سنة، وتولى بعده أخوه إبراهيم (*الدولة العليّة* ص٢٨٣ إلى ٢٨٥).

(٣) *الدولة العليّة العثمانية* ص ٢٦١ ـ ٢٦٣.

(٤) *زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص٢.

عباس الشاه محمد خدابنده مكانه. في العام ٩٨٩هـ ١٥٨٢م أقدم «عليقليخان» أحد زعماء القُزَلباش، على تنصيب عباس ملكاً على خراسان كلها، وأطلق عليه اسم «الشاه عباس» وقرأ الخطبة باسمه، فاضطربت الأحوال في البلاد، وكان هنالك تخوف من اندلاع القتال بين القُزَلباشية من أنصار «محمد خدابنده» والقُزَلباشية من أنصار ابنه عباس ومرشده، وقد أتاح هذا الصراع لأعداء الدولة في الداخل والخارج أن يتطاولوا على سيادتها، مما اضطر محمد خدابنده أن يعقد صلحاً ذليلاً مع العثمانيين، ليتفرغ لمحاربة أنصار ابنه عباس[١].

وبعد مقتل حمزة ميرزا الأخ الأكبر للشاه عباس سنة ٩٩٦هـ ١٥٨٧م، وازدياد الاضطرابات والفتن في العاصمة قزوين، استغل مرشد قليخان (الوصي الثالث على عباس)، الفرصة للتقدم نحو قزوين والإطاحة بالشاه محمد خدابنده، الذي كان موجوداً في أصفهان، بينما كان الأوزبك، يشنّون الغارات على المناطق الشرقية من خراسان.

وصل عباس ووصيُّه إلى قزوين العاصمة قبل أبيه، وأُعلن شاهاً جديداً للدولة الصفوية[٢]. أُسقط بيد الشاه محمد خدابنده وبيد أمراء القُزَلباش المحيطين به، فعاد إلى قزوين وتنازل لابنه عباس عن العرش[٣]، وكان عمره حينئذٍ ١٨ سنة وشهرين ونصف الشهر (أواخر سنة ٩٩٦هـ ١٥٨٨م)[٤].

كان أول أمر فعله عباس بعد دخوله قزوين أن أمر بإلقاء القبض

---

(١) *ملحقات تاريخ روضة الصفا* ج٨ ص ١١٦، *وزندگانى شاه عباس أول* ج١ ص٢٢.

(٢) *إيران در زمان صفويه* ص٥٢ *وتاريخ أدبيات إيران* ص ٩٧ *وزندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٣١.

(٣)و(٤) *إيران در زمان صفويه* ص٥٢، *وزندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٣٣.

على أبيه وأخويه، وإسماعيل ابن أخيه حمزة ميرزا، وتشديد الحراسة عليهم، ولكنه عاد وأمر بفكّ أسر أبيه، وأعاده إلى قزوين ليظلّ تحت رقابته، إلى أن توفي سنة ١٠٠٤هـ ١٥٩٦م وسمل عيون أخويه[١]، ولما طلب العثمانيون رهينة العام ٩٩٨هـ ١٥٩٠م، أرسل ابن أخيه حيدر ميرزا، الذي أصيب بالطاعون ومات في القسطنطينية في العام ١٠٠٥هـ ١٥٩٧م[٢].

لقد تفوّق الشاه عباس في بطشه على ملوك العثمانيين: كان له خمسة أولاد، توفي اثنان منهما في الصغر، فارتاحا من بطش أبيهما، أما كبير أولاده، ولي عهده صفي ميرزا، الذي كان له شعبية كبيرة، وكان الجميع ينظرون إليه على أنه ولي العهد، فقد اغتاله أحد الجراكسة بأمر من أبيه العام ١٠٢٤هـ ١٦١٦م[٣]. ولعل الشاه عباس خاف أن يقوم ابنه بالدور الذي قام هو به نحو والده، وبعدها أقدم على قتل مربي ابنه خدابنده ميرزا، فغضب الشاب، وشهر سيفه في وجه أبيه، فأمر الشاه أن تُسمل عيناه، مما أصاب الابن بما يشبه الجنون، فأقدم على الانتحار بتناول السم[٤]. أما ابنه الثالث، فقد أمر أن تسمل عيناه سنة ١٠٣٦هـ ١٦٢٧م، ولما واجه مشكلة اختيار ولي العهد، لم يجد إلى حفيده سام ابن صفي ميرزا، الذي كان يعيش في الحريم حتى وفاة الشاه سنة ١٠٣٨هـ ١٦٢٩م[٥].

أهم ما فعله الشاه عباس هو التخلص من نفوذ زعماء «القُزَلباش»

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول*، ج٢ ص١٦١ و*تاريخ الشعوب الإسلامية* ص٥٠٢.
(٢) *إيران در زمان صفويه* ص٥٢.
(٣) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص١٧٨.
(٤) المصدر نفسه ج.ن. ص١٨٣.
(٥) المصدر نفسه ج.ن. ص٢١٠ و*إيران در زمان صفويه* ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦.

بالتدرج، بأن جرّدهم من مناصبهم المهمة، وأسندها إلى قيادات شابة جديدة، لذلك تم تخفيض عدد جنود القُزَلباش إلى النصف، ثم أنشأ على غرار الإنكشارية، جيشاً من الگرج[1] والشركس[2] والأرمن الداخلين حديثاً في الإسلام، وحرساً جديداً من رعايا إيرانيين ينتمون إلى طوائف الشعب المختلفة سموا «محبي الملك»[3]، وحوّل الحكم الذي كان قبله لا مركزياً إلى حكم مركزي، صار حكام الولايات فيه مجرد مرؤوسين يأتمرون بأمره، وكان يعزل من يشاء منهم ساعة يشاء، فشعروا أن بقاءهم في مناصبهم متعلق برضاء الشاه عنهم أو غضبه عليهم.

لقد نجحت سياسة الشاه عباس نجاحاً ملحوظاً في الداخل والخارج، مما أعاد للدولة هيبتها وللشاه سلطانه.

أعاد الشاه عباس إلى البلاد الأمن، الذي كان مفقوداً قبله، لقد تولى الدولة ضعيفة، أسيرة التطاحن والانقسام، فإذا به ينجح في القضاء على جميع الفتن الداخلية التي أثارها حكام الأقاليم في وجهه، بعد أن أفقدهم سلطانهم، وأضعف رجال القُزَلباش التابعين لهم، وجعل إيران مرهوبة الجانب من جميع جيرانها بعد أن حرّر الأراضي التي كان قد تنازل عنها في بداية حكمه[4]، وتركها بأبهى مظاهر العمران، ولكن ما

---

(١) **الگرج**: سكان گرجستان (جورجيا السوفياتية سابقًا)، وتشتمل على القسم الغربي من جبال القوقاز ويؤلف الگرجيون ثلثي سكان گرجستان وأما الباقون فهم من الأرمن والروس والأپخاز والآذربيجانيين: راجع *لغت نامه* مج٢١ ص١٦٠ وفرهنگ فارسى ج٦ ص١٦٨٦.

(٢) **الشركس**: أو چركس: سكان چرجستان وهي قسم من بلاد القوقاز في الاتحاد السوفياتي سابقاً، راجع *لغت نامه* مج١٠ ص١٦٨.

(٣) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٥٣. *وإيران در زمان صفويه* ص٥٣.

(٤) *تاريخ إيران أز مغول تا افشاريه* ص٣٢٥، *وزندگانى شاه عباس أول* ج٣ ص١٦٥.

أن يُتوفى حتى تعود إلى سابق عهدها من الاضطراب والضعف والتخاذل..

وعلى الرغم من اتسام سياسة الشاه عباس بالقسوة والغلظة، مع رؤساء طوائف القُزَلباش، وحكام الولايات والقواد، فإنه كان برّا عطوفاً في علاقاته بعامة الناس وكادحيهم وحريصاً على الأخذ بأيديهم والتخفيف عن كواهلهم، ومساندتهم ومناصرتهم على أي حاكم إقليم يريد فرض سلطانه عليهم، بل إنه كان يتخفى في أثناء أسفاره المتعددة، ويسأل العامة عن مسلك حكامهم معهم، وإن اشتكى أهل إقليم من مسلك حاكمهم عزله على الفور وأمر بمحاكمته[١]، وهذا شيء لم تعرف مثله الدولة العثمانية مع رعاياها وبخاصة في الولايات البعيدة من العاصمة.

لذلك كان العامة في إيران يعتقدون أن الشاه عباس ملهم من الله عزَّ وجل، وأن دعاءه مستجاب وبإمكانه أن يُشفي المرضى[٢]، وكان الناس يقسمون برأس الشاه وروح النبي[٣].

كما أن حالة الاستقرار السياسي التي نعمت بها إيران خلال عصر الشاه عباس أتاحت الفرصة لوجود مرحلة من التقدم والازدهار في جميع المجالات، فأفادت العامة من هذا الازدهار، وكان يقدم المساعدات للتجار، وأحياناً يقدم لهم رساميل جديدة يسددونها على أقساط ميسّرة، بل كان يتنازل في حالات كثيرة عن هذه الأقساط[٤]، كما أن الدولة كانت تقوم بتعويض الناس عن ممتلكاتهم في ويلات الحروب

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٣ ص٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص٣٥٠.

(٤) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٦٧.

العديدة[1]، وهذا العطف دفع البعض إلى القول إنّ الشاه عباس في عطفه هذا وعدله يعد «أنوشروان»[2] الثاني في تاريخ إيران[3].

(١) م.ن. ج٢ ص٣٦٩.

(٢) **كسرى أنوشيروان**: أو أنوشروان، ملك ساساني تلقَّب بالعادل (جل ٥٣١م وفاته ٥٧٩م). وهو ابن قباذ الساساني وأمه ابنة أحد الدهاقنة، تولى الحكم بعد أبيه الذي كان قد شجع ديانة مزدك مما سبب اضطراب الأحوال السياسية والاجتماعية في إيران، وما أن تولى أنو شروان حتى قضى على المزدكية وقتل الكثيرين من أتباعها، وأعاد إلى إيران الأمن والطمأنينة، وحكم بين الناس بالعدل، كما انتصر في حروبه على دولة الروم، وقبل وصوله إلى الحكم كان قد قتل أخاه «كيوس» ولي العهد، كما أنه قتل ابنه أيضاً (وهذا وجه شبه آخر بين عدالة الاثنين!). كان مولد الرسول الأعظم في عصر هذا الملك. راجع *لغت نامه* مج ٥ ص٤٦٤ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص١٩١.

(٣) *تاريخ إيران أز مغول تا افشاريه* ص٣٤٠.

الصفويون والعمران

لقد اهتم الصفويون بالعمران، ولا تزال الآثار الموجودة في إصفهان ومشهد وقم وأردبيل وتبريز وكاشان ومازندران شاهدة على عنايتهم الفائقة بالنواحي العمرانية، وقد أقدموا على تأسيس المساجد والمدارس؛ وأما الأبنية القديمة والمشاهد المباركة كمشهد وقم فقد أقدموا على ترميمها وترصيعها[1].

ومن آثار الشاه عباس التي لا تزال قائمة في إصفهان «مسجد شاه»[2] وقصر الأعمدة الأربعين[3] (چهل ستون)، ومسجد الشيخ لطف الله[4]، ....

---

(١) *تاريخ فرهنگ إيران* ص٢٣٤ و٢٤٣ *وآثار ملى إصفهان* ص ٧٠٢.

(٢) **مسجد شاه:** في الضلع الجنوبي من ميدان «نقش جهان»، بدىء بتعميره سنة ١٠٢١هـ ١٦١٢م، وقد زينت حيطانه الخارجية بالكاشي الملون والمعرّق، وقد رمم المسجد أكثر من مرة ولا يزال قائماً، *آثار ملى أصفهان* ص ٧٠٢ وفرهنگ *فارسى* ج٦ ص١٩٧٠.

(٣) **چهل ستون:** أو قصر الأربعين عموداً بدىء بتعميره سنة ١٠٢٦هـ ١٦٢٧م، بين «جهارباغ» وميدان نقش جهان، مساحته ١٧١٣ متراً مربعاً، والقصر قائم على عشرين عموداً تنعكس صورتها في مياه الحوض المقابل، فتبدو وكأنها أربعون، لذلك سمي بالقصر ذي الأربعين عموداً (فرهنگ *فارسى* ج٥ ص٤٤٦).

(٤) **مسجد الشيخ لطف الله:** يقع في الضلع الشرقي من ميدان «نقش جهان» في الجهة المقابلة لعمارة المسجد والمدرسة الملحقة به كانت مقراً لإقامة وتدريس الشيخ لطف الله العاملي، حيث أمر الشاه عباس أن تقام في إصفهان مدرستان مطلتان على ميدان نقش جهان، تكون إحداهما لإقامة وتدريس ملا عبد الله الشوشتري، =

ونقش جهان[1] والجسر الكبير القائم على نهر «زند رود» والبساتين الأربعة «جهارباغ»[2]،[3].

وقد ازدهرت في العصر الصفوي المدارس الإسلامية بسرعة، وبخاصة في مدينة «قزوين» وفي مدينة «أصفهان»، التي نمت فيها حركة بناء المدارس الصغيرة والكبيرة... من أوائل المدارس الإسلامية في إصفهان التي لا تزال قائمة حتى الآن: مدرسة «ملا عبد الله» التي تضم على جوانبها طابقين من الحجرات إضافة إلى الفسيفساء المزخرفة على

= والأخرى لإقامة وتدريس الشيخ لطف الله وما زالت مدرسة ملا قائمة حتى اليوم بجوار سوق القيصرية في الضلع الشمالي من ميدان نقش جهان، أما مدرسة الشيخ لطف الله والتي كانت ملحقة بالمسجد فقد تهدّمت. (آثار ملى إصفهان ص٧٠٢) **والشيخ لطف الله** عبد الكريم بن إبرهيم بن عبد العالي العاملي الميسي هاجر من جبل عامل إلى مشهد حتى عام ٩٠٧هـ عندما تعرضت لهجوم الأوزبك لجأ إلى قزوين واشتغل هناك بالتدريس، وأحضره الشاه إلى إصفهان وأمر في العام ١٠٢١هـ أن تقام له مدرسة ومسجد يحملان اسمه. توفي في العام ١٠٣٢هـ بعد البهائي بعام ونصف تقريباً، أي في العام نفسه الذي فتح فيه عباس بغداد. (الأعيان ج٩ ص٣٨، وأمل الآمل ج١ ص١٣٦، *ومجلهٔ يادگار. سال أول*، ص٦١).

(١) **نقش جهان**: ميدان وسيع في إصفهان وعلى جوانبه من الجنوب مسجد شاه ومن المشرق مسجد شيخ لطف الله ومن المغرب عمارات علي قاپو والبازار من الشمال. طوله ٥٠٠ متر وعرضه ١٤٠ متراً ومساحته حوالى ٧٠٠٠٠ ألف متر مربع. ويعرف أيضاً بميدان شاه يُسمى حالياً ميدان الإمام الخميني. (*فرهنگ فارسى* ج٦ ص٢١٤٠)، *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص ٦٤.

(٢) **جهارباغ** [الحدائق الأربع]: شارع معروف في إصفهان أقيم سنة ١٠٠٥هـ ١٥٩٦م بأمر الشاه عباس، محاط بالشجر وفي كل ناحية من نواحيه من الشرق والغرب حديقتان. (*فرهنگ فارسى* ج٥ ص٤٤٤)، *آثار ملى إصفهان* ص٧٠٢ *وزندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٦٧.

(٣) *آثار ملى إصفهان* ص٧٠٢ *وتاريخ الشعوب الإسلامية* ص٥٠٤ *وفرهنگ إيران زمين جلد شانز دهم* ص١١٣.

الجدران الخارجية للغرف من أعلى وأسفل والتي تعدّ من ناحية التصميم وتآلف الألوان بالغة الأهمية، في السوق الحالي لأصفهان: هناك مدرستان متبقيتان حتى اليوم باسم «جدهٔ بزرگ» (الجدة الكبيرة)، «جدهٔ كوچك» (الجدة الصغيرة). ومن خصائص المدرستين المذكورتين إضافة إلى الهندسة المعمارية الجميلة واللافتة للنظر، هنالك الزخارف والفسيفساء والكتابة على الجدران، والتي تمّت على يديّ الخطّاط الفنّان (محمد رضا إمامي).

إلى جانب أصفهان، هنالك مدرسة أساسية شيدت في شيراز، واتسمت إضافة إلى روعة بنائها، بما يمكن أن يجعلنا نعدّها أول جامعة إسلامية: فقد كانت هذه المدرسة التي انتهى بناؤها في العام ١٠٢٤ هـ ١٦١٥م تضم مائة حجرة لإقامة مائة طالب علم، وتحتوي على حجرات من طابقين وأربعة أواوين في أطرافها الأربعة، وأحد هذه الأواوين يشكّل مدخلاً للمدرسة، وأما الثلاثة المتبقية فتشكل مركز الدراسة ومكان الصلاة، ومن الميزات المهمة والفنية لمدرسة «خان شيراز» فسيفساء المداخل المنمنمة، والتي تعدّ من أهم النماذج الفنية القيّمة للمقرنصات. وفوق أروقة ودهاليز مداخل المدرسة هناك غرفة واسعة نسبياً كانت محل درس الملا صدرا الشيرازي[١].

وبما أن الشاه عباس سعى إلى تقوية التجارة وتشجيعها فقد عمد إلى إنشاء الربط والخانات على الطرقات، ومن أجل أن لا تضل قوافل الحجاج والزوار، فقد أمر أن يوضع معلَم كلّ سبعة أميال، كما أمر أن تمد للأربطة والخانات المياه من الينابيع المجاورة[٢].

---

(١) *مجلة الثقافة الإسلامية* ج١٥ ص٢٤٨. مقالة بعنوان «المدارس الدينية في إيران».

(٢) فرهنگ *إيران زمين* مج١٦ ص١١٣.

كما أننا يمكن أن نعدّ هذا العصر، عصر الفنون الذهبي، حيث يعود إلى هذا العصر وضع أساس الطريقة الكلاسيكية في الفنون والتي ظهرت فيها العبقرية الإيرانية التي استمدت عناصرها من عناصر التمدن القديمة لقارة آسيا[١].

تقدمت الفنون لا سيما فن البناء والزخرفة والرسم[٢] والخط[٣]، وكل ما يدخل تحت عنوان الفنون الجميلة، ولا تزال نماذج من روائع الفن في العصر الصفوي ماثلة تزين متاحف العالم في باريس ولندن ونيويورك ولينينغراد؛ نماذج من السجاد، والقماش الموشّى بالذهب والمخمل والرسم وصناعة الفخار والكاشاني، والحديد المصنّع والخشب الذي بلغ الحد الأقصى في المهارة والإتقان.. إن شهرة فناني أصفهان وشيراز حدت بملوك التيموريين في الهند، أن يستقدموهم لمساعدتهم في العمارة وتزيين القصور والمساجد والتكايا، ومقابر دلهي ولاهور وغيرها من المدن بالرسوم والتخطيط[٤].

كما أن الشاه عباس كان شديد التعلق بالفنون وكان يحب الفنانين الأجانب ويرأف بهم ويعطيهم مرتبات كبيرة، وقد استقدم إلى بلاطه عدداً من الرسّامين الإيطاليين والفرنسيين وفنانين مهرة بصناعة الورود الاصطناعية... كما أنه أرسل عدداً من الإيرانيين إلى إيطاليا لاستقدام الفنانين والصنّاع المهرة من البندقية وميلانو، كما أرسل سفيراً إلى فرنسا وآخر إلى هولندا لاستقدام أساتذة لتعليم الرسم[٥].

---

(١) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٢٤٨.

(٢) *الأدب الفارسي* ص٢٠.

(٣) *تايخ فرهنگ إيران* ص٢٣٢.

(٤) المصدر السابق ص٢٤٥.

(٥) زندگانى شاه عباس *أول* ج٤ ص٥١.

ولقد ازدهر فن الموسيقى أيضاً في ظل الشاه عباس[1]، كما ازدهر الشعر[2] الذي كان قد أصابه الضمور في عصر الشاه طهماسب الصفوي.

(۱) المصدر نفسه ج٤ ص٤٠.
(۲) المصدر نفسه ج۲ ص۲۸ إلى ص ٤٧.

الصراع العثماني الصفوي وأثره في المجتمع الإسلامي

إن الحروب التي ثارت بين الدولتين العثمانية والصفوية، سببت ضرراً كبيراً أحاق بالعالم الإسلامي، فقد استثمر الغرب هذا الخلاف وتسلل إلى الشرق الإسلامي ناهباً ثرواته ومستعمراً بلدانه، بعد أن قام بدور مهم في تعميق هوة الخلاف بين الشيعة الإيرانيين وبين أهل السنة من جيران إيران في الشرق والغرب[1]، لأن الخطر الذي كان يتهدد الأوروبيين من جهة العثمانيين، كان أرضاً مساعدة للتقرب من إيران، والحق يقال إن هذه المحاولات الأوروبية لم تحقّق نجاحاً يذكر في البدء[2]، ولكنها حققت أكثر ما كانت تصبو إليه في عهد الشاه عباس

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص١٧٠ وص٢٩٩، *وإيران در زمان صفويه* ص٢٠٣ و٢٠٤.

(٢) الحقيقة أن الشاه إسماعيل سعى بنفسه لإيجاد علاقات مع الأوروبيين، ولكنّ محاولاته لم تنجح، فقد أرسل رسائل إلى بلاط البندقية وإلى ملك إسبانيا وإلى امبراطور ألمانيا، يطلب فيها منهم أن يتخلوا عن عداواتهم ليتحدوا معاً في وجه عدوهم المشترك الدولة العثمانية (*زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٢٨٢) ولكنَّ الشاه توفي قبل أن يتلقى جواباً عن رسائله، أما الشاه طهماسب فلم يستطع الغربيون أن يؤثروا عليه لتديُّنه، ويروي المؤرخون روايات كثيرة عن تعصب الشاه طهماسب منها أنه جاءه مندوب إحدى الشركات الإنكليزية برسالة توصية من الملكة إليزابيت سنة ٩٦٩هـ ١٥٦٢م في قزوين، لإيجاد روابط بين الشركة وإيران، فقال له الشاه: «آه! شما كافران! مانيازي بدوستى شما ندا ريم»: (أي، آه، أنتم الكفار؟ نحن لسنا بحاجة لصداقتكم) وبعد خروجه من مجلس الشاه أمر أحد =

الأول، الذي وصل تساهله مع الأوروبيين ومع المبشرين النصارى إلى حدّ مفرط مشتطّ، وكان ذلك سبباً في أن ازدحم المبشرون والتجار والدبلوماسيون والصّناع، والجنود المرتزقة في بلاطه، ولقد أعطى امتيازات سهلت وجودهم في منطقة الخليج تجاراً أولاً، ثم مستعمرين بعد ذلك، ومبشرين[1] كان لهم دور مهم في تعميق هوة الخلاف بين الشيعة الإيرانيين، وبين أهل السنة في الدولة العثمانية، وليس من قبيل المصادفة أن يأتي «الأخوان شارلي»[2]، بصحبة صنّاع مهرة في صناعة

= الخدام أن يطهّر الأرض التي وطئها ذلك الكافر: *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص ٢٣٧ عن persia and persian question.

(١) من اللافت للنظر أن يكون أكثر الذين حملوا الرسائل من الصفويين وإليهم رهباناً وقساوسة، مثلاً: الرسالة التي أرسلها الشاه إسماعيل إلى امبراطور ألمانيا حملها راهب لبناني اسمه الأخ بطرس: freter petrus de monte libano *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٢٢٥ و*زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٢٨٢.

وكذلك في سنة ١٠٠٧هـ أرسل فيليب الثالث ملك إسبانيا مبعوثين إلى الشاه عباس أحدهما راهب دومينيكي والآخر فرنسيسكاني، وأحد هذين الراهبين كان مبعوث الشاه عباس في ما بعد إلى ملوك أوروبا. من المفيد مراجعة *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص١٥٤، وما بعدها، و*دين ومذهب در عصر صفوى* ٥٠ وما بعدها.

(٢) الأول: سر «أنتوني شرلي» مغامر إنكليزي ولد سنة ٩٧٦هـ ١٥٦٨م، من عائلة إنكليزية عريقة، أنهى علومه في أوكسفورد، والتحق بالجيش، واشترك في الحروب التي كانت دائرة بين إسبانيا وهولندا، دخل في خدمة الكونت الإنكليزي: Robert devereux comte d,essex (1566-1601) الذي كان مقرباً من الملكة إليزابيت ـ وهو الذي أرسله إلى إيران وكلَّفه أن يحرض الشاه عباس على محاربة العثمانيين، على أن يتحد مع الدول الأوروبية، ولكي يحصل أيضاً على امتيازات للتجار الإنكَليز. وصل إلى إيران في أواخر العام ١٠٠٦هـ ١٥٩٩م، وهو الذي علَّم الجيش الإيراني الفنون الحربية الحديثة... كما أن الشاه عباس كلفه أن يكون ممثله الشخصي لدى ملوك أوروبا جميعاً، وأعطاه خاتمه الذهب وطلب إليه أن يمهر باسمه أيّ أمر يرى فيه مصلحة إيران! سفر نامهٔ برادران شرلى ص٥١ و٩٧، *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٣٠ إلى ص٣٤. =

المدفعية إلى بلاط الشاه عباس، فيستعين بهم لتدريب جيش منظم وتجهيزه بالمدفعية، والأسلحة الأوروبية الجديدة[1]. حتى عندما حاول الشاه عباس أن يصالح العثمانيين، بعد الرسائل المتبادلة بين عمته ووالدة السلطان العثماني، حاول أحد المبشرين حين عرف الخبر، أن يوصل إلى أسماع العثمانيين الرسائل التي كان الشاه عباس يرسلها إلى ملوك أوروبا، ليمنع الفريقين من أن يتصالحا[2].

المهم في الأمر أن الصراع العثماني الصفوي كان سبباً من الأسباب التي أدت إلى هجرة العامليين إلى إيران.

هجرة العلماء العامليين إلى إيران:

تاريخها ـ أسبابها ـ نتائجها:

لا نعرف أسماء العامليين الذين هاجروا إلى إيران قبل العصر الصفويّ، مع أن بعض المؤرخين تحدثوا عن علاقات بين أهل جبل عامل وإيران منذ القرن السابع الهجري، عصر السلطان «أولجايتو محمد خدابنده» الإيلخاني[3]، الذي جمع حوله عدداً من علماء الشيعة، منهم

= أما الأخ الآخر (**روبرت شرلي**) فقد شارك في محاربة الشاه عباس العثمانيين سنة ١٠١٣ و١٠١٤هـ وجرح ثلاث مرات، ولهذا السبب أعطاه الشاه عباس تاج القُزلباش مع أنه ظلّ نصرانياً، وسمح له أن يلبس اللباس الإيراني: *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٣٥.

(١) انظر: *سفر نامهٔ برادران شرلى* ترجمة آونس ص٥١ و٩٧ وبروكلمان *تاريخ الشعوب الإسلامية* ص ٥٠٤ وزندگانى *شاه عباس أول* ج٤ ص٢٤٩.

(٢) *سفر نامهٔ برادران شرلى* ص٧٠ *وإيران در زمان صفويه* ص٢٠٣ ـ ٢٠٤، وزندگانى *شاه عباس أول* ج٤ ص ٢٦٥.

(٣) **محمد أولجايتو المشهور** بخدابنده أي (عبد الله) من سلسلة الملوك الإيلخانيين الذين حكموا إيران، تولى الحكم سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٦م إلى ٧١٦هـ ١٣١٦م، أول =

العلامة «أبو منصور جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي»، وابنه فخر المحققين «فخر الدين محمد»، كما استقدم عدداً من علماء الشيعة من خارج إيران، ، حاولوا جهدهم نشر المذهب والرد على المخالفين[(١)]، ، بينهم عدد من العامليين الذين ساعدوا على تركيز التشيع في إيران في تلك الحقبة[(٢)].

كما يذكر المؤرخون أن علاقات قامت أيضاً في القرن الثامن الهجري بين «السربداران»[(٣)]، وبين علماء جبل عامل، وأن أحد أمرائهم علي بن المؤيد، كان يكرم من ذاع صيته في بلاده، وبلغ الدرجة الرفيعة في التحصيل العلمي فيدعوه إلى خراسان ليفيد أهلها[(٤)]، ويقال إنه حاول أن يستقدم الشهيد الأول (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي الجزيني المتوفى سنة ٧٨٦هـ ١٣٨٤م) إلى خراسان لنشر العقيدة[(٥)]، ولكننا نعرف من سيرة الشهيد الأول أنه لم يستجب لنداء

= ملك مغولي يتشيع، وقد أمر أن تنقش أسماء الأئمة على النقود، وهو الذي بنى مدينة «**سلطانية**»، ونقل العاصمة من تبريز إليها: تشكيل *شاهنشاهى صفويه* ص٣٧ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص١٢٠. *وفرهنگ فارسى*، *وأعلام* ج٥ ص١٩٩.

(١) *عالم آراى عباسى* ص١٤٤ *وتاريخ إيران أز استيلاى مغول تا إعلان مشروطيت* ج١ ص ٣٠٧، *وتشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٣٧ ـ ٣٨.

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص ١٥.

(٣) «**السربداران**» أمراء تولوا الحكم بعد زوال حكم الإيلخانيين (المغول)، مدة نصف قرن تقريباً من ٧٣٧هـ ق١٣٣٧م، وحتى ٧٨٣هـ ١٣٨١م. أهميتهم التاريخية تعود إلى أنهم حملوا لواء التشيع، وسعوا إلى نشره قبل الصفويين، عدد أمرائهم اثنا عشر أميراً، آخرهم «علي بن المؤيد» الذي حكم من سنة ٩٦٦ هـ ١٣٦٤م إلى ٧٨٤هـ ١٣٨١م: *أعيان الشيعة* ج١٠ ص٦٠، *فرهنگ فارسى* ج٥ ص٧٤٥.
وانظر: *خروح وعروج سربداران* ترجمة يعقوب آزند ص ٥٥.

(٤) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٤٩ *وزندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٥٧.

(٥) *صفحات من تاريخ جبل عامل* مقالة في العرفان لمحمد جابر آل صفا م٢٧ ج٦ ص٤٣٦. *وأعيان الشيعة* ج١٠ ص٦٠.

أمير خراسان[1]، ولم يسافر إلى إيران أصلاً.

نصل إلى استنتاج مؤداه أن علماء عامليين هاجروا إلى إيران واستوطنوا فيها منذ القرن السابع الهجري، واستمرت هذه الهجرة بتشجيع من حكام إيران في عهود مختلفة، إلى أن جاء الصفويون إلى الحكم، فزاد عدد المهاجرين إلى إيران طوعاً وكرهاً، لأن حكام إيران، بدأوا بتشجيع الشيعة على الذهاب إلى إيران منذ عهد الشاه إسماعيل الصفوي، فهاجر عدد من علماء جبل عامل إليها، بإغراء من الدولة الصفوية، وهرباً من ضغط العثمانيين، وتمتعوا بالحرية الدينية والسياسية المطلقة، وبخاصة في زمن الشاه طهماسب الذي كان يجلّ العلماء ويعظّمهم، وكان بحاجة إلى من يرشده في دينه ودنياه، وقد ذكر المؤرخون كثيراً من القصص من شدة تعظيمة للعلماء[2]، وقد أطلق يد رجال الدين في شؤون المملكة، ، فاندفعوا إلى بناء هذه الدولة على أساس شيعي[3].

---

(١) ذكر السيد محسن الأمين أنه كان بين الشهيد والسلطان «علي بن المؤيد» ملك خراسان وما والاها مودّة ومكاتبة على البعد، إلى العراق ثم إلى الشام، طلب إليه أخيراً التوجه إلى بلاده، في مكاتبة شريفة أكثر فيها من التلطف والتعظيم والحثّ للشهيد على ذلك فأبى واعتذر إليه، وصنَّف له اللمعة في سبعة أيام إجابة لالتماس شمس الدين محمد الآري من أصحاب السلطان علي بن المؤيد ملك خراسان. . . والظاهر أن شمس الدين الآري كان هو الملتمس للشهيد على تصنيف اللمعة لسلطان خراسان. فصنفها له الشهيد وأرسلها إلى الآري ليوصلها إلى السلطان: *أعيان الشيعة* ج١٠ ص٦٠.

(٢) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٥٥، و*أعيان الشيعة* ج٣ ص٨١.

(٣) *عالم آراى عباسى* ج١ ص١٥٤. *لؤلؤة البحرين* ص١٥١ و١٥٢ و*روضات الجنات* ج٤ ص٣٦٢ و٣٦٣. وتاريخ فرهنگ *إيران* ص٢٤٢ و٢٦٥.

بعد أن أحكم العثمانيون قبضتهم على أهل جبل عامل، وعلى غيرهم من الشيعة الواقعين تحت حكمهم ـ في حمأة الصراع المذهبي المحتدم بين العثمانيين والصفويين ـ وبسبب مباشر من تلك المواقف المتشنجة من الفريقين، أصبح الشيعة خارج إيران، ومن جملتهم شيعة جبل عامل، ضحية ذلك الصراع، وأصبح كل شيعي في نظر العثمانيين وأعوانهم متهماً بميوله نحو الدولة الصفوية، عدوة العثمانيين، لذلك عاش العلماء حالة من الترقب والخوف والتستر واضطر عدد منهم إلى أن يغادروا لبنان دون رجعة، ويهاجروا منها إلى إيران والعراق والحجاز والهند، تقديراً منهم أنهم يستطيعون إبلاغ دعوتهم إلى الحرية الفكرية، وتحقيق نشاطهم العلمي في ظل دولة تؤمن لهم الطمأنينة، وفي موطن أقل مظالم ومغارم.

وقد اشتدت تلك الهجرة قبيل مقتل الشهيد الثاني[1]، وبعد مقتله.

---

(١) **الشهيد الثاني**: هو الشيخ زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين، بن تقي الدين بن صالح بن مشرف الجبعي العاملي:

ولد في جبع سنة ٩١١هـ ١٥٠٥م، درس على والده الشيخ علي بن عبد العالي الميسي والسيد الحسن بن جعفر الكركي، ودرّس في جبع من سنة ٩٣٤هـ ١٥٢٧م إلى سنة ٩٣٧هـ ١٥٣٠م، ثم رحل إلى دمشق وقرأ كتب الطب والحكمة والإشراق على يد محمد بن مكي، ثم رحل إلى مصر سنة ٩٤٢هـ ١٥٣٥م وقرأ على ستة عشر شيخاً من شيوخها، ومنها ذهب إلى الحج سنة ٩٤٣هـ ١٥٣٦م. وسنة ٩٤٤هـ ١٥٣٧م عاد إلى جبع... وسنة ٩٤٨هـ ١٥٤١م سافر إلى بيت المقدس واجتمع ببعض علمائها وقرأ عليهم، وسنة ٩٥١هـ ١٥٤٤م توجه إلى اسطنبول، يطلب التدريس في المدارس العامة فأعطي تدريس المدرسة «النورية» في بعلبك التي وقفها السلطان نور الدين زنكي سنة ٥٥٢هـ ١١٥٧م، وأقام فيها يدرّس في المذاهب الخمسة، ويعاشر كل فرقة بمقتضى مذهبهم، ويستعرض رأي كل مذهب من المذاهب الخمسة ثم يقارن بينها. وفي سنة ٩٦٥هـ ١٥٥٧م، كتب قاضي =

إن قراءة متأنية لرسالة ابن العودي الجزيني[1]، «بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد»، ترينا بوضوح العَنَت الذي كان يعاني منه علماء جبل عامل، وأنَّ الشيخ كان يتعرض قبل مقتله بسنين إلى تهديد مباشر، ويعيش في حالة من الترقب والخوف والتستر والاختفاء، يقول: «فصل» في ما عرض له من الأخاويف وما نزل به من الأراجيف وما تبع ذلك من التستّر وإخفاء نفسه من النازلات من الأعداء، وأهل السعايات، وما وقع خلال ذلك بيننا وبينه من المراسلات، ويقول عن بعض كتبه: «إنها ظهرت في زمن الخوف» و«أنه عزم على الرجوع من العراق خوفاً، إذ لم يتمكن من زيارة العتبات المقدسة خفية»، و«ذلك بسبب الأعداء والحساد وغيرهم» ويقول ابن العودي كذلك: «كان في منزلي متخفياً من الأعداء ليلة الإثنين حادي

= صيدا إلى السلطان سليمان القانوني العثماني، أنه يوجد في بلاد الشام رجل مبتدع، خارج من المذاهب الأربعة، فأرسل السلطان في طلب الشيخ ليجمع بينه وبين علماء بلاده، وكان الشيخ قد ذهب إلى الحج بقصد التستر والاختفاء، فقبض عليه وهو في الحج وحبس في مكة شهراً وعشرة أيام، ثم أبحر إلى القسطنطينية، فقتل هناك على ساحل البحر، قتله الموكل بمصاحبته ويقال إن السلطان أنكر عليه فعلته وأمر بقتله. كان الشهيد الثاني وبعده الحسين بن عبد الصمد والشيخ البهائي من الذين عملوا على التقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة بالإقناع والاقتناع، وذلك من طريق تعريف أهل المذاهب الإسلامية السنية بالفقه الإمامي الإثني عشري، وتعريف أهل الإمامية بفقه المذاهب الأربعة:

انظر ترجمته في *أمل الآمل* ج١ من ص ٨٥ إلى ٩١ و*تكملة أمل الآمل* من ص٢١٢ إلى ص ٢١٧ و*الكنى والألقاب* ج٢ ص ٣٧٠ إلى ٣٧٤ و*أعيان الشيعة* ج٧ ص١٤٤ إلى ١٥٧.

(١) **ابن العودي الجزيني** من تلامذة الشهيد الثاني من عام ٩٤٥هـ ١٥٣٨م إلى يوم سفره إلى خراسان في العاشر من ذي القعدة سنة ٩٦٢هـ ١٥٥٤م. ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٢ ص ٢٦٩.

عشر شهر صفر سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م»[١]، أي قبل مقتله بإحدى عشرة سنة، وبعد ولادة البهائي بسنة واحدة.

ويشير الحسين بن عبد الصمد والد البهائي إلى تلك الهجرة القسرية، في مقدمة رسالته الدراية التي ألّفها في إيران قائلاً: «ومما حثّني على تأليف هذه الرسالة، بعد هربي من أهل الطغيان والنفاق، وأوجبه عليّ بعد اتصالي بدولة الإيمان والوفاق»[٢].

هذا الكلام يعني أنه خرج من بلاده فاراً بنفسه من حكم ظالم، وواقع مخيف كان يعيشه وأمثاله من العلماء في جبل عامل.

وقد اشتدّت هجرة العلماء القسرية بعد حادثة استشهاد «الشهيد الثاني» يقول السيد حسن الصدر: «إنه لما جرى في تلك البلاد من القضاء المحتوم على المبرور الشهيد الثاني رحمه الله، تضعضعت البلاد العاملية، واضطرب أهلها، وشمَلَهم الخوف والتقية، خرج الشيخ علي ابن أحمد بن أبي جامع مع أولاده وعياله خائفاً يترقب حتى وصل كربلاء فأقام بها... وكان السيد محمد بن أبي الحسن العاملي أيضاً قد جاء من البلاد وسكن بكربلاء»[٣]. كما أننا نقرأ الدعوة إلى الهجرة صريحة في أدب ذلك العصر، وبخاصة في شعر الشيخ حسن بن زين الدين العاملي ابن الشهيد الثاني:

وكن أبيّاً عن الإذلال ممتنعاً ... فالذلّ لا ترتضيه همّةُ الرجل
واركب غمار المعالي كي تبلّغها ... ولا تكن قانعاً منهنَّ بالبلل

---

(١) «بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ الشهيد» مخطوط خاص وقد ورد ذلك في الصفحات ٦ و١٤ و٤١ و٤٣.

(٢) مقدمة رسالة الدراية، مخطوط خاص ورقة ٢.

(٣) تكملة *أمل الآمل* ص٢٨٢ (ترجمة علي بن أحمد بن أبي جامع).

وإن عَراكَ الضنا والضّيمُ في بلد فانهض إلى غيره في الأرض وانتقل
ودارُنا هذه من قبلُ قد حكمت على حظوظ أهالي الفضلِ بالخللِ[1].

إن مراجعة المصادر الأساسية ترينا أن عدد علماء الدين العامليين في العصر الصفوي كان كبيراً جداً[2]، وجميع كتب ذلك الزمان ممتلئة بأسمائهم[3] وقد كانت لهم مؤلفات في الأدب والفقه، وفي الرياضيات والفلك والعلوم العقلية، ما كان يمكن أن تخرج إلى حيّز الوجود لولا هجرتهم إلى تلك البلاد، وإتقانهم لغات غير لغتهم العربية، واطلاعهم على تراث أوسع، ما كان يمكن أن يطّلعوا عليه لو أنهم ظلوا محصورين في ديارهم.

إن أثر العلماء العامليين المهاجرين إلى إيران كان عميقاً، لقد عدّلوا خطّ الصوفية الدرويشي بسيرة فقهية عميقة، ذلك أن الشاه إسماعيل الأول مع كل المفاسد الأخلاقية التي كان عليها، وكانت مخفية عن الناس، نسب إليه أتباعُه ـ كعادة الصوفية بالنسبة إلى المرشد الأول ـ أفعالاً وخوارقَ لا تحصى، فمعاصروه من العلماء حسبوه مؤيداً من عند الله وكل العرفاء سمّوه «المرشد الكامل»، ولطفٌ من الله أنه هُزِمَ في معركة «چالدران» وإلا فإنَّ عامة جنده، جعلوه في مرتبة «المعصوم» وغلوا في حقه غلواً شديداً[4]،

---

(١) *أمل الآمل* ج١ ص٦٠ *والكشكول* ج١ ص١٤٩.

(٢) إن جمع أسماء العلماء العامليين المهاجرين إلى إيران وأدوارهم وتوثيقها (يستغرق بحثاً كاملاً، تجدر مراجعة أمل الآمل للحر العاملي بجزأيه وروضات الجنات للخوانساري ومستدرك الوسائل وعالم آراى عباسى، وبحار الأنوار للمجلسي الثاني. وتاريخ كرك نوح للدكتور حسن نصر الله ص ٨٦ وما بعدها حيث يذكر أسماء علماء كرك نوح الذين هاجروا إلى إيران.

(٣) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٩.

(٤) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص٦٤ و
Bruijin, encyclopédie de 1.islam, n, c, art, Iran religions p.52.

كذلك فعل العامة مع الشاه طهماسب، وبعده مع الشاه عباس الأول ونسبوا إليهما الخوارق والمعجزات[١].

يقول الشيخ مرتضى مطهّري: «إن لعلماء جبل عامل، دوراً مهماً في الخطوط العامة للدولة الصفوية الشيعية، فالصفويون كانوا صوفية، ولو لم يعتدل خط الصوفية الصوفي الدرويشي، بسيرة علماء جبل عامل الفقهية العميقة، ولو لم تتأسس على أيديهم حوزة فقهية عميقة في إيران، لكان خط الصوفية الصوفي ينتهي إلى ما انتهى إليه العلويون في الشام أو تركية، وكان لهذا العامل أثر كبير في صيانة السيرة العامة للدولة والأمة الإيرانية من تلك التحريفات في الصوفية وتعديل نفس العرفان والتصوف الشيعي».. ثم يضيف «إن لفقهاء جبل عامل بتأسيسهم الحوزة الفقهية في إصفهان حقاً كبيراً في ذمة الأمة الإيرانية»[٢].

البيئة الاجتماعية

عاش بهاء الدين العاملي في ذلك الزمن الذي انقسم فيه العالم الإسلامي، بشكل حاد، إلى فريقين: فريق سني وفريق شيعي[٣]، رأى كل واحد منهما مصالحه بعيدة من مصالح الآخر.

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص ٣٥٣.

(٢) *الإسلام وإيران* ص ٣٥٣.

(٣) نتذكر ما فعله الشاه إسماعيل بأهل السنة في إيران[١]، وما فعله السلطان سليم بشيعة الأناضول[٢]، وما فعله خلفاؤه بشيعة جبل عامل، وهجمات الأوزبك المتكررة على هراة ومشهد وقتل الناس فيهما في مجازر عامة[٣]: مراجعة:

(١) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص ٣٩ و٨٩.

(٢) *تشكيل شاهنشاهى صفويه* ص ١٦٣ *وستانلي پول* ص٥٣٨.

(٣) *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٩٥.

عاش سبعين سنة من حياته في إيران، في محيط كل ما فيه يشير إلى التطرف، ويعيش في كل مدينة منه، إلى جانب الحكماء الفقهاء والمحدّثين والدراويش والزهاد والعباد والمتصوفة آلاف المحتالين والمستهترين، وبين الجميع تشنّج وتبرّم وقطيعة كاملة، حتى داخل الفرقة نفسها حكم شيطان التفرقة والتعصب، إذ انقسم الفلاسفة إلى مشّائين وإشراقيين، والفقهاء إلى مجتهدين وإخباريين، والمتصوفة إلى قُزَلباش[١] ونعمة اللّهيين[٢] وحيدريين[٣]، ومشعوذين، وكل فرقة حاربت الأخرى قولاً وفعلاً وكل فرقة اتهمت الأخرى بالفسق أو الكفر أو النفاق.

وكان بين الفقهاء أنفسهم جدال حول كثير من الأمور الجوهرية والثانوية: فحول مشروعية صلاة الجمعة مثلاً كان ثمة عدد كبير من الرسائل؛ فأصحابها بعضهم يقول بوجوبها في زمن الغيبة، وبعضهم ينفي وجوبها، وفقهاء يشترطون إذن السلطان العادل وآخرون يقولون بعدم اشتراط ذلك، وكل واحد يقدح في فضل الآخر وينسبه إلى الجهل ويطعن في عدالته[٤]. والفقهاء إما مجتهدون، وإما إخباريون يحرّمون

(١) القُزلباش مّر التعريف بهم ص٢٦.

(٢) **النعمة اللاهية** أو النعمة اللَّهيون نسبة إلى السيد نعمة الله ولي الكرماني (وفاته ٨٣٤هـ ١٤٣١م من شعراء العصر التيموري ومن كبار المتصوفة، يعود نسبه إلى الإمام الباقر عليه السلام. أغلب أشعاره في شرح مبادىء «وحدة الوجود» يقع ديوانه في ٤٠٠ ألف بيت غزل ومثنوي ورباعيات، وله رسائل في التصوف والعرفان. فرهنگ *فارسى* ج٦ ص ٢١٣٧.

(٣) **الحيدريون** نسبة إلى قطب الدين حيدر من عرفاء إيران المعروفين (ت٦١٨هـ ١٢٢١م) فرهنگ *فارسى* ج٥ ص٤٧٠. وقد كان بين الفرقتين الحيدرية والنعمة اللَّهية صراع دموي حاد. وقد وقعت فتنة بينهما سنة ١٠٠٣هـ ١٥٩٤م أريقت فيها الدماء الكثيرة (خرسان «مقدمة الكشكول» ص٦٧).

(٤) الصراع كان بين فقهاء مشهورين معروفين، وحول هذا يجدر مراجعة *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤ *وروضات الجنات* ج٤ ص٣٦٢ *وأعيان الشيعة* ج٢ ص١٤١ و١٤٢ وج٣ ص٨٢ وج٥ ص ٦ وص٢٦، و٢٠٢.

الاجتهاد وينكرون التصوف والحكمة ويقدحون فيهما، ويشبّهون المجتهدين بالشياطين ويتّهمونهم بأنهم أصحاب ظن وتخمين[1].

وانشغل العامة بالمستحبات الدينية، ونسوا الواجبات، آلاف المتدينين يبالغون في التمسك بفروع الدين: أيهما أحوط عند دخول المسجد، تقديم الرجل اليسرى على اليمنى أو العكس[2]، وآلاف آخرون يرتادون أماكن اللهو ويجاهرون بمخالفة تعاليم الدين، الذي لا يعرفون منه سوى لفظة التشيع.

هذا بالإضافة إلى الإيمان بالتنجيم والخرافات والأوهام والسحر[3].

حتى القُزَلباش، الذين كانوا بادىء الأمر متصوفة، وهم الذين قامت الدولة على أكتافهم، بسبب تفانيهم في نصرة الشاه إسماعيل، أصبحوا بالتدريج، منذ عهد الشاه طهماسب، لا همَّ لهم سوى منافعهم والاهتمام بمصالحهم[4]، وحكم زعماؤهم الولايات التي كان الشاه يهبهم إياها باستبداد وطغيان، وسوء تقدير، وأوجدوا في إيران حكومات شبيهة بحكومات ملوك الطوائف في العصر الأشكاني[5]، واستبدوا بالأمور حتى أصبحت إيران تسمى مملكة القُزَلباش، وقد وصل التناقض

(١) *أعيان الشيعة* ج٣ ص٨٢ وج٩ ص١٣٧.

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٣٠.

(٣) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣١٩ و٣٣٥ و٣٤٢ و٣٤٥ و٣٤٤.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص١٧٣.

(٥) **العصر الأشكاني** نسبة إلى أشك مؤسس هذه السلسلة (جل٢٥٠ق ـ ٢٤٨ ق.م)، حكم منهم تسعة وعشرون ملكاً آخرهم أردوان الأشكاني الخامس، وقد ظهروا في خراسان من أصل آرى وحكموا ٥٠٠ سنة من ٢٥٠ ق.م. إلى ٢٤٦م، وجاء بعدهم الساسانيون: *لغت نامه* ج٤ ص٢٦٧٤. وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص١٥٣.

بينهم إلى حد جعل بعضهم يتآمر والعثمانيين على الدولة[1]، ولما صمم الشاه عباس على أن يبنيَ دولة قوية متماسكة، وكان قد عاين تدجيلهم ونفاقهم، وسعيهم وراء الشهرة والمال والمناصب، ضرب بعضهم ببعض، وحرّض الشبان منهم على قتل الشيب، ولم ينج من عقابه حتى الأبرياء منهم[2]، لأنهم أوصلوا البلاد إلى الانقسام الداخلي.

حتى لحاهم استبدلوا بها الشوارب[3]، وقبعة القُزلباش التي كانت تدل على الإخلاص والفناء والإطاعة العمياء للمرشد الكامل، استبدلوا بها عمامة حريرية مقصّبة، مزينة بالجواهر المتنوعة، وصارت العمامة تعني القوة والنفوذ والسيطرة وعلو المقام[4].

لم يبق من مظاهر التصوف القديم سوى حلقات الذكر يقيمونها ليالي الجمع وفي الأعياد، وعلى الرغم من بعدهم عن الدين والتصوف الحقيقي، ظل العامة متعلقين بهم وينظرون إليهم نظرة احترام وتقديس[5].

وكثرت في هذا العصر البدع والمذاهب الباطلة وكلها لها أتباع بين العامة، ومن أخطر البدع التي ظهرت في هذا العصر بدعة «الجلاليين»[6]، الذين ظهروا أولاً في الأناضول، حيث ادّعى رجل من

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص ١٦٣ ـ ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه ج٢ ص١٦٢ وج٤ ص١٣٣.
(٣) المصدر نفسه ج١ ص١٨٨.
(٤) المصدر نفسه ج١ ص ١٨٣.
(٥) *زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٨٩ وج٢ ص٣٤٣ وج٣ ص٤٨.
(٦) ظهر في الأناضول رجل اسمه **جلال** من أتباع الشاه إسماعيل، يقول مؤرخو العثمانيين إنه ادعى المهدوية، اجتمع حوله الأتباع لأخذ ثأر الذين قتلهم السلطان سليم، فأرسل إليه السلطان سليم جيشاً فقتله وفرّق جموعه، وصار يُطلق على العصاة في الأناضول اسم جلالي (*أعيان الشيعة* ج٣ ص ٣٢٢).

أتباع الشاه إسماعيل المهدوية، وقد فرّ أتباعه إلى إيران وفي عصر الشاه عباس كان عددهم كبيراً[1].

وبدعة **النقطويين**[2] أتباع «محمود نامى»، الذي سكن منذ عهد الشاه طهماسب أحد مساجد قزوين وأطال لحيته متظاهراً بالتقى والتدين، واشتهر أمره، والتف الناس حوله، وقد تعرضت هذه الدعوة للتنكيل من الشاه طهماسب الأول، ولكن اضطراب الأحوال بعده ساعد على ازدهار تلك الدعوة من جديد، ولذا ما إن تولى الشاه عباس الحكم واطلع على تفشي خطر النقطويين، حتى صمم على التخلص منهم، وتخليص البلاد من شرورهم، فأسرع على الفور إلى مقر هذا المذهب، حيث وجد السراديب السرية في دارهم مليئة بالخمر المعتقة ومعدات اللهو واللعب، فأمر بإلقاء القبض على رؤسائهم والفتك بأتباعهم[3].

ومن البدع التي ظهرت أيضاً في زمن الشاه عباس، تلك الفتنة التي حدثت في جيلان وترأسها شخص يسمى «سيد محمد»، ادعى أنه نائب

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٣ ص ٣٢٢.

(٢) **النقطويون**: يُنسب هذا المذهب إلى أحد سكان جيلان ويدعى «محمود پسيخاني گيلانى» الذي تدور دعوته المذهبية على أساس أن ظهور كل شيء وخلقه كان من التراب، والتراب ليس إلا نقطة ولذا عرفت دعوته باسم النقطوية. (*فرهنگ فارسى* ج٥ ص٢١٤١ ـ ٢٣٤٦). ومن بين الذين ألقى الشاه عباس القبض عليهم: «خسرو نامى» المسمى بـ«الدرويش خسرو» والذي اتهم بالإلحاد، دون أن يستطيع أحد أن يثبت عليه ذلك، و«يوسف تركش» وقد نفذ الشاه فيهما حكم الإعدام، بطريقة ذكية وطريفة في آن معاً: *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٤٠ إلى ٣٤٣. إن كتاب الشيخ البهائي «موش وگربه» (الهر والفأر) صدى لما آلت إليه حال المتصوفة في هذا العصر.

راجع: *التدين والنفاق بلسان القطّ والفأر*، ترجمة وتحقيق دلال عباس، رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٥م.

(٣) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٤٣ وج٣ ص٤٨.

الإمام، ولما كثر أتباعه ادعى أنه المهدي المنتظر، وقد التف معظم أهالي جيلان حول صاحب هذه الفتنة، وأخيراً قبض الشاه عليه وعلى أعوانه وتم اغتيالهم جميعاً[1].

على أن أرفع درجات التناقض في ذلك المجتمع الذي غلب عليه الإفراط والتفريط في كل الأمور والتناقض في الممارسات والمواقف: التعصب المذهبي وادعاء الملوك الصفويين أنهم حماة الدين، يقابله بُعدٌ عن الدين في ممارسات الملوك الشخصية والعامة، وإفراغٌ للدين من مضمونه وجوهره.. كلُّ الملوك الصفويين عدا طهماسب كانوا مدمنين على الشراب وعلى المخدّر وبعضهم كان مفرطاً[2]: الشاه عباس كان مولعاً بالشراب إلى درجة أنه أمر طبيبه الخاص أن يؤلف كتاباً في منافع الشراب وقواعد الشرب وصفات الندامى[3]، وهذا لم يمنعه من أن يصدر بعض الأحيان أوامر صارمة، يمنع بموجبها شرب الخمرة أو بيعها ويحاسب المخالفين حساباً عسيراً، ثم يعود إلى إباحتها بعد وقت قصير[4]، وقد وصل به أمر الاستهانة بالدين إلى أن يأمر مرافقيه، في زيارة كان يقوم بها لقساوسة أصفهان لتهنئتهم بعيد الميلاد، أن

(١) زاد أتباع «**سيد محمد**» في جيلان في العام ١٠٢٩هـ ١٦١٩م، ساعد على ذلك مرض الشاه عباس في مازندران، ولما برأ الشاه عباس من علته، صمم على البطش بالمهدي الدّعي والملتفّين حوله لذلك لجأ إلى الحيلة والخديعة، حيث أظهر استعداده للدخول في طاعته، طالباً إليه أن يلتقي به ويتعرف إلى أفكاره وتعاليمه، وأرسل الشاه عباس في طلبه إلى مازندران حيث كان يقيم في ذلك الوقت، وبعد مثوله بين يديه ألقى القبض عليه وعلى أعوانه، وتم اغتيالهم جميعاً والقضاء على هذه الدعوة الباطلة (*زندگانی شاه عباس أول* ج٣ ص ٥٢ ـ ٥٣).

(٢) *زندگانی شاه عباس أول* ج٢ ص ٥٢ و٥٣.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص٢٥٦ وص ٢٧٢.

(٤) *سفر نامهٔ برادران شرلی* ص ٨٩، وزندگانی *شاه عباس أول* ج٢ ص٢٦٦.

يشاركوهم احتساء الخمر، وأن يأمر مرافقيه جميعاً باحتسائها[1]، على كره منهم، مشاركة للمسيحيين في هذه المناسبة فاضطر أفراد الحاشية أن يشربوا الخمرة وأن يفطروا على محرم، ثم هو يكثر من زيارته للأماكن المقدسة، ويخدم المقامات بنفسه أحياناً، ويقدم المساعدات إلى الفقراء ليصوموا عنه ويدعوا له[2]، ولا يمنعه كل هذا من تقديم لحم الخنزير على مائدته كلما استقبل سفيراً، أو كاهناً، أو تاجراً، أو سائحاً أوروبياً، ولهذا السبب أمر أن تربّى الخنازير في مزارع قرب إصفهان، ليهديَها إلى القساوسة فيها[3]، ومجلسه لا يخلو من الرقص والغناء[4]، لقد فهم التديّن عداءً سافراً لأهل السنَّة[5]، وتساهلاً مبالغاً به مشتطاً مع الأوروبيين والمسيحيين، يحتفل بكل المناسبات الدينية الشيعية، ويقيم عزاء أهل البيت في الأيام العشرة الأولى من المحرم، ولا تمنعه حرمةُ المناسبة، أن يحتفل بعيد النوروز، أو أحد الأعياد الفارسية الأخرى. أناس يحملون الأعلام السوداء ويمثلون فاجعة الاستشهاد، وآخرون يقيمون الزينات ومجالس الطرب والابتهاج[6].

الشاه الديكتاتور الذي ما كان أحدٌ من أعوانه يجرؤ على مخالفته، الذي سجن أباه، وقتل أبناء عمومته، وأبناء أخوته وولي عهده، كان في نظر العامة قديساً، ووليّاً من أولياء الله، أعظم قسم عندهم أن يقسموا

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٣٥٣ إلى ٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص٢٦٤ وج٤ ص٢٠.

(٤) المصدر نفسه ج٤ ص٤٠٠.

(٥) وقد ذكر المؤرخون حوادث كثيرة مؤلمة كان فيها بعيداً من روح الإسلام الحقيقي وأخلاقيته في معاملته لأهل السنة: تجدر مراجعة *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٦٨ وج٣ ص ٣٧ وج٤ ص٥.

(٦) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٩٠ وج٣ ص٦، *وتاريخ فرهنگ إيران* ص٢٤٣.

«برأس الشاه»، وكانوا يعدّون كل ما يخرج من خوانه مباركاً، وفيه علاج لبعض الأمراض المستعصية، كما أنه صاحب كشف وكرامة: إنه ملهم من الغيب ويعلم المستقبل، قادر أن يشفي المرضى ويفتحَ الأبواب المقفلة، والأقفال الموصدة، دعاؤه مستجاب، والسعيد في الآخرة من يستطيع تقبيل لجام فرسه[1].

في هذا العصر المضطرب القلق الذي خرج فيه الناس عن حد الاعتدال، وذلك الطوفان من الآراء والمعتقدات، والممارسات المتناحرة المتباينة، عاش البهائي ما يقارب السبعين من عمره بثقة وهدوء، لم يتحزب لأي فريق على الآخر، ولم يدخل ضمن الصراعات الآنية، ولم ينحرف قيد أنملة عن جادة الصواب، لم يتحزب لأحد ولم يعاد أحداً، ترفع عن التعصب وانتقد أخطاء الجميع دون استثناء، كان متصوفاً، معلماً، عالماً، وشيخاً للإسلام وانتقد في شعره ونثره، العربي والفارسي، الفقهاء والمتصوفين والمعلّمين وفقهاء السلاطين وهو بحق من أهم الذين دعوا إلى الاعتدال قولاً وعملاً في ضوء التعاليم الإسلامية[2].

إن الشيخ بهاء الدين العاملي وهو في أوج اشتغاله بمنصبه شيخاً للإسلام، وممارسته دورَه: معلماً وفقيهاً وعالماً ومتصوفاً، لم يتأثر بمساوىء العصر، ولم تستخفّه غوغاء العالم، وقد ذكر صراحة في شعره الفارسي، أن جميع مشاغل الإنسان ومساعيه في هذا العالم، باطلة و«قبض الريح».

لقد استطاع أن يوفّق في قدرة مميزة بين التفكير والسلوك، مقدرة

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٥٣ إلى ٣٦٤.

(٢) سنرى هذا الأمر بوضوح في دراستنا لشعره الفارسي.

عجز عنها كثيرون ممن أصابوا موقعاً كموقعه في عصره، لذلك أصاب حبّاً من معاصريه لا تشوبه شائبة، واجه المذهبية المتجذّرة في النفوس باعتدال العالم العارف المتفهم الذي عرف الآخر وما عنده، لذلك احترمه أهل السنة، وقدروه في حياته،، وأنصفه من ترجم له منهم وقدّره حقّ قدره بعد مماته..

الفصل الثاني

بهاء الدين العاملي

- سيرته.
- اسمه ولقبه وكنيته.
- أسرته.
- مكان ولادته وزمانها.
- هجرة أبيه إلى إيران ووفاته.
- رحلة الحج.
- العودة إلى إيران.
- الحياة العملية: مشيخة الإسلام.
- زوجته - ذريته - منزله في إصفهان.
- وفاته - مدفنه.

سيرته

(٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م ـــ ١٠٣٠هـ/١٦٢٣م)

اسمه: محمد بن عز الدين حسين بن عبد الصمد بن شمس الدين محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن صالح العاملي، الجبعي، الحارثي، الهمْداني[(١)].

كنيته: «أبو الفضائل»[(٢)]، **ولقبه**: «البهائي» نسبة إلى بهاء الدين، وهو تخلُّص للشاعر على اصطلاح شعراء الفارسية، فإنهم يكنون عن أنفسهم باسم غير الاسم الخاص بهم في أشعارهم، كما لقب الشاعر مصلح الدين الشيرازي نفسه بـ «سعدي»، وصاحب الشاهنامة الحكيم أبو القاسم بـ«الفردوسي»، والشاعر السيد محمد الشيرازي بـ«عرفي»

---

(١) وردت ترجمته في *تاريخ عالم آراى عباسى* ج٢ ص٩٦٧، و*ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٧، و*جامع الرواة* ج٢ ص١٠٠، و*أمل الآمل* ج١ ص١٥٥، و*بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٠٨، و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٠ و*سلافة العصر* ص٢٨٩، و*رياض العلماء* ج٥ ص٨٨، و*نزهة الجليس* ج١ ص٣٧٧، و*لؤلؤة البحرين* ص١٦ و*نفحة الريحانة* ج٢ ص٢٩١، *روضات الجنات* ج٧ ص٥٦، و*حديقة الأفراح* ص٨١ و*رياض العارفين* ص٥٨ و*مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤١٧، و*تكملة أمل الآمل* ص٢٦٣، و*الكنى والألقاب* ج٢ ص١١ و*الذريعة* ج٢ ص٢٩ و*الغدير* ج١١ ص٢٤٤، و*الأعلام* ج٧ ص٣٣٤ و*فلاسفة الشيعة* ص٣٩٨.

(٢) راجع *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤ و*روضات الجنات* ج٧ ص٧٥ و*الغدير* ج١١ ص٢٨٠ وقد جاءت كنيته هذه على لسان أبيه عندما أرخ لولادته هو وأخوته كما سيأتي.

وهكذا... وفي الفاتحة والخاتمة من مؤلفاته النثرية الأدبية والفقهية والعلمية، العربية أو الفارسية، يعرف، نفسه بـ«محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي».

العاملي: نسبة إلى جبل عامل في جنوبي لبنان، والبهائي نفسه صرّح أن أصله من جبل عامل، ففي روضات الجنات عن صاحب حدائق المقربين عن الشيخ البهائي أنه كان يقول: «آباؤنا وأجدادنا من جبل عاملة، كانوا دائماً مشتغلين بالعلم والعبادة، والزهد، وهم أصحاب كرامات ومقامات... ولما شربنا ماء العجم سلبنا جميع ذلك»[1].

والجبعي: نسبة إلى قرية «جُبع» بالجيم المضمومة والباء الموحدة المفتوحة والعين المهملة، ويقال جباع بالمد، وتعرف باسم «جباع الحلاوة» تمييزاً لها من جبع الشوف في جبل لبنان، وجبع بنيامين في فلسطين، وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة صيدا، وكانت هي وجزين ومشغرة، مجمع علماء جبل عامل وطلابها[2]، وقرية جبع هذه ينتسب إليها كلٌّ من والده الشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي، العاملي، وجدّه شمس الدين محمد الجباعي، وإليها ينتسب عشرات الفقهاء الذين خرجوا من جبل عامل، وانتشروا في بلاد الله الواسعة، وأثّروا إيجاباً في الكثير منها.

والحارثي الهمْداني: لأن أسرته تنتسب إلى الحارث بن عبد الله الأعور الهمْداني[3]، التابعي الشهير، المتوفى سنة ٦٥هـ ـ ٦٨٤م[4]، وكان من أولياء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن أصحابه المخلصين،

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٦ و*أعيان الشيعة* ج٤ ص٣٠١ وج٨ ص١٧.

(٢) *خطط جبل عامل* ص٢٥٥، و*تاريخ جبع* لعلي مروة.

(٣) راجع: *لغت نامه* مج١٠ ص٦٥، و*أعيان الشيعة* ج٤ ص٣٠١.

(٤) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٥.

وحضر معه حربيّ صفين والجمل، وهو من قبيلة هَمْدان العربية المشهورة، وهمْدان[1] من أشهر قبائل اليمن[2]، وقد مدحهم الإمام علي عليه السلام في صفين حينما ثبتوا وقد فرّ الناس، فعمدوا إلى أغماد سيوفهم فكسروها، وعقلوها بعمائمهم، وبركوا للقتال، ويُنسب إلى الإمام علي عليه السلام أنه قال فيهم عندئذٍ:

لهمْدان أخلاقٌ ودين يزينها   وبأسٌ إذا لاقوا وحسنُ كلام
فلو كنتُ بواباً على باب جنَّة   لقلْتُ لهمْدان ادخلوا بسلام

وكان إذا رآهم يتمثل بقول الشاعر:

ناديت همدان والأبوابُ مغلقةٌ   ومثل همدان سنيّ فتحة الباب
كالهندوانيِّ لم تفلُل مضاربُه   وجهٌ جميل وقلبٌ غيرُ وجّاب[3]

وأخرج الشيخ المفيد في أماليه خبراً مسنداً عن الأصبع بن نباتة[4] ذكر فيه أن علياً عليه السلام قال للحارث الهمداني: «أبشّرك يا حارث: لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند المقاسمة»[5]، وذكر اليعقوبي جماعة من تلامذة الإمام علي عليه السلام، الذين كانوا يحملون عنه العلم وكان من

---

(١) وقد ذكر البعض ومنهم الزركلي في *الأعلام* ج٧ ص٣٣٤، نسبته (الهمذاني) بالميم المفتوحة والذال المنقوطة، وهذا خطأ لأن هَمَذان بلدة فارسية.

(٢) ويقول ماسّينيون: «إن همدان القبيلة العظيمة الخطيرة ذات الشوكة والقوة كانت شديدة التشيّع»: خطط الكوفة ص٦.

(٣) *العقد الفريد* ج١ ص٢٩١، *وأمل الآمل* ج١ ص١٥٥، *وروضات الجنات* ج٧ ص٧٦، *ولؤلؤة البحرين* ص١٦، *وآثار وأشعار شيخ بهائى* لسعيد نفيسي ص١٣، *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٢.

(٤) **الأصبع بن نباتة** بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، تابعي، **ثقة**: *دائرة المعارف*، أعلمي ج٥ ص٢٢.

(٥) مستدرك *الوسائل* ج١٣ ص٤١٨، كما ورد ذكر الحارث الهمداني في كتاب *الكشكول* ج١ ص٣٠٥ وج٢ ص١٧٤ وفي ج٢ ص٣٣٣ أورد البهائي وصية الإمام علي إلى الحارث الهمداني.

بينهم الحارث الأعور[١]، كما ذكر المسعودي أن علياً عليه السلام دخل على عائشة في البصرة «ومعه شيعته من همدان»[٢].

وقد أنشد السيد الحميري[٣] مضمون كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

قـول عـلـي لـحـارثٍ عـجـبٌ ... كـم ثـمَّ أعـجـوبـة لـه حـمـلا

يـا حـارِ هـمـدان مـن يـمت يـرَنـي ... مـن مـؤمـنٍ أو مـنـافـق قـبـلا

يـعـرفـنـي طـرفُـه وأعـرفـه ... بـنـعـتـه واسـمـه ومـا فـعـلا

وأنـت عـنـد الـصـراط تـعـرفـنـي ... فـلا تـخـف عـثـرةً ولا زلـلا

أسـقـيـكَ مـن بـارد عـلـى ظـمـأ ... تـخـالُـه فـي الـحـلاوة الـعـسـلا

أقـول لـلـنـار حـيـن تـعـرض ... للعرض دعيه لا تقتلي الرجلا

دعـيـه لا تـقـربـيـه إنَّ لـه ... حبلاً بحبل الوصيّ متصلا[٤]

هـذا لـنـا شـيـعـةٌ وشـيـعـتـنـا ... أعـطـانـيَ الله فـيـهـم الأمـلا[٥]

وقد توهم كثيرون أن هذا الشعر منسوب إلى الإمام علي عليه السلام[٦].

---

(١) *التاريخ* ج٢ ص١٩٠.

(٢) مروج *الذهب* ج٢ ص٣٧٧.

(٣) **السيد الحميري**: الشاعر إسماعيل بن محمد الحميري يكنّى أبا عامر، من شعراء أهل البيت المجاهرين، من أصحاب الإمام الصادق ولقي الإمام الكاظم عليهما السلام وكان في بادىء الأمر خارجياً ثم كيسانياً ثم إمامياً (*أعيان الشيعة* ج٣ ص٤٠٦). وفي الأغاني: كان شاعراً متقدماً مطبوعاً... وله طراز في الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه أحد... عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات... كان أبواه أباضيين ولما تشيّع همّا بقتله (خبره في *الأغاني* ج٧ ص٢٢٩ وما بعدها ط دار الكتاب).

(٤) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤١٨ *والكنى والألقاب* ج٢ ص٩٥.

(٥) وقد نسب ابن شهر آشوب الأبيات في *المناقب* إلى السيد الحميري وزاد البيت الأخير، *أعيان الشيعة* ج٤ ص٣٧٠.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٩٩، وقد تبعه في ذلك كثيرون ممن نقلوا عنه، وكذلك فعل البحراني في لؤلؤة البحرين ص١٦، وفي الديوان المنسوب إلى الإمام علي ذكرت هذه الأبيات وذكر البيت الأول في آخرها (ص٨٨).

وإلى ذلك المعنى يشير الشيخ أبو جعفر الخطي[1]، شاعر البحرين، في قصيدته «الرائية» التي عارض بها رائية البهائي «وسيلة الفوز والأمان».. وأولها: هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري» فقال فيها:

فيا ابن الألى أثنى الوصيّ عليهم ... بما ليس تثني وجهَهُ يدُ إنكار
بصفين إذ لم يلفَ من أوليائه ... وقد عضّ نابٌ للوغى غيرُ فرّار
وأبصَر منهم حين حربٍ تهافتوا ... على الموتِ إسراع الفراش إلى النارِ
سراعاً إلى داعي الحروب يَرَوْنَها ... على شربها الأعمار منهلَ أعمارِ
أطاروا غمودَ البيضِ واتكلوا على ... مفارقِ قوم فارقوا الحقّ فجَّارِ
وأرسوا وقد لاثوا على الرّكب الجنى ... بروكاً كَهَدْيٍ أبركوه لجزّارِ
فقال وقد طابت هنالك نفسُهُ ... رضيّ وأقّروا عينَه أي إقرارِ
(فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ ... كما أفصحت عنه صحيحاتُ آثارِ)[2]

وقد صرّح البهائي غيرَ مرة في كتبه بنسبته إلى الحارث الهمْداني[3]، كما أنَّ أباه وجدّه الأعلى وبعض أسرته كانوا يصرحون بانتسابهم إليه أيضاً فيكتبون «الحارثي»[4].

---

(١) **أبو البحر الخطي**: شرف الدين جعفر بن محمد بن حسن بن علي، الشهير بالشيخ جعفر الخطي، توفي سنة ١٠٢٨هـ ١٦١٨م بفارس له ديوان شعر كبير حاوٍ لجميع فنون الشعر جُمعَ في حياته، وفد على الشيخ البهائي في أصفهان حين زار مشهد الرضا عليه السلام، ولما اجتمع بالبهائي عرض عليه معارضة قصيدته الرائية المشهورة (ترجمته في خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٨٣) وفي (*أعيان الشيعة* ج٤ ص١٥٧).

(٢) *لؤلؤة البحرين* ص١٦، *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٤ في ترجمة البهائي، وج٤ ص١٥٧ في ترجمة أبي البحر الخطي.

(٣) *الكشكول* ج٢ ص١٧٤ *والأربعون حديثاً* ص٢٦.

(٤) وهذا يدفع ما ذكر في كتاب «نسمة السحر» أن البهائي من ولد سعيد بن قيس الهمداني(*): مهدي الخرسان، مقدمة *الكشكول* ص٢٦.

(*) **سعيد بن قيس الهمداني** من أصحاب الإمام علي عليه السلام حارب معه أيضاً في صفين والجمل، وكان شاعراً (ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٧ ص٢٤٢).

ولهذا أيضاً نرى البهائي في شعره يثني على بني همدان، ويصفهم بالجرأة والشجاعة في قصيدته «الفوز والأمان» فيقول:

..بهم من بني همْدان أخلصُ فتيةٍ   يخوضون أغمارَ الوغى غيرَ نكَّارِ
بكل شديدِ البأسِ عبلٍ شَمَرْدلٍ   إلى الحتف مقدامٍ على الهولِ مصبارِ[1]

فالشيخ البهائي قد تحدّر من أسرة علمية، عريقة في الولاء والمحبة لأهل البيت ﷺ، كما هي عريقة في العلم والفضيلة، «كان والده وجده وأبو جده كلهم من الفضلاء»[2].

وأول من عرف من أجداده، وقد وصف بالمشيخة، هو الشيخ «إسماعيل»، ثم ابنه الشيخ صالح اللويزاني، ثم ابنه الشيخ محمد، ثم ابنه الشيخ بدر الدين الحسن، ثم ابنه الشيخ زين الدين علي المتوفى سنة ٨٦١هـ ١٤٥٦م، والرجل من الأعلام وفقهاء الإسلام[3] وعنده يلتقي نسب البهائي بنسب الشيخ إبراهيم الكفعمي[4]، صاحب المصباح والبلد

---

(١) *الكشكول*، ط أعلمي، ج١ ص٢٣١ ـ ٢٣٢، *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٥.

(٢) *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤.

(٣) بحار *الأنوار* ج١٠٧ ص١٦١ و٢٠١/ وتكملة *أمل الآمل* ص٢٩٤ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٦٣.

(٤) **الكفعمي**: (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ = ١٤٣٦ ـ ١٥٠٠م)، هو إبراهيم بن علي بن الحسن ابن محمد بن صالح العاملي، اشتهر بالكفعمي نسبة إلى قرية «كفرعيما» وهي القرية التي ولد فيها في جبل عامل، وقد انتقل إليها والده من جباع، تلقى المعارف الأولية على والده، ثم انتقل إلى مدرسة جزين ومنها إلى الحلة في العراق حيث تزوّد بالفقه وأحكام الدين، وعاد إلى بلاده بعد أن بلغ درجة الاجتهاد واستقر في كفرعيما، بلغت مؤلفات الكفعمي ثمانية وأربعين بعضها مطبوع وأكثرها غير مطبوع، وأهم كتبه المطبوعة «المصباح» ويتضمن أوراداً ومناجاة وأدعية وكتاب «البلد الأمين» يخصص القسم الأكبر فيه للعبادات والابتهالات والأدعية، كما أنه يتضمن أوراداً على جانب كبير من الأهمية، و«زهر الربيع في شواهد البديع».. انظر ترجمته في *أمل الآمل* ج١ ص٢٨، =

الأمين[1]، فإن الشيخ زين الدين علي المذكور أعقب خمسة ذكور هم[2]:

١ ـ الشيخ جمال الدين أحمد ٢ ـ الشيخ شرف الدين ٣ ـ الشيخ رضي الدين ٤ ـ الشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي ٥ ـ الشيخ شمس الدين محمد الجباعي وهو جد والد البهائي (توفي سنة ٨٨٦هـ ـ ١٤٨١م).

فالشيخ الكفعمي هو عم جد البهائي.

ونتوقف عند جد والده الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح الحارثي العاملي اللويزاني[3]، الجُباعي، لنرى أن الشهيد الثاني قد أثنى عليه في إجازته لابن ابنه الشيخ حسين بن عبد الصمد[4]، ولنرى أنه من كبار العلماء، بل هو صاحب المجموعات الثلاث، التي أكثر النقلَ عنها العلامة المجلسيّ في البحار، وبخاصة في المجلّد الأخير المخصوص بالإجازات، وكذلك العلامةُ النوري[5] في

= *والكنى والألقاب* ج٣ ص٩٥، *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٣٢، *ومجلة العرفان* ج٢٤، ص٢٩٠ مقالة لأحمد عارف الزين، الحركة الفكرية والأدبية في *جبل عامل* ص٨٩، كما ذكر محمد خليل الزين في مقالة له في *العرفان* ج٢٤ ص٢٩٠ أن قرية كفرعيما دَرَسَت في القرن الحادي عشر الهجريّ.

(١) مهدي الخرسان: مقدمة *الكشكول* ص٢٧.

(٢) تكملة *أمل الآمل* ص١١٤، *والغدير* ج١١ ص٢١٦.

(٣) اللويزاني: نسبة إلى قرية اللويزة، تصغير لوزة، قرية قرب جبع، انتقل من اللويزة إلى جبع ويبدو أنه هو الذي أطلق الحركة العلمية فيها.

(٤) *أمل الآمل* ج١ ص١٣٨ *وبحار الأنوار* ج١٠٨ ص١٤٨ *ومستدرك الوسائل* ج٣ ص٤٢١ *وروضات الجنات* ج٢ ص٣٦١.

(٥) *أعيان الشيعة* ج٩ ص٤٣١.

مستدرك الوسائل والعلامة السيد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل[١]، وقد وُصِفَ الشيخ شمس الدين بأنه كان صاحب كرامات[٢]، وقد توفي سنة ٨٨٦هـ ١٤٧١م بعد أن أعقب ثلاثة أولاد، هم:

١ ـ **الشيخ أبو المكارم** هبة الله المولود سنة ٨٥٨هـ ـ ١٤٥٤م.

٢ ـ **الشيخ زُهرة** وقد خلّف ولدين هما: أبو المحاسن المولود سنة ٨٦٢هـ ١٤٥٧م، والشيخ **علي بن زُهرة الجُبَعي**، الذي كان من تلامذة الشهيد الثاني، وكان رفيقه إلى مصر وفيها توفي سنة ٩٤٣هـ ١٥٣٦م، وكان الشهيد يعتقد فيه العدالة[٣].

٣ ـ **الشيخ أبو تراب عبد الصمد جدّ البهائي** وهو أصغرهم ولد سنة ٨٥٥هـ ١٤٥١م، وكان كما وصفه الشهيد الثاني في إجازته لولده الحسين بن عبد الصمد ـ والد البهائي ـ «الشيخ الصالح، العالم، التقي، المتفنن، خلاصة الأخيار[٤]، وقد توفي سنة ٩٣٥هـ ١٥٢٨م وعمّر ثمانين سنة[٥]، وأعقب أربعة بنين وبنتاً واحدة، أصغرهم الشيخ حسين بن عبد الصمد والد البهائي، وللشيخ عبد الصمد حاشية على الفرائض النصيرية لنصير الدين الطوسي، وهو شيخ الشهيد الثاني، ومن تلامذة الشهيد الأول، المشهورين بالورع والتقوى، وعدّه الشيخ الشهيد في عداد أولياء

---

(١) تكملة *أمل الآمل* ص٣٥٦ ويقول السيد حسن الصدر كذلك «إن الشيخ شمس الدين في إحدى هذه المجموعات أكثر النقل من مجموعة الشهيد الأول».

(٢) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٣٧٢ وص٤١٧.

(٣) مخطوط «منية المريد» *لابن العودي الجزيني* ص٥٠ *وأمل الآمل* ج١ ص١٢٠.

(٤) بحار *الأنوار* ج١٠٨ ص١٤٨ *وأمل الآمل* ج١ ص٧٥ *ومستدرك الوسائل* ج٣ ص٤٢١ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٥٧.

(٥) بحار *الأنوار* ج١٠٨ ص١٠٩ *وتكملة أمل الآمل* ص٢٦٤ *وأعيان الشيعة* ج٨ ص١٧.

الله وقد أرسله إلى مصر فتوفي هناك[1].

وما دمنا في حديث أسرة البهائي العلمية فلا بد من وقفة أيضاً مع عمه الأكبر الشيخ **نور الدين أبي القاسم** علي بن عبد الصمد، الذي يروي عن الشهيد الثاني، لأنه كان من أجلة تلامذته، ويروي عن المحقق الكركي بالإجازة، وقد كان أيضاً: «عالماً، فاضلاً، فقيهاً، محدثاً، شاعراً»[2]، له نظم ألفية[3] الشهيد الثاني سمّاه: «الدرة الصفية في نظم الألفية».

والده (معلمه الأول)

الشيخ حسين بن عبد الصمد، بن شمس الدين، محمد بن علي بن حسين بن محمد بن صالح العاملي، الجبعي، الحارثي، اللويزاني، الهمداني، والد الشيخ البهائي[4]، ولد سنة ٩١٨هـ ١٥١٢م، أي قبل الفتح العثماني لبلاد الشام بأربع سنين، وتوفي سنة ٩٨٤هـ ١٥٧٦م.

كان لهذا الشيخ تأثير كبير في ابنه البهائي، كان المعلم والموجه

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٨ ص١٧.

(٢) تكملة *أمل الآمل* ص٢٦٤ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٦٣ وج٨ ص٢٦٤.

(٣) **«الرسالة الألفية»** في الصلاة للشهيد الأول شمس الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين مكي ابن الشيخ شمس الدين محمد بن حامد الجزيني المعروف بالشهيد الأول (*الأعيان* ج١٠ ص٦٠). وللشهيد الثاني زين الدين بن علي الشهيد الثاني كتاب *المقاصد العليّة في شرح الرسالة الألفية* للشهيد الأول وهو شرح مزجي مطول (*الأعيان* ج٧ ص١٤٤).

(٤) انظر ترجمته في *أمل الآمل* ج١ ص٧٤ ـ ٧٧ *ورياض العلماء* ج٢ ص١٥٨ ـ ١٢١ *وروضات الجنات* ج٢ ص٣٤٥، وتكملة *أمل الآمل* ص١٨٢ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٥٦.

والمثال المحتذى، كان يقول عنه دائماً: «والدي وأستاذي ومن إليه في العلوم استنادي»[١].

الشيخ حسين كان «من مشايخ جبل عامل العظام، وكان فاضلاً، عالماً جليلاً، أصولياً، متكلماً، فقيهاً، محدثاً، شاعراً، ماهراً في صنعة اللغز، وله الألغاز المشهورة التي خاطب بها ولده البهائي»[٢]. أكبّ منذ صغره على استقصاء ما كان متوافراً من العلوم والمعارف في بيت آبائه وأجداده، وكلّهم من العلماء، في ذلك الزمن الذي كانت فيه قريته «دار العلم»، في جبل عامل، وفي قلب الخوف والتهديد أيضاً.

قال عنه نظام الدين القرشي الساوجي[٣] تلميذ ولده البهائي أنه «كان عالماً، فاضلاً مطّلعاً على التواريخ، ماهراً في اللغات، مستحضراً للنوادر والأمثال، وكان ممن جدّد قراءة كتب الحديث ببلاد العجم، له مؤلفات جليلة ورسالات جميلة»[٤].

---

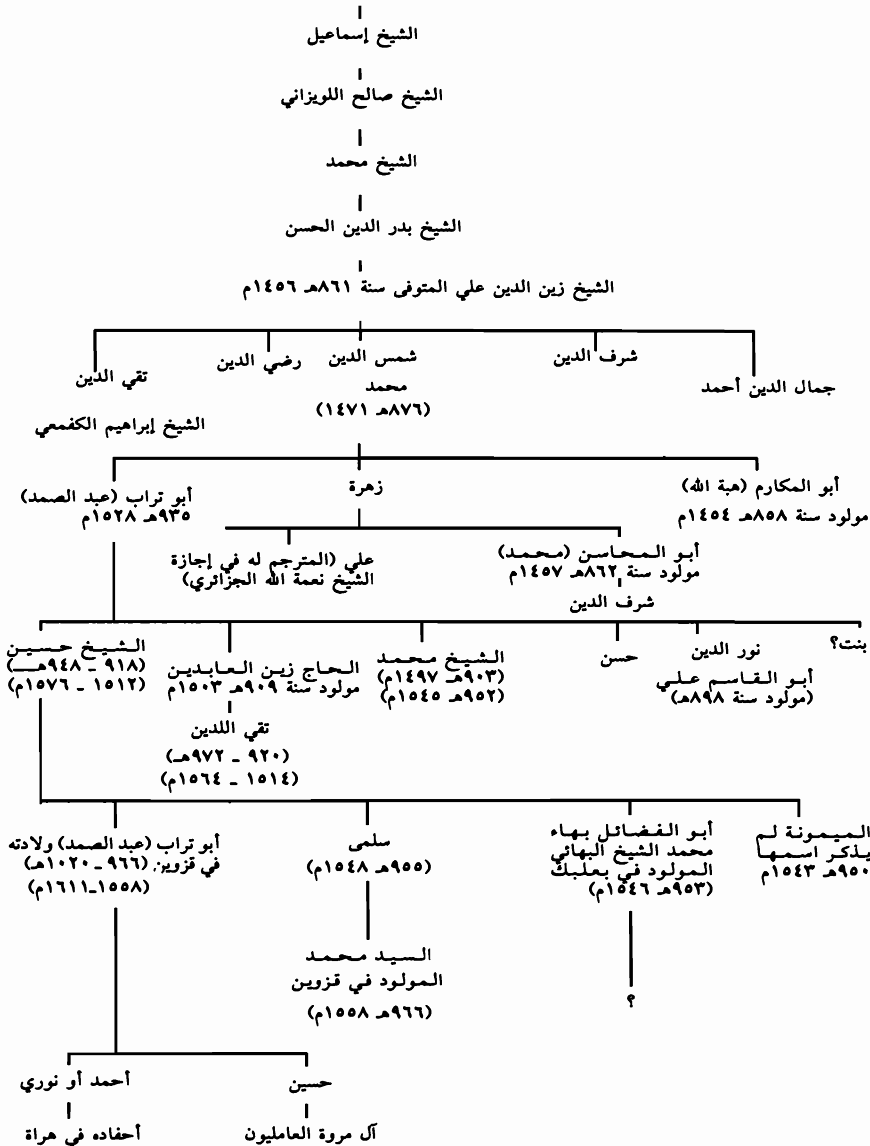
(١) في *مشرق الشمسين* للبهائي ص١٣ ترد هذه العبارة، وكذلك في مقدمة أحد ألغازه المذكورة في *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٧.

(٢) *أمل الآمل* ج١ ص٧٥، و*رياض العلماء* ج٢ ص١١٠، و*لؤلؤة البحرين* ص٢٣ و*روضات الجنات* ج٢ ص٣٤٦، و*أعيان الشيعة* ج٦ ص٥٦.

(٣) نظام الدين القرشي الساوجي كان تلميذ البهائي وهو الذي أتم الأبواب العشرين من «الجامع العباسي» بعد وفاة أستاذه بأمر الشاه عباس الصفوي. كان مدرساً في مدرسة «مشهد الشيخ عبد العظيم» له كتاب «الصحيح العباسي» أورد فيه صحيح الأخبار من كتب الحديث المعتبرة. (ترجمته في *أعيان الشيعة* ج١٠ ص٢٢٢).

(٤) تكملة *أمل الآمل* ص١٨٥، و*أعيان الشيعة* ج٦ ص٥٦.

مشجرة أسرة البهائي العلمية:



اعتمدنا في رسم هذه المشجرة على:

ـ مستدرك الوسائل ج٣ ص٤٢٠، تكملة أمل الآمل ص٢٦٤ ـ ٣٥٦، وأعيان الشيعة ج٦ ص٩٣ وج ٩ ص٤٣١، وخرسان: مقدمة الكشكول ص٣١.

ويُعد الشيخ حسين من أوائل الذين قرأوا على الشهيد الثاني في أوائل أمره وتصدّيه للتدريس[1]، وقد صرف خلاصة أيام شبابه في صحبته، وقد أجازه إجازة عامة مطوّلة، مفصّلة، قال في أولها: «ثم إن الأخ في الله، المصطفى في الأخوّة، المختار في الدين، المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، الشيخ الإمام العالم الأوحد، ذا النفس الطاهرة الزكية، والهمة الباهرة العليَّة، والأخلاق الزاهرة الأنسية، عضد الإسلام والمسلمين، عز الدنيا والدين، حسين ابن الشيخ الصالح العالم، الكامل، المتقن، المتفنن خلاصة الأخيار، الشيخ عبد الصمد، ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبعي.. ممن انقطع بكليّته إلى طلب المعالي، ووصل يقظة الأيام بإحياء الليالي، حتى أحرز السبق في مجاري ميدانه، وحصل بفضله السبق على سائر أترابه وأقرانه، وصرف برهة من زمانه في تحصيل هذا العلم، وحصل منه على أكمل نصيب وأوفر سهم، فقرأ على هذا الضعيف وسمع كتباً كثيرة»[2]، ثم ذكر أنه أجازه إجازة عامة.

وكان الشيخ حسين مشاركاً ومساهماً له في تصحيح كتب الحديث والرجال، لأنه كان يقابلها معه، وفي تحصيل مقدمات الاجتهاد وكسب الكمال لأنه كان يقرأ عليه، وقد رحل معه إلى مصر للدرس سنة ٩٤٣هـ ١٥٣٦م، وأخذ معه عن كبار علمائها[3]، ثم كان من جملة رفاقه إلى القسطنطينية، أوائل شهر ذي الحجة سنة ٩٥١هـ ١٥٤٤م، فمرًّا على

(١) مخطوط منية المريد لابن العودي الجزيني ص٥٠.

(٢) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢١ *وأمل الآمل* ج١ ص٧٥ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٥٧.

(٣) من أهم هؤلاء المشايخ الذين التقى بهم وأخذ عنهم الشيخ «أبو الحسن البكري» بغية المريد. المخطوط ص٣٣ وعندما سيزور البهائي مصر سيلتقي بالحسن البكري الابن.

دمشق وأقاما فيها شهراً، ثم ارتحلا إلى حلب، ويقول: «ظهر لإقامتنا في حلب تلك المدة فوائد وأسرار لا يمكن حصرها»[1]، وربما كان من جملة تلك الفوائد، ما ذكره المؤرخون من أن الشيخ حسين بن عبد الصمد، أدخل بعض فضلاء حلب في مذهب أهل البيت بحجّته البالغة، وقد كتب فيها «الرسالة الحلبية»[2]، التي تناول فيها الموضوعات الدينية والقضايا الفقهية، التي بحثها مع أهل حلب الذين تشيعوا على يديه، والتي يتضح من خلالها أن قدرته الاستنباطية، وملكته الفقهية، قد أهّلته لمكانة من التفكير المستقل عن غيره، والاستدلال المبني على أسس العقيدة، وأصول الشريعة النابعة من صميم الدين وجوهره.

ولعل الرحلة تلك كان هدفها الأساسي تلطيف حالة العداء، نحو الإثني عشرية؛ وإنَّ ما قام به الشيخ البهائي من دفاع عن المذهب الإثني عشري في «رسالته الاعتقادية»، ما هو إلا تتمة لما قام به الشيخ الشهيد الثاني والحسين بن عبد الصمد كما سنرى.

وصل الشهيد الثاني ورفاقه إلى إسلامبول يوم الإثنين ١١ ربيع الأول سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٧م وذلك لطلب التدريس في إحدى «المدارس العامة»، التي كان لها أوقاف يستوفيها المدرسون بناء على «أمر» من السلطان العثماني، فنال الشهيد الثاني أمر تدريس المدرسة «النورية»[3]

---

(١) المصدر نفسه ص٣٦.

(٢) كليات شيخ بهائي، نفيسي ص٢٨.

(٣) **المدرسة النورية**: هذه المدرسة ومدارس أخرى أسسها نور الدين زنكي(*) سنة ٥٥٢هـ ١١٥٧م في دمشق وحمص وحماه وحلب، تاريخ ابن عساكر ج١ ص٢٢٢.

(*) **نور الدين زنكي**: (العادل محمود) بن زنكي أبو القاسم نور الدين الملقب بالملك العادل (٥١١ ـ ٥٦٩هـ = ١١١٨ ـ ١١٧٤م)، كان أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم... ولد في حلب وانتقلت إليه أمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١هـ ١١٤٦م) وكان ملحقاً بالسلاجقة فاستقل وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة... =

في بعلبك، والشيخ حسين أمر تدريس مدرسة في بغداد، وأقاما في إسلامبول ثلاثة أشهر ونصفاً، ثم إن الشيخ حسين بحسب رواية ابن العودي الجزيني، وجد أن المدرسة التي كان قد أعطاه إياها القاضي قليلة الأوقاف، فاحتاج لإبدالها بغيرها، فتوقف لأجل ذلك واحداً وعشرين يوماً[1].

ثم توجه الشهيد وصحبه وبينهم الشيخ حسين بن عبد الصمد إلى العراق للزيارة[2]، وبعدها وبالدقة في ١٥ صفر سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٧م رجعوا إلى بعلبك، حيث باشر الشهيد التدريس في المدرسة النورية، والظاهر أن الشيخ حسين عاد معه إلى بعلبك أيضاً، لأن ابنه البهائي ولد فيها بعد ذلك بعشرة أشهر.

إخوته

أرّخ الحسين بن عبد الصمد ولادة أبنائه كما يلي:

ولدت الميمونة بنتي ليلة الإثنين، ثالث شهر صفر سنة خمسين

= وامتدت سلطته في الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسماً من سوريا الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانباً من اليمن، وخطب له بالحرمين وكان معنياً بمصالح رعيته، مداوماً للجهاد، يباشر القتال بنفسه، موفقاً في حروبه للصليبيين... وبنى مدارس كثيرة منها «العادلية»، و«المدرسة النورية» واحدة في دمشق والأخرى في بعلبك، ترجمته في: *الإسلام والحضارة العربية*، ج١ ص٢٨٩ *والأعلام* ج٧ ص١٧٠.

(١) *بغية المريد*، المخطوط ص٣٦، *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٥٨.

(٢) يقول الشهيد الثاني في حديثه عما جرى في العراق بحسب رواية ابن العودي الجزيني «رفيقي وصديقي الشيخ حسين بن عبد الصمد»، كما أنه انتظره واحداً وعشرين يوماً ليصطحبه معه، ولو أن الشيخ حسين كذلك بقي في العراق لذكر ذلك، كما ذكر تأخره عنه في القسطنطينية: *بغية المريد* ص٣٦ *والأعيان* ج٧ ص١٤٣ وج٦ ص٥٨.

وتسعمائة (١٥٤٣م) وأخوها أبو الفضائل محمد بهاء الدين عند غروب الشمس يوم الأربعاء ١٧ ذي الحجة ٩٥٣م [١٥٤٦م] وأختهما أم أيمن سلمى بعد نصف الليل ١٦ المحرم سنة ٩٥٥هـ [١٥٤٨م] وأخوهم أبو تراب عبد الصمد ليلة الأحد وقد بقي من الليل نحو ساعة ثالث شهر صفر سنة ست وستين وتسعمائة [١٥٥٨م]، وابن أخته السيد محمد ليلة السبت ثامن عشر صفر من السنة المذكورة في قزوين(١).

ويظهر مما سجله الشيخ حسين هنا أن للبهائي أختين وأخاً واحداً، وأن إحدى هاتين الأختين، هي على الأرجح الكبرى، وقد زوجت من علوي ولدت له، السيد محمد(٢)، ويذكر بعض المؤرخين، ومنهم السيد محسن الأمين، أن الشيخ «محمد بن علي بن خاتون العاملي الطوسي»، الذي تولى الوزارة في عهد السلاطين القطب شاهية(٣) في حيدر آباد

---

(١) *رياض العلماء* ج٢ ص١١٠.

(٢) يقول السيد مهدي خرسان «لعل هذا السيد هو زين العابدين الحسيني الذي تمم الباب السادس في المزار من «الجامع العباسي»، وصرح في أوله أنه ابن أخت الشيخ البهائي وتلميذه «مقدمة *الكشكول*» ص٢٩. والحقيقة أن هذا الأمر غير مذكور في كتاب «*جامع عباسى*» المطبوع المتداول، وفيه أن الذي «أكمل الباب السادس وما بعده هو نظام بن حسين الساوجي: *جامع عباسى* ص١٣٨.

(٣) **السلاطين القطب شاهية**: نسبة إلى محمد علي قطب شاه، الذي ولد في همذان وسافر في غضارة الشباب إلى الهند، ولازم خدمة حاكم دكن، واستزاد في العزة والمقام يوماً بعد يوم، لما كان يتمتع به من النشاط، حتى لقب بعد مدة بلقب «قطب الملوك» وأصبح عام ٩١٨هـ ١٥١٢م حاكم منطقة «دكن» وكان «قطب شاه» من تلامذة الشيخ صفي الدين الأردبيلي جدّ الصفويين، وأعلن الشاه إسماعيل المذهب الجعفري مذهباً رسمياً للدولة في إيران، تبعه في ذلك «قطب الملك» في الهند وعمل على نشره والتبليغ عنه. سعى القطب شاهيون في دكن في سبيل تبليغ الإسلام ومذهب التشيع سعياً بليغاً، وهاجر على عهدهم جمع من إيران إلى ناحية دكن في الهند وعملوا على نشر الإسلام والتشيع، واستمر القطب شاهيون في حكم هذه المنطقة قرنين من الزمن، ولهم تاريخ في ذلك طويل مفصل (الإسلام =

الركن في الهند هو ابن أخت الشيخ البهائي وتلميذه، وقد ترجم في الهند كتاب «الأربعين»، ولما عاد إلى إيران سفيراً من ملك حيدر آباد، إلى الشاه عباس، عرض على أستاذه ترجمته المذكورة فكتب أستاذه تقريظه عليها سنة ١٠٢٩هـ ١٦١٩م، ثم عاد هو إلى بلاد الهند، ومات فيها وقبره هناك معروف، مشهور مزور[١].

الشيخ أبو تراب عبد الصمد: أخو البهائي ولد سنة ٩٦٦هـ ١٥٥٩م ونرجح أنه ولد في قزوين وذلك لأن الشيخ حسين ذكر ولادة ابن ابنته في ١٨ صفر في قزوين وبما أن الخال عبد الصمد وابن أخته ولدا في شهر واحد، فيرجح أن يكونا قد ولدا في مكان واحد أيضاً. وتوفي الشيخ أبو تراب عبد الصمد سنة ١٠٢٠هـ ١٦١٢م حوالى المدينة المنورة، ونقل جسده إلى النجف الأشرف ودفن فيها[٢]، كان عالماً فاضلاً، ولأجله صنّف أخوه البهائي «الرسالة الصمدية في النحو»، وله تعليقات على رسالة الفرائض للخواجة نصير الدين الطوسي، المسماة بالفرائض النصيرية «وله حواش وتعليقات على شرح كتاب «الأربعين» لأخيه البهائي»[٣].

ذكر الأستاذ سعيد نفيسي خطأ، أنَّ الشيخ عبد الصمد أكبرُ من أخيه البهائي سناً، وأنه انفصل عن أبيه منذ كانا في جبل عامل، ولم يكن مع أبيه في إيران أو البحرين، ودعم هذه الدعوى بأن الشيخ

= *وإيران* ص٢٧١) حكموا من ٩١٨هـ - ١٥١٢م = ١٠٩٨هـ - ١٦٨٧م. راجع *لغت نامه* مج١٩ ص٣٥٣ *وأعيان الشيعة* ج٣ ص٤١ *وفرهنگ فارسى* ج٦ ص١٦٧٢.

(١) *أعيان الشيعة* ج١ ص١٩٢ وج١٠ ص١٠، *وخطط جبل عامل* ص٨٠.

(٢) *لؤلؤة البحرين* ص٢١ *وأمل الآمل* ج١ ص١٠٩.

(٣) *لؤلؤة البحرين* ص٢٠ *وروضات الجنات* ج٧ ص٦٨ *وتكملة أمل الآمل* ص٢٦٣، *وأعيان الشيعة* ج٨ ص٦.

عبد الصمد توفي قبل أخيه بعشر سنين، (وكأن ترتيب الموت كترتيب الولادة)، وبأن الشيخ عبد الصمد كان يسمى باسم جده، ولو كان أكبر الأخوة لاختص هو باسم جده، وبأن الشيخ البهائي ألف «الصمدية في النحو» باسم أخيه، والعادة أن يَسِمَ الصغير تأليفه باسم الكبير[1]، إلى آخر هذه التقديرات التي يدحضها كون الشيخ حسين بن عبد الصمد أرّخ ولادة أبنائه كما ذكرنا من قبل، إضافة إلى أن الشيخ حسين في إجازته لولديه[2] قد قدم بهاء الدين محمد بالذكر، ونُقِل عن رياض العلماء أنه قال: «ولده الآخر الشيخ عبد الصمد»[3].

لقد عاش الشيخ عبد الصمد جلّ حياته في إيران، والأغلب أنه عاش في قزوين ثم في هراة، وربما انتقل إلى أصفهان عندما أصبح أخوه شيخ الإسلام فيها، لأن عدداً من المؤرخين يتحدثون أنه كان يحضر مجالس الشاه عباس في أصفهان[4]، ولم يكن له شأن كبير، إلا كونه أخا الشيخ البهائي.

وبما أنه توفي حوالى المدينة المنورة، فإننا نرجّح أنه مات وهو في الحج، وأوصى أن يدفن في النجف الأشرف، فنقل جثمانه إليها بعد وفاته وهو في الرابعة والخمسين من العمر. وقد أعقب الشيخ عبد الصمد ولدين هما: الحسين بن عبد الصمد ـ الصغير ـ وهو الذي كتب بخطه على كتاب أربعين عمه، ما ميز به حواشي أبيه من إيضاحات عمه، وتاريخ ما كتبه ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٠٥٢هـ ١٦٤٢م بهراة

(١) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٧ ـ ٢٢. *والصمدية* موضوعة أساساً لتعليم الأحداث وقد كتبها البهائي لأخيه وأترابه ليسهّل لهم دراسة النحو.

(٢) *رياض العلماء* ج٢ ص١١٠ *وتكملة أمل الآمل* ص٢٦٣.

(٣) *أعيان الشيعة* ج٦ ص٥٧ وج٩ ص٤١٣.

(٤) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٤٠، *وآثار وأشعار شيخ بهائى لنفيسي* ص٢٢.

حيث كان قاضياً، ويقول صاحب تكملة أمل الآمل: «سكنها وله أحفاد متصلة إلى هذا العصر، موجودة في تلك البلدة وغيرها، ولهم التصدي للشرعيات الآن بهراة»[١]، ويقول السيد محسن الأمين في مكان آخر، «ولم تزل أعقاب الشيخ حسين بهراة وعاملة من حملة العلم وأرباب الفضل والكمال، ومن ذريته آل مروة العامليون»[٢].

كما ذكر له ابن أخر آخر هو الشيخ نوري، كان شيخ الإسلام في هراة وله أشعار بالفارسية»[٣].

مولده

لقد ذكر المؤرخون في مولد الشيخ البهائي مكاناً وزماناً أقوالاً مختلفة، ويكفينا لاختيار الصحيح الثابت منها، ما وجد بخط البهائي نفسه على نسخة من كتاب «الإرشاد» للعلامة الحلّي[٤]، وقد حكاه عن خط والده الشيخ حسين بن عبد الصمد، قال فيه إن ابنه أبا الفضائل، محمد ولد عقب غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٦م، دون تحديد مكان الولادة، ثم ذكر ذلك أن ابنه عبد الصمد وابن ابنته السيد محمد قد ولدا في قزوين[٥].

---

(١) *تكملة أمل الآمل* ص١٨٢، وكلمة الآن تعني حوالى ١٩٠٠م حين كتب السيد حسن الصدر [المتوفى سنة ١٩٣٥م] كتابه.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٦ ص٥٦ وج٩ ص٤١٣.

(٣) المصدر السابق ج٨ ص١٧.

(٤) **العلامة الحلي**: الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن زين الدين علي بن محمد بن مطهر الحلي المعروف بالعلامة الحلي والعلامة على الإطلاق ولد سنة ٦٤٧هـ ١٢٤٩م وتوفي سنة ٧٢٦هـ ١٣٢٥م، ترجمته في أعيان الشيعة ج٥ ص٣٩٦.

(٥) *رياض العلماء* ج١ ص١١٠ *وروضات الجنات* ص١٩١، *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٦٣، *الغدير* ج١١ ص٢٨.

نرجح انطلاقاً من هذا النص، أن البهائي قد ولد قبل هجرة أبيه إلى إيران، ولو كانت ولادته في غير موطنه الأول، لأشار الشيخ حسين إلى ذلك، كما أشار إلى ولادة ابن بنته في قزوين.

ويؤيد ذلك ما ذكره البهائي في سانحة من سوانحه في الكشكول حيث قال: «لو لم يأت والدي قدّس الله روحه من بلاد العرب إلى بلاد العجم، ولم يختلط بالملوك لكنت من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم، لكنه طاب ثراه، أخرجني من تلك البلاد وأقام في هذه البلاد»[١].

فقوله أخرجني صريح في أنه كان هناك، وقد صرّح المحبّي في نفحة الريحانة بذلك فقال: «وذلك أنه كان بالشام تكون خلقته، وبها بان رشده، .. ثم انتقل به أبوه..»[٢]، وفي ريحانة الألبا: «أن شجرته نبتت عروقها بنواحي الشام الزاهية المغارس»[٣]، كما صرّح ابن معصوم في السلافة «أنه ولد ببعلبك»[٤]، وهذا ينفي ما زعمه الخفاجي في الريحانة من أنه «..الشامي أصلاً ومحتداً، الفارسي «منشأ ومولداً»[٥]، وما زعمه أبو المعالي الطالوي من أنه ولد بقزوين[٦]، وما زعمه الصنّعاني أنه أصبهاني المولد وما زعمه شمس الدين سامي المؤلف التركي المشهور في «قاموس الأعلام»، حيث أثبت اسمه «بهاء الدين الآملي»[٧]، وأخطأ بين

---

(١) *الكشكول* ط. أعلمي ج١ ص٢١٣.

(٢) خرسان مقدمة *الكشكول* ج١ ص٣٣.

(٣) *ريحانة الألبا* ج١ ص٣٢.

(٤) *سلافة العصر* ص٢٩٠.

(٥) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٧.

(٦) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤١، ومستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤١٩، *والكنى والألقاب* ص١٠٠ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٥٩، وسعيد نفيسي ص٣٤.

(٧) مقدمة *أشعار وآثار شيخ بهائى* لسعيد نفيسي ص١٥ نقلاً عن قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ج٢ ص١٤١١.

«جبل عامل» الموجودة في بلاد الشام و«آمل»[١] مازندران، وما ذكره أحمد باشا رفعت من أنه ولد في آمل[٢] الكائنة على الضفة اليسرى لنهر جيحون[٣][٤]، ونقل عنهما قدري حافظ طوقان في الطبعة الأولى لكتابه «تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك» حيث قال: «وقد اختلف المؤرخون في البلدة التي ولد فيها، فبعضهم يقول إنه ولد في بعلبك، وآخرون يقولون في آمل الواقعة في شمالي إيران، ومن المؤلفين من قال إنه ولد في بلدة آمل الخراسانية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون. . . ولكنَّ الروايات تؤيد القول إنه ولد في آمل الإيرانية الواقعة على طريق مازندران. . . ثم أحضره والده إلى العجم، حيث أخذ العلم عن كبار علماء زمانه»[٥]، هذه العبارة الأخيرة تناقض ما جاء في حديثه

---

(١) يقول ياقوت إن **آمل** مدينة بمنطقة طبرستان إلى الجنوب من بحر الخزر (المعروف باسم بحر قزوين) ويعدد أشهر علمائها: معجم البلدان مادة آمل. ويذكر الدكتور محمد معين أن آمل اسم مأخوذ من اسم قبيلة غير إيرانية، وهي الآن من مدن إيران المهمة تبعد ٢٤٠ كلم عن طهران شمالاً، أهلها يتحدثون الفارسية بلهجة مازندرانية. ومنها خرج عدد من كبار العلماء والمحدثين وأهمهم محمد بن جرير الطبري، وفضل بن أحمد الزهري وأمير كبير، والسيد حيدر الآملي (المتصوف) *دائرة المعارف*، أعلمي ج٢ ص٢٥٧ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص٦٠.

(٢) **آمل أو آموى**: وبعد أن يتحدث ياقوت عن آمل مازندران يقول: «وكذلك آمل مدينة مشهورة في غربي نهر جيحون. . وتسمى أيضاً آمو وآمويه: معجم البلدان مادة آمل. ويذكر الدكتور معين أن آموى أو آمويه سهل وسيع في شمال خراسان على ساحل نهر جيحون، كما أن آموى هو الاسم القديم لنهر جيحون (الواقع الآن في آسيا السوفياتية سابقًا) وهو ينبع من جبال أفغانستان الشمالية وكان يصب قديماً في بحر الخزر، ولكنه يصب اليوم في بحيرة آرال. *لغت نامه* مج١ ص١٨٠ *ودائرة المعارف*: أعلمي ج٢ ص٢٥٧ وفرهنگ *فارسى* ج٥ ص٦٠.

(٣) **جيحون**: هو نهر آموداريا اليوم.

(٤) المرجع السابق ص١٥ ومهدي الخرسان مقدمة *الكشكول* ص٣٣ نقلاً عن *ريحانة الأدب* ج٢ ص٣٨٢.

(٥) *تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ط أولى* ص٤٢٧.

من أنه ولد في آمل الإيرانية، ولكنه عاد في الطبعة الثالثة من كتابه فألغى هذا المقطع واكتفى بقوله: «...من هؤلاء الذين ظهروا في القرن السادس عشر للميلاد، وبرزوا في العلوم الرياضية «بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي، أحضره والده إلى العجم حيث أخذ العلم عن كبار علماء زمانه»[1].

وقد نُشِرَ هذا الخطأ في دائرة المعارف (اللبنانية) في مادة آمل[2]، وأخذ عنه كثيرون، ولعل من قال إن البهائي ولد بقزوين اشتبه بأخيه عبد الصمد، ويمكن أن نضيف هنا معلومة جديدة أوردها الشيخ جعفر المهاجر في مجلة الثقافة الإسلامية وهي «أنّ رواية شفوية ما تزال حية متداولة حتى اليوم في «بعلبك» تقول إن البهائي ولد في قرية «إيعات» التي تقع شمالي غربي «بعلبك» على بعد خمسة كيلومترات منها... ويقول إن قرية «إيعات» كانت في ذلك الحين مسكناً لعائلة كبيرة تنتسب إلى «همْدان»، القبيلة التي ربما يعود إليها الفضل في نشر التشيع الإمامي في لبنان، ولعل الشيخ حسين بن عبد الصمد آثر السكن هناك بين أقاربه حيث ولد ابنه بهاء الدين»[3].

زمان ولادته (١٧ ذي الحجة ٩٥٣هـ ١٥٤٦م)

أما بشأن تحديد زمان ولادته، فإلى جانب النص المنقول عن خط الشيخ حسين بن عبد الصمد والذي يحدد السابع عشر من ذي الحجة

---

(١) *تراث العرب العلمي* ط ثالثة ص٤٧٤.

(٢) البستاني. *دائرة المعارف* ج١١ ص٢٤٤.

(٣) الشيخ جعفر المهاجر. *مجلة الثقافة الإسلامية*، مقالة بعنوان «بهاء الدين العاملي» العدد ١٦ ص١٥٣.

سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٦م[١]، تاريخاً لولادة ابنه البهائي (وهو مستند يغني عما سواه)، فإن السيد علي خان المدني (ابن معصوم)، صاحب السلافة، وهو أقرب شخص إلى زمانه وأكثر المؤرخين اطلاعاً ومعرفة بأحواله، قد حدد ولادته أيضاً «غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث عشر بقين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة»[٢].

---

(١) إن هذا هو التاريخ الصحيح لولادته ولكن تحريفاً طرأ على هذا التاريخ بسبب خطأ النسّاخ في نقل بعض عبارات المخطوطات، وهذا أمر عادي جداً، ولذلك جرى الخلط عند الناقلين عن «السلافة»، أو عند الذين حققوها بين «ثلاث عشر بقين» وبين «ثلاث بقين»، وفي *لؤلؤة البحرين* المطبوعة ج١ ص١٥٧، أنه ولد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ بينما نقل سعيد نفيسي عن إحدى نسخ *اللؤلؤة* أنه ولد في بعلبك غروب الخميس ١٧ محرم: *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٢٣. كذلك ينقل صاحب *مستدرك الوسائل عن اللؤلؤة* أنه ولد في بعلبك في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ ج١١ ص٢٨٠. كما نقل سعيد نفيسي عن إحدى نسخ *روضات الجنات* أنه ولد في ١٧ محرم وفي *روضات الجنات* المتداولة أنه ولد في بعلبك دون تحديد اليوم والشهر والسنة: *روضات الجنات* ج٧ ص٦٨. وفي نسخة مطبوعة قديمة منها نقل عنها الشيخ عبد الله نعمة ذكر أنه ولد في بعلبك في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ، فلاسفة الشيعة ص٣٩٨ نقلاً عن *روضات الجنات* ص٥٣٢ (لم يذكر تاريخ الطبعة ولا مكانها). ويذكر الدكتور محمد التونجي ولادته في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ نقلاً عن *أمل الآمل*: بهاء الدين العاملي ص١٤، مع أن التاريخ كما ورد في *أمل الآمل* هو «ثلاث بقين من ذي الحجة الحرام، نقلاً عن السلافة ج١ ص١٥٧».

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٢٣ نقلاً عن الحدائق الندية في شرح فوائد الصمدية، وكما حكاه عن سلافة العصر أصحاب: *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٠ *ومستدرك الوسائل* ج٣ ص٤١٨ *والغدير* ج١١ ص٢٨٠ *والكنى والألقاب* ج٢ ص١٠٠، *وبحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٠٨، *ونزهة الجليس* ج١ ص٣٧٨ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٤. كل هؤلاء ذكروا أن ابن معصوم قال إنه ولد لثلاث عشر بقين من ذي الحجة. إنما في نسخة السلافة المطبوعة المتداولة ذكر أنه ولد لثلاث بقين من ذي الحجة.

الهجرة إلى إيران

إن آخر تاريخ يثبت وجود الشيخ حسين بن عبد الصمد في لبنان هو سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٧م، حيث قابل وشيخه الشهيد فهرست الطوسي، وكتب الشهيد سماعه بالمقابلة في آخر النسخة، وكان ذلك في مجالس آخرها في ١٥ رمضان سنة ٩٥٤هـ ١٥٤٨م[١].

والظاهر أنه بعد هذا التاريخ، سافر مرة أخرى إلى العراق، إما للتدريس وإما بقصد الزيارة، لأن ثمة نصاً يدل على وجوده في العراق سنة ٩٥٨هـ ١٥٥١م، فقد سجل سماعه قراءة بعض تلامذته عليه شرحه لألفية الشهيد في الحائر الحسيني بكربلاء في ذلك التاريخ[٢].

وهذا يفسر ما ذكره ابن العودي الجزيني عن الشيخ حسين أنه «. .كان رفيق الشهيد إلى مصر في طلب العلم، وإلى اسطنبول في المرة الأولى. . وفارقه إلى العراق وأقام بها مدة، ثم ارتحل إلى خراسان، واستوطن هناك الآن أدام الله توفيقه»[٣].

أما عن تاريخ الهجرة فثمة قول لمؤرخ صفوي معاصر للبهائي هو إسكندر المنشي، ذكره في كتابه «عالم آراى عباسى» وفيه أن الشيخ حسين بن عبد الصمد هاجر إلى إيران في أيام الشاه طهماسب بعد شهادة شيخه الشهيد الثاني[٤]، وردد هذا القول عدة أشخاص من المتأخرين،

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٦ ص٥٦.

(٢) *رياض العلماء* ج٢ ص١٠٨ ومقدمة *الكشكول* لمهدي الخرسان ص٣٧.

(٣) مخطوط *بغية المريد* ص٥٠. وكان ابن العودي من تلامذة الشهيد الثاني قد هاجر إلى إيران قبل مقتل أستاذه بثلاث سنوات، وكلمة الآن تعني زمن كتابة المخطوط، ونحن لا نعرف تاريخ كتابته بالتحديد وإنما يتضح أنه كتبه بعد سنة ٩٦٦هـ.

(٤) نفيسى، *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٥ و١٦، وغلام حسين جواهري كليات شيخ =

اعتماداً على ما جاء في مقدمة رسالة الدراية، التي ألفها في إيران حيث قال: «وما حثني على تأليف هذه الرسالة، بعد هربي من أهل الطغيان والنفاق، وأوجبه عليّ بعد اتصالي بدولة الإيمان والوفاق»[1]، فالمقصود بأهل الطغيان السلطات العثمانية التي آذت علماء جبل عامل وغيرهم من الشيعة الواقعين تحت سيطرتهم، أما أهل النفاق فهم أولئك الذين كانوا مستعدين ـ تقرباً من السلطات الحاكمة ـ لأن يلصقوا التهم جزافاً بأي إنسان من قبيل أنه مبتدع، أو أنه على علاقة بالصفويين[2]، كما أن النص المنقول عن الشيخ حسين بحد ذاته، لا يعني أن الهجرة تمت بعد مقتل الشيخ الشهيد، لأننا ذكرنا أن الشهيد عاش حالة من القلق والخوف والتستر قبل مقتله بإحدى عشرة سنة أو أكثر..

وجاء في تحفة العالم، «أن الشيخ حسين بن عبد الصمد كتب من بلاد العجم إلى شيخه الشهيد الثاني، كتاباً في نهاية الحسن والبلاغة ومنه قوله:

ولطالما كانت تطفحُ عليَّ نشوة الإقبال والقبول، وتهزّني هزة الوصول إلى المأمول فأترنّم بأبيات يكشفُ عندها الهواء، وتقف لديها الأهواء، وأثبّتُها في رسالتي هذه ليلتئم شمسُها ببدرها، وتَمزُجَ عذبَ زهرِها بفرائد بحرِها، وتتشرفَ بنظرك ومجلسك الرحيب، ويثبت لها قدم صدق عند كل لبيب، وهي هذه:

ومرسلِ صدغٍ قد دعا الناس للهوى　　جهاراً فآمنَّا وإن لم يدع أمنا

= بهائى ص٣، وقد أخطأ غلام حسين جواهري عندما ذكر أن الشيخ حسين كان محل اهتمام الشاه محمد خدابنده ورعايته لأن المعروف أن الشاه المذكور تولى العرش بعد أكثر من سنة ونصف من وفاة الشيخ حسين.

(١) *رياض العلماء* ج٢ ص١١٨.

(٢) انظر علي الزين: للبحث عن تاريخنا في لبنان ص٢٩٨ وما بعدها.

أرانا هوى يولي هوانا لذي النّهى | ولم يولِنا يمناً بيسرى ولا يمنى
وأسلَمنا للموت عمداً ولم يكن | ليُحييَ بالحسنى وقد ملك الحسنى
أقول وقد أبدى من الشعر منطقاً | بوعدٍ وما هنّا غرامي ولا هنّا
يمنّي بوصلٍ لا يمنّ ببذله | بنفسي من منَّى زماناً ولا منّا
نعمنا به لكن منعنا من المنى | وإذ صدَّ عنا قبل نيل المنى عنَّا
وسلَّ لدينا الموت إذ سلَّ جفنُه | فيا حسنَ ما سلاّ ويا حسن ما سنّا
نسيم الهوى إن أنَّ من لوعة الهوى | فلا تعجبوا أنّي أئن وقد أنَّا
وليل الجفا والصدّ جنى وأظلما | فلا بد إذ جنى لمثلي إذ جنّا
وأسقمنا ذاك الجفا بل أماتنا | فيا ليلتي عودي فإن عدتما عدنا
ويا قوم لبنى لا بعدتم فإننا | إلى قربكم لبنا وإن بعُدت لبنى[1]

فهذا النص يدل دلالة واضحة على أن الهجرة تمت في حياة الشيخ الشهيد، ولعلّها كانت في أواخر الخمسينات، وقد ذكرنا أنه كان في العراق سنة ٩٥٨هـ ١٥٥١م.

وإذ كان الشيخ حسين في العراق أرسل إليه «الشيخ علي المنشار[2]، شيخ الإسلام في إصفهان يطلبه، ولما جاء أخذ في

---

(١) مهدي الخرسان: مقدمة *الكشكول* ص٣٧ نقلاً عن تحفة العالم ج١ ص١٣٨.

(٢) **الشيخ علي المنشار العاملي** عالم جليل، فقيه كبير من المروجين للدين، كان ذهب إلى الهند، وحصّل كتباً كثيرة، وجاء بها إلى أصفهان أيام الشاه طهماسب الصفوي وتقدم عنده، حتى إذا توفي أستاذه المحقق الثاني الكركي، صار شيخ الإسلام. وهو أبو زوجة البهائي، كانت كتبه تقدر بأربعة آلاف مجلد، ورثها لابنته زوجة البهائي، *مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤٢١، *تكملة أمل الآمل* ص٤٤٧، *وأعيان الشيعة* ج٨ ص٣٦٩. هو الشيخ علي بن هلال الكركي الشهير والده بمنشار (. . . ٩٨٤هـ ١٥٧٦م)، نشأ في الكرك ثم رحل إلى أصفهان والهند. . . توفي سنة ٩٨٤هـ حسبما وجد بخط أحد تلاميذه (نقلاً عن حسن نصرالله. تاريخ كرك نوح ص١٤٨). وهذا غير صحيح.

ترويجه»[1].

يؤيد رأينا أن الهجرة تمت في حياة الشيخ الشهيد ما جاء في السلافة في ترجمة البهائي: «إن والده انتقل به وهو صغير إلى الديار العجمية»[2] (كانت ولادته سنة ٩٥٣هـ وإذا صدقنا أن أباه سافر بعد مقتل الشهيد سنة ٩٦٦هـ فيكون عمره ثلاث عشرة سنة[3]، وجاء في روضات الجنات أن عمره كان سبع سنين لما انتقل به أبوه إلى إيران[4]، ويلمح إلى هذا الأمر كذلك قول المحبي: «ثم انتقل به أبوه إلى قزوين، وهلاله آخذ في تدويره وذهنه في مبادىء ملاحظته للدقائق وتصويره، فاستكمل فضائله المعجبة وصير عندها فضائل الأول كالمحتجبة»[5].

وقد روى المحدث البحراني عن بعض مشايخه أن عمر البهائي يوم هاجر به أبوه كان سبع سنين[6].

وبما أن ولادة البهائي كانت في ذي الحجة سنة ٩٥٣هـ ١٥٤٧م، فتكون هجرة الشيخ حسين أواخر سنة ٩٦٠هـ ١٥٥٢م، أو أوائل سنة ٩٦١هـ ١٥٥٣م.

وقد قال المولى مظفر علي تلميذ البهائي في رسالته التي خصصها لترجمة أستاذه: «وقد توجه الشيخ حسين بن عبد الصمد في دولة الشاه

---

(١) *تكملة أمل الآمل* ص٢٨٠.
(٢) *سلافة العصر* ص٢٩٠.
(٣) لو أنه هاجر وهو في الثالثة عشرة، لما فارقه الحنين إلى وطنه في ما بعد، كما سنرى في دراستنا لشعره العربي والفارسي على السواء.
(٤) *روضات الجنات* ج٧ ص٨١، و*مطلع الشمس* ج٢ ص١٥٩، ومقدمة *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٢٧.
(٥) *نفحة الريحانة* ج٢ ص٢٩٢.
(٦) *لؤلؤة البحرين* ص٢٤، وأخذ عنه الشيخ عبد الله نعمة في فلاسفة الشيعة ص٤٠٣.

طهماسب الصفوي مع كافة أهل بيته وأتباعه إلى إصفهان، فأقام بها ثلاثة أعوام مستقلاً بالإفادة، وكان السلطان المبرور يومئذٍ بقزوين، مستقر السلطنة، فلما اطلع على خبر هذا الشيخ، أرسل إليه بتحف وهدايا فاخرة، يلتمس منه شخوصه إليه في تلك البلدة، فقبل الشيخ واتصل بالسلطان وحظي بما لا مزيد عليه من التكريم، وفوّض إليه منصب شيخ الإسلام بقزوين واستمرَّ على ذلك سبع سنين»[1].

إذاً ظلَّ الشيخ حسين وعائلته في إصفهان (وكانت حينئذٍ بلدة عادية قبل أن تصبح عاصمة الصفويين زمن الشاه عباس الكبير) ثلاث سنين، انتقل بعدها إلى قزوين، آخر سنة ٩٦٣هـ ١٥٥٥م، أو أوائل ٩٦٤هـ ١٥٥٦م. لقد كان في قزوين في الثالث من صفر سنة ٩٦٦هـ ٢١ أيلول ١٥٥٨م، حين ولد ابنُه عبد الصمد وحفيده السيد محمد كما ذكرنا آنفاً، ولقد تولى مشيخة الإسلام في أواخر ذي القعدة سنة ٩٦٨هـ ١٥٦١م، بعد أن استدعاه الشاه إليه، ذكر ذلك في مقدمة كتابه: «رسالة في تطهير الحصر»[2].

في قزوين كان موضع عناية الشاه ورعايته، فهو شيخ الإسلام، وإليه يرجع في الأحكام، يكتب الكتب باسم الشاه طهماسب إلى السلاطين على لسانه، فهناك رسالة جوابية بخط الشيخ حسين بن عبد الصمد، يردّ فيها الشاه طهماسب على السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٨هـ ١٥٥٩م[3]، ردّاً على الكتاب الذي طلب فيه السلطان سليمان من

---

(١) *أمل الآمل* ج١ ص١٥٧ و*رياض العلماء* ج٢ ص١٢٠ ومهدي الخرسان مقدمة *الكشكول* ص٣٨.

(٢) رسالة في تطهير الحصر «مخطوطة في مكتبة آل كاشف الغطاء في النجف رقم ٩٧١، ذكر ذلك الشيخ جعفر المهاجر في *مجلة الثقافة الإسلامية* ج١٦ ص١٥٥.

(٣) هذه مقدمة الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، المخاطب بما =

الشاه طهماسب أن يردّ ابنه بايزيد الذي فرّ منه والتجأ إلى الشاه، فآواه وأكرم مثواه[1].

نعود إلى نص مظفّر علي: «واستمرّ على ذلك سبع سنين أيام إقامته في قزوين، وكان يقيم بها إذ ذاك صلاة الجمعة[2] أيضاً من غير احتياط بإعادة الظهر، لقوله بعينيتها كما هو مذهب شيخه الشهيد، ثم صار ذلك المنصب له بأرض المشهد الرضوي على مشرفها السلام، وانتقل إليها وأقام بها أيضاً برهة[3].

= أرسلناك إلا رحمة للعالمين، محمد رسول الله، والذين آمنوا معه، أشداء على الكفار، ذلك جدنا سيد الأولين والآخرين، صلوات الله وسلامه عليه». . إلخ وفيها يطلب من السلطان أن يسامح ابنه ويعطيه الأمان ليعود إلى بلاده. وقد جاء في رياض العلماء ج٢ ص١٢٠ أنّ تاريخ الرسالة ٩٦٧هـ ١٥٥٩م، أما سعيد نفيسي فيذكر أنها كتبت سنة ٩٦٨هـ ١٥٦٠م، وأنه رأى الرسالة بنفسه مع رسائل أخرى للشيخ حسين بن عبد الصمد عند أحد أصدقائه في تبريز.

(١) جاء في المعاهدة التي عقدت بين السلطان سليمان القانوني والشاه طهماسب الصفوي سنة ٩٦١هـ ١٥٥٣م أن يتعهد كل منهما أن يعيد إلى الآخر أيّ أمير، أو قائد جيش يفر من بلده ويلتجىء إلى البلد الآخر. . . ولكن حدث أن عزل السلطان سليمان ابنه الصغير بايزيد عن حكومة كوتاهية، وولّى عليها ابنه الأكبر سليما، الذي عينه ولياً للعهد فلم يرضخ بايزيد للأمر، وخرج محارباً أخاه، ولكنه هزم أمام جيوش أبيه، وأرسل إلى الشاه طهماسب رسالة يطلب فيها أن يلتجىء إلى إيران فأمّنه الشاه، وسمح له باللجوء إليه، ووعده أن لا يسلمه لأبيه. . فأرسل السلطان سليمان يطلب إلى الشاه طهماسب تسليمه بايزيد. . .» *زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) إن بين علماء الشيعة اختلافاً حول صلاة الجمعة فبعضهم يرى وجوب الجمعة عيناً كالشهيد الثاني وتلامذته (مخطوط ابن العودي الجزيني ص٤٧) وآخرون يَرَوْنَ وجوبها تخييراً بشرط كون الإمام فقيهاً مجتهداً جامعاً لشرائط الفتوى (*الأعيان* ج٥ ص٤٧٦) وبعضهم يشترط إذن السلطان العادل فيها (*الأعيان* ج٥ ص٢٠٢)، أما الإخباريون فقد كانوا يقولون بعدم مشروعية صلاة الجمعة في زمن الغيبة (*الأعيان* ج٦ ص٣٥٥).

(٣) *رياض العلماء* ج٢ ص٢٨٨.

إذا كانت هجرته إلى إيران حدود سنة ٩٦٠هـ ١٥٥٣م، وإذا أضفنا إليها مدة إقامته في إصفهان، وهي ثلاث سنين، وإقامته في قزوين وهي سبع سنين، فيكون في مشهد أواخر سنة ٩٧٠هـ ١٥٦٣م. وأقدم نصّ يحدّد تاريخ وجودِهِ في مشهد إجازته لأحدِ تلامذته في ٩ جمادى الأولى سنة ٩٧١هـ ١٥٦٤م[١]، وكذلك إجازته لولديه بهاء الدين محمد وعبد الصّمد في شهر رجب سنة إحدى وسبعين وتسعمائة في المشهد المقدّس الرضوي[٢]. وقد صرّح البهائي في كتابه الأربعين بوجوده سنة ٩٧٢هـ في المشهد الرضوي، حيث اطّلع على الكتاب الضخم الذي أفرده بعض العلماء للقضايا الغريبة المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد صرّح البهائي بسماعه عن والده في دارهم بالمشهد الرضوي في التاريخ المذكور[٣]، كما أن كل المؤرخين الذين تحدثوا عن وفاته، ذكروا أنه دُفِنَ في المكان نفسه، الذي كان محل إقامته حين كان يعيش مع أبيه في المشهد الرضوي.

في هراة: سنة ٩٧٥هـ ١٥٦٨م، صدر الأمر إلى الشيخ حسين بن عبد الصّمد أن يتوجّه إلى هراة[٤]، بعد فتح الشاه طهماسب لها، وذلك

---

(١) *الذريعة* ج١ ص١٨٦ وخرسان *مقدمة الكشكول* ص٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج١٠٥ ص١٨٩ *ورياض العلماء* ج٥ ص٩٤، وطالما أنه كان في مشهد سنة ٩٧١هـ وقد أقام قبل ذلك عشر سنوات في إيران، ثلاثاً منها في أصفهان وسبعاً في قزوين، فمن الطبيعي أن تكون الهجرة كما ذكرنا أولاً سنة ٩٦٠هـ أو ٩٦١هـ أي قبل مقتل الشهيد الثاني.

(٣) كتاب «الأربعين حديثاً» ذيل حديث ٨٢ ص١٨١، ط تبريز وص٢٦ و٣١١ طبعة خاتون آبادي.

(٤) هراة اسم مدينة في خراسان قديماً ورد ذكرها في الفصل الأول كان من نصيبها أن تعاني أكثر من أي مدينة أخرى باستثناء مشهد المقدسة غارات الأوزبك المتعصبين وهي الحد الفاصل بين الدولة الصفوية ودولة الأوزبك الشيبانيين وسط آسيا. دخلها الشاه إسماعيل أول مرة العام ٩١٦هـ ١٥١٠م، وكانت مسرحاً لأفظع =

لإرشاد أهلها، وجلّهم على غير مذهب أهل البيت، وغير خفيّ حرج مثل هذا الموقف، ففعل واستمر ثماني سنين بإفادة العلوم الدينية وإجراء الأحكام الشرعية فيها، وتوجّه إلى حضرته الطلبة، بل العلماء والفقهاء من الأطراف والأكناف من أهل إيران لأجل سماع الحديث وأخذ العلوم الدينية وتحقيق المعارف الشرعية ووهبَهُ السلطان ثلاث قرى من مزارعها المعمورة، وورد أمرُ الشاه طهماسب إلى حاكم خراسان، بأن يحضر ولده الأمير «محمد خدابنده» كل يوم جمعة بعد الصلاة إلى الجامع الكبير لسماع الفقه والحديث على الشيخ حسين[1]، وأن ينقاد إلى جميع أحكامه وفتاويه لئلا يجسر بعد ذلك أحد على مخالفته[2].

ويبدو أن البهائي صَحِبَ أباه سنة ٩٧٥هـ ١٥٦٧م في أول سفره إلى هراة ومكث هناك مدة ثم فارقها إلى قزوين، فقد ذكر في كتابه «الكشكول» أنه رأى في هراة كتاب «كلهُ سر» الذي يتحدث فيه صاحبه عن العلوم المكتومة، قال: «رأيته في محروسة هراة سنة ٩٧٥هـ»[3].

كما أنه ألّف في هراة كتاب «الفوائد الصمدية في النحو» لأخيه عبد الصّمد وسمّاه باسمه، وأتم تأليفه في شوال سنة ٩٧٥هـ ١٥٦٧م، وقد نظم البهائي مادة تاريخه بقوله:

بسابِع شهر شوَّالِ ... جَنَينا زَهْرَ أكمامه
و(سابع شهر شوّال) ... غدا تاريخ إتمامه[4]

= أخطائه، حيث أمر بقتل جماعة من أهل السنة بينهم شيخ الإسلام فيها: مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٣٢.

(١) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢١.

(٢) المصدر السابق ج٣ ص٤٣٢ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٥٨.

(٣) *الكشكول* ط. أعلمي ج٣ ص٣٥٤.

(٤) سابع ١٣٣ + شهر ٥٠٥ + إتمامه ٣٣٧= ٩٧٥. *روضات الجنات* ج٧ ص٦٨ *والذريعة* ج١٦ ص٣٤٥ *والغدير* ج١١ ص٢٦١.

كان عبد الصمد دون العاشرة من عمره كما «أن من المظنون به قوياً أن البهائي ألفه لأخيه وهو معه يتولى تدريسه المبادىء»[1].

ليس في آثار البهائي ما يشير إلى بقائه في هراة بعد سنة ٩٧٥هـ ١٥٦٧م[2]، ولا ما يثبت وجوده في قزوين قبل سنة ٩٧٩هـ[3]، فإنا نعثر على رسالة شعرية كتبها في قزوين، وأرسلها إلى أبيه في هراة سنة ٩٧٩هـ ١٥٧١م، وهذا أول تاريخ يدلنا على وجوده في قزوين بعيداً عن أبيه:

يا ساكني أرض الهراة أما كفى ... هذا الفراق بلى وحق المصطفى

عودوا عليَّ فربعُ صبري قد عفا ... والجفن من بعد التباعد ما غفا

وخيالكم في بالي، والقلب في بلبال[4]

---

(١) الخرسان. *مقدمة الكشكول* ص٤٥.

(٢) أما قول السيد محسن الأمين أن البهائي كان مع أبيه في هراة مدة إقامته فيها فالوقائع لا تؤيده: انظر *الأعيان* ج٦ ص٥٩.

(٣) سنة ٩٧٦هـ ١٥٨٦م «توفيت خديجة زوجة الشيخ حسين بن عبد الصمد والد البهائي وحملت جنازتها إلى المشهد الرضوي» (*أعيان الشيعة* ج٦ ص٩٣)، وقد أرَّخ الشيخ حسين على عادته وفاة زوجته: «توفيت زوجتي خديجة بنت الحاج علي في هراة سنة ست وسبعين وتسعمائة (رياض العلماء ج٢ ص١١٠). ويُحتمل أن خديجة هذه ليست أم البهائي: أولاً لأنه لم يرثِها كما رثى أباه في ما بعد، وليس في آثاره ما يشير من قريب أو بعيد إلى وجود أم في حياته إذ ربما تكون قد ماتت وهو صغير. ثانياً: العلاقة الوثيقة بين الشيخ حسين وابنه، وتعلق الابن بأبيه لا تفسّر إلا أنه كان بالنسبة إليه الأم والأب والمعلم، ثالثاً: لو كانت أمه لما قيل زوجة والد البهائي ولقيل والدة البهائي، كما قيل: جد البهائي، والد البهائي، أخ البهائي، تلميذ البهائي.

(٤) *ريحانة الألبا* ج٢ ص٢٩٤ و*سلافة العصر* ص٢٩٦ وفي *الكشكول* ط. أعلمي، أنه كتبها سنة ٩٨٩هـ وهو من سهو النساخ، وقد ورد هذا الخطأ أيضاً في *الغدير* ج١١ ص٢٧٤ وعند الدكتور التونجي ص١٤٣.

كما كتب سنة ٩٨١هـ ١٥٧٣م إلى والده في هراة من قزوين:

بـقـزويـن جـسـمـي وروحـي ثـوت بــأرض الــهــراة وسـكّــانــهــا
فــهــذا تــغــرّب عــن أهــلــه وتــلــك أقــامــت بــأوطــانــهــا[1]

يوحي جو الموشحة باكتئاب يخيّم على نفس الشاعر لطول الفراق، كما أن البيتين يوحيان بالسأم والحزن، وعلى الرغم من ذلك فهو في قزوين لمتابعة دراسته في العلوم العقلية، كما أن نفسه كانت متفتحة بعطاء مثمر وهو في عنفوان الشباب فألّف رسالته في تحقيق مقدار الكر، ذكر في خطبتها أنه كتبها باسم السلطان طهماسب[2]، ويحتمل أن يكون قد ألّف كتاب المخلاة في هذه الحقبة، لأنه يشير في مقدمة الكشكول أنه ألّفه في عنفوان الشباب.

---

(١) *الكشكول*، أعلمي ج١ ص٤٩ وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٠ و*سلافة العصر* ص٣٠٠، و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

(٢) هي رسالة مطبوعة مع كتابيه «مشرق الشمسين والحبل المتين» منشورات مكتبة بصيرتي. قم من ص٣٧٤ إلى ص٣٨١ يقول في مقدمتها: «وبعد فيقول الفقير إلى الله الغني، بهاء الدين محمد العاملي، عامله الله بلطفه وإحسانه.. إن أحق ما صرف إليه المكلف همته وبيّض في الخوض فيه لمته، وأنفذ في مزاولته عمره، وأراض في مداولته فكره، هو علم الفقه الذي هو لعمر الله أرجح المطالب وأعلاها، وأنجح المكاسب وأغلاها... ولما حان حين ختامها وبرزت أزهارها من أكمامها، أحببت أن يسمو قدرُها ويلوحَ على سماء العزّ بدرُها، فرسمتها باسم من سمت باسمه رؤوس المنابر في الآفاق، وسما في سماء السموّ على سرير الملك بالإرث الاستحقاق.. الذي منتهى مطلبه تشييد قواعد شرائع الإسلام على قانون آبائه الطاهرين ونهاية مقاصده إحياء علوم الدين بالإرشاد والهداية إلى منهاج الأئمة المعصومين وقصارى منيته كشف الغمّة عن الأمّة بإيضاح الحقّ ونهج اليقين.. أعظم ملوك الأرض شأناً وأعلاهم منزلاً ومكاناً وأشملهم عدلاً وإحساناً.. السلطان ابن السلطان ابن السلطان أبو المظفر شاه طهماسب بهادر خان ...» *رسالة الكر* ص٣٧٥.

وهكذا بدت في هذا الدور الدلائل واضحة على ما ستقدمه تلك العقلية الناضجة من علوم نافعة، على ما كان يحزّ في نفس صاحبها من مفارقته لأهله طيلة ثماني سنوات فقد ذكر في مقدمة رسالة الكر: «. . .أوردتُ في هذه الرسالة ما لا بد منه ولا غنية للطالب عنه ليكون محيطاً بكيفية مساحته على اختلاف أنواعها. . . ممثلاً لما عساه يحتاج إلى المثال على حسب ما اقتضاه الحال مع تشتّت البال بمقاساة أمورٍ تُحدِثُ في الطبع كلالاً وتورث النفس من الحياة ملالاً»[1].

(هجرة الأب من إيران):

سنة ٩٨٣هـ ١٥٧٥م، غادر الشيخ حسين بن عبد الصمد هراة إلى قزوين لملاقاة الشاه بها، وطلب الرخصة منه له ولولده البهائي بالحج إلى بيت الله الحرام وهو يضمر في نفسه أمراً، فأذن الشاه له، ولم يأذن لولده البهائي، وأمره أن يقوم مقام أبيه في هراة[2]، وكان هذا أول منصب رسمي يتولاه البهائي.

نتساءل لماذا ترك الشيخ حسين بن عبد الصمد إيران، وهو لم يَلْقَ فيها إلاّ كل تعظيم وإكرام؟ أقول لعله لم يستسغ فيها الترف والجاه والتعظيم المبالغ فيه، ولربما كان لحالة الشّظف التي كان يعيشها علماء جبل عامل، أساتذته، والزهد والقناعة والجدّ والكدّ والعمل للمعاش والمعاد، الأثر الكبير في ذلك الأمر، فهذا أستاذه الشهيد الثاني، وهو من أعظم العلماء وأكبر الفقهاء، يحرس الكرم ويطالع الدروس، وفي الصباح يلقي الدروس على الطلبة، ويحتطب لعياله ليلاً، ويشتغل

---

(١) *رسالة الكر*: المقدمة ص٣٧٥.

(٢) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢١ و*الأعيان* ج٦ ص٥٩.

بالتجارة أحياناً، فيتّجر بالشريط ويحمله إلى البلاد النائية، ويسافر مع من لا يعرفون قدرَهُ، ويباشرُ بناءَ داره ومسجده، ودارُه مفتوحة للضيوف والواردين وغيرهم، يخدمهم ويباشر أمور بيته ومعاشه بنفسه، من غير وكيل ولا مساعد يقوم بها، ومع ذلك كان في أغلب أوقاته في حالة الخوف والتستر والاختفاء[١].

هذه كانت حالة علماء جبل عامل، وهكذا كان يعيش الشيخ حسين وأستاذه، قبل ذهابه إلى إيران، وفي إيران وجد العلماء آمنين ولهم وكلاء قائمون بمصالح معيشتهم، بحيث لا يعرفون إلا العلم وممارسته، بعضُهم يعيش في قصور شاهقة، ورياض ناضرة، ولهم الخدم والحشم وسعة المعاش[٢]، فلعلّه لم يستسغ كل هذا. صحيح أنه وجد الأمان في إيران، ولم يلق إلا كلّ ترحيب وتعظيم، ولكنه لم يجد الراحة النفسية، «فإن عالم السياسة وأهلها مختلفٌ في مقاييسه عما يحرك فقيهاً وعالماً كبيراً مثله، كان قبل ذهابه إلى إيران يسعى مع أستاذه إلى التقريب بين المذاهب، وها هو يرى أنّ التعصب المذهبي الذي عانى منه هو وأنداده في جبل عامل، وجعله يفر بنفسه وبأهله إلى إيران، له مثيل في تعامل حكام إيران مع العلماء المخالفين، وقد يكون السبب صعوبة الموقف الذي وضعه فيه الشاه بتعيينه في منصب شيخ الإسلام في هراة[٣]

---

(١) *بغية المريد المخطوط* ص١٢ و١٣.

(٢) وقد أجرى السيد محسن الأمين مقارنة طريفة بين حالة علماء جبل عامل وحالة العلماء في إيران: *الأعيان* ج٩ ص٢٣٩ و٢٤٠.

(٣) لا مجال للمقارنة بين تعصب العثمانيين وتعصب الأوزبك. يكفي أن نذكر أن سلاطين العثمانيين، عندما كانوا يسيطرون على العراق كانوا يتبركون بالمقامات الشريفة كما فعل السلطان سليمان القانوني عام ٩٤١هـ ١٥٣١م بالنسبة إلى النجف وكربلاء، والسلطان مراد الثالث الذي زار المراقد المباركة في الكاظمية وكربلاء والنجف، ورمم الحائر الكاظمي وأعاد تعميره (العتبات المقدسة قسم النجف ج٦ =

بالذات، وهي التي عانت أكثر من غيرها من نتائج الصراع المذهبي بين الصفويين وأعدائهم من السنة الأوزبك الذين كانوا أكثر تعصباً من العثمانيين، فإنّ الدارس المحقق ليتساءل هل يستطيع الإنسان الهارب من بطش العثمانيين وتعصّبهم أن يعيش وسط أناس أكثر تعصّباً وتحدّياً؟ فهل صعوبة المهمة واستحالتها هي التي جعلت الأب ينجو بنفسه متوسلاً بالحج بعد أن أقام فيها ثماني سنوات؟ ففرَّ إلى مكة قاصداً الجوار فيها إلى أن يموت؟

ولكنَّ مكة والمدينة كانتا تحت سيطرة العثمانيين، وكان الشيعة فيها يتعرضون للضغط والتهديد، بسبب ردات الفعل المهلكة[1]، لذا لم يجد أخيراً له موئلاً سوى البحرين التي تشبه الحياة فيها، الحياة في جبل عامل، وكان قد دفعه إلى قرار الانتقال إليها سببٌ خارجي، فقد كان رأى في المنام أنّ القيامة قد قامت، وجاء الأمر من الله سبحانه، بأن تُرفَعَ أرضُ البحرين بما فيها إلى الجنة، فلما رأى هذه الرؤيا، آثر الجوار فيها والموت في أرضها[2]، وكانت البحرين عامرة بالمدارس والدراسة، وفيها عدد غير قليل من الفقهاء والمحدثين والأدباء[3].

= ص١٦٠ و٢٠٨ وقسم كربلاء ج٨ ص٢٦٥ وقسم الكاظميين ج٩ ص١٣٠)، بينما لما حاصر عبد الله خان الأوزبكي مشهد المقدسة عام ٩٩٨هـ ١٥٨٩م نهب جنوده الروضة المقدسة وأخذوا كل ما فيها من القناديل المرصّعة والذهب والفضة والكتب والمصاحف، وظلوا ينهبون ثلاثة أيام وقتلوا العلماء والسادات والصلحاء الذين استجاروا بالروضة المقدّسة (*أعيان الشيعة* ج١٠ ص٣٦ ـ ٥٠ و٨٧).

(١) نقل الخوانساري عن السيد نعمة الله الجزائري قوله: «إن علماء الشيعة في مكة كتبوا إلى علماء إصفهان.. إنكم تسبّون أئمتهم في إصفهان، ونحن في الحرمين نُعذَّب بذلك اللعن والسب». *روضات الجنات* ط٢ ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٠.

(٣) *سلافة العصر* ص٢٩٥.

..ولما سمع علماء البحرين بقدومه، وكان لهم مجمع يجتمعون فيه للدرس، ويحضره الفضلاء منهم في مسجد من مساجد قرية «جد حفص»[1]، دعوه إلى ذلك المجمع، وليس في ذلك الوقت فيهم من هو في مرتبته، واتفق البحث كما هي العادة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع، فتصدى الشيخ داود بن مشافيز أو ابن أبي شافيز[2] لمجادلته، وكان حاذقاً في الجدل والمناظرة، فلما انفضَّ المجلس، رجع الشيخ حسين إلى بيته وكتب هذين البيتين اللذين يدلان على أن جَدَلَه كان في غير محلِّه:

أنـاسٌ فـي أوالٍ قـد تـصـدّوا   لمحوِ العلم واشتغلوا بلِمْ لِمْ
إذا باحثْتَهم لم تلقَ فيهم   سوى حرفين لِم لِم لا نسلّم[3]

ولقد جرت بين الأب في البحرين والابن في قزوين كتابات، منها لغز نقله السيد نعمة الله الجزائري كان الشيخ الوالد كتبه في ١٨ ذي الحجة سنة ٩٨٣هـ ١٥٧٦م[4]، ومنها رسالة كتبها الشيخ حسين من البحرين إلى ولده البهائي الذي خلفه في مقامه بأمر الشاه، وتولّى مشيخة الإسلام بهراة، يطلب إليه فيها أن يأتي إليه في البحرين: **«فيا ولدي، لو كنت تطلب شيئاً لدنياك، فاعمد بلاد الهند، وإن حاولت الآخرة فالحق**

---

(١) **قرية جد حفص**: لم أجد لها تعريفاً في معجم *البلدان* ولا في *المعاجم الحديثة* ولعلها قرية صغيرة.

(٢) داود بن مشافيز حسب رواية مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢٨، أما السيد محسن الأمين فقد قال عنه «الشيخ داود بن محمد بن عبد الله بن أبي شافيز الجد حفص البحراني المتوفى سنة ١٠٢٠هـ ١٦١٢م، كان جدلياً حاذقاً في علم المناظرة» *الأعيان* ج٦ ص٣٨٤.

(٣) *روضات الجنات* ج٧ ص٨٢، ومستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢٨.

(٤) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢٨.

بنا إلى هذا المقام، وإن كنت لا تريد الدنيا ولا الآخرة فلازِم العَجَم ولا تبرح»[1].

ومما كتَبَ له أيضاً هذه الأبيات:

خَفِ الفقرَ ملتمساً للغنى فبالفقر كم من فقارٍ كُسِرْ
وفي كل أرضٍ أنخْ بُرهَةً فإن وافقَتْكَ وإلاّ فسِرْ
فما الأرض محصورةٌ في هراة ولا الرّزقُ في وقفها منحصر[2]

ولكنَّ المصادر لم تذكر أنَّ البهائي فارق هراة، والتحق بأبيه، وحتى لو كان فكّر في هذا الأمر فإنه ما كان ليستطيع، لأن الأب لم يعشْ طويلاً في البحرين، فقد وافته المنية في الثامن من ربيع الأول سنة ٩٨٤هـ ١٥٧٦م، ودُفن بالمصلّى من قرى هجر[3]، وقد رثاه مجموعة من الشعراء، ورثاه ابنُه البهائي خاصة بقصيدة وجدانية رائعة مطلعها:

قف بالطلول وسلها أين سلماها وروّ من جرع الأجفان ريّاها

إلى أن يقول:

يا ثاوياً بالمصلى من قرى هجرٍ كسيت من حُلَلِ الرضوان أرضاها
أقمتَ يا بحرُ بالبحرين فاجتمعتْ ثلاثةٌ كُنَّ أمثالاً وأشباهاً
ثلاثة أنت أسداها وأغزرها جوداً وأعذبُها طعماً وأحلاها
عليك مني سلام الله ما صَدحَت على غصونِ أراك الدَّوحِ وَرْقاها

---

(١) *الذريعة* ج١ ص٤١٤ *وأعيان الشيعة* ج١ ص٤١٤.

(٢) *الكشكول أعلمي* ج٢ ص٢٩٩ وط دار الكتاب ص٥١١.

(٣) *سلافة العصر* ص٢٩٥ *ومنتخب التواريخ* ص٤٦١ *وخلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥١ *وروضات الجنات* ص٥٤٠ *ومستدرك الوسائل* ج٣ ص٤٢١ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٠. وقد أخطأ البعض فقالوا إنه توفي سنة ٩٧٤هـ: فلاسفة الشيعة ص٤٠٣ ومحمد التونجي: بهاء الدين العاملي ص١١٧.

ليس في المصادر التي عنيت بأخباره إشارات إلى المدة التي قضاها في هراة، إلاّ رواية تلميذه السيد حسين بن حيدر الكركي في حديثه عن مرافقته لأستاذه في بعض أسفاره حيث قال: «...ثم سافرنا إلى هراة التي كان سابقاً هو ووالده شيخ الإسلام فيها»[1].

توحي عبارة الكركي هذه أن البهائي كان شيخ الإسلام في هراة قبل سفرتهما المشتركة إليها، وربما ظلَّ في هراة «مشغولاً بالإفاضة والتدريس»[2] إلى حين وفاة الشاه طهماسب في ١٥ صفر سنة ٩٨٤هـ ١٥٧٦م، أي قبل وفاة والده بأقل من شهر، وقد وصلت إليه نصائح أبيه في تلك المدة[3].

وقد خلّفت المدة التي قضاها في هراة ذكريات جميلة في نفسه، ظلت تداعب خاطره، بعد تركه لها، فيحن إليها في «أرجوزته الزاهرة»[4]، التي نظَمها في قزوين، عندما أصابه رمدٌ، اضطره إلى ملازمة البيت، ومنعه من التدريس، فوصف طبيعتها ومرافق الحياة فيها وصفاً بديعاً في تلك الأرجوزة نفسها.

لقد خلّصه حسنُ حَظِّه من البقاء في هراة: فقد مات الشاه

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٥٨.

(٢) *رياض العلماء* ج٥ ص٩١.

(٣) من الغريب ما جاء في عالم *آراى عباسى* ج٢ ص٩٦٨ ونقله عنه سعيد نفيسي في *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٨ وغلام حسين جواهري ص٣ أن حسين بن عبد الصمد كان موضع اهتمام الشاه محمد خدابنده.. وأنه حين وفاته في البحرين كان ابنه البهائي معه، وقد عادت به والدته إلى إيران بعد وفاة أبيه «ومن كان قد تجاوز الثلاثين من عمره فهو الذي يعود بأمه إن كانت أمه حية فعلاً».

(٤) *الكشكول* ط أعلمي ج١ ص١٨٩ ـ ١٩٤ ونزهة *الجليس* ج١ ص٣٧٦ ـ ٣٧٧ والأرجوزة في مائة بيت.

طهماسب، الذي أجبره على تولي مشيخة الإسلام فيها، واختلف الأمراء حول العرش، فلم يعد أحد منهم يفكر في هراة، إذ ما كان يعنيهم حينئذٍ سوى شجون الملك.

العودة إلى قزوين

عاد سنة ٩٨٤هـ إلى قزوين وكان حبلُ الأمن مختلاً فيها، فتفرغ للكتابة والتدريس، وفي عهد السلطان محمد خدابنده (٩٨٥هـ ١٥٧٧م)، وقبل سياحته التي بدأت سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م كتب رسالته «أوزان شرعي» المعروفة في العربية باسم «التحفة» كتبها باسم السلطان محمد خدابنده، كما يرجح أنه كتب أيضاً في هذه المدة التي سبقت رحلة الحج، كتابه «خلاصة الحساب»[١]، الذي يقدمه إلى الأمير السلطان «حمزة ميرزا»[٢] ولي عهد السلطان «محمد خدابنده» يذكر في مقدمته بعد التعريف بعلم الحساب: . . «جعلتها تحفة لحضرة هي كعبة المحتاج، وإن لم يكن كعبة الحاج، ومشعر الكرام وإن لم يكن مشعر الحرام، ثمرة شجرة السلطنة القاهرة، بدر سماء الدولة الباهرة، شمس فلك العز والجلال،

---

(١) لدينا مخطوطة لهذا الكتاب بخط الباقر بن أحمد المعروف بحاجي بابا كتبها في لكندو وهي قرية في الكشمير في يوم الأربعاء، في شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٨هـ ١٩٠٠م نقلها بخطه عن نسخة مكتوبة في حياة المؤلف، وفيها يهدي البهائي كتابه إلى الأمير حمزة ميرزا، ولا وجود لهذا الإهداء في النسخة المطبوعة، ولا في مخطوطة حلب كما سنرى حين الحديث عن كتاب *خلاصة الحساب*.

(٢) **حمزة ميرزا**: ولي عهد السلطان محمد خدابنده والأخ الأكبر للشاه عباس، قتله القُزَلباش مع أمه «مهد عليا» في ٢٢ ذي الحجة سنة ٩٩٤هـ ١٥٨٦م، قبل تولي الشاه عباس الحكم بسنتين، ويظهر من سيرة هذا الأمير أنه كان يميل إلى دراسة الرياضيات والحساب وكان أبوه مهتماً بتعليمه. نقلاً عن تاج بخش: إيران در زمان صفويه ص٥٨، وفلسفي: زندگانى شاه عباس أول ج١ ص٢٢ وج٤ ص٩٦.

مطلع شمس العظمة والإقبال، منبع بحار الفضل والإفضال، مركز دائرة الفخر والكمال، رافع أعلام جده سيد المرسلين، ناشر آثار آبائه الأئمة المعصومين، صلوات الله عليهم أجمعين، السلطان ابن السلطان أبي الغالب سلطان حمزة بهادر خان، لا زالت حضرته العليَّة وسدته السنية محط رحال الآمال، بالنبي محمد وآله خير الآل، فإني لما اكتحلت بطلعته الزاهرة واستضأت بغرته الغراء، فكرت في شيء يليق مني أن يهدى إليه، ويستأهل لأن يعرض عليه لم أر شيئاً يليق مني إهداؤه إلى خدام ذلك الباب إلا ما يناسب الحال من رسالة أو كتاب، فإن وقعت في حيز القبول، فهو غاية المأمول، ونهاية المسؤول، وسمّيتها خلاصة الحساب».

وفي قزوين عايش البهائي أزمة الصراع حول السلطة، بين الأمراء الصفويين بمساعدة زعماء القُزَلباش، الذين انقسموا على أنفسهم، وتحمّس كلٌّ فريق منهم لأحدِ الأمراء، وزادت أطماعهم، وزاد صراعهم في عهد الشاه محمد خدابنده، الذي تولى العرش بعد مقتل أخيه إسماعيل الثاني ـ الذي لم يحكم أكثر من سنة ونصف السنة ـ واستمر الصراع في عهد محمد خدابنده بين أنصاره وأنصار ابنه عباس ميرزا الذي كان في هراة، واستمرت الحروب الدامية بين أنصار الفريقين إلى سنتين من تسلم الشاه عباس الحكم سنة ٩٩٦هـ ١٥٨٨م، أي حوالى ثلاث عشرة سنة[١].

ولعلَّ البهائي قصد هذه الحقبة الزمنية بالذات، بما أشار إليه من متاعب في أبياته، التي قالها في قزوين يقول: (لجامع الكتاب متسلياً به من طول الإقامة بقزوين).

---

(١) *زندگانى شاه عباس اول* ج٢ ص٢٥٣.

قد اجتمعت كل الفلاكاتِ[1] في الأردو ... فقوموا بنا نعدو، فقوموا بنا نعدو
فمختلطات الهمّ فيها كثيرةٌ ... فليس لها رسمٌ وليس لها حدُّ
وأشكال آمالي أراها عقيمةً ... ومعكوسةً فيها قضاياي يا سعدُ
فقم نرتحل عنهم فلا عدلَ فيهمُ ... ولكن لديهم عجمة ما لها حدُّ
فمن قلة التمييز حاليَ سيّئٌ ... وفعليَ معتلٌ وهمّيَ ممتدّ
كأنَّ على الأبصارِ منهم غشاوةً ... ومن بين أيديهم ومن خلفهم سدُّ[2]

يتضح من هذه الأبيات التي يرسم فيها البهائي صورة واضحة لاختلال الوضع واضطراب حبل الأمن، أنَّه كان مكسور الجناح، وأنَّ آماله خابت، وفقد المجد الذي كان له ولأبيه زمن الشاه طهماسب، وأنَّ أولئك الذين كانوا في سدّة الحكم، لم يكونوا يعرفون قيمته، ولا يميزون بينه وبين من هم دونه قيمة، فكأنَّ على أبصارهم غشاوة تمنعهم من تمييز التبر من التراب.

إذاً فليرتحل عنهم فلا عدل فيهم، ولكن لديهم عجمة لا حدود لها، أنِفَ أن يحتملَ المقامَ في دار الهوان، بعد أن فقد مكانته العلمية والاجتماعية، وبعد أن: «**فسد الزمانُ وأهلُه، وتصدَّر للتدريس من قلَّ علمه وكثُرَ جَهْلُه، فانحطت رتبة العلم وأصحابه، واندرستْ مراسمه بين**

---

(١) فلاكت: كلمة فارسية من أصل عربي ومعناها النكبة وسوء الحظ (نقلاً عن فرهنگ فارسى ج٢ ص٢٥٦٤).
والأردو: معناها لغة أهل الباكستان وبعض نواحي الهند وهي مزيج من العربية والفارسية والهندية والإنگليزية، نقلاً عن فرهنگ فارسى ج٥ ص١١٨.
ربما عنى الشيخ البهائي أنَّ الأزمات اجتمعت كلّها دفعة واحدة كما اجتمعت اللغات في لسان أهل الأردو (Ordu).

(٢) *الكشكول* ط أعلمي ج١ ص١٨٤ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٨. وط دار الكتاب ص١٢٥.

طلأبه»[1]، وتلك القيمة التي كان يتمتع بها هو ووالده زمن الشاه طهماسب فقدها فجأة، وها هو يخاطب من بيده الحلّ والربط في البلاد: «أيّها المغرور بالجاه والإمارة لا تنظر إلينا بعين الحقارة»[2].

إلامَ الانتظار فليسافر في بلاد الله الواسعة، فيقطعَ المألوف ويتعلم ويستفيدَ، والحكامُ مشغولون بأمر المملكة، فهو إذاً ليس بحاجة إلى أن يطلب إذناً من أحد. ويتذكر أنَّ والده قالَ له أنه سمعَ مرة من بعض الناس قولَه: «إن أردتَ أن تعرفَ مقامَك، فانظر في ما أقامك» فأثّر ذلك القول فيه، وترك ما كان مقيماً عليه مما لا يعنيه بسببها[3]، ثم ألم يقل له والدُه قبل ذلك بقليل: «إن كنت لا تريد الدنيا ولا الآخرة فابقَ في إيران»[4].

..وفي كلّ أرض أنخ برهة فإنْ وافقَتْكَ وإلا فَسِرْ
فما الأرض محصورةٌ في هراة ولا الرزق في وقفِها منحصرْ[5].

الأرض ليست محصورة في هراة ولا في قزوين، وهذا البهائي نفسُه يقول: «قال سيدُ الكلّ في الكلّ ﷺ: «حبّ الدنيا رأس كل خطيئة»، فأخرج من هذه القرية الظالم أهلها واشعرْ قلبَكَ قولَه تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾[6].

قلق روحي عظيم دفعه إلى الرحيل:

---

(١) *الكشكول* ط أعلمي ج١ ص٢٠٨.
(٢) م. ن نفس الصفحة.
(٣) *الكشكول* ج٢ ص٢٣٨.
(٤) *الذريعة* ج١ ص٤١٤ *والأعيان* ج٦ ص٦٠.
(٥) *الكشكول* أعلمي ج٢ ص٢٩٩، دار الكتاب ص٥١١.
(٦) *الكشكول* ط أعلمي ج١ ص٢٤٥ والآية من سورة النساء، الآية ١٠٠.

إنّ الإقـامـة فـي أرضٍ تُـذَلُّ بـهـا والأرضُ واسـعـةٌ ذلٌّ فـلا تـقـمِ[1]

فكانت رحلة الحج والتالي كانت سياحته.

رحلة الحج أو ما سميّ بسياحة البهائي:

إن ما أُقحِمَ من أساطير في تاريخ الشيخ البهائي لم يترك جانباً من جوانب حياته، لم يلحق به نصيباً، من ذلك ما قيل من أنّه ساحَ في الأرض ثلاثين سنة، ولكنَّ هذا القول الذي أقحم في تاريخه لم يثبت أمام التمحيص.

أوّل من قال ذلك السيد علي خان، ابن معصوم حيث قال: «..ثم رغب في الفقر والسياحة، واستهبّ من مهاب التوفيق رياحه، فترك تلك المناصب، ومال لما هو لحاله مناسب، فقصد حج بيت الله الحرام، وزيارة النبي وأهل بيته الكرام، عليهم الصلاة والتحية والسلام، ثم أخذ في السياحة فساح ثلاثين سنة، وأوتي في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، واجتمع في أثناء ذلك، بكثير من أرباب الفضل والحال، ونال من فيض صحبتهم ما تعذّر على غيره واستحال»[2].

الفقر والسياحة في نصّ المدني يعنيان الانخلاع من ربقتي التملّك والتوطّن وهو من شارات أهل العرفان، وسمات الزاهدين، ثم اجتماعه بأرباب الفضل والحال، وما نال من فيض صحبتهم، وهذا يفصح عن دخيلة نفس البهائي كما عبّر هو عنها في ما كتبه في أثناء الرحلة في المقطوعة الملمّعة التي تحمل عنوان: «في تأويل قول النبي ﷺ حب الوطن من الإيمان» وفيها يقول:

---

(١) البيت للشيخ حسين بن عبد الصمد. *الكشكول* ط أعلمي ج١ ص٢٦٢ ط، دار الكتاب ص١٧٢.

(٢) *سلافة العصر* ص٢٩٠ *والحدائق الندية* ص٢.

لا تقم في أسر لذّات الجسد إنها في الجيد حبلٌ من مسد
قم توجّه شطر إقليم النَّعيم واذكر الأوطان والعهدَ القديم

هذا الوطن ليس العراق ولا مصر ولا الشام هذا الوطن بلد لا اسم له[1]، والظاهر أنَّ كلَّ الذين قالوا إن البهائي ساحَ ثلاثين سنة أخذوا عن ابن معصوم، باعتبار أنَّه من أعرف الناس بأحواله، لذلك بنى كثيرٌ من الدارسين آراءهم عن البهائي وحبّه للعزلة وكرهِهِ للمناصب، على هذه النظرية الخاطئة.

والذي يلفت النظر في كلام ابن معصوم ومن نقل عنه، هو ذلك الإغراق في تحديد سني السياحة، الذي لم يأتِ عندَ غيرِه، ولم يذكره معاصرو البهائي كالخفاجي صاحب «ريحانة الألبا» وإسكندر المنشي مؤلف «عالم آراى عباسى» ـ كما أن أحداً لم ينقله عن لسان أحد تلامذته مثلاً، وظاهرُ تحديده أنَّ الثلاثين كانت متصلة السنين، ولم يحدّد لنا بداية تلك السنين ولا منتهاها، على أنَّ ما يزيد في غرابة كلامه، قولُه إنه بعد ترك المناصب «قصد حجّ بيت الله الحرام وزيارة النبي، وأهل بيته الكرام ﷺ ثم أخذ في السياحة»[2]، وكأن سياحته بدأت بعد انتهائه من رحلة الحج وليس قبلها.

أما صاحب نزهة الجليس فقد ذكر أنّه «رحلَ بعد وفاة أبيه إلى الأقطار» فحدّد بدءَ الرحلة، ولكنّه عاد كابنِ معصوم وأغرَقَ في تحديد السنين وجعلها ثلاثين سنة[3]. ويبدو المحبي أكثر اعتدالاً حين يتحدث

---

(١) البيتان الأول والثاني في الأصل بالعربية، أما البيت الثالث فبالفارسية وأصله:
اين وطن مصر وعراق وشام نيست أين وطن شهريست كآنرا نام نيست
كليات شيخ بهائى، نفيسي، ص١٢٤، وجواهري ص١٠.

(٢) *سلافة العصر* ص٢٩٠.

(٣) قال الموسوي إنه «ساح ثلاثين سنة، وآتاه ربّه كلّ حسنة، وحجّ البيتَ الشريف، =

عن سياحة البهائي، فهو يعدّد الأماكن التي زارها دون تحديدٍ للزمن[1].

يبدو أنَّ الذين ذكروا نقلاً عن السلافة أنَّه ساح ثلاثين سنة[2]، تمسكوا بهذا القول دون تمحيص، لأنهم وجدوا فيه ما يؤيد رأيهم من أنَّ البهائي، اعتزَلَ المناصبَ الدنيوية بعد أن جرَّبها، مركّزين على الحرية الفكرية التي كان يتمتَّع بها[3].

= والقدس المنيف، فزار معاهدَه، ووردَ موارده، واجتاز بدمشق الشام في أثناء السفر، ولم يقمْ إلا بمقدار إن قيلَ لَهُ أهلاً وسهلاً ومرّ «*نزهة الجليس* ج١ ص٣٧٧».

(١) قال المحبّي: «.. ثم رغب في الفقر والسياحة، واستهبَّ من مهابّ القبول رياحه، فطَلَع طلوعَ الشارد، يرِدُ البلاد كالطيف الوارد، وهو يقتري المسالك، ويقتفر المهالك، ويعاني الممالك، فحجَّ البيت الحرام، ودخل مصرَ أمّ الأهرام، ثم ورد دمشق فنمّ عليه فضلُه، كما نمَّ ريحُ الورد على الورد، ومنها ظهر بحلب الشهباء، كما ظهر العَلَمُ الفرد، فلم يمكنه إلا أن شدّ للعجم نطاق التّسيار، ولما وصل حطّ بها رحْلَ الاختيار» *نفحة الريحانة* ج٢ ص٢٩٢.

(٢) من الدارسين المحدثين الذين ذكروا أن سياحته دامت ثلاثين سنة: فقيه: في جبل عامل في *التاريخ* ص٦٦، عبد الله نعمة: *فلاسفة الشيعة* ص٤٠٥، طوقان: *أعلام العرب في الرياضيات والفلك* ص٤٧٤، محسن الأمين: *خطط جبل عام* ص٨٠ *والأعيان* ج٩ ص٢٣٩، جلال شوقي: *رياضيات بهاء الدين العاملي* ص٩٧، كاظم مكي، *الحركة الفكرية:* ص٩٨، علي مروة: *تاريخ جباع* ص١٢٨، محمد التونجي *بهاء الدين العاملي* ص٣٢.

(٣) فمثلاً يرى الأميني أنَّ رحلاته كان هدفها زيادة الاطلاع والمعرفة «إن رحلات شيخنا الأكبر (البهائي) لاقتفاء العلوم ردحاً من عمره، وأسفاره البعيدة إلى أصقاع العالم دون ضالته المنشودة، وتحوله دهراً في المدن والأمصار وراء أمنيته الوحيدة، واجتماعه في *الحواضر الإسلامية* مع أساطين الدين، *وعباقرة المذهب*، *وأعلام الأمة*، *وأساتذة كل علم وفن*، *ونوابغ الفواضل والفضائل*، تستدعي كثرة مشايخه في الأخذ والقراءة والرواية»، *الغدير* ج١١ ص٢٥٠، والصحيح أن المؤرخين لم يذكروا له أكثر من سبعة أساتذة.

يقول السيد محسن الأمين إن «مما يؤسف أن البهائي لم يدوّن أخباره في سياحته التي استغرقت ثلاثين سنة في بلاد الروم والشام وغيرها، مع ما كان عليه من =

كما أن بعض الدارسين[1] بنى آراءه حول شعر الوصف عند البهائي منطلقاً من هذا الرأي الذي يقول إنه ساح ثلاثين سنة.

الحقيقة كما سيتضح لنا أن سياحته خارج إيران لم تستغرق أكثر من سنتين ونصف السنة. غادر هراة كما ذكرنا إلى قزوين، ثم غادر قزوين إلى تبريز في طريقه إلى خارج إيران.

في تبريز: لا نعرف بالضبط متى ترك قزوين، ولكنه سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م، بعد أربع سنوات من موت والده، وموت الشاه طهماسب، كان في «تبريز» وكان بها قحط شديد وغلاء فاحش[2]، وقد قال في ذلك:

لا تخرجنَّ من البيوت   وكنْ لجوعك كالفريسة
لا يخطفنك الجائعون   ويطبخوك لهم هريسة[3]

= الفضل والمعرفة وطول صحبته الملوك والأمراء والعلماء، ولا شكّ أنه اتفق له في سياحته هذه أمور غريبة وأشياء كثيرة، لو دوّنت لكانت من *نفائس الكتب*» *الأعيان* ج٩ ص٢٣٩.

خمّن التونجي أن السياحة تمت في الثلث الأخير من حياته (أي بعد الستين)، على الرغم من اعتماده على قول صاحب نزهة الجليس إنه رحل بعد وفاة أبيه إلى الأقطار (أي بعد الثلاثين بسنة واحدة) كما أنه حدد خط سيره في رحلته خطأ.

انظر: محمد التونجي، بهاء الدين العاملي ص٣٢ ـ ٣٥.

(١) عبد المجيد الحر: الأدب العاملي ـ رسالة دكتوراه مخطوط ص٣٥٠ ـ ٣٥١، وسأناقش هذا الرأي عندما أتحدث عن شعر الوصف عند البهائي.

(٢) ذكر نصر الله فلسفي أنه «في سنة ٩٨٦هـ ١٥٧٨م، كان في تبريز قحط شديد وغلاء فاحش، فاضطر الناس أن يأكلوا جثث الموتى» إما أن القحط استمر إلى سنة ٩٨٨هـ، أو أن ثمّة خطأ في التاريخ.

(٣) *الكشكول* أعلمي ج٣ ص٢٩٥، وخرسان مقدمة *الكشكول* ص٥٧ نقلاً عن *أنيس المسافر* للشيخ يوسف البحراني ج١ ص٣٨٦. وقد ذكر في ج٣ ص٣٩٨، أنه زار قبر أبي محجن الثقفي في تبريز دون أن يحدّد تاريخ الزيارة.

وله أيضاً أشعار سماها «ليالي تبريز»، موجودة في آثاره، قالها لما سافر إليها سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م[١].

في أصفهان: وفي سنة ٩٩٠هـ ١٥٨٢م أنهى شرح الجغميني بمحروسة أصفهان[٢]، كما أتم تأليف أحد أشهر كتبه «نسبة أعظم الجبال إلى قطر الأرض»[٣]، وفي ٢٠ رجب سنة ٩٩١هـ ١٥٨٣م، كان بإصفهان وقد كتب في ذلك التاريخ رباعيتين على آخر مجموعة جدّه الجباعي أولاهما:

شربُ كأسِ الموتِ يكرهُهُ كلُّ من يمشي على الغبرا
وبعين القلبِ لو نظروا لرأوه الراحةَ الكبرى

والثانية:

وثورين حاطا بهذا الورى فثور الثريا وثورُ الثَّرى
وهم تحت هذا ومن فوق ذا حميرٌ مسرّجةٌ في قرى

وقال بعد ذكر التاريخ المذكور «في أصفهان أيام العزم على التوجه إلى بيت الله الحرام»[٤].

في الحجاز: فهو عازمٌ على الحج، منذ رجب سنة ٩٩١هـ (حزيران ١٥٨٣م)، وقد حج في تلك السنة وقد سنحت له في طريقه إلى الحج سوانح سجّلها في «سفر الحجاز»[٥] وفي «سوانح الحجاز في الترقي إلى الحقيقة عن المجاز»[٦].

---

(١) *كليات شيخ بهائى* ص٢.
(٢) *الذريعة* ج٢ ص٧٩.
(٣) جعفر المهاجر. مجلة *الثقافة الإسلامية* ج١٨ ص٢٠٩.
(٤) *الذريعة* ج٢ ص٧٩.
(٥) نقل منه في *الكشكول* ج١ ص٢١١، وما بعدها.
(٦) جاء في أولها «أما بعد حمد الله على أفضاله والصلاة والسلام على أشرف =

وذكر أنه لما حجّ البيت الحرام وشاهد تلك المشاعر العظام قال:

يـا قـوم بـمـكـة هـا أنـا ذا ضـيـف ذي زمزم، ذي منى وهذا الخيفُ
كـم أعـرك عـيـنـي لأسـتـيـقـنَ هـلْ في الـيـقظة ما أراه أم ذا طيف[1]

وقد أعرب عن شوقِهِ إلى زيارة الرسول ﷺ بقوله:

لـلـشـوق إلـى طـيـبـة جـفـنـي بـاك لـو أنَّ مـقـامـي فَـلَـك الأفـلاك
يـسـتـحـقـر مـن مـشـى إلـى روضـتـهـا الـمـشـيَ عـلـى أجـنـحـة الأمـلاك[2]

ولما أشرف على المدينة المنورة ونظر إلى القبة الشريفة قال:

هـذه قـبـة مـولاي وأقـصـى أمـلـي أوقفوا المحمل كي ألثُمَ خفيّ جملي[3]

في مصر (٩٩٢هـ ١٥٨٤م)

ومن الحجاز توجه إلى مصر، كما فعل قبله الشهيد الأول محمد ابن مكي، ثم الشهيد الثاني زين الدين بن علي، ووالده حسين بن عبد الصمد، وقصد مصر كما قصدوها من قبله، للأخذ عن شيوخها ووصل أسنادهم بطرق محدّثيها، مع ما يعنيه هذا التواصل وتلك اللقاءات، من مغزى رفيع، يؤكد على التواصل بين المراكز الإسلامية،

= الخلائق محمد وآله، فيقول أفقر العباد إلى رحمة الله الغني، محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي، وفقه الله للعمل في يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده، هذه جملة من الموانح ونبذة من السوانح، قد سنح أكثرها في حج بيت الله الحرام وزيارة سيد الأنام، عليه وآله أفضل الصلاة والسلام، أُثبتُها في هذه الأوراق تذكرة مني للأحباء الراغبين، والأخلّاء الطالبين، عهدَ الميثاق، وعلى الله أتوكّلُ، ومنه أستمدّ وبه أستعين». *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١١٨ مقدمة *نان وحلوا* .

(١) *الكشكول*. أعلمي ج١ ص٢٩. و*سلافة العصر* ص٣٠١ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٤.

(٢) *الكشكول* ج١ ص١١٨ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

(٣) *المصدر السابق* ج١ ص٢٣.

ويزيد من أهميته في حالة البهائي أَنَّهُ زارها وهو عالم إيراني، مع ما تعنيه هذه الكلمة من عداء بين أهل السنة، أتباع العثمانيين وبين إيران من الناحية السياسية «ولما تدفق ماءُ كرمِهِ خرج منها (يعني إيران) سائحاً، بعدما ألقى دلوه في الدلاء ماتحاً، لابساً خِلَعَ الوقار، قاطعاً في رياض الكون ثمرات الاعتبار، فجاب البلادَ وأتى إرمَ مصر ذات العماد، فنمى متاعُ فضلٍ به اتَّجر، والمعالي في كفالات السفر، فاجتنى نوراً انفتحت كمائمهُ وسرى سُرىً قلبُ الوجودِ كاتمُهُ»[١].

وفي مصر كان يجتمع بالشيخ محمد بن أبي الحسن البكري[٢]، ومدحه بقصيدة غراء[٣]، وقعت من البكري غاية الموقع الحسن ومطلعها:

يا مصر سقيا لك من جنَّةٍ ... قطوفها يانعةٌ دانيةْ
ترابها كالتّبرِ في لطفه ... وماؤها كالفضّةِ الصافيةْ

ومنها..

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٨ و«الخفاجي» صاحب الريحانة معاصرُه، كان في حوالى الخامسة عشرة من عمره عندما زار البهائي مصر.

(٢) **محمد بن أبي الحسن البكري** الصديقي المصري: «كان من أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً، مجلّلاً عند الكبراء والوزراء، ذا جاه عريض، معتقداً عند عامة الناس وخاصتهم، مسموعَ الكلمة مقبولَ الشفاعة، يُرجَعُ إليه في مشكلات الأمور، وُلد بمصر ونشأ فيها... وبرع في كثير من العلوم والفنون سيّما علم التفسير والحديث والتصوف، وله ديوان مجموع «نقلاً عن خلاصة الأثر ج٣ ص٤٦٥ ـ ٤٦٨»، وهو ابن أبي الحسن البكري الصديقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ سنة ولادة البهائي، العالم الذي ذكرنا أن الشهيد الثاني والحسين بن عبد الصمد اجتمعا به في مصر سنة ٩٤٢هـ. أما قول غلام حسين جواهري في مقدمة كتابه *«كليات شيخ بهائى»* أنه كان وهو في مصر موضع اهتمام «عزيز مصر»، فهو وهم أو أنه افترض أنَّ البكريّ هو عزيز مصر.

(٣) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٠ ـ ٢١١ (١٧ بيتاً).

من شاء أن يحيا سعيداً بها　　منعماً في عيشه راضية
فليدع العلمَ وأصحابَه　　وليجعل الجهل له غاشية
والطبَّ والمنطقَ في جانبٍ　　والنحوَ والتفسيرَ في زاوية
وليترك الدرسَ وتدريسَه　　والمتنَ والشرحَ مع الحاشية
إلامَ يا دهر وحتى متى　　تشقى بأيامك أيامية
تحقّق الآمالَ مستعطفاً　　وتوقع النّقصَ بآمالية

وهذه الأبيات واضحةُ الدلالة على حالة بهاء الدين النفسيّة، في أثناء الرحلة، ويأسه من العلوم الرسمية، لأنها ليست الطريق الموصل إلى الخلاص الروحي. وقد تحدّث البهائي في الكشكول عن لقائه بالبكري سنة ٩٩٢هـ ١٥٨٤م، ومما كتب عنه ـ وقد عبر عنه بالأستاذ الأعظم ـ قصيدته التي أوّلها:

بينَ أهلِ القلوب والحقِّ حالُ　　هو سرٌّ يدقُّ عنهُ المقالُ[1]

كما كتب عنه قوله:

شربنا قهوةً من قشرِ بن　　تعينُ على العبادة للعبادِ
حَكَتْ في كفِّ أهلِ اللّطفِ صرفا　　زباداً ذائباً وسط الزبادي[2]

وزار في سفره ذاك قبة «الإمام الشافعي»[3].

وقد بدأ في مصر بتدوين أدبه: «ما قاله في أثناء رحلة الحج»، إضافة إلى ما مرَّ معه وما قرأه من الكتب التي رآها، أو اطّلع عليها في

---

(١) *الكشكول* ط أعلمي ج١ ص٤١.

(٢) *الكشكول*، المصدر نفسه ج١ ص٤٣.

(٣) وصفها بقوله: «إنها قبة عظيمة البناء، واسعة الفضاء، وفي رأس ميل القبَّة سفينة صغيرة من حديد، معدَّة لوضع الحبِّ لأجل الطير»، ثم استطرد بعد ذلك إلى ذكر ما قيل في تلك القبّة من شعر. *الكشكول*، أعلمي ج١ ص٣٦.

مصر أولاً ثم في بقية البلدان التي زارها، فدوّن ما أعجبه من قراءاته[1].

في القدس الشريف

ومن مصر توجه إلى القدس الشريف، ويروي المحبي أن الرضي ابن أبي اللطف المقدسي[2] المتوفى سنة ١٠٢٨هـ ١٦١٨م قال: «ورد علينا من مصر رجل من مهابته محترم، فنزل من بيت المقدس بفناء الحرم، عليه سيماء الصلاح وقد اتسم بلباس السياح[3]، وكان يألف من الحرم فناء المسجد الأقصى، ولم يسند إليه أحد مدة الإقامة نقصاً، فألقي في روعي أنه من كبار العلماء الأعاظم، وأجلة فضلاء الأعاجم، فما زلت لخاطره أتقرب، ولما لا يرضيه أتجنب، فإذا هو ممن يرحل إليه للأخذ عنه، وتشد له الرحال للرواية عنه، يسمى بهاء الدين محمد الحارثي الهمْداني[4]، فسألته عند ذلك القراءة في بعض العلوم، فقال بشرط أن يكون ذلك مكتوم[5]، وقرأت عليه شيئاً من الهيئة والهندسة، ثم سار إلى الشام قاصداً بلاد العجم[6].

---

(١) وهذا يفسر قول الخفاجي أنه: «جمع من أزوادِ فضله مجموعة سمَّاها *الكشكول* فيها ما تنشرح له الصدور، وتحل عقد الإشكال عن كل مصدور» (*ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٨).

(٢) **الرضي بن أبي اللطف المقدسي**: محمد بن يوسف بن أبي اللطف الملقب رضي الدين المقدسي، أخذ العربية عن ابن عم أبيه الشيخ عمر بن أبي اللطف المقدسي توفي سنة ١٠٢٨هـ ١٦١٨م، ترجمته في خلاصة *الأثر* ج٤ ص٢٧٣ وفي *لطف السمر* ص٥٨٤.

(٣) و(٤) يبدو أنه قصد أن يتخفى في أثناء الرحلة، فلبس لباس السياح أي الدراويش المتجولين ـ بحسب تعبير ذلك العصر ـ الذين يرغبون في التحرر من ربقة الانتساب إلى وطن بعينه. هذا التخفي تجاوز الشكل إلى الاسم، «فبهاء الدين محمد الحارثي الهمداني» دون لفظة العاملي تبعد الشك بالمذهب.

(٥) وردت اللفظة مرفوعة في الأصل.

(٦) خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٢ ـ ٤٤٣.

ذكر كما لاحظنا أنه طلب منه التدريس، وأنه وافق عليه ثم إنّه مارسه، وهذا يعني أنه بَقِيَ في القدس وقتاً كافياً للدرس والتدريس ربما كان شهوراً.

ويذكر البهائي في الكشكول أنه كان في السنة ٩٩٢هـ ١٥٨٤م، في القدس الشريف حيث اطلع على كتاب للمحقق الزركشي[١] في شرحه على تلخيص «المفتاح» الذي سمّاه «مجلى الأفراح»[٢]، كما يذكر أنه اطّلع هناك أيضاً على كتاب الأغاني وفيه يروي قصة أعشى همْدان الشاعر الذي خَرَجَ على الحجّاج[٣]، وقد جرَت مطارحات بينه وبين رئيس علماء القدس، ومفتيها، شيخ الإسلام، الشيخ عمر بن أبي اللطف المقدسي[٤]، أوردها البهائي في الكشكول[٥].

في دمشق: ومن القدس اتّجه الشيخ بهاء الدين إلى «دمشق» حيث نزل بمحلة «الخراب»[٦]، المعروفة تاريخياً أنها موطن شيعة دمشق، واجتمع به الحافظ حسين الكربلائي[٧] واستنشده شيئاً من شعره، كما

---

(١) **الزركشي**: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (٧٤٥ ـ ٧٤٩هـ = ١٣٤٤ ـ ١٣٩٢م) *عالم بفقه الشافعية والأصول* «الزركلي» ج٦ ص٦٠.

(٢) *الكشكول*: أعلمي ج١ ص٢٣.

(٣) *المصدر السابق* ج١ ص٢٥.

(٤) **عمر بن أبي اللطف المقدسي**: ابن الإمام شمس الدين اللطفي المقدسي الشافعي ثم الحنفي رئيس علماء القدس ومفيتها في عصره. ولد سنة ٩٤٠هـ ١٥٣٣م وتوفي سنة ١٠٠٣هـ ١٥٩٤م: *خلاصة الأثر* ج٣ ص٢٢٠.

(٥) *المصدر السابق* ج١ ص٦٧، وقد ذكر الأميني أن الشيخ البهائي يروي عن الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطف المقدسي الشافعي، وأن له منه إجازة مؤرخة سنة ٩٩٢هـ: *الغدير* ج١١ ص٢٥٠.

(٦) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٣.

(٧) **الحافظ الكربلائي**: ذكره المحبّي وقال إنه التقى بالحسن البوريني لما ورد دمشق في حدود سنة ٩٨٨هـ ١٥٨٠م وقال إنه الحافظ الحسين التبريزي المعروف بابن =

طلب الاجتماع إلى الحسن البوريني[1]، وبعد اجتماعه إليه «سأله كتمان أمره، وافترقا تلك الليلة، ثم لم يقم البهائي فأقلع إلى حلب»[2]، العبارة هنا كما أوردها المحبي توحي بالتعجّل، وكأنه يفرّ بنفسه، «واجتاز بدمشق الشام في أثناء السفر، ولم يقم إلا أن قيل له أهلاً وسهلاً ومر»[3].

يسأل من يجتمع إليه كتمان أمره حذراً وخوفاً على نفسه من السلطات العثمانية أو من يدورُ في فلكها، إذا ما اشتهر أمرُهُ بين الناس كي لا يقال عنه، ما قيل عن الشهيد الثاني إنَّهُ رجلٌ مبتدع، وهذه التهمة أمرٌ بالغ الخطورة إن وجهت إليه، بخاصة أنه قادمٌ من بلاد الفرس وهي في حرب مع العثمانيين.

وأملى على بعض الأدباء بالشام لغزه، الذي جعله لامتحان أفكار الأذكياء من فحول العلماء، وهذا يدل على تبحره في العلوم[4]، كما يدل على أنه أدلى بدلوه في عمل اللغز، وهو عمل كان متداولاً في بلاد الشام في ذلك الزمان.

= الكربلائي وأنه هو الذي علَّم البوريني الفارسية (*خلاصة الأثر* ج٢ ص٥٢). كما ذكره الشيخ أحمد المنيني الدمشقي في شرحه على قصيدة الشيخ البهائي الرائية في مدح صاحب الزمان ﷺ، وقال إنه صاحب الروضات الذي صنفه في مزارات تبريز وأنه اجتمع بالشيخ البهائي في دمشق عند قدومه إليها: *أعيان الشيعة* ج٦ ص١٣٧.

(١) **الحسن البوريني**: الشيخ حسن بن محمد بن محمد بن حسن بن عمر بن عبد الرحمن الصفوري الأصل، الدمشقي، الملقّب بدر الدين الشافعي ذكره كثير من المؤرخين وأرباب الآداب، كان فردَ وقته في الفنون. كان يحفظ الشعر والآثار والأخبار والأحاديث المسندة والأنساب واللغة والنحو والسير والمغازي، أشهر مؤلفاته شرح ديوان ابن الفارض. كان يجيد العربية والفارسية والتركية: ترجمته في *ريحانة الألبا* ج١ ص٤٢. و*خلاصة الأثر* من ص٥١ إلى ص٦٣.

(٢) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٣.

(٣) *نزهة الجليس* ج١ ص٣٧٧.

(٤) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٣.

يقول الشيخ جعفر المهاجر إن بهاء الدين كان أمام فرصة (في طريقه من القدس إلى دمشق) لزيارة وطن آبائه وأجداده وأننا سنستغرب حقاً إذا لم يُفد منها، وهو الذي لم يحاول أبداً [قط] أن يكتم حنينه وشوقه إليه بل وتصويره وكأنه جنته المفقودة التي خرج منها»[١]؛ والحقيقة أننا لم نعثر في شعر بهاء الدين ولا في نثره، بالعربية أو الفارسية ذكراً لجبل عامل إلا مرة واحدة عندما لام والده على أنه أخرجه منه صغيراً[٢]، وهذا أيضاً سبب آخر نضيفه لتأكيد رأينا أنه هاجر وهو صغير لم تعلق في ذهنه صور ذلك الوطن المفقود، وإلاَّ لزاره وهو في هذه الرحلة، أو على الأقل لأشارَ إلى أمنية لم تتحقق لسبب ما، لو كان فعلاً يريد زيارته، وهو، كما عرفناه جيداً في شعره العربي والفارسي، إنسان مفعم بالعاطفة، حسَّاس، بل رهيفُ الإحساس.

وعدَّه العلامة المحبي من أهل السنة، وقال إنه عندما وصل إلى دمشق، غيَّر اسم كتاب في التفسير كان قد وسمه باسم الشاه عباس، وكتبه باسم السلطان مراد خان العثماني[٣]، والحقيقة التي لا تقبل

---

(١) يقول الشيخ جعفر المهاجر: «إن الطريق الرئيسية في ذلك الزمان، كانت تمر عبر جبل عامل: القدس ـ بانياس ـ تبنين مع وادي التيم ـ دمشق، وهي الطريق الرئيسية التي سلكها هي أو بعضها ابن جبير في الاتجاه المعاكس قبل أربعة قرون تقريباً.. وهذا يعني أن بهاء الدين كان أمام فرصة قد تكون فرصة العمر الفريدة لزيارة وطن آبائه وأجداده، وأننا سنستغرب إذا لم يفد منها، وهو الذي لم يحاول أبداً أن يكتم شوقه وحنينه إليه، بل وتصويره وكأنه جنته المفقودة التي خرج منها.. ثم يقول الحقيقة أننا لا نملك دليلاً، حتى شبه دليل على أنه فعل: نقلاً عن مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٢١ ص١٧٥.

(٢) *الكشكول*: أعلمي ج١ ص٢١٣ و*روضات الجنات* ج٧ ص٧٦ و*أعيان الشيعة* ج٨ ص١٧ وقد ذكرنا النص في هذه الدراسة في تحقيق نسبه وفي تحقيق مكان ولادته ص٧٨ و٩٤.

(٣) نفيسي: *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٣٤ والتونجي: *بهاء الدين العاملي* ص٣٥.

الجدل أن البهائي قام برحلته هذه قبل أن يتولى الشاه عباس الحكم (٩٩٦ ـ ١٠٣٨هـ) (١٥٨٧ ـ ١٦٢٨م) بأربع سنوات على الأقل، هذا إلى أنه لم يصبح شيخ الإسلام إلا بعد عدة سنين من تولي الشاه عباس الحكم كما سنرى.

في كرك نوح

بعد دمشق توجه البهائي إلى حلب ولكنّه قبل وصوله إليها مرَّ بكرك نوح[١]، قرب زحلة اليوم وقد ذكر الحر العاملي أن الشيخ حسن[٢]

---

(١) **كرك نوح**: عبر العصور كانت الكرك مركزاً تجارياً ترتاح فيها القوافل بين بعلبك ومدن الساحل الفينيقي. فيها مشهد النبي نوح وهو الذي منحها شهرة في العهود الإسلامية، كما نشأت فيها مدرسة مبكّرة للفقه قصدها الإمام الأوزاعي (٨٨هـ ٧٠٦م ـ ١٥٧هـ ٧٧٣م) في صباه وقرأ على مشايخها. قوي شأنه في العهد الزنكي وفي عهد المماليك.. وظلّت في مطلع حكم الأتراك مركز ولايتي البقاع وعرفت في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين حركة علمية شيعية ناشطة تخرَّج منها عشرات العلماء، وأمّ رحابها طلابُ العلم من مختلف الأقطار الإسلامية بَيْدَ أنَّها شَهِدَت حركة هجرة عنيفةٍ إلى إيران إبانَ الحكم الصفوي..

أحرقها فخر الدين المعني سنة ١٠٣٣هـ ١٦٢٣م، راجع كتاب *كرك* نوح للدكتور حسن نصر الله.

(٢) **الشيخ حسن صاحب المعالم**: ٩٦٥هـ ١٥٥٧م ـ ١٠١١هـ ١٦٠٢م.

هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد الشهيد الثاني العاملي الجبعي، كان عالماً وأديباً وشاعراً زاهداً ورعاً، قال عنه الحر العاملي إنه كان وحيدَ دهره وأعرف أهل زمانه بالفقه والحديث والرجال، له كتب ورسائل منها كتابُ *«منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان»* وكتاب *«معالم الدين وملاذ المجتهدين»*، *أمل الآمل* ج١ ص٥٨. وفي نقد الرجال أنه صحيح الحديث، ثبت، واضح الطريقة.. نقد الرجال ص٥٨. كان الشيخ حسن عند قتل والده ابن اثنتي عشرة سنة، السلافة ص٥٨، اجتمع بالشيخ بهاء الدين في الكرك لما سافر إليها، *أمل الآمل* ج١ ص٥٨.

«صاحب المعالم» اجتمع إلى الشيخ بهاء الدين في الكرك لما سافر إليها[١].

أما ما جاء في تكملة أمل الآمل، من أن الشيخ بهاء الدين كتب لصاحب المعالم في كرك نوح لما اجتمع إليه على بعض كتبه تذكاراً بخط يده، وأرّخ ذلك في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة[٢]، فخطأ أو هو من تحريف النساخ، لأنّ من الثابت عند جميع الذين أرخوا لسفر أبيه إلى الحج سنة ٩٨٣هـ ١٥٧٥م أنَّ الشاه طهماسب أذِنَ للشيخ حسين بالسفر ولم يأذن لابنه، البهائي، وولاه منصب مشيخة الإسلام في هراة، ويُحتمل أن يكونَ الشيخ حسن قد اجتمع إلى الشيخ حسين في النجف وهو في طريقه إلى الحج وأجازه هناك.

وقد أورد البهائي في الكشكول[٣]، ثلاث قصائد للشيخ حسن دفعة واحدة، ولم يسجّل تاريخ لقائه به، كما فعل عندما ذكر شعر البكري وشعر الشيخ عمر، لما اجتمع إليهما في السنة نفسها.

في بعلبك: لا يورد الشيخ البهائي في شعره أو نثره، لا في كتاب الكشكول ولا في غيره، أيّ إشارة إلى أنه زار بعلبك، أو إلى أنها تركت في نفسه أثراً، وفيها ما يستحق الوصف لو أنَّه كان غادرها فعلاً وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

ولكنَّ إشارة إلى زيارة قام بها إلى هذه المدينة وهو في رحلة الحج وردت في تكملة أمل الآمل[٤]، ملخّصها أن الشيخ بهاء الدين أجاز

---

(١) *أمل الآمل* ج١ ص٥٨ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٩٢.

(٢) تكملة *أمل الآمل* ص١٤٣ *والكنى والألقاب* ج١ ص٣٣.

(٣) *الكشكول*: أعلمي ج١ ص١١٠.

(٤) تكملة *أمل الآمل* ص٢٧٤.

السيد نور الدين علي بن أبي الحسن العلوي البعلبكي[١] عند مروره في بعلبك، كما يذكر الشيخ المهاجر أيضاً أن أهل بعلبك ما زالوا يتناقلون حتى اليوم حكاية تقول إن الشيخ البهائي نزل في منزل قريب من مجرى النهر الذي يشق وسط البلدة، حيث ما يزال حتى اليوم حي آل مرتضى، وأنه انزعج من نقيق الضفادع المتواصل فما كان منه إلا أن وضع رصداً ضمن سكوتها إلى الأبد»[٢].

وكأني بالناس هنا رفضوا إلا أن يكون لهم هم أيضاً نصيب من تلك الأساطير التي أُلحقت بتاريخ الشيخ البهائي وجعلت شخصيته شخصية عجيبة.

إنَّ الحقيقة التي لا تقبل الجدل هي أن علاقة الشيخ البهائي بجبل عامل أو بعلبك أو لبنان، ليست أكثر من ذكرى وحنين إلى حياة مختلفة عن الحياة التي قُدّر له أن يعيشها في إيران ولم يكن راضياً عنها في أعماق ذاته، يدلّ عليه القول الوحيد الذي قاله لتلميذه الشيخ إبراهيم بن فخر الدين البازوري[٣]، هذا التلميذ الذي كان قريباً من نفسه، وهو

---

(١) هو السيد علي بن علوان الحسيني العاملي البعلبكي يقول عنه الحر العاملي إنَّهُ «كان فاضلاً صالحاً روى عن الشيخ البهائي إجازة» *أمل الآمل* ج١ ص١٢٤. دون تحديد مكان الإجازة ويقول عنه الشيخ جعفر المهاجر «إنه جد العائلة التي تعرف اليوم بآل مرتضى.. وقد كان فقيهاً ذا مكانة محلية استجاز الشيخ عند مروره في بعلبك، إجازة ضاع نصّها وبقي ذكرها، ولطالما سمعت أنها كانت ما تزال محفوظة بخط المجيز في بيت من بيوت العائلة، إضافة إلى تسجيلات أخرى كتبت في مجلس عقد بحضور الشيخ، يتوارثونها باعتزاز كذخيرة عائلية ثمينة، ولكنَّ سعينا للاطلاع على هذه الوثيقة إن كانت لا تزال موجودة فعلاً لم يصل هو الآخر إلى النتيجة المبتغاة» مجلة *الثقافة الإسلامية* عدد ٢١ ص١٧٩.

(٢) جعفر المهاجر، مجلة *الثقافة الإسلامية* ج٢١ ص١٧٩.

(٣) هو الشيخ **إبراهيم البازوري**، توفي في طوس، وله ديوان شعر صغير، وله رسالة =

الوحيد الذي رثاه، وكأني به ينصح هذا التلميذ الوافد حديثاً على إيران أن يعود من حيث أتى عندما يقول له: «آباؤنا وأجدادنا في جبل عاملة، كانوا دائماً مشتغلين بالعلم والعبادة.. ولما شربنا ماءَ العجم سُلِبنا جميعَ ذلك»[1].

في حلب

ثم كان الوصول إلى حلب محطّة قبل العودة إلى إيران، فقد ذكر الشيخ أبو الوفاء العُرضي[2]، في ترجمة البهائي أنه: «قدم حلب مستخفياً زمن السلطان مراد بن سليم مغيّراً صورته بصورة رجل درويش، فحضَر دروس الوالد ـ يعني الشيخ عمر ـ وهو لا يظهر أنه طالب علم حتى فَرَغَ من الدرس... ولما سمع بقدومه أهل جبل عامل، تواردوا عليه أفواجاً أفواجاً، فخاف أن يظهر أمره فخرج من حلب»[3].

العودة إلى إيران (رمضان ٩٩٢هـ/ ١٥٨٥م)

وفي طريقه بين حلب وآمد[4]، وهو عائد إلى إيران نظم ثلاثة

= أسماها: «رحلة المسافر وغنيته عن المسامر». ترجمته في *أمل الآمل* ج١ ص٢٥. وفي *أعيان الشيعة* ج٢ ص١٠٧ ـ ١٠٨.

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٦.

(٢) **أبو الوفاء العُرضي**: (٩٩٣هـ ١٥٨٥م ـ ١٠٧١هـ ١٦٦٠م) هو أبو الوفاء بن عمر ابن عبد الوهاب الشافعي العُرْضي الحلبي، وهو مفتي الشافعية بحلب، وابن مفتيها وأحد أعيان العلماء في المعرفة والإتقان والحفظ والضبط، اشتغل بالتدريس والتصنيف والإفتاء. ترجمته في *ريحانة الألبا* ص٢٦٩ وفي *خلاصة الأثر* ج١ ص١٤٨.

(٣) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٣.

(٤) **آمد**: مدينة تقع شمالي بين النهرين، على ضفاف دجلة وتُعرف اليوم بديار بكر في =

أبيات باللغة الفارسية قال عنها: «مما سمح به الطبع الجامد، حال الحلول ببلدة آمد، وكنت متوزع الخاطر، ذا قلب حزين ودمع ماطر، لأن الزمان غير مساعد، والدهر للأحباب مباعد، والقافلة قد طولوا الإقامة، حتى حصل كمال الملال والسآمة، وذلك بسبب منع الحكام، للطمع في أخذ شيء من الحطام، فبقيت هناك اثني عشر يوماً، لا أعرف مأكلاً ولا نوماً، حتى يسّر الله سبحانه المسير»[(١)].

أيا نسيم الصباح إنك لتهبُ الروح/	لكأنّك آتٍ من ديارِ العجم/
لقد تجدَّد بك لهيبُ الشَّوق/	لكأنَّك تصلُ من إقليم العراق/
الميت منذ مائة عام يسترجع منك الروح/	ترى! هل عبرت بأصفهان؟[(٢)]

توحي هذه الأبيات أنه في شوقٍ إلى بلاد إيران والعراق وإلى أصفهان خاصة، وقد رجع إلى أصفهان في تلك السنة ـ فهو ذكر بخطه في سفينة[(٣)]، يقول الأستاذ سعيد نفيسي[(٤)]، إنها موجودة عنده: «الكاتب

= شرقي تركيا، وإليها ينتسب الآمدي سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد (٥٥١هـ ١٥٢٤م) أحد فقهاء المذهب الحنبلي، ثم الشافعي، انظر لغت نامه مج١ ص١٧١ وفرهنگ فارسى ج٥ ص٥٨.

(١) *الكشكول* أعلمي، ج١ ص٢٩.

(٢)

روح بخشى اى نسيم صبحدم	كويا ميايى ازملك عجم
تازه كرديد ازتو داغ اشتياق	ميرسى گويا ز اقليم عراق
مرده صد ساله يابد از توجان	تو مگر كردى گذر بر أصفهان

الكشكول، أعلمي ج١ ص٢٩.

(٣) السفينة: الفلك لأنها تسفن وجه الماء، على وزن فعيلة بمعنى فاعلة... والسَّفنُ جلد أخشن غليظ يكون على قوائم السيوف (*لسان العرب* ج١٣ ص٢٠٩)، وتستخدم اللفظة للدلالة على مجموع مجلد بجلد غليظ فيه نثر وشعر وخلافه، وتستخدم اللفظة بالفارسية بهذا المعنى أيضاً.

(٤) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٣٠.

الأحرف مما سنح في بلدة وان[١]، وكتب في الهامش: «وقد سنح بالخاطر في ليلة الثلاثاء خامس شهر رمضان المبارك سنة ٩٩٢هـ (١٥٨٥م) أيام المعاودة من مكة المشرّفة[٢]». وفي طريق العودة مرَّ بتبريز، ففي ذيل رباعية له بالفارسية، يقول: إنه كتبها يوم الجمعة ٢٠ صفر ٩٩٢هـ ١٥٨٥م، في تبريز[٣].

وهكذا يظهر لنا أنه أتمّ أسفاره خارج إيران في الحجاز ومصر والشام في رمضان سنة ٩٩٢هـ، أي في أقل من سنتين من بدء رحلته:

(رجب ٩٩١هـ ـ رمضان ٩٩٢هـ). وهذا يُبطل دعوى الذين قالوا إن سياحته دامت ثلاثين سنة.

العودة إلى أصفهان:

بعد سنة ونصف من عودته إلى إيران، أي بتاريخ ٢٣ صفر ٩٩٥هـ ١٥٨٧م، نجده في أصفهان، حيث فرغ من تأليف كتابه «الأربعين» الذي أرخ إتمامه بقوله:

لقد تمَّ تأليف هذا الكتاب و(تمَّ الأحاديث) تاريخه[٤].

وفي سنة ٩٩٧هـ ١٥٨٩م أي السنة نفسها التي فتح فيها الأوزبك المشهد المقدس ونهبوا الروضة المقدسة وأخذوا كل ما فيها وقتلوا

(١) وان وتلفظ Van مدينة في جنوبي شرقي تركيا، وهي مدينة قديمة، كانت سنة ١٥٤٣م تحت سيطرة العثمانيين، واحتلها الروس في العام ١٩١٨م. ولكنها الآن تابعة لتركيا. فرهنگ فارسى ج٥ ص٢١٩٠.

(٢) *المصدر السابق*.

(٣) المرجع نفسه و*الكشكول* ج١ ص٩٧.

(٤) خرسان. مقدمة *الكشكول* ص٦٤ نقلاً عن فهرس إهداء السيد مشكواة إلى مكتبة الجامعة، ج٣ ص١٠٦٧.

الشيخ عبد الله التّستري الخراساني[1]، كان البهائي لا يزال في أصفهان حيث أجاز أحد تلامذته[2]، كما أنه في شعبان سنة ٩٩٨هـ ١٥٩٠م أجاز أيضاً أحد تلامذته في داره بأصفهان[3]، وفي ٢٧ شعبان من السنة نفسها كان في طريقه إلى المشهد المقدس[4]، حيث أوقف بخطه في السنة ٩٩٩هـ ١٥٩١م نسخة من كتابه «الأربعين» على الروضة المقدسة الرضوية[5].

في قزوين

في السنة ١٠٠١هـ ١٥٩٣م، كان في قزوين عاصمة الملك، وفيها كتب قصيدة إلى السيد الأمير رحمة الله النجفي[6]، من معارف أبيه، يوحي جوُّها، بأنه كان لا يزال يعيش الحالة النفسية السيئة نفسها، التي كان يعيشها قبل مغادرته إيران إلى الحج، وقال فيها عن الناس المحيطين به إن «لديهم عجمة ما لها حد»، وها هو بعد ذلك بسنوات تقرب من عشر، لم يحقّق الأماني التي كان يطمحُ إليها، ولا يزال منحوسَ النجم.. لا يسلّيه شعر يصوغه ولا علم يتعلَّمه أو يعلّمه، نفسُ المتنبي

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٧ ص٣٥٤ وج١٠ ص٣٦.

(٢) *الذريعة* ج١ ص٤٢٥ (أجاز تلميذه كمال الدين شاه مير الحسيني على نسخة من أربعينه بخط المجاز).

(٣) *الذريعة* ج١ ص٢٣٩.

(٤) أجاز في كوشك زرود من بلاد فارس لمحمد بن يوسف البحراني العسكري. خرسان ص٦٥ عن مجمع الإجازات ج٢ ص٢٣٦.

(٥) خرسان ص٦٥ نقلاً عن فهرست المكتبة الرضوية، كتب *الأخبار الخطية* ج١ ص٧.

(٦) الأمير رحمة الله النجفي كان إمام الجماعة في معسكر الشاه طهماسب مشمولاً بالإعزاز والاحترام السلطاني: ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٢ ص٤٤٣.

وثورته على زمنه (الذي يريد منه أن يبلغه ما ليس يبلغه من نفسه الزمن)، هو غير راض عن نفسه وعن حياته، ويدفعُنا شعرُه التالي إلى أن نتساءل ماذا يريد الرجل؟ :

أحبَّتنا إنَّ البعادَ لقتَّالُ ... فهل حيلة بالقربِ منكم فنحتالُ
أفي كل آن للتنائي نوائبٌ ... وفي كلّ حينٍ للتهاجرِ أهوال؟
أيا دارنا بالأثلِ لا زال هامياً ... بربعِكِ مسكيُّ الغلالَةِ هطَّالُ
ويا جيرتي طالَ البعاد فهل أرى ... يساعدُني في القرب **حظٌّ وإقبالُ**
وهل يُسعِفُ الدَّهرُ الخؤون بزورةٍ ... على رغم أيامي بها يسعدُ البال؟
خليليَّ قد طالَ المقامُ على القذى ... وحال على ذا الحال يا قوم أحوالُ
بمرّ زماني بالأماني وينقضي ... على غيرِ **ما أبغي** ربيعٌ وشوّالُ
إلى كم أرى في مربعِ الذُّلِّ ثاوياً ... **وفي الحالِ إخلالٌ وفي المالِ إقلالُ**
ونجمي منحوسٌ وذكريَ خاملٌ ... **وقدريَ مبخوسٌ وجدّيَ بطّالُ**
فلا ينعشن قلبي قريضٌ أصوغُه ... ولا يشرحَنْ صدري فعولٌ وفَعَّالُ
ولا ينعمن بالي بعلمٍ أفيدُهُ ... ومُعضلةٍ فيها غموضٌ وإشكالُ
أميطُ جلابيبَ الخفا عن رموزِها ... لتُرفعَ أستارٌ ويذهب إعضالُ
ويلمع نورُ الحقِّ بعد خفائِهِ ... فيُهدى به قومٌ عن الحقِّ ضُلاَّلُ
سأغسلُ رجسَ الذلِّ عني **بنهضةٍ** ... يقلّ بها حِلٌّ ويكثُر ترحالُ
وأركبُ متنَ البيدِ سيراً إلى العلى ... وما كلُّ قوالٍ إذا قالَ فعّالُ
أأقنع بالمرّ النقيع وأرتوي ... وبالقربِ مني سَلسَبيلٌ وسَلسالُ
إذاً لا تندَّت بالسماحة راحتي ... ولا ثار لي يومَ الكريهةِ قِسطالُ
ولا همَّ قلبي بالمعالي ونيلها ... ولا كان لي عن موقف الذلّ إجفالُ[1]

إن ما دفعني إلى أن أورد هنا القصيدة كاملةً أنها تعبّر تعبيراً صادقاً

---

(١) *الكشكول*، أعلمي ج١ ص٢٣٦ و*سلافة العصر* ص٢٩٤.

عما كان يجول في أعماق نفس البهائي، وتصوّر بوضوح شعوراً بالذات، بالأنا لم يغلّفه بغلاف، وإنما تظهر هذه الأنا بجلاء ووضوح، كاشفةً عما يدور في نفس صاحبها من أمان دفينة، ومطالبَ لم تتحقق بعد.

لذلك يحق لنا أن نستاءل لِمَ ذهب إلى قزوين، دار السلطنة؟ وكان قد فارقها منذ أمدٍ بعيد؟

في أصفهان ١٠٠٢هـ

أواخر العام ١٠٠٢هـ، أوائل العام ١٥٩٤م، نجده مرة أخرى في أصفهان وقد أجاز تلميذه السيد حسين بن حيدر الكركي العاملي إجازة مبسوطة كتبها له بخطه على ظهر كتاب «قواعد الأحكام» للعلامة الحلي[١].

في العراق ١٠٠٣هـ

سنة ١٠٠٣هـ ١٥٩٥م، نجده في المشهد الكاظمي بصحبة تلميذه السيد حسين الكركي، وقد أجازه داخل العتبة تجاه ضريحي الإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام يوم السبت ١٦ جمادى الأولى سنة ١٠٠٣هـ ١٥٩٥م. كل ما اشتمل عليه كتاب «من لا يحضره الفقيه»[٢].

---

(١) خرسان مقدمة *الكشكول* ص٦٦.

(٢) قال عنه السيد حسين الكركي تلميذه:

«كنت في خدمته منذ أربعين سنة في الحضر والسفر، وكان له معي محبة وصداقة عظيمة، سافرت معه إلى زيارة أئمة العراق عليهم الصلاة والسلام، فقرأت عليه في بغداد والكاظميين، والنجف الأشرف، وحائر الحسين عليه السلام والعسكريين، كثيراً =

وأنشده بعدها هذه الأبيات التي رواها عنه تلميذه وقال: نقلتها للتبرك والتيمن فإنها أحسن ما قيل في مدحهما عليهما السلام:

ألا يا قاصد الزّوراء عرّج على الغربيِّ من تلك المغاني
ونعلَيْكَ اخلَعَنَّ واسجُد خضوعاً إذا لاحت لديك القبّتانِ
فتحتهما لعمرُك نارُ موسى ونورُ محمدٍ متقارنان[1]

والتورية واضحة بين النبي موسى عليه السلام صاحب النار في طور سيناء، وصاحب الضريح الأول الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وكذا التورية بين نور النبي محمد صلى الله عليه وآله وصاحب الضريح الثاني الإمام محمد الجواد عليه السلام، كما أن الجناس والطِّباقَ معاً اجتمعا هنا في النار والنور.

وقد زار المشاهد الشريفة في النجف وحدثنا عن ذلك فقال:

«قد صمم العزيمة محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي، على أن يبنيَ مكاناً في النجف الأشرف لمحافظة نعالِ زوار ذلك الحرم الأقدس، وأن يكتب على هذا المكان هذين البيتين اللذين سنح بهما الخاطر الفاتر وهما:

= من الأحاديث، وأجازني في كل هذه الأماكن جميع كتب الحديث والفِقه والتفسير وغيرها»... *روضات الجنات* ج٧ ص٥٨ وقال:

«شيخنا العلامة الفهامة، بهاء الملة والحق والدين محمد أدامه الله تعالى، قد أجازني كل ما اشتمل عليه كتاب «من لا يحضره الفقيه» أن أروي عنه مناولة بطرقه المقررة في الكاظميين عليهما وعلى آبائهما الصلاة والسلام، ظهر يوم السبت سادس عشر شهر جمادى الأولى سنة ١٠٠٣هـ، وأجازني دام ظله البهي، داخل القبة المقدسة في الكاظميين... رواية كل كتاب «*عيون أخبار الرضا*» «صلوات الله عليه ليلة الجمعة السابع من شهر جمادى الثانية سنة ألف وثلاث» المجلسي *بحار الأنوار* ج١٠٧ ص١١، *مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤١٧.

(١) *الغدير* ج١١ ص٢٧٩.

هذا الأفق المبين قد لاحَ لديك فاسجُدْ متذلّلاً وعفّر خدّيك
ذا طورُ سينينَ فاغضضِ الطرف به هذا حرم العزةِ فاخلَعْ نعلَيك(١)

وقد زار الشيخ البهائي مشهد الإمامين العسكريين عليهما السلام في سرّ من رأى، ولما أشرف على المدينة أنشأ هذه الأبيات البسيطة الصَّادقة:

أسرِع السيرَ أيّها الحادي إنَّ قلبي إلى الحمى صادي
وإذا ما رأيت عن كَثَبٍ مشهدي العسكريِّ والهادي
فالثمِ الأرضَ خاضعاً فلقد نلتَ والله خيرَ إسعاد
وإذا ما حَلَلْتَ بناديهم يا سقاه الإله من نادي
فاغضُضِ الطَّرفَ خاضِعاً ولِهاً واخلَعِ النَّعلَ إنه الوادي(٢)

وقد ظلَّ في شعره يحنُّ إلى العراق ومن فيه بعد مفارقته، فيكاتب بعض إخوانه في النجف الأشرف بقوله:

يا ريحُ إذا أتيتَ أرضَ النَّجفِ فالثمُ ترابَها ثمَّ قفِ
واذكر خبري لدى عُريْبٍ نزلوا واديه وقصَّ قصَّتي وانصرِفِ(٣)

كما أرسل إلى خدَّام حرم الحسين عليه السلام:

يا سعدُ إذا جزت ديارَ الأحباب وقتَ السَّحر
قبِّل عني ترابَ تلك الأعتاب واقضِ وطري
إن هم سألوا عن البهائي فانطق رؤيا النظر
قد ذاب من الشوق إليكم قد ذاب هذا خبري(٤)

---

(١) *الكشكول* ج١ ص١٠١ *وروضات الجنات* ج٧ ص٧٠ *والأعيان* ج٩ ص٢٤٧.

(٢) إشارة إلى الآية: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه/ ١٢]. *الكشكول*. أعلمي ج١ ص٢٣ وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٤.

(٣) *الكشكول* أعلمي ج١ ص٢٨.

(٤) خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٤ *والأعيان* ج٩ ص٢٤٧.

بعد العودة من النجف وقبلَ الاتصال بالشاه عباس، حقبة «الخلوة المباركة» كما سماها هو في قم بجانب المعصومة[١]، وقد نظم بيتين بالفارسية ذكرهما في الكشكول، قال: «مما سنح لي في الخلوة القمِّيَّة المباركة السميَّة العليَّة الفاطمية، وقد كنت فيها كثيراً ما أتحدث مع النفس الخاطية العصيَّة في كلِّ بكرةٍ وعشية»[٢].

الحياة العملية

كل المصادر أجمعت أنه بعد عودته من السياحة تولى منصب شيخ الإسلام[٣] في أصفهان زمن الشاه عباس الكبير، وقد عرفنا أنه كان قد تولى منصب أبيه في هراة من سنة ٩٨٣هـ ١٥٧٥م إلى أواخر سنة ٩٨٤هـ ١٥٧٦م، بعد وفاة الشاه طهماسب، ووفاة أبيه بعده بشهر واحد، ثم عاد وتولّى هذا المنصب حين أصبح شيخ الإسلام في أصفهان زمن الشاه

---

(١) **المعصومة**: فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم وأخت الإمام علي الرضا توفيت سنة ٢٠١هـ ٨١٦م وهي في طريقها من المدينة المنورة إلى مرو لملاقاة أخيها الرضا، فلما وصلت إلى ساوة مرضت ونقلت إلى قم حيث توفيت ودفنت هنالك (أعيان الشيعة ج٨ ص٣٩١).

(٢) *الكشكول* أعلمي ج١ ص٢٢٩.

(٣) يرى آدم متز أن تاريخ تسمية رئيس العلماء **بشيخ الإسلام** يعود إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وقد ظهر أولاً عند أهل السنة في خراسان حين لقبوا به أحد علمائهم (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ ص٣٤٩). وكان شيخ الإسلام أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية، أما في الدولة الصفوية فقد كان **ملاَّ باشي**: أو نائب الإمام كما سمي في عصر الشاه طهماسب هو أعلى مرتبة دينية، وأمَّا شيخ الإسلام فيقوم في منزله بالإفتاء في الأمور الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإجراء معاملات الطلاق والزواج وضبط أموال اليتامى وله راتب سنوي ثابت من الشاه (*زندگانى شاه عباس* أول ج٢ ص٣٩٧).

عباس الكبير، بعد وفاة والد زوجته الشيخ علي المنشار[1]، وظل في هذا المنصب إلى أواخر حياته، وإلى هذا الأمر يشير ابن معصوم[2]، والخفاجي عندما يقول: «إنه لما ساح في البلدان واجتمع بمن فيها من الأعيان عاد بدرُ ذاته لفلك أقطاره، فعانق في أوطانه عقائل أوطاره، وهو الآن[3] قرّة عين مجدِها وغرّة جبين سعدها، تطوف بحُرمه وفودُ الأفاضل وتتوجه شطرَه وجوه الآمال من كل فاضل بنعيم مقيم، تتحدث عنه طروس الأشعار، وتكتحل بأثمد مداده عيون الطروس والأسفار.. كان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم لا يصدر إلا عن رأيه إذا عقد ألوية الهمم»[4].

إن أول تاريخ نعثر عليه يجمع بين البهائي والشاه عباس (جلـ ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) سنة ١٠٠٥هـ ١٥٩٦م، وهي السنة التي قرر فيها الشاه عباس نقل عاصمة الملك من قزوين إلى أصفهان، وأمر بإنشاء عمارات مهمة فيها[5]، وفي أواخر تلك السنة توجه الشاه عباس إلى المشهد المقدَّس الرضوي في طريقه إلى هراة لقمع فتن الأوزبكية[6]،

(١) *مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤٢١.

(٢) *سلافة العصر* ص٢٩٠.

(٣) ولفظة (الآن) في نصّ الخفاجي تعني الزمن الذي كتب فيه *ريحانة الألبا*، ولد الخفاجي سنة ٩٧٧هـ ١٥٦٩م وتوفي سنة ١٠٦٩هـ ١٦٥٨م، وقد صرّح في مقدمة *الريحانة* أنه كتبه في مرحلة الكهولة (لأنه يتحدث في المقدمة عن الشباب بصيغة الماضي) *الريحانة* ص٤ و٥ و٦ وقد ترجم الخفاجي لنفسه في مقدمة *ريحانة الألبا*، كما ترجم له صاحب *خلاصة الأثر* ج١ ص٣٣١ ـ ٣٤٣.

(٤) الخفاجي، *ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٩.

(٥) *تاريخ مفصل إيران لعباس إقبال* ص٦٧٧.

(٦) كان الأوزبك قد احتلوا المشهد المقدس الرضوي سنة ٩٩٧هـ بعد تسلم الشاه عباس الحكم بسنة واحدة.

وأمر بوقف نسخة من القرآن الكريم بخط كوفي على المكتبة الرضوية، وقد كتب الشيخ البهائي عليها صورة الوقف بخطه(١).

أما عملية الانتقال الرسمي إلى أصفهان فقد تمت سنة ١٠٠٦هـ ١٥٩٨م، ولم يكن الشيخ قد تولى بعد مشيخة الإسلام، لأنه كان في شوّال سنة ١٠٠٧هـ ١٥٩٩م، لا يزال في المشهد الرضوي حيث أتمّ القسم الأول من كتابه «الحبل المتين»، فقد جاء في آخره: «وكان الفراغ من تأليفه في مشهد سيدي ومولاي، وكهفي ورجائي، إمام الأبرار، ثامن الأئمة الأطهار، أبي الحسن علي بن موسى الرضا:

سلام من الرحمن نحو جنابه ... فإن سلامي لا يليق ببابه

واتفق اختتام هذه النسخة المباركة التي هي نسخة الأصل، داخل القبَّة المقدَّسة المنوَّرة الرضوية، وأنا متوجّهٌ إلى الضريح المقدس، جاعلاً بيني وبينه القبلة، متوسلاً إلى الله سبحانه بصاحب الضريح، وآبائه وأولاده الطاهرين، سلام الله عليهم أجمعين أن ينفعَ الطالبين، وأن يثبت لي فيه قدمَ صدقٍ يومَ الدين... وكتب مؤلف الكتاب محمد الشهير ببهاء الدين العاملي.. بعد الفراغ من صلاة صبح الجمعة، الثامن عشر من شهر شوّال سنة ألف وسبع من هجرة سيد المرسلين»(٢).

وبقي في المشهد حتى ذي القعدة من تلك السنة حيث كتب نصاً في العزلة: هو خمسة أبيات باللغة الفارسية:

إذا كنت تريد لنفسك الأمان فاخفِ وجهَك عن الناس

---

(١) خرسان (مقدمة *الكشكول* ص٧٥ ـ ٧٦)، ويقول إن النسخة في المكتبة الرضوية تحت رقم ٤٩، وقد ذكر السيد الأمين صورة الوقف في *الأعيان* ج١ ص٩. (راجع).

(٢) *الحبل المتين*. منشورات بصيرتي ص٢٦٣.

إذا كنت تريدُ كنزاً فاجعل كنزَ العزلة مقامك
واستتر واستخفِ عن كل الأنام
فبما أنَّ ليلة القدرِ غدت مستورةً على الجميع
لذا غدَت منورة من القدم وحتى الرأس
لأن الإسمَ الأعظمَ لا يعرفُه أحدٌ
لذا كان له التفوقُ على الأسماء
وما دمت أنتَ أيضاً محتجباً عن الخلائق
فأنت ليلةُ القدرِ والإسمُ الأعظم[1]

ثم يقول: هذه الأبيات الخمسةُ قلتُها في المشهدِ المقدَّسِ الرضوي على ساكنه السلام في ذي القعدة سنة ألف وسبع، ورأيت في المنام في الليلة المتأخرة عن يوم قلتها فيه، إنَّ والدي (ره)، أعطاني رقعةً مكتوبٌ فيها هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2].

معنى رؤية أبيه في المنام أنه كان لا يزال متردداً في قبول المنصب، ألم يكن أبوه قد قال له: «إذا كنتَ لا تريد الدنيا ولا الآخرة فابق في إيران»؟ وهو الذي علّمه هذا القول من أقوال القدماء: «شرّ العلماء من لازم الملوك، وخير الملوك من لازم العلماء»[3].

---

(١) والأبيات هي:

تـوزديـو نـفـس اگـرجـوئـى أمـان — روبنهان شو چون پرى أز مرد مان
گنج خواهي گنج عزلت كن مقام — واستتر واستخفِ عن كلّ الأنام
چون شب قدر أز همه مستور شد — لا جـرم أز پـاى تـاسـر نـور شـد
اسم أعظم چون كسى نشناسدش — سـرورى بـركـلّ اسـمـا باشـدش
تاتو نيزاز خلق پنهانى همى — لـيـلـة الـقـدرى واسـم أعـظـمـى

الكشكول ج١ ص١٩٩.

(٢) *المصدر نفسه* ص٢٠٠.

(٣) *المصدر نفسه* ج١ ص٢٣٠.

وفي الكشكول غزل يقول إنه قاله في محرم سنة ١٠٠٨هـ ١٦٠٠م، في أثناء رجوعه من المشهد الرضوي[١].

أواخر سنة ١٠٠٨هـ ١٦٠٠م، وفي فصل الخريف زار الشاه عباس المشهد الرضوي ماشياً على قدميه، وقطع المسافة في ٢٨ يوماً وكان معه جماعة قيل إنّ الشيخ البهائي واحد منهم[٢]، وهذا الأمر محتمل إذ إن بين محرم ١٠٠٨هـ وذي الحجة من السنة نفسها مدة كافية لمغادرة المشهد ثم العودة إليها مع الشاه، يؤكد ذلك قول تلميذه السيد حسين الكركي: «كنت في خدمته في زيارة الرضا عليه السلام في السفر الذي توجه فيه النواب الأعلى خلّد الله ملكه أبداً، ماشياً حافياً من أصفهان إلى زيارته، فقرأت عليه هناك تفسير الفاتحة، من تفسيره المسمى «العروة الوثقى»، وشرحيه على دعاء الصباح والهلال من «الصحيفة السجادية» ثم توجّهنا إلى بلدة هراة التي كان سابقاً هو ووالده فيها شيخ الإسلام، ثم رجعنا إلى المشهد المقدس، ومن هناك توجهنا إلى أصفهان»[٣].

هذا القول يؤكد اجتماع البهائي بالشاه في المشهد المقدّس الرضوي، ثم توجهه بصحبة تلميذه إلى هراة لتفقّد مرابع الصبا[٤]. ثم عاد إلى المشهد، وكان الشاه عباس لا يزال فيها، فعادا معاً إلى أصفهان.

---

(١) *المصدر نفسه* ج١ ص٢٢٧.

(٢) *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص١٥٥. وقد تورمت قدما الشاه في هذه الرحلة وخرج فيهما الطفح.

(٣) *الأعيان* ج٩ ص٢٣٩ وتكملة *أمل الآمل* ص٣٤٤.

(٤) حرم البهائي من زيارة هراة مدّة، لوقوعها في يد الأوزبك، ولكنَّ الشاه انتصر عليهم وحررها منهم سنة ١٠٠٧هـ، وزندگانى *شاه عباس* ج٤ ص١٥٥، ويحتمل أن يكون قد نذر أن يزور المشهد حافياً بعد انتصاره على الأوزبك.

وقد أوقف الشاه عباس على العتبة المقدسة مصحفين كتب عليهما البهائي صورة الوقف بخط كوفي[1].

لعلَّ البهائي تولى منصب شيخ الإسلام سنة ١٠٠٨هـ ١٦٠٠م بعد عودته والشاه من المشهد إلى أصفهان، لأننا نراه بعد هذا التاريخ مع الشاه في السفر والحضر، في الحرب والسلم... سنة ١٠١٠هـ ١٦٠٢م، يوم الخميس أواخر شهر ربيع الثاني كان في قرية حوالى «سمنان»[2]، فحدث فيها تلميذه السيد حسين الكركي بحديث الجبن والجوز المسلسل[3]، وكان الشاه في طريقه إلى محاربة العثمانيين.

سنة ١٠١١هـ ١٦٠٣م في ١١ ربيع الأول، كان بصحبة الشاه عباس في مشهد الإمام الرضا، حيث كان الشاه يقوم بنفسه بخدمة العتبة المقدسة، ويشارك القوَّام[4] الخدمة[5].

سنة ١٠١٣هـ ١٦٠٤م كان مع الشاه عباس في أصفهان، حيث عقد له عقد الزواج المؤقت على أخت تهمورس خان[6] الكرجي[7].

---

(١) وقد وصف السيد محسن الأمين القرآن المجيد الموقوف وذكر صورة الوقف في *الأعيان* ج١ ص٨٩.

(٢) سمنان بلدة تبعد عن طهران ٢٤ كلم شرقاً بين الري ودامغان على طريق المشهد، *فرهنگ فارسى* ج٥ ص٨٠١.

(٣) *إجازات البحار* ص١٣٤.

(٤) **القوام**: هو الشخص الذي يتولى خدمة المقام الشريف: تنظيف الصحن وتطهيره وإشعال الشموع والأضوية.

(٥) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٦٢.

(٦) **تهمورس خان**: حاكم كرجستان قبل استيلاء الشاه عباس عليها، لجأ إلى الشاه عباس مع أمه وأخته هرباً من أعدائه المحليين.

(٧) عقد البهائي عقد الزواج المؤقت على أخت تهمورس خان لأنه ما كان بإمكانه أن يضيفها إلى زوجاته وبينهن ٤ أميرات (عقد رسمي)، وفي حريمه حوالى ٤٠٠ جارية، *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢١٤.

أواخر سنة ١٠١٤هـ ١٦٠٦م توجه الشاه عباس إلى نواحي تفليس وگنجه[1]، لإخضاع الگرجيِّين وتم له الفتح أوائل سنة ١٠١٥هـ ١٦٠٧م[2]، وقد أتم الشيخ في بلدة گنجه حيث كان مع الشاه كتابه «مفتاح الفلاح» وقال في آخره:

«فرغت بعون الله تعالى من تأليفه مع تراكم أفواج العلائق، وتلاطم أمواج العلائق، وتوزع البال بالحل والترحال في أوائل العشر الثالث من الشهر الثاني من السنة الخامسة من العشر الثاني بعد الألف ببلدة گنجه، وأنا أقل الأنام، محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي»[3].

في قم

وفي ذي القعدة سنة ١٠١٥هـ ١٦٠٧م، كان «بقم» وأكمل بها كتاب «الطهارة» من «مشرق الشمسين» في جوار الحضرة المقدسة، في ١٤ ذي القعدة، وقد ذكر في آخره «تم كتاب الطهارة من كتاب مشرق الشمسين وإكسير السعادتين، بتوفيق الله سبحانه، ويتلوه كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى، واتفق الفراغ من تأليفه في اليوم الرابع عشر من الشهر الحادي عشر، من السنة الخامسة عشرة بعد الألف، بدار المؤمنين قم المحروسة، في جوار الحضرة المقدسة، المطهرة الفاطمية، ما زالت مهبطاً للأنوار السبحانية والفيوض الربانية، وكتب مؤلفه أحوج الخلق، إلى رحمة الله الغني، محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي، عامله الله

---

(١) تفليس عاصمة كرجستان، (وكنجة) إحدى أهم مدن هذه المقاطعة. كان اسم كرجستان (جمهوية گرجستان السوفياتية الاشتراكية). *فرهنگ فارسى* ج٦، ص١٦٨٦. واسمها اليوم جمهورية جورجيا.

(٢) *تاريخ ري وأصفهان* ص١٩١.

(٣) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢٠.

سبحانه بلطفه الخفي، حامداً الله على نعمِه الغامرة، مصلياً على أشرف خلقه، محمد وعترته الطاهرة، صلوات الله عليهم أجمعين»[1]. في هذه السنة أيضاً، في قم أجاز بعض تلامذته[2].

في مشهد

سنة ١٠١٦هـ ١٦٠٨م، كان مع الشاه في المشهد المقدس الرضوي، وفي هذا السفر أوقف الشاه آثاراً نفيسة وأملاكاً كثيرة على المشهد المقدس، وكتب صورة الوقف الشيخ البهائي[3].

في أصفهان:

وفي رجب من السنة نفسها، كان الشيخ البهائي في أصفهان، فوفد عليه أبو البحر الخطي وجماعة من أهل البحرين فأنزلهم الشيخ في داره وأكرم وفادتهم، واقترح الشيخ على أبي البحر معارضة قصيدته «وسيلة الفوز والأمان»، فأنشأ قصيدة من خمسة وخمسين بيتاً، مطلعها:

هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري فسقيا، فأجدى الدمع ما كان للدار..

ومدح فيها الشيخ وبني همدان، ومدح صاحب الزمان، وأجاز الشيخ البهائي وأكرمه[4] سنة ١٠١٧هـ ١٦٠٩م، ذهب الشاه عباس مصطافاً إلى بلدات «سلطانية»[5]، ....

---

(١) مشرق *الشمسين*، ص٣٧١.

(٢) بحار *الأنوار* ج١٠٦ ص١٤٧.

(٣) خرسان (مقدمة *الكشكول* ص٧٩).

(٤) ذكر السيد محسن الأمين للخطي قصيدة أخرى مدح بها الشيخ البهائي شاكراً إنعامه عليه ببعض الهدايا، *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٥) **سلطانية**: كان غازان خان الإيلخاني أول من فكر ببناء مدينة قرب منبع نهري أبهر =

و«مراغة»[1]، وأردبيل[2]، ولما وصل إلى مراغة، ورأى آثار المرصد الإيلخاني[3] الذي بناه هولاكو، عزم على إعادة بنائه والانتفاع به واختار

= وزنجان، ولكن أخاه أولجايتو الإيلخاني هو الذي طبق أمنية أخيه عملياً، فبنى مدينة سلطانية الحالية التي كانت محطة لجند المغول في عبورهم من العراق إلى آذربيجان وبالعكس. وقد وضع أسسها غازان خان ولكن أولجايتو هو الذي أكمل بناءها وأسماها باسم سلطانية على بعد خمسة فراسخ من زنجان وتسعة فراسخ من نهر أبهر. تم بناؤها في العام ٧١٣هـ. وأصبحت من أهم المدن الإسلامية وكانت عامرة بالأبنية والمدارس والمساجد والحمامات والأسواق، وبنى أولجايتو في وسطها قلعة ضخمة وفيها أيضاً مقبرة أولجايتو أو (گنبد سلطانية) من آثار السلطان أولجايتو محمد خدابنده (٧٠٣ ـ ٧١٦هـ). وهذا البناء مسجد رائع من حيث البناء والضخامة والتزيين. . . وهو بناء مثمّن الأضلاع وطول كل ضلع ٨٠ متراً، وفوق هذه الأضلاع الثمانية قبَّة عالية جداً. في القسم الأسفل من هذا البناء غرف عديدة سقوفها مزينة بالآجر الملون وعلى الحواشي كتبت الآيات القرآنية وأسماء الله الحسنى بالخط الجلي، أما القبة فهي مزينة بالكاشي الفيروزي. وقرب هذا البناء مقبرة الأولجايتو محمد خدابنده. انظر *لغت نامه:* مج١٦ ص٥٩٥ و*فرهنگ فارسی* ج٥ ص٧٨٨.

(١) **مراغة** مركز محافظة مراغة اليوم، من أشهر المدن القديمة في آذربيجان، تقع على بعد ٧٦٠ كيلومتراً شمالي غربي طهران، أكثر أهلها اليوم من المسلمين الشيعة، وفيها عدد من العائلات المسيحية واليهودية، تمر فيها طريق آذربيجان الحديدية التي تصل طهران بتبريز، بلغت أوج مجدها في أثناء حكم المغول لأن هولاكو خان جعلها عاصمة ملكه، *فرهنگ فارسی* ج٥ ص١٩٤٥.

(٢) **أردبيل**: من أشهر مدن آذربيجان، ذكر ياقوت أن بينها وبين بحر الخزر مسيرة يومين (*معجم البلدان* ج١ ص١٤٥)، وهي محاطة بالجبال وفي المغرب منها يقع بركان سيلان الخامد على ارتفاع ٤٨٢٠ متراً، من أهم آثارها التاريخية مقبرة الشيخ صفي الدين الأردبيلي جد الملوك الصفويين، كما أن متحفها يعدّ من أهم متاحف إيران القديمة، *فرهنگ فارسی* ج٥ ص١١٦ و*تشكيل شاهنشاهی صفويه* ص٢٠.

(٣) **المرصد الإيلخاني**: هو المرصد الذي بُني في زمن هولاكو خان المغولي على بعد أربعة كيلومترات من مراغة، بأمر الخواجه نصير الدين الطوسي، وهو المعروف بالزيج الإيلخاني: *فرهنگ فارسی* ج٥ ص١٩٤٥.

الشيخ البهائي وملا جلال المنجم[1] وعلي رضا الخطاط[2]، لتهيئة المرصد، وإعادة العمل به، وقد وضعوا مخططاً للعمل وعرضوه على الشاه، ولكن لم يُعلم لماذا لم يتم ذلك عملياً[3].

سنة ١٠١٨هـ ١٦١٠م كان مع الشاه عباس في أصفهان[4].

سنة ١٠١٩هـ ١٦١١م كان مع الشاه في قراباغ[5]، وكانت هنالك معركة بين الشاه والعثمانيين كان الجيش العثماني فيها متفوقاً على الجيش الإيراني من حيث العدد.. وقد انتصر الشاه في هذه المعركة[6]،

---

(١) **ملا جلال المنجم**: أو ملا جلال الدين محمد اليزدي المنجم الخاص للشاه عباس، له كتاب *(تاريخ عباسى)* أرّخ فيه لأهم الأحداث التي وقعت في عصر الشاه عباس الكبير *(زندگانى شاه عباس أول* ج٣ ص٣٨).

(٢) **علي رضا العباسي**: أشهر الخطاطين والرسامين في عصر الشاه عباس، كان يقيم أولاً في تبريز، أحرز هناك شهرة فائقة في الرسم وحسن الخط، مما أدى إلى أن استدعاه الشاه عباس، وقرن اسمه باسمه فأصبح يعرف باسم «علي رضا العباسي» بعد أن كان يعرف باسم علي رضا التبريزي وأسند إليه ديوان الكتابة، فأعدّ بأمر الشاه عباس كتاباً يضم مجموعة من خطوط كبار الخطّاطين، وصور أشهر المصورين والنقّاشين، وأطلق عليه اسم *«كتاب الخرقة»*، كما أن جميع اللوحات الخطية التي كتبت في مسجد الشيخ لطف الله، وعمارة علي قابو وسوق أصفهان ومسجد الشاه بأصفهان، وكذلك المدخل الرئيسي لعلي قابو في قزوين كانت كلها بخط علي رضا العباسي.

(انظر *إيران در زمان صفويه* ص٣٨١، *وزندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٥٣).

(٣) *تاريخ مفصل إيران* ص٦٨٧.

(٤) *زندگانى شاه عباس* ج٢ ص٢٩١، وذكر الأميني أيضاً أنه أجاز في هذه السنة لأحد تلامذته: *الغدير* ج١١ ص٢٥٣.

(٥) **قراباغ**: أحد مرتفعات آذربيجان شمالي نهر أرس في بلاد القوقاز، وهي المدينة نفسها التي ورد اسمها في المصنّفات القديمة بأران. *فرهنگ فارسى* ج٦ ص١٤٤٣.

(٦) *المصدر السابق*: ج٢ ص٢٥٢.

وأجاز في هذه السنة أيضاً في قراباغ تلميذه الحاج حسيناً[1]، على ظهر نسخة الزبدة كتبها المجاز بخطه[2].

سنة ١٠٢٠هـ ١٦١٢م كان مع الشاه في أصفهان، وقد أجاز في هذه السنة عدداً من تلاميذه[3].

سنة ١٠٢١هـ ١٦١٣م، ذهب مع الشاه عباس من مازندران وجيلان لزيارة المشهد الرضوي، وقد أتمّ في هذه السنة «لغز الزبدة» وأرخه بقوله (رضوية ١٠٢١)[4].

سنة ١٠٢٢هـ ١٦١٤م كان في أصفهان، وفيها أجاز تلميذه الرويدشتى المعروف بشريفا الأصفهاني[5].

سنة ١٠٢٤هـ ١٦١٦م كان أيضاً في أصفهان وهو الذي غسل وكفّن صفي ميرزا ابن الشاه عباس الأول الذي قتل بأمر أبيه[6].

سنة ١٠٢٥هـ ١٦١٧م، أرّخ بناء الحمام الذي كان من العجائب في أصفهان، والذي اشتهر أنه من تصميمه في هندسة بنائه[7].

يبدو أنه ظل في أصفهان من سنة ١٠٢٨هـ ١٦١٤م وإلى حين وفاته.

---

(١) **الحاج حسينا**: السيد أمير شرف الدين حسين المشهور بـ «حسينا».

(٢) خرسان مقدمة *الكشكول* ص٩٣ نقلاً عن نسخة هاى خطي ج٤ ص٣٩٨.

(٣) *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٤٨ وص١٤٩ وتكملة *أمل الآمل* ص١٢٠ *والذريعة* ج١ ص٢٣٧ ـ ٢٣٨ *وأعيان الشيعة* ج٤ ص١٣٨ وج٦ ص٦.

(٤) *تاريخ أصفهان وري* ص١٩٣، وخرسان مقدمة *الكشكول* ص٨٢.

(٥) *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٥١ *والأعيان* ج٩ ص٣٣٦.

(٦) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص١٧٩ وص٢٣٠.

(٧) *تاريخ أصفهان وري* ص١٩٣ وخرسان (مقدمة *الكشكول*) ص٨٣ نقلاً عن گلزار قندهار ص٧٧.

كما أن من الواضح أنه لم ينقطع عن التعليم، حتى نهاية عمره، كما يتضح من إجازاته لعدد من تلاميذه[1].

زوجته

«قالوا في العزوبة ألف هم: فقلت لهم وفي التزوج أيضاً»[2]، لم يذكر أحدٌ من المؤرخين اسم زوجته، ولكنهم ذكروا أنها كانت ابنة الشيخ زين الدين علي المعروف بمنشار العاملي، الذي كان من أجلَّة الفضلاء، المعاصرين للشاه طهماسب الصفوي، وكان قد ذهب إلى الهند[3]، وقد تولى مشيخة الإسلام بعد أستاذه المحقق الثاني الكركي، وهو الذي طلب الشيخ حسين بن عبد الصمد إلى إيران، ولما جاء أخذ في ترويجه، وزوّج ابنته من الشيخ البهائي، ولما توفي، انتقلت مشيخة الإسلام إلى صهره البهائي[4].

كانت زوجة البهائي وحيدة أبويها، وقيل إنها ورثت أربعة آلاف مجلد، كان أبوها قد أحضر أكثرها من الهند، وكانت هذه الكتب من جملة الكتب التي وقفها البهائي، ولما توفي ضاع أكثر تلك الكتب، لتقصير القيّمين عليها[5].

---

(١) *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٥١ وج١٠٧ ص٢٣٩ *وأمل الآمل* ج١ ص١٦٩ *والغدير* ج١١ ص٢٥٦ و٢٥٨ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٣٣٥ وج١٠ ص١٠.

(٢) من أقوال الشيخ البهائي في *الكشكول*: أعلمي ج٣ ص٩٧.

(٣) كانت العلاقات بين التيموريين ثم القطب شاهيين في الهند وبين الصفويين في إيران علاقات طيبة وهاجر على عهدهم جمع كثير من إيران إلى الهند من الفقهاء والمجتهدين والشعراء والعرفاء، وعمل هؤلاء على نشر الإسلام في الهند «مرتضى مطهري» الإسلام وإيران ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٤) لم يذكر أحد من المؤرخين القدماء سنة وفاته.

(٥) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٣٠.

وقيل عن زوجة البهائي أيضاً إنها كانت عالمة، وافرة الفضل، فقيهة، محدّثة، صالحة، قرأت على والدها، وكانت تدرّس الفقه والحديث للنساء، وقد بقيَت مدة بعد وفاة الشيخ البهائي[(١)].

ذريّته

لم يذكر المترجمون للبهائي، أنَّ له ذرية، وبعضهم قال إنه كان عقيماً، وقد اعتمد السيد محسن الأمين على هذه الأقوال ليؤكد لنا «أن سياحته كانت ثلاثين سنة»، «وأنه لو كان له أولاد وعائلة لا تطاوعه نفسه على فراقهم كل هذه المدة»[(٢)].

ولكن جاء في رياض العلماء أن البهائي لم يخلّف ولداً ذكراً، وكان له بنت، وكان أحفاد ابنته موجودين في عصر صاحب الرياض[(٣)]، في القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي.

ويقول الأديب المعاصر سعيد نفيسي، أن العارف الكبير المعاصر له، «السيد محمد باقر ألفت الأصفهاني المعروف» كتب إليه: «إن عائلتين من أعقاب الشيخ البهائي تعيشان الآن (١٣٦١ش ـ ١٩٨٢م) في أصفهان، وإحدى هاتين العائلتين تعيش في محلة «تل واژگان» في جنوبي شرقي المدينة، وإن أحد شيوخها المعمّرين يقول: إن منزل البهائي كان في تلك المحلة[(٤)].

---

(١) راجع ترجمتها في *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤ و*منتخب التواريخ* ص٤٦١، و*مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤٢٠ و*تكملة أمل الآمل* ص٢٨٠ و*أعيان الشيعة* ج٢ ص٢٧٥ و*نفيسي* ص٣٦ و*غلا محسين جواهري* ص٤.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٢.

(٣) الأصبهاني: *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤.

(٤) نفيسي «*آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٥٨».

ويروي أهالي أصفهان، أن أناساً في محلة «بيدآباد»، في شمالي أصفهان يقولون إنهم من أعقاب الشيخ البهائي، وعملهم هو صناعة المسحوق الأبيض (البودرة) الذي يستخدم في الدهان، وينسبون اختراع هذا المسحوق إلى الشيخ البهائي، ولا يسمحون لأحد بأن يطّلع على سره، وفي محلة «أحمد آباد» في أصفهان عائلة تدّعي نسبتها إلى الشيخ البهائي، وفي طهران أيضاً عائلة أخرى تدّعي ذلك[1].

لا نستطيع تأكيد الأمر أو نفيه، لأن لا أحد من أصحاب الكتب المعتبرة عدا صاحب الرياض تحدّث عن هذه البنت، ولكن من غير البعيد أن يكون للبهائي بنت، إذ ليس من عادة المؤرخين، أن يتحدثوا كثيراً عن البنت إلا إذا كان لها علاقة بأحد الرجال المشهورين، كما لاحظنا بالنسبة إلى زوجة البهائي، ولو كانت هذه العالمة الفقيهة زوجة رجل غير مشهور لما تحدث أحد عن علمها ولا عن صلاحها، حتى والدها استمد شهرته من شهرة صهره، فجميع الذين أرّخوا للشيخ علي المنشار، نعتوه بعبارة «والد زوجة البهائي».

بيته

إضافة إلى البيت الذي كان يسكنه في المشهد، وقيل إنه دفن فيه، وإلى البيت الذي سكنه مع والده في قزوين، والبيت الذي سكنه في هراة، (وهذان لا نعرف عنهما شيئاً) كان للشيخ البهائي منزلان في أصفهان، أحدهما الذي كان يعيش فيه حتى عام ١٠١٧هـ ١٦٠٩م، والآخر «قصر» قدّمه له الشاه عباس، كانت تملكه عمة الشاه «مريم سلطان خانم» أخت الشاه محمد خدابنده وابنة الشاه طهماسب فقد كانت

(١) نفيسي: *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص.ن.

زوجة أحمد خان گيلاني[1]، الذي التجأ إلى الدولة العثمانية بعد أن غضب عليه الشاه عباس، ولما توفيت «مريم سلطان خانم» عام ١٠١٧هـ ١٦٠٩م، قدّم الشاه عباس قصرها في أصفهان هدية للشيخ بهاء الدين العاملي ليصلي فيه عن روحها، ويقرأ لها الفاتحة[2].

ولعل هذه الدار، هي الدار الرحبة الفناء التي تحدث عنها صاحب السلافة: «وكانت له دار مشيدة البناء، رحيبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام

---

(١) **أحمد خان گيلاني**: كان من قواد الشاه طهماسب والشاه محمد خدابنده وقد تزوج من ابنة الشاه طهماسب في بداية حكم الشاه محمد خدابنده، ولسبب غير معروف غضب الشاه عباس على أحمد خان، فلم يجد هذا الأخير مفراً سوى الهرب من طريق شروان إلى الأراضي العثمانية، وبعد فراره أحضرت زوجته إلى قزوين ثم عاشت بعد ذلك في قصر الشاه عباس، ولما توفيت سنة ١٠١٧هـ نقل جسدها إلى المشهد المقدس (*زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٠٤ ترجمته في *خلاصة الأثر* ج١ ص٣٧٣):

(*) **خان أحمد الكيلاني**: «الشريف الحسني سلطان بلاد كيلان كان أحد أفراد العالم في العلوم الرياضية والحكمية حصل علم الهيئة والهندسة والفلك وكان إليه النهاية في الموسيقى والشعر الفارسي وإذا نظم غزلاً ربطه في أصوات ونغمات، وكان طهماسب شاه قد اعتقله في قلعة دهقهة (قهقهة) في بلاد العجم، ومكث بها معتقلاً سنين عديدة وكان معه في السجن الشاه إسماعيل الثاني. . . الذي أطلقه من قلعة قهقهة عندما تولى الحكم إلى قلعة اصطخر، ثم عاد الشاه محمد خدابنده وأطلقه منها وولاّه بلاد گيلان، فلم يزل بها إلى أن أخذ السلطان مراد بن سليم عراق العجم وكل عراق العرب وآذربيجان وشروان وبلاد الگرج، عندها أرسل الشاه عباس عسكراً وافراً فأخذوا گيلان من يد أحمد خان، فهرب مع جماعة معدودين إلى جانب السلطان مراد، فدخل عليه وامتدحه بقصيدة يحثه فيها على أخذ گيلان من يد الشاه عباس، وأهدى له شمعداناً مرصعاً قيل إنه خمِّن بثمانين ألف دينار ولم يحصل على مراده من العسكر وذهب إلى بغداد بإذن السلطان فمات فيها في سنة ١٠٠٩هـ ١٦٠٠م.

بتصرف عن *خلاصة الأثر* ج١ ص١٣٧٣.

(٢) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٠٤.

والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل فكم مهد بها وضع، وكم طفل بها رضع، وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشيا، ويوسعهم من جاهه جناباً مغشياً»[1].

يذكر البيتين أيضاً الرحالة الفرنسي «شاردن»[2] في كتاب رحلته في وصف أصفهان زمن الصفويين بقوله: «إنّ في محلة «دردشت» في أصفهان جادة باسم الشيخ بهاء الدين العاملي، صاحب الكتاب الفقهي المعروف «جامع عباسى»، وأنه كان له بيت في تلك المحلة، كما أن فيها حمامين أحدهما باسم الشيخ البهائي[3]، ويذكر في مكان آخر من كتابه أن للشيخ بيتاً في محلة جسر «خواجو» كما يقول أن هذا البيت هو آخر أبنية تلك المحلة.

وفاته:

قال الأميني في الغدير: «إن القول بوفاته سنة ١٠٣٠هـ، كان هو المعتمد عليه عند المشايخ[4]، وعلى الرغم من ذلك، فإن تحديد سنة الوفاة، لم يسلم من اختلاف كسائر أحوال الشيخ البهائي التي لحقتها الأوهام والشكوك.

قال ابن معصوم: «أخبرني بعض ثقات الأصحاب أن الشيخ رحمه الله تعالى، قصد قبيل وفاته زيارة المقابر في جمع من الأجلاء،

---

(١) *سلافة العصر* ص٢٩٠.

(٢) **جان شاردن**: سائح فرنسي (١٦٤٣م ـ ١٧١٣م) لقد سافر بين ١٦٦٤ و١٦٧٧م مرتين إلى إيران، وبقي في كل مرة أربع سنين، وكتب وصفاً لرحلته سماه voyage en perse et aux indes orientales في خمسة أجزاء. *فرهنگ فارسى* ج٥ ص٨٥٩.

(٣) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٣٢.

(٤) المرجع نفسه ص٣٢ نقلاً عن:
chardin: voyages tom. V111.p.160 et p.201 et 202.

والأكابر، فما استقر بهم الجلوس، حتى قال لمن معه، إني سمعت شيئاً، فهل منكم من سمعه، فأنكروا سؤاله، واستغربوا مقاله، وسألوه عما سمعه، فأوهم وعميَّ في جوابه، وأبهم، ثم رجع إلى داره فأغلق بابه، ولم يلبث أن أهاب به داعي الردى فأجابه...»[١].

وقال محمد تقي المجلسي[٢] في ترجمة أستاذه الشيخ البهائي: «إنه سمع قبل وفاته بستة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين، وكنت قريباً منه فنظر إلينا وقال: سمعتم ذلك الصوت؟ فقلنا: لا، فاشتغل بالبكاء والتضرّع والتوجه إلى الآخرة، وبعد المبالغة العظيمة قال: «إنّي أخبرت بالاستعداد للموت، وبعد ذلك بستة أشهر تقريباً توفي، وتشرفت بالصلاة عليه مع جميع الطلبة والفضلاء، وكثير من الناس، يقربون من خمسين ألفاً، وحُكي أنَّ الذي سمعه الشيخ كان هذا: شيخنا در فكر خودباش أي: «يا شيخنا فكّر في نفسك»[٣].

وسواء صح ذلك أم لم يصح فإن الشيخ البهائي توفي في أصفهان، واختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته، ولكنّ الأقرب إلى التصديق ما رواه تلميذاه المجلسي الأول والسيد حسين بن حيدر الكركي العاملي، مصاحبه في السفر والحضر.

---

(١) *سلافة العصر* ص٢٩١ و*بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٠٩ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٣ و*مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤١٩ و*نزهة الجليس* ج١ ص٣٧٨.

(٢) **محمد تقي المجلسي**: محمد تقي الأصفهاني: المجلسي الأول ولد سنة ١٠٠٣هـ ١٥٩٤م وتوفي سنة ١٠٧٠هـ ١٦٥٩م في أصفهان ودفن في الجامع الكبير تجد ترجمته في (*أعيان الشيعة* ج٩ ص١٩٢) وسنتحدث عنه بالتفصيل في الفصل الثالث حين نتحدث عن أهم تلامذته.

(٣) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٨ و*مستدرك الوسائل* ج٣ ص٤١٨ و*تكملة أمل الآمل* ص٣٤٦ و*الكنى والألقاب* ص١٠١.

فقد ذكر محمد تقي المجلسي أنه «مات في شوال سنة ثلاثين بعد الألف هجرية في أصفهان، ونُقل إلى المشهد الرضوي»[1]، ولكن المجلسي يضيف إلى هذا التاريخ أمراً بعيداً من التصديق حيث يقول: «...وكان عمره بضعاً وثمانين سنة، فإني سألت عن عمره، فقال: ثمانون أو أنقص بواحدة، ثم توفي بعده بسنتين» ونحن إذا حسبنا سني عمره من ذي الحجة ٩٥٣هـ وحتى شوال ١٠٣٠هـ فيكون عمره ٧٧ سنة أي أقل من ثمانين.

أما السيد حسين الكركي فيقول: «إنه توفي في أصفهان في شهر شوال سنة ١٠٣٠هـ ١٦٢١م وقت رجوعنا من زيارة بيت الله الحرام، ثم نقل إلى مشهد الرضا ودفن هناك في بيته قرب الحضرة الرضوية»[2].

ولا نعرف أيضاً إن كانت هذه الزيارة التي ذكرها الكركي هي زيارة العمرة، أم زيارة حج البيت، لأن هذا الأمر لم يذكر في أي مصدر آخر تحدث عن الشيخ البهائي... إلاّ أن يكون الذي حجّ هو السيد حسين مع آخرين، دون أن يكون البهائي معهم.

وممن قال بوفاته أيضاً سنة ١٠٣٠هـ، معاصرَه المنجم الفلكي محمد قاسم بن المظفر مصاحب الشاه عباس في السفر والحضر، حيث ذكر في كتابه التنبيهات ما ترجمته:

«في سنة ١٠٣٠هـ دخل المريخ في العقرب، وبعد التفكير والتدبر الكثير في ضعف حال المشتري، وقع بخاطري موت شخص من

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٨ ومستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤١٨ وتكملة *أمل الآمل* ص٣٤٦ *والكنى والألقاب* ص١٠١.

(٢) *روضات الجنات* ج٧ ص٥٩. *تكملة أمل الآمل* ص٣٤٤ ـ *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٤.

العلماء، ينجم عن موته وهْنٌ في المذهب، ولما كان الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله، أفضل علماء ذلك الزمان وأكملهم، غلب عليَّ الظن أن شيخ الإسلام يودّع الحياة الفانية، إلى دار الحياة الباقية، فعرضت ذلك على الشاه وكنا في قصبة «أشرف» من توابع «مازندران»، وقلت له: لا يخطر ببالك ما يشوّشك فإنَّ طالع هذه الدولة قويّ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك، وصادف قضاء الله وقدره، أنْ مرض الشيخ بعد ذلك بأربعة أو خمسة شهور، وفي عرض أسبوع ذهب إلى رحمة ربه»[1].

كما ذكر نصر الله فلسفي في مكان آخر من كتابه، أنّ الشيخ بهاء الدين العاملي، العالم، والشاعر المعروف توفي يوم الإثنين في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠هـ[2].

كذلك يقول مؤرخ الدولة الصفويّة إسكندر المنشي: «إن الشيخ مرض في الرابع من شوال سنة ١٠٣٠هـ، وتوفي بعد ذلك بسبعة أيام مساء الحادي عشر من شوال سنة ١٠٣٠هـ وكان الشاه عباس في المصيف خارج أصفهان، واجتمع حول جنازته كثير من الأعيان، وتزاحم الناس على حملها، وبلغ من ازدحامهم، أن ميدان «نقش جهان»، على سعته وفسحته كان يضيق بالناس، فوُضع في المسجد الجامع العتيق، وغُسِلَ بماء البئر، وصلى عليه العلماء والفقهاء، ووُضع في البقعة الشريفة المنسوبة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، والتي هي مدفن اثنين من أولاد الأئمة[3]، (وهو المكان المعروف اليوم في

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٤٨. *وآثار وأشعار شيخ بهائى* ص٥٤ *وكليات شيخ بهائى* (جواهري) ص٢٨.

(٢) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٤٧.

(٣) *عالم آراى عباسى* ص٩٦٧.

أصفهان باسم «درب إمام»[1]، ومنها نقل إلى المشهد الرضوي بحسب وصيته التي كان أوصى بها، وأن يدفن في منزله الذي كان يقيم فيه، في المشهد الرضوي، من جهة رجلي الإمام الرضا عليه السلام[2].

وأرخ اعتماد الدولة ميرزا أبو طالب وفاته بعبارة «شيخ بهاء الدين واي، الشيخ بهاء الدين: آه» وهي في ختام بيتين فارسيين ترجمتهما:

حين ذهب الشيخ من دار الفناء هذه/ صار مأواه إيوان الجنان/
سألني صديق تأريخه فقلت له/ الشيخ بهاء الدين، آه[3]

عبارة التأريخ المتقدمة إذا طرحنا منها الهمزة التي لا تعد في حساب الجمل تعادل ١٠٣٠.

يقول الخوانساري أنه رأى في التعليقات القديمة على نسخة من «توضيح المقاصد» من مؤلفات البهائي: «في ٢٢ شوال سنة ١٠٣٠هـ توفي شيخنا العلامة الكامل بهاء الدين العاملي، وكان تاريخ وفاته بالفارسية:

(بى سر وپاگشت شرع، وافسر فضل او فتاد)[4]، ومعناها:

غدا الشرع بلا رأس ولا قدم وسقط سيد الفضل، المقصود إسقاط

---

(١) إن المدفون هناك هو إسماعيل بن زيد بن الحسن المشهور في أصفهان بإمام زاده إسماعيل: *روضات الجنات* ج٧ ص٧٨.

(٢) *تاريخ عالم آراى عباسى* ص٩٦٧.

(٣) أصل البيتين بالفارسية:

رفت چون شيخ از اين دار فناى گشت ايوان جنانش مأواى
دوستى جست زمن تاريخش گفتمش (شيخ بهاء الدين واى)

نقلاً عن *آثار وأشعار بهائى*: نفيسي ص٥٤.

(٤) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٩ *وآثار وأشعار شيخ بهائى* ص٥٥ *وكليات شيخ بهائى* ص٨ *والأعيان* ج٩ ص٥٣٩.

أول وآخر كلمة (شرع) فتبقى الراء وهي (٢٠٠) وإسقاط أول (فضل) فيبقى الضاد واللام وهما (٨٣٠) فيكون المجموع ١٠٣٠م.

وهكذا نلاحظ أنَّ كل الذين أرّخوا وفاته من معاصريه حدّدوا سنة ١٠٣٠هـ تاريخاً لها، ابن معصوم هو الوحيد الذي ذكر أن وفاته كانت سنة ١٠٣١هـ، وكل الذين قالوا إنه توفي سنة ١٠٣١هـ، نقلوا هذا التأريخ عن كتابيه «سلافة العصر» و«الحدائق الندية»(١) أو عن المحبي(٢) والبحراني(٣) اللَّذين نقلا بدورهما عن ابن معصوم(٤).

وعن السيد نعمة الله الجزائري أن تاريخ وفاته على ما نظمه بعض معاصريه:

بدر العراقين خبا ضوؤه ... ونيّرُ الشام وشمسُ الحجاز
أردت تاريخاً فلم أهتدي ... له فألهمت قل: «الشيخ فاز»

وهذا إذا حُسب يجعل وفاته سنة ١٠٢٩(٥).

وذكر الأصبهاني أن مدة عمره كانت ٧٩ سنة أو ٧٦ سنة(٦).

وذكر تلميذه «نظام بن حسين الساوجي» في بداية الباب السادس من «جامع عباسى»: (الذي كان البهائي قد بدأ تأليفه وعاجلته الوفاة قبل أن يكمله، وعهد الشاه عباس إلى التلميذ المذكور أن يكمل ما كان الأستاذ قد بدأه)، قوله: «بعد إتمام خمسة أبواب من الكتاب انتقل إلى

---

(١) *سلافة العصر* ص٢٩١ *والحدائق الندية* ص٢.
(٢) *خلاصة الأثر* ص٤٥٤.
(٣) *لؤلؤة البحرين* ص٢٢.
(٤) *فرهنگ فارسى* ج٥ ص٣٠٠ (ذكر أن وفاته كانت سنة ١٠٣١ نقلاً عن السلافة).
(٥) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٩ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٩.
(٦) *رياض العلماء* ج٥ ص٩٧.

رحمة ربه تعالى في ١٤ شوال سنة ألف وواحد وثلاثين هجرية»[(١)]، ويحتمل أن يكون هذا التأريخ من تصحيف النسّاخ.

وقد رثاه تلميذُه الشيخ إبراهيم بن فخر الدين العاملي البازوري[(٢)]:

شيخُ الأنامُ بهاء الدين لا برحت ... سحائب العفو ينشيها له الباري
مولى به اتّضحت سبلُ الهدى وغدا ... لفقده الدين في نوبٍ من القار
والمجدُ أقسم لا تبدو نواجذُه ... حزناً، وشقَّ عليه فضلَ أطمار
والعلم قد دَرَستْ آياتُه وعفَتْ ... عنهُ رسومُ أحاديثٍ وأخبارِ
كم بكر فكر غدت للكفؤ فاقدةً ... ما دنّستها الورى يوماً بأنظار
كم خرَّ لما قضى للعلم طود عُلًى ... ما كنت أحسبُه يوماً بمنهار
وكم بكته محاريب المساجد إذ ... كانت تضي دجىً منه بأنوار
فاق الكرام ولم تبرَحْ سجيتُه ... إطعام ذي سغب مع كسوةِ العاري
جلَّ الذي اختار في طوسٍ له جدثاً ... في ظلِّ حام حماها نجل أطهار
الثامن الضامن الجنات أجمعها ... يوم القيامة من جود لزوّار[(٣)]

لقد حاول الراثي هنا أن يختصر معالم شخصية الشيخ العلمية والفقهية والإنسانية، وأشار في البيتين الأخيرين إلى مدفنه في ظل الإمام الثامن، علي بن موسى الرضا عليه السلام.

مدفنه

أجمع المؤرخون كما لاحظنا على أنه توفي في أصفهان، ونُقِل

(١) جامع عباسي ص٩٤.

(٢) **إبراهيم البازوري**: مرّت ترجمته ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) *روضات الجنات* ج٧ ص٦٣ *وأمل الآمل* ج١ ص٢٥ *ولؤلؤة البحرين* ص٢٠ *والغدير* ج١١ ص٢٨٢. *وأعيان الشيعة* ج٢ ص١٠٧.

جثمانُه إلى المشهد المقدّس الرضوي، ودُفِنَ هناك في بيته قرب الحضرة المقدسة، وقبرُه هناك مشهور يزوره الخاصة والعامة.

وقد أعيدَ تعميرُ مزارِهِ أكثر من مرة، لكثرة الخراب والتدمير الذي لحق بالمشهد على مدى القرون المتتالية.

رآه الملّا نوروز علي البسطامي(١)، ووصفه في فردوس التواريخ، وقال إنَّه بجنب المشهد الرضوي(٢)، . . . .

---

(١) **الملا نوروز علي البسطامي**: ابن الحاج محمد باقر المعروف بالفاضل البسطامي التبريزي توفي سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م)، فاضل عالم، مؤرخ، له مؤلفات أهمها: ١ ـ *التحفة الحسينية*، ٢ ـ *التحفة الرضوية*، ٣ ـ *سرور العارفين*، ٤ ـ *فردوس التواريخ في تاريخ مشهد الرضا*، *الأعيان* ج١٠ ص٢٢٨.

(٢) **المشهد الرضوي** أو الحرم الرضوي، وفي وسط الحرم القبة المقدسة «آستانه مقدس»، والقبة تقوم على قبر الإمام الرضا ﷺ، إذا دخل القادم مدينة مشهد من غربها فسار في الشارع الكبير تلقاء الشرق انتهى إلى أبواب ضخام رائعات، وراءها طريق مبلط ينتهي إلى مدخل الحرم الرضوي، فيلجه إلى «الصحن القديم» وهو فناء واسع تجري في وسطه قناة ماء وتحيط به مساكن لطلاب العلم وغيرهم. وفي داخل الصحن القديم يندهش الزائر بمنظر الذهب الوهاج الذي يشع من القبة المنيفة فوق الضريح، ويزداد تأثره حينما يرى المنارة المتلألئة التي ترتفع من فوق «الإيوان المذهب»، وعلى المنارة المقابلة فوق «إيوان شاه عباس» وعلى مقربة من وسط الصحن من جهة الغرب يوجد حوض للماء. أما المساحة الكبيرة خلف الصحن فيشغلها مبنى المشهد المقدس نفسه، الذي يشتمل على خمس عشرة غرفة وعدد من الممرات وزوايا الجلوس، وتبلغ مساحة الغرفة التي يوجد فيها الضريح المطهر حوالى ٣٤ قدماً مربعاً، كما ترتفع القبة من فوقه، إلى علو ٨٢ قدماً.
وتحافظ على الضريح ثلاث طبقات من الشبابيك تقع إحداها داخل الأخرى، فهناك ناووس من الخشب مطعم بالذهب كتب عليه اسم الشاه عباس، ويحيط به أول شباك من حديد الفولاذ البسيط الذي تغلفه شبكة من أسلاك النحاس، معدة لتسليم الهدايا التي يودعها الزوار، وشباك الفولاذ الثاني مزين ومزخرف بالذهب والجواهر، وتدل الكتابة المنقوشة فيه على أنه قد أهدي من الشاه حسين الصفوي، أما الشباك الثالث أو الخارجي المصنوع من الفولاذ أيضاً فهو مزخرف بكتابة دقيقة كتبت بها سورة الإنسان بأجمعها، ولكل من الشباكين الثاني والثالث =

وقرب مسجد «گوهرشاد»[1]، المتصل بصحن المشهد الجديد، وفي رأس

= رمانات ذهب مركبة في الأركان الأربعة وهناك فوق القبر سقف من الخشب تكسوه أوراق من الذهب، وتتدلى منه معلقات زخرفية مطعّمة بالجواهر، وفي شرق المبنى الرئيسي للمشهد يوجد «الصحن الجديد» الذي بني في أيام «فتح علي شاه» ١٨١٨م، وأكمله خليفتاه من بعده سنة ١٨٥٥م، ويتوسطه أيضاً حوض ماء، يمتد الصحن الجديد شرقي الحرم المطهر، وفيه المكتبة الرضوية التي تضم آلافاً عدة من المصاحف المخطوطة: راجع موسوعة العتبات المقدسة قسم خراسان ج١١ ص٢٢٠ و٢٢٢ و٢٥٠.

وفي هذه السنوات الأخيرة أدخلت قينات عديدة على البناء، منها إنشاء متحف خاص بالهدايا، ومكتبة عامة تضم مخطوطات نفيسة وكتب قيمة.

(١) **گوهر شاد**: زوجة السلطان شاهرخ ميرزا ابن الأمير تيمور الگورگاني (وفاته ٧٧٩هـ. ق١٣٧٧م) الذي حكم خراسان ومازندران وسيستان سنة ٨٠٧هـ. ق (١٤٠٤م)، وتوفي في العام ٨٥٠هـ. ق(١٤٤٧م) والذي كان حاكماً عادلاً، تقياً محبّاً للعمران مقرّباً للعلماء والأدباء وأصحاب الحرف والصناعيين (*فرهنگ فارسى* ج٥ ص٨٧٩)، وكانت زوجته محبة للخير، ومن آثار أعمالها الخيرية في هراة المسجد الجامع والمدرسة والتكية، وفي مشهد المسجد الجامع المعروف بمسجد گوهرشاد. وقد قُتلت العام ٨٦١هـ (١٤٥٦م) بأمر من السلطان أبي سعيد وهي مدفونة بجانب قبر ابنها بايسنقر ميرزا توفي (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، في مسجد گوهر شاد هراة، ولا يزال قبرها قائماً إلى الآن: (فرهنگ فارسى ج٦ ص١٧٤٩).

ويعدّ مسجد گوهرشاد: أفخم مسجد في المنطقة المقدسة وأجملها بناء وزخرفة، ويشابه صحن هذا الجامع الصحن القديم في المشهد الرضوي... ويعترض طول كلّ ضلع من أضلاعه الأربعة إيوان جميل، بينما يمتد في الجدران الممتدة في جهتي كل إيوان من هذه الأواوين صف من الأروقة المعد كل منها للسكن، وأكبر وأجمل الأواوين الأربعة الموجودة في هذا الجامع هو «إيوان المقصورة» الواقع في الضلع الجنوبي، ويستعمل للصلاة. وتعلو إيوان المدخل في هذا الجامع قبة زرقاء تفوق قبة الإمام الرضا في علوّها وعرضها، وتقوم بجانبها منارتان مرتفعتان مكسوتان بقاشاني مزجّج أزرق، ويشغل وسط الصحن «مسجد پير زن» أو «مسجد المرأة العجوز»، وهو عبارة عن بقعة غير مسقفة، مربعة الشكل، محاطة بدرابزين خشب يجري من حوله الماء في قناة صخرية عميقة: *موسوعة العتبات المقدسة*، ١١ قسم خراسان ص٢٥٩.

البقعة الواقعة في المسجد الجامع[١].

ملا هاشم خراساني[٢] مؤلف منتخب التواريخ، الذي رآه أيضاً، يقول: إن المزار بين مسجد «گوهرشاد» والصحن الجديد في غرفة طولها من الشمال إلى الجنوب ثمانية أذرع وعرضها أربعة أذرع ونصف، والقبر في وسطها، وعليها كتابة بالعربية، وقد تمَّ تعمير المزار زمن عضد الملك[٣]، والكتابة: «قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾، ولما كان العالم الرباني والنحرير الصمداني، شيخ الملّة والإسلام بهاء الدين العاملي، تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه، من العلماء الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «العلماء ورثة الأنبياء، وعلماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فأيّد الله الملك الأعظم، مالك رقاب الأمم، ربَّ الفتق والرتق والي مملكة الشرق، مؤيد الدولة والدين، مؤيداً بالعزّ والتمكين وسدّ عضده بالصدر الأعظم، والصاحب المعظّم رب المرتبة العليَّة، المتولي بخدمة «الروضة الرضوية»، على مشرّفها آلاف السلام والتحية، حضرة عضد الملك دام إقباله وإجلاله لهذه الطاعة العظيمة، وعمارة هذه البقعة الكريمة، إن الله لا يضيّع أجرَ من أحسنَ عملاً. قد تم تعمير هذه البقعة، في أواخر شهر رمضان

---

(١) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٥٧ نقلاً عن فردوس التواريخ.

(٢) **الميرزا هاشم ابن الميرزا محمد مهدي الرضوي الخراساني**: ولد (١٢٠٩هـ ١٧٩٤م)، وتوفي ١٢٦٩هـ (١٨٥٢م)، ولد في المشهد المقدس وتوفي فيها ودفن بقرب الحضرة الرضوية: *أعيان الشيعة* ج١٠ ص٢٥٩.

(٣) **عضد الملك**: ميرزا محمد حسين قزوين ابن (ميرزا) فضل الله متولي الأستانة الرضوية المقدسة، توفي سنة ١٢٨٥هـ. ق. (١٨٦٨م)، وهو المقصود هنا.
وعضد الملك: علي رضا القاجاري الذي تولى نيابة السلطنة بعد خلع محمد علي شاه القاجاري وتعيين ابنه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره: فرهنگ فارسى ج٥ ص١١٨٢. *ولغت نامه* مج١٨ ص٣٠١.

المبارك، من شهور سنة اثنين وثمانين و. . . بعد الألف كتبه «رجب علي الخادم المشهدي»[1]، وعلى رأس القبر شاهد، كُتب عليه بالفارسية ما معناه: «هو الحي الذي لا يموت، بهاء الملة والدين، شيخنا البهائي عليه الرحمة، الذي تصل نسبته إلى الحارث الهمداني، والذي ورد وهو في سن السابعة مع والده الشيخ حسين إلى ديار العجم، والذي وصل صيتُ فضائِلِه إلى الشرق والغرب، وشهرة صفاته الحميدة اتصلت بعالم الملكوت، وطلوع نيّر ولادته غروب الخميس من شهر محرم في بعلبك سنة ٩٥٣هـ ووفاته في شوال سنة ١٠٣١هـ. وبعده هذه الأبيات الركيكة:

شمسُ العلوم بهاء الدين والحكم　　　من كان باهي بهاء الفرس العربا
لـمـا تـوفّـي أصـبـحـا بـوفـاتـه　　　نور الهدى وضياء الدين قد غربا
لو شئت ذكرى له في عام رحلته　　　فاذكر «مسى وبهاء الدين قد ذهبا»

«مسى وبهاء الدين قد ذهبا» وفي هذه العبارة إذا أسقطنا همزة بهاء تصبح ١٠٣١هـ[2].

يتضح أن هذا الشاهد لم يوضع بعد وفاته مباشرة، وإنما وضع سنة ١٢٨٢هـ ١٨٦٥م حين تعمير القبة، والظاهر أن الفتن المتمادية التي لحقت بخراسان، وخصوصاً بمدينة «مشهد» بعد موت نادرشاه[3]،

---

(١) **رجب علي**: من خطاطي الدولة القاجارية. *لغت نامه* مج١٤ ص٢٩١.
(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٥٨ و٥٩ نقلاً عن فردوس التواريخ ص٤٦١.
(٣) **نادر شاه**: ولد سنة ١١٠٠هـ (١٦٨٨م) مؤسس السلسلة الأفشارية في إيران، ولد في خراسان وتقلب في عدة مناصب قبل أن يستولي على خراسان ويستبد بها في أثناء الاضطرابات التي أعقبت موت الشاه حسين (١١٣٥هـ ١٧٢٢م)، ثم دخل في خدمة طهماسب الثاني وحارب معه مغتصبي الملك من الأفغان، ثم عزل الشاه طهماسب بعد معاهدة ١٢ رجب ١١٤٤هـ، بين طهماسب والدولة العثمانية وروسيا، وأقام مكانه ابنه الرضيع عباس الذي توفي بعد أربع سنوات، فاغتصب نادر شاه الملك، وحارب المغول في الهند، وفتح مدينة دهلي، وأخيراً قتله قواده =

وتعرّض الحرم الرضوي للحملات أكثر من مرة[1]، قد ألحق بقبر البهائي كما ألحق بالروضة الشريفة الخراب والتهديم، ولعلّ الشاهد الذي كان موجوداً في البدء على القبر اختفى، وأبدل بشاهد آخر حين التعمير كما أن على حائط القبر أبياتاً من الشعر بفارسية ركيكة[2]. وقد أعيد تعمير القبر في زمن الشاه محمد رضا بهلوي[3].

= سنة ١١٦٠هـ ١٧٤٧م، لظلمه واعتسافه: (*فرهنگ فارسى* ج٦ ص٢٠٨٨ و*تاريخ الدولة العليّة العثمانية* ص٣٢٠).

(١) آخر مرة تعرض فيه المشهد المقدس للتخريب كان العام في ١٩١٢م، حين قصفه الروس بالقنابل لمصلحة الشاه القاجاري المخلوع محمد علي شاه القاجاري. نقلاً عن *موسوعة العتبات المقدسة* قسم ١١ ص٢٨٩ عن كتاب *تاريخ إيران* للروسي بيرسي سايكس ص٤٢٦.

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٦٠.

(٣) يقول السيد محسن الأمين المتوفى سنة ١٣٧١هـ (١٩٥١م)، إن قبة قبره تزار كما تزار قبور الأنبياء والأوصياء، وتصرف الدولة الإيرانية في زماننا هذا على بنائها ستة ملايين تومان... بينما قبور أجلاء علماء جبل عامل الذين لا يقصّرون عن الشيخ البهائي في جبع وغيرها مداسٌ للأقدام وطريقٌ للمارة، وبعضها أخذه السَّيل: *أعيان الشيعة* ج٧ ص١٤٥ وج٩ ص٢٣٤.

الفصل الثالث

شخصيته

- مقامه ومكانته
- شخصيته بوجهيها الواقعي والأسطوري
- ثقافته
- أسلوبه في التعليم
- مؤلفاته:
  - الكتب والرسائل المطبوعة
  - الكتب والرسائل المخطوطة
  - الحواشي المخطوطة.
  - كتب ورسائل منسوبة إليه

شخصيته

لم يحظَ أحدٌ من معاصري الشيخ البهائي، بما حظي هو به، من مديح وإطراء، ولا يخلو كتاب ذكَرَه من تسطير ألفاظ الثناء عليه، وسرد جمل الإطراء له، مثال ذلك قول العلامة المجلسيّ الأوّل تلميذه: «هو شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظّم، كان شيخ الطائفة في زمانه، جليل القدر، ، عظيم الشأن، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه، ووفور فضله، وعلوّ مرتبته أحداً»[1].

وقول تلميذه الآخر السيد حسين ابن السيد حيدر الكركي العاملي: «أفضل المحققين، وأعظم المدققين، خلاصة المجتهدين، وقد كان أفضل أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم، التي لم يحم حولها أحد من أهل زمانه، ولا قبله على ما أظن من علماء العامة والخاصة، وكان منصفاً في البحث»[2].

وقد أطراه ابن معصوم على عادته في التسجيع والإطناب: «علم الأئمة الأعلام وسيد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضائل أمواجه، وفحل الفضائل الناتجة إليه أفراده وأزواجه، وطود المعارف الراسخ، وفضاؤها الذي لا تحدّ له فراسخ، وجوادها الذي لا يؤمل له لحاق، وبدرُها الذي لا يعتريه محاق، الرحالة الذي ضربت إليه أكباد

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص ٥٦ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٣٤.

(٢) *روضات الجنات* ج٧ ص ٥٦.

الإبل، والقبلة التي فطر كلُّ قلبٍ على حبِّها وجُبل، فهو علامة البشر، ومجدد دين الأمة على رأس القرن الحادي عشر إليه انتهت رئاسة المذهب والملّة، وبه قامت قواطيع البراهين والأدلة، جمع فنون العلم فانعقد عليه الإجماع، وتفرّد بصنوف الفضل فبهَرَ النواظر والأسماع. فما من فنّ إلاّ وله فيه القدح المعلّى، والمورد العذب المحلّى، إن قال لم يدع قولاً لقائل»[1].

وقال عنه الخفاجي معاصرُه: «تتحدّث عنه طروس الأسفار، وتكتحل بإثمدِ مداده عيون الطروس والأسفار»[2].

هذا غيض من فيض، مما قيل عن الشيخ البهائي، اكتفيتُ بذكرِ ما قاله بعض معاصريه والقريبين من عصره، وكل ما قيل عن غير هؤلاء لا يخرج عن هذه المعاني التي وردت عندهم[3].

لقد جمع الشيخ البهائي في شخصيته بين العظمة والتواضع، وقد أثنى المؤرخون على أخلاقه التي تحلى بها وشمائله التي ندّت عن كريم أصله، وحسن تعامله مع الآخرين، كل الآخرين: «أخلاقٌ لو مُزِجَ بها البحر لعَذُبَ طعماً، وآراءٌ لو كُحلت بها الجفون لم يُلفَ أعمى، وشيمٌ هي في المكارم غررٌ وأوضاح، وكرمٌ بارقُ جودِه لشائمه لامعٌ وضاح. تتفجّر ينابيع السماح من نواله، ويضحك ربيع الأفضال من بكاء عيون آماله»[4]، كان عطوفاً على الناس محسناً لهم، لم ينزوِ عنهم ليريحَ نفسه

(١) *سلافة العصر* ص٢٨٩.

(٢) *ريحانة الألبا* ج١ ص ٢٠٩.

(٣) يمكن مراجعة أهم ما قيل عن مقامه ومكانته أيضاً في *رياض العلماء* ج٥ ص٨٨ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٠ و*أمل الآمل* ج١ ص ٤٥٥ و*الرجال لمصطفى التفرشي* ج٣ ص ٣١٨.

(٤) *سلافة العصر* ص٢٩٠.

من عناء مجابهة الواقع، وإنما جعل داره مأوىً لكلّ محتاج، ولكلّ وافد[1].

ومن المؤكد أنّ علمه دفع مختلف الفرقاء وأتباع المذاهب المتباينة إلى احترامه وتقديره، وهذا البكريّ في مصر ما أن يعرفه حتى يعظّمه تعظيماً بالغاً، فيقول له: «يا مولانا أنا درويش فقير فكيف تعظّمني هذا التعظيم؟ قال: شممت منك رائحة الفضل»[2].

وفي القدس الشريف، يقول الرضي بن أبي اللّطف المقدسي: «. . .إذا هو ممَّن يُرحَلُ إليه للأخذ عنه، وتشدّ له الرحال للرواية عنه»[3]، وما المطارحات الأدبية التي جرت بينه وبين الشيخ عمر بن أبي اللطف المقدسي وأوردَها في الكشكول[4]، سوى أنموذج لمستوى التعامل بينه وبين العلماء الذين كان يلتقي بهم.

وفي دمشق طلب الاجتماع إلى الشيخ حسن البوريني الشافعي، «فأحضره التاجر الذي كان عنده بدعوة، وتأنّق في الضيافة، ودعا غالب فضلاء محلّتهم، فلما حضر البوريني إلى المجلس، رأى فيه البهائي بهيئة السيّاح، وهو في صدر المجلس والجماعة محدّقون به وهم متأدبون غاية التأدب، فعجب البوريني وكان لا يعرفه، فلم يعبأ به، وجلس غير ملتفت إليه، وشرع على عادته في بثّ رقائقه ومعارفه، إلى أن صلوا العشاء ثم جلسوا، فابتدر البهائي في نقل بعض المناسبات، وانجرَّ إلى الأبحاث، فأوردَ بحثاً في التفسير عويصاً، فتكلّم عليه بعبارة سهلةٍ فهمَها الجماعةُ

(١) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤١.

(٢) *ريحانة الألبا* ج١ ص ٢٠٨ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤١ و*الغدير* ج١١ ص ٢٥١.

(٣) *خلاصة الأثر* ج٣ ص ٤٤٢.

(٤) *الكشكول* *أعلمي* ج١ ص ٦٧.

كلُّهم. ثم دقّق في التعبير، حتى لم يبق يفهم ما يقول إلا البوريني ثم أغمض في العبارة فبقي الجماعة كلّهم والبوريني معهم صموتاً جموداً لا يدرون ما يقول، غير أنهم يسمعون تراكيب، واعتراضات وأجوبة تأخذ بالألباب، فعندها نهض البوريني واقفاً على قدميه، وقال إن كان ولا بد فأنت البهائي الحارثي، إذ لا أجد في هذه المثابة إلا ذاك، واعتنقا، وأخذا بعد ذلك في إيراد أحسن ما يحفظان»[1].

إننا نستشف من خلال تلك المحاورات والقصائد الإخوانية المتبادلة بينه وبين أولئك العلماء الكبار من أهل السنّة خارج إيران، معالم شخصيته كما رسخت في نفوس معاصريه مرافقةً لشهرته التي اخترقت الحدود المغلقة التي لم يخترقها غيره، ونستشف أبعاد نفسيته عالماً لم تستطع حواجزُ الإقليمية والمذهبية التي خلقتها سياسة الشاهات والسلاطين أن تحدّ من رغبته في المعرفة، وإغناء تجربته العلمية، فهو لم يتحرّج من أخذ العلم والحكمة حيثما وجدا[2]، وبذلك نال ثقة أبناء مختلف الملل والنحل.

فهذا الخفاجيّ، معاصره وهو من أهل السنَّة يقول عنه: «كان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم لا يصدر إلا عن رأيه إذا عقد ألوية الهمم، إلا أنه لم يكن على مذهبه في زندقته وإلحاده، لانتشار صيته في سداد دينه ورشاده، إلا أنه علوي بلا مَيْن، وهو عند العقلاء أهون الشّرين، وأنشد لسان حاله لكل حيّ وميّت:

---

(١) خلاصة *الأثر* ج٣ ص ٤٤٣.

(٢) يؤيد ذلك ما جاء في أواخر لؤلؤة البحرين، ورواه عنه صاحب *روضات الجنات* ج٧ ص٨٢ من أنَّ البهائي يروي صحيح البخاري عن محمد بن أبي اللطف المقدسي عن أبيه عن... إلى أن يصل إلى محمد بن إسماعيل البخاريّ بكتابه وجميع مصنفاته.

إن كـان رفـضًـا حُـبّ آل مـحـمـد فليشهـد الثقلان أني رافضي. .

ثم يتحدث الخفاجي بعد ذلك عن سلامة عقيدته[1].

ومما يدل على علو مكانته ما ذكره المحدث التستري: «. . إن كلَّ طائفة من طوائف المسلمين، كانت تنسبه إليها. . . ويقول سمعت الشيخ الفاضل، الشيخ عمر من علماء البصرة يقول: إن بهاء الدين محمداً من أهل السنة والجماعة، إلا أنه كان يتقي من سلطان الرافضة[2]، وأنه «عندما كان في الشام أظهر أنه على مذهب الشافعي»[3].

إنَّ ما دفع أهل السنة إلى اعتباره منهم، أنه لم يكن متعصباً في تشيّعه تعصّباً حاداً مغلقاً، وإنما كان يعتمد في محاوراته على الإقناع العقلي للآخر، دون تشنج أو توتر، إنه في حواره مع كبار علماء السنة في مصر والشام وحلب، ما كان يخفي تشيعه[4]، ولكنه كان محترماً لأنه كان يعرف كيف يحاور الطرف الآخر، ويجعله يحترم رأيه إن لم يقتنع به.

إن مسألة تولي الشيخ البهائي «مشيخة الإسلام» لها ارتباط وثيق بشخصيته وبهذا الفصل بالتحديد، لأن هذه المسألة أثارت جدلاً بين مدوني أخباره، منهم من أغرق في الحديث عن أهميته في دولة الشاه عباس، يحسب ذلك مدعاة لامتداحه، واستدلالاً على أهميته بينما عدّ آخرون من الذين كتبوا عنه مسألة تولّيه مشيخة الإسلام، **تهمةً** حاولوا

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص ٢٠٨.

(٢) و(٣) *روضات الجنات* ج٧ ص٦٦ وص٧١.

(٤) يروي الخوانساري أن حواراً جرى في الشام بين البهائي وبين أحد الفضلاء حول الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن النبي ﷺ: «فاطمة بضعة مني. . . فمن آذاها فقد آذاني ومن أغضبها فقد أغضبني»، ومحاورات أخرى تثبت بما لا يقبل الجدل، أنه كان شيعيّ الهوى دون تعصّب، *روضات الجنات* ج٧ ص ٧١ ـ ٧٢.

بكلّ وسيلة أن يبرئوه منها، والتالي أن ينفوا عنه تهمة الالتحاق بركاب الشاه عباس كي لا يحمّلوه جزءاً من أوزار أفعال الشاه عباس اللاإسلامية.

الحقيقة كما ذكرنا في سيرته أن البهائي تولّى مشيخة الإسلام مرتين، المرة الأولى في هراة لأقل من سنتين، والمرة الثانية حوالى ١٠٠٨هـ ١٥٩٩م، زمن الشاه عباس الكبير وظل في هذا المنصب إلى أواخر حياته، وإلى هذا الأمر يشير ابن معصوم بقوله: «...ثم عاد وقطن أرض العجم، وهناك همى غيثُ فضله وانسجم، وألّف وصنّف، وقرّض المسامع وشنّف، وقصدته علماء الأمصار، واتفقت على فضله الأسماع والأبصار، وغالت تلك الدولة في قيمته، واستمطرت غيثَ الفضل من ديمته، فوضعته في مفرقها تاجاً، وأطلعته في مشرقها سراجاً وهّاجاً، وتبسّمت به دولةُ سلطانِها الشاه عباس، واستنارت بشموس آرائه عند اعتكارِ حنادس البأس. فكان لا يفارقُه سفراً ولا حضراً، ولا يعدل عنه سماعاً ونظراً»[١].

وذكر المحبّي أنه لما وصل إلى إيران: «حطّ رَحْل الاختيار، فصنّف وألّف، وأبدع حدّ الإبداع وما تكلّف، وابتسمت به دولة الشاه عباس، وأماطت أقوالُه فيها حنادس الشبه والالتباس، مع عزم ينفلق دونه الصخر الأصم، وحلم يقصّر عنه الطود الأشمّ، ورأي عليه المعوّل، وفكر هو المعقول الأول»[٢].

(١) *سلافة العصر* ص٤٩٠ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤١، وقد أوردنا في سيرة حياته أنه كان مع الشاه في حروبه وفي سفره وحضره نقلا عن فلسفي: *زندگانى شاه عباس اول* ج٢ ص٢٥٠، وج٤ ص١٥٥ وص١١٩... إلخ.

(٢) *نفحة الريحانة* ج٢ ص ٢٩٢.

وذكر صاحب نزهة الجليس، أنه سار بعد عودته من سياحته إلى بلاد العجم، «فهرعت من كل فوج إليه الناس، وصار الرئيس المقدّم عند سلطانها الشاه عباس، وارتفع شأنه وكثرت أخدانه، واشتغل بإفادة معلوماته وتحرير مؤلفاته..»[1].

وفي هدية العارفين أن الشاه عباس حين ترامت إليه أنباء تبحر البهائي وتدريسه دعاه إلى رؤيته، وعينه عنده وولاه مشيخة الإسلام، وقدّمه في بلاطه على أنداده، كما عينه رئيس علماء الشيعة الإمامية بأصفهان»[2].

هذه الأقوال التي ذكرناها تؤكد العلاقة التي كانت تربط البهائي بالشاه عباس، كما تؤكد أنه تولى مشيخة الإسلام ورئاسة العلماء، وتمتدح الشيخ بسبب تلك العلاقة وذلك المنصب.

وذكر صاحب رياض العلماء «أنه صار شيخ الإسلام بأصفهان ثم استعفى منه، وكان يصلي الجمعة والجماعة بأمر الشاه عباس»[3].

وقال قدري حافظ طوقان أنه «عندما علم الشاه بعودته» الآملي «إلى أصفهان ذهب بنفسه إليه، وأحاطه بالإكرام والتجلة، وعرض عليه منصب رئاسة العلماء، ومع أنه لم يقبل هذا المنصب، فقد بقي صاحب المقام الأول عند الشاه»[4].

إلى جانب هذين القولين نرى بعض الدارسين المعاصرين، قد ركزوا على مسألة استعفائه من منصب «شيخ الإسلام»، أو عدم قبول هذا

---

(١) نزهة *الجليس* ج١ ص٣٧٨.

(٢) التونجي «بهاء الدين العاملي» ص ٤٣، نقلاً عن هدية *العارفين* ج٢ص ٢٧٣.

(٣) *رياض العلماء* ج٥ ص ٩٤.

(٤) طوقان: رياضيات بهاء الدين العالمي ط ثالثة ص٤٧٤.

المنصب أصلاً، وهؤلاء كأولئك الذين قالوا إنه ساح ثلاثين سنة، أرادوا التأكيد على حريته الفكريّة وعدم تبعيته للشاه، وزهده في الحياة الدنيا، والحق يقال إن الشيخ وهو في أوْجِ مقامه الظاهري شيخاً للإسلام، وحين اشتغاله بما يمليه عليه المنصب في القضاء والمحراب، ومخالطة الشاه ورجال البلاط[1]، وإعطاء أحكام الحلال والحرام، والجائز وغير الجائز[2]، لم ينقطع عن التدريس والتعلّم والبحث والتأليف، ولم يفقد شيئاً من شمائله الموروثة والمكتسبة، مع سعي دؤوب نحو الكمال، وحرية فكرية تجاوزت مفاهيم عصره وظروفه السياسية والمذهبية.

هذا الأمر يفسره لنا قول ابن معصوم: «استنارت بشموس آرائه دولة الشاه عباس، عند اعتكار حنادس البأس.. مع تمسكه بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرة خير وأبقى.. ولم يزل راغباً في الانحباس إلى سلطان، راغباً في الغربة عازفاً عن الأوطان، يؤمّل العود إلى السياحة، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة، فلم يقدر حتى وافاه حمامه»[3].

ويفسره قول أبي المعالي الطالوي أن «شاه عباس طلبه لرئاسة علمائها (يعني أصفهان)، فوليها وعظم قدره، وارتفع شأنه، إلا أنه لم يكن على مذهب الشاه في زندقته وإلحاده، لانتشار صيته في سداد دينه ورشاده»[4].

---

(١) يروي فلسفي ما يؤكد أنه كان يرافق الشاه في حروبه: *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٦٢. وأورد ابن معصوم قصة تؤكد أن البهائي كان يرافق الشاه حتى في رحلات الصيد التي كان يقوم بها.

(٢) ذكر ابن معصوم نماذج من أمثلة موجهة من الشاه عباس إلى الشيخ البهائي حول أحكام الحلال والحرام، وإجابات الشيخ عنها: *سلافة العصر* ص٣٠٢.

(٣) *سلافة العصر* ص ٢٩٠.

(٤) *المصدر السابق* وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤١.

إن مديح أبي المعالي الطالوي هذا للبهائي له أهميته من ناحيتين:

أولاً: لأن الطالوي من أهل السنة، وهذا يؤكد أن الشيخ وهو يعيش في حمأة الصراع المذهبي، كان بعيداً من التعصب، وهو الذي قصد الأمصار المختلفة ليلتقي العلماء الأعلام من أهل السنة، كما فعل أبوه من قبل، في محاولة للتقريب بين المذاهب، في الوقت الذي كان الحكام يسعون جاهدين لتوسيع الشرخ وتعميق الجروح.

ثانياً: إن شهادته صريحة على تبرئته من الموافقة على أعمال الشاه السيئة، وهذه النقطة الأخيرة أعني موافقته ـ أو عدم موافقته ـ للشاه عباس على أفعاله تلك، من الموضوعات المطروحة على بساط دارسيه والمحققين لسيرته وأعماله، لأنها ـ كما ألمحنا ـ تتناول نزاهته ومدى ارتباطه بالدين أو بالخلق، وإذا كان لا بد من التعرض لهذا الأمر كما تقضي به مستلزمات الدراسة، فإننا نستبعد جداً بل نقول إنَّنا ننزّه الشيخ البهائي، عن أن يكون الفقيه المسوِّغ لأعمال الجور والعسف، لعدة اعتبارات، أولها وأكثرها أهمية شخصية الشيخ العلمية، والدينية، وثانيها: أن الشاه عباس، كان «ديكتاتوراً»[1]، وحرصه على الانفراد

---

(١) كان ترتيب مقامات رجال الدين في الدولة زمن الشاه عباس على الشكل التالي:

أ ـ ملا باشي: أعلى المقامات الروحية في إيران زمن الدولة الصفوية، كان الـ «ملّا باشي»، رئيس جميع الروحانيين في إيران، وكان في مجلس الشاه، يجلس في مكان معين قرب الشاه. وظيفته تأمين عمل أو طلب وظيفة أو هبة لطلاب العلم وللفقراء، ورفع الظلم عن المظلومين، والشفاعة للخاطئين، والتحقيق في المسائل الشرعية وتعليم الأدعية، ولا يتدخل في الأعمال الأخرى.

ب ـ الصدارة: وهذا المقام مختص بشخصين، أحدهما «صدر خاصة» والآخر «صدر عامة» أو صدر الممالك، وهو الذي يعين حكام الشرع ومسؤولي الأوقاف، والإشراف على أعمال السادات والعلماء والمدرسين وشيوخ الإسلام وأئمة الصلاة والقضاة، وخدام الأضرحة المقدسة، والمقابر والمزارات والمساجد والمدارس ووزراء الأوقاف والنظار. =

بالحكم، جعله لا يعطي رجال الدين فرصة للتدخل في شؤون الحكم، ثم لا يعقل أن يقضيَ على نفوذ القُزَلباش، ويترك لرجال الدين الفرصة لمناوأته، أو حتى مشاركته في الحكم، لذلك قنَّن سلطة رجال الدين بعد أن كانت مطلقة زمن جدّه طهماسب وأبيه محمد خدابنده، وحدَّ من تدخلهم في شؤون الدولة السياسيّة والحربيّة، فاقتصر دورُهم على الأمور الشرعيّة، ولم يكن لهم دور في مسار الدولة، داخلياً وخارجياً[1]، أي عكس ما فعله الشاه طهماسب الذي أطلق يد رجال الدين في شؤون المملكة، فقد أصدر الشاه عباس ـ مثلاً ـ في العام ١٠٠٧هـ ١٥٩٨م أمراً، بعدم التعرض للنصارى في كلّ أنحاء إيران، بعد أن سمح لهم بحرية الحركة والتبشير: «. . .من اليوم يسمح لمواطني الدولة المسيحية ومن يدينون بدينهم، بالحضور إلى أية بقعةٍ من وطننا، ولا يسمح لأي شخصٍ بأي حال من الأحوال إهانتهم. . وليس من حق رجال الدين مهما كانت وظائفهم التجرؤ على الإضرار بهم، أو التحدث معهم

= كذلك النظر في الدعاوى المتعلقة بالقتل وغيرها من الأحداث (ما يسمى بالأحداث الأربعة)، يتم بحضور الصدر العام والصدر الخاص ورئيس الديوان، ولا حق لحكّام الشرع الآخرين في مخالفة ما يصدر عن هؤلاء.

ج ـ **قاضي أصفهان**: يحكم في الدعاوى العادية التي ليست من اختصاص الصدر.

د ـ **شيخ الإسلام أصفهان**: أو آخوند، يتفرغ في منزله للنظر في الدعاوى الشرعية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجراء معاملات الزواج والطلاق، وضبط أموال الغائب واليتيم، ويُعيَّن أيضاً بأمر الشاه وله كل سنة من الشاه راتب كبير. وفي مجلس الشاه يجلس بجانب صدر الممالك. *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣٩٥. وكان الشاه يجلس الروحانيين ورجال الدين الكبار عن يسار عرشه «ليثبت» أن رجال السياسة أعلى من الرؤساء الروحيين، أما من الجهة اليمنى، فكان يُجلس كبار القواد، ورجال الدولة والوزراء. *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٤.

(١) زندگانى شاه أول عباس ج٢ ص٣٩٢ ـ ٣٩٥ وج٤ ص٨٧.

بخصوص العقائد المذهبية»[1].

لذلك لا يسوغ من أحد أن يحمّل الشيخ أو غيره من العلماء وِزرَ سياسة الشاه الخارجية، لأنّ وعيهم السياسي آنذاك، ووعي الشاه نفسه، كان قاصراً عن إدراك نتائج تلك السياسة.

بعيداً من الأمور السياسية كان الشاه عباس مجلاً للعلماء، محترماً لهم[2]، بخاصة الشيخ البهائي، الذي كانت له مكانته وشهرته العلمية قبل تولي عباس الحكم، ولم يجد الشاه القوي، في سعيه لإيجاد دولة قوية، أفضل من هذا الشيخ يسلّمه زمام مشيخة الإسلام. ولقد كانت للشيخ سلطة معنوية على الشاه: هي سلطة الموعظة الحسنة،، والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر، وهي السلطة التي خوّلها الله عز وجل لأدنى المسلمين، يقرع بها أعلاهم...

لذلك يجب أن لا ننظر إلى الأمر من زاوية الارتباط الشكلي بين الحاكم والفقيه، ولا أن نضعَ الشيخ البهائي في مصافّ الشيوخ والفقهاء، الذين تحوّلوا في الدولتين العثمانية والصفوية إلى مجرد موظفين، ارتبطت مصالحُهم بمصالح الحكام والسلاطين، فأضفوا بهذا الارتباط طابعاً دينياً على سلطة الحكام[3]، بل وعلى قبائحهم.

كما أنني لا أعتقد أن من الواجب أن نقارن بين الشيخ البهائي وبين علماء آخرين رفضوا الانضواء تحت سلطة الشاه الصفوي[4]، لأن

(١) إيران در زمان صفويه ص١٠٣.

(٢) المكاتبات التي جرت بينه وبين الشيخ أحمد الأردبيلي في النجف، *الأعيان* ج٨ ص ٨١.

(٣) هذا الأمر جعل بعض الباحثين يتحدثون عن مؤسسة دينية شبيهة بالإكليركية المسيحية: تشكيل *شاهنشاهى صفويه* ص١٣٨ وCorbin: en islam Iranien p.89.

(٤) تستوقفنا أسماء عدد من اللامعين من علماء جبل عامل والعراق، من معاصري =

لكلٍ منهم ظروفه الشخصية، والتالي نظرته الخاصة إلى الأمور.

كان بإمكان الشيخ أن يعتزلَ لو أراد ذلك، وأن يجاورَ في مكّة أو المدينة، أو النجف، حين غادر إيران إلى الحج، وأن يسلك السبيل الأسهل، ويعيشَ بعيداً متفرغاً للدرس والتدريس، ولكنه اختار الموقف الأصعب، اختار معايشة الحالة السائدة، وحاول بدخوله مع الحاكم الحدّ من المظالم، معتمداً في ذلك على إجلال الشاه له، واحترامه لآرائه.

كان له من قوة شخصيته دافع لأن يجهر بقول الحقّ، وهو في منصبه ولهُ دالّةٌ على الحاكم، فاستطاع أن يصلح الكثير من الأمور، التي ما كان يمكن أن تصلح، لو اعتزل هو كما اعتزل غيرُه، وقد استطاع أن يحفظَ طموحَه وعزّتَه بالله من أن تنكسر، أو تسقط في قبضةِ الجور، وما كان الاقتراب من الشاه، إلا لحفظِ مصالح الناس، الذين كانوا يلجأون إليه، بدلاً من أن يعتزل الحياة العامة ويريح نفسَهُ من عناء المجابهة، «كانت له دارٌ مشيدةُ البناء، رحبة الفناء، يلجأ إليها الأيتام والأرامل، ويفد عليها الراجي والآمل... وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً، ويوسعُهم من جاهِه جنابًا مغشياً»[(١)].

لم يتوانَ عن انتقاد الشاه في كثير من المواقف، في حدود ما

= البهائي، الذين رفضوا الذهاب إلى إيران، منهم من عصمه وجودُه في النجف، التي كانت حوزتُها الفقهية مستقلة عن الحوزة في إيران، ومنهم من آثر ضنك العيش في بلاده، على الانضواء تحت جناح الشاه يسوّغ أفعاله أو يسكت عنها، وهو يعرفُ بعدها عن الدين قلباً وقالباً: راجع مرتضى مطهري، *الإسلام وإيران* ص١١١ و*أعيان الشيعة* ج٣ ص٨١ وج٥ ص٩٢ ـ ٩٥، وج٥ ص ٤٨٥ وج١٠ ص١٠٩.

(١) *سلافة العصر* ص٢٩١ ونقل عنه في *خلاصة الأثر* ج٣ ص ٤١٤.

رسمه لنفسه من أمرٍ بالمعروف ونهي عن المنكر، ويذكر لنا المؤرخون عدداً من الحوادث التي تدلّنا على موقف الشيخ البهائي الجريء والصريح من الشاه،، على سبيل المثال: عندما قُتل صفي ميرزا ولي العهد بأمر من أبيه الشاه عباس ظلت جثتُه مطروحةً أربع ساعاتٍ في الوحل، إلى أن أمر الشيخ البهائي أن ترفع الجثة، وتغسل وتكفن، ولام الشاه عباس على فعلته، لوماً جعله يشعر بالندم، ندماً رافقه طيلة حياته(١).

أقام الشاه في محرم الحرام في عاشوراء من سنة ١٠١٨هـ ١٦٠٩م، عيد الأضواء(٢)، هذا الأمر أغضب رجال الدّين، ولكن أحداً

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص ٢٩١.

(٢) الأعياد التي كان الشاه عباس يحتفل بها ولا يتورع عن إقامتها حتى في الشهر الحرام هي:

أ ـ **عيد النيروز**، ومعنى النوروز: اليوم الجديد، أو العهد الجديد، وهو عيد ضخم كان الإيرانيون يحتفلون به في مطلع «فروردين»: الشهر الأول في السنة الشمسية التي تبدأ في أول الربيع، وهو من أهم أعياد الفرس القديمة يمتد حتى سبعة أيام، تضاء فيه المشاعل والأضواء، وتقام الاحتفالات في الشوارع، فتعزف الموسيقى، وتقام حلقات الغناء والرقص وشرب الخمرة في الأسواق والشوارع.

ب ـ **عيد اسفند**: ١٥ شباط (٢٥ من «بهمن» الشهر الحادي عشر من سنتهم يعيّدون في هذا التاريخ بمناسبة تفتّح نبات «الأسفند» معلناً قدوم الربيع.

ج ـ **عيد الورد الأحمر**: في أول الربيع عند تفتّح الورود الحمراء، يحتفلون به يوماً وليلة، ويخرج الناس رجالاً ونساء من منازلهم ويقيمون مجالس اللهو والطرب والغناء.

د ـ **عيد الأضواء**: هذا العيد اخترعه الشاه عباس يقيمه في أي وقت شاء من السنة، متى خطر بباله أن يعيّد، تضاء المشاعل والقناديل التي لا يحصيها العدّ، ويدعو الشاه إلى مثل هذه الاحتفالات سفراء الدول الأجنبية والسياح والتجار الأجانب، فيجلس معهم في منارة عالية ليرى العيد من علٍ أروع وأجمل، بخاصة إذا كانت القناديل المعلّقة أكثر من نجوم السماء (راجع تفصيلات الاحتفالات بهذه الأعياد في *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٣١٨ و٣١٩ و٣٢٠). =

لم يجرؤ على معارضته، «وحده الشيخ البهائي أعلن موقفه الرافض علانية»[1].

إذا تجاوزنا أمثال هذه المواقف، يمكننا أن نردّ الكثير من إيجابيات الشاه عباس الحاكم إلى تأثير الشيخ البهائي، فبتأثيره حتماً أبطل الشاه عباس سبَّ الخلفاء الثلاثة[2]، هذه البدعة التي بدأت كما ذكرنا في عهد الشاه إسماعيل الأول، واستمرت طيلة حكم الشاه طهماسب، وحكم الشاه محمد خدابنده.

وقد أورد المؤرخون قصةً لها دلالتها، وردت عند بعض الدارسين للدلالة على تواضعه هي أنه، «نُمي إلى الشاه عباس الكبير، أعظم ملوك الصفوية، إن شيخ الإسلام، أي بهاء الدين نفسه، كثيراً ما يجوس خلال أحياء الفقراء، ويدخل أكواخهم ويجالسهم، فاستحسن أن يلفتَه بلياقة إلى أنّ هذه الزيارات، لا تتناسب مع مكانة شيخ الإسلام، فقال له يوماً: «لقد سمعت أن أحدَ كبار العلماء يكون مع الفقراء والأراذل في أكواخهم وهذا أمر غير لائق، فأجابه الشيخ: هذا الأمر غير صحيح، فأنا كثيراً ما أكون في تلك الأماكن، ولم يحدث أن رأيتُ أحداً من كبار العلماء هناك»[3].

سلك مسلكاً مختلفاً كل الاختلاف عن مسلك غيره من العلماء

= وراجع مقالة محمد محمدي عن «النيروز عبر التاريخ» في مجلة الدراسات الأدبية س ٢ ع١ ص ٣٥ ـ ٣٦.

(١) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص ٢٩١.

(٢) المرجع السابق ج٥ ص٥.

(٣) قصص العلماء: *التنكابني* ص١٨٤ ونفيسي: *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٧٥ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٦، وفي مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٤٠ ما يشير إلى مشاهدة البهائي في ميدان أصفهان لبعض أعمال الشعوذة والسحر والنيرنجات.

الذين كانت لهم منزلته، أو أقل منها في إيران، ممَّن بالغوا في مظاهر التعظيم لأنفسهم، وكانوا لا يخرجون إلا في مواكب شبيهة بمواكب الملوك، ولعلَّه بمسلكه هذا أثبت عملياً، أنّه لا يستسيغ مظاهر الترف التي كان العلماء من معاصريه ومعاصري أبيه في إيران يحيطونِ أنفسهم بها[1]، فكان تعليمُه للشاه وللناس بسيرته ومسكله خيراً من تعليمه لهم بلسانه.

أنموذجٌ بديعٌ للبساطة والعظمة، لحرية التفكير وحرية السلوك، دون خضوع لمظاهر الوقار المصطنع، والكبرياء الزائفة، وهذا ما أكسبه حبَّ الناس وتقديرَهم، وأكسبه حبَّنا وإعجابنا بعد عصره بزمن بعيد، وهذا دليل أيضاً على أنه لم ينزوِ كما قال البعض[2]، وإنما عاش بين الناس وقام بواجبه العلمي والديني على أكمل وجه.

لقد أعطى الشيخ بمسلكه درساً للشاه الحاكم، فسار على خطاه وها هو الشاه نفسُه يخرج إلى الأسواق، والأحياء الشعبية للاطلاع على أوضاع الرعية، فيعمد إلى تخفيف الضرائب عن كواهلها، ويجوس الأسواق متنكراً، يشتري من الباعة ليتأكد أنّهم لا يطفّفون المكاييل، ولا يتلاعبون بالأسعار، ويلجأ إلى الشدة والقسوة في محاسبة المرتشين والغشاشين ولطالما تنكّر وزار القرى البعيدة، يسأل الرعية عن ولاتِهم، فإن وجد أنهم يسلكون مسلك الراشد أبقاهم في مناصبهم وإلا عزلهم

(١) في أعيان الشيعة نماذج لعلماء كبار في إيران كانوا يخرجون في مواكب الملوك ويعيشون عيشة الملوك: *أعيان الشيعة* ج٧ ص ١٤٥.

(٢) يقول بعض الدارسين ومنهم الدكتور التونجي في مقدمة كتابه عن بهاء الدين العاملي ص٢٣، أنَّ البهائيّ آثر حياة الفاقة والفقر، على حياة الغنى والترف، يدلنا على ذلك تلك المناصب التي عُرضت عليه ولكنه عاف ذلك كلّه وانزوى سعيداً بالفقر.

ونكّل بهم[١].

ويُروى أن الشاه عباس ركب يوماً إلى بعض منتزهاته، وكان البهائي والداماد[٢] في موكبه، وكان الداماد عظيم الجثة والبهائي نحيفها، فأراد الشاه أن يختبر صفاء الخواطر بينهما، فقال للداماد وهو راكب فرسه في مؤخرة الجمع، وقد ظهرت عليه آثار الإعياء والتعب، والبهائي في مقدمة الركب: ألا تنظر إلى هذا الشيخ كيف تقدّم بفرسه، ولم يمشِ بوقار كما تمشي أنت؟ فقال الداماد: أيها الملك! إن جواد الشيخ قد استخفَّه الطرب ممن ركبه فهو لا يستطيع التأني، ألا تعلم من رَكِبَهُ؟ ثم قال للبهائي: ألا تنظر إلى هذا السيد كيف أتعب مركبه بجثمانه الثقيل؟ والعالِمُ يجب أن يكون مرتاضاً مثلك، خفيف المؤونة. فقال البهائي: أيها الملك إن جواد الشيخ أعيا بما حمل من علمه الذي لا تستطيع حمله الجبال، فعند ذلك نزل الشاه عن جواده وسجد لله شكراً، على أن يكون علماء دولته بهذا الصفاء»[٣].

---

(١) أورد الدكتور نصر الله فلسفي أمثلة كثيرة عن كيفية محاسبة الشاه للتجار والولاة والباعة والمرتشين، كما أورد نماذج وافية عن رأفة الشاه بالعامة. *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٢) **الداماد** هو السيد محمد باقر بن شمس الدين الحسيني الإسترآبادي توفي عام ١٠٤١هـ ١٦٣٥م ودفن في النجف الأشرف، كان من أئمة الحكمة والفلسفة، والكلام والفقه، وهو ابن بنت الشيخ علي بن عبد العالي الكركي العاملي الشهير بالمحقق الثاني (وقد مرت ترجمته في الفصل الأول)، كان شاعراً بالعربية والفارسية ويتخلص بـ «إشراق».

ترجمته في *روضات الجنات* ج٧ ص ٦٩ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٣٦٥ وج٩ ص ١٨٩ وعنه دراسة وافية في (*فلاسفة الشيعة* ص ٣٩٤).

(٣) كان البهائي والداماد على صلة وثيقة، على أن ذلك لم يذهب بروح التنافس بينهما شأن العلماء المتعاصرين على الأقل من طرف واحد، هو طرف السيد الداماد، فقد ورد أن البهائي حين صنَّف كتابه «الأربعين» أتى به بعض الطلبة إلى =

أنموذج حيٌّ للتواضع الذي هو توأم العلم الحقيقي، إذ بينما نراه يختم كتبه ورسائله جميعاً بقوله: «الفقير إلى رحمة ربه الغني، بهاء الدين العاملي» وُجِدَ في عصره من يقول عن نفسه إنه «سيدُ المحققين»(١).

لقد اختار الشيخ، معايشة الواقع والمجابهة، مع استقلال في الرأي والسلوك، والتزام أمام الله، بأن يكون المؤمنون، ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ﴾.

إن أدبه شعراً ونثراً يُعطينا صورةً واضحةً عن ذلك الصراع الذي واجهه الشيخ في حياته، لأنه لم يعش في برجه العاجيّ، وإنما عاش بين الناس بمختلف طبقاتهم وطوائفهم ونِحلِهم، واستطاع أن يكوِّن لنفسه من بين كل الآراء المتصارعة موقفاً ثابتاً، واحداً، خاصاً به.

أراد الحدّ من المظالم، فعاش صراعاً حاداً في نفسه بين الواقع المعاش، وبين الموقف المثاليّ الذي كان يدعو إليه.

إنّ لهجة الرفض والاحتجاج تظهر قويّة لديه في كثير من المواقع في مواجهة السلطة، لقد ظلَّ الصراعُ محتدماً في نفسه بين ما تعلّمه من أبيه وربِّيَ عليه، وبين المواقف التي وجد نفسه مضطراً أن يعيشها، يقول إنه تعلّم من أبيه هذا القول من أقوال القدماء:

«شرّ العلماء من لازم الملوك، وخير الملوك من لازم العلماء»(٢)، لم يكن راضياً عن نفسه، وهذا الأمر يفسر لنا قول ابن معصوم: «لم يزل آنفاً من الانحباس إلى السلطان، راغباً في الغربة عن الأوطان،

= السيد «الداماد»: فلما نظر إليه قال: «إن هذا العربيّ رجل فاضل لكنه لما جاء في عصرنا لم يشتهر ولم يعد عالماً» *روضات الجنات* ج٧ ص ٦٩.

(١) أنموذج على أمثال هؤلاء العلماء في *أعيان الشيعة* ج٥ ص ٤٧٥.

(٢) *الكشكول أعلمي* ج١ ص ٢٣٠.

يؤمل العودة إلى السياحة، ، ويرجو الإقلاع عن تلك الساحة ولم يقدر حتى وافاه حِمامُه»[1].

وفي نهاية كتابه «الحبل المتين» يتوسّل إلى الله سبحانه: «أن يجعلَ بقيةَ العمرِ مقصورةً على الطاعات، وتدارك ما فات، مجنبةً من التدنّس بأدناسِ السيئات، مصروفةً في اكتساب السعادات الحقيقية»[2].

وقد أورد في الكشكول سوانحَ كثيرة يعبّر فيها أنه نادم على حياته تلك ويرجو الخلاص منها: «أيها الغافل شاب رأسُك، وبَرَدَتْ أنفاسُك، وأنت في القيل والقال، والنزاع والجدال فاحبسْ لسانك عن بسط الكلام، في ما لا ينفعك يوم القيامة»[3].

إذاً لم يكن في أعماقه راضياً عن علاقته بالشاه، لأنَّ الحكَّام بحكم الواقع المحسوس، لا يكتفون من العالِم بالعلم والصلاح والعقل، بل كانوا لا يزالون، يريدون المشاركة في ما هم فيه كائناً ما كان، سواء أكان ذلك يسير في خطوط الإسلام أو يبتعد عنها، وهذا ما وصفه البهائيّ في إحدى سوانحه بقوله: «مصاحبُ الملكِ محسودٌ بين الأنام من الخاصّ والعام، لكنه في الحقيقة مرحوم، لِما يرد عليه من الهموم الخفية، التي لا يطّلع الناس عليها، ولا تصل أنظارهم إليها، ولذلك قال الحكماء: صاحب السلطان كراكب الأسد، بينما هو فرسه إذ هو فريسته، فلا تكن مغروراً من جليس الملك وأنيسه، بما تشاهد من ظاهر

---

(١) *سلافة العصر* ص٢٩٠ وقد ورد النص عند المحبي: لم يزل آنفاً من الانحياز إلى السلطان، راغباً في الغربة عن الأوطان، يؤمل العودة إلى السياحة... إلخ، خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤١.

(٢) *الحبل المتين* ص٢٦٣.

(٣) *الكشكول* ج٣ ص٣٩.

حاله، وانظر بعين الباطن إلى توزع باله، وسوء مآله، وتقلّب أحواله»[1].

مرارةٌ نفسية يشعر بها مصاحب الملوكِ من العلماء، مع شعور دائم بالإثم للسكوت عن ما يرتكبه الحكّام، مما هو مخالفٌ لأوامر الشرع ونواهيه.

وفي مكان آخر من الكشكول، يسمّي الأموال التي يحصّلها من الحاكم: «الأموال الملعونة»: فهو بعد أن يروي حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «اتقوا الله، وموّتوا أنفسكم بالورع، وقوة الثقة، والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى صاحب سلطان، واعلم أنّ من خضع لصاحب سلطان، أو لمن يخالفه على دينه، طلباً لما في يديه من دنياه، أخمله الله ومَقَتَهُ عليه ووكّله إليه، فإن هو غلب على شيء من دنياه، فصار إليه شيء منه، نزع الله منه البركة، ولم يؤجّره على شيء من دنياه ينفعُهُ في حجّ ولا عتقٍ ولا بر»...

يقول البهائي: «قد صدق رضي الله عنه، فإنّا قد جرّبنا ذلك، وجرّبه المجربون قبلَنا، واتّفقت الكلمة منّا ومنهم على عدم البركة في تلك الأموال الملعونة نسأل الله أن يرزقَنا رزقاً حلالاً طيباً، يكفينا ويكفّ أكفّنا عن مدّها إلى هؤلاء وأمثالِهم، إنّه سميعُ الدعاء، لطيف لما يشاء»[2].

وينقل البهائي من تفسير «النيسابوري»[3] عند تفسير قوله تعالى:

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص٢١١.

(٢) *الكشكول* ج١ ص ٢٨٩.

(٣) **النيسابوري**: نسبة إلى مدينة نيسابور أو «نيشابور» في خراسان من مدن إيران التاريخية المعروفة بين طهران والمشهد الرضوي تبعد عن طهران ٧٧٦ كلم وعن مشهد ١٣٧كلم (فرهنگ فارسى ج٦ ص ٢٦٦٨) والنيسابوري هو محمد بن حسين المعروف بنظام النيسابوري أو الأعرج، وكان من أهل قم ولكنه سكن نيسابور، =

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1] ما لفظه: كان أبو الفتح المنهي قد برع في الفقه، وتقدّم عند العوام، وحصل له مالٌ كثير، ودخل بغداد، وفوّض إليه التدريس بالنظامية[2]، وأدركه الموت بهمدان، فلما دنت وفاتُه قال لأصحابه: اخرجوا فخرجوا فطفق يلطُم وجهه ويقول: يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله، ويقول: يا أبا الفتح: ضيّعتَ العمر في طلب الدنيا، وتحصيل الجاه والمال، والتردد إلى أبواب السلاطين وينشد:

= وكان رجلاً جامعاً لأطراف الكمال، وله مؤلفات في الرياضيات والأدب. مات حوالى العام ٧٣٠هـ ١٣٢٩م. وتفسيره من تفاسير الدرجة الأولى عند أهل السنة (الإسلام وإيران ص ٣٢٠).

(١) ج٢٣/ سورة الزمر آية ٥٦.

(٢) **النظامية**: نسبة إلى نظام الملك: أبو علي الحسن بن علي بن إسحق الطوسي ٤٠٨هـ ١٠١٨م في قرية «نوقان» من أعمال طوس في «خراسان» انتقل إلى غزنة عاصمة الغزنويين لمتابعة دراسته. ثم انتقل إلى بلخ كاتباً لعميدها عليّ بن شاذان، ثم هرب من ابن شاذان إلى مرو وفي مرو تولى إدارة أعمال مملكة ألب أرسلان وكان له الوزير النصوح وكذلك لابنه «ملكشاه» من بعده. وتشير المراجع إلى أنه كان زميلاً للحسن بن الصباح الزعيم الإسماعيلي وللرياضي الشاعر عمر الخيام.

تنسب كتب التراجم إلى نظام الملك أعمالاً كثيرة، مثل بناء المساجد والمآذن والخانقاهات (للصوفية) و(الربط لمقاتلي الحدود)، وتعمير الطرق والقناطر وحفر الأنهار، وعمل المصانع ووصل العلماء والأدباء والمدارس النظامية، جعل في كل حاضرة من حواضر الدولة السلجوقية مدرسة (جامعة) للتعليم العالي الديني وحده، وكانت نظامية بغداد مؤلّفة من بناء فيه ـ عدا غرف الإداريين والمسؤولين ـ قاعة أو قاعات للتدريس يجلس فيها «الشيخ» المدرس على صفّة عالية وأمامه التلاميذ على الأرض دونها، ومكتبة، وحجرات للطلاب يقيمون فيها طول سنوات دراستهم مجاناً. وكانت تدفع لهم أيضاً رواتب شهريّة مقررة لمعايشهم. وكان ثمة أوقاف خاصة بالمدرسة يخصّص ريعها لتسيير المدرسة وخدمة أهدافها. (عن سير الملوك لوزير السلاجقة نظام الملك. ترجمة د. أحمد لواساني ١٩٧٩م [مخطوط]).

عجيب لأهل العلم كيف تغافلوا يجرّون ثوبَ الحرصِ عندَ المهالكِ
يدورون حولَ الظالمين كأنهم يطوفون حول البيت وقتَ المناسكِ

وظل يردد الآية حتى مات. إلى هنا بلفظ النيسابوري، ويضيف البهائي:

نعوذ بالله من الموت على هذه الحال، ونسأله جلّ شأنه، أن يمنَّ علينا بالتوفيق للخلاص من هذا الوبال[1].

هذا الدعاء الذي يسجّله الشيخ البهائي يترجمُ الحالة النفسية، التي رافقته في رحلة حياته، لم يكن راضياً عن نفسه، وكان يردّد: «من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة»[2].

إن قربَهُ من الشاه لم يكن كما يبدو من إشاراته مدعاةً للرضى، بل كان سبباً لقلقٍ وجداني تحركه جذوةُ إيمانه، إلى درجة تدفعُهُ إلى الندم على خروجه مع والده من بلاد الشام وجبل عامل إذ يقول: «لو لم يأتِ والدي قدَّس الله روحَهُ، من بلاد العرب إلى بلاد العجم، ولم يختلط بالملوك، لكنت من أتقى الناس، وأعبدهم، وأزهدِهم، لكنه طاب ثراه أخرجني من تلك البلاد، وأقام في هذه الدّيار، فاختلطتُ بأهلِ الدنيا، واكتسبْتُ أخلاقهم الرديئة، واتصفْتُ بصفاتِهم الدنيئة، ثم لم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلا القيل والقال، والنزاع والجدال، وآل الأمر إلى أن تصدّى لمعارضتي كلُّ جاهل، وجسرَ على مباراتي كلُّ خامل»[3].

يقارنُ البهائي في هذه السانحة بين حالتين: بين حالته لو كان ظل

---

(1) *الكشكول* ج1 ص ٦٣.
(2) *الكشكول*. أعلمي ج1 ص١٣٥.
(3) المصدر نفسه ج1 ص٢١٣.

هو وأبوه في جبل عامل، إذاً لكان تفرَّغ - كما كان يقدِّر - للعلم والعبادة، ولكان عاش حياة زهد وقناعة كغيره من علماء جبل عامل، الذين عرف سيرتهم من أبيه - وبين حالته في إيران.

لقد وُجد من يحاول أن يغضَّ من قيمته في مجالس الحكام، وأن يثيرَ من حوله الشكوك والأوهام والظنون، وحاول البعض من طريقِ الوشايات والتلميحات اللئيمة، أن ينزلوه من مستواه الرفيع إلى مستواهم القائم على الارتزاق والنميمة، ومثل هذا السلوك طبيعي جداً في النفوس الإنسانية الصغيرة الحسودة، التي تعيش على هامش الحياة، يقول: «قد جرى ذكري يوماً في بعض المجالس العالية، والمحافل السامية، فبلغني أن بعض الحضّار ممن يدّعي الوفاق، وعادته النفاق، ويُظهر الوداد، ودأبُه العناد، جرى في ميدان البغي والعدوان، وأطلق لسانه في الغيبة والبهتان، ونَسبَ إليَّ من العيوب ما لم يزل فيه، ونسيَ قوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ﴾، فلما علم أني قد علمت بذلك، ووقفتُ على سلوكه في تلك المسالك، كتبَ إليَّ رقعةً طويلةَ الذيل، مشحونة بالندم والويل، يطلب فيها مني الرضا، ويلتمس الإغماض عما مضى، فكتبت إليه في الجواب: جزاك الله خيراً في ما أهديت إليَّ من الثواب، وثقَّلتَ به ميزان حسناتي يوم الحساب، فقد روينا عن سيد البشر والشفيع المشفّع في المحشر، صلَّى الله عليه وعلى آله أنّه قال: «يُجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناتُه في كَفَّة وسيئاتُه في كفَّة، فترجحُ السيئات، فتجيءُ بطاقةٌ فتقعُ في كفّة الحسنات فترجح بها، فيقول: يا ربّ ما هذه البطاقة؟ فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا استقبلت به، فيقول عز وجل: هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء»، فهذا الحديث النبويّ، قد أوجب بمنطوقه عليَّ، أن أشكر ما أدّيته من النعم إليَّ، فأكثرَ الله خيرَك، وأجزل ميرَك، مع أني لو فرضت أنك شافهتني بالسَّفاهة

والبهتان، وواجهتَني بالوقاحة والعدوان، ولم تزل مصرّاً على إشاعة شناعتِكَ ليلاً ونهاراً، مقيماً على سوء صناعتك سرّاً وجهاراً، ما كنت أقابلك إلا بالصفح الجميل والصفاء، ولا أعاملك إلا بالمودة والوفاء، فإنَّ ذلك من أحسنِ العادات وأتمّ السعادات، وأنَّ بقيةَ مدَّة الحياة أعزُّ من أن تُصرفَ في غير تدارك ما فات، وتَتمَّةَ هذا العمر القصير، لا تسع مؤاخذةَ أحدٍ على التقصير»(١).

كما آلمه أن يشعر أحياناً أن الشاه يساويه بآخرين، فيشعر بالأذى والضّيق: يقول:

سمعت من الريح أن الشاه قارن بيني وبين آخرين/
فمن تصورهم يلحقني مائةُ عار/
أنت لا تعرف قدري فلا تبعني بالقليل/
البهائي أنا، وثمني كبير..(٢)

كان طبيعياً من عالم فقيه مثله أن تتعمَّقَ محنته، فهو في قرارة نفسه غيرُ راض عن ارتباطه بالحاكم مع ما جرَّ عليه ذلك الارتباط من قيل وقال، ونزاع وجدال، فكان ذلك من بواعث تنغيص حياته أحياناً فيلجأ إلى العزلة تنفيساً عن كربته: «العزلة عن الخلق هي الطريق الأقوم الأسدّ، كما ورد في الحديث: «فرّ من الخلق فرارك من الأسد»، فطوبى لمن لا يعرفونه بشيء من الفضائل والمزايا، فالفرار الفرار عنهم والبدارَ البدارَ إلى الخلاص منهم، وبهذا يظهر أن الاشتهار بالفضائل من جملة الآفات، وأنَّ خمول الاسم أمانٌ من المخافات. فاحبس نفسَك في

---

(١) *الكشكول* ط دار الكتاب ج١ ص١٣٩ وط أعلمي ج١ ص٢١٠.

(٢) أصل الأبيات:

كه بنده را يكسان كرده شها نسبت	كه از تصور ايشان مرا بود صد عار
نوقدر من نشناسى مرا بكم مفروش	بهائيم من و باشد بهاى من بسيار

زاوية العزلة، فإنَّ عزلَةَ المرءِ عزٌّ له»[1].

ولكنَّ العزلة لم تكن مستطاعةً بالنسبة إلى البهائي، لذلك ظلَّ هذا القول ضمن حدود الدعوة أو الأمنية، لأنه آلى على نفسه أن يعايش الناس، ويسعى جاهداً إلى الإصلاح ما أمكنه ذلك، لذا فإن معايشته للناس، وتعرُّفه أحوالهم، جعلتا ظنَّه يسوءُ بالنسبة إلى زمانه وأهل زمانه: «من طلب في هذا الزمان عالماً عاملاً بعلمه بقي بلا علم، ومن طلبَ طعاماً بلا شبهة بقي بلا طعام... ومن طلب صديقاً بغير عتب بقي بلا صديق»[2].

ويقول في خاتمة كتابه «خلاصة الحساب»: «... إن كثيراً من مطالبها حريٌّ بالصّيانة والكتمان، حقيقٌ بالاستتار عن أكثر أهلِ هذا الزمان»[3].

نضيف إلى سمو تفكيره، أنه لم يتعصّب لمذهبٍ على مذهب، ولم يتحزّب داخل إيران لفريق على آخر من الفرقاء المتصارعين، وإنما كان يعاشر أهل كلّ فرقة بالحسنى، ويتدرج فيهم بأساليب الإصلاح، وهذا الأمر هو الذي حدا بكلّ فريق أن يعدّه منهم. لأنه أدرك بثاقب بصيرته الحاجة إلى لمّ الشعث ورأب الصدع، فأعمل جهده في الجمع بين أنصار الشريعة وأنصار الطريقة، بين متزمتي الفقهاء ومتطرفي العرفاء، وكان له من رحابة الصدر، ومن سعة المدارك ما يؤهله لمعايشة جميع الطرائق والمذاهب، بأسلوب المصلح العميق النظر، الذي عمل جاهداً

(١) *الكشكول، أعلمي* ج١ ص ٢١٣.
(٢) المصدر السابق ج١ ص٢٣٠.
(٣) خلاصة الحساب (المخطوط ص ١١١) و«اللباب في ترجمة وشرح خلاصة الحساب» ص٣٩١.

على إصلاح ما فسد من الأخلاق والأوضاع العامة، وانتقد الجمود والتقليد، وشنَّ الحملة تلو الحملة في شعره ونثره العربي والفارسي، على الفقهاء الجامدين القشريين وعلى المرتزقين من الدجل والشعوذة والرياء... فكان من الطبيعي أن يوجّه له المتضررون من نقده، أو الذين لم يفهموا دوافع أقواله وأفعاله، بعض المطاعن والتُّهم، شأنُه شأن العظماء والمفكرين، الذين يسمون بتفكيرهم على تفكير الناس فتوجَّه لهم الانتقادات.

لذلك لم يسلَم البهائي من انتقاد بعض العلماء، فبعضهم لم يوثّقْهُ في الحديث، وآخرون طعنوا عليه لميله إلى التصوف كما يتراءى من بعض كلماته وأشعاره، حتى أنَّ بعضهم[1] عدَّه أحد مشايخ طريقة «النعمت اللهية»[2]، وحتى أنَّ بعض علماء السنة عدوه واحداً منهم، وقد أسلفنا رواية البحراني عن المحدث التستري أنه قال «سمعت الشيخ الفاضل، الشيخ عمر من علماء البصرة يقول: إن بهاء الدين محمداً من أهل السنة والجماعة، إلاَّ أنه كان يتقي من سلطان الرافضة «...ويضيف» وكذلك الملاحدة والصوفية والعشّاق، سمعت كل هؤلاء يقولون إنه من أهل نِحلتنا.. ولهذا كان شيخنا المعاصر (يعني المجلسي الثاني) يُزري عليه بهذا وأمثاله، وفيض الله التفريشي[3] لم يوثّقه في كتاب «الرجال» وإن أثنى عليه في العلم والحفظ وغير ذلك. والحقّ أنه

(١) كالجابري في «*تاريخ أصفهان والري*» ص١٨٩.

(٢) «النعمت اللهية» مر التعريف بهذه الفرقة في الفصل الأول ص ٦٧.

(٣) يقول السيد محسن الأمين في هذا الصدد: «.. إذا تطرَّق الشك في وثاقة البهائي، لم يبقَ ثقةٌ في الدنيا، وما الوسوسةُ في وثاقة البهائي إلا كالوسوسة في إعجاز القرآن وبلاغة نهج البلاغة وشجاعة علي وكرمِ حاتم وشاعرية امرىء القيس ووجود مكة المكرمة»: *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٣.

ثقة معتمد عليه في النقل والفنون»[1].

وعن المقامات للمحدّث التستري: «عند ذكر ترجّل المرتضى رضي الله عنه، متى كان يمر بقبر أبي إسحق الصّابي وهو راكب تعظيماً لعلمه، هذا الرجل، المشهور أنه مات على دين الصابئة: «هذا التعظيم له، والترجيع عليه بما لا تسمح به النفس، حذراً من قوله تعالى ﴿يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ وهذه المسامحة كانت أيضاً في الشيخ الأجل بهاء الدين محمد طاب ثراه، وذلك أنك تراه يعظّم كثيراً من الصوفية الأغوياء والملاحدة الأشقياء، في جملة من مؤلّفاته ومنظوماته»[2].

كما انتقده ميرزا محمد الإخباري[3] لاتباعه الأسلوب الاجتهادي في مقدمات كتابه «مشرق الشمسين وإكسير السعادتين».

وذُكِرَ أن الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي[4]، الذي كان إخبارياً صرفاً، لا يوثّقُ الشيخ البهائي؛ فقد

---

(١) *لؤلؤة البحرين* ص١٩ و*روضات الجنات* ج٧ ص٦٧ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤٣.

(٢) *روضات الجنات* ج٧ ص٦٦.

(٣) **هو محمد بن علي بن إبراهيم الإسترآبادي** (المتوفى سنة ١٠٢٨ ـ ١٦١٨م)، انتقل من إيران إلى مكة المكرمة، حيث مارس هناك نشاطاً فكرياً نحا فيه منحىً سلفياً بحتاً حتى وفاته سنة ١٠٢٨هـ ١٦١٨م، له كتاب «منهاجُ المقال في تحقيق أحوال الرجال» أرّخ فيه جملة «من رواة الحديث واستعرض لنا علماء الإثني عشرية، من الغيبة الصغرى حتى العصور المتأخرة، بعد أن ناقش أهمّية علم الرجال مبيّناً أثره في حفظ الشريعة، لأنَّ معرفة الرجال هي الطريق إلى الثقة، بما ينقلون لنا من أخبار وما يقدمون من أسانيد وأحكام: روضات الجنات ج١ ص ٣٠٨ ـ ٣١١ و٣٣٤..

ومن تلامذته مصطفى التفريشي صاحب كتاب نقد الرجال (راجع لؤلؤة البحرين ص ١١٩ ـ ١٢٠).

(٤) **هو الشيخ زين الدين محمد بن الحسن بن علي بن محمد** بن الحسين الحر العاملي، صاحب «أمل الآمل»، وُلِد في مشغرة سنة ١٠٣٣هـ ١٦٢٧م وتوفي بطوس سنة ١١٠٤هـ ١٦٩٨م.

صادف أنه في بعضِ مجالس قضائه شهد لديه بعضُ الطَّلبة على أمرٍ فقبِلَ به، فقيل له إنه يقرأ «زبدة البهائي في الأصول فردَّ شهادته»[1].

وممَّن طعن عليه من علماء القرن الثاني عشر الهجري، المحدّث الشيخ عبد الله بن صالح البحراني، بأنَّ له بعض الاعتقادات الضعيفة، كالاعتقاد أنّ المكلّف إذا بذَلَ جهده في تحصيل الدَّليل، فليس عليه شيءٌ إذا كان مخطئاً في اعتقاده، ولا يخلّد في النار، وإن كان بخلاف أهل الحق، وقال البحراني: «هو باطل قطعاً، لأنه على هذا يلزم أن يكون علماء الضلال ورؤساء الكفار غير مخلّدين في النار، إذا أوصلتهم شبههم، وأفكارهم الفاسدة إلى غير ذلك من غير اتباع لأهل الحق»[2].

ويعلّق الشيخ عبد الله نعمة على البحراني بقوله: «فحملة البحراني هذه، إنما كان مصدرها مخالفة البهائي في رأيه، لما عليه تفكير أمثال البحراني، الذين لا يعتبرون العقل حجةً في أمثال هذه المواضيع، وما أحرى رأي البهائي المذكور بأن يكون مأثرةً ومنقبةً تدلُّ على حرية تفكيره، وسلامة طبعه، ولأن يكون رأيُهُ هذا مدحاً له، أولى من أن يكون ذماً، ولكنَّ القصة قصةُ رواسب عقائدية، لا تتصل للدين بسبب، تتحكم بتفكير الكثرة الساحقة من العلماء[3]».

سما الشيخ البهائي بتفكيره وممارساته عن السائد المألوف، فلم يُفهم على حقيقته، ولعل ما يؤيد هذا الرأي، ما يقوله هو عن نفسه في قصيدة «الفوز والأمان»:

وإني امرؤ لا يدرك الدهرُ غايتي ... ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٩ ص١٦٩.

(٢) *لؤلؤة البحرين* ص١٩ و*روضات الجنات* ج٧ ص٦٧.

(٣) *فلاسفة الشيعة* ص٤٠٦.

أخالطُ أبناءَ الزمانِ بمقتضى عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري
وأُظهرُ أني مثلُهم تستفزّني صروفُ الليالي باحتلاء وإمرار
وما علموا أني امرؤ لا يروعني توالي الرزايا من عشيٍّ وإبكار[١]

حتى المتصوفة وُجدَ بينهم من ينتقدُ البهائي على علاقته بالشاه، ويعدُّ ما قاله من شعر عرفاني وادعاءٍ للزهد نفاقاً:

توقّف عن نعمةِ ألوان الملوك/ لا تشرب دماء قلوب مائة ألف درويش[٢]

هيئته ولباسه

يُستدلّ من أخبار البهائي أنه كان مهيباً[٣]، مقبولَ الهيئة حسن المنظر[٤]، كما يستدل من أقوال ابن معصوم في حقه أنَّه كان سمحَ الكفّ سخياً، عالي الهمة[٥]، ويستدل من القصة التي رُويت عنه وعن السيد الداماد والشاه عباس أنه كان خفيف الوزن، نحيلاً، كما أن بعض المؤرخين ذكروا أنَّه كان خفيفَ اللحية[٦]، ويلبس في سفره لباس السياح والدراويش، كما وصفه الذين التقوا به في أثناء رحلته[٧]، وإلى هذا

---

(١) الكشكول. ط دار الكتاب ص ٧٤٥ ـ ٧٤٦.

(٢) از نعمت ألوان شهان دست بدار خون دل صد هزار درويش مخور

هذا البيت ذكره غلام حسين جواهري في مقدمة كتابه عن بهاء الدين العاملي على لسان أحد المتصوفة في هجاء البهائي ولم يذكر اسم صاحبه، وإنما ذكر ردّ الشيخ عليه: مقدمة كليات شيخ بهائي ص ح.

(٣) خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٢.

(٤) نزهة *الجليس* ج١ ص ٣٧٩.

(٥) سلافة *العصر* ص٢٩١.

(٦) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٤٦ عن قصص العلماء ص١٧٦.

(٧) خلاصة الأثر ج٣ ص٤٤٢ ومستدرك *الوسائل* ج٣ ص ٤١٩ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٣٦.

الأمر يشير هو نفسه في إحدى قصائده الفارسية[١]، التي نظمها بعد رحلة الحج بزمن بعيد، وفيها يحن إلى عهد الرحلة والدروشة ويتأسّى على الوضع الذي يجد نفسه فيه:

يقول فيها:

أنا متنفر في الفراء والحرير، ولديَّ ثانيةً ميلٌ إلى عيشة الدراويش

أنا من القال والقيل جدَّ ملول، ما أحسن الخرقة والجراب

لا تزال تجول في خاطري ذكرى أيام المرقّعة،

ما أحسنَ أيام الشامِ ومصر والحجاز، والراحة من الأفكار البعيدة والعريضة[٢].

شخصيته العلمية بين الواقع والأسطورة:

إن شخصية البهائي العلمية، ومكانته الرفيعة في أكثر ميادين المعرفة دفعت الناس إلى الحديث عنه وكأنه شخصيّة أسطورية، إن كثرة الغرائب والعجائب والأساطير التي نُسبت إليه على الرغم من المبالغة التي تشع من زواياها، تعبر تعبيراً واضحاً عن أثر البهائي العلمي ونفوذه البالغ على أفكار الناس.

فقد حُكيَ أنَّه استطاع أن يحطّم الذرّة، وأن يسيطر على طاقتها

---

(١) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص ١٥٨ وكليات *شيخ بهائى* ص٥٦.

(٢) والأبيات بالفارسية هي:

از سمور وحرير بيزا رم — باز ميل قلندرى دارم
دلم أز قال وقيل گشته ملول — اي خوشا خرقه وخوشا كشكول
لوحش إلا از سينه جو شى ما — ياد أيام خرقه پوشى ها
اى خوش ايام مصر وشام وحجاز — فارغ از فكر هاى دور ودراز

وأن يستخدمها في الحاجات، وأنّ من مظاهر ذلك أنه صنع «شمعةً» أوقدها في أتون حمام بأصفهان، وأنها كانت تكفي لتدفئة حمام بكامله مدّة طويلة دون أن تتغير الشمعة[1].

ولا تزال آثار هذا الحمام قائمة الآن في أصفهان، ويسمى «حمام أصفهان» أو «حمام شيخ بهائى»، ويقع بين المسجد الجامع والسوق القديمة، قرب المحلة المعروفة بـ«درب الإمام»، وأهالي أصفهان يعتقدون أنَّ مصممَ هذا الحمّام هو الشيخ البهائي، وأنه صنع شمعة تكفي لتسخين الماء في مرجل الحمام الكبير، وأنّ البهائي كان قد قال، أنه إذا ما هُدِم الجدار الذي يمنع دخول الهواء إلى الشمعة، فإنها ستنطفىء، وهكذا كان، فلما دعت الضرورة أن يُعاد تعمير المسجد، وهُدم أساس الأتون حيث كانت الشمعة في مكان معزول عن الهواء، انطفأت الشمعة وذهب معها سرّها[2]. وهذا الحمام هو الذي تحدث عنه «شاردن» في كتاب رحلته إلى إيران[3].

وينسب إليه أيضاً صنع «ساعة شمسية» دوّامة الحركة دون أي حاجة لمن يحركها[4]، وتركيب «مسحوق أبيض» يُستخدم في الدهان[5].

وبما أن الشيخ كان محيطاً بالهندسة والمساحة، فإن المؤرخين والناس ينسبون إليه تصميم أكثر المباني التي تم بناؤها في زمن الشاه

---

(١) فلاسفة الشيعة ص٤٠٧ نقلاً عن « أجوبة المسائل الدينية» عدد ٦، الدورة ٤ شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٩هـ كربلاء ـ العراق ص٢٣٢.

(٢) آثار وأشعار شيخ بهائى ص ٥٠.

(٣) المصدر السابق ص، ن، نقلاً عن شاردن:
Chardin. voyages, tom v111 .160. et p.201 - 202.

(٤) فلاسفة الشيعة ص ٤٠٧.

(٥) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٥٠، نقلاً عن *قصص العلماء* ص ١٧٧.

عباس وهندستها، فهم ينسبون إليه تعمير «مسجد شاه» في أصفهان وأنه هو الذي عين سمت القبلة فيه، ومشهور أيضاً أن هيئة شُكلت زمن الشاه عباس برئاسة الشيخ البهائي لتوزيع مياه «زاينده رود»[1] على مدينة أصفهان والقرى المجاورة، وقد وُضع تصميم توزيع المياه للمدينة والقرى المحيطة بها، وصناعة المواسير والخزانات، وأصل الطومار في أصفهان ويعرف بـ«طومار شيخ بهائي»، هذه القصة معروفة ليس في أصفهان وحدها، وإنما في جميع أنحاء إيران، ولكن ليس من المؤكد أن تنفيذها قد تمَّ في حياة البهائي، ولكنَّ ذلك هو المشهور المتداول[2].

كما ينسبون إلى الشيخ البهائي تصميم قناة «نجف آباد» في أصفهان، والتي تسمى قناة «زرين كمر»، من أكبر قنوات إيران، وطول القناة من أولها إلى آخرها تسعة فراسخ[3] وتوزع مياهها على إحدى عشرة بركة كبيرة[4].

ونسبوا إليه أيضاً عمارة المشهد العلوي في النجف، وقد اشتهر بين النجفيين وأهل العلم منهم خاصة، أن للشيخ البهائي رسالة في عمارة المشهد ووصفه الهندسي[5]، وأغرب بعضهم حتى ادّعى أنَّ

---

(١) **زاينده رود**: نهرٌ ينبع من السفح الشرقي لجبال البختياريين، مقابل نبع كارون يروي أراضي أصفهان، وهو من أهم أنهار إيران من حيث فائدته زراعياً. لا تزال في الجهة الجنوبية من مدينة أصفهان، الجسور العديدة التي بناها الصفويون على النهر قائمة حتى الآن. . انظر *لغت نامه*، ج١٤ ص١٠٦، ومن فرهنگ فارسى، معين، ج٥، ص٦٤٦.

(٢) آثار وأشعار شيخ بهائى ص٤٩

(٣) الفرسخ: يعادل ٥٩١٩ متراً، انظر: علم الفلك عند العرب ص٢٦٥ وفرهنگ فارس ج٢ ص٢٥١٧.

(٤) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٤٩.

(٥) *«ماضي النجف وحاضرها»* ص٣٥. *وأعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤٠.

حجرات الصحن الشريف كل واحدة قد بنيت مقابل كوكب يظهر تأثيره في طالب العلم مضافاً إلى أن في كل فصل من الفصول الأربعة في السنة يكون الزوال عندما تصل الشمس إلى نهاية الحائط القبلي، وأن سور النجف قد وضع فيه بعض الطلاسم لصدّ عادية الحيّات والعقارب إلى غير ذلك من المبالغات[١].

هنالك احتمال أن يكون الشيخ البهائي قد وضع تصميماً لإعادة تعمير المشهد العلوي في النجف عندما زاره في العام ١٠٠٣هـ ١٥٩٤م، وكانت العراق والأماكن المقدسة فيها تحت سلطة العثمانيين[٢]. ولم يفتح الشاه عباس العراق إلا في العام ١٠٣٢هـ ١٦٢٢م أي بعد عامين من وفاة البهائي، وأما التعمير للصحن الشريف والمرقد المطهّر، فإنما كان على عهد الشاه صفي حفيد الشاه عباس وذلك سنة ١٠٤٧هـ ١٦٣٧م أي بعد وفاة البهائي بأكثر من سبع عشرة سنة[٣].

شخصيته الأسطورية

كان للشيخ البهائي فضلاً عن شخصيته الحقيقة، شخصيةٌ جماهيريّة، لأنه لم يعش في برجه العاجيّ كغيره من العلماء، وإنما عاش بين الناس بمختلف طبقاتهم ومشاربهم، ولشدَّة تعلُّق العامّة به، لم يعد في ظنهم ووهمهم رجلاً عادياً، وإنما صار أسطورة، فهو ذلك الرجل الذي يعرف كل شيء: الفقه، والحكمة، والعلوم الرياضية والهندسة

---

(١) *ماضي النجف* ص ٣٥.

(٢) وقد ذكر أنه قضى عشرة أيام في النجف، حيث قام بخدمة الزوار وكنس أرض المقبرة:
زندگانى شاه عباس أول ج٣ ص١٩ و*تاريخ الدولة العليّة* ص٢٨١.

(٣) *زندگانى* ج٣ ص ١٨٨ وج٥ ص٥ وص ٢٨ و*تاريخ إيران از مغول تا افشاريه* ص٣٢٥.

والحديث والجفر، وهو حاذق في الشعر، وفي العجائب والطلسمات والسحر، وهو بين الناس في ميادينهم ومع ملكهم في حروبه وتجواله، ثم هو يستطيع التأثير في ذلك الملك إيجاباً بقصد التغيير، لذلك تُروى عنه حتى الآن في إيران معجزات وخوارق، تجعله في عداد الشخصيات الأسطورية وكان البهائي مدركاً قيمة نفسه عارفاً مدى شهرته في حياته:

أنا وحيد الدهر من سطّر كاتبُ القدرة/ وصف فضلي على كل باب وحائط/
كل ديار تأتيها تسمع إشارة عني/ إلى أي مكان تذهب تسمع لي ذكراً[1]

ولقد تحدث معاصروه كثيراً عن كراماته، فقد رُويَ أن قاضي قضاة مدينة أصفهان قال: «رأيت ليلة من الليالي في المنام أحدَ أئمتنا عليه السلام، فقال لي: اكتب كتاب «مفتاح الفلاح» وداوم العمل فيه، فلما استيقظت ولم أكن قد سمعت اسمَ الكتاب قطّ من أحد، فتفحصت من علماء أصفهان، فقالوا: لم نسمع اسم هذا الكتاب، وفي هذا الوقت، كان الشيخ الجليل مع معسكر السلطان في بعض نواحي إيران، فلما قدم الشيخ رحمه الله بعد مدة في أصفهان، تفحصت منه أيضاً عن هذا الكتاب، فقال:

صنّفت في السفر كتاب دعاء، ووسمته بـ«مفتاح الفلاح»، إلا أنني لم أذكر اسمه لواحد من الأصحاب، ولا أعطيتُ نسخته للانتساخ لأحد من الأحباب، فذكرت للشيخ المنام، فبكى الشيخ وناولني النسخة التي بخطّه، وأنا أول من انتسخ الكتاب من خطه طاب ثراه»[2].

ويقول تلميذه المجلسي الأول شارح كتاب «من لا يحضره الفقيه»

---

(١) من آن يگانه دهرم كه وصف فضل مرا نوشته منشى قدرت بهر در وديوار
بهر ديار كه آئى أشا رتى شنوى بهر كجا روى ذكر من بود در كار
نقلاً عن كليات شيخ بهائى، المقدمة ص١.

(٢) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص ٤٢٠، *والكنى والألقاب* ج٢ ص١٠٢.

باللغة العربية والفارسية: «إن هذا الشرح من فوائد الشيخ، فإني رأيته في المنام، وقال لي لمَ لا تشتغل بشرح أحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم، فقلت له، هذا شأنكم وأنتم أهله، فقال: مضى زماننا، فاشتغل واترك المباحثات حتى يتم، وكان بعد تلك الرؤيا في بالي أن أشتغل بذلك، ولما كان هذا أمراً عظيماً، ما كنت أجترىء عليه، حتى حصل لي مرض عظيم ووصَّيت به، وحسبتُها كانت سنةً على ما قاله شيخنا البهائي رضي الله عنه»[1].

وقال عنه تلميذه الكركي «أنه كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي لم يحم حوله أحد في زمانه ولا قبله على ما أظن من علماء الخاصة والعامة[2]»، وذكر تلميذه المجلسي الأول أنَّ له معرفة بالجفر[3]، وكان يبرز عنه في بعض الأحيان غرائب هي من آثار تلك العلوم[4]، مما دفع الناس أن ينسبوا إليه كل نادرة وغريبة أكثرها من الأكاذيب، ولا مستند لها، وأغرب بعضُ المؤلفين فنسبوا إليه كتاباً اسمه «الأسرار القاسمي» مشهور في إيران، يستحيل أن يكون الشيخ البهائي قد كتبه لأن فيه تجويزاً لعلم الكبائر الموبقة، التي تمكّن مرتكبها، من القيام بأعمال السحر والخفاء[5].

كما روى بعض المؤلفين أسئلة وجهها الشاه عباس إلى البهائي بعد وفاته، وأوردوا تفصيل أجوبة الشيخ عنها[6].

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٦.
(٢) المصدر نفسه ج.ن ص٥٦.
(٣) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٣٧.
(٤) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢٠.
(٥) يذكر صاحب مستدرك الوسائل الكثير من الغرائب التي تنسب إلى البهائي لا ضرورة لذكرها لأنها لا تضيف شيئاً إلى قيمة الشيخ العلمية.
(٦) *آثار وأشعار شيهخ بهائى* ص٥٢.

كما اشتهرت عنه حكايات[١]، منها ممكن الحصول، ومنها ما هو مستبعد وملحق بالخرافات، والحقيقة التي تقال هنا، إن الكلام المبالغ فيه عن كرامات الشيخ سببه أن العامة في إيران في عصره، كانت تنظر إلى علماء الدين نظرة تقديس واحترام مبالغ فيهما، وهو لم يكن فقيهاً عادياً، وإنما كان نابغة عصره، متعدد المعارف، فليس كثيراً أن تنسب إليه العامة معجزات وخوارق وكرامات مبالغاً فيها، والعامة في إيران نسبت إلى الشاه عباس كرامات أكثر مبالغة، وتحدثت عنه وكأنه ولي من أولياء الله[٢].

يقولون إنه يوجدُ في الحمام المنسوب إلى الشيخ البهائي كأس نحاسية قديمة، من أصل سبع كؤوس، كانت موجودة في حمام الشيخ، وإن المرأة العاقر إذا ملأتها ماء، وصبَّت ذلك الماء على رأسها، يمكن أن تحمل وتُنجب، وينسبون سر صناعة هذه الكأس إلى الشيخ البهائي[٣].

ويقولون إنه رقى[٤] حجرين كبيرين مربّعي الشكل، أحدهما مطمور تحت الأرض على حدود شيراز، والآخر مطمور تحت الأرض في أصفهان، وأن هذين الحجرين منعا وباء الطاعون لمّا تفشى في إيران،

---

(١) وقد أورد السيد محسن الأمين نماذج عن هذه الحكايات في *أعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤١.

(٢) أورد نصر الله فلسفي روايات عديدة عن تقديس العامة للشاه عباس، *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص ٣٦٢ و٣٦٣.

(٣) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص ٥١.

(٤) رقى: الرقية: العوذة: معروفة والجمع رُقىً، ورجل رقّاء صاحب رُقًى، يقال رقى الراقي رقيةً ورُقيًّا إذا عوَّذ ونفث في عوذته، والمَرْقيُّ يسترقي وهم الراقون. وقد جاء في بعض الأحادث جواز الرّقي وفي بعضها النهي عنها: لسان العرب ج٤ ص٣٣٢.

أن يتسرب إلى المدينتين[1].

وهناك روايات أشبه بالأساطير تُروى مرفقة بالصور والرسوم عن بعض أوضاعه في ثباته ورباطة جأشه[2]، والمرجّح أنها موضوعة:

منها حكاية رائجة على ألسنة الناس في إيران، تُروى على عدة وجوه مع تغيير طفيف في اسم المكان الذي جرت فيه الحادثة، وفي وضعية الأبطال..

١ - فمرة تقول إن البهائي ومير أبو القاسم فندرسكي[3]، كانا جالسين على سطح إحدى عمارات الشاه، فجأة فرَّ أسد من قفصه باتجاههما، فجمع الشيخ البهائي نفسه وأمسك عباءته، وغطّى بها نصف وجهه، ولم يتحرك من مكانه، وأما مير فندرسكي فلم يبد أيّ حركة، وبعد أن طاف الأسد في أرجاء المكان، خرج دون أن يؤذي أحداً. وقائع هذه الحادثة مصوّرة على حائط عمارة «هشت بهشت»[4]، في أصفهان كما وقعت فعلاً، حيث يظهر الشيخ البهائي قليل شعر اللحية.

---

(١) المرجع نفسه عن *گاهنامه* ١٨٢ *تأليف سيد جلال الدين طهراني* ٨٥.

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٤٨.

(٣) **مير فندرسكي**: أبو القاسم فندرسكي من أكابر حكماء الشيعة في إيران، كان فيلسوفاً صوفياً ماهراً في العلوم العقلية والرياضية (توفي عام ١٠٥٢هـ ١٦٤٢م). تجد دراسة وافية عنه في «فلاسفة الشيعة» ص ١٠١ وما بعدها.

(٤) «هشت بهشت» بُنيت هذه العمارة زمن الشاه سليمان الصفوي (ثامن الملوك الصفويين، ابن عباس الثاني (جلـ وص١٠٧٧هـ. ق ١٦٦٧م - توفي ١١٠٥هـ ١٦٩٤م) قرب قصر «چهل ستون»(*). وهو بناء مثمن الأضلاع ويتألف من أربعة أقسام في وسطها ديوان واسع الأرجاء (*فرهنگ فارسى* ج٦ ص ٢٢٧٩).

(*) **چهل ستون**: قصر منيف بني في أصفهان سنة ١٠٢٦ هـ ١٦١٧م بأمر الشاه عباس الكبير، سمى كذلك لأن فيه عشرين عموداً، تنعكس صورتها على صفحة الماء، فتظهر وكأنها أربعون لذلك سمي (الأربعون عموداً). (*فرهنگ فارسى* ج٥ ص ٤٤٦).

٢ ـ ومرة تقول الرواية إن الجلسة كانت تضم البهائي ومير فندرسكي ومير داماد، إذ أقبل الأسد فجأة، فغطّى البهائي وجهه، ومير داماد سجد لله، ومير فندرسكي لم يتحرك من مكانه، ولما سئل الثلاثة عن تفسير تصرفاتهم، قال البهائي: إنه بقوة العلم عَرَفَ أن الأسد إن لم يكن جائعاً، لا خطر منه على الإنسان، ولكن بحكم الطبيعة البشرية، لم يستطع إلا أن يغطيَ وجهه بحركة لا إرادية، أما مير داماد فقد قال: إنه سجد لله شاكراً لأنه من نسل الرسول، ولأن لحم أبناء الرسول ودمهم محرمان على الوحوش. ومير فندرسكي قال: إنه بقوة التصوف وكرامة اليقين يمكنه تسخير الأسد ولذلك لم يتحرك من مكانه.

٣ ـ ومرة ثالثة تقول إنّ الحادثة جرت قرب أحد أنهار أصفهان، حيث كان يجلس البهائي ومير فندرسكي، ولما أقبل الأسد لم يغير البهائي مكانه، وأما مير فندرسكي فاستطاع بنظرة منه، أن يؤثّر في الأسد، الذي اقترب منه، فوضع يدَه على رأسه ولاطفه ووضع طوقاً في رقبته.

يقال إن صورة هذا المشهد الأخير موجودة في عمارة «هشت بهشت» في أصفهان، وهذه العمارة شيّدت زمن الشاه سليمان الصفوي سنة ١٠٨٠م ١٦٦٩م، بعد ٥٠ سنة من وفاة الشيخ البهائي[1].

إن قصة البهائي ومير فندرسكي هذه رائجة كثيراً بين الرسامين، وقد رسمها الكثيرون منهم على علب الأقلام، وتوجد حتى الآن مقالم متداولة في طهران عليها رسم تلك القصة، كما أن في أصفهان رسوماً ثلاثة للشيخ لا تعود إلى عصره.

---

(١) آثار وأشعار شيخ بهائى ص ٤٩.

أولاها:

في مزار أبي القاسم فندرسكي في مقبرة «تخت فولاذ» في أصفهان، معلقة على الحائط في غرفة قرب مقابر البختياريّين[1]، وهي مرسومة على قطعة قماش قطنية، طولها متر وربع المتر وعرضها متر واحد، ملونة باللون الزيتي، كثيرة الثقوب، باهتة اللون، يظهر فيها البهائي وميرفندرسكي متشابهين شكلاً، وميرفندرسكي يدخّن النارجيلة، ويضع يدَه على رأس الأسد. ويبدو أن الصّورة رسمت بعد زمن من وضع القصة[2].

والثانية:

في غرفة كبيرة من منزل قديم في أصفهان، فيها ١٣ كوة، في كل منها صورة لأحد مشاهير متصوفة إيران[3]، طول كل صورة متر ونصف

---

(١) **البختياريون** (بختياري) نسبة إلى قبائل البختياريين الذين كانوا يقيمون بين أصفهان وفارس وخوزستان، كانوا في البدء قبائل، بعضهم يقيم إقامة دائمة في الغابات وآخرون يتنقلون من مكان إلى آخر (فرهنگ *فارسى* ج٥ ص٢٤٦). ويبدو أن الذين استوطنوا المدن منهم كانت لهم أحياء خاصة بهم، كذلك فإن لهم في أصفهان محلة خاصة ومقبرة خاصة، وهذا الأمر ينطبق على جميع البلدان التي لا تزال العادات القبلية سائدة فيها حتى الآن.

(٢) يقول سعيد نفيسي إن التنباك واستعمال النارجيلة شاع في إيران في زمن الشاه عباس الثاني (١٠٥٢هـ ١٦٤٢م ـ ١٠٧٨هـ ١٦٦٧م) آثار وأشعار شيخ بهائى ص٤٨.

(٣) الرسوم هي على التوالي لكل من مير أبو القاسم فندرسكي، الشيخ العطار، بايزيد البسطامي، إبراهيم أدهم، الشيخ أحمد الأحسائي، جلال الدين الرومي، شمس الدين التبريزي، شاه نعمة الله ولي الكرماني، الشيخ البهائي، الشيخ صفي الدين الأردبيلي، الحاج السيد محمد باقر، الحاج ميرزا إمام الجمعة في أصفهان، مير محمد مهدي ابن إمام الجمعة. ويقول نفيسي لعلّ هذا المنزل كان في البدء لأحد أقارب ميرزا حسن إمام الجمعة. . .

المتر وعرضها متر أو ٨ دسم، وقد خصصت إحدى هذه الرسوم للشيخ البهائي، واسم راسمها رجب علي[١].

والثالثة:

فهي مرسومة على الورق، لا يعرف تاريخ رسمها وهي بحوزة أحد الأشخاص في أصفهان[٢].

---

(١) اسم الرسَّام رجب علي وقد مرّ أنَّ اسم الذي كتب على شاهد قبر البهائي زمن نادر شاه، وقّع باسم (رجب علي الخادم المشهدي).
كما يذكر نفيسي أن أصحاب هذا المنزل منعوا أصدقاءه من أخذ صورة فوتوغرافية لهذا الرسم (نفيسي ص ٤٨).

(٢) لم نستطع أيضاً تعرّف معالم هذا الرسم.

ثقافته

«كان بهاء الدين العاملي أديباً شاعراً وفيلسوفاً ورياضياً ومهندساً وفقيهاً ومفسراً، وله إلمام بالطب»[1].

كان موسوعي الثقافة، وإن الإنسان ليعجب إذ يقرأ أسماء مؤلفاته فيجد هذه العلوم كلها صدرت عن إنسان واحد، لقد عُرف نوابغ عصره بعلم واحد أو اثنين أو ثلاثة، أما هو فقد فاقهم كلَّهم بجمعه المعارف وبتنوّعها: كان أفضل أهل زمانه ثقافةً. بل كان ـ على الأرجح ـ متفرداً بمعرفة بعض العلوم التي لم يحم حولها أحد لا من أهل زمانه ولا من قبله من علماء العامة والخاصة، وكان منصفاً في البحث[2]، ألّف في جميع الميادين، ودرّس ذلك كله، ولا تقلّ معرفته وشهرته عن معرفة أفاضل العلماء ذوي الشهرة، الذين تخطوا بمؤلفاتهم حدود بيئاتهم، وضُمَّ تراثهم إلى التراث الإنساني العالمي.

إن ثقافة بهاء الدين العاملي الواسعة بأبعادها الإنسانية، حمته من التعصب الذي هو صنو التحجر وضيق الأفق وإلغاء الآخر، كما أنّ معاشرته لمختلف طبقات الشعب، ومعاينته للواقع، أتاحت له تعرف

(١) *الإسلام وإيران* ص٣٤٠.

(٢) الحديث لتلميذه السيد حسين بن حيدر الكركي العاملي الذي يقول: «كان أفضل أهل زمانه، بل كان متفرداً بمعرفة بعض العلوم الذي (هكذا) لم يحم حولها أحد من أهل زمانه ولا قبله على ما أظن من علماء العامة والخاصة، وكان منصفاً في البحث»، *روضات الجنات* ج٧ ص ٥٨.

دقائق النفوس البشرية، وما كان يمكن أن تتاح له هذه المعرفة، لو كان متفرغاً للعلم وحده، منزوياً بعيداً من الناس كما تمنى هو: «لو لم ينتقل والدي إلى إيران. . . لكنت من أتقى الناس وأعبدهم. . .».

عناصر ثقافته:

١ ـ عنصر الوراثة والبيئة البيتية:

يتضح لنا أنه كان حاد الذكاء، طلعة منذ صغره، ولد متفوقاً، ووجد البيئة البيتية الملائمة لنمو هذه العبقرية، نتساءل: أكان يمكن لمثل هذه العبقرية أن تخرج إلى الوجود، لو كان صاحبها قد ولد لأب من العامّة في جبل عامل، في مثل هاتيك الظروف الزمنية المعوِّقة؟ إن مجرد العودة إلى تراجم معاصريه في مصر والشام وجبل عامل، ترينا بوضوح أن كلَّ العلماء تقريباً كانوا ينتمون إلى عائلات علمية عريقة[1]، أما الذين نبغوا ـ في تراثنا العربي والإسلامي وفي التراث العالمي ـ دون اعتماد على البيئة البيتية (كالجاحظ وأمثال له من أعلام العصر العباسي، وسواهم)، فالظروف الاجتماعية والزمنية، كانت كفيلة بتنمية مواهبهم بعيداً من تأثير البيئة البيتية المعوّقة.

في حالة البهائي:ساندَ الذكاءَ الفطريَّ[2]، الانتماءُ العائلي، فأبوه

---

(١) إذا أخذنا «*ريحانة الألبا*» للخفاجي معاصره، وراجعنا تراجم العلماء فيها ـ وهم من معاصريه ـ نرى أنهم في غالبيتهم ومن بينهم الخفاجي نفسه والعلماء الذين التقى بهم البهائي في رحلته ينتمون إلى عائلات علمية عريقة.

(٢) ذكر له الخوانساري نظمه لتاريخ وفاة الشيخ الشهيد الثاني أستاذ والده وكان في الثالثة عشرة:

تاريخ وفاة ذلك الأوّاه   الجنة مستقرة والله

روضات الجنات في ترجمة الشهيد وأعيان الشيعة ج٧ ص ١٤٣.

وذكر الشيخ الحر العاملي هذا البيت، وقال هو لبعض الأدباء: *أمل الآمل* ج١ ص ٩٠، ولكن صاحب الروضات قال: «هو لشيخنا البهائي كما هو في بعض =

وأجدادُه وصولاً إلى الجدّ الأكبر الحارث الهمداني ـ الذي كان عالماً مشهوراً بعلم الحساب ـ هم في معظمهم من العلماء. بيئة أسرية ذات أبعاد دينية وأخلاقية واجتماعية تتصف بمفهوم الخير والشرف والتقى والعلم، ويحمل فتيانها عقولاً نيّرة بنضج عقول الكهول.

٢ ـ البيئة الاجتماعية:

نتساءل، أكان من الممكن لهذه العبقرية، وفي مثل الظروف السياسية والاجتماعية التي سادت البلاد العربية وجبل عامل في زمن العثمانيين، أن تصل إلى ما وصلت إليه، لو لم تجد من يتولى أمرها، ويأخذ بيدها، وينتشلها من البيئة الضيّقة، إلى بيئة أرحب وأوسع؟

نَهَل البهائي منذ الصغر من مناهل الثقافة المتنوعة في بيته على يد أبيه، ثم بعد ذلك في إيران، في ظل دولة تشجع العلم والعلماء، وعلى يد أساتذة مشهود لهم بالعلم والمعرفة، مع القيمة الإضافية لاتقانه غيرَ لغته الأم، أعني اللغة الفارسية، وما يمكن أن تضيفه هذه المعرفة إلى عناصر ثقافته، وربما أيضاً اللغة التركية: فقد قيل إنه كان كاتب السلطنة

= المواضع المعتبرة» وورد هذا البيت في مخطوط ابن العودي الجزيني منسوباً إلى الشيخ البهائي: *بغية المريد* ص ٤٩.

ويذكر الأديب المعاصر سعيد نفيسي، أنه وجد في مكتبة الحاج محمد آقا نخجواني، التاجر التبريزي المعروف، مجموعة من مؤلفات والد البهائي، ويقول إن إحدى تلك الرسائل، التي هي: «في الواجبات العلميّة والعمليّة» كتبها بهاء الدين محمد بخطه في شوال سنة ٩٦٦هـ ١٥٥٨م، ولم يكن له في ذلك الحين أكثر من ١٣ سنة، كما وجد تعليق بخط يده على نسخة الرجال لابن داود مؤرخة في منتصف جمادى الأولى سنة ٩٦٩هـ ١٥٦١م وهو في السادسة عشرة، وكان مع أبيه في قزوين. وتوجد نسخة من خطه وتعليقه على كتاب «إشكال التأسيس» لقاضي زادة الرومي. *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٩.

بالعربية والفارسية والتركية[١]، ومع أن أحداً لا يملك دليلاً على معرفته باللغة التركية، ولكننا نخمن أنه كان يعرفها بحكم علاقته بالشاه، لأن التركية التي كانت لغة القُزلباش، كانت شائعة حتى لتكاد تكون لغة المحاورة في البلاط الإيراني، فالشاه يتكلم مع الوزراء والعلماء والكتَّاب باللغة الفارسية، ومع القُزلباش وحكام الولايات الأتراك الأصل باللغة التركية، بل إنّ التركية ـ لنفوذ هذه الطبقة السياسي منذ عهد الشاه إسماعيل الأول ـ أصبحت هي لغة البلاط[٢].

ربما كان الشيخ يعرف اللغة التركية[٣]، أما القول إنَّه كان كاتب السلطنة بالتركية فبعيد من الواقع، لأن مكاتبات الشاه عباس، وكل الملوك الصفويين قبله، ومن ضمنها الرسائل التي كانت ترسل إلى ملوك بني عثمان كانت توجه بالفارسية[٤].

٣ ـ الكتب:

أحصينا مصادر كتاب الكشكول فوجدناها تقارب المائة أو أكثر، فهو إضافة إلى الكتب التي أورثه إياها أبوه من مجاميعه، ومجاميع جده الشيخ شمس الدين[٥]، ورث عن والد زوجته الشيخ علي المنشار ـ كما قيل ـ مكتبة تحتوي على أربعة آلاف مجلّد، جاء بمعظمها من الهند[٦]،

---

(١) يقول عباس الموسوي: «إنّه كان منشي السلطنة بالعربية والفارسية والتركية» ج١ ص٣٧٩.

(٢) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص ١٩ إلى ٢١.

(٣) أورد البهائي في الكشكول بيتين من الشعر باللغة التركية، قال: «*البعض المعاصرين بلغة الترك*» *الكشكول* ج١ ص٦٥.

(٤) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٠.

(٥) يذكر أنه ينقل من مجاميع جده في الكشكول ط. أعلمي، ج١ ص١٧٨، كما يذكر أنه ينقل من مجاميع والده في المصدر نفسه ج١ ص ٣٣ وص١٤٦.

(٦) *مستدرك الوسائل* ص٢٨٠. *ورياض العلماء* ج٥ ص ٩٤.

وواضح كم يمكن أن تحتويه مثل هذه المكتبة من الغنى، حتى لو كان الصحيح ربع هذا العدد المذكور! ونضيف أيضاً إليها الكتب التي اطلع عليها في أثناء رحلته في المكتبات الإيرانية والعثمانية والعربية، وفي مكتبات العلماء الذين تعرف إليهم في أثناء رحلته..

أساتذته:

أ ـ والده: أول معلميه، أخذ عنه علوم العربيّة والفقه الأصول والحديث والتفسير، يروي عنه قراءة وسماعاً وإجازة، وليس له شيخٌ في الرواية لأحاديث الشيعة ومصنّفاهم غيرُ والده[1]، وكثيراً ما ردد في إسناد الأحاديث الواردة في كتابه «الأربعين»، «والدي وأستاذي ومن إليه في العلوم الشرعية استنادي»[2]، فالتأكيد على أنه أستاذه في العلوم الشرعية له دلالة محددة، وهي أنه لم يسر على خطى أحد غير أبيه في العلوم الشرعية، وفي إجازته له، يقول الحسين بن عبد الصمد: «قرأ عليَّ ولدي الأكبر جملة كافية من العلوم العقلية والنقلية، جميع ما تضمنته إجازة الشهيد (الثاني) لي، واحتوت عليه بالطرق المعتبرة فيها، وجميع مؤلفاتي نظماً ونثراً... شارطاً عليه الاحتياط في الرواية، واتباع شرائطها المقررة عند أهل الرواية والدراية»[3].

لم يقتصر تأثير الأب في الابن على العلوم الشرعية وحدها، وإنما تجاوزها إلى كل ما زرعه في نفس ابنه من سمو الفكر والروح،

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤٣.

(٢) *اربعين شيخ بهائى* ص١٨ وفي إسناد أكثر الأحاديث، و*بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٣٦.

(٣) *رياض العلماء* ج٥ ص ٩٤.

والأخلاق الحميدة والتفتح على العلوم[1]، وقرض الشعر[2] (كان الأب يعارض قصيدة لأحد الشعراء ويطلب إلى ابنه أن يعارضها)، والانفتاح الفكري على المذاهب الإسلامية الأخرى، كان هو الأنموذج والمثال المحتذى: «يا ثقتي ورجائي ومن به في الدارين اقتدائي»[3]. «يا سيدي وأبي وأستاذي ومن إليه في العلوم استنادي»[4].

وقد كان الشيخ حسين فعلاً خيرَ قدوة لابنه وخيرَ موجّه، وقد سجّل الابنُ عظات أبيه ونصائحه في الكشكول، ومنها النصائح التي جاءت في قصيدة الأب:

«فاح ريح الصبا وصاح الديك»، التي طلب من ابنه معارضتها، وفيها يقول له:

وتخلّق بما خلقت له   فهو في مورد الردى منجيك
جد بنفس تمحو قبائحاً كُتبت   كفّ كفاً عن غيرنا نكفيك[5]

والآيات التي يقول إن والده أوصاه بتأملها والتدبّر في مضمونها والتفكّر في مدلولها:

الأولى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[6].

---

(١) في عدة مواضع من الكشكول يورد مسألة حسابية أو هندسية أو رياضية لأبيه ويعلق عليها مثلاً: في ج١ ص٣٣٠ وج٢ ص ٢١٩ وص٢٣٩.

(٢) عارض والده مثلاً قصيدة الجامي «فاح ريح الصبا وصاح الديك»، ثم طلب إلى ابنه أن يعارضها مختبراً مقدرته الشعرية، *الكشكول* دار الكتاب ص ٩٥ وأعلمي ج١ ص ١٤٧.

(٣) جاء هذا القول في مقدمة أحد الألغاز: *روضات الجنات* ج٧ ص٨٣ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٣.

(٤) في مقدمة أحد الألغاز أيضاً: خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٧.

(٥) *الكشكول*. *أعلمي* ج١ ص١٤٨، دار الكتاب ص٩٦.

(٦) ج٢٦ سورة الحجرات آية ١٣.

الثانية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾[١].

الثالثة: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[٢].

وينقل كذلك: وفي كلام القدماء من الحكماء: «شر العلماء من لازم الملوك وخير الملوك من لازم العلماء»[٣].

كان الشيخ حسين لابنه ـ منذ أن أمسك الصبي بالقلم للمرة الأولى ـ المعلمَ والموجّه، وظل الابن تلميذ أبيه الأثير في الغربة، عندما سافر صغيراً إلى إيران، فتفرغ له الأب الغريب في البلد الغريب، وبينهما وبين الناس أولاً حاجز اللغة الذي قرّب واحدهما إلى الآخر، وبخاصة لأن الأب لم يتولَّ منصبه إلا بعد ثلاث سنوات من هجرته إلى إيران.

وبتسلم الشيخ حسين منصب شيخ الإسلام في قزوين، وبعد كسرهما حاجز اللغة، استمر الابن ـ كما تدل عليه الرسائل المكتوبة بخطّه ـ في دراسة العلوم الشرعيّة على يد أبيه، وقد حدّد الأب للفتى نوعَ الدراسة وحدودَها، وقد كان لا يزال في بداية تفتحه على العلوم[٤] ولأجل تلك الدراسة ومتابعتها وإكمالها تركه الأب يعود إلى قزوين، ولم يبقِه معه في هراة لأنه أراد له مستقبلاً علمياً مشرقاً في العاصمة[٥].

---

(١) ج٢٠/ سورة القصص آية ٨٣.

(٢) ج٢٣/ سورة فاطر آية ٣٧.

(٣) *الكشكول*، *أعلمي* ج١ ص١٣٠ ودار الكتاب ص ١٥١.

(٤) نعتقد أن الأب أيضاً هو الذي وجهه لدراسة الرياضيات والمعروف من سيرة الشيخ حسين أنه هو نفسه كان مهتماً بها. والشيخ حسين هو الذي رد على المحقق الكركي، وحدَّد سمت القبلة بطرق حسابية. (أعيان الشيعة ج٦ ص٥٦).

(٥) وقد جاء في «*تحفة الفقراء*» عدد ١٥ ص ١٧٨ وصف للمدرسة التي تعلم فيها الشيخ البهائي في قزوين.

ب ـ أساتذته في قزوين:

أتيح للبهائي أن يتعلم على يد جهابذة العلماء في قزوين عاصمة إيران ودار العلم في ذلك الوقت، وكانت قزوين تضج بالحياة والحركة، وتتفجر فيها الطاقة العلمية، وتستفيق المعرفة من سباتها، إذا ما قورنت بالأقطار الإسلامية الأخرى التي ركدت فيها الحركة الثقافية[1].

لذا كانت إقامة البهائي في قزوين في هذه الحقبة عاملاً مهماً جداً في تفتحه وعطائه وإبداعه وشهرته.

أما أهم أساتذته في قزوين فهم:

١ ـ **عبد الله شهاب الدين حسين اليزدي**، الشهير بالملّا عبد الله المتوفى في العام ٩٨١هـ ١٥٧٣م، من أساتذة المنطق والحكمة، وهو صاحب الحاشية في المنطق التي كانت تدرّس في النجف وقمّ إلى عهد قريب[2]، أخذ عنه الكلام والمنطق والمعاني، وقد صرّح في بعض المواضع أنَّه قرأ كليات القانون عليه[3]، وللملا عبد الله اليزدي هذا حاشية على شرح «جلال الدواني» لتهذيب المنطق «للتفتازاني»، وللبهائي بدوره حاشية عليها أورد نماذج منها في الكشكول[4].

٢ ـ **الحكيم عماد الدين محمود**: أشهر أطباء إيران في عصره،

---

(١) يصور الخفاجي في مقدمة «ريحانة الألبا» الركود الثقافي والعلمي الذي أصاب الأقطار العربية وبخاصة مصر بعد دخول العثمانيين إليها.

(٢) *خير البيان* ص٣٥٥ وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤١، وفلاسفة *الشيعة* ص٤٠٣.

(٣) *رياض العلماء* ج٥ ص٩٥.

(٤) في الكشكول لم يأت البهائي على ذكر عبد الله حسين اليزدي، وإنما ذكر شرح جلال الدواني على تهذيب المنطق للتفتازاني في أكثر من موضع: *الكشكول* ج٢ ص ٦٧ وص١٠٩.

والطبيب الخاص للشاه طهماسب توفي سنة ٩٨٢هـ ١٥٧٦م، أخذ البهائي عنه الطب[١]، له «الرسالة الأفيونية» بالفارسية، توجد منها نسخة مخطوطة في الخزانة الرضوية[٢]، وهو صاحب قريحة في الأدب والشعر، وكان مهتماً بعلم الجغرافيا، وله اطلاع كامل عليه، أهم تأليفاته:

«عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، «آثار البلاد وأخبار العباد»[٣].

٣ ـ **علي المذهب المدرّس**: أخذ عنه الرياضة: أي علم الجبر غالباً[٤].

٤ ـ **ملا فضل القاضي أو القايني** المدرّس، أخذ عنه الرياضة والكلام والفلسفة[٥].

٥ ـ **المير مرتضى**: ذكره في عالم آراى عباسى، وذكر أنه تعلم على يديه أول مجيئه إلى قزوين، دون أن يذكر من هو هذا الرجل، أو ماذا أخذ عنه، ولعل دراسته عليه كانت عابرة أول مجيئه إلى قزوين[٦].

٦ ـ **أحمد النّهمني الكهدمي الكيلاني**: المعروف بپير أحمد، قرأ عليه الرياضيات والحكمة مقدار سنة.

الملاحظ أنه درس في قزوين على غير أبيه غير العلوم الشرعية ـ على حد تعبيره في قوله عن أبيه: «عليه في العلوم الشرعية استنادي» ـ

---

(١) *عالم آراى عباسى* ج١ ص ١٥٦ *والغدير* ج١١ ص٢٥٠.
(٢) *أعيان الشيعة* ج١٠ ص١١١.
(٣) *أعيان الشيعة* ج١٠ ص١١١.
(٤)و(٥) عالم آراى عباسى ج١ ص ٥٦.
(٦) *عالم آراى عباسى* ص.ن. وكليات شيخ بهائى ص٢.

الرياضة والهندسة والطب والكلام والفلسفة، ولا بد أنه أولى دراسة هذه العلوم عناية فائقة تتناسب مع عطائه فيها في ما بعد، وهذا لا يعني قطّ أنه هجر العلوم الشرعية، علماً أننا لا نجد بين أساتذته من عرف بالبروز بالعلوم الشرعية[1]، وإنما لم يجد حاجة لدراسة العلوم الشرعية على غير أبيه «الذي أذعن له علماء عصره»[2]، وإذا تذكرنا أن تاريخ إجازة أبيه له كانت في شهر رجب سنة ٩٧١هـ ١٥٦٣م وكان مع أبيه في المشهد المقدّس الرضوي، وكان يتنقل بين المشهد وقزوين، وقد عاد بعد عام ٩٧٥هـ ١٥٦٧م إلى قزوين نهائياً لمتابعة دراسته، حين كلّف الأب بالذهاب إلى هراة، وكان قد امتلك ناصية الفقه، وبدأ بالتأليف، وما عاد بحاجة إلى أستاذ جديد غير أبيه، وقد كتب «رسالة الكر» في هذه الحقبة حيث تظهر فيها معارفه العلمية بجلاء.

أساتذته خارج إيران:

ولقد استفاد البهائي وتعلم من أساطين العلم الذين التقى بهم

---

(١) يقول الشيخ جعفر المهاجر: «نلاحظ أنه انصرف في «قزوين» انصرافاً كلياً إلى دراسة غير «العلوم الشرعية» على حد تعبيره هو، ولا بد أنه أولى علم الفلك عناية بمستوى عطائه فيه في ما بعد، أي ما كان من العلوم ـ خلا علم الكلام ـ يسمى بعلوم الأوائل، والظاهر أنه خلال هذه المدة أيضاً هجر دراسة «العلوم الشرعية» هجراً تاماً وتفرغ لتلك، بشهادة أن ليس بين أساتذته في قزوين من عرف بالبروز فيها، وهذه ملاحظة [مهمة] من حيث أنها تطلّ بنا على سريرة الرجل، وتكشف لنا تهيؤاته الذهنية التي ستصبح أكثر جلاء في ما بعد «*مجلة الثقافة الإسلامية*» عدد ١٧ ص ٢٣٩.

ـ وقد ذكر صاحب مستدرك الوسائل وبعض المحدثين أن الداماد شمس الدين محمد الحسين الإسترآبادي، من أساتذة البهائي، والحقيقة كما ذكرت جميع المصادر التي تحدثت عن الداماد، أنه كان تلميذ الشيخ حسين بن عبد الصمد والمحقّق الكركي، وهذا يؤكد زمالته للشيخ البهائي وربما صداقته.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٦ ص ٥٦.

خارج إيران في الحواضر الإسلامية التي زارها في رحلته إذ «اجتمع في أثناء ذلك بكثير من أرباب الفضل والحال ونال من فيض صحبتهم ما تعذّر على غيره واستحال[1]، حضر في حلب دروس الشيخ عمر العُرضي[2]، كما يروي عن الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللّطف المقدسي الشافعي، صحيح البخاري وجميع مصنفاته، لأنَّ كثيراً من العلماء يروونه بالإسناد إلى الشيخ البهائي عن محمد بن محمد بن أبي اللطف المقدسي ـ وصولاً إلى محمد بن إسماعيل البخاري[3].

وبعد فلا بد ونحن نتحدث عن ثقافة بهاء الدين العاملي من الإشارة إلى التداخل العجيب في كتبه بين عناصر ثقافته المتنوعة: ذلك أننا نرى بوضوح أثر عقليته العلمية الرياضية في كتبه الفقهية: من حيث تبويب الموضوعات وحذف فضول الكلام.

كما نرى بوضوح أيضاً أثر أسلوبه الأدبي في كتبه الفقهية والعلمية معاً... وهو في كل واحد من كتبه: بهاء الدين العاملي، العالم، الفقيه... فهو إذا أراد فيلسوفاً أن يثبت إنكار الجزء الذي لا يتجزأ، يدلي ببراهين رياضية تؤكد ما يقول[4].

وإذا أراد أن يتحدث عن الكسر في كتابه «خلاصة الحساب» يشبهه بالجوهر الفرد «والحق أنه ليس بعدد وإن تألف منه الأعداد، كما أن الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم وإن تألّف منه الأجسام»[5].

---

(١) *سلافة العصر* ص ٢٩٠.
(٢) المصدر السابق ومستدرك الوسائل ج٣ ص ٤١٩.
(٣) *روضات الجنات* ج٧ ص ٨٢ *والغدير* ج١١ ص ٢٥٠.
(٤) *الكشكول*: دار الكتاب ص ١٧٤ و٥٠٧ و٥٠٨.
(٥) خلاصة الحساب «تهراني» ص١١.

ثم إن هذا التداخل الثقافي يظهر أكثر ما يظهر في الشعر، حيث نراه يصوغ بعض شعره الفارسي على بحر الخبب الذي لم يكن قبله معروفاً بين شعراء الفارسية(١)، ثم هو يصوغ شعرَه العربي على طريقة المثنوي والرباعيات الفارسية، والملاحظ من قراءتنا لمجاميع الشعر العربي، أن البهائي أوّل من أدخل الرباعيات في الشعر العربي، وكل رباعياته صالحة للغناء، بإيقاع شعري وموسيقي قريب من إيقاع الموشح(٢)، أو ما يسمى بالقدود:

يا بدر دجىً فراقه الجسمَ أذابْ قد ودّعني، فغاب صبريَ إذ غابْ
بالله عليك أيَّ شيء قالَتْ: عيناك لقلبي المعنّى فأجابْ

وختاماً إذا لم يكن الاطلاع على عدد مؤلفاته وتنوع موضوعاتها كافياً للدلالة على ثقافته الغنية المتنوعة، فإن ما ورد في اللغز التالي،

---

(١) ذكر البهائي في مقدمة مثنوي «شير وشكر» (الحليب والسكر)، أنه نظمه على بحر الخبب وقال إن هذا البحر معروف بين شعراء العرب ولكنه غير مألوف بين شعراء العجم: *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١٣٦. كما ذكر سعيد نفيسي أن أحداً من شعراء الفرس لم ينظم شعراً على وزن الخبب قبل البهائي: *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص ٨٢.

(٢) ورد في مجلة العربي، مقالة للدكتور، عمر موسى الباشا يحاول فيها أن يثبت أن ما يسمى بالقدود الحلبية إنما هي قدود حمصية للشاعر الحمصي أمين الجندي، ورد عليه الدكتور سعد الله آغا القلعة مشيراً إلى أقدمية القدود الحلبية وعلاقتها بالموشح القديم:

العربي العدد ٣٦١ كانون الأول ١٩٨٨ ص ٣٩ والرد في العدد ٣٦٦ ص١١٨.

وأريد أن أضيف شيئاً آخر إلى ما قالاه، وهو أن بعض مطالع الموشحات الجديدة والقدود إنما هي على وزن الرباعيات الفارسية، وهذا موضوع بحاجة إلى دراسة وتحقيق، للتأكد من أن أحداً قبل الشيخ البهائي أي قبل القرن السادس عشر الميلادي قد أدخل هذا النوع من الوزن في الشعر العربي أم لا.

الذي سمّاه صاحبه بـ«لغز الزبدة»[1] أو «إعجاز الألغاز»، لدليل كاف وقاطع على ثقافته الغنية المتنوعة، إذ إنّه جمع فيه الحساب والفلك والهندسة والتاريخ والهيئة والنجوم والكلام والفقه، وهو قد وضعه «لامتحان أفكار الأذكياء من فحول العلماء»:

«يا أصحاب الفطنة القويمة، والفطرة المستقيمة، والطبيعة الألمعية والرويَّة اللّوذعية، أخبروني عن كتاب بعضُه من الحروف النورانية، وأكثره من حروف الزيادة، وبأحد نصفيه يكمل الرجل، وبالنصف الآخر تتم الشهادة، ثانيه قابل لأنواع النقط، وأوله لا يقبل إلا واحدة فقط، تالي أوله بالكمال معروف، ومتلوّ ثانيه بالاستحداب موصوف، مضعّفه لوسطيه كمال شعوري، ومضعّف آخره لثالثه كمالٌ ظهوري، التحسين من مقارنة طرفيه معلوم، والتجريب من مقايسة ذلك مفهوم، ثاني كل حرف منه بهيولانية الحروف مشهور، وهو في ما بينهما بالقطبيّة مذكور، إن أعطى أوّلُه حليته لثانيه تساويا في العدّ، وإن انعكست القضية زاد التفاضل بينهما عن الحدّ، ثالثه اسم فاعل، ورابعه من أسماء الأفعال، وكلاهما أسماء العدد الموصوف بالكمال، إن ضربتَ أعظم وسطيه في مجموعهما، حصل عددُ جمع الأفلاك المحدَّبة بمتعدّد الجهات، وإن نقصت من ربعه الرابع عقيم ضروب الشكل الثالث، بقي عدد القضايا الموجّهات، أحد نصفَيه فردٌ يُعادل عدد الأعراض، والنصف الآخر زوج يعادل العقول، وهذا مما لا ريب فيه، وإن كان بحسب الظاهر غير معقول، كل يساوي انحطاطَ الشمس من الأفق في آخر غروب الشَّفق، وأوّل الصبح الكذوب، ومضروب صدره في ضعف عجزه، يعادل عرضاً

---

(١) خلاصة الأثر ج٣ ص ٤٤٤ ـ ٤٤٦.

هذا اللغز بما فيه من عناصر ثقافية متنوعة ومتداخلة يذكرنا بكتاب الجاحظ «رسالة التربيع والتدوير» التي حشد فيها صاحبها ما شاء من أسئلة محرجة..

يتحقق فيه معكوس الطلوع والغروب، إن أضفت ثانيه إلى مضعّف ثالثه ساوى الحروف المهموسة، وإن طرَحْتَ منه مكعب ثانيه عادل المنازل المنحوسة، حرفان منه متقاربان، يعادلان طبقات العين، وحرفان متعانقان يساويان أركان حساب الخطأين، مكرّر نصفه في ضروب الموسيقى معدود، فإن قَلَبتَه فهو طائر معهود، إن زدت على مربّع أوله مهمله إلا نصف ثانيه عادل عظام بدن الإنسان، وإن نقص من مكعب ثالثه مضعّف أوله بقي دية كلّ من مقاديم الأسنان، مضعّف أوّله بعدد أنواع الخيار، ومكعّب آخره كعدد التكبيرات في فرائض الليل والنهار، مضروبه في طرفه يساوي فريضة أب وثلاث بنات، ومضروب وسطيه في ثانيهما كفريضة الأخوة العشرة والثمانية مع ست زوجات، إن أضفْتَ آخره إلى أوله، ساوى أحوال المسند إليه، وإن جمعتَ ثانيه مع ثالثِه عادَلَ من يحجج في الشرع عليه، وإن ضعّفت رابعه ساوى كلم المجازات، وإن زدت على مربّع ثالثِه نصفه، عادل علاقات المجازات، وإن نقصتَ من مربّع أوله خُمسَ آخره بقي عددُ صور الكواكب المرصودة، وإن زدتَ ثانية على طرفه، حصل المشهور من العروق المفصودة، مجموع آخريه يساوي عدد مقادير النبضات، وثلث أوليه يعدل الأجناس العالية للحميات، وإن ضَمَمْتَ إلى طرفيه مربّع بعضِه ساوى بعضَ الأعداد التّامة، وإن زدت عليها وسطه عادل ألوف القوائم كما اشتهر على ألْسنة العامّة، شكله شكل العقلة بين الأشكال الرملية، وإن نصّفتَ ثالثه لم تكذب القضية، إن زدت على مضعّف آخره مسطّح طرفيه، ساوى رقم المربع الميمون، وعادل ارتفاعاً يساوي فيه الظل للشاخص أينما يكون، مهمل أوّله رمزٌ إلى ما يوجب للثلج الاشتغال، ومعجمه إلى ما هو في زراعة الذهب كثير الاستعمال، إن نقَصْتَ من آخره نصف ثانيه، ساوى الباقي أنواع الترجيح وعادل عدد المخصّصات

الموصولات، وفي كل من نصفيه إيماء إلى برهان الزوج والفرد، على امتناع تسلسل العلل والمعلولات، إن نقصت من سطح طرفيه ثاني مبانيه ساوى عرض بلد يساوي غاية ارتفاع أوّل الجدي فيه، بعضُ حروفه يشيرُ شكلُه إلى البرهان السلّمي على تناهي الأبعاد، فإن جعلْتَ زاويته قائمةً دلّ على ما فوق المراد، وإن وضعتَ خروج ضلعها العالي إلى غير النهاية، ومن طرف السافل آخر مثله، مقاطعاً له، متحركاً عليه، تم الدليل على ذلك المطلب بطريقٍ لم يسبقنا أحدٌ إليه، وإن جعلْتَها ثلثي قائمة، أشارت إلى البرهان الترسي على ذلك المرام، وإن انطبقت على مركز العالم دلّت على أن التباعد بين الرؤوس أزيدُ من التباعد بين الأقدام، وإن أممتها وجعلت كلاً من ضلعها عدد أفراد، أومت إلى الاستدلال على نفي الجزء بشكل العروس، وإمكان إثبات ذلك بالبرهان السلّمي غير المأنوس، وإن زاد كل منهما على غاية الانفراج، وتفارقت أجزاؤهما بالاتصال أمكن أيضاً إثبات ذلك بدليل خطر لنا بالبال، وإن جعلتها قائمةً حصلت بالإشارة إلى بعض براهين استعلام المرتفعات، وإن أومأت ما تريد معرفة بعده عنك، منتهياً مبلغها الأعلى إلى بصرك، حصل الإيماء إلى طريق معرفة عروض الأنهار، وسائر الأبعاد المتعسّرات، وإن أوترها نصف قطر الأرض، وبينها وبين مركز الشمس تماسٌّ ظهر عليك أنَّ بعدَ الشَّمس عنا وهي عليه أزيد بكثير منه حال كونها على سمت الرأس، ولاح لديك أن تراكم البحار هو الموجب للإحساس بما لا يقتضيه القياس، وإن وصلتَ بين ضلعيها بخطٍّ مواز لآخر مماس لهما مخرج من الجهتين، أمكن إقامة أدلة عديدة على مساواة زوايا مثلث لقائمين، وفيه حروف على صورة شكل إن أخرجت قطريه أشار إلى نفي الجزء الذي لا يتجزأ بوجه سنح لنا وهو لزوم مفسدتين، أعني تلافي القطرين قبل المرور بالمركز، وعلى نقطتين إن

ألصقت وتريه بقطره أشار إلى نفيه أيضاً بوجه ما وجد أعظم منه قط، وهو لزوم جواز كون قطر الفلك الأعلى ثلاثة أجزاء فقط وإن ماس محيطه وسط ثاني حروفه أشعر بدليل المتكلمين على إثبات الجزء كما هو مشهور، وأومأ إلى شبه الظفر من لزوم انفراح الحادة قبل قيامها كما هو على الألسنة مذكور، وإن وازاه أعظم منه وتحرّك حتى ماسّه تبين لك غلَطُ صاحب المواقف في قدر غلط المتممات، وتعجَّبتَ من موافقة المحقق الدَّواني له في أمثال هذه التوهمات وإن تحرَّك الداخل ضعف الخارج حصلت الإشارة إلى أصل الكبيرة والصغيرة الذي اخترعه سلطان المحققين، ولم يسبقه إليه أحد من المتقدمين والمتأخرين، وإن ساويت بين وتري قوسين منهما ظهر لك أن سهم قوس الخارج أقصر، وإن الطاس تسع من الماء في أعلى المنارة أقل وفي أسفلها أكثر وفيه حرف إن فرضت خروج ذيله إلى غير النهاية، أشار إلى برهان امتناع اللاتناهي في جهة أو جهتين، وإن أقمت على طرفه (عموداً) أو وصلت بينهما، أشار إلى طريق وزن الأرض بذي العمودين، وفيه حرف إن فصلت بين عمود المخرجين بخط مخرج إلى ألف فرسخ فما زاد، حصل لك الإذعان بأن مساحة ظفرك أزيد بكثير من مثلث قاعدته بسمرقند ورأسه ببغداد، ولنقتصر على هذا المقدار من الإطناب في ذكر أوصاف ذلك الكتاب، والعاقل تكفيه الإشارة، والجاهل لا ينتفع بألف عبارة»(١).

البهائي معلماً

قال عنه أبو الوفاء العرضي: «قرأ وأقرأ شروحاً ومتوناً، فأكحل للتحقيقات جفوناً، وأقر للتدقيقات عيوناً»(٢).

---

(١) إن الأجابة عن كل هذه التساؤلات وارد في الكشكول وبخاصة في الجزء الثاني منه.

(٢) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤١٩.

وجه أساسي من أوجه شخصية البهائي، هو وجهه معلماً، وهذا أمر شديد الأهمية، أثّر في طريقة تأليفه لكتبه، من حيث تبويبها وتقسيمها إلى فصول وحدائق، ثم في تنوع الموضوعات التي كان يطرحها على تلامذته..

فهو قد علّم الفقه والحديث، وعلم اللغة والبيان، كما علم الرياضيات والفلسفة والعلوم الأخرى، وقام بدور المثقِّف لتلاميذه، وفي كتاب الكشكول صورة عن الموضوعات التي كان يستطرد إليها في أثناء البحث، ويظهر تركيزه على إصلاح من كان سيّيء الأخلاق والأحوال من تلامذته، من طريق التلميح بواسطة القصص والأخبار والأمثال والأشعار، التي تدلل على منزلة العلم ومراتب العلماء، والزهد في الحياة الدنيا، وتظهر في كتبه قدرته على تقرير المسائل التي يخوض فيها، بأن يجلو غوامضها ويذكر مآخذه التي يراها على من خاض قبله فيها، قاصداً بذلك إظهار الخطأ من الصواب، وتبيان الحقيقة لأجل الحقيقة.

بدأ بهاء الدين العاملي مهمة التدريس رسمياً في هراة سنة ٩٨٣هـ ١٥٧٥م[١]، وكان في حوالى الثلاثين من عمره، وقد اكتملت لديه العدة لهذا العمل الجليل، ثم درّس بعد ذلك في قزوين ومشهد وأصفهان وفي كل الأمكنة التي ذهب إليها.

في أصفهان درّس الشيخ البهائي في مدرسة الحوزة العلمية بأصفهان أو «مدرسة شاه عباس»، وفي هذه المدرسة نسخ تلامذته كتبه، وقد أورد سعيد نفيسي مقدمة نسخة من رسالة الدراية، نسخها أحد

---

(١) *رياض العلماء* ج٥ ص ٩١.

تلامذته سنة ١٠١٩ هـ، كما يقول «في بلدة أصفهان بمدرسة «شاه عباس»[١].

في هذه المدرسة درّس الشيخ البهائي والمير داماد، وفيها تتلمذ في ما بعد كل من المحقق السبزواري والمحقق الخوانساري[٢].

وفي أصفهان كانت داره أشبه بمدرسة داخلية للطلاب الوافدين إلى إيران من خارجها بقصد الدراسة عليه، والأخذ عنه، فينزلون في داره «...وهو يقوم بنفقتهم بكرة وعشياً، ويوسعهم من جاهه جنابًا مغشياً، مع تمسك من التقى بالعروة الوثقى، وإيثار الآخرة على الدنيا، والآخرة خير وأبقى»[٣].

وتذكر كتب التراجم أسماء عدد لا يستهان به من العلماء ومن طلبة العلم الذين وفدوا على إيران، فنزلوا بضيافة بهاء الدين العاملي، وكأن منزله «دار العلم» التي اتخذها الشريف الرضي لطلبة العلم وكان ينفق عليها من ماله...

يرغب الشيخ زين الدين ابن الشيخ محمد صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني المتوفى في العام ١٠٦٤هـ ١٦٥٣م[٤]، في الدراسة في

(١) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص ٣٠.

(٢) *الإسلام وإيران* ص ٣٤٠.

(٣) خلاصة *الأثر* ج٣ ص ٤٤١.

(٤) **الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن** بن زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي، ١٠٠٩هـ ١٦٠٠م، ١٠٦٤هـ ١٦٥٣م، لم يؤلف كتاباً مدوناً لشدة احتياطه ولخوف الشهرة، تعلّم أول مرة في جبع ثم سافر إلى العراق مدة إقامة أبيه فيها، ثم سافر إلى إيران فأنزله الشيخ البهائي في داره وأكرمه إكراماً تاماً، وكان يقرأ عند غيره من الفضلاء ولما توفي الشيخ بهاء الدين سافر إلى مكة وجاور فيها إلى أن توفي سنة ١٠٦٤هـ، أمل الآمل ج١ ص٩٢.

إيران، فيسافر إليها وينزله الشيخ بها الدين في بيته، ويبقى عنده مدة طويلة، ويقرأ عليه مصنفاته وغيرها، كما كان يقرأ أيضاً على غيره، وكان مما قرأ عليه الرياضيات(١).

ويذكر أيضاً أن «الشيخ حسين الحر العاملي المشغري»(٢)، سافر إلى أصفهان، وأسكنه الشيخ البهائي في داره، وكان يقرأ عنده، حتى مات البهائي ومات الشيخ حسين بعده بمدة يسيرة(٣).

ولم تقتصر ضيافته على طلاب العلم الوافدين من جبل عامل، بل عمّت طلاباً مختلفين من جبل عامل وغيره، مثلاً نقرأ أن السيد «حسين ابن شدقم الحسيني المدني» لما سافر من المدينة المنورة إلى إيران بقصد الاستفادة والنقل من البهائي، أقام عنده في داره(٤).

ومن مطالعتنا لإجازاته لتلامذته، نرى أنه استمر في التدريس إلى آخر حياته، كان يعلّم في المدارس العامة وفي منزله، بل في رحلاته أيضاً، فهذا الرضي بن أبي اللطف المقدسي يقول إنّه قرأ عليه في بيت المقدس شيئاً من الهيئة والهندسة(٥)، وكثيراً ما كان يصطحب تلاميذه معه في أسفاره سواء داخل إيران أو خارجها، ومع الشاه أو دونه، في زيارته للأماكن المقدسة في العراق وفي المشهد المقدس الرضوي كما ذكر تلميذه الحسين الكركي عندما قال «شيخنا العلامة الفهّامة بهاء الملة

---

(١) *أمل الآمل* ج١ ص٩٢، وتكملة *أمل الآمل* ص ٢٢١.

(٢) **الشيخ حسين بن علي بن محمد الحر العاملي** المشغري عم محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب كتاب *أمل الآمل*، كان الشهيد الثاني جده لأمه: *أمل الآمل* ج١ ص ٧٨، و*أعيان الشيعة* ج٦ ص ١٢٧.

(٣) *أمل الآمل* ج١ ص ٧٨ و*أعيان الشيعة* ج٦ ص ١٢٧.

(٤) *أعيان الشيعة* ج٥ ص ٤٨٥.

(٥) خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٣ ومستدرك *الوسائل* ج٣ ص ٤١٩.

والحق والدين. . . قد أجازني كل ما اشتمل عليه كتاب من لا يحضره الفقيه. . . في الكاظميين تجاه ضريحي الإمامين المعصومين عليهما السلام»[1]، وفي سياحاته في موكب الشاه في خراسان وآذربيجان وأرَّان وديار الكرج، كان يصحبه بعض تلامذته وقد أجاز لبعضهم في هذه الأماكن.

منهجيته في التعليم والمعارف التي درَّسها:

ويكفي لكي نعرف المواد التي كان البهائي يدرسها تلاميذه، ونعرف المنهاج المقرر في التدريس، ولكي نعرف أيضاً أن البهائي لم يبق معلماً ملقّناً، وفقيها مقلّداً، بل تجاوز هذا الأمر، ليكوّن لنفسه شخصية مستقلة متميزة ومتمايزة، أقول يكفي لكي نعرف كل هذا أن نعود إلى الإجازات التي أعطاها لهؤلاء التلاميذ، فقد كان يجيز للتلميذ أولاً أن يروي عنه الأصول الأربعة[2] التي كانت مدار التدريس عند علماء الشيعة في الفقه وهي:

١ ـ **الكافي**: للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي المتوفى ٣٢٩هـ ٨٤٣م، وهو من أهل الرحلة في طلب الحديث لجمعه وإدراك شيوخه والأخذ منهم، وكتابه «الكافي» دورة في حديث الشيعة من الأصول والأخلاقيات والفروع في مجموع من ستة عشر ألف حديث، وهو أكثر كتب الحديث اعتباراً عند الشيعة.

٢ ـ **كتاب «من لا يحضره الفقيه»**: لأبي جعفر محمد بن علي بن

---

(١) بحار *الأنوار* ج١٠٧ ص ١٢.

(٢) تجد تعريف هذه الكتب في بحار الأنوار في ترجمة أصحابها وفي مقدمة «أربعين الشيخ البهائي» *أعيان الشيعة* ج٩ ص ١٦٢، وفي الإسلام وإيران من ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

بابويه القمي المعروف بالصدّوق، وكان الصدّوق أيضاً من أصحاب الرحلة في طلب الحديث (توفي سنة ٣٨١هـ ٩٩١م).

٣ ـ **تهذيب الأحكام**: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ ١٠٧٧م)، جمع فيه ثلاثة عشر ألفاً وخمسمائة وتسعين حديثاً كلها في فروع الفقه.

٤ ـ **الاستبصار**: في ما اختلف من الأخبار للطوسي أيضاً وهو يشتمل على خمسة آلاف وخمسمائة وأحد عشر حديثاً.

مؤلفو هذه الكتب معروفون بالمحمّدين الثلاثة، وهي أكثر كتب الحديث اعتباراً عند الشيعة.

وفي إجازة البهائي لأحد تلامذته يقول: «أجزت له أن يروي عني الأصول الأربعة، التي عليها مدار الفرقة الناجية في هذه الأعصار، وكذلك أجزت له أن يرويَ جميع كتب أعلام علمائنا، الذين وشّحت صدر سند الحديث الأول من الأحاديث الأربعين[1]، بأسمائهم بطريقي إليهم نوَّر الله مراقدهم، وأجزت له أن يروي جميع تأليفاتي، وهي إن تكن ليست من هذا الدّرج، لكنه قد ينظم مع اللؤلؤ السَّبج[2]، كالتفسير الموسوم بالعروة الوثقى، وكتاب الحبل المتين وكتاب مشرق الشمسين وشرح الأحاديث الأربعين، وحواشي القواعد الشهيدية، وحواشي تفسير البيضاوي، والإثني عشريات الثلاث وغيرها»[3].

---

(١) الأربعين حديثاً للبهائي ص ٢٦.

(٢) السَّبَجُ: الخرز الأسود: لسان العرب ٢/٢٩٤.

(٣) التلميذ هو شريف الدين الرويدشتي إجازة البهائي له في بحار الأنوار ج١٠٦ ص١٥٠ وقد تكرر اسم هذه الكتب وغيرها من كتب البهائي في إجازاته لتلاميذ آخرين. راجع *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص ١٥٧ وج١٠٧ ص٢٣.

إذاً فهو قد اعتمد التدرج في تدريس الفقه، من كتب الفقه المعروفة، إلى تدريس كتب والده، وبعدها كتبه.

كذلك تدرّج في تدريس النحو من تدريس «ألفيه ابن مالك» إلى تدريس كتبه هو في النحو، يقول تلميذه السيد حسين ابن السيد حيدر الكركي العاملي: «. . . أجازني جميع كتب الحديث والفقه والتفسير وغيرها. ثم قرأت عليه تفسير الفاتحة من تفسيره المسمى «العروة الوثقى»، وشرحيه على «دعاء الصباح» و«الهلال» من الصحيفة السجادية، ومن جملة ما قرأت عليه أولاً في عنفوان الشباب «ألفية ابن مالك في النحو»، ثم قرأت عليه رسائل متعددة من تصنيف والده. . . وقرأت عليه الرسالة المسماة «تهذيب البيان» و«الفوائد الصمدية» كلاهما من مصنّفاته في النحو»[1].

كان يعلم النحو في ألفية ابن مالك، ولكنه عانى صعوبة الألفية للمبتدئين من تلامذته فوضع «الصمديَّة في النحو»، التي حوت كما يقول: «من نبذ الفن ما نفعه أعم، ومعرفته للمبتدئين أهم، وتضمَّنت فوائد جليلة من قوانين الإعراب، وفرائد لم يطلع عليها إلا أولو الألباب، ووضعتها للأخ الأعز عبد الصمد جعله الله من العلماء العاملين، ونفعه بها وجميع المؤمنين»[2].

أما المنطق فإنه في رأيه، «يقرأ بعد تهذيب الأخلاق وتقويم الفكر ببعض العلوم الرياضية من الهندسة والحساب، أما الأول فكما قال أبقراط في كتاب الفصول: البدن الذي ليس بالنقي، كلما غذيته إنما

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص ٥٣.

(٢) البهائي. الصمدية في النحو. المخطوط ص١ *والدرة الثمنية في شرح الصمدية* ص١١.

تزيده شراً ووبالاً، ألا ترى أن من لم تتهذب أخلاقهم ولم تطهر أعراقهم، إذا شرعوا في المنطق سلكوا نهج الضلال، وانخرطوا في سلك الجهال، وأنفوا أن يكونوا مع الجماعة، وأن يتقلدوا ذلَّ الطاعة، فجعلوا الأعمال الظاهرة والأقوال الظاهرة التي وردت بها الشرائع دبر آذانهم، والحقَّ تحت أقدامهم، منتحلين لطريقهم حجَّة، ومتطلبين لضلالهم مَحَجَّة، وهي أن الحكمة تركُ الصور وإنكارُ الظواهر، إذ فيها يتحقق معاني الأشياء دون صورها، وبممارستها يطلع على حقائق الأمور دون ظواهرها، ولم يخطر لهم بالبال، أنّ الصورَ مرتبطةٌ بمعانيها، وظواهرَ الأشياء منبئةٌ عن حقائقها، وأن الحقيقة تركُ ملاحظة العمل لا تركَ العمل كما ظنوا، والله عز شأنه وبهر برهانه، ينتصف منهم يوم تبلى السرائر، وتبدو الضمائر، فإنهم أبعد الطوائف عن الحكماء عقيدة، وأظهر المعاندين لهم سريرة، وأما الثاني فلتستأنس طباعهم إلى البرهان»[١].

طريقته في التدريس:

يقول العلامة الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، صاحب روضات الجنات: «قد حكى لي أوثق مشايخي، أن تلامذة الشيخ بهاء الدين محمد، كانوا يستفيدون منه يوم تعطيل الدرس أكثر من الدرس، لأنه كان يلقي إليهم يوم التعطيل من فنون العلم، ونوادر الأخبار، والأشعار الفائقة والحكايات الرائقة، ففيه الاستفادة للعلوم الجديدة، ونشاط إستعداد لأيّام الدرس وطلب العلم، ولعلّ طرفاً من الانبساط، ونوعاً من الحكايات والمطايبات محصِّلٌ للنشاط أيضاً،

---

(١) *الكشكول* ط دار الكتاب ص ٥٥٨.

وقد يقع الملال أيضاً في العبادات والمداومة على نوع منها، فينبغي التنقل في أنواع العبادات والطاعات، حتى يحصل من التنقل الإقبال على العبادة، قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ، إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فأقبلوا على النوافل، وإذا أدبرت فدعوها»[١].

إلى جانب الفقه والحديث والنحو والرياضيات والفيزياء والهندسة، كان يثقف تلامذته بالنوادر والأشعار والحكايات، وهو قد جمع في الكشكول، وقبله في المخلاة، ما كان يلقيه على تلامذته في أثناء تدريسه لهم، وهذا هو سبب عدم الترتيب في كتاب الكشكول، وسبب تعدد الموضوعات الواردة فيه وغناها.

مخاطبة التلاميذ على قدر عقولهم: ولقد كان في تدريسه تلاميذه يأخذ بعين الاعتبار المستوى الذهني والفكري لكل منهم «أيها الطالب الراغب، إني أكلمك على قدر عقلك وعرفانك، لأن شأن الأسرار المكنونة من فوق مرتبتك وشأنك... ثم إذا ترقيت من مرتبة العلوم وصرت قريباً من درجة أولي البصائر والأفهام، فأنا أسقيك من شراب أصحاب المرتبة الوسطى، ولا أتركك محروماً من هذا الإعطاء»[٢].

من هنا نلاحظ تنوّع تلاميذه، وتنوعَ مراتبهم.

إن عودة إلى كتب الشيخ البهائي وأسلوبه المبتكر في تبويبها، تعطينا صورة واضحة عن تطور عقليته التعليمية، بمعنى أنه لم يقتصر في تدريسه على المتداول من كتب الفقه والنحو والرياضيات، وإنما وضع الكتب والرسائل بهدف تيسير المعرفة للطلاب، كما ذكر هو نفسه في مقدمات هذه الكتب والرسائل «مثلاً نراه في مقدمة رسالة الكر التي

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٦٨.

(٢) *الكشكول أعلمي* ج١ ص ٢١٢.

وضعها باسم الشاه طهماسب الصفوي يقول: «... فبينما الخاطر يرتشف من رحيق حقائقه (علم الفقه)، ويقتطف من ثمار دقائقه، إذ عثر سبوحه بمسألة الكر وتحقيق تقديره وكيفية مساحته وتكسيره فجال بخاطري أن أرتب مقالة، أذكر فيها ما قامت عليه الدلائل الصحيحة من مقداره، وقادت إليه الحجج الصحيحة من كمية أشباره، وأن ألمح فيها إلى المشهور من أشكال الآنية، وكيفية مساحتها على ما قامت عليه الدلائل الهندسية، وقد أوردت في هذه الرسالة ما لا بد منه، ولا غنية للطالب عنه ليكون محيطاً بكيفية مساحته على اختلاف أنواعها، عالماً بطرق تكسيره على تباين أوصافها، سالكاً في ذلك أقرب طريق وأيسره، ذاكراً فيه أسهل وجه وأخصره، ممثلاً لما عساه يحتاج إلى المثال على حسب ما اقتضاه الحال...»[١].

كما نرى أنه في كتابه «خلاصة الحساب»، قد انتهج مسلكاً خاصاً في إجراء العمليات الحسابية، فكان يورد طرقاً عديدة لكل عملية ومن هذه الطرق ما هو خاص بالمبتدئين، كما أن بعض هذه الطرق يعود على الطلاب بفوائد عديدة، لما له من ارتباط عملي بنواحي الحياة المختلفة واتصالها الوثيق بحياة الإنسان المادية[٢].

ولقد كان يربأ بالمعارف التي يدرسها أو يؤلفها أن تنزل عن مستوى من يقدرونها، فينصح التلامذة والدارسين بأن لا يبذلوها لمن ليس أهلاً لها، يقول مثلاً في أواخر «خلاصة الحساب»: ... «أوردت لك في هذه الرسالة الوجيزة بل الجوهرة العزيزة من نفايس عرايس قوانين الحساب ما لم يجتمع إلى الآن في رسالة أو كتاب، فاعرف

(١) رسالة الكر: (مطبوعة مع الحبل المتين، ص ٣٧٤).
(٢) هذا الأمر واضح كل الوضوح في جميع أجزاء الكتاب.

قدرها، ولا ترخّص مهرها وامنعها عمن ليس أهلها، ولا تبذلها إلا إلى حريص على أن يكون بعلها، ولا تبذلها لكثيف الطبع من الطلاب لئلا تكون معلقًا للدر في أعناق الكلاب»[1].

ويشترط على أحد تلامذته في إجازته له، بعد أن يجيز له رواية الأصول الأربعة وكتبه كلها، «أن يروي ذلك لمن له أهلية الرواية، عصمنا الله وإياهم من اقتحام مناهج الغواية»[2].

لذلك كان لا يجيز لأحد من تلامذته إلا عندما يكون متأكداً من ارتفاعه عن مستوى التقليد، وتحليه بحلية الاستدلال، ومن أنه مبدع قادر على الاجتهاد: «أجزت لسيدنا الأجل الأفضل، صاحب المفاخر والنسب الطاهرة، والتحقيق الفائق، والتدقيق الرائق، جامع محامد الخصال، ومحاسن الخلال، المتخلي عن ربقة التقليد، المتحلي بحلية الاستدلال، شرفاً للسيادة والنقابة والإفادة والإفاضة. . .»[3].

وإلا إذا كان التلميذ فاضلاً، تقياً نقياً، ذا ذهن وقّاد وطبع نقّاد[4]، مؤهلاً لدرجة الأستاذية[5].

صفات المعلم:

وللمعلم في نظره أوصاف يجب أن يتحلى بها، منها أن يكون كثير العلم ليكون قدوة لتلامذته، لذلك نراه في الكشكول يكثر من انتقاد

---

(١) خلاصة الحساب. المخطوط ص ١١١.

(٢) المجاز هو كمال الدين أحمد العلوي العاملي، تاريخ الإجازة سنة ١٠١٧هـ، *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٥٧.

(٣) صاحب الإجازة هو السيد أمير شرف الدين حسين المعروف بـ«حسينا». *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٥١.

(٤) *تكملة أمل الآمل* ص١٢٠ *وأعيان الشيعة* ج٤ ص ١٣٨.

(٥) *بحار الأنوار* ج١٠٦ ص١٥٧.

المعلمين في عصره: «قد فسد الزمان وأهله، وتصدى للتدريس من قلَّ علمه وكثر جهله، فانحطت مرتبة العلم وأصحابه، واندرست مراسمه بين طلابه»[1].

أمثال هؤلاء المعلمين، لا ينتقون من التلاميذ إلا الذين لا يعرفون من العلم سوى القول لمعلمهم: «سمعاً وطاعة».

فهو يقول لمن تصدى للتدريس في زمانه وهو ليس أهلاً له:

مـرادك أن تُـرى فـي كـلّ يـوم ... وبـيـن يـديـك قـومٌ أيُّ قـوم
كـلاب عـاويـاتٌ بـل ذئـاب ... ولـكـن فـوقَ أظـهـرهـم ثـيـابُ
إذا مـا قـلـتَ: أصـغـوا لـلـمـقـال ... وإن حـدّثـت بـالأمـر الـمـحـال
فـلـيس لـهـم جـمـيـعـاً من بـضـاعـة ... سـوى: سـمـعـاً لـمـولانـا وطـاعـة
وإن شـمّـرت عـن سـاق الإفـادة ... جـلـست لـهـم عـلـى عـالـي الـرفـادة
وأسَّـست الـسـؤال لـمـن تـكـلَّـم ... ودلّـسـت الـجـواب لـكـي يـسـلّـم
وقـررت الـمـسـائـل والـمـطـالـبْ ... ولـسـت بـذا لـوجـه الله طـالـبْ
وسُـقـت لـهـم كـلامـاً فـي كـلامِ ... وقـلـبُـك مـن ظـلام فـي ظـلام[2]

ويتجلى فهمُه لنفسية التلميذ ولروح التعليم في أنه لم يكن يكفي الإنسان عنده أن يكون عالماً ليكون معلماً، بل إن العالم إذا أراد أن يكون معلّماً، يجب أن يتحلى فوق علمه بالصبر وحب التعليم، وبالبساطة والوضوح في عرض المعلومات، يقول في الكشكول:

«كان عمر الخيام مع تبحره في علوم الحكمة سيّىء الخلق، له ضِنَّةٌ بالتعليم والإفادة، وربما طوَّلَ الكلام في جواب ما يسأل عنه بذكر

---

(١) الكشكول *أعلمي* ج١ ص ٢١٠.

(٢) الكشكول، *أعلمي* ج١ ص ٢٢٦.

المقدمات البعيدة، وإيراد ما لا يتوقف المطلوب على إيراده، ضنة منه بالإسراع إلى الجواب، ودخل عليه حجة الإسلام الغزالي يوماً وسأله عن المرجع لتعيين جزء من أجزاء الفلك للقبطية دون غيره، مع أنه متشابه الأجزاء، فطوَّل الخيام الكلام، وابتدأ بأن الحركة من أي مقولة، وطوَّل في الخوض في محل النزاع كما هو دأبه، وامتد كلامه إلى أن أذن الظهر، فقال الغزالي: جاء لحق وزهق الباطل، وقام وخرج»[1].

فإيراده هذه القصة، وذكره لتفاصيل السؤال وطريقة الإجابة، يدلان على أنه يستنكر تعقيد الأجوبة وتضخيم المعلومات وإغماضها، فإذا كان الإمام الغزالي على سعة علمه ورفعة مستواه وطول أناته، أضجرته إطالة الكلام وامتدادُ المقولات وتعقيدُها وتعددُ صورها، فما بالك بالتلميذ المتكسب وهو على مستوى من المعرفة بسيط ومن الغور أقل؟

ونرى مناسباً في حديث شخصيته معلماً، أن نعرف أحد كتبه التعليمية، فيقدم لنا صورة عملية لعقليته ولمنهجيته، ونختار لهذا كتابه «الفوائد الصمدية في النحو»[2]، لأنه يظهر لنا بجلاء ووضوح عقلية بهاء الدين المعلم.

لقد وعى بهاء الدين صعوبة النحو وتعقيده، وأشفق على أخيه الصغير وعلى أتراب أخيه الصغير، وعلى تلامذته من كتب النحو المعقدة، وبعقلية المهندس الذي وجد مواد البناء مختلطة متباينة، أعاد تركيب المادة الموجودة وهندستها، وأخرج كتاباً في النحو الميسّر، فقام بذلك بعمل لم يقم به أحد قبله ولا بعده إلى منتصف القرن العشرين يجمع بين العظمة والبساطة، تماماً كعقلية صاحبه.

---

(١) الكشكول، *أعلمي* ج٢ ص ٢٣١ وط دار الكتاب ص ٤٥٦.

(٢) الفوائد الصمدية في النحو. مخطوط خاص.

انتشر هذا الكتاب وذاع في إيران، وكان حتى زمن قريب؛ هو الكتاب المتداول والمقرر لتدريس النحو في مدارس إيران[1]، ونحن في جميع الأقطار العربية، لم نسمع أن أحدا قام بما قام هو به، أو فكر على الأقل بما فكر به، فلم نلق إلا الشكوى والتذمر من كتب النحو التي يستعصي فهمها، والتي شكلت عقدة كره للنحو وأساليبه، نستشفها في كتابات أدباء ما يسمى بعصر النهضة، يكفي أن تستدعي الذاكرة «أيام» طه حسين وذكريات مارون عبود وغيرهما لندرك أبعاد العمل الذي قام به بهاء الدين.

إن كثيراً من كتب النحو المبسطة الحديثة، تشبه في أسلوب تبويبها كتاب «الصمدية» الذي وضعه صاحبه قبل أربعة قرون[2].

قسم هذا الكتاب إلى أبواب سماها حدائق ـ وواضح ما تعنيه هذه الاستعارة من جو حميم يربط بين المعلم والمتعلم ـ وقسم الحدائق إلى فصول، وفي كل فصل مطالب وفي كل مطلب تنبيه وتوضيح إذا اقتضى الأمر.

إن هذه القدرة على التبويب والتبسيط، لا يدركها إلا من كان معلماً، وكان التعليم بالنسبة إليه حياة واستمراراً، وفعل تغيير مستقبلي،

---

(١) ذكر ذلك السيد محمد جواد الذهني الطهراني في شرحه للصمدية في كتابه: *الدرَّة الثمينة في شرح الصمدية* ص٣.

(٢) يقول الشيخ جعفر المهاجر «بعد أربعة قرون من حياة» «الفوائد الصمدية» خرج على الناس أستاذ في جامعة مصرية بمشروع لتيسير النحو، ضمنه كتاباً يحمل اسم «لغة الإعراب» هذا المشروع هو تماماً منهج العاملي في الفوائد الصمدية، لم يغادر منه صغيرة ولا كبيرة، قدمه على أنه من ابتكاره هو، لم يسبقه إليه سابق...

إن بهاء الدين ثروة سائبة: مجلة الثقافة الإسلامية العدد الخامس ص ١٤١.

ونحن نرى أن هذا الكتاب إذا أعيد طبعه بحلة جديدة، **فهو يصلح** لأن يدرس في مختلف المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية: لأنه خلاصة علم النحو وقواعده الأساسية: ولا يبقى على المعلم إلا الإيضاح باستخدام أمثلة تتناسب مع مستويات الأعمار المختلفة.

يقول الشيخ بهاء الدين بحق: «إنّ فوائد الصمدية في علم العربية حوت من نبذ الفن ما نفعه أعم، ومعرفته للمبتدئين أهم، وتضمنت فوائد جليلة من قوانين الإعراب، وفرائد لم يطلع عليها إلا أولو الألباب.. وتشتمل على خمس حدائق»[1].

الحديقة الأولى: في ما أردت تقديمه وهو ثلاثة تعريف النحو وموضوعه وفائدته. هذه غرة: النحو علم بقوانين ألفاظ العرب من حيث الإعراب والبناء، وفائدته حفظ اللسان عند الخطأ في المقال، وموضوعه الكلمة والكلام.

والكلمة: لفظ موضوع مفرد وهي: اسم وفعل وحرف.

والكلام: لفظ مفيد بالإسناد، ولا يتأتى إلا في إسمين، أو فعل واسم.

إيضاح: الاسم كلمة معناها مستقل غير مقترن بأحد الأزمنة ويختص بالجر واللام والتنوين والنداء والتثنية والجمع.

والفعل: كلمة معناها مستقل مقترن بأحدها (الأزمنة) ويختص بقد ولم.

والحرف: كلمة معناها غير مستقل ولا مقترن، ويعرف بعدم قبول شيء من خواص أخويه.

---

(١) الألفاظ والتقسيم هنا هي للشيخ بهاء الدين العاملي، وترتيب الأسطر هو وحده المختلف عن نسق أسطر المخطوط.

تقسيم: الاسم إن وضع لذات: فاسم عين كزيد، أو لحدث فاسم معنى كضرب، أو المنسوب إليه حدث، فمشتق كضارب.

وأيضاً: إن وضع لشيء بعينه فمعرفة، كزيد والرجل وذا والذي، وهو المضاف إلى أحدها معنى والمعرف بالنداء، وإلا فنكرة.

وأيضاً: إن وجد فيه علامة التأنيث ولو تقديراً كناقة فمؤنث وإلا فمذكر، والمؤنث إن كان له فرج فحقيقي وإلا فلفظي.

تقسيم آخر

الفعل: إن اقترن بزمان سابق وضعاً فماضٍ ويختص بلحوق إحدى التاءات الأربع، أو اقترن بزمان مستقبل، أو حال وضعاً فمضارعٍ، ويختص بالسين وسوف ولم وإحدى زوائد أنيت أو اقترن بالحال فقط وضعاً فأمر ويعرف بفهم الأمر منه مع قبوله نوني «التأكيد».

تبصرة: الماضي مبني على الفتح إلا إذا كان آخره ألفاً، أو اتصل بضمير رفع متحرك أو واو.

تبصرة: والمضارع إن اتصلت به نون إناث كيضربْنَ بُنيَ على السكون، أو نون التأكيد مباشرة كيضربَنّ بني على الفتح وإلا فمرفوع إن تجرّد عن النواصب والجوازم، وإلا فمنصوب أو مجزوم، وفعل الأمر يبنى على ما يجزم به مضارِعُه...

فائدة: الإعراب أثر يجلبه العامل في آخر الكلمة لفظاً أو تقديراً وأنواعه رفع ونصب وجر وجزم، فالأولان (الرفع والنصب) يوجدان في الاسم والفعل، والثالث (الجر) يختص بالاسم والرابع (الجزم) بالفعل.

والبناء: كيفية في آخر الكلمة لا يجلبها عامل، وأنواعه ضم وكسر وفتح وسكون، فالأولان (الضم والكسر) يوجدان في الاسم والحرف،

نحو حيث وأمس ومنذ ولام الجر، والأخيران (الفتح والسكون) يوجدان في الكلم الثلاث نحو أتى وقام وسوف وكم وقم وهل. . .

توضيح: علائم الرفع أربع: الضمة والألف والواو والنون.

فالضمة: في الاسم المفرد والجمع المكسر والجمع المؤنث السالم والمضارع. .

والألف: في المثنى وهو ما دلّ على اثنين وأغنى عن متعاطفين (أي المعطوف والمعطوف عليه).

وملحقاته: وهي كلا وكلتا مضافين إلى مضمر وفرعاه وهما اثنتان وثنتان.

والواو: في الجمع المذكر السالم وملحقاته وهي العشرون وبابه والأسماء الستة وهي:

(أبوه وأخوه وحموه وفوه وهنوه وذو مال) حال كونها مفردة مكبرة، مضافة إلى غير ياء المتكلم، والنون في المضارع المتصل به ضمير رفع لمثنى أو جمع أو مخاطبة نحو يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين.

وعلائم النصب خمس. .

فائدة: يقدر الإعراب في سبع مواضع كما هو مشهور مطلقاً وهي. . .

وإذا كان بهاء الدين العاملي قد أجمل في الحديقة الأولى قواعد النحو الأساسية فإنه يلجأ إلى التفصيل في الحدائق الأربعة الأخرى:

فيتحدث في **الحديقة الثانية** (الباب الثاني) عن الأسماء وهو يقسمها إلى نوعين مبني ومعرب ويورد أنواع المعربات: ما يرد منصوباً

وما يرد مرفوعاً وما يرد مجروراً وما يرد منصوباً وغير منصوب مع أمثلة توضيحية على كل منها، ثم يتحدث عن الضمائر وأسماء الإشارة والموصول والمركب، والتوابع الخمسة:

ثم يتحدث عن الأسماء العاملة المشبهة بالأفعال...

وعن موانع الصرف.

في **الحديقة الثالثة**: يورد كل ما يتعلق بالأفعال مع أمثلة على كل منها:

وفي **الحديقة الرابعة**: الجمل وما يتبعها.

أما **الحديقة الخامسة**: فيتحدث فيها عن المفردات أي الحروف ذات المعاني وقد أثبتها منسقة على الألفباء مع أمثلة على كل منها.

وعلى هذا النسق من التبويب والتنسيق يورد لنا بهاء الدين العاملي ولتلاميذه قبلنا زبدة قواعد اللغة، التي لم يفكر أحد قبله ولا بعده إلى زمن قريب أن يبوبه ويمنهجه فيخلص عشاق اللغة مما يسمى عقدة النحو.

تلامذته

قال عنه تلميذه المجلسي الأول: «هو شيخنا وأستاذنا ومن استفدنا منه، بل كان الوالد المعظم»[١].

هذا القول يعطينا صورة عن علاقة البهائي المعلم بتلامذته، ومدى تأثيره فيهم وتأثرهم به.

لقد أخذ عن البهائي عدد كبير من التلاميذ يعدّون بالمئات، ويرجع سبب كثرة تلامذته، إلى تنوع قنوات معرفته، منهم من أخذ عنه الدين والأصول والمذهب، وآخرون تعلموا على يديه اللغة والأدب والنحو والبلاغة، وقد لمع عدد كبير من هؤلاء التلاميذ حتى غدوا من النابهين المشهورين، وقد ذكر مترجمو البهائي أسماء تلامذته[٢]، وأسماء الكتب التي شرحوها، أو علقوا عليها لأستاذهم، وقد جمع صاحب «الغدير» الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي أسماء تلامذته ومن يروي عنه بالإجازة مرتبة على الحروف[٣]، وقد بلغ عددهم حوالى المائة تقريباً.

أما أشهر التلاميذ الذين تأثروا بأستاذهم البهائي فهم:

---

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٧٦.

(٢) *روضات الجنات* ج٧ ص ٥٧ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤٤، ومستدرك *الوسائل* ج٣ ص ٤٣١.

(٣) الغدير ج١١ ص٢٥٣ إلى ص ٢٦٠.

صدر الدين الشيرازي: «الملا صدرا» المتوفى سنة ١٠٥٠هـ ١٦٤٠م، وهو في طريقه إلى الحج، وحسب الشيخ البهائي أن يكون صدر الدين الشيرازي من تلامذته، وأن يكون هو أول من وجه عقليته الفذة نحو العلم والمعرفة ونشدان الحقيقة. كان «أول حضوره الدرس على الشيخ البهائي، وأشرب المذهب الفلسفي العرفاني، الذي كان هو السائد في ذلك العصر، والذي كان يجهر به حتى الشيخ البهائي، فانعكس على نفسية هذا الطالب الذكي فأولع به ولوعاً أخذ عليه جميع اتجاهاته، وخلق منه صوفياً عرفانياً وفيلسوفاً إلهياً فريداً... وقد أورد في كتابه المشهور: «الأسفار الأربعة» قوله: «حاشا الشريعة الحقة، الإلهية البيضاء، أن تكون أحكامها مصادمة للمعارف اليقينية الضرورية، وتباً لفلسفة تكون قوانينها غير مطابقة للكتاب والسنّة»[1]، وكان البهائي قد قال: «من تفقّه ولم يتصوف فقد تفيقه ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق»[2].

نظام الدين بن حسن الساوجي: الذي أكمل الأبواب العشرين من «الجامع العباسي» بعد وفاة شيخه البهائي بأمر من الشاه عباس الأول[3].

الشيخ محمد تقي المجلسي الأول: (١٠٠٣ ـ ١٠٧٠هـ = ١٥٩٤ ـ ١٦٥٩م) والد المجلسي الثاني صاحب «بحار الأبوار»، «كان في الزهد والعبادة والتقوى والورع مقتدياً بأستاذه البهائي، مشتغلاً طول حياته بالرياضيات، والمجاهدات، وتهذيب الأخلاق والعبادات وترويح

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٩ ص ٣٢٣ وتجد دراسة وافية عنه في فلاسفة الشيعة ص٣٥٠ وفي corbin: En Islam Iranian. 1ère et 2ème partie.

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص ١٤٤ وكليات *شيخ بهائى* ص٣٨.

(٣) *جامع عباسى* ص١٣٧ و*روضات الجنات* ج٧ ص ٨٠.

النفس، والسعي في حوائج المؤمنين وهداية الخلق(١). وقد عرض عليه الشاه عباس الثاني رئاسة العلماء فرفض(٢).

ومن تلامذته الذين يظهر أثره فيهم بوضوح وجلاء:

الشيخ زين الدين علي بن حاتم القدمي البحراني: وهو أول من نشر علم الحديث في بلاد البحرين(٣)، ولم يكن له قبل ذلك أثر ولا عين، ولقد كان الشيخ زين الدين هذا قبل أن يدرس على الشيخ البهائي تلميذاً للشيخ محمد بن حسن بن رجب المقابي البحراني، أول من صلى صلاة الجمعة في البحرين، بعد فتحها على أيدي الصفويين، ولما رجع البحراني من إيران وأخذ في ترويج علم الحديث كما أخذه عن شيخه البهائي، كان شيخه محمد المقابي من جملة من يحضر حلقة درسه، فعوتب على ذلك، بأنه بالأمس كان تلميذاً له، فكيف يكون المعلم تلميذاً لتلميذه، فقال: إنه قد فاق عليَّ وعلى غيري مما اكتسبه من علم الحديث على يد شيخنا البهائي(٤).

ملا محسن فيض: (١٠١١هـ ١٦٠٢م ـ ١٠٩١ هـ ١٦٨٠م) العارف الحكيم ابن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود المشتهر بالفيض الكاشاني له كتابا «المفاتيح» و«الوافي» في الفقه وكتاب «الصافي» في التفسير وله مؤلفات في الحكمة والتصوف والأخلاق والآداب(٥). طلب منه الشاه

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٩ ص١٩٢.

(٢) *فرهنگ فارسى* ج٥ ص ١١٣.

(٣) لو أن الله كان أمد بعمر الشيخ حسين بن عبد الصمد في البحرين لكان هو أول من نشر علم الحديث في تلك البلاد!

(٤) *روضات الجنات* ج٧ ص ٨٠.

(٥) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص ٤٢١.

عباس الثاني أن يصلي الجمعة والجماعة، فرفض وأجاب الشاه برسالة مطوّلة يشرح له فيها أسباب رفضه[1].

(١) نص الرسالة في «تحفة الفقراء» ووردت في فرهنگ زمين ج١٥ ص ١١٣، نقلاً عن «تحفة الفقراء».

مؤلفاته

قبل أن أبدأ حديثي عن مؤلفات البهائي المخطوطة والمطبوعة، أود أن أشير إلى بعض النقاط المهمة التي تتعلق بهذا الموضوع.

أولاً: إن جميع الذين أرخوا للشيخ البهائي ذكروا أنه ترك عدداً كبيراً من الآثار، وقد ذكر بعضهم أن عددها يقرب من ستين مؤلفاً، ووصل بها بعضهم إلى أكثر من مائة أثر[1].

هذا الأمر، يحتم علينا أن نتساءل، متى ألف البهائي هذا العدد الضخم من المؤلفات، وهو كما رأينا لم يكن متفرغاً لهذا العمل؟

إن مراجعة أسماء المؤلفات التي ذكرت له، تبين لنا، أن كتّاب سيرته قد عددوا حواشيه[2] على كتب الغير من ضمن مؤلفاته، مع أن الحواشي والتعليقات على كتب الغير «الفقهية أو العلمية»، كانت كما ذكر هو نفسه في مقدمة «العروة الوثقى»[3]، في أثناء الدراسة، وقبل أن

---

(١) آخر من نسّق كتب البهائي بحسب الموضوعات، هو الدكتور محمد باقر حجتي، في بحث قدمه في مؤتمر البهائي الذي عقد في دمشق سنة ١٩٨٦م، وطبع مع بقية أبحاث المؤتمر في مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الخامس، السنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م وقد عدّ له مائة وثلاثة وعشرين أثراً ما بين حاشية ولغز وجواب، ورسائل وكتب مطبوعة ومخطوطة، ذاكراً أسماء المكتبات العامة والخاصة حيث توجد المخطوطات، مع ذكر أرقامها وعدد صفحاتها أحياناً.

(٢) وقد ذكر له خمس عشرة حاشية مخطوطة كلها في الفقه.

(٣) العروة الوثقى: ص ٣٨٧ سنتحدث عن هذا الكتاب بالتفصيل في باب «البهائي الفقيه».

يتصدى هو لوضع كتب في الموضوعات ذاتها.

نشير هنا إلى أن بعض هذه الحواشي مطبوع في ثنايا كتاب الكشكول.

وبما أنه كان شيخ الإسلام فقد كانت توجه إليه بعض الأسئلة الفقهية فكان يجيب أصحابها، وقد ذكر الدارسون هذه الأجوبة[1] من ضمن مؤلفاته.

ثانياً إذا كان عدّ رسالة من رسائله المخطوطة أو المطبوعة أمراً مسوّغاً عندما يكون لتلك الرسالة قيمة ما، فإنّه من غير المسوغ على الإطلاق، أن نعد إحدى رسائله في التعزية، «تعزيت نامه»[2] كتاباً، أو رأيه في أبيات قالها سيف الدولة في «وصف القوس والقزح»[3]، أو مكتوب إلى أحد معاصريه[4]، ليس سوى ملمع من ملمعاته العرفانية مطبوع ضمن آثاره الشعرية الفارسية، نعدّه كتاباً لأن له رقماً في مكتبة أو أكثر من المكتبات العامة.

ثالثاً: لقد طبعت بعض الرسائل للبهائي على أنها مؤلفات مستقلة، ك«الوجيزة في الدراية» التي عدّها البهائي نفسه جزءاً من كتابه «الحبل المتين» و«الفرائض البهائية» وهي باب من أبواب الكتاب نفسه.

طبعت «قصيدته الفوز والأمان» وحدها، وعدَّها أكثر دارسيه من مؤلفاته لمجرد أنها حظيت باهتمام خاص، ووضعت لها الشروح الضافية.

---

(١) حجتي. *مجلة الثقافة الإسلامية* ص ١٤ و١٥ و٢٥ و٣٢ وص ٥٠ وص٥٨ وص٦٠.

(٢) حجتي. *مجلة الثقافة الإسلامية* ص ٥٠.

(٣) المرجع نفسه ص٥٨.

(٤) المرجع نفسه ص ٦٠.

رابعاً: إن شهرة بهاء الدين العاملي أغرت بغاة الارتزاق، فنشروا كتباً لمؤلفين مجهولين ونسبوها إلى الشيخ البهائي افتراء وتزويراً، ك «أسرار البلاغة» و«المخلاة» و«فالنامه»، وغيرها كما سنرى.

لذلك لن أذكر من ضمن مؤلفاته، لا الحواشي ولا إجاباته لمعاصريه، ولا ما طبع مستقلاً ويعدّ من ضمن مؤلفاته الأخرى، كبعض الرسائل العلمية التي هي فصول أو شروح لكتابيه «تشريح الأفلاك» و«خلاصة الحساب». كما أنني سأكتفي في أثناء حديثي عن أحد كتبه أو رسائله المطبوعة، بذكر آخر طبعاته، أو أفضلها، وفي الحديث عن المخطوطات[1]، لن أذكر سوى الموجود المشهور منها، كي لا يتحول هذا الفصل إلى معرض فهرسة للمخطوطات، وتعريف صالح للمكتبات وعالم البيبليوغرافيا.

وسأتحدث في نهاية الفصل عن الكتب المنسوبة إليه، وسأذكر بالتفصيل الأسباب التي دفعتني إلى رد هذه النسبة.

الرسائل المخطوطة:

في الفقه: /أ ـ الإثنا عشريات الخمس:

ألَّف البهائي خمس رسائل سمّاها «الإثني عشرية» في الفقه، ووجه تسمية هذه الرسائل بهذا الاسم، هو أنه رتَّب كل واحدة من هذه «الإثني عشريات» على اثني عشر فصلاً، لذا سماها «الإثني عشريات»، وقد صنف بهذا الاسم بعد الشيخ وقبله عدد من العلماء والفضلاء كتباً

(١) يمكن مراجعة مقالة حجتي في مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص ١٥ لمن يرغب في معرفة أماكن تواجد المخطوطات. لدينا مخطوطة لهذه الإثني عشريات، مصورة عن مخطوطة موجودة في اليمن يعود تاريخها إلى سنة ١٢٥٦هـ ١٨٤١م.

ورسائل باسم «الإثني عشرية»[1].

١ ـ الرسالة الأولى: «الإثنا عشرية في الطهارة»، يقول في أولها بعد البسملة والتحميد: «.. هذه رسالة إثني عشرية تتلو عليك مسائل الطهارة على نهج جديد ونمط سديد».

٢ ـ الرسالة الثانية: «الإثنا عشرية في الصلاة»، أولها: بعد البسملة والحمد: «هذه مقالة لطيفة في واجبات الصلاة اليومية، ومستحباتها مرتبة على الفصول، على نهج قريب..».

٣ ـ الرسالة الثالثة: الإثنا عشرية في الزكاة والخمس.

٤ ـ الرسالة الرابعة: الإثنا عشرية في الصوم: وهي في أحكام الصوم، وفي فضائل شهر رمضان.

٥ ـ الرسالة الخامسة: الإثنا عشرية في الحج. وهي في أحكام الحج[2].

ب ـ رسالة في «قصر الصلاة في الأماكن الأربعة»[3] أو القصر والتخيير في السفر تكلم فيها على وجوب قصر الصلاة في السفر في جميع الأماكن إلا في المواضع الأربعة، (وهي: مكة والمدينة ومسجد الكوفة، والحائر الحسيني بكربلاء).

ج ـ رسالة في «استحباب قراءة السورة بعد الحمد في الصلاة»، يستدلّ من هذه الرسالة على أن قراءة السورة بعد الحمد ليست واجبة،

---

(١) محمد باقر حجتي الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) توجد نسخ خطية عديدة من هذه الرسائل في مكتبات إيران: الذريعة ج١ ص ١١٧ ـ ١١٨. وحجتي الثقافة الإسلامية ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) *فهرس المكتبة المركزية* ج٥ ص ١٩٦٨ و*روضات الجنات* ج٧ ص٦١ و*الذريعة* ج١٧ ص ١٠٠ و*الغدير* ج١١ ص ٢٦١.

بل هي مسنونة ومستحبة، كتب هذه الرسالة في الرد على بعض معاصريه.. ثم رجع عن هذه الفتوى في سائر كتبه ورأى أن قراءة السورة في الصلاة بعد الحمد واجبة[١].

الرسائل المطبوعة:

في الفقه:

١ ـ **الرسالة الحريرية**[٢]: رسالة للشيخ البهائي في ما لا تتم الصلاة فيه: أثبت فيها عدم صحة الصلاة إذا لبس المصلي القلنسوة والتكة المنسوجتين من الحرير الخالص.

٢ ـ **رسالة في «تحريم ذبائح أهل الكتاب»**[٣]: كتبها بأمر الشاه عباس، رداً على العلماء العثمانيين الذين ينتقدون الشيعة لتحريمهم ذبائح أهل الكتاب.

٣ ـ **الرسالة الاعتقادية**[٤]: ألف البهائي هذه الرسالة، ليعرف الناس إلى التفاوت بين المذهب الإثني عشري من جانب، وأصحاب العقائد الفاسدة التي تسمت أو سميت باسم الشيعة خطأ، وللرسالة شرح يسمى بـ«الفرائد البهية في الاعتقادية البهائية»[٥].

---

(١) *الثقافة الإسلامية* عدد ٥ ص ٣٣.

(٢) هذه الرسالة مطبوعة في كتاب «كلمات المحققين» وهو مجموعة علمية قيمة تحتوي على ثلاثين رسالة لأعلام المحققين والفقهاء في الفقه والعقائد والفلسفة. منشورات مكتبة المفيد. قم إيران ١٤٠٢هـ. ط جديدة. والرسالة صفحتان من ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٣) مطبوعة في الكتاب السابق ذكره من ص ٥٢٦ ـ ٥٣٠ (٤ صفحات).

(٤) حقّقها ونشرها الشيخ جعفر المهاجر في مجلة الثقافة الإسلامية العدد ١٢ شعبان ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م من ص ٢٦٩ ـ ٣٠٥.

(٥) *الذريعة* ج٢ ص ٢٣٨.

٤ ـ **رسالة في غرائب سور القرآن**[1]: منقولة بكاملها في كتاب الكشكول.

٥ ـ **الرسالة الإرثية أو الفرائض البهائية**[2]: (٤ صفحات) وهي مقدمة الباب الثالث من المنهج الرابع من كتاب «الحبل المتين»: وهي في المواريث وبيان السهام وأصحابها وفي النسب وأقسام الكسر، وفي قسمة الفريضة المتكسرة.

٦ ـ **رسالة الكر**[3]: كتبها باسم طهماسب الصفوي، يظهر فيها أثر معارف البهائي العلمية في دراسته الفقهية.

في الفلسفة:

رسالة موسومة بالجوهر الفرد: أورد فيها ثمانية براهين على نفي الجزء الذي لا يتجزأ وقد نقل هذه البراهين في الكشكول وقال «من رسالتي الموسومة بالجوهر الفرد»[4].

---

(١) *الكشكول* ط دار الكتاب ص ٣٧٦، ١٢ صفحة.

(٢) الحبل المتين من ص ٢٦٤ إلى آخر ص ٢٧٦، أربع صفحات.

(٣) ذكر الدكتور محمد باقر حجتي أنه أنهاها سنة ١٠٢١هـ ١٦١٢م، وبما أنها موجهة إلى الشاه طهماسب الصفوي، فمعنى ذلك أنها كتبت قبل سنة ٩٨٤هـ ولقد اعتمدت في دراستها على الرسالة المطبوعة في كتاب كلمات المحققين.

(٤) *الكشكول* ط. دار الكتاب ص١٧٥.

الكتب المطبوعة

١ ـ **«عين الحياة»**: هذا الكتاب في تفسير القرآن الكريم، وهو مختصر مزجي: الموجود من هذا التفسير أوله من «الفاتحة» إلى آخرها ثم «البقرة» إلى قوله ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ... ٣٧﴾ وسورة آل عمران إلى الآية ٣٥ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾[(١)].

٢ ـ **العروة الوثقى**: في التفسير، كتبه البهائي في الربع الأخير من حياته كما يتضح من خطبته، وهو خلاصة رأيه وأسلوبه في التفسير[(٢)].

٣ ـ **«الحبل المتين في أحكام الدين»**[(٣)]: إن مجموع أحاديث «الحبل المتين» بعد حذف المكررات، يبلغ ألفاً وخمسة وثمانين حديثاً[(٤)].

٤ ـ **مشرق الشمس وإكسير السعادتين**[(٥)]: جمع بين أحكام الكتاب والسنة، وفرغ من تأليفه سنة ١٠١٥هـ في قم.

---

(١) *الذريعة* ج١٥ ص٢٩٩.

(٢) مطبوع مع كتاب الحبل المتين ومشرق الشمسين.

(٣) مطبوع مع مشرق الشمسين والعروة الوثقى ٢٦٣ صفحة، وقد طُبعت مقدمته «الوجيزة في الدراية» أكثر من مرة في كتيب مستقل (٤ صفحات) أفضلها الطبعة التي كتب مقدمتها العلامة محمد هادي معرفة (١٩ صفحة).

(٤) الذريعة ج٦ ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٥) مطبوع مع الحبل المتين كما مر.

٥ ـ **زبدة الأصول**[١]: هذا الكتاب يشتمل على جل قواعد أصول الفقه. وقد كان متناً من متون أصول الفقه في قم والنجف إلى وقت ليس ببعيد.

٦ ـ **الجامع العباسي**[٢] (بالفارسية) (جامع عباسى).

هو كتاب فقه عملي ألفه الشيخ البهائي بالتماس الشاه عباس الصفوي، وهو آخر تأليفه، وقد عاجلته الوفاة قبل إتمامه.

في الأدعية:

أ ـ «حدائق الصالحين في شرح صحيفة سيد السجادين».

حاول الشيخ البهائي أن يشرح جميع الأدعية الموجودة في «الصحيفة السجادية» للإمام زين العابدين عليه السلام. وقد قسَّم الكتاب إلى حدائق، ولم يؤلفه دفعة واحدة، كما هي الحال بالنسبة إلى غالبية كتبه، والظاهر إنه لم ينه تأليفه كله، وإنما المعروف أنه خرج منه ثلاث حدائق:

١ ـ شرح دعاء الصباح: ذكره تلميذه الحسين ابن السيد حيدر الكركي[٣].

---

(١) طبع في مصر سنة ١٣٠٢هـ كما يقول حجتي في مجلة الثقافة الإسلامية، أما أنا فقد اعتمدت في دراسته على مخطوطتين له. الأولى من كتب العلامة السيد مهدي إبراهيم المتوفى سنة ١٩٧١م، بدون تاريخ ولكن يبدو أنها منقولة عن نسخة الأصل، والأخرى بخط محمد بن محمد خان الخوانساري بتاريخ ١٢٢٦هـ.

(٢) مطبوع مراراً وتكراراً في الهند وإيران وكثير التداول. لم ينقل إلى العربية حتى الآن.

(٣) *روضات الجنات* ج٧ ص ٥٨ والذريعة ج١٣ ص٢٥٦، هذا الشرح ليس مطبوعاً، وليس في فهارس المكتبات العامة ما يشير إلى وجود نسخة منه.

٢ ـ الحديقة الأخلاقية: وهي شرح «دعاء مكارم الأخلاق»، وهو الدعاء العشرون من الصحيفة السجادية[(١)].

٣ ـ الحديقة الهلالية: وهي شرح الدعاء الثالث والأربعين من كتاب الصحيفة السجادية الذي يقرأ عن رؤية الهلال، ألفه سنة ١٠٠٣هـ. وهي الحديقة الوحيدة المطبوعة[(٢)] والمعروفة.

ب ـ مفتاح الفلاح: في الأعمال والأدعية: هذا الكتاب يعدّ من الكتب المعتبرة في الأدعية والمناجاة اليومية من الصباح إلى الصباح الآخر، ذكر فيه المؤلف مستندات الأدعية ومصادرها، وأوضح المفردات الغريبة والعويصة الموجودة في الأحاديث والأدعية المذكورة في هذا الكتاب، ويشتمل على ستة أبواب. فرغ من تأليفه سنة ١٠١٥هـ في بلدة كنجة[(٣)].

نحو ـ **الصمدية في النحو**[(٤)]: تضمن فوائد جليلة من قوانين

---

(١) ذكره حجتي. الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص ٢٠، ولا أثر له في فهارس المكتبات العامة أيضاً.

(٢) طبع بالطبع الحجري مع شروح لآخرين على الصحيفة سنة ١٣١٦هـ ١٨٩٨م، كما ذكر حجتي لم نعثر على نسخة منها، وإنما اطلعنا على مقدمتها المطبوعة مع الكشكول.

(٣) ذكر حجتي أن منه نسخة بخط المؤلف في مكتبة ملك، تحت رقم ٩٧٦م.

ـ مفتاح الفلاح في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات. الطبعة الأولى دار الأضواء ـ بيروت ١٩٨٥.

(٤) الذريعة: ج١٦ ص ٣٤٥.

اعتمدت في دراسته على مخطوطين الأول من مكتبة آل مروة في النبطية، هذا المخطوط مؤلف من ثلاثة مخطوطات: الأول الصمدية في النحو، تاريخ كتابته سنة ١٢٣٩هـ ١٨٢٣م، والثاني مخطوط آخر في النحو لم يذكر اسم صاحبه، وإنما تكثر فيه الأخطاء الإملائية، وعلى المخطوط شروح.

الإعراب، نجد في هذا الكتاب، ما نجده عادة في كتب النحو المختصرة الموضوعة حديثاً، ولكن توزيع الموضوعات مبتكر، خاص ببهاء الدين العاملي.

مختلف ـ **الكشكول**: أشهر كتب بهاء الدين العاملي.

طبع مرات عديدة في إيران والهند ومصر وبيروت... وترجم إلى الفارسية، أهم الطبعات التي اطلعت عليها:

طبعة مطبعة الطوبي في مصر سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٢م، وبهامشه كتاب أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي المتوفى عام ٤٥٠هـ ١٠٥٨م، النصوص العربية فقط.

طبعة بولاق سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١م، النصوص العربية فقط.

طبعة بولاق سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨م، النصوص العربية فقط.

طبعة بيروت تحقيق السيد مهدي الخرسان: ثلاثة أجزاء ١٣٥٠هـ ١٩٣١م، النصوص العربية والفارسية، وتتميز هذه الطبعة بمقدمتها القيمة، وبتحقيقها الجيد.

طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة السادسة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ثلاثة أجزاء وقد ضمت النصوص العربية والفارسية، مع شروح وافية لكثير من المسائل وإن كانت لا تخلو من الأخطاء المطبعية.

طبعة دار الكتاب: النصوص العربية فقط.

علوم ـ **خلاصة الحساب**: أهم مؤلفات الشيخ البهائي.

وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة في إيران، كما طبع في كلكتا سنة ١٨١٢م وفي برلين سنة ١٨٤٣م، وقد ترجم إلى الفرنسية سنة

١٨٥٤م[١]، و«اللباب في شرح خلاصة الحساب» بالفارسية، ويمتاز هذا الشرح على غيره، بالشروح المتعدّدة، التي توضح كثيراً من المبادىء الصعبة، والقوانين العويصة[٢].

في المخطوطة التي بين يدي[٣] أن الكتاب موجه إلى «حمزة بهادر خان»، وهو الأمير حمزة ميرزا ابن السلطان محمد خدابنده، قبل تسلم أخيه الشاه عباس الحكم، أوله: «فحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمه عدد.. آخره: إن كثيراً من مطالبها حريّ بالصيانة والكتمان عن أكثر أهل هذا الزمان...»[٤].

تشريح الأفلاك[٥]:

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، أورد فيه

---

(١) طوقان *«تراث العرب العلمي»* ص٤٨٢ وجرجي زيدان ج٣ ص ٣٥٣ ويوسف ابان سركيس «معجم المطبوعات» ص ١٣٦٣.

(٢) تهراني «سيد محمد جواد ذهني» اللباب في شرح وترجمة خلاصة الحساب. بضميمة شرح تشريح الأفلاك. انتشارات كتبي نجفي، قم ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م.

(٣) مخطوطة السيد مهدي إبراهيم: وهي بخط نسخ جميل واضح، ناسخها الباقر أحمد، المعروف بحاجي بابا في لكندو بالكشمير في شهر رجب سنة ١٣١٨هـ ١٩٠٠م، وعليها شروح كثيرة، منقولة عن نسخة مكتوبة في زمن المؤلف، وهي المخطوطة الوحيدة من بين خمس مخطوطات أخرى اطلعت عليها، ذكر في خطبتها أنها موجهة إلى الأمير حمزة.

(٤) ذكر في الذريعة أهم شروحه: ج٧ ص ٢٢٥، وعدد مخطوطاته أكثر من أن يحصى، وقد ذكر أن عدد مخطوطاته يتجاوز العشرين مخطوطاً في المكتبات العامة.

(٥) لدينا مخطوطة بخط عبد الله نجفي تاريخ ١٩ صفر ١٢٨٣هـ (١٥ صفحة)، بصورة عن نسخة مكتبة المقاصد الإسلامية، النبطية كما أنني اعتمدت في دراستها على شرح محمد جواد تهراني بالفارسية المطبوع مع خلاصة الحساب، باسم «تحفة الأحباب في شرح تشريح الأفلاك».

البهائي زبدة علم الهيئة.. وقد كانت هذه الرسالة كخلاصة الحساب متداولة ومقررة في مناهج الدراسة في مدارس إيران، لذلك حظيت بالشروح والتعليقات الكثيرة.

تحفة حاتمي (التحفة الحاتمية) أو هفتاد باب (السبعون باباً) بالفارسية.

هذا الكتاب يعرف أيضاً باسم «هفتاد باب در أسطرلاب»، ألفه سنة ١٠١٤هـ. ق. وهو مطبوع في إيران سنة ١٣١٦هـ.ق. كما في الذريعة ج٣ ص ٤٢٥. لم أطلع على نسخته (لم أعثر عليها) لأتأكد من نسبته إليه.

ألغاز الشيخ البهائي:

مجموعة ألغاز الشيخ البهائي المتفرقة في كتبه المطبوعة والمخطوطة، يمكن أن تجمع من المصادر المختلفة، وتشرح وتطبع معاً باسم «ألغاز الشيخ البهائي»، دون أن نعد كل واحد من الألغاز مؤلفاً، كما فعل بعض دارسي الشيخ، مع أن بعضها لا يتجاوز الخمسة عشر سطراً.

وأهم هذه الألغاز بحسب الأهمية:

١ - لغز الزبدة أو لغزية أو رضوية(١):

أشار الشيخ البهائي في لغزه هذا إلى كثير من العلوم، مثل الهندسة والتاريخ والهيئة والنجوم والفلسفة والكلام والفقه وغيرها، وهو أشبه ما يكون بعرض لثقافة صاحبه المتنوعة.

---

(١) النسخ الخطية منه كثيرة في فهارس المكتبات العامة. طبع مع بعض رسائل الشيخ البهائي الصغيرة في كتاب واحد باسم «لغزية» سنة ١٢٨٣هـ. ق. في طهران.

٢ ـ لغز القانون في الطب[١].

٣ ـ لغز الكافية في النحو[٢].

٤ ـ لغز الفوائد الصمدية[٣].

٥ ـ لغز الكشاف: في التفسير للزمخشري غير مطبوع[٤].

٦ ـ جواب لغز الشيخ لطف الله العاملي: لغز الشيخ لطف الله شعراً في اسم جعفر الصادق فرد عليه الشيخ البهائي بلغز نثري[٥].

٧ ـ لغز إلى والده[٦].

٨ ـ لغز في علي[٧].

٩ ـ لغز شعري[٨] في مدينة القدس وجهه في رحلة الحج إلى الشيخ عمر مفتي القدس الشريف.

١٠ ـ لغز مذكور في خلاصة الأثر[٩].

---

(١) ورد هذا اللغز في الكشكول ط. دار الكتاب ص ١٨٦، وط أعلمي ج١ ص ٢٧٢.

(٢) مطبوع في الكشكول ط. دار الكتاب ص ١٨١ ـ ١٨٣. وط أعلمي ج١ ص ٢٦٧ و٢٦٨.

(٣) مطبوع في الكشكول أعلمي ج٣ ص٤٠٨.

(٤) ذكره في *الذريعة* ج١٨ ص٣٣٦ و*الغدير* ج١١ ص ٢٦١.

(٥) موجودة في الكشكول ط دار الكتاب ص ٣٤٢ وط أعلمي ج٢ ص١١٩. وقد أورد شرح اللغزين.

(٦) ذكره المحبي في خلاصة الأثر ج٣ ص٤٤٧.

(٧) *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٣.

(٨) مطبوع في الكشكول. ط دار الكتاب ج١ ص ٥٤ ـ ٥٥ وط أعلمي ج١ ص٦٧ ـ ٦٨.

(٩) خلاصة *الأثر* ج٣ ص ٤٤٤.

آثاره الأدبية باللغة الفارسية
مطبوعة معاً، وتضم:

المثنويات الشعرية:

نان وحلوا (الخبز والحلوى).

شير وشكر (الحليب والسكر).

نان وپنير (الخبز والجبن).

طوطى نامه (كتاب الببغاء) وهو على وزن المثنوي لجلال الدين الرومي.

ملمعات ورباعيات وأشعار متفرقة وتخميس، كلها مجموعة في كتابي سعيد نفيسي[1] وغلام حسين جواهري[2]، وقصائد من مثنوياته وأشعاره المتفرقة، مطبوعة في الكشكول في جميع الطبعات الصادرة في إيران، وفي الطبعة التي قدم لها السيد مهدي الخرسان وفي ط. الأعلمي الصادرة في لبنان.

موش وگربه (الفأر والهر)[3] وهي أسطورة ورومان أدبية بالفارسية

---

(١) كليات أشعار وآثار شيخ بهائى.

(٢) كليات أشعار وآثار شيخ بهائى، وكما مر في الحديث عن المصادر فإن الكتاب الثاني أجمع وفيه رباعيات وأشعار متفرقة لم ترد في الكتاب الأول.

(٣) مطبوعة مع أشعاره في الكتابين السابقين.
وأما الأسطورة التي ذكرها د. محمد باقر حجتي في مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص ٦١، فهي ليست للشيخ البهائي.

على طريقة كليلة ودمنة، انتقد فيها رجال الدين والمتصوفة[١].

الرسائل المنسوبة إليه

وقد ذكرت له بعض المصادر كرياض العلماء والغدير والذريعة ما يقارب تسع عشرة رسالة ليس لها أثر أو ذكر في المصادر الأساسية، ولا في فهارس المكتبات العامة في إيران.

أما الرسائل المخطوطة المنسوبة إليه فعددها ستة وقد تبين أيضاً أنها ليست له. وهي:

١ ـ **أحكام النظر إلى كتف الشاة**: مقالة في العلوم الغريبة[٢]، يتضح أن الرسالة مضموناً وأسلوباً ليست للشيخ البهائي.

٢ ـ **الامتناع عن الاستمتاع قبل قبض المهر**: ويحتمل أن تكون هذه الرسالة من رسائل والد الشيخ البهائي[٣].

٣ ـ **حاشية إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان للعلامة الحلّي**، ذكرها الأميني[٤] من جملة مؤلفات البهائي ولكنَّ العلّامة الطهراني ذكر أنها لوالد البهائي[٥].

٤ ـ **تنبيه الغافلين بنعمة رب العالمين**: ذكره الأميني في جملة

---

(١) صدرت ترجمة هذا الكتاب مع دراسة وافية عنه للمؤلفة، في العام ١٩٩٥م عن دار رياض الريس، في بيروت.

(٢) منها نسخة يتيمة في مكتبة الإلهيات (مشهد) نسخت سنة ١١١٧ ـ ١٧٠٥ هـ. ق. كما في فهرس المكتبة ج٢ ص ٥٩٩.

(٣) نسخة منها في المكتبة المركزية ج٥ ص ١٧٨٤، وحجتي: الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص٣٣.

(٤) *الغدير* ج١١ ص ٢٦١.

(٥) *الذريعة* ج٦ ص١٥، *والكنى والألقاب* ج٢ ص ١٠٢.

مؤلفات الشيخ البهائي[1] ويقول: د. محمد باقر حجتي نقلاً عن الذريعة أن الكتاب من تأليف بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن محمد السرمدي التبريزي من القرن الثالث عشر الهجري[2]، ولأجل تشابه الاسمين نُسب إلى الشيخ البهائي.

٥ ـ **الجفر**: رسالتان في الجفر، يقول في ديباجة الثانية وهي بالفارسية، أن الشيخ كان يتتبع في الجفر ويتفحص عن علمه، مدة ثلاثين سنة، حتى اتصل في «مسقط» بمرشد وتتلمذ عنده سنتين، فعلمه هذا المرشد علم الجفر[3].

ويقول في الأخرى أنه رأى في اليمن وصنعاء الأمير أحمد بن سيد طاوس المكي[4].

رسالتا الجفر ليستا للشيخ البهائي لأنه لم يشر في مؤلفاته، ولم تذكر المصادر أنه دخل إلى اليمن أو مسقط، فضلاً عن بقائه فيهما سنتين!

٦ ـ **رسالة في مسألة المسح على القدمين**: منسوبة إلى الشيخ البهائي[5]، مع أن العلامة الطهراني أكد نسبتها إلى الشيخ حسين بن عبد الصمد[6].

---

(١) *الغدير* ج١١ ص ٢٦١، من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة المرعشي في النجف الأشرف رقم ٦٤٥ تاريخها ١٢٣٥هـ. ق. ونسخة أيضاً من بين مخطوطات المدرسة الشبرية في النجف الأشرف تاريخها سنة ١٢٨٧هـ. كما جاء في مجلة الموسم. العدد الأول السنة الأولى ١٩٨٩.

(٢) الذريعة ج٤ ص ٤٤٤ والثقافة الإسلامية عدد ٥ ص ٢٣.

(٣) لم يرد ذكرها سوى في فهرس المكتبة المركزية ج١٢ ص ٢٩٦٢ وص٢٩٦٦.

(٤) أحوال وأشعار شيخ بهائى (نفيسي) ص ٣٤ ومقدمة الكشكول لخرسان ص ٦٣.

(٥) فهرس مكتبة الإلهيات (مشهد) ج٢ ص ٢٦٨.

(٦) الذريعة ج٢ ص ١٧.

كتب منسوبة إلى الشيخ البهائي

إن الاسم الكبير والشهرة الطائلة للشيخ، أغرت بغاة الارتزاق من الناشرين بأن ينسبوا إليه كتباً ليست له، إما من باب التوافق في الاسم مع بعض كتبه، أو من باب التطابق بين اسمه [مع شهرته]، وبين اسم أو لقب لمؤلف مغمور.

أخطر هذه الكتب نسبة إليه كتابا «المخلاة» المطبوع في مصر، و«أسرار البلاغة» المطبوع مؤخراً في دمشق.

«المخلاة»

ألّف بهاء الدين العاملي هذا الكتاب في أيام شبابه، ثم ألف الكشكول بعده، وقد عرّفه في مقدمة كتابه الكشكول بقوله: «. . . وبعد فإني لما فرغت من كتابي المسمى بالمخلاة، الذي حوى من كل شيء أحسنه وأحلاه، وهو كتاب في عنفوان الشباب، قد لفّقته ونسَّقته وأنفقت فيه ما رزقته، وضمّنته ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين من جواهر التفسير، وزواهر التأويل، وعيون الأخبار، ومحاسن الآثار، وبدائع حكم يستضاء بنورها، وجوامع كلم يُهتدى ببدورها، ونفحاتٍ قدسيَّة تعطِّر مشام الأرواح، وواردات أنسية تحيي رميم الأشباح، وأبيات تُشربُ في الكؤوس لسلاستها، وحكايات شائعةٍ تُمزجُ بالنفوس لنفاستها، ونفائس عرائس تشاكل الدرّ المنثور، وعقائل مسائل تستحق أن تُكتبَ بالنور على وجنات الحور، ومباحثات عديدةٍ سنحت للخاطر الفاتر حال

فراغ البال، ومناقشاتٍ عديدةٍ سمح بها الطبع القاصر أيام الاشتغال، مع ترتيب أنيق لم أُسبق إليه، وتهذيب رشيق لم أزاحم عليه»[1].

كما ورد اسم هذا الكتاب مرة أخرى في تضاعيف الكشكول حين أورد هذا القول: «من كلام بعض الحكماء أرقص لقرد السوء في زمانه، ولهذا الكلام قصة مشهورة أوردتها في المخلاة»[2].

بعد أن أورد أبياتاً للشاعر برهان الدين القيراطي، وأبياتاً لابن الخراط في الغزال، قال «لما كانت هذه القصائد في المخلاة، اقتصرت على هذا القدر في الكشكول»[3].

إن تعريف بهاء الدين العاملي لكتاب المخلاة، يؤكد لنا بما لا يقبل الجدل، أن الكتاب الموسوم بـ«المخلاة» والمطبوع في مصر وفي غيرها[4]، منسوباً إلى الشيخ البهائي، منحول إليه لأنَّ ما جاء فيه مناقض جملة وتفصيلاً لهذا التعريف.

فإلى أن نجد كتاب «المخلاة»[5] الذي ألّفه الشيخ البهائي، أو يجده غيرُنا من المعنيين بآثار الشيخ، لا بد من الإشارة إلى بعض النقاط الواردة في «المخلاة» المطبوع، والتي تؤكد أن هذا الأخير منحول إلى الشيخ البهائي.

---

(١) الكشكول المقدمة ص١.

(٢) المصدر نفسه، أعلمي ج٢ ص ١٧٣ وط. دار الكتاب ص ٣٩٨.

(٣) الكشكول: أعلمي ج٣ ص ١٥٧.

(٤) المخلاة ط. القاهرة ١٣١٧هـ. ق. ١٨٩٩م، والمخلاة ط. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت لبنان ١٣٩٠هـ ١٩٧٩م.

(٥) قال العلامة الطهراني في الذريعة، ج٢ ص٢٣٢ «وقد رأى نسخة من المخلاة البهائية شيخنا العلامة النوري، ونسخة أخرى من المخلاة رآها الشيخ عبد النبي النوري..

إن المطّلع على آثار الشيخ البهائي، الذي يعرف ثقافته الواسعة الغنية، ويعرف أسلوبه في التفكير وفي الكتابة، يدرك دون كبير عناء، أن هذا الكتاب المطبوع المتداول ليس هو كتاب البهائي الذي حدَّثنا عنه في مقدمة كشكوله، كما أنني لم أعثر فيه على قصة «أرقص لقرد السوء» التي مر ذكرها، ولا على قصائد القيراطي وابن الخراط، ولا على دعاء «عبد الله بن استنطال الصحابي» الذي نقله عن المخلاة السيد آقا التستري[1].

الأغلب الأعم، أن الكتاب لرجل مغمور مجهول، جمع ما قرأ وسمع من الحكم والأقوال المأثورة، المختلفة الموضوع والغرض، فيها الغث والسمين جنباً إلى جنب، مع بعض الأحاديث الموضوعة، والخرافات التي لا يقبلها العقل، والتي يوردها الكاتب إيرادَ المصدّق لها، ولا أثر يظهر لشخصية هذا الرجل أو لأسلوبه، اللَّهم إلا في مواضع قليلة تظهر فيها ضحالة ثقافته وركاكة أسلوبه.

ويبدو أن الناشر الذي نسب هذا المؤلف المجهول الصّاحب إلى الشيخ بهاء الدين العاملي، أغراه ما في الكتاب من حكم وأقوال شبيهة بما جاء في كتاب الكشكول، وأشعار[2]، وعبارات فارسية ضعيفة الصياغة[3]، وبعض الأحاجي العقيمة[4]، التي لا تشبه على الإطلاق

---

(١) قال العلامة الطهراني أيضاً أن صديقه «السيد آقا التستري» رأى نسخة المخلاة البهائية عند أحفاد الأمير عبد الصمد التستري وهي «موجودة في خزائنهم وعن الأنظار مستورة»، وقد نقل السيد آقا التستري عنها أشياء منها تفصيل دعاء «عبد الله ابن استنطال الصحابي... مجلة الثقافة الإسلامية. العدد الخامس ص٥٩، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مقال حجة الإسلام محمد باقي حجتي عن الشيخ البهائي.

(٢) المخلاة. ط دار المعرفة ص ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٧٤ و١٧١ و١٨٣ و١٨٧ و١٩٤.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٠٤.

ألغاز الشيخ البهائي التي وردت في الكشكول وفي غيره من مؤلفاته.

إن كل صفحة من صفحات «المخلاة» المطبوع فيها ما يثبت أن الكتاب منحولٌ، وسأورد بعض الأمثلة التي تؤيّد هذا الرأي:

١ ـ من عادة الشيخ بهاء الدين العاملي في جميع كتبه التي بين أيدينا، أن يبدأ بمقدمة يعرّف فيها بالكتاب وبأهم موضوعاته، وبالمنهج الذي سيتبعه فيه، كما فعل في مقدمة «الكشكول» و«الحبل المتين» و«خلاصة الحساب»، وغيرها من كتبه، المطبوع منها والمخطوط، وهذا الكتاب الموسوم بـ «المخلاة» يبدأ على هذا النسق: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، لا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، أما بعد فقد قال معاذ بن جبل...»[1].

٢ ـ إن أكثر الأحاديث النبوية التي وردت في هذا الكتاب من رواية «أبي هريرة» كأن يقول: «وقد صح الحديث من طرق غزيرة، وأخرجه أحمد والحاكم والبيهقي من رواية أبي هريرة...»[2]، وهذا ليس أسلوب الشيخ البهائي في رواية الحديث ـ كما سنرى في دراستنا له فقيهاً ـ في كتبه الفقهية، أو في كتاب الكشكول كمثل قوله: «روى شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه في كتاب الأخبار بطريق حسن عن الباقر عليه السلام..»[3]، أو قوله «... مما نقله جدي رحمه الله، من خطب السيد الجليل الطاهر، ذي المناقب والمفاخر، السيد رضا الدين علي بن طاوس روح الله روحه، من الجزء الثاني من كتاب

(١) المصدر المخلاة ص ١.

(٢) المصدر نفسه ص ٢١٠.

(٣) الكشكول ط١ أعلمي ج١ ص ٢٧٨ ودار الكتاب ص ١٩٠.

الزيارات لمحمد بن داود القمي: أن أبا حمزة الثمالي قال للصادق رضيَ الله عنه. . . »[1].

٣ ـ المسائل الشرعية التي وردت في الكتاب ليست على فقه الشيعة[2].

٤ ـ الحكم والأقوال المأثورة التي أوردها البهائي في الكشكول يجمعها خيط رفيع واحد، هو الدعوة إلى الترفّع عن الدنايا والصغائر، ومعاشرة الملوك، والزهد في الحياة الدنيا والعمل للآخرة. . . بينما نجد الحكم والأقوال المأثورة في «المخلاة» المطبوع، فيها الجيد معنىً وأسلوباً، وفيها ما له طابع تبريري، ذرائعي، لا بد أن يكون واضعُها أو منتقيها من الذين يسوّغون أفعالهم الدنيئة استناداً إلى حكم وأحاديث موضوعة، ينسبونها إلى النبي، أو إلى أحد الخلفاء الراشدين، أو يؤلّفونها ويضعونها على ألسنة الحكماء عامة، بقولهم: «قالت الحكماء». . . مثال ذلك هذا الحديث المنسوب إلى عمر بن الخطاب «كسبٌ في شبهة خير من مسألة»[3]، فواضع هذا الحديث انتهازي كاذب، يسوّغ الكسب الحرام في زمن الضيق.

٥ ـ إن واضع الكتاب ليس شيعياً وإلا لما أورد هذه النادرة «قيل لرافضي كان يتعلم النحو ما علامة النصب في عمر؟ قال: بغض عليّ بن أبي طالب»[4].

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص ٢٧٩ ودار الكتاب ص ١٩١.
(٢) المخلاة ص ١٨ وفي ص ٣٠٧ حديث واضح الدلالة على تعصب صاحبه المذهبي سنياً.
(٣) المخلاة ص ٢٤.
(٤) نفسه ص ٣.

فلفظة رافضي يطلقها المتعصبون على كل متشيع لأهل البيت، وهذه النادرة من وضع رجل من العامة، ومن كان بمنزلة الشيخ بهاء الدين العاملي لا يروي مثل هذه الأقاصيص، ولا يقول: معاوية رضي الله عنه[1]، ولا يورد الأحاديث التي تجمّل وجهَ يزيد بن معاوية[2].

٦ ـ عندما ذكر الشيخ البهائي في الكشكول بعض الحوادث التاريخية ذكر اسم الكتاب الذي أخذ عنه الخبر واسم مؤلفه، والسنة التي جرت فيها الحادثة، وعلَّق أحياناً على القصة إن كانت مما لا يقبله العقل أو يصعب تصديقها[3]، بينما وردت في المخلاة بعض القصص[4] التي يعدّها صاحبها من التأريخ وهي شبيهة بالقصص التي وردت في ألف ليلة وليلة. . . كما أنه أورد أخباراً تكذّب نفسَها بنفسِها كهذا الخبر:

«مات لأبي بكر دفعة واحدة أربعون ولداً، ولأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولداً وذلك بالطاعون[5] (كذا)، ومثل آخر «دخل أبو العالية على ابن العباس، فأقعده معه على السرير، وأقعد رجالاً من قريش تحته»[6]، ولم يخبرنا جامع الكتاب من هو أبو العالية هذا، ولا ابن العباس، الذي ربما يعني به أحد الخلفاء العباسيين، فكأنه سمع القصة، ونسيَ أسماء الأبطال فنحلَهم أسماء من عنده. . .

٧ ـ لا نعثر في الكشكول على خرافة واحدة، ولكن صاحب

---

(١) نفسه ص ٢٩٠.
(٢) نفسه ص ٦.
(٣) سنوضح هذا الأمر حين التحدث عن كتاب الكشكول.
(٤) نفسه ص ١٩ وص٢٠.
(٥) نفسه ص ١٨.
(٦) نفسه ص ٣.

المخلاة المطبوع، يورد الكثير من الخرافات إيراد المصدِّق لها: «من العجائب أن في البلاد المزاحمة للسِّندِ أناساً أعينهم في مناكبهم، وأفواههُم في صدورهم، يأكلون السمك، وإذا رأوا أحداً من الناس هربوا،... وأنَّ عندهم بزراً ينبت خرفاناً، يعيش الخروف شهرين وثلاثة أشهر ولا يتناسل»[١]، و«اتفق أن تساقطت النجوم في أيام أحمد بن طولون، فراعَهُ ذلك، ثم إنه أحضَرَ من عندَه من المنجمين والعلماء، وسألهم ما عندهم في ذلك، فما أجابوا بشيء»... ودخل جماعة في أيام أحمد بن طولون الهرَم الكبير، فوجدوا في أحد بيوته جام زجاج غريب اللون والتكوين، فحين خرجوا به فقدوا منهم واحداً، فدخلوا في طلبه، فخرج إليهم عرياناً وهو يضحك... فعلموا أن الجنَّ استهوته...»[٢].

٨ ـ أكثر صاحب المخلاة من تعليم التعاويذ والتمائم والإخفاء والحرز وغير هذه الأمور[٣] التي حذّر منها الشيخ البهائي في كتبه، كما أنه علَّمَ في المخلاة أيضاً بعض الأدعية لقضاء الحوائج والدخول على السلاطين، يَدخلُ أكثرُها في باب الحيل والشعوذة «من أراد الدخول على السلاطين... أو من يُخافُ شرّه، فليقرأ كهيعص، وحمعسق، ويعقد لكل حرف إصبعاً، مبتدئاً بإبهامه اليمنى، ويختم بإبهامه اليسرى، فإذا عقد جميع أصابعه قرأ في نفسه سورة الفيل، فإذا وصل إلى قوله (ترميهم) كررها عشر مرات يفتح في كل مرة إصبعاً، فإذا فعل ذلك أمن من شرِّه، وهو عجيب مجرب[٤]، ومن المجربات للخوف من سلطان أو

---

(١) نفسه ص ٢٦٦.

(٢) المخلاة ص ٢٦٩.

(٣) نفسه ص ٣٩.

(٤) نفسه ص ٢٤ و١٧٧ و١٨٣ ومن ص٢٠ ـ ٢٠٤ الحجاب الأعظم.

ظالم أن تأخذ خمس حصيّات أو نوايات، وأنت تقرأ على الأولى ك، وعلى الثانية هـ، وعلى الثالثة ي وعلى الرابعة ع، وعلى الخامسة ص، ثم ترمي الأولى عن يمينك، وأنت تقول «قوله»، والثانية عن يسارك وتقول «الحق»، والثالثة من ورائك، وتقول «وله»، والرابعة من بين يديك وتقول «الملك»، ثم تمسك الخامسة في عمامتك وأنت تقول ك هـ ي ع ص ح م ع س ق، أمسك عليك لسانك يا فلان بن فلان بحق الاسم الأعظم»[١].

٩ ـ أكثر من إيراد الأدوية الشعبية[٢] وأكثرها خرافات، كأن يأخذ الإنسان قلب الضفدع أو قلب البومة الكبيرة، ويضعه على قلب النائم فيخبره بكل ما سأله عنه...[٣] «شيءٌ إذا ملّح وجفّف وشرب منه قدر حمصة مع شراب أو لبن أو مع بيض نيم برشت فإنه يفعل فعلاً عجيباً»[٤].

١٠ ـ جمع صاحب الكتاب شعراً كثيراً (بيتاً أو بيتين لكل شاعر)، دون ذكر أصحابها إلا في ما ندر، وأورد أبياتاً معروفة لشعراء مشهورين، ولم يذكر أسماء الشعراء[٥].

١١ ـ لا يطلّ علينا صاحب الكتاب برأسه إلا في مواضع قليلة جداً، كأن ينسبَ إلى نفسه وصفَ الجاحظ للكتاب، كما ورد في مقدمة كتاب الحيوان «الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة...» ينقل كلام

---

(١) المخلاة ص ٢١٣.

(٢) المخلاة ص ٢١٥.

(٣) «نيم برشت» ورد كذا في متون قديمة وهي فارسية تعادل ما نصفه اليوم بقولنا «برشت».

(٤) المخلاة ص ٢٩٤.

(٥) نفسه ص ١١٦ ـ ١٥٨.

الجاحظ حرفياً، وأحياناً محرّفاً وينسبه كلّه إلى نفسه[1]، كما لا يخجل أن ينسب إلى نفسه هذا الشعر:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... وأنت بإنجازها مغرمُ
فأرسل بأكمه ذي صلبة ... به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كلّ رسول سوى ... رسول يقال له الدّرهم[2]

وهذه الأبيات مقتبسة من أبيات أحمد بن فارس اللغوي المتوفى عام ٣٦٩هـ ـ ٩٧٩م.

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم[3]

وفي مكان آخر يقول:

دعاني بعض الرؤساء، فلما جزت إلى بابه قيل إنه ركب، فكتبت إليه هذه الأبيات:

يا من دعاني ففرَّ مني ... أخلفْتَ بالله حسن ظني
قد كنت أرضى بخبز برّ ... وكامخٍ أو قليلَ جبنٍ
وسكرةٍ من نبيذِ تمرٍ ... أقام دهراً بقعرِ دنٍّ
وليس يغلو بما ذكرنا ... محدّث شاعر مغنّ[4]

أيعقل أن يكون قائل هذه الأبيات بهاء الدين العاملي؟ إن قائلها

---

(١) نفسه ص ٤٠.
(٢) نفسه ص ٤٩.
(٣) أوردها ياقوت الحموي في الإرشاد ج٢ ص٩، وآدم متز في الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ ص ٣٤٩.
(٤) المخلاة ص ٢٩٥، ولورود هذه الأبيات في المخلاة مع الأبيات السابقة، فقد نسبها الدكتور محمد التونجي في كتابه «بهاء الدين العاملي» إلى الشيخ البهائي ص ١١٧ و١٢٠.

إنما هو ذلك المجهول الذي جمع كتاب المخلاة، والذي إذا ما أراد أن يرويَ قصة من محفوظاته، رواها بأسلوب ركيك، ضعيف الصياغة، يجعلنا نؤكّد أنّه رجل ضحلُ الثقافة، ضعيف اللغة، لغتُه أقرب إلى النصوص التي نعثر عليها في كتابات القرن الثامن عشر والتاسع عشر «رُويَ عن سيدي عمر بن الخطاب»[١]، و«قيل لبعضهم تحفظ القرآن؟ قال: نعم، قال: ايش أول الدخان؟ قال: الحطب الرطب. ويُحكى أن عبد الله القلاشي ركب البحر في بعض سياحته، فعصفت عليهم الريح في مركبهم، فدعوا أهل المركِب إلى الله وتضرّعوا إلى الله ونذروا، وقالوا يا عبد الله كلّنا قد عاهد الله عهداً ونذرنا لله نذراً إن نجّانا الله تعالى، فأنت الآخر أنذر نذراً وعاهِد الله عهداً، فقلت: أنا مجردٌ من الدنيا مالي والنذر، فألحوا علي، فقلت عليّ لله نذرٌ إن خلَّصني الله مما أنا فيه لا آكل لحم الفيل أبداً، فقالوا ايش هذا، وهل يأكل لحم الفيل أحد؟ . . »[٢].

إنها قصة تقع في صفحة كاملة مهلهلة النسج، ضعيفة البناء، أضاف فيها إلى الألفاظ العامية، أخطاء نحوية فاضحة.

«جاء إنسان إلى الذي يبيع الطواقي، فقال: أعطني قبعةً لصغير اسمه عثمان قال كم عمره، فإن الأقباع لا تباع بالأسماء»[٣].

وحتى في الشعر إذا اعتمد على ذاكرته فإنَّه يهلهله:

ولا تنطق بسرِّك كلّ سرٍّ إذا ما جاوز الاثنين فاش[٤]

---

(١) المخلاة ص ١٥.

(٢) المخلاة ص ١٦.

(٣) المخلاة ص ٢٧٧.

(٤) المخلاة ص ٨٢.

الخيل والليل والبيداء تعرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلم[1]

لغة صاحب الكتاب هذه، أين هي من لغة بهاء الدين العاملي ومن بلاغته؟ إنه من المؤسف حقاً أن لا يُعثَر على نسخة واحدة من مخلاة الشيخ البهائي الأصلية، لأنّنا نعتقد أن كتاب المخلاة الحقيقي لا يقل فائدة عن أخيه الكشكول، ومما يزيد في قيمته عندنا ويضاعف اهتمامنا به، أن بهاء الدين العاملي ـ كما قال في مقدمة الكشكول ـ لم يذكر في الكشكول شيئاً مما ذكره في المخلاة، وحتى حين يمرّ شيءٌ مشترك أو شيءٌ سبقَ أن تحدّث عن قبيله في المخلاة، فإنه يتجاوزه أو يختصره، لأنَّ مطالبَ كلٍّ من الكتابين مستقلة واحدتُها عن الأخرى. . .

كتاب «أسرار البلاغة»[2]

نُسبَ هذا الكتاب إلى الشيخ بهاء الدين العاملي مع «المخلاة» المنسوب إليه، وقد طُبعا معاً أول مرة بمصر عام ١٣١٧هـ ١٨٩٩م، ولم يرد ذكر «أسرار البلاغة» في الفهارس التي وضعت لآثار الشيخ إلا بعد هذا التاريخ[3].

---

(١) المخلاة ص ١٢١.

(٢) طبعت نسخة منه ببيروت مع «المخلاة» ومع «سكردان السلطان» لابن أبي حجلة أحمد بن يحيى التلمساني المتوفى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م نشر دار المعرفة للطباعة والنشر (٣١ صفحة) من ص ٣١٦ ـ ٣٤٦، بيروت لبنان ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. وقد حقق الدكتور محمد التونجي هذا الكتاب، على أنه للشيخ البهائي، طبعة غنية بالشروح من منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ١٩٨٨م (٩٢ صفحة).

(٣) الشيخ جعفر المهاجر في مقالة له عن الشيخ البهائي في مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص ١٣٧، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. وفي مقالة أخرى في المجلة نفسها عدد ٣ ص ٣٩ شوال ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م يقول: «لم نعثر لهذا الكتاب على أي نسخة خطية، كذلك لم نجد له ذكراً في كل ما وقع تحت يدنا، من فهارس =

وإذا عدنا إلى فهارس كتب الشيخ البهائي في «عالم آراى عباسى» و«سلافة العصر» و«رياض العلماء» و«أمل الآمل» و«روضات الجنات» و«نزهة الجليس» و«لؤلؤة البحرين»، لما عثرنا على اسم هذا الكتاب ـ الذي هو في النحو ـ بين أسماء مؤلفاته وجميع هذه المصادر ذكرت أن له كتابي «تهذيب البيان» و«الصمدية» في النحو.. وقد ذكر تلميذُه السيد حسين ابن السيد حيدر الكركي العاملي، أسماء كتب أستاذه التي قرأها عليه وعدَّ من جملتها الرسالة المسمّاة «تهذيب البيان» و«الفوائد الصمدية» وكلاهما كما قال من مصنّفاته في النَّحو[1]، ولو كان للشيخ كتابٌ في النحو بهذا الاسم لذكره هذا التلميذ، ولذكره غيرُهُ من تلامذة الشيخ أو من معاصريه.

في الكتاب (الذي استغرق إحدى وثلاثين صفحة)، إشارة إلى رجل اسمه بهاء الدين، وبما أن ثروة الشيخ سائبة، فقد استغلَّ تجار النشر هذا الأمر، ونسبوا إليه هذا الكتاب مع ما نُسب إليه.

يبدأ الكتاب على الشكل التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه، ثم يهجم على موضوعه مباشرة:

١ ـ **فصل: يشتمل على النثر ومعانيه**، وحدّ البلاغة والفصاحة والإيجاز[2].. ثم يعرّف بالبلاغة والفصاحة والإيجاز، مما هو معروف في كتب البلاغة، قديمها وحديثها. من المقدمة نعرف أن المؤلف ليس

= المخطوطات خصوصاً في المكتبات الغنية العامة والخاصة، في الجمهورية الإسلامية الإيرانية على الرغم من التنقيب الدقيق، عن حياة الشيخ وآثاره، خلال فترة [مدة] تزيد على العشر سنوات حتى الآن».

(١) روضات الجنات ج٧ ص ٥٣.

(٢) أسرار البلاغة المطبوع مع المخلاة، ط دار المعرفة ص ٣١٦.

بهاء الدين العاملي، الذي عوّدنا في جميع كتبه دون استثناء، أن يقدّم بعد البسملة والحمد له، والصلاة على محمد وآله، تلخيصاً لمضمون الكتاب أو الرسالة، ثم يذكر اسمه في الخطبة أيضاً.

٢ ـ **فصل: «في ما ورد في كتاب الله تعالى مناسباً لكلام العرب مع بلاغة وفصاحة وإيجاز»**.. في هذا الفصل عبارة «وكتب علي إلى معاوية رضي الله عنهما»[1]، ولا أعتقد أن بهاء الدين العاملي يدعو لمعاوية بالرضوان عليه.

٣ ـ **فصل: «من بلاغة الحكماء وحكمة البلغاء»** أورد الجامع هنا أقوالاً مأثورة، مجموعة من هنا وهناك، دون ذكر قائليها، بينما لاحظنا أنه في كتاب الكشكول ينسب الحكم والأقوال المأثورة إلى أصحابها... ثم ذكر في الفصل نفسه بعض الأمثال «مما كانت العرب تذكره»..

٤ ـ **فصل: ومن الفصاحة والإيجاز**: ذكر أيضاً أمثلة على الفصاحة والإيجاز مما هو موجود في كثير من المجاميع القديمة، دون نسبة أو سند[2].

٥ ـ **فصل: في كلام الحكماء، وأنواع الحكمة**: أورد فيه أقوالاً منسوبة إلى الحكماء من العرب وغير العرب[3].

٦ ـ **فصل: في أخبار الملوك والخلفاء، ومكارم أخلاق السادة والرؤساء**[4].

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١٧.

(٢) نفسه من ص ٣١٩ ـ ٣٢١.

(٣) أسرار البلاغة المطبوع مع المخلاة. ط دار المعرفة من ص ٣٢١ ـ ٣٢٣.

(٤) نفسه من ص ٣٢٤ ـ ٣٣٠.

٧ ـ فصل: في الأجوبة المسكنة والنوادر المضحكة[١]، ورد في أواخر هذا الفصل شعر على لسان رجل يدعى «القاضي بهاء الدين» يذمُّ غلامه، وقلت في مقدمة الحديث عن هذا الكتاب، إن هذا الاسم، ربما كان هو الذي أغرى الناشر الأول، الذي لم يعرف أساساً لمن هو هذا المجموع، فنسبه إلى الشيخ بهاء الدين العاملي عن حسن قصد، أو عن سوء قصد.

٨ ـ فصل: في التمثيل بالأشعار في مواقعها[٢] ليس في الأشعار التي ذكرها الجامع بيت واحد للشيخ البهائي أو لأبيه، أو لأحد معاصريه، كما هو الحال في الكشكول مثلاً.

٩ ـ فصل في التمثيل بأعجاز البيوت [هكذا] وصدورها[٣]، ركاكة لا تتناسب ومقدرة الشيخ اللغوية، التي تتضح جلية في جميع آثاره التي بين أيدينا.

١٠ ـ وصايا عن النبي ﷺ، ويتضح بشكل جلي ودون كبير عناء لقارىء هذه الوصايا، أنها موضوعة، وبهاء الدين العاملي قبل كل شيء فقيه مهتم بدراسة علم الحديث ومصطلحه، وله رسالة مهمة في علم «دراية الحديث».

يقول الجامع «مما رفعه خطيب مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي عن النبي ﷺ، وأورد عدداً كبيراً من الأحاديث نَسبَها إلى النبي، فيها ضعف وسخف يُنزّه البهائي العالم، عن إيرادها إيرادَ المصدق لها:

---

(١) نفسه من ص ٣٣٠ ـ ٣٣٨.

(٢) أسرار البلاغة من ص ٣٣٨ ـ ٣٤١.

(٣) نفسه من ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

مثلاً: ذكر خمسة أشياء تورّث الحفظ: منها أكل اللحم مما يلي الرقبة، وعشرة أشياء تورّث الفرح والنجاة من الغم كتقليم الأظفار وحلق العانة..

وستة أشياء تزيد في العمر منها أن الاستغفار قبل الفجر يزيد العمر، وعشرة أشياء تزيد في الذهن منها أكل الرز وتدهين الرأس، وستة أشياء تورّث الشيب منها كثرة معانقة النساء.. إلخ[1].

الأدهى من هذه الأقوال المنسوبة إلى النبي ﷺ، ما نسبه الجامع إلى الإمام علي عليه السلام نقلاً عن الجاحظ[2]، يقول «منقول بسند طويل عن محمد بن مفتاح... عن... عن... الجاحظ، قال: كان الجاحظ رحمه الله يقول لنا: إنّ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مائة كلمة، وست عشرة كلمة، كل كلمة منها بألف كلمة من محاسن حكم العرب»... ومن بين الحكم التي أوردها للإمام هذه الحكمة: «نعمة الجاهل كروضة في مزبلة»، ولا يعقل أن ينسب الشيخ بهاء الدين العاملي مثل هذا القول إلى الإمام.

ولا ندري لماذا لم ينقل الجامع كلام الجاحظ إلا مشفوعاً بسند طويل، مع أنه تجرّأ قبل ذلك وذكرَ أحاديث نبويةً دونَ ذكر أسانيدها، ونحن في دراستنا لآثار الشيخ البهائي، لا في كتبه الفقهية وحدها، لا نجد حديثاً واحداً للنبي دون ذكر سنده الصحيح إلى أحد الأئمة عليهم السلام، مع ذكر الكتاب الذي أخذ عنه الحديث، من كتب الشيعة المعروفة أو من أحد الصحاح...

١١ ـ في نهاية الفصل التاسع نقرأ هذه الترجمة «بركات بن حسن

(١) أسرار البلاغة ص ٣٤٣.

(٢) نفسه ص ٣٤٥.

بن عجلان بن أمية بن محمد بن أبي سعيد بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، بسم الله الرحمن الرحيم أوصى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولده الحسن رضي الله عنه قال...»[1].

إن عبارة كرم الله وجهه ورضي الله عنه ليست للشيخ البهائي، كما أننا نتساءل لماذا أقحم جامع الكتاب هذه الترجمة هنا؟ أليس من المحتمل أن يكون «بركات» هذا هو جامع الكتاب؟ وبخاصة أنه يقول في نهاية الوصية: «تمت الوصية المباركة بمكة المشرفة يوم الثلاثاء ضحى رابع صفر الأغر سنة اثنتين وخمسين وثمان مائة»[2].

١٢ ـ يُنهي الجامع الرسالة بقوله: «تمت الكلمات بحمد الله وعونه بمكة المشرفة سادس صفر سنة ثمان مائة وثلاثة وخمسين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليمات آمين»[3].

يتضح لنا بما لا يقبل الجدل، من هذين النصين أن هذا المجموع ـ إذا كان صاحبه بركات بن عجلان أو غيره ـ تم تأليفه في مكّة المكرمة سنة ٨٥٣هـ أي قبل مائة سنة من ولادة بهاء الدين العاملي، وهذا ردٌّ على أيّ مكابر يدعي نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ بهاء الدين العاملي.

إضافةً إلى هذين الكتابين البارزين للشيخ البهائي، نُسبت إليه كتب أخرى ضبطنا منها الكتب التالية:

---

(١) أسرار البلاغة ص ٣٤٢.
(٢) المصدر نفسه ص ٣٤٣.
(٣) نفسه ص ٣٤٦.

١ ـ **تحقيق الكر**: رسالة طبعت عدة مرات في إيران منسوبة إلى الشيخ البهائي[١]، وطبعت آخر مرة في قم عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م مع «الحبل المتين» و«مشرق الشمسين» و«العروة الوثقى» منسوبة إلى الشيخ البهائي[٢]، ولكن المؤلّف عاد وذكر في فهرس الكتاب أنها للوحيد البهبهاني[٣] المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م وهي تختلف منهجاً وأسلوباً عن رسالة بهاء الدين العاملي في الموضوع نفسه والمطبوعة في الكتاب نفسه[٤].

٢ ـ **ترجمة وگلچيني از كشكول شيخ بهائى**[٥]: [ترجمة ومنتخبات من كشكول الشيخ البهائي] نتوقع عندما نقرأ عنوان هذا الكتاب أنَّ كل ما فيه ترجمة لمنتخبات من كشكول الشيخ البهائي، ولكننا نفاجأ أنَّ مادة هذا الكتاب، منتخبة من كتب عديدة أشهرها كتاب الكشكول، فسمّيَ باسمه تحقيقاً للشهرة وسعة الانتشار، أما المقاطع المترجمة من كشكول الشيخ البهائي[٦]، إذا ما جمعت فلا تتعدى الصفحات الخمس من أصل مائتين وأربعين صفحة.

---

(١) وقد عدَّها الدكتور محمد باقر حجتي في مقالته في مجلة الثقافة الإسلامية العدد الخامس ص ٧٢ في عداد مؤلفات الشيخ البهائي.

(٢) الحبل المتين «منشورات مكتبة بصيرتي قم. إيران. ١٣٩٠هـ من ص ٣٨٢ ـ ٣٨٥، ورد فيها ص ٣٨٤: ما ذكره جدي قدس سره المحقق المجلسي في شرح الفقيه» ص ٣٨٤.

(٣) **الوحيد البهبهاني** هو الشيخ محمد باقر بن أكمل البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني، وقد هاجر بعد انهيار حوزة أصفهان الفقهية، مع أستاذه صدر الدين الرضوي، إلى كربلاء المقدسة... وهو من المدافعين عن الاجتهاد ومكافحة الإخبارية التي كانت رائجة في ذلك العهد... وهو ينتسب إلى المحدث المجلسي الأول «الإسلام وإيران ص ٣٤١».

(٤) المصدر نفسه من ص ٣٧٤ ـ ٣٨١.

(٥) الكتاب من تأليف هاشم نجفي يزدي. انتشارات گلي. الطبعة الخامسة ١٣٨٢ هـ ٢٤٠ صفحة.

(٦) مقاطع من ص ١٦ و٤٨ و٦٧ و٦٩ و٧٣ و٧٦.

٣ ـ فالنامهٔ شيخ بهائى[1]: كتاب آخر مطبوع ومنتشر في إيران، ذكر صاحبه في مقدمته سيرة الشيخ البهائي (في أربع صفحات)، ثم عرّف بطريقة السؤال والجواب في الكتاب لمعرفة الفأل (أربع صفحات)، ثم أتبعها بنص الكتاب الذي يبدأ بديباجة باسم الشاه عباس، يمدحه فيها، يليها ستة وعشرون جدولاً، كل جدول مختصّ بموضوع معين: كيفية طلب الحاجة ـ نقل المكان ـ الزواج ـ حسن العمل أو قبحه ـ إلخ.

هذا الكتاب من أعمال المشعوذين، وبعيد من منهج الشيخ البهائي وأسلوبه في التفكير.

٤ ـ رسالة في وحدة الوجود: وهي رسالة كبيرة، أو كتاب صغير قصد مؤلفه تقديم فكرة وحدة الوجود بشكل مقبول في أوساط أهل الشريعة والحديث، طُبعت في مصر منسوبة إلى الشيخ البهائي[2]، ويقول الشيخ جعفر المهاجر إنه زار مكتبة «عارف أفندي» في اسطنبول حيث اطلع على النسخة الخطيّة التي أخذ عنها الناشر، فوجد أن الاسم الحقيقي لمؤلفها هو «محيي الدين بن بهاء الدين» المتوفى سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م، بشكل واضح جليّ لا لبس فيه ولا إبهام... فرأى الناشرُ التشابهَ بين اللَّقب والاسم، فنسب نشرته إلى شخص مشهور بدلاً من أن

---

(١) فالنامهٔ شيخ بهائى بكوشش مهدي على نيا، ناشر كتابفروشى فرزان ١٣٦٤ش (٧٢ صفحة).

(٢) الذريعة ج٥ ص٥٧، ويقول صاحبها الطهراني إن النسخة المطبوعة موجودة في المكتبة الخديوية بمصر. وقد جاء في كتاب الشيخ مرتضى مطهري «الإسلام وإيران» ص ٤٠٥ «ليس بأيدينا أي أثر للشيخ في الفلسفة إلا رسالة في وحدة الوجود قيل طبعت أخيراً في مصر» نقلاً عن الدكتور محمد جهانگيري ـ في منشورات كلية الآداب الفلسفية ـ طهران رقم ١ ص ٧٢.

ينشرها باسم تركي مغمور... ثم جاء من بعده من نقل دون تدقيق، وأُدخلت هذه الرسالة في دراسات حول العلاقة بين التشيع والتصوف[١].

٥ ـ **كتاب «الأسرار القاسمي»** أو كتاب الأسرار، يقول واضعه إن البهائي أملاه على رجل اسمه قاسم، وفيه أسرار العمل الكبير المسمى عند السحرة بـ «الناموس الأكبر» في هذا الكتاب غرائب يستحيل صدورها عن مثل الشيخ البهائي، لأن فيها «تجويزاً لعمل الكبائر الموبقة»[٢].

٦ ـ **مثنوي «رموز أعظم»**: أكثر من مائة بيت بالفارسية، يتحدث فيه صاحبه عن أسماء الله العظمى، وهو يختلف أسلوباً ومعنى عن مثنويات البهائي الأخرى، عبارة عن طلسم وضعه أحدُ المشعوذين ونسبَهُ إلى الشيخ البهائي، ويؤيد رأينا ما ذكره غلام حسين جواهري في «كليات شيخ بهائي»[٣] أنه رأى في بعض النسخ اسم (عياني) بدلاً من اسم (بهائي)، لذلك جرى الخلط بين الاسمين سهواً أو عمداً.

---

(١) جعفر المهاجر ـ مقالة عن الشيخ البهائي في مجلة الثقافة الإسلامية: العدد الخامس ص ١٣٨.

(٢) تجدر مراجعة مستدرك الوسائل ج٣ ص ٤٢٠.

(٣) كليات شيخ بهائى ص ٩٤.

الباب الثاني

البهائي الأديب

- **الفصل الأول:** البهائي الكاتب.
- **الفصل الثاني:** البهائي الشاعر: شعره العربي.
- **الفصل الثالث:** شعره الفارسي.

الفصل الأول

البهائي الكاتب

- تنوع أسلوبه بتنوع الموضوعات
- مقارنة مع نماذج من معاصريه
- كتاب الكشكول.
- التسمية ـ تنوع الموضوعات ـ الأسلوب التأليفي.
- مصادر الكتاب ـ أهم الموضوعات ـ السوانح.
- التأريخ ـ الوعظ ـ الطرائف ـ أحاديث المتصوفة والزهاد ـ أبحاث عامة.
- النقد الأدبي ـ المباحث اللغوية ـ المآخذ على كتاب الكشكول.

الفصل الأول

البهائي الكاتب

لم يترك بهاء الدين العاملي موضوعاً عاماً إلا كتب فيه كتاباً أو رسالة، وتمتاز مؤلفاته بصفة عامة، بأنها خالية من الحشو، وأن قارئها يخرج منها دائماً بفائدة. وقد عبَّر عن جميع الموضوعات التي تناولها بخلابة وبيان عذب، وكتابتُه ذاتُ موضوع قبل أن تكونَ ذاتَ أسلوب، وليس معنى هذا أنه كان يهمل ألفاظه وتراكيبه، بل كان يُعنى بهما عناية شديدة. لقد كان يُعنى بألفاظه ومعانيه جميعاً، دون أن يجورَ أحد الفريقين على الآخر، متأثراً بثقافته الرياضية والفلسفية، مما جعله يعتمد على الأدلّة والبراهين والمقدمات والنتائج، ويقيم براهين رياضية على نظريات فلسفية، كنظرية عدم إمكان اللاتناهي، ونفي الجزء الذي لا يتجزأ أو الجوهر الفرد.

ويتنوع أسلوب بهاء الدين العاملي بتنوع الموضوعات التي يعالجها، فأسلوبه في التقريظ، يختلف عن أسلوبه في الحكاية أو التاريخ، وعن أسلوبه في نقد الشعر، وفي تفسير القرآن وفي الحكايات العادية، وفي كتبه العلمية، وكان في كل هذه الموضوعات أديباً حقاً يشار إليه بالبنان.

اسلوبه في التقريظ:

كتب إلى الشيخ أبي البحر الخطي شاعر البحرين ـ لما أنشده قصيدته في داره بإصفهان: هي الدار تستسقيك مدمعك الجاري. . . رقعة هذا لفظها:

«أيّها الأخ الأعز الفاضل الألمعي، بدر سماء أدباء الأعصار وغرّة سماء بلغاء الأمصار، ايم الله، إني كلما سرَّحت بريد نظري في رياض قصيدتك الغرّاء، ورويت رائد فكري من حياض فريدتك العذراء، زاد بها ولوعي وغرامي، واشتدَّ إليها شوقي وأوامي»[1].

نراه يعتمد إلى ضروب من الاستعارات، وإلى ترادف فنّي قريب من السّجع، وهذا الأسلوب يلائم موضوع التقريظ والمدح أكثر من الأسلوب المباشر، وقد كتب على نسخة من كتابه «الأربعين حديثاً» الذي ترجمه بالفارسية الشيخ محمد علي بن خاتون يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم:

أيها الفاضل الألمعي، زبدة الفضلاء العظام، وخلاصة الأجلاء الكرام، وسلالة الأصفياء الفخام، ونتيجة العلماء الأعلام، أحسنتَ أحسنتَ في توضيح المعاني، وتنقيح المباني، بعبارات أصفى من الزلال، وألطف من السّحر الحلال، كاشفةً اللّثام عن حورٍ مقصورات في الخيام، ورافعة للنقاب عن وجوه الكواعب الأتراب، ألفاظها تزري بالدّرر الغوالي، . . . حتى صار أكثر الكتب المتداولة، والزبر المتناولة، تتمنى أن تعرى عن الملابس العربية، وتتحلى في الحلل الفارسية، فشكر الله مساعيك وأدام معاليك، فقد كشفت الأستار عن أبكار الأفكار، على

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤٠.

نهج قريب تهشّ إليه الطباع، ونمطٍ غريب يكاد يدخل القلوب قبل الأسماع...[1] في هذا النص الذي يمدح فيه البهائي أسلوب ابن خاتون في الترجمة، وقدرتَه على نقل المعاني من العربية بالفارسية، بوضوح وبأسلوب منقّح وعبارات صافية وألفاظ جزلة، اعتمد على الصور البيانية التي يُكثر منها في مثل هذه المواضع وبخاصة الاستعارات التي يغلب عليها الطابع الشعري الخيالي، فالعبارات أدَّت المعاني العميقة الغور، وكأنها كشفت اللثام عن الحور المقصورات في الخيام، ورفعت النقاب عن وجوه الحسناوات... فغارت الكتب العربية، وتمنّت أن تُتَرْجَمَ بالفارسية كما تُرجِمَ هذا الكتاب: فالألفاظ لباس المعاني، والمعاني كواعب جميلات، قد سترت الأثواب جمالَهنَّ وخبأته، فجاء المترجم فأظهر هذا الجمال: لقد تحولت المعاني عند البهائي إلى صورة جميلة شديدة الإيحاء.

الكتابة الفنية

ولنقرأ الرسالة البديعة التالية لبهاء الدين العاملي، التي يوضّح فيها كيفية انتقال المعاني من حيّز التفكير إلى حيّز الوجود، ومن قلب صاحبها إلى قلوب الآخرين، إما سماعاً وإما قراءة، فهي تنتقل من أفواه المتكلّمين عبر التموجات الهوائية إلى آذان السامعين، أو تنتقل من أنامل الكاتبين إلى عيون الناظرين، وعند ذلك تتوطَّن قلوب السامعين أو القارئين كما كانت متوطّنة قلوب أصحابها الذين ابتكروها «المعاني تسافر من مدينة القلب الإنساني، إلى قرية الإقليم اللساني، فتلبس هناك ملابس الحروف، وتتوجه تلقاء مدن الإعلام من الطريق المعروف، وسيرها على

---

(١) الأربعين حديثاً ط خاتون آبادي. المقدمة وأعيان الشيعة ج١٠ ص ١١.

نوعين، إما كسليمان ﷺ فتسير على التموجات الهوائية بأفواه المتكلّمين، ولهوات المترنّمين، إلى أمصار صماخ السامعين، وإما كالخضرِ ﷺ في ظلمات المداد، لابسة للسواد، فتسير في مراحل أنامل الكاتبين، إلى مداد عين الناظرين، وإذا وصلت بالسير الأول إلى سبأ بلقيس السامعة، وانتهت بالسير الثاني إلى عين حياة الباصرة، عطفت عنان التوجّه من عوالم الظهور والانجلاء، بنيّة العود إلى مكامن الكمون والخفاء، حتى إذا نزلت في محروسات آذان السامعين، وحلّت في مأنوسات مشاعر الناظرين، نزعت ملابسها الحرفية، فتجرّدت عن ملابسها الهيولانية، وسكنت في مواطنها القلبية، ورجعت بعد قطع تلك المسائل، إلى ما كانت عليه قبل ذلك، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ وإلى ما كنتم عليه تؤوبون»[1].

يظهر في أسلوبه التقطيع الصوتي والترادف الموسيقي، متلائمين أشدَّ التلاؤم مع اتجاهه الفلسفي الرياضي، وبيانه العذب، والتشبيه الإيحائي النفسي، المستمد من الخيال الشعري البعيد، أو هو شعر منثور تمتلىء سجعاته بالرشاقة والخفّة.

وقد ابتكر البهائي في الكشكول نوعاً من النصوص النثرية والشعرية هي من وحي رحلة الحج سماها «السوانح»[2]، وهي ـ مع خواطره

(١) سلافة العصر ص ٢٩١ وبحار الأنوار ج١٠٦ ص ١٠٨.

(٢) السوانح: جمع سانحة وهي من الفعل سنح بمعنى عرض أو يسَّر «سنح لي رأي وشعر، يسنح، عرض لي أو تيسَّر»: لسان العرب مج ٢ ص ٤٩١.
وقد أخطأ الدكتور التونجي عندما شرح السانح بأنه ما يأتي من جانب اليمين ويقابله البارح الذي يأتي من جانب الشمال، وكان العرب يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح وعلى ذلك جاء مثلهم: «من لي بالسانح بعد البارح»: «بهاء الدين العاملي» ص ٨٣، وواضح أن هذا المعنى ليس هو المقصود لدى الشيخ البهائي.

النثرية الأخرى في الكشكول ـ من أجمل ما جادت به قريحتُه كاتباً، بأسلوب واضح، شفّاف، ليس فيه تعقيد ولا إغراب، وإنما فيه الاسترسال العذب، والألفاظ القريبة، والعبارات المبسّطة، أسلوب يقوم على السهولة والوضوح مع توفير الجزالة والرّصانة، كالنص الذي أسلفنا ذكره[1]، والذي يذمّ فيه الغيبة «قد جرى ذكري يوماً...»[2].

وكقوله: «قد تهب من عالم القدس نفحةٌ من النفحات، على قلوب أصحاب العلائق الدنيّة والعوائق الدنيوية، فتتعطّر بذلك مشامّ أرواحهم، وتجري روح الحقيقة في رميم أشباحهم، فيدركون قبح الانغماس في الأدناس الجسمانية، ويذعنون بخساسة الانتكاس في مهاوي القيود الهيولانية، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد، وينتبهون من نوم الغفلة عن المبدأ والمعاد، لكن هذا التنبّه سريع الزّوال، ووحيُّ الاضمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية تميط عنهم أدناس عالم الزّور وتطهرهم من أرجاس دار الغرور، ثم إنّهم عند زوال تلك النفحة القدسيّة، وانقضاء هاتيك النسمة الأنسية، يعودون إلى الانتكاس، في تلك الأدناس، فيتأسفون على ذلك الحال الرفيع المنال، وينادي لسانُ حالِهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال»[3].

يتحدث البهائي في هذا النص الفلسفيّ الصوفيّ عن الإنسان ذي العلائق الدنيوية كيف أن نفحة من نفحات عالم القدس، تعطّر روحه، فيميل إلى سلوك مسالك الرشاد وينتبه من نوم الغفلة إلى حين، ثم إنه عند زوال تلك النفحة القدسية يعود إلى الانتكاس وإلى الالتصاق بالقيود

(١) مرّ في الفصل الثالث من الباب الأول في الحديث عن شخصيته ص ١٩٢.
(٢) الكشكول ج١ ص ٢١٠.
(٣) الكشكول: ج١ ص ٢١٣ ودار الكتاب ١٤١.

الدنيّة الأرضية، هذه الفكرة الفلسفية، أخرجها بأسلوب أدبيّ منمّق فيه شيء من التصنيع، وفيه قدرة بيانيّة، وغنى لغوي، فهو يُعنى عناية شديدة بانتخاب ألفاظِهِ وصقل عباراته، والمعادلة بين ألفاظ سجعاته.

وهو في هذه السوانح لا يتوانى عن أن يجعل لفظه جزلاً رصيناً مصقولاً، وأن يوفّق بين اللفظ الدال والمعنى المدلول عليه دونما تعقيد:

«العزلة عن الخلق هي الطريق الأقوم الأسد، كما ورد في الحديث، «فرّ من الخلق فرارك من الأسد»، فطوبى لمن لا يعرفونه بشيء من الفضائل والمزايا، لأنه سالم من الآلام والرزايا، فالفرارَ الفرارَ عنهم، والبدار البدار إلى الخلاص منهم، وبهذا يظهر أنَّ الاشتهار بالفضائل من جملة الآفات، وأنَّ خمول الاسم أمانٌ من المخافات، فاحبسْ نفسك في زاوية العزلة، فإنَّ عزلة المرءِ عزٌّ له»[1].

أسلوبه الأدبي في كتبه العلمية:

ولا يقل أسلوبه في كتبه ومباحثه العلمية رصانة عن أسلوبه في كتبه الأدبية والدينية، حيث يراعي الترتيب والاحتراز من الحشو والفضول، ويضع العبارة بطريقة تناسب الغرض والمقام في قوتها وإيجازها، وسهولتها، من غير ما تأنّق في الوشي، أو تماد في الخيال، بأسلوب خالص من شوائب الغرابة والابتذال. يقول في مقدمة خلاصة الحساب:

«نحمدك يا من لا يحيط بجميع نعمِه عدد، ولا ينتهي تضاعف قسمه إلى أمد، ونصلي على محمد النبي المجتبى وعترته المتناسبة أصحاب العبا، وبعدُ فإن الفقير إلى الله الغني، بهاء الدين العاملي،

---

(١) الكشكول ط. أعلمي ج١ ص ٢١٣، وط. دار الكتاب ص ١٤١.

أنطقه الله بالصواب في يوم الحساب، يقول إن علم الحساب لا يخفى علوّ شأنه، وسمو مكانه، ورشاقة مسائله، ووثاقة دلائله، وافتقار كثير من العلوم إليه، وانعطاف جمّ غفير من المعاملات عليه، وهذه رسالة حوت الأهم من أصوله، ونظمت المهم من أبوابه وفصوله، وتضمَّنت منه فوائد لطيفة، هي خلاصة كتب المتقدمين وانطوت منه على قواعد شريفة، هي زبدة رسائل المتأخرين جعلتها تحفة لحضرة هي كعبة المحتاج، وإن لم يكن كعبة الحاج». .[1]

نلاحظ أنَّه قدَّم المادة العلمية بأسلوب أدبي حين سجّع وزاوج في العبارة، دون غلوّ في المحسنات اللَّفظية والمعنوية، وإنما ظهر عنده الغنى اللَّفظي ملائماً للامتلاء المعنوي، وتراه يقول في خاتمة الخلاصة:

«قد وقع للحكماء الراسخين في هذا الفن مسائل صرفوا في حلّها أفكارهم. . . وتوصلوا إلى كشف نقابها بكلّ حيلة، وتوصلوا إلى كشف حجابها بكل وسيلة فما استطاعوا إليها سبيلاً ولا وجدوا عليها مرشداً ودليلاً، فهي باقية على عدم الانحلال من قديم الزمان، مستصعبة على سائر الأذهان إلى الآن، وقد ذكر علماء الفن بعضها في مصنّفاتهم وأوردوا شطراً منها في مؤلفاتهم، تحقيقاً لاشتمال هذا الفنّ على المستصعبات الأبيّات، وإفحاماً لمن يدّعي العجزَ في الحسابيات. . . وحثّاً لأصحاب الطّباع الوقّادة على حلّها والكشف عنها». . .[2].

امتاز بهاء الدين العاملي في كتبه العلمية بأسلوبه الناصع وحسن بيانه، ولنقرأ معاً هذه المسألة من المسائل الست الجبرية التي حلّها في كتابه خلاصة الحساب:

---

(١) خلاصة الحساب «المخطوط» ورقة ١ و٢ واللباب ص ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه ١١٠.

«أولاد» انتهبوا تركة أبيهم وكانت دنانير، بأن أخذ الأول ديناراً، والآخر دينارين، والآخر ثلاثة وهكذا يتزايد واحدٌ واحدٌ فاستردَّ الحاكم ما أخذوه، وقسَّمه بينهم بالسويَّة، فأصاب واحدٌ منهم سبعة فكم الأولاد والدنانير؟. .

فافرض الدنانير شيئاً وخذ طرفيه أعني واحداً أو شيئاً واضربه في نصف الشيء، يحصل نصف مال ونصف شيء وهو عدد الدنانير إذ مضروب الواحد مع أي عدد في نصف العدد يساوي مجموعَ الأعداد المتوالية من الواحد إليه، فاقسم عدد الدنانير على شيء هو عدد الجماعة ليخرج سبعة كما قال السائل فاضرب السبعة في الشيء وهو المقسوم عليه يحصل سبعة أشياء تعدِلُ نصف مال ونصفَ شيء.

وبعد الجبر والمقابلة مال يعدل ثلاثة عشر شيئاً.

والشيء ثلاثة عشر وهي عدد الأولاد فاضربه في سبعة، فالدنانير واحد وتسعون[1].

ولك استخراج هذه وأمثالها بالخطأين[2]». . .

---

(١) الرموز هي: الجذر: ورمزة س (×) ويدل على مجهول أو شيء.
المال ورمزه س^{٢}(×)، ويدل على مربع مجهول.
وحل المسألة هو التالي:
شيء (س)= عدد الدنانير ـ شيء + ١ = طرفا الدنانير.
١/٢ شيء ×(شيء + ١)= عدد الدنانير = ١/٢ شيء + شيء.
عدد الجماعة = شيء ـ نصف شيء + شيء: شيء = (نصف شيء + شيء) / شيء = ٧
شيء × ٧ = ٧ شيء ـ ٧ شيء = نصف شيء.
شيء + مال = ١٤ شيء ـ مال = ١٣ شيء ـ ١٣ شيء: ١ = ١٣ = عدد الأولاد.
قدار الدنانير = ١٣ × ٧ = ٩١.
(٢) اللباب ص ٢٩٤.

ولنلاحظ الدقة في استخدام الألفاظ للدلالة على المعنى المقصود، فالفعل **انتهبوا** بصيغته ومعناه يعطي دلالة واضحة على كيفية توزيع التركة بين الأولاد دون وجه حق، إضافة إلى اعتماد الأسلوب السهل الممتنع والمساواة بين الألفاظ والمعاني.

أسلوبه الأدبي في كتبه الفقهية

إن ما يميّز أسلوبه في كتبه الفقهية، هو الغنى اللغوي والبساطة في الأداء، وحسن التقسيم:

فقد قدَّم لكل رسالة أو كتاب بمقدمة تناسب المقام، وجمع إلى الغنى اللّفظي والمعنوي، المحسنات البيانية من مراعاة نظير واستعارات قريبة المتناول:

نقرأ مقدمة رسالة الكر فنراه يُعنى بأصواته، وباختيار مفرداته، وبإيقاعات جُملِه، التي يستعين عليها بصور مختلفة من التكرار والترادف، ومعادلة الألفاظ: «نحمدك يا من ملأ حياض قلوبنا بماء ولاء النبي والآل، ونشكرك يا من طهّر نفوسنا عن الانغماس في غدران الزيغ والضلال، ونصلّي على نبيّك الصادع بأمرك ونهيك، والمبلّغ لأعباء وحيك، وآله الذين طهّرتهم عن الرجس بنصّ الكتاب، وجعلتهم السّقاة على الحوض يوم يقوم الحساب، وبعد فيقول الفقير إلى الله الغني، بهاء الدين محمّد العاملي، عامله الله بلطفه وإحسانه، وأذاقه حلاوة غفرانه، إنّ أحقّ ما صرف إليه المكلّف همّته، وبيّض في الخوض فيه لمّته، وأنفذ في مداولته عمره، وأراض في مزاولته فكره، هو علم الفقه الذي هو لعمر الله أرجح المطالب وأعلاها، وأنجح المكاسب وأغلاها، إذ بممارسته يحصل الفوز بأتمّ المفاخر، وبمدارسته يتوصل إلى النجاة من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر»[1].

وعلى هذا النمط يسوق العامليّ عباراته وكأنما سخّرت له ألفاظ اللّغة تسخيراً، وآتته الصور والمحسّنات عفو الخاطر، من مراعاة نظير بين موضوع **الكرّ** وحياض القلوب وغدران الزيغ والضلال، ثم استعارة الحلاوة للغفران.

ونحن إذا قرأنا له مقدمة شرح **«الصحيفة السجادية»** للإمام زين العابدين عليه السلام يمكن أن نكوّن فكرة وافية عن خصائصه الأسلوبية، من تكرار وترادف موسيقيين، وغنى لفظي ومعنوي: «بسم الله الرحمن الرحيم:

«الحمد لله الذي جعل صحيفة عالم الإمكان مرآة لمشاهدة الآثار الملكوتية، وصيّر نشأة نوع الإنسان مشكاة لمطالعة الأنوار اللاّهوتية، والصلاة على أكمل نوع البريّة وأفضل النفوس القدسيّة، أبي القاسم محمد قاسم موائد المواهب الربانيّة، ومنبع رحيق الفيوض السبحانية، وآله الوارثين لمقاماته العليّة، المكرّمين بكراماته الخفيّة والجليّة.

وبعد فهذا يا إخوان الدين وخلّان اليقين، ما غفلت حوادثُ الزمان عن المنع من تأليفه وتحريره، وذهلت صوارف الدهر الخوّان عن الصّرف عن ترصيفه وتقريره، من شرح وافٍ بإظهار ما ألهمني الله سبحانه من حقائق كنوز الصحيفة الكاملة، من كلام سيد العابدين، وإمام الموحّدين، وقبلة أهل الحق واليقين، مولانا وإمامنا زين العابدين... كشفت به حجاب الاحتجاب عن خبايا كنوزها مع قلة البضاعة، ورفعت به أستار الاستتار عن خفايا رموزها بقدر الاستطاعة، مشيراً إلى ما يلوح من جواهر عباراتها، ويفوح من زواهر إشاراتها، مما هو منبع كلام

---

(1) رسالة الكر مطبوعة مع رسائل أخرى. انتشارات بصيرتي ص ٣٧٤.

أعلام الحقيقة والعرفان، ومعدن مقال أهل هذه الطريقة والإيقان، بل هو أقصى غايات أرباب المجاهدة، وأعلى نهايات أصحاب المشاهدة، مما لم يهتد إليه واحد بعد واحد، ولم يطّلع عليه إلا وارد بعد وارد، وأسأل الله سبحانه أن يعينني على إتمام ما أرجوه، وأن يوفّقني لإكماله على حسن الوجوه، وأن يجعلني ممن تزوّد في يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده، وهو حسبي ونعم الوكيل.

اعلموا: أيها الأخوان المقصور على إدراك الحقائق كدّهم، المصروف في اقتناص المعارف جدُّهم، أني استخرت الله سبحانه ووشّحت صدر هذا الشرح بعدة من **الحدائق** ينطوي كلّ منها على نبذة من الحقائق، تفيد المقتبسين لأنوار الصحيفة الكاملة كمال البصيرة، وتجعل أيدي الراغبين في اجتناء ثمارها غير قصيرة، وتزيل عن بصائرهم غشاوة الارتياب، وتغنيهم عن الغوص في هذا البحر العباب، وتشير إلى يسير من بدائع صنائع الله جلَّ بثنائه في أرضه وسمائه، مما تضمن كلامه الإشارة إليه، وتنبيه أرباب الألباب عليه، وتهدي إلى كشف الأستار عن بعض الأسرار، طبق ما حققه المشاهدون من أهل العيان، وشاهده المحققون من ذوي الإتقان، ويومىء إلى التوفيق والتطبيق بين ما قادت إليه العقول الصحيحة السليمة، وتطابقت عليه النقول الصريحة القديمة، إلى غير ذلك من فوائد لا يطّلع على أسرارها إلا واحدٌ بعد واحد، وفرائد لم يرتشف من أنهارها إلا واردٌ بعدَ وارد».

ولقد بلغ أسلوبُه من حيث البلاغة والفصاحة والبيان مداه، في مقدمة كتابه «العروة الوثقى»[1]، لأنه يتحدث عن كلام الخالق جلّ

---

(١) «العروة الوثقي» في التفسير مطبوع مع الحبل المتين ومشرق الشمسين ورسالة الكر في مجلد واحد.

وعلا، صدر صحيفة المظاهر الربانيّة، ومنبع رحيق الفيوض السبحانية، ونرى أن لا أحد بعد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قد وصف كلام الله عزّ وجل بأبلغ من هذا الكلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الذي أنزل على عبده كتاباً إلهيّاً يتفجّر من بحاره أنهار العلوم الحقيقية تفجيراً، وخطاباً سماوياً تقتبس من أنواره أسرار الحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، وأقعد فرسان اللسان عن الجري على أثره، وأخرسهم عن معارضة أقصر سورة من سوره، فأذعنوا بالعجز عن الإتيان بما يكون لآية من آياته نظيراً، وأيقنوا أنه لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وجعله برهاناً باقياً ببقاء الأيام والشهور، وتبياناً راقياً بارتقاء الأعوام والدهور لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا تطرّق إليه التغيير في ذاته ولا وصفه»[1].

مقارنة

وليس من المبالغة أن نقول إنَّ أسلوبه كان أرقى من أساليب معاصريه، حتى الذين امتلكوا مثله ناصيتي اللغتين العربية والفارسية، وكتبوا بكلتيهما، أو الذين كتبوا باللغة العربية وحدها.

وتكفي مقارنة وجيزة، كما سنفعل في ما يلي، بين بهاء الدين العاملي كاتباً وبين عددٍ من معاصريه من الكتاب في مصر والشام ولبنان وإيران لتُبرِزَ تفوقه عليهم معنىً وأسلوباً.

نقرأ الآثار الكتابية في العصر العثماني، فنجد في معظم المؤلفات ضعفَ التأليف عامة، فالأسلوب واه، والأخطاء النحوية كثيرة، وهذا

(١) المصدر السابق ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧.

مثال من ابن إياس مؤرخاً دخول الأتراك العثمانيين مصر بعد هزيمة المماليك، وآثار ذلك على المصريين، وهجرة أساطين العلماء والأشراف، وأهل البصر والخبرة بالفنون والصّنائع، كل ذلك بأسلوب متكلّف، بادي الصّنعة: «.. لم تقاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشدّة، ولا سمع بمثلها في التواريخ القديمة، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً، ففارقت الناس أوطانهم وأولادهم وأهاليهم، وتغربوا من بلادهم إلى بلد لم يطأوها من قبل، وخالطوا أقواماً غير جنسهم»(١).

أما **الكتابة الفنية** فهي تلفيق ليس فيه جديد سوى التصنّع الشديد لألوان البديع ومصطلحات العلوم والفقه، ولعلَّ ذلك ما جعل الشهاب الخفاجي يقول: «إن الأدب في هذه الأعصار، قد هبّت على أطلاله ريحٌ ذات إعصار، حتى أخلقت عُرى المحامد، واسترخى في جريه عِنان القصائد، وتقلّصت أذيالُ الظلال، وخطب البلاد على منابر الأطلال، وعفا رسم الكرام، فعليه منّي السلام»(٢).

نلاحظ كيف يتصنع ألوان البديع، ونحن لا نلومه كما يقول شوقي ضيف «فإن هذه كانت طاقة العصر، إذ لم يعد هنالك مجلس للتجديد والابتكار، فالقوم يعيشون على التقليد، واجترار أعمال السابقين، فإن هم تركوا هذا الاجترار والتقليد لم نكن نجد لهم شيئاً قيّماً يمكن أن نُعنى به، فقد جمدت الكتابة الفنية جموداً، إذ أجدبت الحياة الفنية، وأصبحت مواتا خالصاً أو ما يشبه الموات(٣)».

ونجد عند الخفاجي، كما نجد عند الطالوي وابن معصوم

---

(١) تاريخ مصر لابن إياس ج٣ ص ١٤٨.

(٢) ريحانة الألبا ص٤.

(٣) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٣٨٧.

والآخرين، الإكثار من الجمل المترادفة والاستطرادات البعيدة بدون نظام والحرص على رصف الألفاظ، وسلخ الكلمات من عبارات محفوظة سابقاً، لتحشر من جديد بجانب عبارات مبتكرة، والاستفاضة في معاني البديع والمبالغة في الوصف والتهويل والإسهاب، بما لا يمثل شعور الكاتب وآراءه، وإنَّما يمثّل تكلفه أو تملقه، وأظهرُ ما يميز هذا النثر الإغراقُ في استخدام المحسّنات البديعية، وكثرة المرادفات المتشابهة، التي يمكن أن توجزَها عبارة واحدة.

كقول الخفاجي: «. . . لا سيما أهل العصر، الهاصري أغصان المنى ألطفَ هصر، القائلين في رياضها، الواردين نمير حياضها، فقد سرت كلماتهم مسرى الأرواح في الأجساد، وأثنى عليها ثناء نسيم الرياض على العهاد، وقد انتصر لكلّ عصر من أحيا ميته أو عمّر من دارس عهوده بيته»[١].

أما ابن معصوم ففي تعريفه لغالبية الشعراء والأدباء الذين يترجم لهم، يجري على نسق واحد بمبالغات تناسب بعضهم، ولا تتناسب مع القيمة الفعلية لغالبيتهم:

«وأما أدبه (البهائي) فالروض المتأرج أنفاسُه، المتضوعُ بنشره ونظمه وردُه وآسُه المستعذَبُ قطافُه وجناه، والمستظرف لفظُه ومعناه، وها أنا مثبتٌ من غُرَرِهِ ما هو مصداق خَلَقَ الإنسانَ علّمه البيان، وموردٌ من دُرَرِهِ ما يزري بأطواق الذهب وقلائد العقيان»[٢].

وهذا أنموذج لأبي المعالي الطالوي[٣] معاصره في كتابه

(١) *ريحانة الألبا* ص ٥ ج١.

(٢) سلافة العصر ص ٢٨٩.

(٣) **درويش محمد بن أحمد أبو المعالي الطالوي** الدمشقي الحنفي ولد سنة ٩٥٠هـ/ =

«السانحات» يصف فيه وروده، على الشيخ داود بن عمر الأنطاكي[1] بقوله: «وردتُ إليه على برج اشتياق، فمازجتُه امتزاج الراح بالماء القراح، ولزمته لزوم الظل في الغدوّ والرّواح، فسمح لي بشيء من علومه الغريبة، بدقائق حكمه العجيبة، ولم أزل مدّة إقامتي بالقاهرة ودمشق أرد حماه، وأجعل مسيري فيها قمر محيّاه، تارة بالظاهرية وأخرى بربع قاسيون، مملياً عليّ فيها لطائف أسماعه، وظرائف نكته البديعة، ونوادر أخباره»[2].

وللطّالوي أيضاً: «أسأل الله وهّابَ الصور، خلاق القوى والقدر، فيّاض المعارف ذرّاف العوارف، أن يهبَ اقتراباً صافياً من الكدر مُغنياً عن ورد المكاتبة والصور»[3].

وكذلك الأنموذج التالي للخفاجي أيضاً في حديثه عن بهاء الدين العاملي، وما فيه من مبالغات وتصنيع:

«. . . فاضلٌ لمعت من أفق الفضل بوارقه، وسقاه من مورده النَّمير عذبُه ورائِقُه، لا يدرك بحرَ وصفه الإغراق، ولا تلحقه حركاتُ الأفكار ولو كان في مضمار الدّهر لها السبّاق. زيّن بمآثره العلوم النقلية

= وتوفي سنة ١٠١٤هـ/ يقول عنه المحبي إنه كان فصيح العبارة منشئاً بليغاً حسن التصرف في النظم والنثر، والده تركيّ المحتد ورد إلى دمشق في صحبة السلطان سليم وأمّه دمشقية بنت الأمير علي بن طالو.
كان الطالوي أديباً شاعراً رياضياً حكيماً متصوفاً، انظر ترجمته في *خلاصة الأثر* ج٢ من ص ١٤٩ ـ ١٥٥ *والأعلام* ج٢ ص ٣٣٨.

(١) **الحكيم داود بن عمر البصير الأنطاكي** نزيل القاهرة الحكيم الطبيب المشهور: ترجمته في *خلاصة الأثر* ج٢ ص ١٤٠ ـ ١٤٩.

(٢) *خلاصة الأثر* ج٢ ص ١٤٢، *وأعيان الشيعة* ج٦ ص ٣٩٨.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص ١٥٥.

والعقلية، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية، لا سيما الرياضيات فإنه راضها، وغرس في حدائق الألباب رياضها، وهو في ميدان الفصاحة فارس أي فارس، وإن كان غصنُه أينع وربا بربوة فارس، فإنَّ شجرته نبتت عروقُها بنواحي الشام الزاهية المغارس، والعرقُ نزّاع وإن أثَّر الجوار في الطباع»[1].

نقرأ نماذج لأدباء من جبل عامل في عصره وقبل عصره بقليل[2]، فنجد أسلوبه أرقى من أساليبهم جميعاً، وينطبق على النثر في جبل عامل عامة، هذا القول للدكتور محمد كاظم مكي: «كان الأدب العاملي في هذا العهد شعراً لا نثراً، فنحن إذا استثنينا المجامع الأدبية... للبهائي وبعض رسائل الكفعمي، نكاد لا نعثر طيلة هذه القروز على نتاج أدبي نثري، فقد شغل العامليون عن النثر الفني بالشعر يعبرون به عن عواطفهم ويظهرون براعتهم الأدبية، حتى أن الشعر دخل نطاق العلوم الموضوعية كالفقه والأصول، وأن الحر العاملي كانت له أرجوزة في الهندسة، وفي المواريث والزكاة»[3].

وإذا ما أخذنا أنموذجاً رسائل الكفعمي [4] مثلاً، نجد أنها مشحونة بالمعاني المقتبسة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وبعض عبارات نهج البلاغة. لذلك لا نستطيع أن نتحدّث عن أسلوب خاص عنده، لغياب شيء أساسي عن أسلوبه اسمه الأحاسيس الوجدانية. «ابن آدم انتبه لما أنت به، ولا تغترّ بدنيا ليس بها صاف ولا

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص ٢٠٧.

(٢) هذه النماذج مبثوثة في أمل الآمل بجزأيه، وفي أعيان الشيعة وغيرهما.

(٣) *الحركة الفكرية والأدبية* ص ٨٣.

(٤) *أعيان الشيعة* ج٢ ص ١٨٨.

معين، ولا مصافٍ معين، ولا من يفي بالعشر، ولا من يوافي بالعشر، ولا حالف صادقٌ في اليمين، ولا سالك من أصحاب اليمين، فالسعيد من حَرَبَ رباعها، وإن مدّت إليه باعها، وطوبى لقوم هجروا من أجل الله حلالهم، وغير ذكر الله ما حلا لهم، قد أقرعوا قمة التقوى وعلاها، وسمَوْا في أوج الطاعات إلى أعلاها، فوالذي خلق الحَبّ والنوى، وخلق الحُبَّ والنّوى، إنّه ما للفساق من حميم، غير غساق وحميم أما سيئاتهم فهنّ لهم فواضح، وأمّا وجه عذرهم عند الكرام الكاتبين فواضح، وأما المتّقين فقد تألقت في الملأ الأعلى أنوارُهم، وتفتّقت في بستانِ المثوبة أنوارُهم»[١].

نرى الشغف عنده بألوان البديع المعنوي واللفظي.

ولنتبيّن أكثر، وبصورة أجلى وأوضح قيمة أسلوب البهائي الذي يجمع بين الجزالة والبساطة، نورد مثلين من العلماء المبرّزين من معاصريه في إيران، كانت تربطه بهما صداقة وطيدة، الأنموذج الأول «للميرزا إبراهيم بن ميرزا الهمداني المتوفى سنة ١٠٢٦هـ، من كتاب إلى الشيخ البهائي: «... فلو أطلقت عنان القلم في هذا المضمار وأجريت فلك التبيان في ذلك البحر الزخّار، كنت كمن يصف الشمس بالضياء... فلذلك ضربتُ صفحاً عن ذلك وطويتُ كشحاً عن سلوك تلك المسالك، واقتصرتُ على الإيماء إلى نبذة من هموم مديدة، سلم برهان السلم عدم انحصارها، وشرذمة من غموم عديدة لا ينطبق دليل التطبيق على عشر معشارها»[٢].

وأما أسلوب معاصره الآخر السيد الداماد فأكثر تعقيداً وغموضاً

(١) الكشكول. أعلمي ج٣ ص ٢٢٨.

(٢) بحار *الأنوار* ج١٠٦ ص ١٢٧.

ومعاضلة، فها هو يكتب رسالة إخوانية إلى الشيخ البهائي: . . . لقد هبّت ريح الإنس من سمت القدس فأتتني بصحيفة منيفة، كأنها بفيوضها بروق العقل بوموضها، وكأنها بمطاويها أطباق الأفلاك بدراريها، وكأن أرقامها بأحكامها، أطباق الملك والملكوت بنظامها، وكأن ألفاظها برطوباتها أنهار العلوم بعذوبتها. . . وايم الله إن طباعها من تنعيم، وإن مزاجها من تنسيم، وإن نسيمها لمن جنان الومضوت، وإن رحيقها لمن دِنانِ الملكوت»(١).

وفي محاولتنا المقارنة بين أسلوب البهائي وأسلوب معاصريه من الفقهاء، ندرك تميّز أسلوبه من أسلوب الآخرين، وفي حين نؤكد أننا لم نعثر في جميع مؤلفاته الفقهية على كلمة حوشية أو غريبة، نرى معاصره السيد الداماد، يستعمل في مؤلفاته عبارات غير خالية من التعقيد، وقد يستعمل في عناوين كلامه ألفاظاً شبيهة بالتقعّر، فيقول في رسالة «ضوابط الرضاع»(٢): «. . . أوردتُ عضةً صالحة من ضوابط حرمة الرضاع، في رسالة سالَّة لحق الفحص أفردتها، ومقالة ضالّةٍ لزمرة أهل الحق أنشدتها. . . واستوجبَ حقُّ صونِ الدين عن تحريف الغالين، استجوادَ الكشطِ واستئناف القول، واستجفاء الفحص، واستقصاء الغور، في تقدمةِ استباناتٍ ثلاثٍ وتختمة»(٣)، ويقول في بعض عناوين الرسالة: ضابطة، واستبانة، وبسط وتشييد، وضابط وتحصيل، وضابط تحقيقي، وضابط وفيصل، وضابط وتثبيت، وذيالة فيها مقالة، ذنابة، ضابطة إحصائية، شك وضابطة، بحث تعضيلي، وضابط تفصيلي» إلخ. . .(٤).

---

(١) *بحار الأنوار* ص ١٢٤.

(٢) «ضوابط الرضاع» رسالة مطبوعة في كتاب كلمات المحققين.

(٣) المصدر السابق ص ٢.

(٤) المصدر السابق ص ٦ و١١ و١٨ و٢٢ و٥٩، ٨٥، ٩١.

ولنلاحظ الفرق بين أسلوبه وبين أسلوب معاصريه من العلماء في إيران أيضاً، يجدر بنا أن نقارن بين أسلوبه الأدبي المتواضع المباشر في الإجازة لتلامذته وبين أسلوب معاصره الداماد، المشحون بالألفاظ الغريبة للتلميذ نفسه، (السيد كمال الدين أحمد العلوي العاملي).

إجازة البهائي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد الحمد والصلاة، فقد أجزت السيّد الأجل، الفاضل، التقي، الذكي، . . . وفّقه الله سبحانه لارتقاء أرفع المعارج في العلم والعمل، وبلّغه غاية المقصد والمراد والأمل، أن يرويَ عني الأصول الأربعة التي عليها مدار محدّثي الفرقة الناجية، بأسانيدي المحرّرة في كتاب الأربعين، الواصلة إلى أصحاب العصمة سلام الله عليهم أجمعين، وكذا أجزت له سلّمه الله وأبقاه، أن يرويَ عني جميع ما أفرغته بقالب التأليف. . . . فليروِ ذلك لمن له أهلية الرواية، عَصَمَنا الله وإياه عن اقتحام مناهج الغواية. . . كتب هذه الأحرف بيده الجانية الفانية، أقلّ العباد، المشتهر ببهاء الدين العاملي، تجاوز الله عنه، في الشهر الرابع من السنة الثامنة عشرة بعد الألف حامداً مصلياً، مستغفراً، والحمد لله على نعمائه أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً»[١].

إجازة الداماد:

«بسم الله الرحمن الرحيم، والاعتصام بحبل فضله العظيم، بعد الحمد كلّ الحمد لربنا رب العاقلات العالية، والسافلات البالية،

---

(١) بحار *الأنوار* ج١٠٦ ص ١٥٣.

والصلاة صفوة الصلاة منه على سيدّنا سيّد الصافات من النفوس الزاكية، وقرم القادسات من العقول الهادية، وسادتنا الأوصياء الأطهرين من العترة الأنجبين، ما دامت أنهار العلوم جارية، وجبال الحقائق راسية.. فإن الولدَ الروحاني والحميم العقلاني، السيّد السند، الأيد، المؤيد، الألمعي، اليلمعي اللوذعي السيّد أحمد العاملي... أفاض الله عليه وشائج التوفيق، ومراشح التحقيق، قد انسلك في من يختلف إليَّ شطراً من العمر لاقتناص العلوم... وإني قد صادفته منذ فقهني وفقهته على أمد بعيد في سلامة الفطرة الناقدة، وباع طويل من صراحة العزيزة الواقدة، فما ألقيت إلى ذهنه من غامضات هي مهمّات العقول، لم ينِ وسعَ قريحتِهِ في حمل أعبائه، وما أفرغتُ على قلبه من عويصات هي متيمات الفحول، لم يفِ وجد شكيمته بأخذ أضنانه، ولقد فاه بنيل ما تاهت في مهامِهِ وسبلِهِ المدارك، وما فاه إلا بما أماهه العقل الصريح الحائر بالمسالك والمعارك»[1].

وبعد فهذا بهاء الدين العاملي الأديب الحق، المتفوق على معاصريه الذي يحمل في أساس تكوينه ما يميّزه عن البشر الآخرين، إنه من تلك النخبة من البشر الذين حباهم الله عز وجل بصيرة تدرك أبعد مما يدركه الآخرون، ثم هذا الغنى اللغويّ، الذي يزاوج الامتلاء المعنويّ، بحيث لا يجورُ عليه أو يقصّر عنه، ونشعر ونحن نقرأ هذه النصوص بطواعية اللغة، وسهولة انقياد اللّفظة له دون كدّ في التفتيش عن شواردها.

الكشكول

ذكر المحبّي أنه رأى الكشكول وطالعه مرّة بالروم (القسطنطينية)،

---

(١) *أعيان الشيعة* ج٩ ص ٢٤٠.

ومرة بمكة، ونقل عنه أشياء غريبة[1]، وذكر الخفاجي أن البهائي ألّفه في مصر «جمع من أزواد فضله مجموعة سماها «الكشكول»، طالعتُها فرأيت فيها ما تنشرح له الصدور، وتحلّ عقدة الإشكال عن كل مصدور»[2]، وذكر أبو المعالي الطالوي أنّ البهائي «دخل مصر وألّف بها كتاباً سمّاه الكشكول، جمع فيه كلّ نادرة من علوم شتى»[3]، وقد اعتمد بعض الدارسين، المعاصرين على هذه المقولة، ليؤكدوا أن البهائي ألَّف كتابه هذا في مصر.

الحقيقة أن كتاب الكشكول لم يؤلّفه صاحبه دفعة واحدة، ولم ينته من تأليفه في مصر كما ذُكِر، ويظهر من مواضع به أرّخ فيها بعض الحوادث أنه ابتدأ فيه سنة ٩٩٢هـ، وهو في مصر، وجمع شيئاً من مادته في رحلة الحج التي زار في أثنائها مصر والشام، ولعلّه فكّر خلال رحلته بتسجيل خواطره، ومطالعاته، فحمل دفتراً سجّل فيه ما وقع عليه نظره، أو مرَّ بخاطره، أو طالعه. يقول: «من كلام الأستاذ الأعظم الشيخ محمد البكري الصدّيقي، خُلّدَتْ أيام إفادته، وهو ما كتبتُه عنه بمصر المحروسة سنة ٩٩٢هـ»[4]، إن في إيراد الخبر بصيغة الماضي، والتأكيد على السنة التي وقع فيها، دلالةً على أنَّ البهائي لم يُتمّ تأليفه في مصر كما قيل، وإنما بدأ بتسجيل بعض حوادثه عندما كان في مصر، وتابع عمله فيه بعد ذلك، يؤيد ذلك قوله في مكان آخر: «الذي بالقسطنطينية في يومنا هذا من العمارات، من تقرير بعض الثقات وخطه سنة ٩٩٢هـ»[5]، مما يوحي أنه كان يقرأ شيئاً قديماً يحمل تاريخ ٩٩٢هـ، فهو يكتب ما قرأه بعد هذا

---

(١) *خلاصة الأثر* ج٣ ص ٤٤١.

(٢) *ريحانة الألبا* ج١ ص ٢٠٨.

(٣) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص ٤١٨ نقلاً عن أبي المعالي الطالوي.

(٤) الكشكول. ط. دار الكتاب ج١ ص ٤٠.

(٥) الكشكول ص ٤٢.

التاريخ، ولو كان تاريخ كتابته هو هذه السنة، لكان قال: «وخطه هذه السنة»، ويزيد الأمر وضوحاً وثقة قولُه في المقدّمة، أنه لم يكتبه دفعة واحدة وإنما: «تركت بعض صفحاته على بياضها لأقيّد ما يسنح من الشوارد في رياضها»[1].

لقد أودع البهائي الجزء الأول منه سجلاً لرحلته، إذ ذكر فيه إلى أين ذهب ومن التقى، وفي حين تسيطر على جزأيه الأوّلين نزعة عرفانية لا تخطئها العين، نجد أن بقية أجزائه تسودُها الملاحظات والمناقشات العلميّة البحتة، ومع ذلك فإنّ في موضوعات أجزائه تداخلاً زمنياً واضحاً. مثلاً نجد في الجزء الأول أشعاراً قالها سنة ١٠٠٨هـ حين عودته من زيارة المشهد الرضوي[2]، بينما نجد في الجزء الثالث سانحة دوّنها حوالي سنة ٩٩٣هـ[3]، يقول فيها: «أنت في الأربعين مثلك في العشرين، قل لي متى يكون الفلاح»؟، وفي أواخر الكشكول أورد قصيدة للشاعر «محتشم» يمدح بها «پريخان خانم»، ابنة الشاه طهماسب أخت السلطان محمد خدابنده المقتولة سنة ٩٩٣هـ[4].

ومما يرجّح أنه لم يكتبه كلُّه في مصر، تدوينُه فيه بعض القصائد التي كان قد قالها قبل رحلة الحج ومنها القصيدة التي رثى فيها والده قبل رحلة الحج بما يقارب السنوات السبع..

هذا وإن آخر تاريخ ورد في الكشكول هو سنة ١٠٠٨هـ، فإذا حسبنا هذا التاريخ هو آخر كتابته فتكون مدة تأليفه قد استغرقت أكثر من ستة عشر عاماً.

---

(١) مقدمة الكشكول ص١.
(٢) المصدر السابق ج١ ص ٢٢٧.
(٣) المصدر السابق ج٢ ص ٣٩.
(٤) المصدر السابق ج٣ ص ٣١٧.

التسمية

«كشكول» أو «كجكول» أو «خچكول» أو «كشكل» بالفارسية، هو جراب الدراويش يجمعون فيه حاجاتهم، ويصبّون فيه ما يشربون، وقد جرت العادة أن يكتب على ظهر الجراب، أشعار الدراويش وعباراتهم وشعاراتهم[١].

وهو أيضاً جراب المكدّين يعلقونه في رقبتهم ويضعون فيه ما يحصلون عليه من طعام الناس، ومن هنا فإنه يحتوي على أطعمة مختلفة متباينة.

هذا وإن الشيخ البهائي لم يكن أول من ألف كتاباً متنوع الموضوعات، وسماه بهذا الاسم، بل لقد استخدم هذه التسمية عدد من المؤلفين قبل البهائي وبعده، منهم قبله على سبيل المثال لا الحصر كتاب «الكشكول في ما جرى على آل الرسول» للسيد حيدر بن علي الآملي من علماء القرن الثامن للهجرة في إيران، وقد ألّفه سنة ٧٣٥هـ[٢]. وكذلك بعده نذكر كتاب «الكشكول» للحاج محمد تقي الدهخوار قاني المتوفى سنة ١٠٩٣هـ[٣]، وكتاب «الكشكول» للشيخ يوسف البحراني من علماء القرن الثاني عشر الهجري[٤] كما أن للسيد حيدر ابن السيد نور الدين الموسوي العاملي الجبعي ابن أخي صاحب المدارك[٥] كتاباً اسمه «الكشكول».

---

(١) فرهنگ فارسى. د. معين ج٣ ص ٢٩٨٨ ولغت *نامه* مج ٢٠ ص ٥٦٤.

(٢) «الكشكول في ما جرى على آل الرسول» منشورات مؤسسة البلاغ بيروت ١٤٠٧هـ.

(٣) تجد ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص ٢٥١.

(٤) تجد ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٣ ص ٨.

(٥) تجد ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٦ ص ٢٧٣.

سبب التسمية

أما سبب تسميته لكتابه بالكشكول فهو ما ذكره في مقدمته. . . «ولما لم يتّسع المجال لترتيبه، ولا وجدتُ من الأيام فرصةً لتبويبه بعثته كسقط مختلط رخيصُه بغاليه، أو عقدٍ انفصم سلكُه فتناثرت لآليه، وسمّيته بالكشكول ليرادف اسمه اسمَ أخيه، ولم أذكر شيئاً مما ذكرتُه فيه، وتركتُ بعض صفحاته على بياضِها، لأقيّد ما يسنح من الشّوارد في رياضها، كيلا يكون عن سمت ذلك نكول، فإن السائل في معرض الحرمان إذا امتلأ «الكشكول».

إذاً فقد سمّاه الكشكول لأنه يحتوي على موضوعات متباينة لا جامع بينها إلا شخصية صاحبها.

تنوع موضوعاته

ليس ثمّة جدول من جداول المعرفة في عصره، إلا تسربت منه فروعٌ ومنعطفاتٌ إلى هذا الكتاب، إنه يشبه تمام الشبه معرضاً من المعارض الحديثة، يعرض فيه جميع ألوان المعارف، بشكل مشعّث، لذلك يمكن أن نعدّه من أروع الكتب، وأكثرها فائدة، وأجمعها لفنون المعرفة، وقد طارت شهرته في الآفاق، واشتهر شهرة كبيرة في الأوساط العلميّة والأدبيّة، حتى أنَّ شهرته غلبت على شهرة كتب البهائي الأخرى. . .

ونحن حين نتوغّل في الكتاب نستقصيه بحثاً واطلاعاً، تتبيّن لنا ميزاته، وما اشتمل عليه من مسائل مختلفة وأحاديث متفاوتة، وطرائف متنوعة، ليس لها ترتيب أو تبويب أو ترقيم، وإنما سجّلت حسب استطراق الذهن إليها، أو عرضها عليه، أو تأثره بها، وهي تدور حول

ما اختلف فيه نظرُ العلماء، ودقَّ فهمه وتفسيره من مشكلات الحديث، وعلم الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والتصوّف، والأخلاق، أو علم التفسير والتجويد، والقراءات، أو علم النحو والصّرف ومفردات اللغة، والقطع الشعرية أو النثرية، التي طُويَتْ على حكمة أو عبرة أو توجيه، وعلى التأريخ والأمثال، إلى جانب تعريفات عن الكيمياء والسيمياء والنيرنجات، التي هي كما يقول من الشعوذة، وليست من السحر، وعلم الطلاسم والجفر، وحتى الموسيقى، كما أن فيه الكثير من الألغاز الشعريّة والنثريّة، وترجمة لجماعة من مشاهير العلماء والشعراء، وفيه كذلك بعض الوصفات الطبية والمنزلية... وفيه فصلٌ كبير عن ما التبست معانيه وبُعدت مقاصدُه من عبارات الصحيفة السجاديّة، اجتهد المؤلف في تفسيرها، وتأويلها، وتقريبها إلى الأفهام... كما أن فيه أبحاثاً مستلّة من كتبه الأخرى، ومعظم شعره العربي والفارسي.

وبعدُ فإنّ كتاب الكشكول، كتابَ ثقافةٍ عامة تغلبُ عليه صفةُ الموسوعية، وهو أشبه بحيوان الجاحظ، من حيث تنوعُ الموضوعات وغزارتها، غذّاه بأدقّ العبارات، وأندر الحكايات، وهو يحتوي على شذرات من كل علم وفن.

...«فسرّحْ نظرَك في رياضه، واسقِ قريحتك من حياضِه، وارتعْ بطبعك في حدائقه، واقتبس أنوار الحكم من مشارقه، وعضّ عليه بناب حرصك عضاً، ولا تفضّه على من كان غليظ القلب فظّاً، واتخذه وأخاه(١) جليسين لوحدتك، وأنيسين لوحشتك، وموجبَيْن لسلوتِك، وصاحبَيْن في خلوتك، ورفيقين في سفرك، ونديمين في حضرك، فإنهما جاران بارَّان، وسميران سارّان، وأستاذان خاضعان، ومعلّمان

---

(١) يقصد المخلاة.

متواضعان. لا بل هما حديقتان تفتّحت ورودُهما، وخريدتان تورّدت خدودُهما، وغانيتان لابستان حللَ جمالهما، مائستان في برود جلالِهما، فصنهما عن غير طالبهما، ولا تبذلهما إلا لخاطبهما.

فمن منحَ الجهّال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم[١]

إن هذا الكتاب معرضٌ لثقافات البهائي المتداخلة والمتنوعة، يفكّر ويكتب باللّغتين العربية والفارسية، فهو إذا ما كتب نادرة أو مثلاً باللغة العربية، تراه يستطرد إلى ذكر معنىً مشابهٍ له بالفارسية، وبالعكس، فلا تجورُ إحدى اللّغتين على الأخرى ولا تزاحمها، وإنما تصدر جميعاً عن كاتب واحد ومنهج واحد.

وقد ضمّ الكتاب إضافة إلى معظم أشعار البهائي بالعربية والفارسية، مباحث علميَّة مستلّة من كتبه الأخرى، وسوانحَه، وكذلك شواهدَ شعرية لما يزيد على مائتين وتسعين شاعراً بالعربية وست وسبعين شاعراً بالفارسية، وقد ضمّت جمهرةُ الشعراء مختلف الجنسيات والمذاهب والعصور[٢].

مع أهم الموضوعات التي عالجها البهائي في كتاب الكشكول، إلى جانب أشعاره، التي دوّنها بالعربية والفارسية، وبعض السوانح التي

(١) الكشكول «المقدمة ص١» ويتضح في هذا المقطع استلهام تعريف الجاحظ للكتاب في مقدمة كتاب الحيوان، يقول الجاحظ: «هو (الكتاب) نعم الجليس والعدّة ونعمَ النشرةُ والنزهة... ونعمَ الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة... ولست أعلم جاراً أبّر ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية... وبعد فمتى رأيت بستاناً يحمل في ردن، وروضة تقل في حجر، وناطقاً ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء»..

(٢) لقد أحصى السيد مهدي الخرسان في مقدمة الكتاب الكشكول أسماء الشعراء العرب والفرس وصنّف أسماءهم بحسب الحروف، كما صنّف قصائدهم بحسب العروض أيضاً: مهدي الخرسان «مقدمة الكشكول ص ١٣٢ وص ١٣٤».

بدا فيها نَفَسُه العرفاني الصّادق، وبعض النفحات الفلسفية، والتي سنتكلم عنها كلّ على حدة، نرى في موضوعات الكشكول خيطاً جامعاً هو النظام الفكري لبهاء الدين العاملي، لأنه كان يدوّن ما يقوله هو، ويدوّن ما يعجبه مما يسمع أو يقرأ، مما يتلاءم مع منهجه الفكري، التعليمي، ودعوته المعلمين أن ينوعوا الموضوعات لتلاميذهم تحقيقاً للفائدة. فهو إذ يدعو إلى **العزلة**[1] مثلاً، يختار أيضاً من أقوال الزهّاد والحكماء ما يؤيّد هذا المدّعى[2].

وفي دعوته إلى **العمل للآخرة** وفي **ذم المناصب** **وانتقاد** العلماء الذين يلازمون السلطان ينطلق متدرجاً من التجربة الذاتية إلى التعميم[3]، ونراه يختار من الأقوال والحكم ما يناسب منحاه الفكري، ويحذّر من العلماء الذين أحبوا الدنيا[4]، وكأني ببهاء الدين العاملي يحذّر تلاميذه من مستقبل ينتظرهم إن هم لم يلبسوا للعلم لبوسَه[5]، فنراه يعظهم بكلامه وبكلام غيره[6].

هو يعقّب أحياناً على قول أو حكم بما ينقضه إذا لم يصل إلى مستوى زهده وعرفانه وتقواه هو، مثال ذلك قوله لبعضهم:

دَع الأيام تفعل ما تشاء وطبْ نفساً إذا نزل البلاءُ
ولا تجزع لحادثةِ الليالي فما لحوادث الدنيا بقاءُ

(١) الكشكول ج١ ص ٢١٣.
(٢) المصدر نفسه ص١٢ وص ١٧ وص ١٨.
(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٩٣.
(٤) الكشكول ج١ ص ٢١٦.
(٥) المصدر نفسه ج١ ص ٣٥ وص ٢٣٢ وص٢٨٩.
(٦) المصدر نفسه ج١ ص١٢ وص١٩٧ وص٢٣٩ وص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ وص ٢٦٠ وص ٢٩٢ وص ٣٢٠.

إذا مــا كـنـت ذا قـلـب قـنـوعٍ فـأنـت ومـالِـكُ الـدنـيـا سـواءُ

قال جامع الكتاب: لا والله، فإنَّ صاحب القناعة ومالكَ الدنيا غيرُ متساويين، كما قاله صاحب الأبيات، بل صاحب القناعة أقلّ حزناً وأطيب نفساً وأقرّ عيناً، ولله درّ من قال:

ومـن سـرّه أن لا يـرى مـا يـسـوؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا[1]

ولقد أكثر البهائي من إيراد أحاديث كبار المتصوفة كابن عربي والجُنيد وسمنون المحب وابن سهل الصعلوكي الصوفي والشيخ سعيد أبي الخير وغيرهم، وهدفه من بعض هذه الأحاديث الدفاع عن المتصوفة، والرد على الذين اتّهموهم في عصره بالكفر ورموهم بالضلال، كقوله نقلاً عن إحياء علوم الدين للغزالي: «رُئيَ الشبلي (دلف بن حجدر أو جعفر بن يونس الخراساني أحد العلماء في القرن الرابع وكان محدّثاً مالكي المذهب، وصَحِبَ الجُنيد وتوفي سنة ٣٣٤هـ وله من العمر ٧٨ سنة) في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: ناقشَني حتى يئستُ، فلمّا رأى يأسي تغمّدني برحمته»[2].

ونراه في مكان آخر ينتقد المرائين من«المتفيقهة»[3]، يقول: قال بعض العبّاد أعدت صلاة ثلاثين سنة كنت أصلّيها في الصف الأول، لأني تخلّفت يوماً لعذر فما وجدت موضعاً في الصف الأول، فوقفت في الصف الثاني، فوجدت نفسي تستشعر خجلاً من نظر الناس إليَّ، وقد سُبِقْتُ بالصف الأول، فعلمت أن جميع صلاتي كانت مشوبة بالرّياء، ممزوجة بلذة نظر الناس إليَّ ورؤيتهم إيّاي من السابقين إلى

(١) المصدر نفسه ج١ ص١٢.

(٢) الكشكول. أعلمي ج١ ص ٣.

(٣) التعبير للبهائي في مثنوي «نان وحلوى».

الخيرات[1]:

«زار بعضُ العلماء بعض العبَّاد، ونقل له كلاماً عن بعض معارفه، فقال له العابد: قد أبطأت في الزيارة وجئتني بثلاث جنايات: بغَّضتَ إليَّ أخي، وشغلتَ قلبي الفارغ، واتَّهمتَ نفسَك»[2].

«قال بعضُ العارفين: إذا كان أبونا آدم بعدما قيل له: اسكن أنت وزوجَك الجنّة، صدر منه ذنب واحدٌ فأُمر بالخروج من الجنة، فكيف نرجو نحن دخولها مع ما نحن مقيمون عليه من الذنوب المتتابعة، والخطايا المتواترة»[3].

وكما أن البهائي انتقد في شعره الذين صرفوا أوقاتهم في اقتناء الكتب ومطالعتها، وفي تسويدها وتحبيرها، كذلك يورد على لسان أحد العارفين قوله:

«إن وارث النبي ﷺ من اقتدى به في الأفعال والأخلاق، لا من لا يزال يسوّد بأقلامه وجوهَ الأوراق»[4].

عالج البهائي كذلك في كتاب الكشكول موضوعات ثقافية متنوعة الأغراض تنم عن ثقافته الواسعة، وتدل على معرفته بخبايا النفس الإنسانية، لشدّة معاناته للواقع ومعايشته للخلائق، كمعالجته موضوع «اختلاف تأثير المعنى الواحد بحسب الإجابة»[5]. لأنَّ المعنى الواحد

(١) الكشكول. أعلمي ج١ ص ١٢.
(٢) الكشكول ص ١٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٦٢.
(٤) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠٣.

يختلف تأثيره في النفس بسبب قبح الأداء وحسنِه[1]، كما يرى أنَّ بسط الكلام مع الأحباب مطلوب، وعلى هذا المنوال جرى قول موسى عليه السلام، ﴿هِيَ عَصَايَ...﴾ الآية[2].

وانطلاقاً من معرفته بخصائص النفس البشرية لم يتوانَ البهائي عن تقديم بعض الآراء التي تعبّر عن معرفة وثيقة بالأخلاق الإنسانية، فهو يرى أن حسن الخلق، ربما تغيّر إلى الشراسة والبذاء لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعلُ اللِّين خشونةً والطلاقة عبوساً، وهذه الأسباب تنحصرُ بالاستقراء في سبعة أمور[3]. . ، وكما يوضّح هذه الأمور السبعة، يرى أن معرفة الأخلاق الإنسانية، تؤدي إلى معرفة أسباب المودّة بين الناس، وقواعد الأخوّة، «لأنَّ كل إنسان يروم مثلَه ويقتضي شكلَه، وبما أن الخيار في كل جنس هو الأقل، وذوي العقل والفضل أقل من ذوي الحمق والجهل، كان وفور العقل وظهور الفضل عند أحد الناس يقتضي من حال صاحبه قلَّة إخوانه، وهذا هو السبب في قلة إخوان أصحاب الفضل، وكثرة أصحاب الموصوفين بالجهل»[4].

وقد يعالج أحياناً في كتابه بعض المسائل التي تحتاج إلى توضيح، وفي الغالب الأعم، ربما كانت هذه المسائل إجابة عن سؤال معين يوجهه له أحد تلامذته أو استدراكاً لخطأ شائع، أو معرفة ناقصة: كمسألة الخلط عند المتكلمين بين الثنوية والوثنية[5]، وكيفية تولّد

(١) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٤٨.
(٢) الكشكول ج٣ ص ٥.
(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠.
(٤) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٧٣.
(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ١٢٦.

عيسى ﷺ، ردّاً على تأويل أحد مشايخ الصوفية لقصة مريم[1]، ويذكر رأي النصارى في الأقانيم، ويتحدث عن فرقهم المشهورة[2]، ويورد بحثاً مفصلاً عن أسفار التوراة، ومراتب كتّاب بني إسرائيل[3]، كما يورد في مكان آخر تعريف «الشطرنج» وسببَ وضعه، ورأيه في هذه اللعبة[4].

ويقسّم البهائي **العلوم** إلى جليّة وخفيّة:

فالجليّة: هي العلوم المتداولة بين الطلاب التي تتذاكر في المدارس والمجالس، وكتُبُها مشهورة، وأما الخفية فهي مستورة. . . ولم يزل الحكماء يبالغون في إخفائها، إنهم وضعوا فيها رموزاً، واخترعوا في كتابتها أنواعاً من الخط غيرِ المرسوم المعهود، وهي تنقسم خمسة أقسام: الكيمياء، والليميا (الطلسمات)، والهيميا (التسخيرات)، والسيميا (التخيلات)، والريميا (الشعبدات)[5].

ويعرّف السحر[6]، والطلسمات[7]، والسيميا[8]، كما يعرّف كتابي الجفر والجامعة[9].

ومن الموضوعات العامة التي يعالجها البهائي: أنواع النار عند

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص ٣٢٠.
(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠٠.
(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٢٢.
(٤) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٨.
(٥) الكشكول ج٣ ص ٣٥٤ ويذكر البهائي كذلك أهم الكتب التي رآها في هذه الفنون.
(٦) المصدر نفسه ج٣ ص٢٧ وج٢ ص٣١٠.
(٧) المصدر نفسه ج١ ص ٢٢٢ وص ٣١٢.
(٨) المصدر نفسه ج٢ ص ٢١٩ و٤٤٤.
(٩) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٢٠ وص ٣٢١.

العرب[١]، وأفضل طرق الترجمة[٢]، وأسماء الشهور عند العرب[٣]، كما يعرّف علمَ الموسيقى وكيفية تأليف اللحون واتخاذ الآلات الموسيقية، والأنغام والإيقاع[٤].

وفي الكشكول مباحث طبية نقلها عن ابن سينا وأرسططاليس وجالينوس[٥]، والنفيسي[٦]، ويورد بحثاً حول تشريح الساق من «شرح القانون» للقرشي[٧]، ومن كتاب «التوضيح في علم التشريح» بحثاً حول الكعب[٨]. وله بحث حول الأنف والعين وأمراض العين[٩]، ويورد بحثاً للشيخ الرئيس في «القانون» في تشريح القدم، ثم يقدّم بعده كلام «القُرشي» في «شرح القانون» على الموضوع نفسه ويعلّق بقوله: «قال جامع الكتاب: كلام هذا الشارح غير منطبق على كلام الشيخ الرئيس، فإنَّ كلام الشيخ ظاهر في أن تقعير الأخمص يوجب الميل إلى الجهة المضادة لجهة الرجل المشيلة، ودليله على ذلك إلى آخر كلامه لا بأس به، وإن أمكن خدشه فليتأمل[١٠]. ويردّ على أقوال الأطباء إذا وجد أنها تتنافى مع العقل والمنطق، كانتقاد النفيسي في بحث الصداع[١١]، كما

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص ٦٨.
(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ١٠٠.
(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ١٣٣.
(٤) المصدر نفسه ج٢ ص ١٩٩.
(٥) الكشكول أعلمي ج٢ ص ٢٢١ وط دار الكتاب ص ٤٤٦.
(٦) المصدر نفسه دار الكتاب ص ٦١٦.
(٧) المصدر نفسه أعلمي ج٢ ص ١٨٠ وط دار الكتاب ص ٤٠٣.
(٨) الكشكول ج٢ ص ١٨٠ لم يورد اسم صاحب الكتاب.
(٩) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٨٧.
(١٠) المصدر نفسه دار الكتاب ص ٥٥٥.
(١١) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٥٣.

ناقش آراء الحكماء حول وجود المزاج المعتدل وعدمه[1]. وذكر من المباحث الطبية ما له فوائد عامة[2].

كما نرى في كتاب الكشكول مع أكثر المباحث رصانة، بعضَ النصائح، يقدمها البهائي لقرّائه، وربما كان يقدّمها لتلاميذه في حصص الفراغ، في كيفية قلع الدسومة عن الثوب، وفي قلع الأصباغ، وقلع آثار الدم، وقلع أثر الزعفران، وقلع أثر العنب والرمان والخوخ والتوت[3]، لكل منها طريقة خاصة يوردها البهائي بالتفصيل، حتى أنه يذكر الصفات المحمودة في الخادم[4].

الطرائف:

مع أدقّ الحكايات وأكثرها فائدة، وبين الموضوعات العلمية والهندسية، ومباحث الفقه والتصوف والفلسفة، والحكم الخالدة المبثوثة في طيات الكشكول، نعثر هنا وهنالك على طُرفةٍ تُجمّ النفس وتروّحُ عنها:

«مرّ بعض الصوفية ببغداد، وإذا بسوقي ينادي: الخيارُ عشرةٌ بدرهم، فلطم الصوفيّ وجه نفسه وقال: إذا كان الخيار عشرةً بدرهم فكيف بالشّرار»[5]، «قال بعض الأدباء: من حكى لك أنَّه رأى مكاريّاً حسن الخلق، أو قوّاداً سيىء الخلق، أو سائساً لا يسرق الشعير، أو خيّاطاً لا يسرق ما يخيطه، أو أعمىً لا يكون ثقيلاً، أو معلّم أطفال

(١) المصدر نفسه ج٢ ص ٧٧.
(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ١٢٢.
(٣) الكشكول ج٣ ص٢٢٩ و٢٥٣ و٢٥٤.
(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٢٨٤.
(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ١٦٥.

ليس قليل العقل، أو قصيراً غير متكبّر، أو طويلاً غير أهوج فلا تصدّقه في ما ادّعاه أبداً»[1].

«أكل أعرابي» مع معاوية، وجعل يمزّق جدياً على الخوان تمزيقاً عنيفاً، ويأكله أكلاً ذريعاً، فقال له معاوية: إنَّك تمزقه كأن أمَّهُ نطحتْكَ، فقال الأعرابي: وأنت تشفق عليه كأنَّ أمَّه أرضعتك»[2].

«مرّت أعرابية بقوم يشربون، فسقوها، فلمّا شربت أقداحاً وجدت خفةً وطرباً، فقالت: أيشرب نساؤكم في العراق من هذا؟ فقالوا: ربّما شربْن، فقالت: فما يدري أحدُكم من أبوه، زَنَيْنَ إذن وربّ الكعبة»[3].

ويُروى: «أنه كانت بالمدينة امرأة شديدة الإصابة بالعين زارت أشعب وهو على فراش الموت، فقال لها يا فلانة، إن كنت قد استحسنت شيئاً مما أنا فيه فصلّي على النبي ﷺ فقالت سخنتْ عينُك وفي أي شيء أنت حتى استحسنه، إنَّما أنت في آخر رمق، فقال أشعب: قد علمت ذلك، ولكن قلت لا تكونين قد استحسنت خفّة الموت عليّ وسهولة النزع، فيشتدّ ما أنا فيه، فخرجَتْ من عنده، وهي تشتمه، فضحك من كان حوله، حتى أولادُه ونساؤه ثم مات».

قال (البهائي) ويقرب هذه الحكاية من وجه: ما يُحكى عن الظريف نادرة العجم ملّا صنّوف، إنه لما احتضر، أتوه برجل يقرأ عنده القرآن، وكان الرجلُ رديء الصّوت جداً، فلما طوّل القراءة، قال له ملّا صنوف بالفارسية: «ملّا بس كنْ من مردم» وترجمة قوله: (أيّها الملّا توقف، لقد متّ) ومات لوقته»[4] وغيرها كثير[5].

---

(١) المصدر نفسه ج٣ ص ١٧٠.

(٢) و(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ١٠٥.

(٤) الكشكول ج٣ ص ٣٢٦.

(٥) المصدر نفسه ج٢ ص ٤٩ وج٢ ص ٦٠ وج٢ ص ١٣٦ وج٣ ص ٦.

وكلمة في أسلوب الكشكول التأليفي

أما الأسلوب التأليفي لكتاب الكشكول فيتلخص في ما وصفه به مؤلفه بعد تعريف كتاب المخلاة بقوله: «ثم عثرتُ بعد ذلك على نوادر تتحرك لها الطباع، وتهشّ لها الأسماع، وطرائف تسرّ المحزون، وتزري بالدرّ المخزون ولطائف أصفى من رائق الشراب، وأبهى من أيام الشباب، وأشعار أعذب من الماء الزلال، وألطفَ من السّحر الحلال، ومواعظ لو قُرِأتْ على الحجارة لانفجرت، أو الكواكب لانتثرت، وفقر أحسن من ورد الخدود، وأرقّ من شكوى العاشق حال الصدود، فاستخرت الله تعالى، ولفّقت كتاباً ثانياً، يحذو حذو ذلك الكتاب الفاخر، ويستبين به صدق المثل السائر، فكم ترك الأول للآخر، ولما لم يتّسع المجالُ لترتيبه، ولا وجدتُ من الأيام فرصة لتبويبه، بعثته...»[1].

يتضح من هذا القول، أنه لم يورد في الكشكول شيئاً مما ورد في المخلاة، وإنما قصد أن يكون متمماً لها، كما يتضح أنه لم يكتبه دفعة واحدة، وإنما هو خواطر نثرية وشعرية سنحت له فسجّلها، وطرائف ومواعظ وأشعار، قرأها فأعجبته، فأثبتها فيه دون تبويب.

ويبرز في أسلوبه التأليفي اتجاهان واضحان:

أولاً: الاتجاه الرياضي الذي يبرز في معالجته للمسائل العلمية.

ثانياً: الاتجاه العرفاني الصوفي، إذ أكثر فيه من أقوال الزهّاد والعبّاد والعارفين والمتصوفة وقصصهم، كما نجد انعكاس ذلك بارزاً في أقواله وأشعاره عامة.

---

(١) الكشكول المقدمة ص١.

كذلك يظهر فيه أسلوب البهائي **المعلم**، الذي يلجأ إلى تنويع المواضيع رغبة في إتمام الفائدة.

كما أن عنصرَ **الاستطراد** في الكتاب سمةٌ من أبرز سماته، إذ إنَّه ينتقل من باب إلى باب ومن خبر إلى خبر ومن شعر إلى فلسفة، ومن جدّ إلى هزل، في تشعّب هائل يذكّرنا بما قاله الجاحظ عن كتاب الحيوان: «... وقد عزمت أن أوشّح هذا الكتاب وأفصّل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر، وضروب الأحاديث ليخرج قارىء هذا الكتاب من باب إلى باب، ومن شكل إلى شكل، فإني رأيت الأسماع تملّ الأصوات المطربة، والأغاني الحسنة، والأوتار الفصيحة إذا طال ذلك عليها»[1].

وننقل في ما يلي أنموذجاً للاستطراد من موضوع إلى آخر دون أن يكون ثمَّة صلةٌ بين واحدها والآخر:

... «نبذ من كلام جار الله الزمخشري: من زَرَعَ الإحن حصد المحن، كثرة المقالة عثرة غيرة مقالة... وبعد أكثر من خمس عشرة حكمة على هذا النسق، يروي قصّة، رجل من أهل الفساد، لم تجد زوجته حين وفاته من يصلي عليه لاشتهاره بالفساد، فاستأجرت من حمل جنازته إلى الصحراء للدفن، وكان على جبل قريب من الموضع زاهد مشهور، فرأوه كالمنتظر للجنازة، فقصدها ليصلي عليها، فانتشر الخبر في البلد أن فلاناً الزاهد نزل يصلي على فلان، فخرج أهل البلد فصلّوا معه عليها، وتعجّب الناس من صلاة الزاهد، فقيل له في ذلك، فقال رأيت في المنام قائلاً يقول لي: انزل إلى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلِّ عليها فإنه مغفور له...» وبعد أن تنتهي

(١) الحيوان «المقدمة».

هذه القصة، وبدون أن يكون هنالك أي رابط مع ما تقدم يقول:

«يحصل جذر الأصم بالتقريب، بأن تأخذ أقرب الأعداد المجذورة إليه ويسقط منه ويحفظ الباقي، ثم تأخذ جذرَهُ وتضعّفُه وتزيدُ عليه واحداً، ثم تنسب ما يبقى بعد الإسقاط إلى الحاصل، ثم تزيدُ على جذره حاصلَ النسبة فالمجتمع جذر الأصم».

وبعد هذه المسألة الجبرية التي لا علاقة بينها وبين القصة التي سبقتها يقول: «لما مات المهدي لبست جواريه مسوحاً سوداً وفي ذلك يقول أبو العتاهية:

رُحنَ بالوشيِ وأصبحنَ عليهن المسوح
كلّ نطّاح وإن عاش له يومٌ نطوح
بين عينيّ كلٌ حيٍّ عَلَمُ الموت يلوح
كلّنا في غفلة والموتُ يغدو ويروح
أحسنَ الله بنا أن الخطايا لا تفوح
نح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتنَّ ولو عُمّرت ما عُمّرَ نوح[1]

ونضيف إلى هذا الأنموذج الذي قدمنا للاستطراد من موضوع إلى موضوع آخر، لا رابط حقيقيًا بينها في الغالب، أنه كان أحياناً ينقل فصلاً بكامله يكون قد قرأه في كتاب في أربع صفحات أو ست أحياناً، ويدور حول موضوع واحد كالفصل الذي نقله من رسالة للشريف المرتضى حول أجود ما قيل في من ضاجع محبوبه وهو مرتد سيفاً في تلك الحال..[2].

(١) الكشكول ط. دار الكتاب ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ وط أعلمي ج١ ص ٢٧٨.
(٢) نفسه ط. دار الكتاب من ص ٥٨٤ ـ ٥٨٧.

ونذكر أنموذجاً آخر للاستطراد في صفحة واحدة، فبعد أن يتحدث عن مراحل التصوف ينقل أقوال بعض الزهّاد، ثم يذكر مسألة جبرية في سطرين، ثم ينقل حكماً من نهج البلاغة، وبعد ذلك ينقل تفسير الرازي لآية قرآنية[١].

مصادر الكتاب:

إن مصادر الكتاب الأساسية هي كتب البهائي الأخرى وأشعاره باللغتين العربية والفارسية، هذا بالإضافة إلى مجموعة معارف مستقاة من كتب التفسير والكلام والحديث والفقه، والفلسفة والتأريخ والأدب وغيرها، تناهز المائة وخمسين كتاباً إضافةً إلى معلومات وبحوث خاصة سجّلها البهائي لنفسه، وتظهر لنا شخصيته فيها واضحة جليّة.

وهو يذكر في الكشكول أنه ينقل عن مجموعة جده شمس الدين محمد ابن علي الحارثي العاملي اللويزاني[٢]، التي قيل إن الشيخ شمس الدين شحنها «من طرائف الفوائد ونوادر الفرائد» نظماً ونثراً، وإن الشيخ شمس الدين أكثر النقل عن مجموعة الشهيد الأول التي كانت عنده بخطه[٣].

وتجدر الإشارة إلى الكتب التي ورثها عن حميه (والد زوجته)، إذ لا شك أنه نقل منها ما ذكره في كتابه عن بعض عادات الهنود[٤].

وإلى جانب الكتب التي كانت تزخر بها مكتبته، استفاد من رحلته، فاطّلع على بعض الكتب في مصر، كما أنه يذكر صراحة في كتاب

(١) المصدر نفسه ص ٥٩٤.
(٢) الكشكول أعلمي ج١ ص ٢٧٨ وج٣ ص ١٨٧ وص ٤٠٠ وص ٤٦١.
(٣) تكملة أمل الآمل ص ٣٥٦.
(٤) الكشكول ج١ ص ٧.

الكشكول أنه اطّلع على كتاب «الأغاني» في القدس ونقل عنه بعض المعلومات[١]، كما أنه ينقل عن كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في أكثر من موضع[٢]، وفي حديثه عن عجائب الحيوان، ينقل عن كتاب «الدّميري» «حياة الحيوان» الذي ينقل بدوره عن ابن الأثير[٣].

وهو غالباً يذكر المصدر الذي ينقل عنه أول مرة، بل وأحيانا يصفه معرّفاً كقوله مرّة: «قال المحقق الزركشي[٤] في شرحه على تلخيص المفتاح، الذي سماه «مجلى الأفراح » وهو كتاب ضخم يزيد على المطوّل وقفت عليه في القدس الشريف سنة ٩٩٢هـ[٥]» وكقوله مرة: «في آخر المجلس السادس والسبعين من أمالي ابن بابويه»[٦][٧].

أما أهم مصادره تحديداً فهي:

في التفسير: «الكشاف» للزمخشري[٨]، و«شرح الكشاف» للمحقق

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص ١٩.

(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٣.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٢٠.

(٤) **الزركشي**: هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، من أعلام المفسرين والأصوليين، ولد سنة ٧٤٥هـ وتوفي سنة ٧٩٤هـ: مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح ص ١٢٥.

(٥) الكشكول ج١ ص ٢٠.

(٦) **ابن بابويه**: علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبو الحسن، القمي: شيخ الإماميين بقم في عصره، وفاته سنة (٣٨١ هـ ـ ٩٩٣م) له كتب في «التوحيد» والتفسير ورسالة في الشرائع: الوجيزة في الدراية للشيخ البهائي ص ٢٥. الزركلي ج ٤ ص ٢٧٧.

(٧) الكشكول ج١ ص ١٠.

(٨) **الزمخشري**: (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م) محمود بن عمر بن محمد ابن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، من أئمة العلم بالدين والتفسير والآداب ولد في زمخشر من قرى خوارزم، وسافر إلى مكة مجاوراً بها، وتنقّل في =

التفتازاني[١].

وتفسير ابن المنير[٢] وتفسير النيسابوري[٣]، وتفسير أبي الفرج ابن الجوزي[٤]، وتفسير أمين الدين أبي علي الطبرسي[٥] والقاضي البيضاوي[٦]، ....

= البلدان، أشهر كتبه الكشاف في تفسير القرآن و«أساس البلاغة»، الأعلام ج٧ ص ١٧٨.

(١) **المحقق التفتازاني**: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان من قرى خراسان، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنگ إلى سمرقند، فتوفي فيها، ودفن في سرخس. من كتبه «تهذيب المنطق» والمطوّل في البلاغة «والمختصر» ومقاصد الطالبين في الكلام إلخ... الأعلام ج٧ ص٢١٩.

(٢) **ابن المنير**: (٦٥١ ـ ٧٣٣هـ = ١٢٥٣ ـ ١٣٣٣م)، عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير، أبو محمد، فخر الدين الإسكندري المالكي = مفسّر، كانت وفاته بالإسكندرية من كتبه «تفسير» في ستة مجلدات و«أرجوزة» في القراءات السبع، و«ديوان» في المدائح النبوية. الأعلام ج٤ ص ١٧٧.

(٣) **النيسابوري**: (توفي نحو ٥٥٠هـ = ١١٥٥م) محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري، أبو القاسم، نجم الدين: مفسر، لغوي، قال ياقوت: له تصانيف ادّعى فيها الإعجاز: منها «إنجاز البيان في معاني القرآن» الأعلام ج٧ ص ١٦٧. وهو غير النيسابوري المحدّث المعروف بالحاكم أكبر محدثي خراسان في عصره محمد بن محمد بن أحمد بن إسحق أبو أحمد النيسابوري الكرابيسي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ: الوجيزة في الدراية ص١، ح١؛ مباحث في علوم القرآن ص ١٢٠ والأعلام ج٧ ص٢٠.

(٤) **أبو الفرج ابن الجوزي**: (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ = ١١١٤ ـ ١٢٠١م) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، علّامة عصره في التاريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد. الأعلام ج٣ ص ٣١٦.

(٥) **أمين الدين أبو علي الطبرسي**: توفي نحو ٥٤٨هـ (١١٥٣م)، أمين الدين الفضل ابن الحسن بن الفضل الطبرسي. تجد ترجمته في أمل الآمل ج٢ ص ٢١٦ وفي الأعلام ج١ ص ١٧٣ وفي أعيان الشيعة ج٢ ص ٣٨٦.

(٦) **القاضي البيضاوي** (توفي سنة ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة.. من تصانيفه: =

والرازي[1]، وابن حزم[2] **في الحديث** نقل عن الشريف المرتضى[3]، والشيخ المفيد[4]، والكليني[5]، ....

= «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» يعرف بتفسير البيضاوي و «طوالع الأنوار» في التوحيد وغيرها. الأعلام ج٤ ص ١١٠ وقد مدحه البهائي في الكشكول في أكثر من موضع. الكشكول. أعلمي ج١ ص ٥٠.

(١) **الفخر الرازي**: هو الإمام فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، أبو عبد الله، إمام كبير في المعقول والمنقول صاحب التفسير الكبير المشهور «مفاتيح الغيب» مطبوع في ثمانية مجلّدات... وله «معالم أصول الدين» و«أسرار التنزيل» في التوحيد و«المحصول في علم الأصول» الأعلام ج٦ ص ٣١٣ ومباحث في علوم القرآن ص ١٣٠ ج١.

(٢) **ابن حزم**: (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام: أشهر مصنفاته «الفصل في الملل والأهواء والنحل» و«رسائل ابن حزم» و«طوق الحمامة» وغيرها. ترجمته في نفح الطيب ج١ ص ٣٦٤ والأعلام ج٤ ص ٢٥٤ وآداب اللغة العربية ج٣ ص ٩٦، مقدمة طوق الحمامة في الألفة والآلاف تحقيق حسن كامل العبدني، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ـ لا.ت.

(٣) **الشريف المرتضى**: (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ = ٩٦٦ ـ ١٠٤٤م) علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم من أحفاد الإمام الحسين بن علي ﷺ، نقيب الطالبيين وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، له تصانيف كثيرة منها: «الغرر والدرر» ويعرف بـ«أمالي المرتضى»، وغيره، الأعلام: ج٤ ص ٢٧٨، وأعيان الشيعة ج٨ ص ٢١٨، ديوان الشريف المرتضى ج١ ص ١١٧ ـ ١٢٤.

(٤) **الشيخ المفيد**: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، ويعرف بابن المعلم، محقق إمامي توفي سنة ٤١٣هـ ١٠٢٢م، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه، له نحو مائتي مصنف منها «الإرشاد» وغيره، ترجمته في أعيان الشيعة ج٧ ص ٣٣٥ والذريعة ج١ ص ٣٠٢ و٥٠٩ وروضات الجنات ج٤ ص ٢٤ والأعلام ج٧ ص ٢١.

(٥) **الكليني**: (توفي سنة ٣٢٩ هـ ـ ٩٤١م) محمد بن يعقوب بن إسحق، أبو جعفر الكليني، فقيه إمامي من أهل كلين بالري، كان شيخ الشيعة ببغداد، وتوفي فيها من كتبه «الكافي في علوم الدين» ثلاثة أجزاء الأول في الأصول والأخيران في الفروع، صنَّفه في عشرين سنة... لغت نامه مج ٢٠ ص ١٣٧، الأعلام ج٧ ص ١٤٥، الكنى والألقاب ج٢ ص ٤٩٤.

وعن صحيح البخاري[1]، وعن إحياء علوم الدين للغزالي[2].

في التأريخ والأدب: كتاب «الكامل» لابن الأثير[3]، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، الملل والنحلل «للشهرستاني»[4]، وفيات الأعيان «لابن خلكان»[5]، تاريخ اليافعي[6]، . . . .

---

(١) **البخاري**: الإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ويكنى أبا عبد الله، أخذ يحفظ الحديث وهو دون العاشرة، وكتابه «الجامع الصحيح» من أهم كتب الحديث، ولصحيح البخاري شروح كثيرة ذكر منها صاحب «كشف الظنون» اثنين وثمانين شرحاً، توفي البخاري سنة ٢٥٦هـ. مباحث في علوم القرآن ص ١١٨ ج٢.

(٢) **الغزالي**: (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ ـ ١١١١م) محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: الفيلسوف والمتصوف المشهور، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس بخراسان). الأعلام ج٧ ص ٢٢.

(٣) **ابن الأثير**: (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ = ١١٦٠ ـ ١٢٣٣م) علي بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب، من تصانيفه «الكامل» اثنا عشر مجلداً (مطبوع)، مرتب على السنين و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» خمسة مجلدت مرتب على الحروف و«الجامع الكبير» في البلاغة. الأعلام ج٤ ص٣٣٢ وتاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص ٨٠.

(٤) **الشهرستاني**: محمد بن عبد الكريم (٤٧٩ ـ ٥٤٨هـ = ١٠٨٦ ـ ١١٥٣م) محمد ابن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني = من فلاسفة الإسلام. من كتبه «الملل والنحل» و«نهاية الإقدام في علم الكلام» و«الإشارد إلى عقائد العباد» و«تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام» وتفسير «سورة يوسف» بأسلوب فلسفي وغيرها. الأعلام ج٦ ص ٢١٥.

(٥) **ابن خلكان**: (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ = ١٢١١ ـ ١٢٨٢م) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان ـ ويعتبر كتابه «وفيات الأعيان وأبناء الزمان» من أشهر كتب التراجم.. توفي في دمشق ودفن في سفح جبل قاسيون، يتصل نسبه بالبرامكة. ترجمته في وفيات الأعيان ج١ ص٥٥ ودائرة المعارف الإسلامية ج١ ص ٢٥٧ والأعلام ج١ ص ٢٢٠.

(٦) **اليافعي**: (٦٩٨ ـ ٧٦٨هـ = ١٢٩٨ ـ ١٣٦٧م) عبد الله بن أسعد بن علي =

كتاب «المحاسن والأضداد»[1]، كما ذكر بعض الحوادث التاريخية التي وردت في حواشي كتب التفسير.

في اللغة والبيان: «درة الغواص للحريري»[2]، يتيمة الدهر «للثعالبي»[3]، «الفلك الدائر» لابن أبي الحديد[4]، «وأدب الكاتب»، والقاموس المحيط، وكتب التفسير المختلفة.

في الأمثال: أورد فصلاً من «أمثال العرب» المشهورة، وفصلان من أمثال العامة والمولدين، وكما أورد الأبيات الشعرية المشهورة التي ذهبت مذهب الأمثال.

= اليافعي، عفيف الدين، مؤرخ، باحث متصوف، من شافعية اليمن.. من كتبه «مرآة الجنان، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان»، أربعة مجلدات (مطبوع)، الزركلي ج٤ ص ٧٢.

(١) **المحاسن والأضداد**: من تأليف أبي خاتم السجستاني: لغت نامه مج ٤ ص ٢٨٦٦.

(٢) **الحريري**: (٤٤٦ ـ ٥١٦هـ = ١٠٥٤ ـ ١١٢٢م) القاسم بن علي محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري = الأديب الكبير، صاحب «المقامات الحريرية» سماه «مقامات أبي زيد السروجي» ومن كتبه «درّة الغوّاص في أوهام الخواص» و«ملحة الإعراب»، و«توشيح البيان» إلخ. وفيات الأعيان ج١ ص ٤١٩ ونزهة الجليس ج٢ ص ٢. الأعلام ج٥ ص ١٧٧.

(٣) **الثعالبي**: (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ = ٩٦١ ـ ١٠٣٨م)، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: من أئمة اللغة والأدب. من أهل نيسابور كان فرّاءً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ فنبغ... من كتبه «يتيمة الدهر» في تراجم شعراء عصره، و«فقه اللغة»، و«سحر البلاغة»...: تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ٢٨٤ والأعلام ج٤ ص ١٦٤.

(٤) **ابن أبي الحديد**: (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ = ١١٩٠ ـ ١٢٥٨م) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عالم بالأدب من أعيان المعتزلة.. له «شرح نهج البلاغة» «والفلك الدائر على المثل السائر» و«نظم فصيح ثعلب» و«القصائد السبع العلويات» الأعلام ج٣ ص ٢٨٩. ومقدمة شرح نهج البلاغة.

في الفلسفة: مباحث للغزالي وابن سينا والمحقق الدواني[1].

الحكم: أورد حكماً لم يذكر قائليها، قال عنها: «إنها كلمات تستحق أن تكتب بالنور على وجنات الحور»[2] كما أورد حكماً كثيرة للرسول ﷺ وللإمام علي عليه السلام، ولعيسى عليه السلام ولسقراط وأفلاطون وفيثاغورس، ولكبار العارفين، ولكسرى أنو شروان وبزرجمهر، والحسن ابن سهل[3]، ولسمنون المحب[4].. إلخ.

والحقيقة أن كثيراً من الحكم التي وردت في كتاب الكشكول مماثل للحكم التي وردت في جاويدان خرّد «لأحمد بن مسكويه»[5].

---

(١) **المحقق الدواني**: (٨٣٠ ـ ٩١٨هـ = ١٤٢٧ ـ ١٥١٢م) محمد بن أسعد الصديقي الدواني، جلال الدين، قاض باحث، يعد من الفلاسفة، ولد في دوان وسكن شيراز، وولي قضاء فارس وتوفي بها. له «شرح تهذيب المنطق» و«شرح القصائد العضدية».. الأعلام ج٦ ص ٣٢ وفلاسفة الشيعة ص ٣٨٩ والأعيان ج ٦ ص ٤٢٧.

(٢) الكشكول أعلمي ج١ ص ١٣٥.

(٣) **الحسن بن سهل**: بن عبد الله السرخسي، وزير المأمون العباسي... اشتهر بالذكاء المفرط والأدب والفصاحة، وحسن التوقيعات والكرم، وهو والد (بوران) زوجة المأمون... وهو أخو الفضل بن سهل ذي الرياستين: الأعلام ج٢ ص١٩٢ والأعيان ج٥ ص١٠٨.

(٤) **سمنون المحب**: سمنون بن حمزة الخوّاص المتوفى نحو ٢٩٠ هـ = ٩٠٣م، صوفي ناسك من الشعراء، له مقطوعات في غاية الجودة. وهو من أهل البصرة، سكن بغداد وتوفي فيها. الأعلام ج٣ ص ١٤٠.

(٥) **أحمد بن مسكويه**: (المتوفى ٤٢١ هـ = ١٠٣٠م) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي مؤرخ بحاثة، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدّة، ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء، وكان قيّماً على خزانة كتب ابن العميد،... أما كتاب «جاويدان خرّد» فقد نقله إلى العربية الحسن بن سهل أخو الرياستين، وتممه أحمد بن مسكويه إذ أضاف إليه حكم الفرس والهند والعرب والروم... تجد ترجمته في الأعلام ج١ ص٢١٢ وفي أعيان الشيعة ج٣ ص١٧١. وفلاسفة الشيعة ص١١٧.

لم يذكر البهائي رواية أو تأريخاً، أو حادثة، إلا ذكر اسم الكتاب الذي نقلها عنه، واسم صاحبه، وأعطى رأيه في الرواية فإن لم يعلّق في نهاية الرواية مباشرة فمعنى ذلك أنَّه مصدّقها، وإلا علَّق عليها، أو قال إن لم تكن مما يمكن الجزم به: «والله تعالى أعلم».

مثال ذلك، أنه ينقل قصة عن الدّميري في كتابه «حياة الحيوان» نقلاً عن ابن الأثير، ويعقّب عليها بقوله: «قال جامع الكتاب (البهائي) ونظير هذا ما أورده رحمة الله حمد الملَّة المستوفي في كتاب نزهة القلوب وأورده بعض المؤرخين أيضاً.. وكان ذلك في زمن السلطان أو لجايتو خدابنده. والله تعالى أعلم»[(١)].

ومثله بعد أن ينقل مرة أخرى عن «الكامل» لابن الأثير في حوادث سنة ٢٨٥هـ «حدث بالبصرة... وكذا والله تعالى أعلم»[(٢)].

ونلاحظ المنهجية المتّبعة لديه، فإن الكتاب الذي يذكره للمرة الأولى يذكر معه اسم مؤلفه، أما في المرة الثانية فيكتفي بذكر اسم الكتاب فقط. مثال على ذلك قوله: «مما نقله جدي رحمه الله، من خطب السيد الجليل الطاهر، ذي المناقب والمفاخر، السيد رضا الدين علي بن طاوس روّح الله روحه، من الجزء الثاني من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمد بن داود القمي رحمه الله..»[(٣)]، وفي مرة أخرى يقول: من كتاب الزيارات كذا..[(٤)]، ويروي الرواية إيراد المصدّق لها دون تعليق عليها.

---

(١) الكشكول أعلمي ج١ ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٢١.

كما أنه يورد الرواية دون تحديد المرجع إذا كان التاريخ من الأمور المتفق عليها أو المعروفة كذكر الخلفاء العباسيين ومدَّة أعمارهم وسني خلافتهم[1] فلا يذكر مصدراً أو مرجعاً لها، وكذلك دخول القرامطة مكة[2]، أو الحديث عن الذين قتلهم الحجّاج في سجنه صبراً[3].

إضافة إلى العبرة التي يتوخاها من بعض القصص التاريخية، أو تراجم بعض الأعلام، فإنه يناقش الخبر ليثبت صحتَّه أو عدمَها:

«من تاريخ ابن زهر الأندلسي: أبو يزيد البسطامي خدم أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه سنين عديدة، وكان يسمّيه طيفوراً السّقاء لأنه كان سقّاء داره، ثم رخص له في الرجوع إلى بسطام، فلما قرب منها خرج أهل البلد ليقضوا حقَّ استقباله، فخاف أن يدخلَه العجبُ بسبب استقبالهم، وكان ذلك في شهر رمضان، فأخذ من سفرته رغيفاً وشرع في أكله وهو راكب على حماره، فلما وصل إلى البلد وجاء علماؤها وزهّادها إليه، ووجدوه يأكل في شهر رمضان قلَّ اعتقادهم فيه، وحقُر في أعينهم، وتفرّقَ أكثرهم عنه، فقال يا نفسُ هذا علاجك... ومن كلامه: لا يكون العبد محبّاً لخالقه حتى يبذلَ نفسَهُ في مرضاته سِراً وعلانيَّةً، فيعلم الله من قلبه أنَّه لا يريد إلا هو... قال جامع الكتاب (بهاء الدين العاملي): إن ملاقاة أبي يزيد البسطامي لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، وكونه سقاء في داره سلام الله عليه أوردها جماعة من أصحاب التأريخ، وأودها الفخر الرازي في كثير من

(١) الكشكول، أعلمي ج٣ ص ١٠٧.
(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٦٠.
(٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٦١.

كتبه الكلامية، وأوردها السيد الجليل رضي الدين علي ابن طاوس في كتاب «الطرائف»، وأوردها العلّامة الحلّي رحمه الله في شرحه على التجريد، وبعد شهادة أمثال هؤلاء بذلك، لا عبرة بما في بعض الكتب كشرح المواقف من أنَّ أبا يزيد لم يلق الإمام عليه السلام، ولم يدرك زمانه، بل كان متأخراً عنه بمدَّة مديدة، وربما يرفع التنافي من البين، بجعل المسمى بهذا الاسم اثنين: أحدهما طيفور السقاء الذي لقي الإمام عليه السلام وخدمه، والآخر شخص غيره، ومثل هذا الاشتباه يقع كثيراً، وقد وقع مثله في المسمى بأفلاطون، فقد ذكر صاحب الملل والنحل أن جماعة متعددين من الحكماء القدماء كل منهم كان يسمى بأفلاطون»[١].

كما أنَّ في كتاب الكشكول تراجم لعدد من العلماء والكتَّاب والشعراء والمتصوفة، كهذا التعريف لأبي إسحق الصابىء: «أبو إسحق الصابىء، هو إبراهيم بن هلال، أوحد الزمان في البلاغة وفريد الدّهر في الكتابة، بلغ التسعين في خدمة الخلفاء، وتقلَّد الأعمال الجلائل مع ديوان الرسائل، وذاق حلو الدهر ومرّه، ولابس خيره وشرّه، ومدحه شعراءُ العراق، وسار ذكره في الآفاق، راوده العلماءُ على الإسلام بكلّ حيلة، وتوسلوا إلى ذلك بكل وسيلة فلم يُسلِم، وعرض عليه السلطان بختيار الوزارة إن أسلم، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة، ويساعدهم على صيام رمضان، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه، وكان في زمان شبابه أرخى بالاً منه في زمن كبره... وعُزِلَ في آخر مرَّة واعتُقِل... رثاه الشريف الرضي بقصيدة طويلة جيدة»[٢].

---

(١) الكشكول أعلمي ج١ ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) الكشكول ج٢ ص ٢٣٦.

وبما أن البهائي ليس مؤرخاً ولم يدّعِ لنفسه هذه الصّفة، فإنه إنما انتقى الحوادث التي لها مدلول خاص عنده والتي تصلح لأن تكون استشهاداً على موضوع معين يلقيه المعلم أمام تلاميذه، أو هي إجابة عن تساؤل، أو تصلح لأن تكونَ عبرة لمن اعتبر.

«لما أُسرت أم علقمة الخارجية وأُتي بها إلى الحجَّاج وكان قد وقع بينها وبين الحجاج حروب شديدة، فقال لها يا عدوَّة الله، تخبطين الناس بسيفك خبط عشواء؟ فقالت: ويحَكَ أعليَّ ترعد وتبرق، ولقد خفتُ الله خوفاً صيَّرَك في عيني أصغرَ من ذباب، وكانت منكّسةً، فقال: ارفعي رأسك وانظري إليَّ، قالت: أكره النظر إلى من لا ينظر الله إليه، فقال: يا أهل الشام ما تقولون في دمها؟ فقالوا جميعاً: حلال أيها الأمير، فقالت: ويحَك، لقد كان جلساء أخيك فرعون خيراً من جلسائك، حيث استشارهم في موسى وهارون، فقالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، وهؤلاء الفسقة أمروا بقتلي، فأمر بها فقُتِلَت»[1].

وهل أبلغ من هذه القصة في الحث على مقارعة الحاكم الظالم وانتقاد بطانة السوء الذين يزيّنون للظالم ظلمَه؟.

الوعظ في كتاب الكشكول، إما أنه وعظ مباشر، أو غير مباشر.

فأما **الوعظ المباشر** فمبثوث في ثنايا الكتاب ومثاله قول البهائي: «اعلم أنَّ الغيبة هي الصاعقة المهلكة، ومثلُ من يغتاب الناس، مثل من نصبَ منجنيقاً يرمي به حسناته شرقاً وغرباً، وعن الحسَن أنَّه قيل له يا أبا سعيد إن فلاناً اغتابك، فبعث له بطبق فيه رطبٌ وقالَ: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك، فأردتُ أن أكافئك». وذُكِرت الغيبةُ عند عبد الله

(١) الكشكول ج٣ ص ١٠٥.

بن المبارك فقال: «لو كنت مغتاباً لاغتبت أمي لأنَّها أحقّ بحسناتي»[1].

أما **الوعظ غير المباشر** فإنه في إيراد القصص والحكم التي فيها عظة للناس، مثال ذلك في الحض على العمل للآخرة:

«قال بعض الحكماء: مسكين ابنُ آدم، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الدنيا لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن، كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً»[2].

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله: «ما كان بدوّ توبتك؟ فقال أردت ضرب غلام لي، فقال: يا عمر، اذكر ليلةً صبيحتُها يومُ القيامة»[3].

وهل أفضل من هذا القول لحث العلماء من حوله على التواضع: «إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يحتطب ويستقي، ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز»[4].

«ومن الإحياء [إحياء علوم الدين للغزالي]، خرج رسول الله إلى بئر يغتسل، فأمسك حُذيفة بن اليمان بالثوب على رسول الله وستره به حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول رسولُ الله الثوب وقام بستر حذيفة، فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل، فأبى رسول الله إلاَّ أن يستره بالثوب حتى اغتسل. وقال ﷺ: ما اصطحب اثنان قط إلا وكان أحبّهما إلى الله أرفقهما بصاحبه» وقال:

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٥٥.

(٢) الكشكول أعلمي ج٢ ص ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٣٠٣.

(٤) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٢٩.

«مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى»[1].

وفي الحض على احترام المعلّمين: «كان الفرّاء النحوي معلّماً لولديّ المأمون، وكان إذا قام من مجلسه بادرا إلى نعلَيْه فقدّم كلّ واحدٍ منهما فردةً، وذلك بأمر أبيهما المأمون»[2].

وفي ذم الملوك، وذم المتنفذين والدعوة إلى الزهد في الدنيا:

«نظر عبد الملك بن مروان عند موته ـ وهو في قصره ـ إلى قصّار يضرب بالثوب المغسلة، فقال: يا ليتني كنت قصّاراً ولم أتقلّد الخلافة، فبلغ كلامُه أبا حاتم (السجستاني) فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حَضَرَنا الموتُ لم نتمنَّ ما هم فيه»[3].

«لما مات الإسكندر وضعوه في تابوت من ذهب وحملوه إلى الإسكندرية، وندبه جماعة من الحكماء يوم موته، فقال أفلاطون الثاني: أيّها السّاعي المغتصب، جمعتَ ما خذلَك، وتولّيتَ ما تولى عنك، فلزمتكَ أوزاره، وعاد إلى غيرك مهنؤه وثماره»[4].

وفي الدعوة إلى الابتعاد عن الحكام وذم العلماء الذين يلازمون السلاطين ما نقله عن النبي ﷺ أنه قال: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم»[5].

---

(١) المصدر نفسه ط دار الكتاب ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه. أعلمي ج٣ ص ١٦٥.

(٣) الكشكول. ج١ ص ١٢.

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٢٩٢.

(٥) المصدر نفسه ج١ ص ٢٣٢.

ومن كلام الحكماء: «إذا رأيت العالم يلازمُ السلطان، فاعلم أنَّه لص، وإياك أن تُخدَعَ بما يقال إنه يردّ مظلمةً أو يدفعُ عن مظلوم، فإنَّ هذه خدعة إبليس اتخذها فخّاً، والعلماء سلّما»(١).

وعن العلماء الذين أحبوا الدنيا يذكر قول يحيى بن معاذ: «أيها العلماء إن قصورَكم قيصريَّة، وبيوتكم كسروية، ومواكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، وأخلاقكم نمرودية، وموائدكم جاهلية، ومذاهبكم سلطانية، فأين المحمدية؟»(٢).

«قال الرشيد للفضيل (الفضيل بن عياض الزاهد): ما أزهدك، قال: أنتَ أزهدُ مني يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذلك؟ قال لأني زهدتُ في الفاني وزهدتَ أنت في الباقي»(٣).

«كتب المنصور العباسي إلى أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، لم لا تغشانا كما يغشانا الناس، فأجابه ليس لنا من الدّنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمةٍ فنهنّيك بها، ولا نعدّها نقمة فنعزّيك بها، فكتب إليه المنصور: تصحبُنا لتنصَحنا، فكتب إليه أبو عبد الله أيضاً من يطلب الدنيا لا ينصحُك، ومن يطلبُ الآخرة لا يصحبُكَ»(٤).

أما **الوعظ غير المباشر** باستخدام القصص الرمزي، فنجده في أكثر من موضع في الكشكول، كقصة التاجر النيسابوري الذي أودع جاريته عند أحد شيوخ بلدته(٥)، وهي تهدف إلى تخليص النفس من الغرور، وتحث

---

(١) و(٢) الكشكول ج١ ص٣٥.

(٣) المصدر نفسه، أعلمي ج٣ ص ٣٥٧.

(٤) الكشكول ج١ ص ٣٢٠.

(٥) المصدر نفسه ج١ ص٢٠٥.

على إيثار الدنيا على الآخرة، وقصّة الكردي الذي قتل أمّه ليخلّص الناس من شرورها[١]، كناية عن قتل شهوات النفس، وإيثار الآخرة على الدنيا، وكذلك فإنَّ في قصة «العابد والكلب»[٢] دعوة إلى الصبر والتوكّل.

الحديث في الكشكول

أورد بهاء الدين العاملي أكثر من عشرين حديثاً شريفاً، من الأحاديث الصحيحة كالحديث الذي رواه معاذ بن جبل (رض) عن الرسول ﷺ «العمل الذي يُدخِل الجنة ويباعد من النار»[٣]، وحديث عن عبد الله بن عباس[٤]، وحديث «ليس عند ربك صباح ولا مساء»، وأورد ما قاله علماء الحديث في تفسيرهم له، وأن المراد أن علمه سبحانه حضوريّ، ولا يتّصف بالمضيّ والاستقبال كعلِمنا، وشبّهوا كل ذلك بحبل كل قطعة منه لون، في يد شخص يمدّه على بصر نملة، فهي لحقارة باصرتها ترى كلّ آنٍ لوناً، ثم يمضي ويأتي غيره، فيحصل بالنسبة إليها ماض وحال ومستقبل، بخلاف من بيده الحبل، فعلمه سبحانه وتعالى ـ وله المثل الأعلى ـ بالمعلومات كعلم من بيده الحبل، وعلمنا كعلم تلك النملة[٥]. كما أورد أحاديث من التهذيب للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي[٦]، ومن كتاب «من لا يحضره الفقيه» لعلي ابن بابويه القمي[٧].

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص ٢٢٧.
(٢) المصدر نفسه ج١ ص٣٩.
(٣) الكشكول. أعلمي ج١ ص ١٢.
(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٣٧.
(٥) المصدر نفسه ج١ ص١٠٣.
(٦) المصدر نفسه ج١ ص ٢٨٩ وج١ ص ٢٧٨ وج١ ص ٣٣٢ و٣٣٣.
(٧) المصدر نفسه ج٢ ص ٧.

كما أورد أحاديث منقولة من صحيح البخاري وهي:

أ ـ باب مناقب فاطمة عليها السلام.

ب ـ باب فرض الخُمس.

ج ـ باب في مرض النبي.

د ـ باب قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾.

هـ ـ باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾.

و ـ باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾.

ز ـ باب قول المريض: قوموا عني.

ح ـ باب في الحوض[1].

النقد الأدبي في كتاب الكشكول

وبما أن البهائي كان شاعراً، فإنه بإحساسه الأدبي الرهيف، أعطى آراء نقدية قيّمة منها مثلاً قوله:

«سئل الصلاح الصفدي عن قول قيس:

أصلّي فلا أدري إذا ما ذكرتُها　　　اثنتين صلّيت الضحى أم ثمانيا

ما وجه الترديد بين الاثنين والثمانية؟ فقال لكثرة السهو واشتغال الفكر بعدّ الركعات بأصابعه، ثم يذهل فلا يدري هل الأصابع التي ثنّاها هي الأصابع التي صلّاها أم الأصابع المفتوحة».

ويعلّق البهائي بقوله: «لله در الصّلاح الصّفدي في هذا الجواب

(١) الكشكول. ج١ من ص ٣٠٦ ـ ٣١٣.

الرائق الذي صدر عن طبع أرق من السحر الحلال، وألطف من الخمر إذا شيبت بالزلال، **وإن كنا نعلم أن قيساً لم يقصد ذلك**»[1].

يورد أبياتاً للشاعر ابن مطروح آخرها قوله:

وكــلــمــا زدتَ وجــهــه نــظــراً بــدت عــلــيــه مــحــاســنٌ جُــدُدُ

ثم يقول: إن البيت الأخير من هذه القصيدة مأخوذ من قول أبي نواس:

كــأنَّ ثــيــابــه اطــلَــعْــنَ مــن أزراره قــمــرا
بــعــيــنٍ خــالــط الــتــفــتــيــرُ فــي أجــفــانــهــا الــحــورا
يــزيــدك وجــهــه حــســنــاً إذا مــا زدتــه نــظــرا

كما يعلق على قول الفاضل الحلبي في حاشية المطوّل، بعد أن ذكر قول أبي نواس:

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لــو مــسّــهــا حــجــر مــسَّــتــه ســرّاء

قال: إنَّ البيت في وصف الدّينار، فيقول البهائي: هذا عجيب من ذلك الفاضل فإنه يُفهم من حاشيته أنّ له اطلاعاً وممارسة لشعر العرب، وهذه الأبيات مشهورة لأبي نواس في وصف الخمر وأولها: دعْ عنك لومي... فكيف يظنّ أنَّه في وصفِ الدينار؟[2].

ويتحدث عن أقسام التشبيه[3]، ويعطي أمثلة من بدائع التشبيهات التي قالتها العرب. ومن مباحثه البلاغية في كتاب الكشكول، هذا البحث تعليقاً على ما أورده الطيبي في التبيان، في قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) المصدر نفسه أعلمي ج١ ص ١٠٢.
(٢) الكشكول. أعلمي ج٢ ص ٢٢٢.
(٣) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٩١ وط دار الكتاب ص ٥٠٩.

إن قوله اشتروا استعارة تبعية، وما ربحت تجارتهم ترشيح، وقوله وما كانوا مهتدين تجريد.

وقال الطيبي أيضاً في التبيان في فن البديع: إن قوله وما كانوا مهتدين، إيغال، قال لأن مطلوب التجار في متصرفاتهم سلامة رأس المال والربح، وربما تضيع الطلبتان وتبقى معرفة التصرّف في طرق التجارة، فيتحيّل لطرق المعاش، وهؤلاء أضاعوا الطّلبتين، وضلّوا الطريق فدمّروا، ونحو ذلك قاله في الكشاف يقول البهائي: «كلام الطيبي في الاستعارة يعاند كلامه في الإيغال، لأنَّ ما ذكره في الإيغال يقتضي أن يكون قولُه تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ ترشيحاً لا تجريداً، وهو الحقّ، إذ الحملُ عليه يُكسِبُ الكلام رونقاً وطلاوة لا يوجدان فيه لو حُمِلَ على التجريد، كما لا يخفى على من له دراية في أساليب الكلام، فقولُه في التجريد باطل، وعن حليةِ الحسن عاطل..

وأقول أيضاً: القول بأنه إيغال باطل أيضاً، لأن الإيغال ـ كما ذكروه ـ ختم الكلام بنكتة زائدة يتم المعنى بدونها، وهو معدودٌ من الإطناب، ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾، فإن الرسول مهتد لا محالة، لكن فيه زيادةُ حث على الاتباع، كذا قالوا، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ليس من هذا القبيل كما لا يخفى، فالحق أنه ترشيح ليس إلا، وأن كلامي الطيبي متعارضان، والمتعارضان ساقطان فليتأمل[1].

وتعليقاً على ما قاله النقاد حول بيت أبي تمام:

لا تسقني ماء الملام فإنني صبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بكائي

(١) الكشكول ج٢ ص ٢٩١ ودار الكتاب ص ٥٠٩.

يقول البهائي: «إن للبيت محملاً آخر كنت أظن أني لم أسبق إليه حتى رأيته في التبيان: وهو أن يكون ماءُ الملام من قبيل المشاكلة، لذكر ماء البكاء، ولا تظن أنَّ تأخّر ذكر ماء البكاء يمنع المشاكلة، فإنّهم صرّحوا في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ أن تسمية الزحف على البطن مشياً لمشاكلة ما بعده، وهذا الحمل إنما يتمشى على تقدير صحة الحكاية المنقولة»[1].

المباحث اللغوية

وسنورد نماذج من المباحث التي كان يلقيها على تلاميذه بين الحين والآخر، تصحيحاً لخطأ شائع، أو توضيحاً لنكتة نحوية أو لفظية:

كأن يصحح بعض أخطاء القاموس المحيط: «إنسان يطلق على المذكّر والمؤنّث، وربما يقال للأنثى إنسانة... قال في القاموس: الأنس: البشر كالإنسان الواحد إنسي، وقال في فصل النون، والناس يكون من الإنس ومن الجن، جمع أنس أصله أناس، جمع عزيز أدخل عليه أل، ويعلّق البهائي بقوله: «إن كلام القاموس صريح في جواز إطلاق الأنس على الجن وهو بعيد جداً فليتدبّر»[2].

«سوف ـ في لغة اليونانيين ـ اسم للعلم واسطاً اسم للغلط، فسوفسطائي علم الغلط، وفيلا: اسم للمحب، ففيلسوف معناه محب العلم، ثم عُرّب هذان اللفظان واشتق منهما السّفسطة والفلسفة، ونسب إليها فقيل سوفسطائي، وفلسفي، وكان الأولى سفسطي وفلسفي، وسوفسطائي وفيلسوفي»[3].

(١) الكشكول ج٣ ص ١٨٩ ودار الكتاب ص ٤١٠.
(٢) المصدر نفسه ج١ ص ٨٠.
(٣) الكشكول ج١ ص ١٠٦.

«يقولون للعليل معلول فيخطئون فيه، لأن المعلول هو الذي سقي العلل وهو الشرب الثاني، وأما المفعول من العلة فهو مُعلّ»[(١)].

كما ذكر بعض الألفاظ الفارسية المعرَّبة كلفظة «بس»[(٢)]، وذكر بعض الأسماء والكنى، كأسماء الشهور الرومية والسريانية[(٣)]، وأسماء ساعات النهار عند العرب[(٤)]، ونبذ من الكنى التي تستخدمها العرب[(٥)]، وأسماء اللبن[(٦)].

كما أنه وضّح الكثير من المسائل النحوية المشكلة، كأحكام إنّ[(٧)]، والتمييز[(٨)]، واستخدام نعم وبئس للمبالغة[(٩)]، وأحكام حتى[(١٠)]، والجمل التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها[(١١)]، وأنواع الجر[(١٢)]، وواو الثمانية[(١٣)]، وإعراب ما لا يعقل بالحروف[(١٤)]، والفرق بين البدل وعطف البيان[(١٥)]، والمواضع التي يأتي فيها الفاعل بمعنى المفعول[(١٦)].

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٣٤.
(٢) المصدر نفسه ج١ ص ١٤١.
(٣) المصدر نفسه ج١ ص ٣٣٢.
(٤) الكشكول ج٢ ص ٧٥.
(٥) المصدر نفسه ج٣ ص ١١٦ وج١ ص ٢٤.
(٦) المصدر نفسه ج٢ ص ٣٠١.
(٧) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٣٥.
(٨) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٣٦.
(٩) المصدر نفسه ج٢ ص ٢٣٧.
(١٠) المصدر نفسه ج٢ ص ٦٨.
(١١) المصدر نفسه ج٢ ص ١٠٠.
(١٢) المصدر نفسه ج٢ ص ١٠٣.
(١٣) المصدر نفسه ج٢ ص ١١٢.
(١٤) المصدر نفسه ج٢ ص ١٠٨.
(١٥) المصدر نفسه ج٢ ص ١٧٣.
(١٦) المصدر نفسه ج٢ ص ١٢٤.

المآخذ على كتاب الكشكول

أورد الشيخ البهائي في كتاب الكشكول قصيدة لعلي بن المغربي يقول إن المصراع الأول منها هذيان جرى على لسانه وهو محموم[(١)].

دن ددن ددن، ربـــــــــــــــي أنــا عــلــيُّ بــنُ الــمــغــربــي
ســنــاجــقــي تــهــيّــئــي عــســاكــري تــأهّــبــي

ويسير على هذا النسق في قصيدة تبلغ سبعة وخمسين بيتاً، اشتملت على كثير من الألفاظ التي يستعملها السحرة والمشعوذون في تعاويذهم، وكثير منها لا يتفق واللغة العربية، وليس لإيرادها في الكتاب أيّ فائدة، سوى إثبات الهذر مع الجد في آن واحد على طريقة أصحاب المجاميع.

وأورد الأرجوزة المشهورة لابن مكانس[(٢)] (١٦٥بيتاً)، ولا أعتقد أنها تستحق عناء الكتابة، وأورد قصائد على بحر «كان وكان»[(٣)]، وهو الشعر الفصيح المخلوط بالعامية، وإذا قبلنا إيراد مثل هذه القصائد، لأن لها دلالة تاريخية معينة، فلا مسوّغ على الإطلاق لإيراد قصيدة ابن حجاج[(٤)] في المجون[(٥)]، في كتاب ككتاب الكشكول، ولا مسوّغ أيضاً

---

(١) الكشكول. ط أعلمي ج١ ص ٢٦ (١٠ أبيات. وط دار الكتاب من ص ٢١ ـ ٢٤) (٥٧ بيتاً)، وط. الطوبي ص ٩ (٥٧ بيتاً).

(٢) المصدر نفسه أعلمي ج١ ص ١٠٧ وط دار الكتاب ص ٧٢.

(٣) المصدر نفسه أعلمي ج١ ص ١٥٤ ـ ١٦٠ ود. دار الكتاب من ص ١٠١ ـ ١٠٩.

(٤) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد جعفر بن محمد بن الحجاج البغدادي شاعر العراق وصاحب المجون المشهور «بابن الحجاج» ترجمته في أعيان الشيعة ج٥ ص ٤٢٩ ـ ٤٤٦.

(٥) المصدر نفسه أعلمي ج١ ص ١٦٧ وط دار الكتاب ص ١١٥ والمصدر السابق أعلمي ج٢ ص ١٥٢، وص٥١ وص ٧٣.

لإيراد قصتين ماجنتين خليعتين وردتا فيه أيضاً[١]، مما دفع بعض الدارسين إلى عدّ كتاب الكشكول ـ ومن أجل أقصوصتين لم تبلغا أكثر من أسطر معدودة وقصيدة ماجنة واحدة ـ من الكتب التي حفلت بمواضيع الجنس، كما ورد في مقال، في مجلة الشاهد[٢]، ذهب فيه كاتبه إلى: «أن التراث العربي والإسلامي، وكتب الفقه والأدب حافلة جميعها بالنماذج التي تناولت مواضيع الجنس كمادة إنسانية، صراحة في كثير من الأحيان»، وبعد أن عدّد كاتب المقال عدداً من كتب التراث، ذكر من جملتها كتاب الكشكول لبهاء الدين العاملي.

ألم يكن من الأفضل أن ينزّه البهائي كتابه عما يدور من الخلاعة في مجالس الخلعاء، وكنت أودّ أن أجدَ هذه القصيدة مقحمةً في الكتاب إقحاماً، لولا تواترها في أكثر من طبعة من طبعات الكشكول، وكذلك النوادر الماجنة التي مرّ ذكرها.

(١) الكشكول أعلمي ج١ ص ١٩ وج٢ ص ١٥٢.

(٢) مجلة الشاهد ـ السنة الثالثة ـ العدد ٣٦ آب ١٩٨٨. ص ٣٦.

الفصل الثاني

البهائي الشاعر

شعره العربي

- مقدمة عامة ـ ديوانه
- ميزات شعره
- الشعر الديني
  - قصيدة «الفوز والأمان»
- شعر الزهد والموعظة
- الوصف
- المدح
- شعر الشكوى والحنين
- النقد الاجتماعي
- الرثاء
- الغزل
- الخمريات
- الألغاز والأحاجي
- القصة في شعر البهائي العربي

الشاعر

لا بد لنا قبل دراسة البهائي شاعراً، وقبل الحكم على قيمة شعره، من أن نلمَّ بالنهج الذي سار عليه شعراء العربية في عصره، لندرك ـ بعدُ ـ أنه فاقهم عمقاً وأصالة ورصانة، وبُعداً عن التفاهة والابتذال.

نقرأ النماذجَ الشعرية لمعاصريه في مجموعات المُرادي والغَزّي، والعُرضي، والمُحبي، وفي مجموعات المتأخرين أيضاً، فنجد أنَّ شعرهم تجمعُهُ صفةٌ مشتركة واحدة، هي معارضةُ القدماء، والصنعةُ البديعيّة المعقّدة.

كما نفاجأ في هذه المجموعات بأسماء تكاد لا تحصى للشعراء، وربما كان ذلك لتدنّي مفهوم الشعر آنذاك، وكأن نظمَ الشعر غدا ظرفاً أو زِيّاً، يتوجب على الرجل الذي يحسب نفسه مثقَّفاً أن يتبعه ويخلص له، لتكونَ له مكانته، هذا الرّخص في مفهوم الشعر، يضاف إليه ثقافة الشعراء الضحلة، وفقدانُ الموهبةِ اللغوية والذّوق الفنّي، والحسّ الموسيقي الذي يفرّق بين جرس الكلمات، وتنظيم الجمل، وموسيقية العبارات، مما كان يدفع الشاعرَ إلى بذل الجهد والعناء في سبيل النّظم، أضِف إلى ذلك الميل إلى العامية ومزجها بالشعر الفصيح، كلّ ذلك أدّى إلى الركاكة والسطحية، وخلقِ أنماط من الشعر لا هدف له سوى التسلية والتلغيز والتعمية، والإكثار من التأريخ الشعري، والمخلَّعات، والتلاعب اللفظي، واعتماد القوافي المشتركة والملونة، ونظم القصائد التي يكون

فيها الطرد مثلاً مدحاً والعكسُ هجاءً، أو الطردُ الأفقي مدحاً والعمودي هجاءً، ونظم الشعر الهندسي، والشعر المشجّر، والقصائد المهملة التي تكون جميع حروفها خاليةً من النقاط، والقصائد المعجمة التي تكون كلُّ حروفها منقَّطة، وبلغ حبّ التصنيع وهوان الشعر عند من سُمّوا شعراء أن نظموا قصائد أتَوا فيها بكلمة مهملة وأخرى معجمة، وبالغوا في هذا الأمر حتى أن بعضهم نظم قصائد أتى فيها بحرف مهمل وآخر معجم في الكلمة الواحدة، وبالغوا في اعتماد الجناس بأنواعه، أو التوجيه بأسماء كتب، أو جعلوا أوائل الأبيات تشكل اسماً معيناً، كما أنهم أوجدوا نوعاً من الشعر اختلطت فيه الألفاظ العاميّة بالألفاظ الفصيحة.

أما شعر التلغيز والأحاجي، فقد حَظِيَ بعنايةِ الشعراء وانتشر انتشاراً واسعاً في أوساطهم، حتى عُدَّ من الفنون الأصلية التي ينبغي للشاعر أن ينظم فيها، باعتبار أنّهُ مظهرٌ وسمةٌ من سمات العصر، استخدمه الشعراء في تراسلهم وتفكّههم ورياضتهم الذهنية والثقافية[١].

نترك هذه المجاميع، وندخل عالم البهائي الشعري، الرحب، فيفاجئنا ما نجد فيه من تنوّع وجودة، وعمق، يخلو منها شعرُ معاصريه، لكأنَّ وجودَه في إيران عَصَمه من ولوج أبواب المهاترات الشعرية، التي حفل بها الشعر في الأقطار العربية المختلفة.

إنَّنا في رحاب عالمه الشعري، نجدُ أنفسنا أمام شاعر إنساني السّمات، رقيَ شعرُهُ العربي عن الشعر العربيّ المعاصر له، لأنَّ عناصرَ ثقافته غنية متنوعة، عربية وفارسية وهندية، فِقهيَّة وفلسفية وعلمية وأدبية، كما أن في شعره الكثير من اللمعات الفكرية المشعَّة، والعواطف الرقراقة

---

(١) أورد البهائي في الكشكول عدة نماذج لمعاصريه في الشعر الملغز: الكشكول أعلمي، ج١ ص ١٧٩.

الخالصة، لذا أبدع ما لم يبدعه الآخرون، ووصل إلى هدف قصَّر عنه الباقون.

صحيح أن البهائي كغالبية معاصريه من الشعراء، لم يكن متفرّغاً لقول الشعر، لنحاسِبَه بموازين النقد التي نحاسب بها الشاعر المتفرّغ، ولكنَّه كان صادقاً في الكثير من شعره، وإنْ جاءت بعض أشعاره في أحايين قليلة، عاديّة، أقرب إلى النظم منها إلى الشّعر الحقيقي.

لقد كان البهائي شاعراً باللغتين العربية والفارسية، ومع ذلك لم يصبه ما أصاب الشعراء من ذوي اللسانين، الذين لم يستطيعوا الإجادة بكلتا اللغتين، فكان ما قاله بالفارسية بمستوى ما قاله بالعربية، وربما أرقى من حيث فنونُ القول، وعرضُ المعاني، وإنَّ بعض النقاد فضَّل شعره الفارسي، كقول الخفاجي «وشعره باللسانين مهذَّب محرَّر، وبالفارسية أحسن وأكثر»[1].

لم يستخدم في شعره العربي أيَّ كلمة غير عربية، كما فعل شعراء العصر العباسي الذين وُجِدَ في شعرهم كثيرٌ من الكلام الدَّخيل، على الرغم من أنه أمضى معظم حياته في إيران.

أجل لم أعثر في شعره كلِّه إلا على كلمة عامية واحدة، قصد أن يقولَها في قصيدته في وصف هراة[2]، مع أن مَرَضَ خَلْطِ الفصيح بالعامي كان قد أصاب شعر معاصريه في الكثير من أشعارهم، وقد أورد البهائي نفسُه في كتابه «الكشكول» قصائدَ لعدد من معاصريه، اختلط فيها اللفظُ العامي باللَّفظ الفصيح[3]، ولعله قد اطَّلع عليها في أثناء رحلة الحج، في مصر أو في غيرها من الأقطار العربية التي زارها.

---

(١) ريحانة الألبا ج١ ص ٢٠٨.

(٢) اللفظة هي (فرد مرة) بمعنى: دفعة واحدة أو مرة واحدة أو بصورة نهائية.

(٣) ذكرنا بعض هذه القصائد في حديثنا عن الكشكول.

وهو أول من نظم الشعر الفارسيَّ على بحر الخبب، كذلك فقد نظم كثيراً من شعره العربي على طريقة «الدّوبيت»[1] الفارسية، أو الرباعيات، كما أنه نوَّعَ في أوزانه وقوافيه في عدد كبير من قصائده.

وهو أول من قال الموشّح من شعراء جبل عامل[2]، وقد أشاع الموشّحات في شعره كما سنرى بأشكال وأوزان مختلفة.

«لقد أسدى خدمة إلى الثقافتين العربية والفارسية بتطوير النظم في كل منهما، باعتماده في كلٍّ منهما وزناً من أوزان الأخرى»[3].

وللبهائيّ نَفَسٌ في الشعر عميق، وليس من شك في أنَّ الوراثة قد شكَّلت عنصراً في هذه الموهبة، فأبوه كان شاعراً، والباحثون يجعلون أجداده، كلَّهم من الشعراء[4]، دون أن يذكروا شيئاً من شعرهم حتى يصلوا إلى جدّه الأكبر، الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني.

ليس في شعره كما ادّعى البعض ـ وكما تخيلنا نحن قبل دراسته ـ حنينٌ إلى جبل عامل، لأنَّه غادره كما ذكرنا صغيراً، ولم يترك في نفسه أثراً، بينما نجد لديه الكثير من الحنين إلى إيران وإلى أصفهان بالذات في أبيات قالها بالفارسية وهو في رحلة الحج[5]، كما أنَّ لديه حنيناً إلى هراة التي كانت له فيها ذكريات في حقبة من عمره، ولكنَّ الحنين فيها

(١) **الدّوبيت** كلمة مركبة من كلمتين: دو الفارسية ومعناها اثنان، وبيت العربية، وسُميّت كذلك لأن الدوبيت لا يتعدى البيتين من الشعر في جميع الأحوال، ويسمى الدوبيت: الرباعيات، لأنه مؤلف من أربعة أشطر على نفس القافية.

(٢) روضات الجنات ص١٩٢، ومعالم الأدب العاملي، ص ٣٥٥، والموشّحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ص ١٦٠.

(٣) خرسان، مقدمة الكشكول ج١ ص ٩٣.

(٤) الخوانساري: روضات الجنات ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٥) مرَّت ترجمة هذه الأبيات حين تحدَّثنا عن رحلة الحج ص١٠٠.

أقلُّ شجىً وحزناً وروعة من الحنين الرائع السلس، الذي نجده في شعر الشيخ حسن[1] صاحب المعالم إلى جبل عامل[2].

ديوانه

كان شعر البهائي مشتهراً في عصره وبعد عصره، يقول الموسوي مثلاً فيه «له نظم أشهر من الغزالة، وأين الغزالة من الذبالة»[3].

لم يجمع العاملي شِعرَه، إنما توزَّع كثيرٌ منه في كتابه الكشكول، وتفرَّق القسم الآخر في كتب الأدب والتراجم التي أُلفت في عصره أو بعد عصره في عدد من الأمصار.

كذلك يحتمل أن يكونَ بعض شعره قد ضاع، كما ضاعت آثار عدد من الأدباء والشعراء الذين عاشوا في تلك الحقبة التي سُميت بعصرِ الانحطاط، لقلة اهتمام الدارسين بأدب ذلك العصر، ونحتمل أن يكون بعض شعره في كتاب «المخلاة الضائع»، وربما استطعنا العثورَ عليه في المستقبل، أو عثر عليه آخرون من المهتمين بدراسة الشيخ.

أوَّل من جمع شعر البهائي بعد حياته بقليل محمد رضا الحرّ[4]، كما ذكر الحر العاملي في «أمل الآمل»، قائلاً: «له شعر كثيرٌ حسن، في العربية والفارسية متفرق، وقد جمعه ولدي محمد رضا الحرّ، فصار

---

(١) **الشيخ حسن**: مر تعريفه في الفصل الثاني ص١٣١.

(٢) *الكشكول*، ج١ ص١١٠.

(٣) نزهة *الجليس* ج١ ص٣٧٩.

(٤) الشيخ محمد رضا بن الحسن الحر العاملي، كانت وفاته في شعبان سنة ١١١٠هـ/ لم يذكر المؤرخون من آثاره سوى تدوين شعر البهائي وجمعه وترتيبه تكملة أمل الآمل ص٣٧٨.

ديواناً لطيفاً»[1]، ولكنَّ مخطوطة هذا الديوان لا أثر لها في فهارس المكتبات العامة اليوم في إيران والعراق.

وقد جمع الدكتور «محمد التونجي» الأستاذ بجامعة حلب شعرَ الشيخ البهائي العربي أواخر سنة ١٩٨٥م، ١٤٠٥هـ[2]. وقد عمد التونجي ـ كما ذكر ـ إلى الكتب التي ألفت في عصره [البهائي] وبعد عصره، ليجمع ما تناثر، ويلتقط ما تفرق.. بعد مقارنته بما أورده في كتبه ليكون بين أيدي الدارسين، لعلَّهم يستلهمون منه ما يعنُّ على خواطرهم من دراسات، وعَرَضَهُ بحسب تسلسل الحروف الهجائية، أما الطرديات والرباعيات ومختلفات القوافي فذكرها كلاً على حدة.

ولكن المآخذ على هذا الجمع أنَّ بعض قصائده ناقصةُ الأبيات لاعتماد التونجي على نسخةٍ واحدة من نسخ الكشكول[3]، وكما أنه لم يعد إلى مصادر أساسية ذكرت البهائي كرياض العلماء و«روضات الجنات».

وقد أورد الدكتور التونجي في كتابه أبياتاً[4]، نقلها من المخلاة المطبوع ـ الذي ذكرنا سابقاً أنه منسوب إلى الشيخ البهائي ـ على أنها للبهائي، بينما هي في الحقيقة لأحمد بن فارس اللغوي المتوفى العام ٣٦٩هـ ـ ٩٧٩م[5].

---

(١) *أمل الآمل* ج١ ص١٥٧، ونقل عنه الخوانساري في *روضات الجنات* ج٧ ص٦١.

(٢) محمد التونجي، بهاء الدين العاملي، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق تموز ١٩٨٥.

(٣) اعتمد التونجي على النسخة المطبوعة في مصر العام ١٣٨٠هـ، وليست هي أوثق نسخ هذا الكتاب ويعتورها الكثير من النقص.

(٤) *بهاء الدين العاملي* ص١١٧.

(٥) آدم متز، *الحضارة الإسلامية* ج١ ص٣٤٩ نقلاً عن الإرشاد لياقوت الحموي ج٢ ص٩.

أورد في مكان آخر من كتابه[١]، سبعة أبيات أخرى قال إن البهائي ذكرها في المخلاة[٢]، وهي ليست له ما دام قد ثبت أن المخلاة المطبوع ليس له، بل هي لجامع كتاب المخلاة المطبوع، وتختلف عن شعر الشيخ البهائي مضموناً وأسلوباً.

كما أنَّ ابن معصوم، قد نسب في سلافة العصر[٣]، أربعة أبيات إلى البهائي ليست في الواقع له، لأنها قديمة ذكرها الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ) في كتابه «إحياء علوم الدين»[٤]، من غير أن يحدد اسم شاعرها والأبيات هي:

لا يغرنَّك من المرء رداءٌ رقَّعه
وقميص فوق ساق الكعب منه رفعه
وجبينٌ لاح فيه أثرٌ قد قَلَعَه
أرِه الدّرهَمَ تعرف غيَّه أو وَرعَه

كما ذكر ابن معصوم في السلافة[٥] أيضاً بيتين للصوري نسبهما إلى الشيخ البهائي، مع أن البهائي نفسَه نسبَهما في الكشكول إلى الصوري[٦]، هما:

بالذي ألهَمَ تعذيبي ثنايَاكَ العِذابا
ما الذي قالَتْه عيناكَ لقلبي فأجابا؟

(١) *بهاء الدين العاملي* ص١٢٠.
(٢) *المخلاة* ص٢٩٥.
(٣) *سلافة العصر* ص٣٠٠.
(٤) *إحياء علوم الدين* ج٢ ص٧٢ و*الغدير* ج١١ ص٢٧٩.
(٥) *سلافة العصر* ص٣٠٠.
(٦) *الكشكول* ج١ ص٥٠ و*أمل الآمل* ج١ ص١١٤ ـ ١١٥ في ترجمة الشيخ عبد المحسن الصوري.

وقد نسب إليه الدكتور مهدي فضل الله في كتابه «أعلام الفكر الإسلامي»[1]، خمسة أبيات ليست له، أولها:

أقول لقلبي في عتابٍ أسرُّهُ عدمتُك يا قلبي وإن كنتَ في صدري

كما نسب له هذين البيتين:

ـ يا غزالاً بين النقى والمصلَّى ليس يبقى على نبالِك ودّي
ـ قالت: لقد أشمتَّ بي حسادي إذ بحت بالسرّ لهم معلناً[2]

ميزات شعره

إن كون البهائي عالماً، قد أثَّر في شعره، فقد جعل أغلبَ معانيه تمتاز بوضوح الفكرة وبيان الغرض، وجعلَه يُدخِلُ في شعره الكثير من مفردات الفقه والفلسفة والفلك، كما أن خمرياته بالعربية والفارسية اتسمت بمسحة صوفية ظاهرة.

إن أجمل شعره وأجوده، ذلك الذي كان تعبيراً عن أحاسيسه وإفراغاً للمكبوت في ذاته، ولعلَّه لو كان عالماً وفقيهاً فقط، أي واقفاً اهتماماته على الأفكار والمعتقدات الفكرية والمعارف العملية دون كبير اهتمام بالجوانب الوجدانية، لما استطاع أن يدخل إلى أعماق النفس الإنسانية، وينتقدَ السائدَ والمألوف في مجتمعه! لو أراد ذلك ولم يكن شاعراً، لما استطاع أن يتجاوز التعميم والتجريد، ولجاءَ إفصاحُهُ مصطنعاً، ولكنَّه وهو الشاعر الفنان المرهف، استطاع أن يعبر عمَّا يجيش في نفسه من عواطف، وأن ينقلنا إلى عالم من الأحاسيس والصور والأخيلة، جعلتنا نشعر ونحن أمام بعض شعره بالغبطة والانعتاق

(١) *أعلام الفكر الإسلامي* ص١٧٢.
(٢) *المصدر نفسه* ص١٧٦.

اللذين نشعر بهما أمام رائع الشعر، أو عظيم الفن، بسبب تلك الرمزيَّة الصوفيَّة التي كانت تغلّف شعره أو بعضه.

لقد نظم البهائي في معظم فنون الشعر كالمديح والغزل والرثاء والوصف والعتاب والشعر الديني والشعر الخمري، «فما من فنّ إلا وله فيه القِدْحُ المعلّى والمورد العذب المحلّى»[1].

- لقد نظم القصائد الطويلة التي بلغ بعضها ستين وسبعين ومائة بيت.

- لم يصغ قصائده على طراز صياغة أحدٍ من الشعراء، بمعنى أنه لم يبن قصائده كلياً على أصول الرسم الهندسي، الذي خطَّطه الشعراء الأعلام قبله للقصيدة العربية، إننا نجد تأثير الشعراء السابقين، صدى الثقافة الموروثة، في بعض قصائده العربية، ولكننا لا نستطيع القول إن البهائي أخذ هذا الشاعر أو ذاك، وسار على نهجه، لقد استطاع أن يتفاعل مع النماذج الشعرية التي قرأها، واستطاع أن يكوّن لنفسه أسلوباً خاصاً به، لذلك تجاوزت عبقريتُه الفذّة شعر معاصريه في الأقطار العربية.

استطاع أن يحمّل أشعاره شيئاً من روحه، وأن يلوّنها بألوان شخصيته وعصره وتفكيره، وأن يطبعَها بطابعه الخاص والمميَّز والفريد.

- يميّز شعرَه ذلك النفس العميق، وليس من شك في أن الوراثة قد شكَّلت عنصراً في هذه الموهبة، فقد أسلفنا أن أباه كان شاعراً وكذلك أجدادُ أبيه[2]، وإن كان شعرُه لا يحفل بالتصنيع الذي حَفِلَ به شعرُ أبيه.

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص١٠٥.

(٢) *روضات الجنات* ص١٩١ ـ ١٩٢.

جدَّد البهائي في بعض الموضوعات كما سنرى معنىً وأسلوباً، وإنّ كثيراً من تجديده كان مردّه إلى تأثره بالبيئة والثقافة الفارسيّة، كما أن هنالك خصائص لشعره، لا يوضّحها إلا ما يقدم بين أيدينا من إشارات ودلالات تاريخية تلقي الضوء على مفاهيمه، لفهم شعره ومعرفة الجديد فيه.

إن هذا الجديد لا يتعلق بمدح أو هجاء، ولا يرتبط بمناسبة عابرة، ولكنه تعبير عن أصفى خلجات النفس، وأنقى صور الجمال، وأجمله ما يتعلق بجوانب باقية على الدهر من جوانب النفس الإنسانية في سعيِها نحو الكمال، لذلك لا نقع عنده على **الهجاء** إطلاقاً ولم يسفّ إلى ما أسفَّ إليه معاصروه في هذا الباب.

- تحرر شعره من وطأة الجمود، الذي يغلّف شعر الفقهاء، ذلك الجمود الذي يفقد الشعر، الصدقَ والواقعية في إبراز المشاعر سافرةً بلا ستر.

- لم يكن ناظماً للشعر كما هو حال غالبية معاصريه، وإنما اعتبر الشعر تعبيراً عن أصفى خلجات النفس الإنسانية، وهذا ما يفسره لنا قوله:

فرمتُ شيئاً مشغلاً لبالي   مما أقاسيه من البلبال
فلم أجد أبهى من الأشعار   وليس نظمُ الشعر من شعاري

هذا اعتراف أن «الزاهرة»[1] قصيدة منظومة للتسلية، أما ما عداها فلم يكن الدافع إليه النظم، وإنما التعبير عن الذات الإنسانية في انشدادها نحو مثلها الأعلى ونحو الكمال.

---

(١) الزاهرة: اسم للقصيدة التي وصف بها البهائي مدينة هراة.

لم يلجأ البهائي إلى التأريخ الشعري الذي لجأ إليه غالبية الشعراء المعاصرين له، إلا في البيتين اللذين قالهما في رثاء الشهيد الثاني وهو في الخامسة عشر من عمره، وقلما جنح إلى البديع الذي كان سمةَ الأدب في عصره شعراً ونثراً، وإن كنَّا نعثر في شعره الديني على معانٍ مقتبسة من القرآن الكريم، وهذا أمر بديهيّ من شاعر فقيه، ورجل دين، كما أن شعره في الموعظة أقربُ إلى النثر منه إلى الشعر لطابعه التعليمي الصّرف.

الشّعر الديني

طغى شعرُه الديني على أغراضه الشعرية الأخرى معنى ومبنى، وهذا أمر طبيعي جداً، فالرجل فقيه قبل أن يكون شاعراً.

نراه في شعره الديني طويل النفس، متين التعبير، في ألفاظه جزالةٌ تقرّب شعره من شعر الكبار المعروفين، وهو صادق في هذا الشعر كلَّ الصدق، وجداني التعبير.

وقد تمثل شعره الديني في:

المديح النبوي، ومديح أهل البيت والحنين إلى عتباتهم المقدسة، والموعظة.

المديح النبوي

إنَّ المديح النبوي من الفنون الشعرية التي عرفها الشعر العربي منذ عصر صدر الإسلام، ولقد شاع شيوعاً كبيراً في العصر العثماني شعراً ونثراً، وكان للبهائي فيه دور، فسكب فيه من ذوب قلبه وعصير روحه الشيء الكثير، يرجو الشفاعة، ويلتمس الغفران وإطفاء نيران الذنوب:

للشوق إلى طيبة جفني باكي | لو صار مقامي فلكَ الأفلاك
أستنكفُ إن مشيتُ في روضتها | فالمشيُ على أجنحةِ الأملاكِ(١)



هذا النبأ العظيم ما فيه كلام | هذا لملائك السماوات إمام
من يمَّمَ بابَهُ ينلْ مطلِبَه | من طاف به فهو على النار حرام
هذا حَرَمٌ بفضلِهِ العقلُ أقرّ | فيه لملائك السماوات مقر
كلّ منهم يقولُ يا زائرَهُ | أبشر فلقد نجوتَ من نار سقرْ(٢)

وهو في شعره الديني وفي المديح النبوي يكثر من ذكر الأماكن الحجازية:

يا قومُ بمكةٍ أنا ذا ضيفُ | ذي زمزمُ(٣)، ذي منىً(٤) وهذا الخَيْفُ(٥)
كم أعركُ مقلتي لأستيقن هل | في اليقظة ما أراه أم ذا طيفُ(٦)

والحقيقة أنَّ ذكر الأماكن التي زارها في رحلة الحج تعطينا فكرةً واضحة عن المعاناة التي كان يعانيها الشاعر قبل حجّه، وبدا الخوف من أن ينقضيَ العمرُ دون أن تتاح له فرصةُ الحج، من هنا فهو بين الإنكار

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٣ وخلاصة *الأثر* ج٢ ص٤٥٤ *والغدير* ج١١ ص٢٧٥.
(٢) *الغدير* ج١١ ص٢٧٦.
(٣) زمزم: بفتح أوله وسكون ثانيه وتكرير الميم والزاي = وهي البئر المباركة المشهورة، قيل: سميت زمزم لكثرة مائها، وقيل سميت بضم هاجر أم إسماعيل لمائها حين انفجرت وزمّها إيَّاه: معجم البلدان ج٣ ص١٤٧.
(٤) مِنًى: بالكسر، والتنوين، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم. معجم البلدان ج٥، ص١٩٨.
(٥) الخَيْفُ: بفتح أوله وسكون ثانيه، والخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ومنه سمي مسجد الخيف من منى (وهو ما يقصده الشاعر): معجم البلدان ج٢ ص٤١٢.
(٦) *الكشكول* ج١ ص٢٩، وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٤ وسلافة *العصر* ص٣٠١.

والتصديق، وكأنه لا يصدق فعلاً أنَّ الفرصة قد واتته، وأن الحلمَ قد تحقَّق.

كما أن ذكر الأماكن الحجازية يستدعي ذكر مواضع أخرى في نجد، لتوسّع فكرة قدسية الجزيرة العربية كلّها:

أيّـهـا الـسـائـر الـمـلـح إذا مـا جئتَ نجداً فعج بوادي الخُزام[(١)]
وتجاوز عن ذي المجاز[(٢)] وعرّج عـادلاً عـن يـمـيـنِ ذاك الـمـقـام[(٣)]

ولقد ارتبط الشعر الديني برؤية النبي أو رؤية بعض أهل بيته في المنام، وقد كانت رؤيةُ النبي وأهل البيت في المنام أمراً شائعاً في عصر البهائي بين الناس، الخاصة والعامة، لطول مدّة العبادة والتهجّد، لقد مرَّ البهائي بهذه التجربة، ونقلها لنا، ليلة ما أقصرها، وهكذا تكون ليالي الوصال، زار فيها النبي مستعطفاً، شاكياً سوء حاله، فنال عطفَ النبيّ، ومحبَّته خمرةً صافيةً طهوراً حلالاً.

ولـيـلـة كـان بـهـا طـالـعـي في ذروة السـعـدِ وأوجِ الـكـمـال
قصَّر طيبُ الوصال من عمرِها فـلـم تـكـنْ إلا كـحـلِّ الـعِـقـالْ
واتَّـصـل الـفـجـرُ بـهـا بـالـعِـشـا وهـكـذا عـمـرُ لـيـالـي الـوصـالْ
إذْ أخـذت عـيـنـي فـي نـومـهـا وانـتـبـه الـطـالـعُ بـعـد الـوبـالْ
فـزرتُـه فـي الـلـيـل مـسـتـعـطِـفـاً أفـديـهِ بـالـنـفـس وأهـلـي ومـالْ
وأشـتـكـي مـا أنـا فـيـه مـن الـ بـلـوى ومـا ألـقـاه مـن سـوءِ حـال

(١) **خُزامُ**: بضم أوله والخزامى بقلة، وهذا مخفف منه وهو واد بنجد: معجم *البلدان* ج٢ ص٣٦٦.

(٢) **ذو المجاز**: موضع سوق بعرفة، على فرسخ منها، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام: معجم *البلدان* ج٥ ص٥٥.

(٣) *الكشكول* ج١ ص١٨٧ وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٢ وسلافة *العصر* ص٣٠١ *والغدير* ج١١ ص٢٧٨.

فأظهر العطفَ على عبدِه	بمنطقٍ يزري بعقد اللآلْ
فيا لها من ليلةٍ نلتُ في	ظلامِها ما لم يكنْ في خيالْ
أمست خفيفاتُ مطايا الرَّجا	بها وأضحتْ بالعطايا ثِقالْ
سُقيتُ في ظلماتِها خمرةً	صافيةً صِرفاً طهوراً حلالْ
وابتهجَ القلبُ بأهلِ الحِمى	وقرَّتِ العينُ بهذا الجمالْ
ونلتُ ما نلتُ على أنني	ما كنتُ أستوجبُ ذاك النَّوالْ[1]

وقال يمدح النبيّ الأعظم ﷺ:

إليكَ جميعُ الكائناتِ تشيرُ	بأنَّكَ هادٍ منذرٌ وبشيرُ
وأنَّكَ من نورِ الإلهِ مكوَّنٌ	على كلِّ نورٍ من جلالِكَ نورُ
وروحكَ روحُ القدسِ فيها منزَّلٌ	وقلبُكَ في قلبِ الوجودِ ضميرُ
وشخصُكَ قطبُ الكائناتِ فسرُّها	على سرِّهِ في العالمين تديرُ
نَزَلتَ من الله العزيز بمنزلٍ	يسيرُ إليه الطرفُ وهو حسيرُ[2]

مديح آل البيت

وأبرز أنواع شعره الديني وأكثره حرية، وأوسعُه أفقاً وأطوله نفساً، «مدح أهل البيت وذكر العتبات المقدسة»، وللبهائي قصيدةٌ كاملةٌ وطويلةٌ في مدح الإمام «المهدي المنتظر»[3] عنوانها «وسيلة الفوز والأمان في

---

(١) *الكشكول*، ط أعلمي ج١ ص١٨٧ وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٢ وسلافة *العصر* ص٣٠١ *والغدير* ج١١ ص٢٧٨ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٦.

(٢) لم أجد هذه القصيدة في أي من المصادر السابقة، سوى في *الغدير* ج١١ ص٢٧٧.

(٣) **صاحب الزمان**: هو الإمام «المهدي المنتظر» وإن الأخبار بخروجه متواترة، والإجماع عليه من كافة المسلمين حاصل، بناء على الحديث النبوي «لا تنقضي الساعة حتى يملك الأرض رجلٌ من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً».
أما عند الشيعة الإثني عشرية فالمهدي المنتظر هو الإمام محمد المهدي ابن =

مدح صاحب الزمان»[1] في سبعة وسبعين بيتاً وله قصيدة أخرى في مدح الإمام المهدي ضمَّت سبعَ عشرة رباعية، وله مقطوعات في مدح أهل البيت وذكر العتبات المقدسة، متشابهة المعاني والأفكار، لم يبلغ فيها من حيث المعنى والأسلوب ما بلغه في قصائده الطويلة، ولكنه على كل حال، يظهر بها متشوقاً إلى زيارة العتبات المقدسة، راغباً في لثم ترابها، قال وقد أشرف على مدينة «سرّ من رأى» وفيها مشهد الإمامين العسكريين:

أسرِعِ السيرَ أيّها الحادي ... إنَّ قلبي إلى الحمى صادي
وإذا ما رأيتَ عن كثبٍ ... مشهدَ العسكريِّ والهادي
فالثُمِ الأرضَ خاضِعاً فلقد ... نِلْتَ والله خيرَ إسعادِ
وإذا ما حَلَلْتَ ناديَهمُ ... يا سقاهُ الإلهُ من نادي
فاغضُضِ الطَّرفَ خاضِعاً وَلِهاً ... واخلَعِ النَّعلَ إنَّه الوادي[2]

الأبيات عادية وإن كان الختام جميلاً جداً.

= الحسن العسكري ولد في سامراء عام ٢٥٥ للهجرة أو العام ٢٥٦ واختفى عن الأنظار طفلاً عمره خمس سنوات في غيبة دامت ٧٤ عاماً، وقد صحب غيبته الصغرى أربعة وكلاء كانوا هم الصلة بينه وبين أنصاره وشيعته، وكانت تخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته في أجوبة مسائل وفي أمور شتى، وأما الغيبة الكبرى، فهي بعد الأولى وبدأت بوفاة السفير الرابع، وعدم نصب غيره، وما زالت مستمرة.

وسفراؤه هم: (١) أبو عثمان بن سعد الأسدي وابنه أبو جعفر المتوفى العام ٣٠٦هـ وأبو القاسم بن رَوْح النوبختي وأبو الحسن علي بن محمد السَّمري المتوفى العام ٣٢٩هـ. راجع: محسن الأمين في «رحاب أئمة أهل البيت» المجلد الثاني، القسم الخامس *والدروس البهية* ص١٧٥ ـ ١٩٥ *وأعيان الشيعة* ج٢ ص٤٤ ـ ٨٤.

(١)و(٢) *الكشكول* ج١ ص١٦١ *والغدير* ج١١ ص٢٧٤ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٨.

كما قال حين أشرف على المشهد المقدّس الرضوي:

هــذه قــبــة مــولايَ بــدَتْ كــالــقــبــس
فــاخــلــعِ الــنَّــعــل فــقــدْ جِــزتَ بــوادي الــقــدسِ[1]

وفي المقطوعة والمثنوي كما هو ملاحظ تضمينٌ لمعنى الآية التي خوطب بها موسى الكليم عليه السلام، من قوله تعالى: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾[2] ويكرر عبارة «اخلع نعلَيك»، إشارة إلى قدسية المكان المزار، في معنى وصياغة يفوقان ما تقدّم في الأبيات التي يمدح بها مدينة الكاظمية، التي فيها مشهد الإمامين السابع والتاسع موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام:

ألا يا قاصد الزّوراء عرّج على الغربيِّ من تلك المغاني
ونعليكَ اخلعَنْ واسجد خضوعاً إذا لاحَتْ لديك القبتان
فتحتهما لعَمرُكَ نارُ موسى ونورُ محمَّدٍ متقارنان[3]

وتوفيقه عظيم جداً في البيت الثالث، في التورية الذكية، بين النبي موسى الكليم والإمام موسى الكاظم عليه السلام وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام محمد الجواد عليه السلام وفي الجناس والطباق معاً، الجليَّيْن في كلمتَيْ نار ونور، فموسى عليه السلام كما وردت قصَّته في القرآن الكريم يطلب «النار» لعله يأتي أهله منها بقبس أو يجد عليها هدى، ونور محمد أضاء الطريق لقومه الضّالين. . .

وقال بألفاظ ومعان مشابهة، لمَّا صمَّم أن يبنيَ مكاناً في النجف الأشرف لحفظ نعالِ زوَّار ذلك الحرم الأقدس وأن يكتب هذه الرباعية

(١) *الكشكول أعلمي*، ج١ ص١٥٥.
(٢) سورة طه، الآية ١٢.
(٣) بحار *الأنوار* ج١٠٦ ص١١٠.

التي «سخا بها الخاطر الفاتر» كما يقول:

هذا الأفقُ البيِّنُ قد لاح لديك | فاسجد متذللاً وعفر خديك
ذا طور سينين فاغضض الطّرف به | هذا حرم العزة فاخلعْ نعليك[1]

وسبب قدسية هذه الأماكن أنها محروسة من الملائكة، لذلك فإنَّ زائرها يتخلص بزيارتها من أوزار خطاياه.

يا منْ ظَلَمَ النَّفسَ وأخطأ وأسا | هذا حرم يفكّ عنك الدنسا
هذا حرمٌ مقدَّسٌ يخدمهُ | جبريل وميكال صباحاً ومسا[2]

قصيدة «الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان»

ونتناول رائيته هذه التي تبلغ سبعةً وستين بيتاً في مدح صاحب الزمان أنموذجاً مشبعاً وافياً لهذا الجانب الذي ندرس من أدبه، نتناولها هي بالذات رغم أنَّ عدد شارحيها كبير جداً، لأننا لا نعرف قصيدة حظيت بما حظيت به هذه القصيدة من شروح وتعليقات، وأهم هذه الشروح شرحُ أحمد بن علي المنيني المتوفى سنة ١١٧٢هـ ـ ١٧٥٨م، الملحق بكتاب الكشكول، والذي يقول فيه عن هذه القصيدة: «إنها مع رصانة مبانيها، ودقَّة معانيها غيرُ متوعرة المسالك، فسنح لي أن أخدم خزانة كتبِهِ[3] العامرة، لأنَّ بضاعةَ الأدب عنده رائجة، وإن كانت في زماننا كاسدةً بائرةً»[4].

(١) *الكشكول* ج١ ص١٢٦ *وروضات الجنات* ج٧ ص٧٠ *وأعيان الشعية* ج٩ ص٢٤٧.
(٢) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٤.
(٣) يعني به أحد معاصريه السيد محمد هاشم زاده الهاشمي، والعبارة توحي أن هذا الطالب للشرح شخصٌ نافذ...
(٤) *الكشكول* ط. دار الكتاب ص٧٣٥.

ويتناول المنيني كلَّ بيت على حدة، فيشرح الألفاظ أولاً، ثم يُعرب البيت ثم يذكر معناه مجملاً ومفصلاً...

وذكر صاحب الغدير[1] أسماء شارحيها ومنهم الشيخ جعفر النقدي في كتابه «منن الرحمن»، كما ذكر أسماء الذين عارضوها وهم كثيرون.

ونستنتج من قراءتنا لأسماء شارحيها ومعارضيها، أنها كانت من أشهر قصائد الشعر العربي عامة في الحقبة العثمانية.

ونلجأ إلى تحليل لهذه القصيدة، نتفحَّصها لمعرفة عناصرها، والمعطيات الفكرية والفنيَّة التي تشتمل عليها والقيم الإنسانية التي تضمَّنتها، والتي تظهر فيها بشكل مباشر، وأحياناً غير مباشر، شخصيته وتفكيره ونفسيته وظروفه.

لقد وضعت القصيدة[2] أساساً - أو هكذا قيل - في مدح الإمام المهدي عليه السلام، ولكن القصيدة ليست في الواقع إلا خلاصة لعواطف الشاعر ومنهجه الفكري، لعواطفه الغنية المتنوعة، النابضة المتحركة، وأننا كلَّما أمعنّا في قراءة القصيدة اتسعت وتضاعفت طاقة الإيحاء.

بعد القراءة الأولى تحسُّ قبل كل شيء، أنَّ هذه القصيدة تتدفق من نفس الشاعر كما يتدفق السَّيل، ولعلَّ مصدر هذا الإحساس، البحر الذي اختاره الشاعر (البحر الطويل)، والذي تظهر فيه السرعة والانحدار، وتتدافع فيه أبيات القصيدة تدافع الموج، ولعل مصدر هذا الإحساس

---

(1) *الغدير* ج١١ ص٢٧٩.

(2) تخريج القصيدة كاملة: *الكشكول أعلمي* ج١ ص١٧٦ - ١٧٩ وط دار الكتاب من ٧٣٥ - ٧٩١ وفي *روضات الجنات* ج٧ ص٦٦ الأبيات ٣٢ - ٤٢ وكذلك في *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤، وفي *أمل الآمل* ذكر الأبيات ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٤٠، ٤٦ وفي *أعيان الشيعة* القصيدة كاملة ج٩ ص٢٤٥.

أيضاً القافية التي اختارها الشاعر، والتي جمعت بين الرحابة والسعة من جهة، وبين الحزن والأسى من جهة أخرى:

سرى البرقُ من نجدٍ فجدَّد تذكاري ... عهوداً بحُزوى[1] والعُذَيبِ[2] وذي قارِ[3]

وهيَّجَ من أشواقنا كلَّ كامنٍ ... وأجَّجَ في أحشائنا لاعجَ النَّارِ

ألا يا لُيَيْلاتِ الغُوَيْرِ[4] وحاجرٍ[5] ... سُقيتِ بهامٍ من بني المزنِ مدرارِ

ويا جيرةً بالمأزِمَيْن[6] خيامُهُمْ ... عليكم سلامُ الله من نازحِ الدّارِ

مقدّمة وجدانية يعبّر فيها الشاعر في هذا النداء الحزين عن الأسى واللوعة اللذين يشعر بهما تجاه الزمن، وذكريات الأماكن التي تهيج الأشواق...

ولكنْ ما هي هذه الأماكن، وهل جاء اختيارها مقصوداً أم عفوياً، لماذا هذه الأماكن بالذات دون غيرها، أهو تقليد فقط للشعراء السابقين، أم أنَّ لهذه الأماكن دلالات بعينها، تنبع من أعماق النفس وتظهر في فلتات اللسان؟ هذه الأماكن بين الحجاز والعراق وبالتحديد بين مكة والمدينة جنوباً وبين الكوفة شمالاً، في الطريق التي يتبعها الحاج بعد

---

(١) **حُزوى**: موضع من أماكن الدهناء، والدهناء من ديار تميم: معجم *البلدان* ج٢ ص٢٥٥.

(٢) **العُذيب**: مصغَّر العذب اسم ماء، موضع بين الكوفة وواسط، وقرية بالري، معجم *البلدان* ج٤ ص٩٢.

(٣) **ذو قار**: يوم من أيام العرب مشهور، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم.

(٤) **الغُوَيْر**: تصغير غار اسم ماء لبني كلب بأرض السماوة بين العراق والشام، والغوير موضع على الفرات: معجم *البلدان* ج٤ ص٢٢٠.

(٥) **حاجر**: منزل للحجاج بالبادية، وفي معجم البلدان إن الحاجر ما يمسك الماء من شَفَةِ الوادي، وكذلك الحاجور: معجم *البلدان* ج٢ ص٢٠٤.

(٦) **المأزمان**: مضيق بين جمع وعرفة، وآخر بين مكة ومنى. معجم *البلدان* ج٥ ص٤٠.

زيارة الأماكن المقدسة في العراق، ذهاباً وإياباً، والتي تربط بين مكانين مقدَّسين عند الشيعة، ثم إن ذكر «العُذيب» بالتحديد وهو اسم ماء بين الكوفة وواسط، لذو بُعدٍ شعوري عميق، لأن للماء عند الشيعة الإثني عشرية في تراثهم الأدبي كله دلالةً رمزيةً، لعلاقته بعطش الحسين عليه السلام، وهو يُظهر الرَّبطَ عنده بين الخاص والعام بصورة لا شعورية.

إنَّ أحزانه وآلامه ليست أحزاناً وآلاماً شخصية، بل هي أحزانُ أمَّةٍ من المؤمنين على امتداد قرون من الزمان، إنها ليست منفصلة عن أحزان المسلمين جميعاً وآلامهم، وهذا هو البعد النفسيُّ للمكبوتات الخارجة من أعماق النفس..

خليليَّ مالي والزمان كأنَّما ... يطالبني في كلِّ آنٍ بأوتار
فأبعدَ أحبابي وأخلى مرابعي ... وأبدلني من كل صفوٍ بأكدار
وعادل بي من كان أقصى مَرامِهِ ... من المجدِ أن يسمو إلى عشر معشاري
ألم يدرِ أنّي لا أزال لخطبِه ... وإن سامني خَسفاً وأرخصَ أسعاري
مقامي بفرق الفرقدَيْنِ فما الذي ... يؤثره مسعاهُ في خفضِ مقداري
وإني امرؤٌ لا يدرك الدهرُ غايتي ... ولا تصلُ الأيدي إلى سبرِ أغوادي
أخالطُ أبناء الزّمان بمقتضى ... عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري

لا يحتاج الدَّارس إلى كبير عناء، ليلاحظَ أثَرَ المتنبي في هذا الشعر، الشكوى من الزمان الذي يطالبه بوتر قديم عنده، ثم الشعور بالعظمة والموازنة بين النجاح والفشل، ليس غروراً وإنَّما هو شعور بالتميّز من الآخرين، من غالبية البشر في كل زمان ومكان (الحمير المسرجة في قرى) كما قال هو نفسه[١]، إنَّها أزمة الناس المتفوقين

---

(١) وثورين حاطا بهذا الورى ... فثور الثريا وثور الثرى
وهم تحت هذا ومن فوق ذا ... حمير مسرجة في قرى =

والمثاليين، الذين لا يُفهمون من محيطهم، ولا يبتعدون عن حلبةِ الصّراع، فيتأزمون ويشعرون بالغربة المعنوية والمادية:

وأُظهِرُ أنّي مثلُهم تستفزّني صروفُ الليالي باحتلاءٍ وإمرارِ
وأني ضاري القلب مستوفزُ النهى أسرّ بيسرٍ أو أساء بإعسارِ
ويضجرني الخطبُ المهولُ لقاؤُهُ ويُطربني الشادي بعودٍ ومزمارِ
ويُصمي فؤادي ناهدُ الثّدي كاعبٌ بأسمرَ خطّارٍ وأحورَ سحارِ
وأنّي سخيٌ بالدّموع لوقفةٍ على طللٍ بالٍ ودارسِ أحجارِ
وما عَلموا أنّي امرؤٌ لا يروعُني توالي الرّزايا في عشيٍّ وإبكارِ
إذا دُكَّ طودُ الصَّبر من وقع حادثٍ فطودُ اصطباري شامخٌ غيرُ منهار
وخطبٍ يزيلُ الرَّوعَ أيسرُ وقعِهِ كؤود كوخزٍ بالأسنَّةِ سعّارِ
تلقَّيتهُ والحتفُ دون لقائه بقلبٍ وقورٍ بالهزاهزِ صبَّار
ووجهٍ طليقٍ لا يُملُّ لقاؤه وصدرٍ رحيبٍ في ورودٍ وإصدارِ
ولم أبدِهِ كي لا يساء لوقعِهِ صديقي ويأسى من تعسره جاري
ومعضلة دهماء لا يهتدي لها طريقٌ، ولا يهدى إلى ضوئها الساري
تشيب النواصي دون حلّ رموزها ويُحجِمُ عن أغوارها كلُّ مغوارِ
أجلْتُ جيادَ الفكرِ في حَلباتِها ووجَّهتُ تلقاها صوائبُ أنظاري
فأبرزتُ من مستورِها كلَّ غامضٍ وثقَّفتُ منها كلَّ قَسْوَرَ موّارِ

إنه يخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كي لا ينكروه، هذا الوعي للفوارق بين مستويات الناس، وللفارق بينه وبين معاصريه مِن بَهَمِ الناس، يدفعه إلى مبدأ، أن يتعامل مع الآخرين تبعاً لمستوى تفكيرهم، وهذا أمرٌ مرتبطٌ بنمطِ شخصيته التي تحدّثنا عنها؛ إذاً هو

= *الكشكول* ط دار الكتاب ص٢٠ *وروضات الجنات* ج٧ ص٦٥ *والغدير* ج١١ ص٢٧٤، *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

يتظاهرُ أنه كالآخرين، وهو في الحقيقة ليس مثلهم، هو أرفع منهم لا يروعه توالي الرزايا والخطوب، ثم إن عبارات «القلب الوقور» و«الوجه الطليق» و«الصدر الرحيب»، كلها تعبيرٌ صريحٌ عن فداحة ما يعاني ويتحمل في مجاراته للناس وما يدفعه من ثمن لكي لا يُساء صديق ولا يأسى جار... لمَ يفعلُ ذلك؟ لمَ يتحمَّل كلَّ ذلك الجهد مع الآخرين؟ لأنَّه أرفع منهم، لأنَّه أقدر على حل رموز المسائل الصّعبة، وهو هنا معتزّ بقيمته العلميَّة، التي ترفَعُه فوقَ مستوى الحيوان من الناس، وتجعله يقبلُ دفعَ هذه الضريبة، وتدفعُه إلى أن يصرُخَ راضياً ويقولَ مبرِّراً:

أأضرعُ للبلوى وأغضي على القذى ... وأرضى بما يرضى به كلُّ خوّارِ؟
وأفرح من دهري بلذَّةِ ساعةٍ ... وأقنَعُ من عيشي بقرصٍ وأطمارِ
إذنْ لا ورىَ زَنْدي ولا عزَّ جانبي ... ولا بزغتْ في قمَّة المجد أقماري
ولا بُلَّ كفِّي بالسَّماح ولا سَرَتْ ... بطيبِ أحاديثي الرّكابُ وأخباري
ولا انتشرَتْ في الخافقَيْنِ فضائلي ... ولا كان في المهديِّ رائقُ أشعاري

هذا المقطع الذي يتخلص منه إلى مدح الإمام المهدي، يُظهِرُ العلاقة الوثيقة بين الشاعرِ وفكرة المهدي، الشاعر العالم الرياضي، والمهدي مع ما يمثّله من أمل بالمستقبل!

يكفيه ليسموَ على الآخرين ويفضُلَهم أن يكون محبّاً للمهدي عليه السلام وأن يكون في المهدي رائقُ أشعاره:

خليفةُ ربِّ العالمين وظلُّهُ ... على ساكني الغبراءِ من كل ديَّارِ
هو العُروةُ الوثقى الذي من بذيلِه ... تمسَّكَ لا يخشى عظائمَ أوزارِ
إمامُ هدىً لاذ الزّمان بظلِّهِ ... وألقى إليه الدّهرُ مِقْوَدَ خوَّارِ
ومقتدرٍ لو كَلَّفَ الصُّمَّ نُطقَها ... بأجذارِها فاهَتْ إليه بأجذارِ

«الصم» أو الأعداد التي لا جذور لها في اصطلاح «الحساب»، والجذر الذي يُضرَبُ بنفسِه، وهو من المسائل التي عالجها البهائي في «خلاصة الحساب»، فالبهائي هنا يلجأ إلى معارفه الشخصية في الرياضيات وعلم الحساب، فيستخدمها في أدبه الشعري وفي مدحِهِ لإمامِهِ الممدوح خاصة، ويُظهِر أنَّ إمامَهُ بما لَهُ من قوة غيبية وكرامة من الله، يستطيع كل شيء، ويتمكن حتى من أن يُنطِقَ الأعدادَ الصُّمّ ويستخرج منها جذورَها: فهو حلُّ مستعصياتِ الأمور التي لا حلَّ لها وما ذلك إلاَّ لأنَّ علمَ الورى كنقطةٍ بحرٍ في منقارِ طائر، إذا ما قورن بعلم الإمام. العلماءُ والفلاسفةُ على أعتابه يأخذون من حكمته القدسية ما لا تشوبُه شوائب، وأدناسُ أفكارهم، أشرقَتِ العوالمُ لما دنَتْ من إشراقِ حكمتِهِ القدسيَّة، به يعلو العالم السفلي على العالم العلوي، وتستمدّ منه العقولُ العشرُ كمال العلم. . .

علومُ الورى في جنبِ أبحرِ علمِهِ ... كغرفةِ كفٍّ أو كغمسةِ منقارِ
فلو زار أفلاطون أعتابَ قدسِهِ ... ولم يُعشِهِ عنها سواطعُ أنوارِ
رأى حكمةً قدسيَّة لا يشوبُها ... شوائبُ أنظارِ وأدناسُ أفكارِ
بإشراقِها كلُّ العوالِم أشرَقَتْ ... لما لاحَ في الكونين من نورِها السَّاري
إمامُ الورى، طودُ النّهى، منبعُ الهدى ... وصاحبُ سرِّ الله في هذه الدَّارِ
به العالَمُ السُّفليّ يسمو ويعتلي ... على العالم العلوي من دونِ إنكارِ
ومنه العقولُ العشرُ تبغي كمالَها ... وليس عليها في التعلُّم من عارِ

ولا يكتفي الشاعر بهذا التصوّر الفلسفي الديني، وإنما يسمو إلى مبالغات منزوعةٍ من إيمانٍ شديدٍ بطاقاتِ الإمام الخارقة، فيصوّر المهدي بأنَّه همام لو أجمعَتِ السمواتُ السبعُ على مخالفةِ بعض أحكامه الجارية لنُكِّس من أبراجها كلُّ شامخ، وسُكِّنَ من أفلاكها كلُّ متحرّك، حتى تنتشرَ الثوابت ويرى البشر كلُّهم المهدي يحملُ أبراجَ الجوزاء فوق كفيه،

ليضيءَ بها عالم النور والإيمان فيشعّ مشعل الحرية في دنيا الظلم والفساد:

همام لو السَّبعُ الطّباق تطابقت على نقضٍ ما يقضيه من حكمِهِ الجاري
لنكّسَ من أبراجها كلُّ شامخ وسُكِّنَ من أفلاكِها كلُّ دوارِ
ولانتثرت منها الثوابت خيفةً وعافَ السُّرى في سورها كلُّ سيارِ
أيا حجَّةَ الله الذي ليسَ جارياً بغير الذي يرضاه سابقُ أقدارِ
ويا من مقاليدُ الزمانِ بكفِّهِ وناهيك من مجدٍ به خصَّهُ الباري
أغِثْ حوزةَ الإيمان واعمرْ ربوعَهُ فلم يبقَ منها غيرُ دارسِ آثارِ

شعورٌ بفسادِ المجتمع والناس، ولا يمكن أن يصلحُ هذا الأمر إلا بما هو فوق الحسّ والشعور، وما دعوة المهديِّ إلا اهتمام بالمجتمع وبالناس، وإنَّ معاينة ما يجري في المجتمع من مآثم تُرتَكَبُ باسم الدّين، تُشعِرُ بالحاجةِ إلى الإصلاح، إلى التَّغيير نحو الأسمى، والأفضل والأمثل، هذا التغيير الكلّي لا يكون إلا بالقضاء على السائد الممجوج، بالوصول إلى الهدفِ الأسمى والأمثل في ظلّ خلافة المهدي، الذي سيملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً، هذه الصرخة الموجَّهة نحوه لغوثِ الأمَّة تحملُ في طياتها، كل ما يحملُه الشاعرُ من أسى ولوعة وهو يرى ما يُرتكب باسم الدين في الدولتين الصفوية والعثمانية:

أيا حجَّةَ الله الذي ليس جارياً بغير الذي يرضاه سابقُ أقدارِ
ويا من مقاليدُ الزّمان بكفِّهِ وناهيك من مجدٍ به خصَّهُ الباري
أغِثْ حوزةَ الإيمان واعمُرْ ربوعه فلم يبقَ منها غيرُ دارِسِ آثارِ

ـ إن الشاعر ينادي ممدوحَه المهدي ويستغيثُ به ويصفُه بأنَّه حجة الله على الخلق... ثم تضرع إليه وسأله أن يظهرَ ويُغيثَ حوزة الإسلام، ويعمّرَ منازلَه وأماكنَهُ، فإنَّها قد اندرسَتْ وعفَتْ آثارها.

وأنقِذْ كتابَ الله من يدِ عِصبةٍ عصَوْا وتمادوا في عتوٍّ وإصرارِ
يحيدون عن آياته لرواية رواها أبو شعيون[1] عن كعب الأحبار[2]
وفي الدين قد قاسوا وعاثوا وخبّطوا بآرائهم تخبيطَ عشواءَ معسارِ
وانعِشْ قلوباً في انتظارك قرّحت وأضجَرَها الأعداء أيةَ إضجارِ
وخلِّص عبادَ الله من كلِّ غاشِمٍ وطهِّر بلادَ الله من كلِّ كفَّارِ

يطلب إلى ممدوحِهِ أن يخلّص كلام الله تعالى من أيدي عصبة عصَوا الله تعالى باتّباع أهوائهم وداموا على ضلاهم واستكبارهم، وأصروا على ذلك وحرَّفوا القرآن، وأوّلوه بتأويلات بعيدة، لآثار وأخبار واهية يروونها عن مجاهيل لا تُقبلُ روايتُهم عند أهل الأثر، وهو في دعوته للإمام المهدي وانتقادِهِ لرجال الدين وللسائد الممجوج، ينطق بالموقف الإسلامي الذي يؤمن بحتمية الإصلاح في ظلّ خلافة المهدي[3]، وسيتّضح لنا من خلال دراستنا لشعر البهائي الفارسي، كثرة

(١) **أبو شعيون** يحتمل أن يكون كنية راو من رواة كعب الأحبار غير مشهور، ويحتمل أن يكون كناية عن مجهول لا يعرف.

(٢) **كعب الأحبار** (المتوفى سنة ٣٢هـ ـ ٦٥٢م) وهو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحق.
كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة... وخرج إلى الشام، فسكن حمص وتوفي فيها (*الأعلام للزركلي* ج٥ ص٢٢٨).

(٣) كما ورد في الفتوحات المكية: «واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلىء الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن في الدنيا إلا يومٌ واحد، طوَّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة... ولا يبقى في زمانه إلا الدين الخالص عن الرأي، يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه.. أول أعدائه الفقهاء المقلّدون، يدخلون تحت حكمه خوفاً من سيفه وسطوته... يبايعه العارفون بالله تعالى من أهل الحقائق عن شهود وكشف، بتعريف إلهي، وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه، وهم الوزراء يحملون أثقال المملكة». *الفتوحات المكية* ص٨٧ ـ ٨٨.

انتقاده لرجال الدين من أهل الظاهر، دون أن يحدّد انتماءهم إلى مذهب بعينه[1].

إذاً في ظلّ الإمامة المهدوية حاملة المشروع الإلهي، التي تغيّر المفاهيمَ السائدة، وتقلب الموازين، سيكون البهائي وأترابه من بني همْدان الرجال الإلهيين الذين يقيمون دعوة الإمام وينصرونه:

وعجّل فداك العالمون بأسرهم — وبادر على اسمِ الله من غيرِ إنظارِ
تجدْ من جنود الله خيرَ كتائبٍ — وأكرمَ أعوانٍ وأشرفَ أنصارِ
بهم من بني همدانَ أخلصُ فتيةٍ — يخوضون أغمار الوغى غيرَ نكّارِ
بكلّ شديدِ البأسِ عبلٍ شمردلٍ — إلى الحتفِ مقدام، على الهولِ مصبارِ
تحاذرُهُ الأبطالُ في كلّ موقفٍ — وترهبُهُ الفرسانُ في كلّ مضمارِ

ثم هو لا ينسى في نهاية القصيدة أن يفتخرَ بشعرهِ على طريقة المتنبي، ولكنَّ هذا الفخر أيضاً ليس مقصوداً لذاته، وإنَّما قصدَ الشاعر من ورائه، أنَّ هذا الشعرَ القيّمَ يليقُ بمقام المخلِّص المرتجى:

أيا صفوةَ الرحمٰنِ دونَكَ مِدحةً — كدرٍّ عقودٍ في ترائبِ أبكارِ
يُهنّا ابنُ هاني إن أتى بنظيرِها — ويعنو لها الطائيُّ من بعدِ بشّارِ
إليكَ البهائيُّ الحقيرُ يزفُّها — كغانيةٍ ميّاسةِ القدِّ معطارِ
تغار إذا قيست لطافةُ نظمها — بنفحةِ أزهارٍ ونسمةِ أسحارِ
إذا رُدِّدَتْ زادت قبولاً كأنها — أحاديث نجدٍ لا تملُّ بتكرارِ

ولا بد في نهاية حديثنا عن هذه القصيدة من ذكر بعض الملاحظات التي تتعلق بالأسلوب، أو بما يمكن أن نسمّيه المزاوجةَ بين المعنى والأسلوب في شعر البهائي:

---

(١) وهذا يردّ مزاعم أحمد المنيني شارح القصيدة، الذي اعتبر أن هذا الكلام موجه إلى أهل السنّة: ملحق *الكشكول*. ط دار الكتاب ص٧٨٢.

١ ـ تسرّبُ أفكاره الرياضية إلى شعره، وتسرّب أفكاره الدينية أيضاً إليه، بمعنى أن شعره يدلُّ دلالةً واضحةً، دونَ لَبْسٍ على شخصيتِهِ العلميةِ والدينيةِ، وأما قوله إن الإمام مقتدرٌ على إنطاقِ الأعدادِ الصمِّ بأجذارها: فما هو إلا دلالةٌ على قيمةِ الرياضيات في نظر البهائي، وقيمة العلوم بشكل عام، وعلى أن ظهور المهدي ﷺ سيؤدي إلى حل جميع المعضلات حتى العلمية منها.

٢ ـ المطلع التقليدي وذكرُ الأماكن، وارتباط هذه الأماكن بوجدانيةِ الشَّاعر..

٣ ـ لم تخلُ القصيدة على طولها من ضعفٍ في تركيب بعض الأبيات سببه تكلُّف تكرارِ حرفٍ بعينهِ أحياناً، كتكرار حرف السين في قوله في البيت الثالث عشر:

وأنّي ضاري القلبِ مستوفز النُّهى　　أسرُّ بيسرٍ أو أساءُ بإعسارِ

وفي البيت الخامس والأربعين:

ولانتثرت منها الثوابت خيفةً　　وعافَ السُّرى في سورها كلُّ سيَّارِ

وتكرار الزاي والسين في البيت التاسع عشر:

وخطبٍ يُزيل الرّوعَ أيسرُ وقعِهِ　　كؤودٍ كوخزٍ بالأسنَّةِ سعّارِ

والتقعير في بعض الألفاظ:

كلفظة **كؤود** بمعنى الصعب، **وسعّارٍ** مبالغة من سعرت النار في البيت التاسع عشر، ولفظة **هزاهز** في البيت العشرين للفتن.

ولفظة قسْور موّار للغلام الشجاع في قوله:

فأبرزت من مستورها كل غامض　　وثَقَّفتُ منها كلَّ قسْورَ موّارِ

٤ ـ اختياره للبحر الطويل الذي تظهرُ فيه السرعةُ والانحدار، ويناسب القصائد الطوال.

٥ ـ اختياره القافية التي جمعت بين الرحابة والسّعة من جهة وبين الحزن والأسى من جهةٍ أخرى، كما ذكرنا في مقدمة شرحنا لهذه القصيدة.

مدح صاحب الزمان

ومن أجمل شعره الديني هذه الموشّحة التي قالها في صاحب الزمان، المهديّ المنتظر، على بحر الرمل بما فيه من غنائية وانسياب... إنك تشهد فيها بوضوح مجموعة عواطف وانفعالات، تتدفق منها حرارة الحياة النابضة المتحركة بعيداً من تعقيد الصور والرؤى، والتراكيب المنتقاة، ألفاظها سهلة، عادية، غنائية، تختلف كل الاختلاف عن الألفاظ المستخدمة في قصيدة «الفوز والأمان».

لم يبتغ في هذه القصيدة أكثر من أن ينقل إلينا تجربته الوجدانية في حبه لأهل البيت ﷷ، بينما نقلت لنا القصيدة السابقة، تجربته الإنسانية الشاملة، ومضامينه الفكرية...

بدأ بمقدمة غزلية، أو ظاهرها غزل، وباطنها حب لأهل البيت، وأهم ما فيها دعوته للإمام المهدي أن يعجل بالظهور، لأن الضلال قد استولى على العالم، ثم هو لا ينسى في ختام القصيدة بعد أن يفتخر بشعره أن يطلب رفع الضر عنه بحق المهدي.

يا كراماً صبرُنا عنهم محال   إنَّ حالي من جفاكم شرُّ حال
إن أتى من حيّكم ريح الشَّمال   صِرتُ لا أدري يميني من شِمالْ



حبّذا ريحٌ سرى من ذي سلَمْ عن ربا نجدٍ وسلع والعلمْ
أذهبَ الأحزانَ عنَّا والألَم والأماني أُدرِكَتْ والهمّ زال



يا أخلّائي بحُزوى والعقيق لا يطيق الهجرَ قلبي لا يطيق
هل لمشتاقٍ إليكم من طريقْ أم سدَدْتُم عنه أبواب الوصالْ



لا تلوموني على فرط الضَّجَرْ ليس قلبي من حديدٍ أو حجرْ
فاتَ مطلوبي ومحبوبي هجرْ والحشا في كل آنٍ في اشتعالْ



من رأى وجدي لسكّان الحجون قال: ما هذا هوىً هذا جنونْ
أيّها اللّوام ماذا تبتغون قلبي المضنى وعقلي ذو اعتقال



يا نزولاً بين جمعٍ والصفا يا كرام الحيِّ يا أهلَ الوفا
كان لي قلبٌ حمولٌ للجفا ضاعَ مني بين هاتيكَ التِّلال



يا رعاك الله يا ريح الصَّبا إن تُجِزْ يوماً على وادي قُبا
سل أهيل الحيِّ في تلك الربا هجرُهُم هذا دلالٌ أم ملالْ؟



جيرةٌ في هجرِنا قد أسرفوا حالُنا من بعدهم لا يوصفُ
إن جفوا أو واصلوا أو أتلفوا حُبُّهم في القلب باقٍ لا يزالْ



هم كرامٌ ما عليهم من مزيد ... من يَمُتْ في حبِّهم يمضي شهيدْ
مثل مقتولٍ لدى المولى الحميد ... أحمديَّ الخلقِ محمودَ الفِعالْ



صاحبُ العصر الإمامُ المنتظر ... من بما يأباه لا يجري القدرْ
حجَّةُ الله على كلِّ البشرْ ... خيرُ أهل الأرض في كلِّ الخصالْ



من إليه الكونُ قد ألقى القياد ... مجرياً أحكامَهُ في ما أراد
إن تَزُلْ عن طوعِهِ السَّبعُ الشِّداد ... خرَّ منها كل سامي السَّمكِ عالْ



شمسُ أوجِ المجدِ مصباحُ الظَّلامْ ... صفوةُ الرحمٰن من بين الأنامْ
الإمام ابنُ الإمامِ ابنُ الإمام ... قطبُ أفلاكِ المعالي والكمالْ



فاق أهلَ الأرض في عزٍّ وجاهْ ... وارتقى في المجدِ أعلى مرتقاه
لو ملوك الأرضِ حلّوا في ذراه ... كان أعلى صفِّهم صفُّ النِّعالْ



ذو اقتدارٍ إنْ يشأ قلبَ الطِّباع ... صيَّرَ الإظلامَ طبعاً للشُّعاع
وارتدى الإمكانُ بردَ الامتناع ... قدرةٌ موهوبةٌ من ذي الجلالْ



يا أمين الله يا شمسَ الهدى ... يا إمامَ الخلْقِ يا بحرَ النَّدى
عجِّلَنَّ عجِّل فقد طالَ المدى ... واضمحلَّ الدّينُ واستولى الضلال



هاكَها مولايَ يا نعمَ المجير　　من مواليكَ البهائيُّ الفقير
مدحةً يعنو لمعناها جرير　　نظمُها يُزري على عقدِ اللآل



يا وليَّ الأمرِ يا كهفَ الرَّجا　　مسَّني ضُرٌّ وأنتَ المرتجى
والكريمُ المستجارُ الملتجا　　غيرُ محتاجٍ إلى بسطِ السؤال[١]

إنَّ أهل البيت بالنسبة إلى البهائي الشاعر المتصوف هم القدوة في طريق الحق جلَّ وعلا، وحبُّهم يعني السير في هذا الطريق للوصول إلى المعرفة الحقَّة: الوصال، والشَّوق، والهجر، والحشا المشتعل، والهوى المؤدي إلى الجنون، والحبّ الباقي رغم الهجر والدلالِ، كلّها رموز عرفانية، توصلُ إلى العشقِ الإلهي، طريقه الإيمان بأهل البيت عليهم السلام، وكذلك ما ترمز إليه فكرة المهدي كطريق إلى الحق جلَّ وعلا: (قطب أفلاك المعالي والكمال)، وما للفظةِ «قطب» من دلالة في لغة المتصوفة.

الغديرية[٢] أنموذج آخر من شعر البهائي الديني الصوفي النابع من إحساسٍ وجدانيٍّ عميق، وانفعال عاطفيٍّ سامٍ.

القصيدة أساساً مدحٌ للإمام علي عليه السلام، وعلاقة الشيخ البهائي بالإمام علي علاقة من جهتين: فهو **أولاً**: إمامه باعتبار تشيّعه، وهو **ثانياً**: إمامه ومرشده باعتبار تصوّفه.

---

(١) تخريج القصيدة في *الكشكول ط أعلمي* ج١ ص٢٤٢ ـ ٢٤٤ *وط دار الكتاب* ١٦٢ ـ ١٦٤ *وأمل الآمل* ج١ ص١٦٠ ستة أبيات. *والغدير* ج١١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٤.

(٢) تخريج الغديرية في *الغدير* ج١١ ص٢٤٢ ـ ٢٤٩، وقد ذكر الأصل الذي هو للشيخ البهائي كما ذكر تخميسها الذي هو للشيخ علي المقري، وقد نقلها صاحب *الغدير* مع تخميسها من مجموعة الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء: تقع القصيدة في ٤٠ رباعية (٨٠ بيتاً).

وهو في هذه القصيدة يمثّل تمثيلاً دقيقاً قضيَّة تداخلِ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية. . . فالإمام علي هو ملتقى هؤلاء جميعاً، وهو زعيم الطرق الشيعية كلّها لا اختلاف في ذلك. . . وأما طرق التصوف غير الشيعية فإنها ـ عدا النقشبندية وحدها ـ تنتسب هي أيضاً إلى الإمام علي وتعتبرُه إمامَها، أو قُطبَها، أو شيخَها، حسب تعبيراتهم»[1].

تحدَّث البهائي في هذه القصيدة، عن علي، كشيعي وكمتصوف، ورأى فيه الإمام والهادي والمرشد، ووسيلة النجاة.

وقد بدأ القصيدة بمقدمة غزلية ذات رمز باطني، ومدلول عرفاني، وصورة الحبيب في هذه المقدمة واضحة بارعة بغضِّ النظر عن رمزها: وقيمتُها الجمالية نابعةٌ من صياغة دقيقة وبراعة أداء، لوّنها الشاعر بالأضواء والظلال:

رعى الله ليلةَ بتْنا سهارى ... خَلَعْنا بحبِّ العذارى العذارا
ولما سرى النجمُ والبدرُ حارا ... أماطت ذاتُ الخمار الخمارا

وقد قرن الذكرى بالغزل، بشرب الخمرة، وكلها رموز للمعرفة، وإن قدَّم صوراً واضحة:

فاللقاء تم ليلاً أنارته الحبيبة بوجه كأنه البدر، وخدٌّ ينضحُ بماء الحياء، وفم يبسم عن أشنب واضح. .

الليل يرمز إلى «المجاهدة الليلية» حيث الصفاء الفكري والنفسي، والتطلّع نحو المثال، **والحبيبة** المنيرة الوجه هي المعرفة التي تنير عقل الصوفي في الليل المظلم، ولا بدَّ من **شرب الخمرة** وتعاطي كؤوس

(١) انظر: أسعد علي: *المنتجب العاني* ص٤٧ نقلاً عن (الوظيفة الشاذلية اليشرطية) نشرة سرية وكذلك «*الصلة بين التصوف والتشيع*» و«*الفكر الشيعي والنزعات الصوفية*» حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري للدكتور كامل مصطفى الشيبي ص٢١.

المعرفة، فالحبيبة حجازية والحجاز رمزٌ معروف، أما الخمرة **فقديمة** قِدَمَ المعرفة الأولى، هذه المعرفةُ الصوفية توحِّدُ الشعوب والأديان، فخمرته متنوعة: مُدام، حمراء، مشعشعة، أرجوانية، وهي كذلك مجوسية ومصرية ورومانية، قديمةٌ، تفتقر النفوس إليها..

والمجلس يخلق بين عناصره: المرأة والساقي والندامى جوّاً من التواجد والتعاطف والتجانس، حتى يختلط الأمر، فلا ندري أيهما اكتسب من الآخر الحمرة والضياءَ والنور، مهَّد بكلٍّ ذلك لمديح علي: (حيدرة الكرار).

..فللّه مجلسنا باللّوى	فكلّ المنى والهنا قد حوى
إذا نزعت من نزيل الجوى	فقامت وقد عاث فيها الهوى

❀ ❀ ❀

أضاء الدّجى نورُها حين لاح	بوجه سبى حسنَ كلٌ الملاح
أزلنا الهمومَ بذاتِ الوضاح	سقتنا إلى حين بان الصّباح

❀ ❀ ❀

فيا ظبيةً طال يا للرجال	نعمنا بها في لذيذِ الوصال
فقرَّ وقد صحَّ فيه المثال	كما فرَّ جيش العدا بالنزال

❀ ❀ ❀

إمام البريَّة أصل الأصول	شفيعُ الأنامِ بيومِ مهول
فتىً حبَّهُ الله ثم الرسول	وصيّ النبيِّ وزوج البتول

❀ ❀ ❀

ظهر حسن التخلص في المقارنة بين فرار الدجى وفرار أعداء علي: فالدجى: رمز الجهل، **وعليٌّ**: رمز العلم (باب مدينة العلم)،

فالوصول إلى مدينة العلم والمعرفة لا يكون إلا بولوج بابها (علي)، شفيع الأنام، حبيب الرسول، من تمسك به فقد تمسك بعرى الدين الوثقى:

.. فإن طعْتَ ربَّ السما فارضِهِ فـحـبُّ الأئـمـة مـن فـرضـه
وضـاعِـفْ ثـوابـك مـن فـرضـهِ وعـفِّـر خـدودَك فـي أرضِـهِ



إذا جـئـت ذاك الـحـمـا سلّـمـا وكـن والـهـاً بـالـغـنـا مـغـرمـا
وزرْ قـبَـر مـن بـالـمـعـالـي سَـمـا فـثـمَّ تـرى الـنـورَ مـلء الـسـمـا..



الإنسان في مجاهدة الكشف يتكىء على يقين إمامه (علي) وهو لجوءٌ مطمئن، فمن شاء أن يرضي الله عز وجل، عليه الأخذ بأسباب علي ليسقى من الحوض يوم الظمأ، كناية عن الظمأ إلى المعرفة الحقَّة، والساقي للمعرفة علي عليه السلام، لأنَّ حبلَهُ متصلّ بحبلِ الإله، ورضى علي طاعةٌ لرب السماء، وحبُّ الأئمة فرض يضاعف الثواب يوم القيامة، وزيارة قبرِ عليٍّ واجب، ومن يزرْهُ يرَ النّورَ مالئاً السماء (نور معرفة علي).

.. إمـام تـحـنُّ الـمـطـايـا إلـيـه وتـذوي ذنـوب الـبـرايـا لـديـه
غـداً أرتـجـي شـربـةً مـن يـديـه ولـيـس الـمـعـوّلُ إلا عـلـيـه

حبُّ علي تقرُّبٌ من الله عزَّ وجل، فهو عقد الولاء، وقسيم اللظى والجنان، حبُّهُ يفكّ الإنسان من إسار عبوديته للدنيا، فهو سفينة النجاة، إطاعته وحبُّه امتلاكٌ لأسرار الوجود، وعليه المعوّل في النجاة من الذنوب.

..عليٌّ أميري ونعمَ الأمير مجيري غداً من لهيب السَّعيرِ
وكان لأحمدَ نعمَ النَّصير ووافاه أمراً غداة «الغدير»

يشير إلى «غدير خم» حيث أوصى النبي بولاية أمر المسلمين بعده لعلي عليه السلام. ويختم القصيدة بقوله:

..أيا سيّدي يا أخا المصطفى ومن لك بعد النبي الصَّفا
عليكَ سلامي لوقتِ الوفا متى ما أضا بارقٌ واختفى..

شعر الزهد والموعظة

للبهائي بعض المواعظ الشعرية، قطعة صغيرة أو رباعية، لا تعادل من حيث المضمون مواعِظَه النثرية المبثوثة في الكشكول، وفي بعض كتبه الدينية الأخرى، وقد قصد أن يقدّمَ موعظةً بأشكال شعريةٍ قصيرةِ النفس، ولكنها جاءت أقرب إلى النثر منها إلى الشعر لطابعها التعليمي الصرف.

يا رب إني مذنب خاطىء مقصِّرٌ في صالحاتِ القُرَب
وليس لي من عملٍ صالح أرجوه في الحشر لدفع الكُرب
غيرُ اعتقادي حبَّ خيرِ الورى وآلِه والمرءُ مع من أحب(١)

أو كقوله مرحِّباً بالموت:

إن هذا الموت يكرهه كل من يمشي على الغبرا
وبعين العقل لو نظروا لرأوه الراحة الكبرى(٢)

---

(١) *رياض العلماء* ج٥ ص٩٣ و*روضات الجنات* ج٧ ص٧١ و*أمل الآمل* ج ١ ص١٥٩ ـ ١٦٠ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧ والأبيات على البحر السريع.

(٢) *الكشكول*. *أعلمي* ج١ ص٢٩ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٤ و*سلافة العصر* ص٢٩٦ و*روضات الجنات* ج٧ ص٦٥ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧ والأبيات على البحر الخفيف.

وقوله في الوحدة:

لم أشكُ من الوحدة بين الناس ... إن شرَّدني الزمانُ عن جلاسي
فالشّوقُ لقربهم قريني أبداً ... والهمُّ جليسي وبه استئناسي[1]

إن الموتَ آتٍ لا محالة، وبعدَ الموت حياةٌ لا يستحقُّها إلا من جهِدَ في حياته الفانية في طلب الآخرة... الموت حق إذاً:

لا تبكِ مُعاشراً نأى أو إلفا ... القوم مضوا ونحن نأتي خلفا
بالمهلةِ أو تعاقبٍ نتبعهم ... كالعطفِ بثمَّ أو كعطف بالفا[2]

وهو هنا في هذه الرباعية، يلجأ إلى ما لجأ إليه معاصروه من الإكثار من حديث النحو ودروسه في بعض أبياته في هذه الرباعية، وفي القصيدة التي يشكو فيها سوء حاله في قزوين، وفي أبيات ثلاثة أخرى في قصيدة الكرديّ الذي قتل أمّه[3].

ولكن لعلَّ أفضل شعره الوعظي قصيدة «رياض الأرواح»، وهي على طريقة المثنوي، وعلى البحر الوافر، وهي:

ألا يا خائضاً بحرَ الأماني ... هداكَ الله ما هذا التواني؟
أضعْتَ العمر عصياناً وجهلاً ... فمهلاً أيّها المغرور مهلا
مضى عمرُ الشباب وأنت غافلْ ... وفي ثوبِ العمى والغيِّ رافل
إلى كم كالبهائم أنت هائم ... وفي وقتِ الغنائم أنت نائم
وطرفُك لا يُرى إلا طموحاً ... ونفسُكَ لم تزل أبداً جموحاً
وقلبُك لا يفيق من المعاصي ... فويلَكَ يوم يؤخذ بالنواصي

---

(١) *الكشكول أعلمي* ج١ ص١٨٦.

(٢) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٣ *وخلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٣، *والغدير* ج١١ ص٢٧٥.

(٣) سيأتي الحديث عن هاتين القصيدتين.

بلالُ الشَّيبِ نادى في المفارق بحيَّ على الذّهاب وأنت غارق
ببحرِ الإثم لا تصغي لواعظ ولو أطرى وأطنب في المواعظ
وقلبُك هائم في كلّ واد وجهلُك كلَّ يوم في ازدياد
على تحصيل دنياك الدَّنية مجدّاً في الصّباح وفي العشيَّة
وجهل المرءِ في الدنيا شديدُ وليس ينالُ منها ما يريدُ
وكيف ينال في الأخرى مرامه ولم يجهد لمطلبها قُلامه[1]

الوصف:

وصف البهائي مصر[2] لما زارها في مقدمة القصيدة التي مدح بها الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري، وفيها يستخدم بعض الصور البيانية من غيرِ تكلُّف، فمصرُ جنَّةٌ قطوفها يانعة، وترابها كالتّبر، وماؤها كالفضّة، ومالَها في حسنها ثانية، نسيمُها أخجل المسكَ، وزهرها أرخصَ العطور، بهجتها تشفي القلب وأنغام أطيارها تفوق نغمات القانون روعة، بل هي تزري بها وتتفوق عليها.

القصيدة الثانية في الوصف هي طرديتُه (الزاهرة)، التي وصف بها مدينة «هراة» حيث أقام حيناً من الدهر، فعرف جمالها وهواءها وماءها وطبع نسائها وطيب ثمارها وأشهر مدارسها، حيث وصف الطبيعة وصفَ عاشق لها منغمس في جمالاتها، وكأنه أحد شعراء الطبيعة الأندلسيين:

يبدأ القصيدة على نمط خاص: بالبسملة والحمدلة والصلاة

(١) *الكشكول: ط أعلمي* ج١ ص١٩٧، وسلافة *العصر* ص٢٩٦ ـ ونزهة *الجليس* ج١ ص٢٥١ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٩.

(٢) وقد حدث البهائي في الكشكول عن لقائه بالبكري سنة ٩٩٢هـ وذكر للبكري أبياتاً ولكنه لم يثبت قصيدته هو. تخريج القصيدة: *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٠ ـ ٢١١ وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٢ *والغدير* ج١١ ص٢٥١.

والسلام على النبي وآله، ثم يقول إنه ابتلي في قزوين يوماً برمد، منعَهُ من صرفِ النهار في البحث أو التلاوة أو الذكر أو الدرس أو العبادة، حتى سئم من لزوم منزله، ولم يكن من عادته البطالة لأنها من شيم الجهّال، فرام شيئاً مشغلاً لباله عما يقاسيه من البلبال، فلم يجد أبهى من الأشعار، مع أن نظم الشعر ليس من شعاره، وصادف أن طُلِبَ إليه أن يصفَ الهراة في أبيات جامعة «معربةٍ عنها على الحقيقة». . . ثم نظم هذه الأرجوزة التي يقول إنه قضى في نظمِها نهارَه، كما يقضي الليل بالأسمار، وسماها إذا اكتملت «بالزاهرة» وكانت مائة بيت:

هذه القصيدة الرجزية تُظهر شاعرية صاحبها ومقدرته اللغوية. جمال هذه القصيدة بطرافتها وبساطتها، بساطة قربت لغتها أحياناً من لغةِ النَّثر، كأن الشاعر فيها راوية يروي قصة تلك المدينة، ويجعلنا نحبُّها كما أحبَّها هو، فلجأ إلى التفاصيل الصغيرة في حياته فيها، ووصَفَها بدقَّةٍ متناهية، فجعلنا نتخيلُ فعلاً تلك المدينة بتفصيلاتها، وكأننا نعيش فيها مع الشاعر، أو أنها المدينة المثالية التي يتمنى الإنسان أن تكونَ له موطناً في يوم من الأيام، وعلى الرغم من لجوئه إلى التفصيل فإنَّنا نعثر خلالَها على صور شعرية جميلة فيها ومضاتُ العقلِ والقلب معاً:

يمهّد الشاعر لوصفها بمقدمة[١]، يتحدث فيها عن جمالها بشكل مجمل، وعن مواطن ذلك الجمال، التي جعلتها تتفرد دون سواها من الأمصار بمحاسن تختصّ بها:

إنَّ الهراةَ بلدةٌ لطيفة ... بديعةٌ شائقةٌ شريفة
أنيقةٌ، أنيسةٌ، بديعة ... رشيقةٌ، آنسةٌ منيعة
خندقُها متصلٌ بالماءِ ... وسورُها سامٍ إلى السماء

(١) تقع المقدمة التمهيدية في ٢٠ بيتاً.

ذاتُ فضاء يشرحُ الصّدورا ... ويورث النشاط والسرورا
حَوَتْ من المحاسن الجليلة ... والصّور البديعةِ الجميلة
ما ليسَ في بقيَّة الأمصارِ ... ولم يكن في سالفِ الأعصار
لست ترى في أهلها سقيما ... طوبى لمن كان بها مُقيما
ما مثلُها في الماءِ والهواءِ ... كلاً ولا الثمارِ والنساءِ
كذلك الباغات[1] والمدارس ... فما لها فيهنَّ من مجانس

أما هواؤها فإنه يقي من الوباء، كأنه من نفحات الجنَّة، يشرحُ الصّدور، ويشفي القلب، لا عاصف ولا بطيء، إنها أفضل مكان لإقامة المفلس:

هواؤها في الوباء جنة ... كأنه من نفحات الجنة
لا عاصف منه تمل الحرة ... ولا بطيء السّير فردَ مرَّة[2]
بل وسطٌ يهبُّ باعتدالِ ... كغادةٍ ترفُلُ في أذيالِ
فمن رماه الدّهرُ بالإفلاس ... حتى عن المسكن واللّباس
فلا يصاحب بلدةً سواها ... لأنّه يكفيه في هواها
جُبَيْبَة واحدةٌ في القُرِّ ... وشربَةٌ باردةٌ في الحرِّ
فهذه في حرِّها تُرويه ... وتلك عند بردِها تكفيه

أما المفلس فإنَّه يختارها لمناخها المعتدل، فهو يوفّر ثمن الثياب الصوفية شتاء لأن جُبَيْبَةً واحدةً تكفيه في الشتاء، وأما في الصَّيفِ فإنَّ المقيم فيها لا يحتاج إلى أكثر من شربة باردة واحدة.

---

(١) **الباغات**: جمع (باغ) المفرد فارسي بمعنى البستان.

(٢) **فرْد مرة**: استخدام عامي من اللهجة الشامية بمعنى: مرة واحدة، دفعة واحدة، بصورة نهائية. . . إلخ.
وهذا هو التعبير الوحيد العامي الذي نعثر عليه في كل ديوانه.

وأما ماؤها ففيه شفاءٌ للناس، كأنَّه من نفحات الجنَّة، يعدل ماءَ النّيلِ والفرات، كأنه لآلىءُ الأصداف، صاف، خفيف الوزن، سريع الهضم:

لو قيل إن الماء في الهراةِ ... يعدل ماء النيل والفرات
لم يك ذاك القول بالبعيدِ ... فكم على ذلك من شهيد
تراه في الأنهار جار صاف ... كأنه لآلىء الأصداف
لا يحجبُ الناظرَ عن قرارِه ... بل يُطلعَنَّه على أسراره
تظنُّ غَوْرَ عمقهِ شبرَيْنِ ... من الصَّفا وهو على رمحين
خفيفُ وزنٍ، رائقُ الأوصاف ... ما مثلُهُ ماء بلا خلافِ
يهضمُ ما صادفَ من طعام ... كأنما أكلتَهُ من عام

وأما نساؤها فمثل الظباء النافرة... يصفهُنَّ وصفاً حسّياً تقليدياً، ولكنَّه حَسَنُ التصرّف بهذه الاستعارات والتشابيه المألوفة المقنَّنة:

نساؤها مثلُ الظباء النافرة ... ذوات ألحاظٍ مراضٍ ساحرة
يسلُبن حِلْمَ الناسكِ الأوّاه ... يُسلِمْنَ جِسمَهُ إلى الدَّواهي
من كل خود عذبة الألفاظ ... تقتل من تشاء بالألحاظ
أضيق من عيش اللبيب ثغرُها ... أضعفُ من حالِ الأديب خصرُها
فاتكة قد شهِدَتْ خدّاها ... بما بنا تفعلُه عيناها
ترنو بطرف ناعسٍ فتَّاكِ ... يُفسِدُ دينَ الزَّاهد النسَّاكِ
والصدغ واو ليس واوَ العطفِ ... والثَّديُ رُمّانٌ عزيزُ القطفِ
والجسمُ في رقَّتِهِ كالماءِ ... والقلبُ مثلُ صخرةٍ صمَّاءِ
ولفظُها وثغرُها والرِّدفُ ... سحرٌ حلالٌ أقحوانٌ حِقفُ
وقدُّها ونهدُها والخدُّ ... غصنٌ ورمَّانٌ طريٌّ وردُ
والشعر والرضاب والأجفان ... صوارمٌ مدامةٌ ثعبانُ
غيدٌ حميداتٌ خصالهنَّه ... طوبى لمن نال وصالَهنَّه

في التشابيه التي استخدمها طرافة وجدَّة، عندما يشبّه ثغرَها في ضيقه بعيش اللّبيب، ونحولَ خصرها بحال الأديب، ثم يقرن بين أثر عينيها على المحبين، وأن حمرة خديها دلالة على ما تفعله عيناها، وقد استخدم معارفه النحوية في تشبيهه الصدغ بالواو، فكان هذا التلاعب بالحروف جميلاً جداً (الصدغ واو ليس واو العطف)، وإذا كان جسمها في رقَّة الماء فإن قلبها مثلُ الصخرة الصماء، وقد استخدم الطيّ والنشر في وصف لفظِها وثغرها وردفِها وبقية أوصافها..

ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف ثمارها بشكل عام، فيرى أنها في غاية اللطافة عديمة القشور، رخيصة الأسعار، ثم يلجأ إلى التفصيل، فعنبها دقيق البزر، رقيق القشر، متعدد الأصناف، وبطيخها حلو، وافر، بخس الثمن.

ثمارها في غاية اللطافةْ ... لا ضرر فيها ولا مخافةْ
عديمة القشور عند الجسِّ ... تكاد أن تذوب حال المسِّ
تخالُ في أغصانها الدواني ... أشربة الحسن بلا أوانِ
مع أنها بهذه الكيفيَّة ... رخيصةٌ عندهُم زريَّة
يطرحها البقَّال فوق الحُصْرِ ... حتى إذا ما جاء وقتُ العصر
وقد بقي شيءٌ من الثَّمار ... يطرحُه في مَعْلفِ الحمارِ

وقد أجاد حين قال عن بزر العنب إنه أدق من فكر اللَّبيب، وأنَّ قشرَه أرقُّ من قلبِ الغريب، وشبَّه العنب الأبيض ببَنانِ الغادة الحسناء الشابة، أما الأحمر فإنَّه أشهى من لثمِ الخدّ الناصعِ المورّد:

ولست بالمحسن وصفَ العنَبِ ... فإنَّه قد نالَ أعلى الرتبِ
أدقّ من فكر اللَّبيب بزرُه ... أرقُّ من قلبِ الغريب قشره
أبيضه في لطفه والطول ... يحكي بَنَان غادة عطبول(١)

---

(١) **عطبول**: هذه اللفظة الحوشية الوحيدة في القصيدة، فرضتها الضرورة الشعرية =

أحمره أشهى إلى القلب الصَّدي ... من لَثْمِ خدٍّ ناصعٍ مورّدِ
أسودُهُ أبهى لدى الظَّريفِ ... من غمزِ طرفٍ ناعسٍ ضعيفِ
أصنافُهُ كثيرةٌ في العدِّ ... ليسَ لها في حسنِها من حدِّ
فمنه فخريٌّ وطائفيُّ ... وكشمشيٌّ ثم صاحبيُّ[1]
وغيرُها من سائرِ الأقسام ... فوق الثمانين بلا كلام
مع هذه الأوصاف والمعاني ... في أرخص الأسعارِ والأثمان
ترى الذي ما مثله في الفقْرِ ... يبتاعُ منه الوِقرَ بعد الوِقرِ
وربما يعلفُه الحميرا ... إن لم تصادف عنده شعيرا

إذاً فإن عنب هراة متنوع الأصناف، ولكنَّ المهمّ أنه رخيص الثمن، وهو لرخصه ربما استخدم علفاً للحمير. . .

أما بطيخها فإنَّه يحار في وصفه ذو الفطنة، فهو أحلى من الوصال بعد الصدّ، يعجزُ الواصفون عن الإحاطة بأوصافه، وهو كالعنب بخسُ الثمن، لا يفي ثمنه بأجرة الحمير والبغال التي تنقله.

بطيخها من حسنه يحير ... في وصفه ذو الفطنة الخبيرُ
جميعُه حلو بغيرِ حدٍّ ... أحلى من الوصال بعد الصدِّ
مهما يقول الواصفون فيه ... فإنَّه نزرٌ بلا تمويه
يباع بالبخس القليل النّزر ... لأنَّه وافٍ بغير حصرِ
يأتي به المرءُ من الصحاري ... فلا يفي بأجرة المكاري

ثم يصف ما بُنَي فيها من المدارس، وأشهرها المدرسة «المرزائية»، الرفيعة البناء، الواسعة الأرجاء، عديمة النظر في البلاد، قد

= ومعناها الجميلة الفتية الطويلة العنق أو الحسناء التامة. *لسان العرب* ج١١ ص٤٥٦.

(١) عدد الشاعر أربعة أنواع من عنب هراة.

تزخرفت بالذهب الأحمر، كأنها جنة عدن، في صحنها نهر جارٍ، جنباه مرصَّفان بالأحجار، وفي وسطه بيتٌ لطيف كأنه بعضُ بيوت جنَّة عدن، مبنيٌ كلُّه من الرخام، كأنَّما قد صنعَهُ الجنُّ للإنس، وهذه المدرسة لجمالها يعجز الواصف عن إيفائها حقَّها من القول:

وما بني فيها من المدارس ليس لها في الحسنِ من مجانس
أشهرها مدرسة المرزاءِ مدرسةٌ رفيعةُ البناءِ
رشيقة رائقةٌ مكينة كأنَّها في سعةٍ مدينة
في غاية الزينةِ والسَّدادِ عديمة النظير في البلاد
بالذهب الأحمر قد تزخرفت كأنها جنة عدن أُزلِفَت
في صحنها نهر لطيف جار مُرصَّفٌ جنباه بالأحجارِ
في وسطِهِ بيتٌ لطيفٌ مبنيٌّ كأنما صانعُه جنِّيٌّ
وكلُّ ما يقولُه النَّبيلُ في وصفِها فإنَّه قليلُ

وكأني بهذا الوصف وثيقة تاريخية تخلِّدُ هراة، وتخلِّدُ مدرستها هذه كلما قرئت القصيدة.

وينتقل بعد ذلك إلى وصف بقعة تدعى «كازرگاه»[(١)]، عليلة الهواء، عذبة الماء وأشجار السرو فيها كأنها خودٌ رافعةٌ أذيالَها، فيها بساتين بغير حصر وهي متنزَّه يقصده الناس بُعَيْدَ العصر، من كل صنف وجنس، لا همَّ لهم ولا نِكاد، كأنَّهم قد حوسبوا وعادوا...

وبقعةٍ تدعى بكازرگاه ليس لها في حسنها مُباهي

---

(١) **كازرگاه** أصلها گزرگاه بمعنى مقبرة، وهي واقعة في شمالي هراة على نشز من الأرض مرتفع، موصوفة بطيب الهواء وسعة الفضاء، وبها قبر «خواجة عبد الله الأنصاري» العارف المشهور، المتوفى سنة ٤٨١هـ، صاحب كتاب *منازل السائرين*، وتفسير *«كشف الأسرار والمناجاة»* *فرهنگ معين* ج٦ ص١٦٥.

هـواؤهـا يـحـي الـنـفـوسَ إن بـدا ... وماؤها يجلو عن القلب الصدا
والـسرو في رياضـهـا الـمطبوعة ... كـخـرَّدٍ أذيـالُـهـا مـرفـوعـة
فـيـهـا الـبـسـاتـيـن بـغـيـرِ حـصـرِ ... يـقـصـدُهـا الـنـاسُ بُـعَـيْـدَ الـعـصـرِ
مـن كـلِّ صِـنـفٍ ذكـرٌ وأنـثـى ... وحُـرَّةٌ وأمـةٌ وخُـنـثـى
لا هـمَّ عـنـدهـم ولا نِـكـادُ ... كـأنَّـهـم قـد حـوسـبـوا وعـادوا
تـراهُـم كـالـخـيـل فـي الـطّـرادِ ... وكـلُّ شـخـصٍ مـنـهـم يـنـادي
لا شيءَ في ذا اليومِ غيرُ جائزِ ... إلاّ نـكـاحُ الـمـرءِ لـلـعـجـائـزِ

ويختم القصيدة بالتَّحسر على الأيام الخوالي التي كانت له في الهراة، يتحسَّر على ذلك العيش الرغيد، والزمان مسعف، والشّباب مساعد. . .

يـا حـبَّـذا أيـامـنـا الـلـواتـي ... مـضـت لـنـا ونـحـن فـي الـهـراة
نـسـتـرق الـلَّـذات والأفـراحـا ... ولا نـمـلُّ الـهـزل والـمـزاحـا
وعـيـشُـنـا فـي ظـلِّـهـا رغـيـدُ ... والـدّهـر مـسـعـفٌ بـمـا نـريـدُ
واهـا عـلـى الـعـود إلـيـهـا واهـا ... فـمـا يـطـيـب الـعـيـش فـي سـواهـا
سُـقـيـتِ يـا لـيـالـيَ الـوصـال ... بـصـوبِ غـيـثٍ وابـلٍ هـطّـالِ
وأنـتِ يـا سـوالـفَ الأيَّـامِ ... عـلـيـكِ مـنـي أطـيـبُ الـسَّـلامِ(١)

تمثل هذه القصيدة لوحةً متألقةً بالشعاعية الخاطفة للأبصار وبالنضارة، خلَّدت اسمَ هذه المدينة، طالما هنالك من يقرأُ وصْفَها، رَسَمها رسماً رائعاً وكانت أدواته: التشبيه العذب، والاستعارة الجميلة، والصَّنعة الخفيفة، المزدحمة باللفظ الموقّع، والجرسِ الرقيق، والموسيقى المنسابة في رفق وفي غير ما جَلبَة، جعلت هذا الشعر سلساً بغير اصطناع.

(١) *الكشكول*: ط دار الكتاب ج١ ص١٢٨ ـ ١٣٣ *وط أعلمي* ج١ ص١٨٩ ـ ١٩٤ وفي *نزهة الجليس* ج١ ص٣٧٦ ـ ٣٧٧.

والأهم من كلّ ذلك هو حسن التقسيم للقصيدة، الذي يظهر فيه منهجه عالماً، وكذلك في التدرّج المعنوي فيها من العام إلى الخاص، ثم في تناوله القصيدة كقضية كاملة منذ بدايتها وحتى نهايتها.

لا نستطيع أن نعدّ البهائي شاعراً ابتداعياً حلَّ في الطبيعة وحلت به، ولكنه وصف الطبيعة وصفَ شاعر متأثرٍ بجمالها، دون أن يكون وصف الطبيعة عنده تعبيراً عن حالةٍ إنسانيةٍ داخلية، كما هي الحال في وصف ابن الرومي، إنما هي حرارةُ الحياة النَّابضة المتحركة، التي تعطي قارىء القصيدة متعةً متجددة فاعلة. ففي وصفه لنساء هراة طرافة في المقابلة بين شكل المرأة الخارجي، وبين انعكاسه على داخل الأنفس فهو يصف النساء أولاً وصفاً تقليدياً بحتاً، وصفاً خارجياً منقولاً اختصر فيه ميزات المرأة الجميلة، كما عرفها الشعراء قبلَه، لأنه لم يتخيّل امرأةً بعينها، بل عَمَدَ إلى رسم الملامح المطلقة لجمال المرأة، ولكنه لم يقع في التقليد كلياً، لأنه تفنَّنَ في المقابلة بين جمال العينين، وأثرِ النظرات في حمرة الخدّين وهنا الطرافة.

وبعدُ، فله هذه الومضة الشعرية الجميلة في القصيدة التي عارض بها قصيدة السيّد «رحمة الله النجفي»[١] (جارتي كيف تحسنين ملامي)، وبعض الأوصاف الجميلة التي تذكّرنا بشعراء الأندلس:

يا نزولاً بذي الأراك إلى كم ... تنقضي في فراقكم أعوامي
ما سَرَتْ نسمةٌ ولا ناح في الدو ... ح حَمامٌ إلاّ وحان حِمامي

---

(١) كان الأمير السيد رحمة الله الفتّال النجفي الأصل، الأصفهاني المسكن قد رثى الشيخ حسين بن عبد الصمد بقصيدة مطلعها «جارتي كيف تحسنين ملامي أيداوى كلم الحشى بكلام؟ وطلب إلى البهائي أن يعارضها، فرد بقصيدة مطلعها:
خليانـي بلوعتي وغرامي ... يا خليلي واذهبا بسلام..

أيْنَ أيامنا بشرقيِّ نجدٍ يا رعاها الإله من أيام
حيث غصنُ الشباب غضٌّ وروض العيش قد طرّزته أيدي الغمام[1]

إننا ونحن نتحدث عن شعر الوصف عند البهائي، لا بد لنا من التوقف عند أمرٍ شديدِ الأهمية وهو أنَّ بعض الدارسين، اعتمد في حديثه عن شعر الوصف عند البهائي على المقولة التي اشتهرت عن سياحة البهائي، التي دامت ثلاثين سنة، وزار فيها الكثير من البلدان «وكانت الرحلة بالنسبة إليه، طريقاً يخطو فيها خطوات الوصف المبتكر، والحوار الشجي، والحديث الطلي، خلال البراري والصحارى، والواحات، والروضات التي صادفها في تلك الطريق الطويلة المسافات، البعيدة الأزمان. . . وفي جميع الأحوال كان الوصف ملازماً لأدب الرحلة في شعره بصفة عامة، وفي وصف الطبيعة منه بصفة خاصة»[2]. . .

والحقيقة التي لمسناها أن البهائي لم يصف خارج إيران سوى مصر كمدخل إلى مدح البكري، ولم يصف داخل إيران سوى هراة لا لأنها أجمل ما رأى، ولكن لأنَّ لهراة مكانة في نفسِهِ، فهي المكان الذي عاش فيه مرحلة الشباب عيشةً رضيةً هنيَّة. لقد مرَّ في شيراز، وفي تبريز، وعاش في قزوين، وفي أصفهان، ولكنَّه لم يصف أياً من هذه البلدان، لذلك لا يصدق عليه القول التالي: «. . .فالذي يستعرض أدب الرحلة عند البهائي، وهو في حضرة ملوك فارس يجد هذا الأدب أرستقراطياً، ثرياً ملوكياً، فيه من ألفاظ القصور ومحتوياتها، ومن بيئة الطبقة الكسروية وترفها، ما يلائم الحياة والبيئة الفارسية. . . وبلغة

(١) *الكشكول* ط. دار الكتاب ص١٠٩ و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٠ و*سلافة العصر* ص٢٩٣ و*الغدير* ج١١ ص٢٧٧ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٩٩.

(٢) عبد المجيد الحر: *معالم الأدب العاملي*. رسالة دكتوراه ص٣٥١.

براعة البهائي ونبوغه في التصوير وفتنة المدى الذي جعله يصفها، ويحلق في سماء زاهية من الفن الرفيع، من خلال الوقوف عند كل محطة في أثناء سفره، وكأنه قطار يماشي الناس إلى بلادهم وقراهم، فيقف عند كل بلدة أو قرية يوجز لنا طبيعة أرضها وما تنبت، وسماءها وأجدادها وعادات أهلها وسلوك مجتمعها»[1]... والحقيقة أن هذا الرأي كلام محفوظٌ مكرِّر ينطبق على أيّ شاعر رحّالة، ولا ينطبق على البهائي من قريب ولا من بعيد، ولا علاقة له بأدبه ولا بفنه، ولا بشخصيته بترجيعاتها المتنوعة..

المديح

نظم البهائي المدائح لمجرد الإعجاب بمناقب شخص معين، أي دون أن تكون وراء ذلك رغبةٌ في نوالٍ يُرجى، أو شكرٍ على عطاء سلف، كما هي حال أكثر الشعراء من معاصريه في جميع الأقطار العربية، وفي إيران. واللافت في موضوع المديح أن الشيخ البهائي لم يمدح الشاه في شعره العربي أو الفارسي، بينما وُجِدَ من معاصريه في جبل عامل[2] مَنْ مَدَحَ بعض الحكام المحليين ومن مدح الخليفة العثماني، على بعد الدار، وفقدان الضرورة، وفي إيران ندر الشَّاعر الذي لم يمدح الشاه في شعره[3].

---

(١) *معالم الأدب العاملي* ص٥٠.

(٢) *خلاصة الأثر* ج٢ ص١٩١.

(٣) مع أن الشاه طهماسب رفض أن يمدحه الشعراء، وطلب إليهم أن يوجهوا مدائحهم إلى أهل البيت عليهم السلام (*فرهنگ إيران از آغاز تازمان حاضر* ص٢٤٣)، إلا أن الشعراء المقيمين في إيران أكثروا من مديح الشاه عباس (*زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٤٢).

إلى مديحه للرسول ﷺ وللإمام علي عليه السلام، والإمام المهدي عليه السلام، نضيفُ هذه الأبيات المدحية التي وجَّهها إلى الشيخ محمد ابن الشيخ محمد الحر، والتي كان فيها الشاعر تقليدياً بأوضح معاني الكلمة وأدقّها، فالممدوح كريم، خصاله خصال الرجل العظيم حقاً، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تعوّد المدّاحون أن يرصفوها في مدائحهم.

والشاعر لم يمدح أحداً من رجال الحكم، ولم يتوجه إلى المتصلين بالسلطان وإنما مدح رجلاً فقيهاً مثله:

محمّد الحرّ ذاك الذي	حوى كلَّ فضلٍ بأصلٍ أصيل
ومدحي وإن قلَّ في لفظِهِ	ولكنَّه ليس معنىً قليل[1]

وقال يمدحه:

فولَّت وقد بلَّ الندى شِملةً لها	كما بلَّ كفّ الحرِّ في الفاقة الندى
كريمٌ إذا ما جئته يوم حاجةٍ	فلا مانعاً يلفى ولا قائلاً غدا
يريك بهاءً في ذكاءٍ وعفّةٍ	بها نال أعلى رتبةِ العزِّ مفردا
توحَّد في حوز المكارم والعُلى	لذا صار نظمي في معاليه أوحدا
ليهنك يا ابن الحر نظم مرصَّعٌ	بجوهرِ لفظٍ في مديحك نضِّدا
ولا برحت أزهارُ فضلك تجتنى	ولا زلت مفضالاً مطاعاً مسدَّدا[2]

كأنَّ الممدوح سيفُ الدولة، وكأنَّ المادح المتنبي، فهو تقليد محض، وللبهائي قصيدة مدحية في الشيخ محمد بن الحسن البكري، لم تثبت لنا المصادر منها سوى المقدّمة الوصفية، التي مر ذكرها في الحديث عن شعر الوصف عند البهائي، كما أن له قصيدة يمدح فيها الشيخ عمر بن أبي اللطف المقدسي ـ مفتي القدس الشريف ـ يمكن أن

---

(١) *رياض العلماء* ج٥ ص٩٤ *وأمل الآمل* ج١ ص١٦٠.

(٢) *رياض العلماء* ج٥ ص٩٣ *وأمل الآمل* ج١ ص١٦٠.

نعدّها من القصائد الإخوانية، لأنه قالها رداً على قصيدة كان المقدسي قد أرسلها إليه يسأله فيها عن لغز، فأجابه البهائي بهذه القصيدة:

يا أيها المولى الذي قد غدا — في الخَلْقِ والخُلْقِ عديم المثال
وحلَّ من شامخِ طودِ العُلى — في ذِروة المجد وأوج الكمال
وعطَّر الكونَ بمنظومةٍ — نظامُها يُزري بعِقدِ اللآل
كأنها بكرٌ بألحاظِها — سحرٌ به تسلبُ لُبَّ الرجالْ
وروضةٌ مطمورةٌ مر في — أرجائها صبحاً نسيمُ الشَّمالْ
لو لم يكنْ أسكَرني لفظها — قلقلت: حقّاً هي سحرٌ حلال
يا سادة فاقوا الورى عبدُكُم — أحقر من أن تخطروه ببال
أرضعتموه درَّ ألطافِكُم — وماله عن ودّكم من فصال
وقد أناخ الركب في أرضكم — سلا عن الأهل وعمٍّ وخالْ
أنتم بنو اللّطفِ وألطافكم — على الورى ما برحت في اتصالْ
في قِمةِ الفضلِ لكم منزلٌ — ما مرَّ في وهمٍ ولا في خيالِ
وعبدُكُم أعجزَه مدحُكُم — فصار باللغز يطيلُ المقال[1]
يا سيّداً قد حاز من سائر الـ — فنونِ حظّاً وافراً لا يُنالُ

ما بلدة..

ومدح البهائي السيد الأمير رحمة الله الفتال النجفي بهذه الأبيات:

أيها المرتقي ذرى المجدِ فخراً — والمُرجّى للفادحات العظام
يا حليفَ العُلا الذي جُمِعَتْ فيه — مزايا تفرَّقت في الأنامِ
نِلتَ في ذِروة الفخار محلاً — عَسرَ المرتقى عزيز المرام
نسبٌ ظاهرٌ ومجدٌ أثيلٌ — وفخارٌ عالٍ وفضلٌ سامي[2]

---

(١) الكشكول. *أعلمي* ج١ ص٦٧ ـ ٦٨ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

(٢) *المصدر السابق* ط دار الكتاب ص١٠٩ *وخلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٠ *وسلافة العصر* ص٢٩٣ *والغدير* ج١١ ص٢٧٧ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٩.

شعر الشكوى والحنين

رأينا البهائي في القصيدة التي قالها في قزوين، حين كان الوضع محموماً بسبب الصراع حول السلطة بعد وفاة الشاه طهماسب، يكثر من الشكوى من سوءِ الحال ومن الزمان، وعنده شعور دائم بالقلق وعدم تحقق الأماني والمبتغى:

وأشكال آمالي أراها عقيمةً ومعكوسة فيها قضاياي يا سعدُ
فمن قلَّة التمييز حالي سيِّىءٌ وفعليَ معتلٌ وهمِّيَ ممتَد[1]

الشعور بالغربة بعد وفاة الأب، الذي كان المعلّم والصَّديق، والشعور بالغربة بين المعاصرين الذين لا يقدّرونه حقّ قدره، فإذا رأى النبي في المنام اشتكى إليه سوء حاله.

فزرته في الليل مستعطفاً أفديه بالنَّفس وأهلي ومالْ
وأشتكي ما أنا فيه من البلوى وما ألقاه من سوءِ حال[2]

هذه الشكوى مستمرة:

يمر زماني بالأماني وينقضي على غير ما أبغي ربيع وشوّال[3]

وفي مصر، في القصيدة التي مدح بها البكري:

إلام يا دَهرُ وحتى متى تشقى بأيّامك أيّاميهْ؟
تحقّقُ الآمال مستعطفاً وتوقعُ النقص بآماليه

(١) *الكشكول أعلمي* ج١ ص١٨٤.

(٢) *المصدر نفسه* ج٢ ص١٨٧.

(٣) في القصيدة التي وجّهها إلى الأمير السيد رحمة الله النجفي سنة ١٠٠١هـ، وقد مرَّ ذكرها في الحديث عن حياة البهائي ص١٠٢.

وهكذا تفعل في كل ذي فضيلةٍ أو همَّةٍ عالية
فإن تكن تحسبني منهمُ فَهي لعمري ظِنَّةٌ واهية
دعْ عنك تعذيبي وإلا فأشكوك إلى ذي الحضرةِ السامية(١)

وفي القصيدة التي مدح بها المهدي:

خليليَّ ما لي والزمان كأنَّما يطالبُني في كلِّ آنٍ بأوتارِ
فأبعدَ أحبابي وأخلى مرابعي وأبدلني من كلِّ صفوٍ بأكدارِ
وعادلَ بي من كان أقصى مَرامِهِ من المجدِ أن يسمو إلى عشرِ معشاري

النقد الاجتماعي

أخالط أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري

شعور بالتفوق على المعاصرين، وثقة بالنفس، أملَتْها عليه معرفته للنفس البشرية، ومخالطته لطبقات الشعب المختلفة:

وثورين حاطا بهذا الورى فثور الثريا وثور الثرى
وهم تحت هذا ومن فوق ذا حمير مسرَّجةً في قرى

ثم هو يقرّع جامعي الكتب، والغائصين في علومهم شرحاً وتهميشاً، بينما يرى هو أن كل الكتب التي يدرسونها، لا نفع لها إذا هم نسوا الرشاد والعبادة، والمخاطب هنا ـ على الأغلب ـ البهائي نفسه:

على كتب العلوم صرفتَ مالَكْ وفي تصحيحها أتعبْتَ بالكْ
وأنفقت البياض مع السواد على ما ليس ينفع في المعادِ

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٠، وخلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٢، *والغدير* ج١١ ص٢٥١، *والأعيان* ج٩ ص٢٤٩.

تظل من المساء إلى الصباحِ تطالعُها وقلبك غير صاح
وتصبح مولَعاً من غير طائلْ بتحرير «المقاصدِ»[1] و«الدلائل»[2]
وتوضيح الخفا في كل باب وتوجيه السؤال مع الجواب
لعمري قد أضلتك «الهداية»[3] ضلالاً ما له أبداً نهاية
و«بالمحصول» حاصلك الندامة وحرمان إلى يوم القيامة
و«تذكرة»[4] المواقف والمراصد تسد عليك أبواب «المقاصد»[1]
و«بالإرشاد»[5] لم يحصل رشادُ و«بالتبيان»[6] ما بان السّدادُ
فلا تنجي «النجاة»[7] من الضلالة ولا يشفي «الشّفاء»[8] من الجهالة

---

(١) **«المقاصد»** للشيخ العلامة جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي كتابان بهذا الاسم «*كتاب المقاصد الوافية بفوائد القانون والكافية*» في النحو، وكتاب «*مقاصد التحقيق في المنطق والطبيعي والإلهي*»، ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٨٢ ـ ٨٥.

(٢) **«الدلائل»** وهو إما *دلائل الإمامة* لمحمد بن جرير بن رستم الطبري، تجد ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٢٧٢. وإما كتاب «*دلائل القرآن*» لبرهان الدين محمد بن أبي الخير (ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٢٨٦).

(٣) **«الهداية»** لعله كتاب «*الهداية إلى تحقيق الولاية*» للمسعودي، علي بن الحسين صاحب كتاب مروج *الذهب*.

(٤) **«التذكرة»** لعله «*التذكرة في الهيئة*» لنصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، *أمل الآمل* ج٢ ص٢٩٩ وفلاسفة *الشيعة* ص٤٧٢. أو هو كتاب «*تذكرة الفقهاء*» للعلامة الحلي، كما يوحي عجز البيت.

(٥) **«الإرشاد»**: كتاب «*إرشاد الأذهان في علم الإيمان في الفقه*» للعلامة الحلي.

(٦) **«التبيان»**: لنصير الدين الطوسي المتوفى سنة ٦٧٢هـ وترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٢٩٩.

(٧) **«النجاة»**: لابن سينا.

(٨) **«الشفاء»**: لابن سينا أيضاً.

و«بالإيضاحِ»[1] أشكلت «المدارك»[2] و«بالمصباح»[3] أظلمت المسالك
وبـالـتـلـويـح مـا لاح الـدلـيـلُ و«بالتوضيح»[4] ما اتضح السبيلُ
صرفْتَ خلاصةَ العمر العزيزِ على «تنقيح»[5] أبحاثِ «الوجيز»[6]
بهذا النحو صرفُ العمر جهلُ فقم واجْهد فما في العمر مهلُ
ودعْ عنك الشروحَ مع الحواشي فهنَّ على البصائرِ كالغواشي

إن تضمين الشعر أسماء الكتب، من الموضوعات التي كانت سائدة في عصر البهائي، ولكن الفرق بين هذه القصيدة وبين غيرها، أنَّ صاحبها قَصَدَ إلى غاية بعينها، بينما جاءَتْ غالبية القصائد، التي ضمنَّها أصحابها أسماء الكتب، دونما غاية سوى إظهار معارف صاحبها[7].

---

(١) **«الإيضاح»**: *«الإيضاح في أصول الدين»* لمحمد بن علي الخزّاز الرازي، ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٢٠١ *ورجال النجاشي* ص٢٠٥، أو *«إيضاح الاشتباه في أحوال الرواية»* للعلامة فخر الدين محمد ابن العلامة الحلي: *الحبل المتين* ص١٩٥.

(٢) **«المدارك»**: أما *«مدارك الأحكام في الفقه»* للعلامة الحلي، أو هو *«مدارك الأحكام»* للسيد محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي المتوفى العام ١٠٠٩هـ.

(٣) **«المصباح»**: وهو إما *«المصباح في الفقه»* للشريف المرتضى علم الهدى، وإما هو **«المصباح»** لإبراهيم الكفعمي المتوفى سنة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م. ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٢ ص١٨٧ وفي *أمل الآمل* ج١ ص٢٨.

(٤) **«التوضيح»**: لعله *«توضيح المقاصد»* للشيخ البهائي نفسه.

(٥) **«التنقيح»**: لعله *«التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع»* للشيخ جمال الدين السيوري الحلي الأسدي المتوفى سنة ٩٠٠هـ. تجد ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٣٢٥.

(٦) **«الوجيز»**: كتاب *«الوجيز»* للشيخ الإمام أمين الدين بن علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي = ترجمته في *أمل الآمل* ج٢ ص٢١٦: *الأعلام* ج٢ ص٢١٦ *وأعيان الشيعة* ج٢ ص٣٨٦.

(٧) يمكن المقارنة مع نماذج للشيخ إبراهيم الكفعمي صاحب «المصباح»، راجع *أعيان الشيعة* ج٢ ص١٨٧.

وانتقد في شعره الذين يتصدّون للتدريس دون أن يستعدّوا له الاستعداد الكافي، ودون أن يكون مسلكُهم موافقاً لأقوالهم، هذا الموضوع جديد، ابتكره البهائي المعلّم، وهو ينطبق على فئة من المعلّمين في عصر البهائي، وفي كل عصر، لا همَّ لهم إلا أن يجمعوا حولهم بعض التلاميذ من باب المباهاة، وهؤلاء التلاميذ لا عمل لهم سوى القول: سمعاً لمولانا وطاعة، ثم إنه يعيبُ على المعلّمين قلّة تعمّقهم في القضايا العلمية، وإن هم ناظروا من هو أعلم منهم ناظروه مكابرة، ومع ذلك يعيبون في مجالسهم العلماء الأفذاذ، الذين سبقوهم في ميادين العلوم الرحبة، كي يسوّغوا جهلهم، وهم إذا ظلوا على حالهم لَقَوْا في الآخرة لهيب السَّعير، هذا النوع من النقد نجدُه في القصيدة التالية التي تذكّرنا بالأبيات التي قالها والده في البحرين، منتقداً فيها بدوره أهل العلم الذين يجادلون مكابرة:

يقول البهائي: «إشارة إلى نُبذٍ من حال من تصدى للتدريس في زماننا هذا:

مُـرادُك أن تُـرى فـي كـلِّ يـوم	وبـيـن يـديـكَ قـومٌ أيُّ قـوم
كـلابٌ عـاويـاتٌ بـل ذئـابُ	ولـكـنْ فـوق أظـهـرهـم ثـيـابُ
فليس لهم جميعاً من بضاعة	سوى سمعاً لمولانا وطاعة
وإن شمَّرتَ عن ساقِ الإفادة[1]	جلستَ لهم على عالي الرّفادة
وأسَّسْت السؤال لمن تكلَّم	ودلَّست الجوابَ لكي يُسلِّمْ
وقرّرتَ المسائل والمطالب	ولست بذا لوجه الله طالبْ
وسُقْت لهم كلاماً في كلام	وقلبُك من ظلام في ظلام

(١) يقولها هنا للسخرية، ولا مانع من احتمال استعمالها ـ وهي العربية ـ بمعناها المتداول في المجتمع الفارسي بمفهوم العوام وهو التفلسف والتظاهر بالفضل.

وإن نـاظـرتَ ذا نـظـرٍ دقـيـقِ وفـكـرٍ فـي مـطـالـبـه عـمـيـقِ
عـدلْـتَ بـه عـن الـنـهـجِ الـقـويـمِ وزُغـتَ عـن الـصـراط الـمـسـتـقـيـمِ
تـكـابـرُهُ عـلـى الـحـقِّ الـصـريـحِ فـإن فـاجـاك فـي نـقـلِ الـصّـحـيـحِ
طَفِقْتَ تروغُ عن نهج السَّبيل وتـقـدَحُ فـي الـكـلام بـلا دلـيـل
وأوّلـتَ الـمـراد مـن الـعـبـارة بـتـأويـل كـثـلـجٍ فـي خـيـاره[1]
وعـبـت أئـمـة قـالـوا بـذاكـا وفـي تـجـهـيـلـهـم فـغّـرتَ فـاكـا
وأزعـجـتَ الـعـظـامَ الـدارسـاتِ وبـعـثـرتَ الـقـبـورَ الـطـامـسـات
لَـئِـنْ لـم تـرتـدعْ عـن ذي الـظّـلامـة فبئس الحالُ، حالُك في القيامة[2]

وللبهائي قصيدة بالفارسية ينتقد فيها أيضاً المدرّسين الذين يحشون عقول تلاميذهم بالخرافات ويقول: إن درسَهم ليس درساً «إنه بئس المرضى»[3].

الرثاء

لم يرث البهائي أحداً غيرَ والده[4]، لذا رجَّحنا أن تكون أمُّهُ قد ماتت وهو صغير، لأننا لا نعتقد أن إنساناً مهما بلغت عقلانيته، يستطيع أن يمرَّ بحدثٍ عاطفي مهم، كموت الأم، دون أن يستجيب له استجابة وجدانية، تتلاءم مع أهمية ذلك الحدث. يؤيد ما نذهب إليه أنه في قصائده التي تُظهِرُ شدّة تعلقه بوالده وحنينه إليه حينما كان بعيداً عنه، لا

---

(١) كثلج في خيارة = أي بتأويل مختلف، وهمي (في غاية البرودة).
(٢) *الكشكول* ط دار الكتاب ج١ ص١٤٩، *وسلافة العصر* ص٢٩٧ *ونزهة الجليس* ج١ ص٣٨٠.
(٣) *ديوان شيخ بهائى* ص١٢٩ *وكليات شيخ بهائى* ص١٦.
(٤) توفي الشيخ حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي كما أشرنا سابقاً وكان للابن من العمر إحدى وثلاثون سنة.

نجد ذكراً للوالدة، رغم ما للأم من عميق الدّور وبعيد الأثر في حياة الابن ولا سيّما حين يكون بعيداً عنها.

وإذا كانت أمّه قد ماتت وهو صغير فإن أخاه الشيخ عبد الصّمد قد توفي حين كان هو قد شاخ، وخفَّتْ عنده حدَّة التأثُّر العاطفي، لذلك لم يرثه، ولم يُشِرْ إلى موته في أدبه شعراً ولا نثراً.

رثى أباه استجابة للعاطفة وإعراباً عمّا في الضمير، وقد لجأ في رثائه إلى فنّه وعقله معاً، كما أنه صدر فيهما عن قلبه وشعوره معاً، لقد اتخذ من الرثاء وسيلة إلى مدح والده، أو أنَّه مدح والده وسيلةً إلى رثائه.

في القصيدة سوانحُ عاطفيةٌ، وخليط كبير من عبارات تقليدية ممزوجة بلمعاتٍ خاطفة من الابتكار في الصياغة، عندما يصوّر المجد يبكي عليه جازعاً أسِفاً، والدينَ يندبه والفضلَ ينعاه، وقد انطوى بموته آخر شموس الفضل، وأسنى معالم الدين، وأرسى قواعد الفتوة وأرفعُها قدراً، وأبهاها، ولكنه من ناحية ثانية يتحسَّر على أوقات له سلفت تحت ظلال والده، كانت قصيرةً خاطفة، فتظهره عاطفياً صادقاً، عفوياً غير تقليدي، كما وتظهر في القصيدة واقعيةُ آلامه في ذكر الأماكن بدقّة (هجر ـ البحرين)، مما يوحي أنَّه غيرُ مصطنع للعاطفة، ولا مدفوع في هذه الجوانب من مرثاتِه بتقليد الآخرين. العاطفة هنا هي عاطفة الحزن الإنساني التي تلي مرحلة البكاء والتفجّع، هو حزين دون تفجّع وانسحاق يتعارضان مع الإيمان...

قف بالطلول وسلها أين سلماها ورِوِّ من جُرَعِ الأجفان ريّاها
وردّد الطّرف في أطرافِ ساحتِها وروّح الرَّوحَ من أرواحِ أرجاها
وإن يَفُتْكَ من الأطلال مخبرُها فلا يفوتك مرآها وريّاها

ربوعُ فضلٍ تضاهي التّبرَ تربتُها ... ودارُ أنس يُحاكي الدّرَّ حصباها
عدا على جيرةٍ حلّوا بساحتِها ... صرفُ الزّمان فأبلاهم وأبلاها
بدور تَمٍّ غَمامُ الموتِ جلَّلَها ... شموسُ فضلٍ سَحابُ التُربِ غشّاها
فالمجدُ يبكي عليها جازِعاً أسِفاً ... والدّين يندبها والفضلُ ينعاها
يا حبذا أزمنٌ في ظلِّهم سَلفَتْ ... ما كان أقصرها عمراً وأحلاها
أوقاتُ أنس قضيناها فما ذُكِرَتْ ... إلا وقطَّعَ قلبُ الصّبّ ذكراها
يا سادة هجروا واستوطنوا هجراً ... واهاً لقلبِ المعنى بعدكم واها
رَعياً لليلات وصل بالحمى سَلَفَتْ ... سَقياً لأيامنا بالخيف سُقياها
لفقدكم شَقَّ جيبُ المجدِ وانصدَعت ... أركانُه، وبكم ما كان أقواها
وخرَّ من شامخات العلم أرفعُها ... وانهدَّ من باذخاتِ الحِلْم أرساها
يا ثاوياً بالمصلَّى من قرى هجرٍ ... كُسيتَ من حُللِ الرِّضوانِ أرضاها
أقمت يا بحرُ بالبحرين فاجتمعتْ ... ثلاثةٌ كنَّ أمثالاً وأشباها
ثلاثةٌ أنت أسداها وأغزرُها ... جوداً وأعذبها طعماً وأحلاها
حَوَيْتَ من درر العلياء ما حويا ... لكنَّ دُرَّك أعلاها وأغلاها
يا أخمُصًا وطِئت هام السهى شرفاً ... سقاك من ديَم الوسميِّ أسماها
ويا ضريحاً علا فوقَ السِّماك علا ... عليك من صلوات الله أزكاها
بك انطوى من شموس الفضل آخرُها ... ومن معالم دين الله أسناها
ومن شوامخ أطواد الفتوة أر ... ساها وأرفعُها قدراً وأبهاها
فاسحب على الفلك العلويّ ذيلَ عُلىً ... وقد حويْتَ من العلياء علياها
عليك منّي سلام الله ما صَدحَتْ ... على غصونِ أراكِ الدّوحِ وَرْقاها[1]

نلاحظ في هذه القصيدة القدرة على التوفيق بين خصائص المعاني وبين الصور البيانية والبديعية المستخدمة، فهو يكثر من التشابيه

(١) *الكشكول* ط. دار الكتاب ج١ ص٢٣٠.

والإستعارات، فيشبّه التراب بالتبر ويشبّه الحصى بالدرّ، كنايةً عن القيمة الوجدانية لتلك الأرض التي حوت قبرَ الأب الحبيب، ويشبّه أباه بالبحر، ولكنه بحر مقيم في «البحرين»، وهو أغزر الثلاثة جوداً وأعذبها طعماً كما استعار البدور وشموس الفضل في الحديث عن الأحبة الراحلين (الأب)، لذلك فإن المجد يبكيه والدين يندبه والفضل ينعاه، وفي هذه الاستعارات دقّة في اختيار الألفاظ الملائمة للمعنى، والملائمة لشخصية الممدوح، ونلاحظ المجانسات اللطيفة بين روَّح ورَوْح وأرواح، وبين الفعل (هجروا) وبين (هجر) التي استوطنها المرثيّ، وبين شامخات العلم وباذخات الحلم، وبين الرضوان وأرضى، وبين البحر والبحرين.

وتظهر اللوعة في تكراره للفظة (واهاً) مرتين في بيت واحد وفي النداء وما يحمله من شحنات عاطفية يا حبذا ـ يا سادة ـ يا أخمُصاً إلى أن يصل إلى قمة التوجّع في ندائه على الضريح: يا ضريحاً. . .

وأخيراً فإنَّ الألفاظ والعبارات والصور والأخيلة التي جاءت في هذه القصيدة صوَّرت بدقةٍ إحساسَ الشاعر، وعبَّرتْ عن حزنِهِ وألمه بشكل مباشر وغير مباشر.

الغزل

ورد الغزل عند البهائي بشكل مطالع تقليدية، وبشكل قطع صوَّر فيها لقطات جانبيَّة، ومشاهد جزئية، وقد جاء غزله رقيقاً، وله صور تنتزع إعجابنا كقوله في هذين البيتين:

ومايسة الإعطافِ تستر وجهها   بمعصمِها لله كم هتكتْ سترا
أرادت لتخفي فتنةً من جمالها   بمعصمِها فاستأنفت فتنة أخرى[1]

(١) *سلافة العصر* ص٢٩٦ و*روضات الجنات* ج٧ ص١٦ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

كأن هذه المقطوعة من أيام الشَّباب، وكأنَّ الشاعر هو النابغة يصف «المتجردة» سقط النصيف... ولكنَّ الصورة عند البهائي لا تخلو من ابتكار.

ومن غزله الرقيق الذي يصوّر فيه لحاظ المحبوب السَّاحرة، الذي اتخذ القلبَ منزلاً لسكنه، فيعاتبه على ظلمه وتعمّده تخريب منزله، دون مراعاة حرمته، قوله في هذه الرباعية:

يا ساحراً بطرفِهِ وظالماً لا يعدلُ
أخربْتَ قلبي عامداً كذا يراعى المنزل؟[1]

ويكرر الحديث عن سحر العيون في رباعيةٍ أخرى:

لعينيك فضلٌ جزيلٌ عليَّ وذاك لأنّيَ يا قاتلي
تعلّمت من سحرِها فعقدتُ لسانَ الرقيب مع العاذلِ[2]

هذه الرباعية تفتقد حرارة العاطفة، ولكنَّ طرافةً في معناها تشير إلى عادة كانت سائدة في عصره، يمارسها السَّحرةُ ويزعمون بها أنهم يربطون لسان العدوّ أو شراً ما. وله هذه الرباعية التي جاء معناها من المعاني الشائعة في عصره وقد عارضها الخفاجي في ريحانة الألبا:

أهوى رشأً عرّضني للبلوى ما عنه لقلبي المعنّى سلوى
كم جئتُ لأشتكي فمذ أبصرني من لذَّةِ قربِه نسيت الشكوى[3]

وله هذه الرباعية العادية التشابيه والشائعة المعنى:

(١) *الكشكول. أعلمي* ج١ ص١٦١ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٨.

(٢) *الكشكول* ج١ ص١٨٣ *ورياض العلماء* ج٥ ص٩٣ *وخلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٢ *وأمل الآمل* ج١ ص١٥٩.

(٣) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٣ *وخلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٤ *والسلافة* ص٣٠٠ *والغدير* ج١١ ص٢٧٦.

يا بدر دجى خياله في بالي		مذ فارقني وزاد في بلبالي
أيام نواكَ لا تسلْ كيف مضَتْ		والله مضَتْ بأسوأ الأحوال[1]

ويكرر نداء يا بدر دجى في رباعيتين أخريين:

يا بدر دجى بوصله أحياني		إذ زار وكم بهجره أفناني
بالله عليك عجلن سفك دمي		لا طاقة لي بليلة الهجران[2]

و....

يا بدر دجى فراقه الجسم أذاب		قد ودعني فغاب صبري إذ غاب
بالله عليك أي شيء قالت؟		عيناك لقلبي المعنى فأجاب[3]

وهذا القول مأخوذ من قول عبد المحسن الصوري المشهور:

بالذي ألهم تعذيبي		ثناياك العذابا
ما الذي قالته عيناك		لقلبي فأجابا[4]

ولاحظ الكاف في هذه الرباعية التالية، كيف أكْدَتْ على الشّعر وأفقدته طلاوته وعذوبته:

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢١٣، و*خلاصة الأثر* ص٤٥٣، و*سلافة العصر* ص٣٠٠ و*الغدير* ج١١ ص٢٧٦. وقد جاء البيت الأول في الغدير [يا غائب عن عيني لا عن بالي القرب إليك منتهى آمالي]، ويحتمل أن يكون الشاعر قد صاغ الرباعية الواحدة على صورتين مختلفتين، لأن الرباعيات جميعاً من نظم الشاعر، ولا تعبر عن حالة وجدانية كان يعيشها.

(٢) *الكشكول* ج١ ص١٨٧، و*خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٣، و*سلافة العصر* ص٣٠١ و*الغدير* ج١١ ص٢٧٦.

(٣) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٤ و*سلافة العصر* ص٣٠١ و*الغدير* ج١١ ص٢٧٧ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

(٤) *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٥٣ و*أمل الآمل* ج١ ص١١٤ و*سلافة العصر* ص٣٠١ و*الغدير* ج١١ ص٢٧٧.

لما نظر الجسمَ ضعيفاً نهكا من فرقته رقَّ لضَعفي وبكى
وارتاحَ وقال لي: أما قلت لكا ما يمكنك الفراق ما يمكنكا[1]

والسين أيضاً في الرباعية التي تلي تثبت الصناعة في الرباعيات وبعدها عن الشعر الحقيقي:

أغتصُّ بريقتي كحس الحاسي إذ أذكُرُهُ وهو لعهدي ناسي
إن متُّ وجمرةُ الهوى في كبدي فالويل إذاً لساكني الأرماس[2]

وله عدد من الرباعيات الأخرى التي لا تفوق ما سبق معنى ومبنى[3].

ويمكن أن نلحق الموشحة التالية[4] بشعر الغزل، لما فيها من حنين، وعاطفة صادقة مع أنها أساساً موجهة إلى أبيه في هراة، حنين غامضٌ لمرحلةٍ من العمر، وغزلٌ متسامٍ فيه نبلٌ وحرمان:

يا ساكني أرضِ الهراةِ أما كفى هذا الفراق؟ بلى وحقِّ المصطفى
عودوا عليَّ فربعُ صبري قد عفا والجفن من بعدِ التباعدِ ما غفا
وخيالكم في بالي والقلب في بلبالِ
إنْ أقبلَتْ من نحوكم ريحُ الصَّبا قلنا لها أهلاً وسهلاً مرحبا
وإليكُم قلبُ المتيَّمِ قد صَبَا وفراقكم للروح منه قد سبا
والقلب ليس بخالي من حبِّ ذاتِ الخالِ
يا حبَّذا ربعُ الحمى من مربَعِ فغزالهُ شبَّ الغضى في أضلُعي

(١) غير موجود في *ريحانة الألبا*، وهو في *الخلاصة* ج٣ ص٤٥٣، وفي *السلافة* ص٣٠١، وفي *الغدير* ج١١ ص٢٧٧.
(٢) *الريحانة* ج١ ص٢١١ *والخلاصة* ج٣ ص٤٥٣ *والغدير* ج١١ ص٢٧٥.
(٣) *الكشكول* ج١ ص٤٩ وص١٨٦ وسلافة *العصر* ص٣٠٠ وقد تفردت خلاصة الأثر ج٣ ص٤٥٣ بذكر رباعيتين لم تذكرهما بقية المصادر.
(٤) *الكشكول أعلمي* ج١ ص١٨٦.

لـم أنـسَـهُ يـوم الـفـراق مـودّعـي بـمـدامـعٍ تـجـري وقـلـبٍ مـوجـعِ
والـصـبُّ لـيـس بـسـالـي عـن ثـغـره الـسـلـسـال

وله هذه المقطوعة الغنائية وهي جزء من ملمَّع بالعربيَّة والفارسية:

مـضـى فـي غـفـلـة عـمـري كـذلـك يـذهـبُ الـبـاقـي
أدِرْ كـأسـاً ونـاوِلْـهـا ألا يـا أيُّـهـا الـسـاقـي
ألا يـا ريـحُ إن تـمـرُرْ بـأهـلِ الـحـيِّ مـن حُـزوى
فـبـلّـغـهـم تـحـيـاتـي ونـبّـئـهـم بـأشـواقـي
وقـل أنـتـم نـقـضـتـم عـهـدكـم ظـلـمـاً بـلا سـبـبِ
وإنّـي ثـابـتٌ أبـداً عـلـى عـهـدي ومـيـثـاقـي[1]

وهنا تفنن في شعر خمري منسوب إلى يزيد بن معاوية أولُه البيت الثاني نفسُه:

أدر كأساً وناولها ألا يا أيها الساقي[2].

وهو يقلّد في تفنّنِه شاعر الفارسية الكبير حافظَ الشيرازي الذي يتفنَّن به فيبدأ ديوانه الفارسي كلّه بهذا البيت العربي (وحده) ولكن مقلوباً:

ألا يا أيها الساقي أدر كأساً وناولها[3]. . . .

وله من غير نقط، وكأنه أحبّ أن يجرب ما ابتدعه معاصروه من

(١) *الكشكول* أعلمي ج١ ص١٨٦.
(٢) والبيت المنسوب إلى يزيد بن معاوية أصله:
أنا المسموم ما عندي ترياقٌ ولا راقي أدرْ كأساً وناولها ألا يا أيها الساقي
(٣) بيت حافظ الشيرازي:
ألا يا أيها الساقي أدر كأساً وناولها فإني هائمٌ وجداً فلا تمسِك وعلّلْها
راجع مجلة *يادگار* السنة الأولى، العدد: ٩ ص٧٢.

الشعراء من صنعة في الشعر، وكأنه أراد أن يشترك في ذلك السباق الذي كان دائراً بين الشعراء:

واهاً لصدٍّ وصلُكُم علَّلَهُ وعد لكم وصدّكُم علَّلهُ
كم حصَّل صدَّكم وما أمَّلَهُ كم أمَّلَ وصلَكُم وما حصَّلَهُ[1]

فنظم البيتين بحروف مهملة، وأكثر فيهما الجناس والطباق، ليظهر أنَّه لا يقلّ عن الشعراء الآخرين مقدرة بل إن لم يكن يبزّهم فيه.

وقد نسب إليه المحبّي هذه القصيدة في الغزل، التي تظهر لنا فيها الصناعة بأجلى مظاهرها:

وأهيَفِ القدِّ لَدْنِ العطفِ معتدلٍ بالطَّرفِ والظَّرفِ لا ينفكُّ قتّالا
إنْ جالَ أهدى لنا الآجال ناظرُهُ أوصالَ قطَّع بالهجرانِ أوصالا
وإن نظرتَ إلى مرآة وجنتِهِ حَسِبْتَ إنسان عيني فوقَها خالا
كأنَّ عارِضَه بالمسكِ عارضني أو ليلَ طرَّتِهِ في خدِّهِ سالا
أو طافَ من نورِ خدَّيهِ على بصري فخطَّ بالليلِ فوق الصبحِ أشكالا[2]

ولدينا بعد نموذجان من غزله التقليدي الذي جاء مقطعاً في قصيدة طويلةٍ متكاملة، أولُهما في القصيدة التي وصف بها هراة، في مقطع وصف فيه نساء هراة، وشبّههن بالظباء النافرة، وألحاظهنَّ فاتكة تدمي بنبالها حتى الناسك العابد الزاهد، فتُذهِبُ عقلَه، وتُسلمُ جسمَه إلى الأسقام والدواهي. . .

ولعل نساء هراة يمثّلن لدى الشاعر تجربة شعورية صادقة، وغيرُ مستبعدٍ أن تكون له هنالك تجربةُ حبّ وقد عاش في هراة في ريعان

---

(١) *الكشكول أعلمي* ج١ ص١٨٧ *ورياض العلماء* ج٥ ص٩٣ وأمل الآمل ج١ ص١٥٩.

(٢) خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٥٢.

الشَّباب، فقد كان كتب إلى والده في هراة من قزوين:

بقزوين جسمي، وروحي ثَوَتْ ... بأرض الهراةِ وسكّانها
فهذا تغرّبَ عن أهلِهِ ... وتلك أقامت بأوطانها[1]

والأنموذج الآخر في «الغديرية»[2] وهو أقرب إلى الغزل الصوفي منه إلى الغزل التقليدي:

رعى الله ليلةَ بتْنا سهارى ... خلَعْنا بحبٍّ العذارى العِذارا
ولما سرى النجم والبدرُ حارا ... أماطَتْ ذاتُ الخِمارِ الخمارا

❀ ❀ ❀

وكنا بجنحِ الدّجى الأدعج ... وبعضٌ إلى بعضنا ملتجي
فقامت لساق لها مُدلجِ ... وجاءت تشمِّرُ من أبلج

❀ ❀ ❀

تبدَّتْ بنورٍ لها لائحِ ... ووجهٍ لبدرِ الدّجى فاضحِ
وخدٍّ بماءِ الحيا ناضحِ ... وتبسُم عن أشنبٍ واضحِ

❀ ❀ ❀

الصورة واضحة، بارعة، بغض النظر عن رمزِها الباطني ومدلولها العرفاني، فقيمتها الجمالية فيها صياغة، وبراعة أداء لوَّنها الشاعر بالأضواء والظلال: الساق المدلج والوجه الشبيه بالبدر، والخدّ الأحمر دلالة الحياء، والبسمةُ التي تفترّ عن أشنب واضح.

---

(1) *الكشكول أعلمي* ج1 ص51 وخلاصة *الأثر* ج3 ص450 *والسلافة* ص300 *وأعيان الشيعة* ج9 ص247.

(2) *الغدير* ج11 ص244.

وذُكر له في الكشكول هذان البيتان[1]، وهما يشبهان من حيث المعنى ما جاء في القصيدة الثانية من مثنوي «نان وحلوا»[2] وهما:

مضت عني تشدُّ على اللّثام | ومدمُعها كدمعي في انسجام
فقلت لها متى ألقاك قالت: | قبيل الصبح لكن في المنام

وله في الغزل الصوفيّ القصيدة الملمّعة التالية التي هي القصيدة السادسة من مثنوي «شير وشكر» وهي - كما يقول - «في المناجاة والشوق إلى صحبة أصحاب الحال وأرباب الكمال».

عشاق جمالك احترقوا | في بحر صفاتك قد غرقوا
في باب نوالك قد وقفوا | وبغير جمالك ما عرفوا
نيران الفرقة تحرقهم | أمواج الأدمع تغرقهم
من غير زلالك ما شربوا | وبغير جمالك ما طربوا
صدمات جمالك تفنيهم | نفحات وصالِكَ تحييهم
كم قد أحيوا، كم قد ماتوا | عنهم في العشق روايات
طوبى لفقير رافقهم | بشرى لحزينٍ وافقهم[3]

---

(1) *الكشكول* ط دار الكتاب ص٦٦.

(2) البيتان هما:

يكدمك بنشست بربالين من | رفت وباخود برد عقل ودينِ مَنْ
گفتمش كئ بينمت اى خو شخرام | گفت نصف الليل لكن فى المنام

مثنويات نان وحلوا جواهري ص٤.

(3) والأبيات الفارسية هي:

٤ - كه پاى نهند بجاى سر | در راه طلب زيشان بگذر
٥ - كه نمي دانند زشوق لقا | پارا أز سر سررا ازپا
١٠ - يا رب يا رب كه بهايى عاصى را | سر دفتر أهل معاصى را
١١ - يا رب يا رب كه بهايى را | آن عمر تباه ريا يى را
١٢ - خطى ز صداقت ايشان ده | توفيق رفاقت ايشان ده
١٣ - باشد كه شود أز وفا نشان | نه اسم ونه رسم، نه نام ونشان

نفيسي ص١٤١ *وجواهري* ص٣٤.

الصورة واضحة ومدلولها العرفاني واضح أيضًا، فالعشاق هم أصحاب الحال وأرباب الكمال، احترقوا بمحبة الذات العليَّة، وغرقوا في بحر صفات الله عز وجل، يقفون في بابه يستجدون نواله، حيارى لا يعرفون رأسهم من رجلهم في طريق طلب النوال، لا تزال ذكرى الوصال تؤرّقهم، فالوصال معرفة بالحبيب وبجماله الروحي.

ويختم بدعاء، يدعو فيه الله عز وجل أن يتيحَ للبهائي العاصي، الذي أفنى عمره في الرياء وفي ما لا ينفع يوم القيامة، أن يوفّق إلى صحبة أصحاب الحال والكمال، ويصبح واحدًا منهم...

ويمكن أن نضيف إلى غزله الصوفيّ أيضًا، أبياتاً عربية جاءت في القصائد الفارسيّة ذات الطابع العرفانيّ:

في القصيدة الأولى من مثنوي نان وحلوا أربعة أبيات في الغزل العرفاني:

أيّها اللاهي عن العهد القديم	أيّها الساهي عن النهج القويم
استمع ماذا يقول العندليب	حيث يروي من أحاديث الحبيب
يا بريد الحي أخبرني بما	قاله في حقنا أهل الحمى
هل رضوا عنا ومالوا للوفا	أم على الهجر استمرّوا والجفا(١)

وله:

إبذلوا أرواحكم يا عاشقين	أن تكونوا في هوانا صادقين(٢)

وله:

---

(١) *نان وحلوا نفيسي* ١١٨ وجواهري ص٢.

(٢) هذا البيت مطلع لقصيدته الفارسية: «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» *نان وحلوا* قصيدة ٨: *نفيسي* ١٢٤ وجواهري ص١٠.

أيها القلب الحزين المُبتلى في طريق العشق أنواع البلا
لكن القلب العشوق الممتحن لا يبالي بالبلايا والمحن[1]

الخمريات أو التصوف والعرفان في شعر البهائي العربي

الحق يقال إن أجملَ أشعاره، هي قصائده الخمرية التي قالها في العشق الإلهي على طريقة المتصوفة، وهي ملمّعة بعضُها عربي وبعضُها فارسي، وإنها مع سوانحه النثريّة من أجمل ما جادت به قريحته الأدبيّة.

اعتمد الرمز، وأحياناً القصة جرياً على عادة الشعراء الإيرانيين الذين تقدّموه باعتماد الرمز في أشعارهم، وهو مثلهم يقصد بالكأس والنديم والمدام، والدف والمطرب، والصنج والساقي أسراراً يعبر عنها بالإيماء..

الخمرة لديه طاهرة تزيل الأدناس، وتفعل في العِظام فعل الخمرة النواسية إنها شعلة الإيمان المقدسة، وهي تعبير عن الفناء في الذات العليا، وما هذه المصطلحات والتعبيرات التي استخدمها، سوى رموز من سلسلة من المعاني العرفانية.

قال في سوانح سفر الحجاز، من مثنوي «نان وحلوا» الخبز والحلوى، تحت عنوان «في التشوق إلى الإقلاع عن أدناس دار الغرور، والتشوق إلى الارتماس في بحر الشراب الطهور».

يا نديمي ضاع عمري وانقضى قم لإدراك زمان قد مضى
واغسل الأدناس عني بالمُدام واملأ الأقداح منها يا غلام
أعطني كأساً من الخمر الطهور إنها مفتاح أبواب السرور

(١) *نان وحلوا* مطلع القصيدة العاشرة *نفيسي* ص١٢٥ *وجواهري* ص١١.

خلّص الأرواح من قيد الهمومْ أطلقِ الأشباحَ من أسر الغموم[1]

وقال، تحت عنوان «في نغمات الجنان من حدبات الرحمن»:

إشف قلبي أيها الساقي الرحيم بالتي يحيا بها العظم الرّميم
واسقني كأساً فقد لاح الصباح والثّريّا غرَّبت والديكُ صاحْ
زوّج الصهباءَ بالماءِ الزّلال واجعلَنْ عقلي لها مَهراً حلال
هاتِها من غير مهلٍ يا نديم خمرةً يحيا بها العظمُ الرميمْ
بنتَ كرمٍ تجعلَنَّ الشيخَ شابْ من يذُقْ منها عن الكونين غابْ
خمرةً من نارِ موسى نورُها دنُّها قلبي وصدري طورُها

هذه الخمرة المقدّسة تستمد نورَها من نار موسى التي يمَّمها يقتبس منها في جبل الطّور، فكان له هناك الوحيُ الإلهي، وكلَّمه الله تكليماً، (نار موسى، الطور، الوادي المقدس)، من عرائس شعره في غالبية قصائده الدينية، تظهر لنا أن خمرة البهائي في مختلف جوانب شعره، إنما هي خمرة الإيمان المطلق بالحقيقة المطلقة، وإن استخدم التعابير والمعاني المألوفة في شعر الخمرة عند أمثال أبي نواس:

قم ولا تمهلْ فما في العمر مهل لا تصعّب شربَها فالأمرُ سهلْ
قل لشيخ قلبُهُ منها نفور لا تَخف فالله توَّاب غفورْ

إنَّه يعمد إلى الرمز والإشارة ليعبّر عن فيضِه الباطني، ويبدع لنفسه مصطلحات خاصة لا يدركها إلا الصوفي، كيف يكون الفقيه المحافظ

---

(١) ويكمل بالفارسية:

گاندرين ويرانهٔ پروسوسه دل گرفت از خانقاه ومدرسه
نى زخلوت كام بردم، نى زسير نى ز مسجد طرف بستم، نى زدير
عالمى خواهم ازين عالم بدر تا به كام دل كنم خاكى به سر
صلح كل كرديم با كل بشر توبه ما خصمى كن ونيكى نگر

ديوان شيخ بهائى ص١٣٤ وكليات شيخ بهائى ص٢٣.

عارفاً صوفياً متحرراً، رفيعَ التحليق، يوازي شعرُه شعرَ كبار المتصوفين، ويسمو في فضاء الروحانيات، وينسى ما في عالم المعقولات، من صخب وثقل، ثم هو يمزج الخمرة بالغناء، وذكر المغنيّ وآلات العزف، وذكر الحبيب:

يا مغنّي إنَّ عندي كلَّ غم ... قمْ وألقِ النايَ فيها بالنَّغم
غنِّ لي دوراً فقد دارَ القدح ... والصَّبا قد فاح والقُمري صدَح
واذكرَنْ عندي أحاديثَ الحبيبْ ... إنَّ عيشي من سواها لا يَطيبْ
واحذَرَنْ ذكرى أحاديث الفراق ... إنَّ ذكرَ البعد مما لا يطاقْ
روّحَنْ روحي بأشعارِ العربْ ... كي يتم الحظ فينا والطّربْ
وافتتِحْ منها بنظمٍ مستطاب ... قلتُهُ في بعضِ أيام الشبابْ
«قد صرفنا العمر في قيل وقال ... يا نديمي قم فقد ضاق المجال»
ثم أطربني بأشعارِ العجم ... واطردَنْ همّا على قلبي هجمْ
وابتدي منها ببيت المثنوي ... للحكيم المولوي[1] المعنوي
[استمع من الناي كيف يحكي ... وكيف يشكو آلام الفراق][2]
قمّ وخاطبني بكلِّ الألسنة ... علَّ قلبي ينتبه من ذي السّنة
إنه في غفلةٍ عن حالِهِ ... خائضٌ في قيله مع قالِهِ

غفلة الإنسان عن الحق عندما يهتم بأمور الحياة الدنيا، ويدخل في ما يدخل فيه الناس من جدال عقيم، وكل ما في هذه الحياة الدنيا، قيودٌ

---

(١) المولوي هو الشاعر المتصوف «جلال الدين الرومي» أكثر شعراء العرفان نظماً وشعراً، أشعاره بين رباعي وغزل ومثنوي تتجاوز آلاف الأبيات، وهو واحد من أعمق الشعراء الإيرانيين وأغناهم معنًى: *لغت نامه* ش٢١٧ ص١٢٠ *والأعلام* ج٧ ص٣٠ *وأعيان الشيعة* ج٤ ص٢٠٢.

(٢) واصل البيت بالفارسية:

بشنو أز نئ چون حكايت ميكند ... وأز جدايى ها شكايت ميكند

وأغلال تشدّ الإنسان نحو الحضيض ولا تترك له فرصةَ التحليق في الفضاء الرّحب، بل إنّ ما فيها أصنامٌ يتعلّق بها قلبُه الضَّعيف.

كـلّ آنٍ فـهـو فـي قـيـدٍ جـديـد   قـائـلًا مـن جـهـلِـهِ هـل مـن مـزيـد
تـائـهٌ فـي الـغـيِّ قـد ضـلَّ الـطـريـق   قطّ من سكـر الـهوى لا يـستفيق
عـاكـفٌ دهـرًا عـلـى أصـنـامِـهِ   تـنـفـر الـكـفّـار مـن إسـلامِـهِ
كـم أنـادي وهـو لا يـصـغـي الـتّـناد   وافـؤادي وافـؤادي وافـؤاد
يـا بـهـائـيّ اتـخـذ قـلـبًـا سـواه   فـهـو مـا مـعـبـوده إلا هـواه[1]

وهو يحثّ النديم على عدم تضييع العمر في قيل وقال ونزاع وجدال، وعلى الإسراع في سقيه المدام العذب التي تهدي إلى خير السبيل، حتى أنه ليتشوّق لو سقي منها بالدنان لا بالكؤوس، إنها تزيل ما عَلِقَ في الذهن من العلوم الدنيوية التي هي «علم الرسوم»، بينما ليس سوى ما يثمر السعادات الباقية الأخروية:

قد صرفنا العمر في قيل وقال   يا نديمي قمْ فقد ضاق المجال
واسقني تلك المدامُ السلسبيل   إنـهـا تـهـدي إلـى خـيـر الـسَّـبـيـل
واخلع النَّعلين يا هذا النَّديم   إنـهـا نـارٌ أضـاءت لـلـكـلـيـم
هـاتِـهـا صـهـبـاءَ مـن خـمـرِ الـجـنـان   دع كـؤوسًـا واسـقـنـيـهـا بـالـدّنـان
ضـاق وقـتُ الـعـمـرِ عـن آلاتِـهـا   هـاتِـهـا مـن غـيـر عـصـرٍ هـاتـهـا
قـم أزلْ عـنـي بـهـا رسـمَ الـهـمـوم   إنَّ عمري ضاع في علم الرسوم

ثم يصرخ في الأبيات الفارسية التي تلي[2]، في مقطوعته الملمّعة

---

(١) *ديوان شيخ بهائى* ص١٣٤ ـ ١٣٥، *وكليات* ص٢٤ *والكشكول، ط. أعلمي* ج١ ص٢٥٠.

(٢) علم رسمى سر بسر قيل است وقال   نه از او كيفيتي حاصل نه حال
طبع را افسر دگى بخشد مدام   مولوي باور ندارد اين كلام
وه چه خوش مى گفت درراه حجاز   آن عرب شعرى به أهنگ حجاز:

أن العلم الرسمي قيلٌ وقال لا قيمة له.. ثم يستحسن قولاً سمعه في طريق الحجاز من شاعر عربي، كان يترنَّم به على لحن الحجاز:

كلُّ من لم يعشقِ الوجهَ الحسنْ　　　قـرب الـرحـل إلـيـه والـرّسـن

هذا المعنى يكرّره في أبيات أخرى منسوباً غالباً إلى عربي يترنَّم بشعر يدعو إلى ترك الدنيا، ويقول إنه لا قيمة لكل العلوم التي تحصلونها، ولا يجب أن يكون فكركم في غير الحبيب، مثلاً في مثنوي «نان وحلوا» [الخبز والحلوى] الملمّع يقول على لسان المغني العربي:

أيّـهـا الـقـوم الألـى فـي الـمـدرسـة　　　كـل مـا حـصّـلـتـمـوه وسـوسـة
فكركم إن كان في غير الحبيب　　　ما لكم في النشأة الأخرى نصيب
فاغسلوا يا قوم عن لوحِ الفؤاد　　　كلّ علم ليس ينجي في المعاد[1]

وفي قصيدة الكرديّ الذي قتل أمّه:

أيّـهـا الـسـاقـي أدر كـأس الـمـدام　　　واجعلَنْ في دَورِها عيشي مُدام
خلِّص الأرواحَ من قيدِ الهموم　　　أطلقِ الأشباحَ من أسرِ الغموم
فـالـبـهـائـيُّ الـحـزيـنُ الـمـمـتـحـنْ　　　من دواعي النفسِ في أسرِ المحن[2]

ولنستمع إلى هذا الغناء الصادق اللهجة والقوي النغمة، يصدر عن قلب حزين وينتهي إلى القلوب فيثير فيها الحزن والأسى:

= كـــــل مـــــن لـــــم...

يعنى آن كس راكه نبود عشق يار　　　بَـهْـرِ أو بـالان وأفـسـارى بـيـار

ديوان شيخ بهائى ص١٢٠ *والكشكول* ج١ ص٢٠٩ وفي *سلافة العصر* ص٢٩٩، الأبيات العربية فقط والملمع في ٢١ بيتاً، منها سبعة أبيات بالعربية وهي التي ذكرناها، والأبيات الأخرى بالفارسية.

(١) *ديوان شيخ بهائى* ص١٢٠ *وكليات* ص٦، *الكشكول أعلمي* ج١ ص٢٠٩.

(٢) *الكشكول* دار الكتاب ص١٤٩ *وسلافة العصر* ص٢٩٩ *ونزهة الجليس* ج١ ص٣٨١.

جـاء الـبـريـد مـبـشـراً | مـن بـعـد مـا طـال الـمـدى
بـالله خـبـرنـي بـمـا | قـد قـال جـيـرانُ الـحـمـى
يـا أيـهـا الـسـاقـي أدر | كـأسَ الـمـدام فـإنَّـهـا
مـفـتـاحُ أبـواب الـنـهـى | مـشـكـاةُ أنـوار الـهـدى
قـد ذاب قـلـبـي يـا بـنـي | شـوقـاً إلـى أهـل الـحـمـى
هـذا الـربـيـع إذا أتـى | يـا شـيـخ قـل حـتـى مـتـى؟
قـم يـا غـلام وقـل لـنـا | الـدّيـرُ أيـن طـريـقـه
فـالـقـلـب ضـيَّـع رشـدَه | ومـن الـمـدارسِ مـا اهـتـدى
قـل لـلـبـهـائـي الـمـمـتـحـن | داوِ الـفـؤاد مـن الـمـحـن
بـمُـدامـةٍ أنـوارهـا | تـجـلـو عـن الـقـلـب الـصـدا[1]

وهو يجمع في هذه القصيدة رموزه العرفانية الثلاثة:

جيران الحمى وأهل الحمى: رمز لجيران دار الخلود.

الساقي: هو المرشد والدليل إلى الحق.

الخمرة المقدسة: رمز لمعرفة واجب الوجود المعرفة المطلقة: (مفتاح أبواب النهى)، مشكاة أنوار الهدى.

الدير: مكان تعاطي الخمرة المقدسة (العلم الحقيقي، علم العرفان).

المدارس: (المواعظ) العلم الرسمي = الذي سماه العلم المجازي وليس هو الطريق الموصل إلى الحق.

الألغاز والأحاجي

وكما وضع البهائي عدداً من الألغاز والأحاجي نثراً، فإنه ولج

---

(١) *ديوان شيخ بهائى* ص١٠٦ *وكليات* ص٦٤ *ورياض العلماء* ج٥ ص٩٣.

أيضاً هذا الباب ناظماً، ففي القصيدة[1] التي أجاب بها الشيخ عمر مفتي القدس الشريف، يقول البهائي بعد مقدمة يمدح فيها الشيخ عمر:

يا سيداً قد حاز من سائر الـ ... فنون حظاً وافراً لا ينالْ
ما بلدة أولها سورة ... بل جبل صعب بعيد المنال[2]
وما سوى آخرها قد غدا ... إسماً وفعلاً وهو حرف يقال[3]
وقلبه فعل واسم لما ... يصير منه الجسم مثل الخلال[4]
وعجزها إن ينتقص نصفه ... من صدرها فهو طعام حلال[5]
وما سوى أولها قلبه ... أمر به كل جميل الخصال[6]
وقلبها إن زل نصف له ... يصير ما قلبي غدا منه غال[7]
وإن تزده النصف منه يكن ... حاجب من يرمي بقلبي نبال[8]
مولاي إن العبدَ من شعرِهِ ... في خجلٍ متّصلٍ وانفعال

(١) تخريج القصيدة في الكشكول ط. دار الكتاب ص٥٤ ـ ٥٥ وط أعلمي ج١ ص٦٧ ـ ٦٨ وط مصر ج١ ص٦٠ ـ ٦١. وفي أعيان الشيعة ج٩ ص٢٤٧، (السريع).

(٢) البلدة هي القدس وأول حروفها القاف وهو اسم لسورة في القرآن المجيد «قاف» وقاف جبل محيط بالمدينة كما في بعض التفاسير.

(٣) وما سوى آخرها يكون (قد) وهو اسم (القد) وحرف تحقيق (قد) وفعل قَدْ: يكفي.

(٤) وقلب قَدْ هو دُقَّ: اضرب الباب، وقِدْ بالفارسية السلّ.

(٥) السين تساوي في حروف الجمل ٦٠ وإذا أنقصنا نصفها وهو ثلاثون من صدر كلمة قدس، أي حرف القاف في أولها وهو يساوي مئة، يبقى ٧٠ وهو يساوي في حساب الجمل حرف العين، تضم إلى دس فتصير عدس، فهو طعام حلال.

(٦) وما سوى أول القدس (دس) وقلبه (سد) وهو الأمر من ساد يسود.

(٧) د = ٤، نصفها = ٢ وهو الباء تضم إلى قس فتصير قبس.

(٨) حرف الدال السابق وهو يساوي في الجمل ٤، إن تزده النصف منه وهو ٢ يصبح ٦ المعادل لحرف الواو في الجمل، وينقلب القدس إلى القوس الذي يشبهه حاجب الحبيب.

قــال يــراعــي حــيــن كــلّــفــتــه تحريرَ هذا الهذرِ ما ذا الخبال؟
يــقــابــل الــدرّ بــهــذا الــحــصــى؟ لا شكَّ في عقلِكَ بعضُ اختلال

فكتب الشيخ عمر في الجواب:

ألــغــزت يــا مــولاي فــي بــلــدةٍ قد أمَّها الداعي بنصّ الكتاب
مــضــافــهــا الــروحُ بــلا شــبــهــةٍ مــطــهَّــر مــن دنــس الارتــيــاب
إذا أزلــتَ الــقــلــبَ مــن لــفــظِــهــا تصرْ فصيحَ العُرب لبَّ اللباب(١)
وإن تــزدْهــا واحــداً تُــلــفِــهــا سفينةً تجري بما يستطاب(٢)
كــذاكَ إن زدتَ إلــى قــلــبــهــا واواً تجدْ إسماً لمولى الثَّواب(٣)
عــســاك إن جــئــت إلــى حــيِّــهــا تــقــدّس الــذات وتــنــفــي الــشــواب
وتــشــرحُ الــصَّــدرَ بــمــا صــغــتــه مــن درّ لــفــظ ومــعــان عــذابْ
فــاســلــم ودُم فــي نــعــمــةٍ مــلــغِــزاً فــي بــلــدِ الــقــدسِ رفــيــع الــجــنــابْ
دامــت مــعــالــيــك لــيــوم الــحــســاب

نلاحظ أنَّ البهائي، قال هذه القصيدة خارج إيران، في إحدى المدن العربية، وأعتقد أنّه اطّلع على ما كان يقوله ويتبارى به الشعراء العرب، فأحبّ أن يدليَ بدلوه، ويظهر مقدرته على مجاراتهم فيه.

القصة في شعر البهائي العربي

له قصيدتان قصصيتان، أولاهما القصيدة التي عارض بها قصيدة والده:

(١) إذا أزلت الدال من قدس يبقى (قس) وهو قس بن ساعدة أفصح العرب.
(٢) قادس: السفينة الكبيرة.
(٣) قلب القدس هو الدال وإن زدت واواً بعدها تصبح قدوساً وهو اسم الله تعالى = القدوس.

فاح ريح الصبا وصاح الديك فانتبه وأنف عنك ما ينفيك[1]

في المقدمة الخمرية منها معان تقليدية مأخوذة من معاني أبي نواس وألفاظه، كما أن الخمرة هنا ليست تلك الخمرة المقدسة، التي ذكرها الشاعر في «سوانح سفر الحجاز» والتي قصد من ورائها معانيَ صوفيةً بعيدة المنال، بل إنَّ ذكرها هنا تقليد محض للشعراء السابقين، كذلك في الأوصاف الغزلة، جاء بالمعاني المعروفة لجمال المرأة.

أما الطرافة في هذه القصيدة فهي في القصة التي أوردها الشاعر، وإن كانت غير معبّرة عن شخصية صاحبها الحقيقية:

يا نديمي بمهجتي أفديك قم وهات الكؤوس من هاتيك
هاتها، هاتها مشعشعة أفسدت نسكَ ذي التقى النسّيك
قهوة إن ضَلَلْت ساحَتَها فسنا ضوء كأسها يهديك
يا كليم الفؤاد داوِ بها قلبك المبتلى لكي تشفيكْ
هي نارُ الكليم فاجتلها واخلَعِ النَّعلَ واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فدم في احتساها مخالفاً ناهيكْ
عمرَكَ الله قلْ لنا كرماً يا حَمامَ الأراكِ ما يُبكيكْ؟
أترى غاب عنك أهل منىً بعد ما قد توطّنوا واديكْ؟
إنّ لي بينَ ربعِهم رشأً طرفُهُ إن تمُتْ أسىً يُحييكْ

(١) كان الشيخ حسين بن عبد الصمد قد ضمَّن قصيدته عجزَ الشاعر الفارسي عبد الرحمن الجامي[*] الشاعر والكاتب الإيراني المشهور «فاح ريح الصبا وصاح الديك».

(*) **عبد الرحمن الجامي** شاعر وكاتب إيراني مشهور. ولد في خراسان سنة ٨١٧هـ وتوفي في هراة سنة ٨٩٨هـ (١٤١٤م - ١٤٩٢م) رافق أباه إلى سمرقند، وهناك شغل بعلومه الدينية والأدبية، حجَّ فمر بدمشق، من آثاره ديوان فارسي - مثنوي فارسي - نفحان الأنس (نثراً) شواهد النبوة (نثر): فرهنگ معين ج٥ ص٤٢٣ *والزركلي* ج٣ ص٢٩٦.

ذا قِـوامٍ كـأنَّـه غُـصـنٌ ماس لـمـا بـدا بـه الـتـحـريـكْ

لـسـتُ أنـسـاه إذ أتـى سـحـراً وحـدَه وحـدَه بـغـيـرِ شـريـكْ

طـرَقَ الـبـابَ خـائـفـاً وجِـلاً قلت منْ؟ قال كلٌّ من يرضيكْ

قلتُ: صَرِّحْ فقال: تجهلُ منْ سَيفُ ألحاظه تحكَّم فيكْ؟

قمت من فرحتي فتحتُ له واعتنقنا فقال لي: يهنيكْ

بات يسقي وبتُّ أشربُها قهوةً تتركُ المقلَ مليكْ

ثُمَّ جاذبتُهُ الرِّداءَ وقدْ خامرَ الخمرُ طرفَهُ الفتّيكْ

قال لي: ما تريدُ؟ قلت له يا منى القلبِ قبلةً من فيكْ

قال: خذها فمذْ ظفرتُ بها قلتُ: زدني فقال: لا وأبيكْ

ثم وسَّدتُهُ اليمينَ إلى أن دنا الصُّبحُ، قال لي: يَكفيكْ

قلت مهلاً فقال: قم فلقد فاح ريح الصَّبا وصاحَ الدّيكْ(١)

إذا كانت هذه القصيدة والقصة التي تضمنتها، تقليدية كلياً، فإن القصة الثانية هي قصة رمزية وعظية على طريقة الشعر الإيراني الذي سار البهائي على هديه في الكثير من شعره الفارسي وفي بعض شعره العربي، وبخاصة خمرياته الصوفية، وفي هذه القصة:

كان في الأكراد شخصَ ذو سداد أمه ذات اشتهار بالفساد

لم تخيب من نوال راغباً لم تنفّر عن وصال طالباً

دارُها مفتوحة للداخلين رجلُها مرفوعةٌ للفاعلين(٢)

---

(١) تخريج القصيدة في *الكشكول* ج١ ص١٤٨ عدا البيت الرابع عشر وكذلك في *أعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٨ ووردت القصيدة كاملة في *ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٨، وفي خلاصة *الأثر* ج٣ ص٤٤٩ أحد عشر بيتاً، وفي *نزهة الجليس* ج١ ص٣٨٢ - ٣٩٣ ذكرها كاملة كما ذكر عدداً من القصائد التي عارض بها أصحابُها هذه القصيدة، كما ذكر قصيدة أبيه كاملة.

(٢) ذكر هذا البيت مرة ثانية في قصيدة باللغة الفارسية ذات موضوع مشابه، *نفيسي* ص١٢٨ *وجواهري* ص١٦.

فهي مفعولٌ بها في كل حال | فعلُها تمييز أفعال الرجال
كان ظرفاً مستقراً وكرهاً | جاء زيدٌ قام عمروٌ ذكرها
جاءها بعضَ الليالي ذو أمل | فاعتراه الابنُ في ذاك العمل
شقَّ بالسكّين فوراً صَدْرَها | في محاقِ الموتِ أخفى بَدْرَها
مكَّن الغيلانَ من أحشائها | خلَّصَ الجِيرانَ من فحشائها
قال بعضُ القوم من أهل الملام | لِمَ قتلتَ الأمّ يا هذا الغلام؟
كان قتلُ المرءِ أولى يا فتى | إن قتلَ الأمّ شيءٌ ما أتى
قال: يا قوم اتركوا هذا العِقابْ | إن قتلَ الأمّ أدنى للصواب
كنتُ لو أبقيتُها في ما تريد | كلَّ يوم قاتلاً شخصاً جديدْ
إنّها لو لم تذق طعمَ الحُسام | كان شغلي دائماً قتلُ الأنام

إنه لا يترك لنا مجالاً كبيراً للتأويل لأن المقصود في هذه القصة موضّح في هذه الأبيات التي تلي:

أيها المأسور في قيد الذنوب | أيها المحروم من سر الغيوب
أنت في أسر الكلاب العاوية | من قوى النفس الكفور الجانية
كلَّ صبح مع مساء لا تزال | مع دواعي النفس في قيل وقالْ
كلُّ داعٍ حية ذات انتقام | قلْ: مع الحيّاتِ ما هذا المقامْ؟
إن تكن من لسع ذي تبغي الخلاص | أو ترُم من عضّ هاتيك المناصْ
فاقتُل النفسَ الكفورَ الجانية | قتلَ كُردِيٍّ لأمٍّ زانية[1]

إذاً: الأم هي النفس الأمّارة بالسوء، والكرديّ الشجاع، هو الإنسان الذي يستطيع الخلاص من أسر قوى النفس الكفور، والبهائي

(١) *الكشكول* ج١ ص١٧٠ ـ ١٧١، وسلافة *العصر* ص٢٩٦، ونزهة *الجليس* ج١ ص٣٧٦، والأعيان ج٩ ص٢٤٩.

الإنسان يبغي الخلاص من دواعي النفس بخمرة قدسية تخلّص الأرواح من قيد الهموم:

أيّـهـا الـسـاقـي أدِرْ كـأسَ الـمُـدام		واجـعَـلَـنْ في دورِها عـيـش مـدام
خلِّص الأرواحَ من قيـد الـهـمـوم		أطلقِ الأشـبـاحَ من أسرِ الـغـيـوم
فـالـبـهـائـي الـحـزيـن الـمـمـتـحن		من دواعي النفس في أسر المحن[1]

أما القول إن هذه القصيدة ترمز إلى أن مؤلفها «يهيب إهابة خفية بالشعب للثورة على الحكم الفاسد»[2]، فإنه إسقاط لرؤيتنا المعاصرة، على موضوع لم يخطر ببال الشاعر، لأنه كان ممن يؤمنون بالاتجاه المذهبي الذي كان عليه الحكم الصفوي، فمِن المستبعد أن يدعو إلى الثورة عليه. . .

إن هذه القصيدة من شعر البهائي العرفاني الذي غلب على شعره الفارسي وعلى سوانح سفر الحجاز بالعربية والفارسية، يرمز إلى دواعي النفس الشهوانية بعبارات (الكلاب العاوية)، و(الحيات)، ويدعو إلى التخلص من عواء هذه ولسعات تلك بالمجاهدة: مجاهدة النفس: بشرب كأس المعرفة الموصلة إلى الحق جل وعلا.

وهكذا نرى أنفسنا أمام شاعر إنساني السمات، رَقِيَ شعره العربي

---

(١) القصيدة من سوانح سفر الحجاز *الكشكول*. *أعلمي* ج١ ص٢٢٧ و*سلافة العصر* ص٢٩٩ و*نزهة الجليس* ج١ ص٣٨١.

(٢) مقالة الدكتور عبد الكريم اليافي «بهاء الدين العاملي وفكره المتصل والمنفه» في مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٥، ١٩٦٧ ـ ١٤٠٦هـ ص٨٨، يقول: «. . .وعندنا أن قصيدته [البهائي] في اللغة الفارسية [الصواب أنها بالعربية] التي يصف فيها شاباً تقياً صالحاً قتل أمه الفاسدة، لا تُفهم إلا على أنّها رمز يهيب مؤلفها في أغلب الظن إهابة خفية بالشعب للثورة على الحكم الفاسد، وإلا فإن قتلَ الأم، لا يجيزه عقل ولا شرع، إنه في ذلك يجري على نسق الشعراء الإيرانيين الذين تقدموه باعتماد الرمز في أشعارهم لإفادة مقاصدهم».

عن الشعر العربي المعاصر له، لأنَّ عناصر ثقافته كانت غنية متنوعة، كما أن في شعره الكثير من اللّمعات الشعرية المشعّة والعواطف الرقراقة الخالصة، وهو أول من نظم الشعر العربي على طريقة الرباعيات الفارسية، كما أنه نوّع في أوزانه وقوافيه في عدد كبير من قصائده..

لقد أسدى البهائي خدمة إلى الثقافتين العربية والفارسية بتطوير النظم في كلّ منهما، باعتماده في كل منهما وزناً من أوزان الأخرى.

الفصل الثالث

شعره الفارسي

- مقدمة
- آثار البهائي الشعرية بالفارسية
- المثنويات
  - «نان وحلوا» الخبز والحلوى
  - «شير وشكر» الحليب والسكر
  - «نان وپنير» الخبز والجبن
  - «طوطى نامه» سيرة الببغاء
- أشعار متفرقة
- التصوف والعرفان في شعر البهائي الفارسي
- مصطلحات التصوف والعرفان

أيها المأسور في قيد الذنوب		أيها المحروم من سرّ الغيوب
لا تقم في أسر لذّات الجسد		إنها في الجيد حبل من مسد
قم توجه شطر إقليم النعيم		واذكر الأوطان والعهد القديم

شعره الفارسي

قبل الحديث عن شعر البهائي الفارسي، لا بد من تعرّف حالة الشعر في إيران في العصر الصفوي، لندرك قيمة هذا الشعر الذي تركه لنا البهائي الشاعر. .

يُذكر أنَّ أحدَ شعراء هذا العصر «محتشم كاشاني»[1] «أنشأ قصيدة مدحية وأرسلها إلى الشاه طهماسب الصفوي، فكان رد الشاه، أن المدائح يجب أن توجه إلى الرسول الكريم والأئمة المعصومين عليهم السلام، وأنه غير راضٍ عن مدح الشعراء له[2]. فكان من البديهي والحالة هذه أن يدبّج الشعراء قصائد يمدحون فيها الرسول والأئمة عليهم السلام[3] وأن يكسدَ سوق الشعراء الذين كانوا يبتغون الشهرة والعطاء، من خلال مديحهم للحكّام، لذلك اضطر هؤلاء إلى أن يهاجروا إلى الهند، حيث أصابوا حظوة لدى أمرائها التيموريين والقطب شاهيين، وأصبحت الهند قبلة شعراء إيران (ولعل هذا يفسر ما ورد في نصيحة الشيخ حسين بن عبد

---

(١) **محتشم كاشاني** شمس الشعراء كاشاني أحد شعراء العصر الصفوي توفي سنة ٩٩٦هـ ١٥٨٧م، أجمل أشعاره هي مدائح البيت عليهم السلام ومراثيهم وبخاصة مرثيته في شهداء كربلاء، وله ديوان فيه قصائد تحت عنوان «جامع اللطائف»، وغزليات بعنوان «نقل عشاق». ترجمته في فرهنگ معين ج٦ ص١٤٠٩.
وقد أورد له البهائي عدة مقطوعات في *الكشكول*.

(٢) *تاريخ فرهنگ إيران* ص٣٤٣ و٣٤٤.

(٣) *الأدب الفارسي* ص٢٠ وص١٩٧.

الصمد لابنه البهائي، (إذا كنت تريد الدنيا فاذهب إلى الهند)، هاجر إليها الشعراء التقليديون، كما هاجر إليها الشعراء العرفاء، عندما قوي نفود علماء الظاهر، وبتأثيرهم اضطُهِدَ المتصوفةُ والعرفاء وأُبعِدوا، وهُدِمَتْ تكاياهم وصوامعُهم[1]، واستمرت الحال على هذا المنوال، حتى أواخر الدولة الصفوية، وعلى الرغم من كثرة عدد الشعراء الذين أحاطوا بالشاه عباس، لا نعرف اسم شاعر عاد من الهند ليتقرب من الشاه، بل على العكس من ذلك استمرت هجرة بعض الشعراء في عهده، وكان من بينهم شعراء لهم مكانتهم[2].

قَصَدتُ بهذا التمهيد أن أشيرَ إلى نقطتين أساسيتين لهما علاقة بشعر البهائي الفارسي:

أولاً: إن معاصريه من الشعراء الذين التفوا حول الشاه عباس ومنهم «خيالي شيرازي»[3] مدحوا الشاه عباس بقصيدة أو أكثر، أو وقفوا شعرهم على مدحه، بينما لا نجد في ديوان الشيخ البهائي بيتاً مدحياً واحداً موجّهاً إلى الشاه عباس أو إلى غيره، حتى المديح الديني الذي عرفناه له في شعره العربي، لم يخصّص له قصائد بعينها، وإنما جاء في بعض القصائد بصورة غير مباشرة... شعره الذي تصبغه كلّه صبغة عرفانية، والذي هو تعبير عن إحساساته الكامنة، يُظهِرُ عمقَ تأثّره بشعراء الفارسية العظام، وبخاصة جلال الدين المولوي المعروف بالرومي[4].

---

(١) *تاريخ فرهنگ إيران* ص٢٤٤.

(٢) *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٢٨ وص٢٩.

(٣) **خيالي شيرازي** ابن الملا صدرا وحفيد السيد الداماد، وهو الذي خمّس إحدى قصائد البهائي: *زندگانى شاه عباس أول* ج٢ ص٤٩.

(٤) **جلال الدين مولوي** جلال الدين محمد المولوي البلخي الرومي (المتوفى ٦٧٢هـ = ١٢٧٣م) صاحب الديوان الغزلي العرفاني المتأجج بالعاطفة المعروف باسم «ديوان شمس تبريزي»... كان ذا مقدرة نادرة المثال على عرض الموضوعات =

ثانياً: لم يتبع أسلوب التصنيع الذي صبغ الشعر في عصره[١]، والذي سمّي «سبك هندي» أي «الأسلوب الهندي»، ويقول سعيد نفيسي إنه الوحيد الذي لم يتبع هذا الأسلوب[٢] وهو في محافظته على رصانة شعره سار على خطى الشعراء الكبار فهو في الرباعيات والغزل العرفاني متأثر بشعر حافظ الشيرازي[٣]، وفي المثنويات يسير على خطى جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار[٤][٥].

= العرفانية وإيراد الأمثلة واستخلاص النتائج من بحوثه، وتبيان المعاني العرفانية الحكمية العويصة بلغة بسيطة واضحة. ديوانه المثنوي في ستة دفاتر، وديوانه الغزلي وقصائده ورباعياته جميعها من أعالي نماذج الشعر العرفاني الفارسي، والدافع إلى التقليد، وإيجاد الآثار العرفانية الوفيرة في القرون التالية بعده. *لغت نامه* ش٢١٧ ص١٢٠.

(١) *الأدب الفارسي* ص٢٠.

(٢) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٧١.

(٣) **حافظ الشيرازي** (توفي ٧٩١هـ = ١٣٨٩م) «لسان الغيب»، يعدّ شمس الدين محمد بن بهاء الدين ـ المعروف بحافظ ـ من أكبر شعراء الغزل في الأدب الفارسي... ويقال إنه حفظ القرآن كله غيباً، وبسبب هذا لقّب بـ«حافظ» وقد توفي ودفن في شيراز التي عشق أرضها وجمالاتها... يتجلى فن حافظ ومقدرته في الغزل بخاصة، فقد بلغ الغزل العرفانيّ على يده أعلى درجات الفصاحة والملاحة، كما أنه ارتدى ثوباً من بساطة خاصة... وقد بلغت حرية الفكر في ديوان حافظ حد الكمال، وانتقد فيه التقاليد والرسوم المستنكرة التي كانت شائعة في عصر الشاعر: *الأدب الفارسي* ص٣١٤ ـ ٣٢٣ و(حافظ الشيرازي شاعر العرفان والإنسان) كتاب فيه مجموعة المقالات التي ألقيت في مهرجان تكريم الشاعر بمناسبة مرور ٦٠٠ عام على وفاته، دمشق، ١٩٨٩م.

(٤) **فريد الدين العطار** (توفي ٦٢٧هـ = ١٢٢٩م)، من أكابر رجال التصوف والعرفان في القرن السادس، ومن شعراء الفارسية المشهورين، وهو الذي دفع شعر العرفان إلى الأمام، بغزله الرقيق اللاهب، ومثنوياته البسيطة التعليمية... وتعد مثنوياته أسمى أثر عرفاني فارسيّ حتى عهده، وبخاصة مثنوي «منطق الطير» التي هي منظومة رمزية في ٤٦٠٠ بيت، والتي هي تاج منظومات العطار ومن روائع الفارسية الخوالد كما يقول د. محمد محمدي: الأدب الفارسي ص٢٠٩.

(٥) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص٧٩، *وكليات شيخ بهائى* المقدمة ص. ب.

كان شعره الفارسي إذاً كشعره العربي أرقى من أشعار معاصريه، بل لقد شارف به مستوى شعر العظام، هذا إذا أجزنا لأنفسنا أن نقارن بين ألفي بيت كتبها هو، وبين سبعين ألف بيت ـ مثلاً ـ قالها جلال الدين المولوي.

ولقد كان للبهائي فضلٌ على الشعر الفارسي والشعر العربي معاً ـ كما ذكرنا ـ على الشعر الفارسي لأنه استخدم فيه البحور العربية، وعلى الشعر العربي لأنَّه أدخلَ فيه الرباعيات(١)والمثنويات(٢) الفارسية، كما أنه كان أول من نظم شعراً بالفارسية على وزن الخبب، وهذا الوزن لم يكن معروفاً عند الشعراء الفرس قبل البهائي، كما أشار إلى ذلك تلميذه المجلسي الأول(٣).

أودع البهائي شعره الفارسي آراءه النقدية بصراحة مثيرة، فقد انتقد فيه المتشرعين الذين يجترون آراء السابقين دون اللّحاق بهم، ودون أن تكون لهم آراؤهم الخاصة، وكذلك المتشرعين الذين استغلوا منصبهم الديني لخداع العوام، أو للتقرب من السلاطين، كما انتقد المتصوفة

---

(١) **الرباعي** أو الدوبيتي يتألف كل منهما من أربعة مصاريع ويستعمل في موضوعات مختلفة فلسفية وعرفانية وغزلية وغيرها.

(٢) **المثنوي** في المثنوي الذي يستعمل لموضوعات مختلفة وبخاصة للحكايات والقصص والأمثال يجب أن يكون لكل مصراعين قافية واحدة، وأن تكون أبيات المنظومة الواحدة من وزن واحد.

(٣) كتب المجلسي الأول (*محمد تقي*)، على نسخة من مثنوي (*شير وشكر*) (*الحليب والسكر*)، مكتوبة بخط فخر الدين نصيري أميني (وعليهما اعتمد غلام حسين جواهري في تصحيح أبيات هذا المثنوي)، ما ترجمته «هذا البحر [الخبب] ليس معروفاً بالفارسية، وهو مشهور بين الشعراء العرب، ويدعى *«بحر الخبب»*، وهو من إفادات أستاذي ومن إليه في جميع العلوم استنادي، أفضل المتقدمين، وأكمل المتأخرين، مجتهد الزمان، الملقب بالشيخ بهاء الدين العاملي، عامله الله بلطفه الخفي والجلي»، *كليات شيخ بهائى* المقدمة ص.هـ.

الذين غلّبوا الطريقة على الحقيقة، وظهرت في هذا الشعر أعرق خلجات النفس الإنسانية في صراعها مع الواقع، صراعٌ ميَّز ,وما زال يميّز ذوي البصيرة، الذين ينفذون إلى ما وراء المظاهر، ويعيشون غربة مادية ومعنوية عن الدهماء والمتزلفين المحيطين بهم. . . كما طغت نزعة التصوّف والعرفان على شعره الفارسي كلّه. .

كل ذلك بكلمات سهلة مألوفة، ولكنها منتقاة، مع بساطة في التركيب ووضوح يحمل طاقة إيجابية كبيرة، وضوح أبعد شعره عن التعقيدات الفلسفية، والمعادلات المنطقية الصعبة، مع المحافظة على صفاء الديباجة، وسهولة الأسلوب وإشراق اللفظ، واستخدام سائغ للمحسّنات المعنويّة واللّفظيّة.

شعره هذا يستحضر فينا ما يشبه فكرة اللاتناهي والحياة المتدفقة، والميل إلى احتقار الفردية والاندماج بالكليات، والتحليق في عالم من الرؤى والأحلام الغامضة، بعيداً من قيود الواقع وابتذاله.

في دراستي هذه لشعر البهائي الفارسي عرضتُ أولاً: فنونه الشعرية وبعد ذلك حاولت التغلغل إلى لباب النص، والاندماج بحقيقته روحياً وذوقياً وفكرياً، فحلَّلتُ قصيدتَين، تُظهران أسلوبَه الخاص ونفَسَهُ العرفانيّ.

آثار البهائي الشعرية الفارسية

المثنويات

المثنوي هو نظم على بحر واحد مختلف القافية، إلاَّ في شطري البيت الواحد، وهذا النوع من التأليف شائع عند الإيرانيين، وقد اعتُمِدَ في مختلف الميادين الشعرية، وبخاصة في ثلاثة منها: التاريخية: كالشاهنامة للفردوسي[(١)]، والصوفية العرفانية كمثنويات سنائي[(٢)] وفريد الدين العطّار[(٣)]، وجلال الدين المولوي، والتعليمية التهذيبية، كمنظومات الرودكي[(٤)]، وسعدي الشيرازي...

---

(١) **أبو القاسم الفردوسي** (٣٢٩ ـ ٤١١هـ = ٩٤٠ ـ ١٠٢٠م)، منظومته الشاهنامة ـ التي تبلغ حوالى خمسين ألف بيت ـ منظومة على البحر المتقارب، تفصّل تاريخ إيران من أقدم العهود حتى سقوط السامانيين، شاملة أقساماً أسطورية وبطولية وتاريخية، نظمت في سير ملوك بلاد الفرس.. ومع أن الشاهنامة نتاج ملحمي فهي مليئة بالنصائح والمواعظ، وأهم الأقسام الحكمية في الشاهنامة نصائح بزرجمهر، ومجالس كسرى أنو شروان معه (*الأدب الفارسي* ص١٤٠ وص٢٠٤...)

(٢) **سنائي** أبو المجد مجدود بن آدم السنائي (م٥٤٥هـ = ١١٥٠م)، من شعراء الغزل العرفاني... وقد مزج معانيه الحكمية العرفانية بالموعظة والنصيحة بعباراته الفصيحة وخيالاته السامية، وتعبيراته النادرة المثال... وقد أدت براعة السنائي في أشعار الزهد والحكمة إلى أن تستحوذ على كثير من اهتمام شعراء أواخر القرن السادس الهجري، وإلى أن يقلّد مثنوياته وقصائده مجموعة من مشاهيرهم (*الأدب الفارسي* ص٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٣) **العطار** مر التعريف به ص٤٣٩.

(٤) **الرودكي** أبو عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن بن آدم (المتوفى =

ولعل اضطراب الحياة الاجتماعية في عهد البهائي، وتجاربه الشخصية، والصراع بين الفقهاء والمتصوفة، وثقافته المتنوعة، وميله الفطري نحو الزهد، كل ذلك حمل هذا الشاعر الأصيل، على نظم هذه المثنويات يعرض فيها أفكاره، وما يجيش في صدره من انفعالات، شعراً أدرك صاحبه قيمة الكلمة وشرف الحرف، بقصة رمزية تجسّد الفكرة وتمثّل المغزى، وضعها لغاية أخلاقية، وطعّمها بالشاهد على صحة رأي له يرِد خلالها، وهذا الشاهد قد يكون آية قرآنية كريمة، أو حديثاً نبوياً شريفاً، أو مثلاً شائعاً، أو حكمة ينقلُها عن سواه.

لقد بلغ في مثنوياته الحدّ الأعلى من الفصاحة والبلاغة، لذلك وُجد من ينسب بعض أبياته ـ وحتى من بين أهل الاطلاع كما يقول غلام حسين جواهري[1] ـ إلى جلال الدين الرومي الذي ينتصب في ذروة شعراء الفارسية ومبدعيها في العرفان.

أول هذه المثنويات «**نان وحلوا**» أي (الخبز والحلوى)، وهو مجموعة قصائد، قالها ـ مع سوانحه النثرية التي ورد ذكرها في الحديث عن كتاب الكشكول ـ وهو في طريقه إلى الحج، مضمّناً بعض قصائده أبياتاً لجلال الدين الرومي، كما صاغ تلك القصائد على نسق قصائد المولوي وأسلوبها:

= ٣٢٩هـ = ٩٤٠م) أهم شعراء القرن الرابع الهجري، كان مقرباً من الأمير نصر الساماني... أجاد في مختلف فنون الشعر... أهم آثاره *كليلة ودمنة* شعراً... وهو صاحب أول غزل جذاب ذي رونق في الفارسية... ويُعدُّ أبا الشعر الفارسي، ومن هنا لقبه الشعراء من بعده، ـ وهم الذين ظلوا مدة يقرون له بالإمامة ـ «أستاذ الشعراء» و«سلطان الشعراء»: *الأدب الفارسي* ص١٨٢ وص١٩٣.

(١) *كليات آثار وأشعار شيخ بهائى*، المقدمة ص.ب.

قدم هذا المثنوي بقوله، بعد التحميدات «هذه نبذة من السوانح، وجملة من الموانح، قد سنح أكثرها في طريق حج بيت الله الحرام، وزيارة سيد الأنام عليه وآله أفضل الصلاة والسلام، أثبتُّها في هذه الأوراق، تذكرة مني للأحباء الراغبين والأخلاء الطالبين عهد الميثاق»[1]، نراه في معظم قصائد هذا المثنوي طافحَ النفس بالمرارة حزيناً على ما فرّط من أمر نفسه:

القصيدة الأولى[2]: عنوانها «**أيها اللاهي عن العهد القديم**» وهي في سبعة عشر بيتاً، أربعة منها عربية. في هذه القصيدة يخاطب العندليب الذي يروي أحاديث الحبيب، القادم من جانب بستان الحي، يسأله عن الحبيب والديار والماضي السعيد، والديار التي يبكيها الشاعر (نجد وزمزم ومنى)، إنما هي رمز لدار الخلود. إنها قصيدة عرفانية ضمّنها البهائي رؤى الشاعر العارف الذي يحنّ إلى دار الخلود.

القصيدة الثانية[3]: عنوانها «**حكاية في بعض الليالي**» وهي حكاية غَزِلَة في عشرة أبيات وتروي قصة حبيبة زارته في إحدى الليالي، وقد كان مهموماً متفكراً يتأسى على الماضي، ويتحسر على أيام اللقاء، وقد فقد الأمل من رؤية الحبيب.. وإذا بالحبيبة قد أتت فجأة ودون سابق إنذار، قد حسرت لثامها عن وجه كأنَّه القمر، وشعرُها الفاحم منسدلٌ على كتفيها، نظرة منها أعادت صياغة العالم، قالت: أيها القلب الحزين المبتلى بحبنا، كيف حال القلب في نار الفراق؟ فقلت لها والله إنَّ حالي لا يطاق جلست فوق رأسي قليلاً، ثم قامت ومضت، وأخذت معها

---

(١) *آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١١٩ ـ *وكليات آثار وأشعار شيخ بهائى* ص١.

(٢) *نفيسي* ص١١٩ *وجواهري* ص٢ وسأعود إلى هذه القصيدة بالتفصيل في الحديث عن التصوف والعرفان في شعر البهائي الفارسي.

(٣) *نفيسي* ص١٢٠ *وجواهري* ص٤.

عقلي وديني، فسألتها متى أراك؟ فقالت: «نصف الليل لكن في المنام».

هذه القصة ترمز إلى العشق الإلهي: التفكر في مآل الخلق وفقدان الأمل من الوصول إلى مقام العشق وهي أعلى مراتب التصوف[(١)]، وفجأة ينفتح الباب ويرتفع الحجاب ويرى (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت)[(٢)].. حاله كحال المتصوفة جميعاً الذين يئنون من ألم الفراق ويحنّون إلى عهد الوصال[(٣)]، ثم يرى أنَّ ما كان يسعى إليه لم يكن إلا سراباً، وأنه لم يصل بعدُ إلى المرتبة التي تؤهّله للنظر إلى وجه الحبيب، فيسأل متى يراه ثانية، فيقول الهاتف: نصف الليل لكن في المنام[(٤)] (أمنية لن تتحقق إلا في الحلم).

القصيدة الثالثة[(٥)] وهي من نوع الملمّع[(٦)]، أي الشعر الخليط من اللغتين العربية والفارسية في واحد وأربعين بيتاً منها ثمانية عربية، بدايتها:

قد صرفت العمر في قيل وقال　　　يا نديمي قم فقد ضاق المجال
واسقني تلك المُدام السلسبيل　　　إنها تهدي إلى خير السبيل

---

(١) أصل الأبيات بالفارسية:
جان بلب از حسرتِ گفتار أو　　　دلْ پر از نو ميدى ديدار او
(٢) از درم ناگه در آمد بى حجاب　　　لب گزان از رخ بر افكنده نقاب
كاكُل مشكين بدوش اند اخته　　　وزنگاهى كار عالم ساخته
(٣) كيف حال القلب في نار الفراق　　　گفتمش والله حالي لا يطاق..
(٤) گفتمش كى بينمت اى خو شخرام　　　گفت «نصف الليل لكن في المنام»
(٥) نفيسي ص١٢٠ وجواهري ص٤ ـ ٥.
(٦) أول من قال الملمعة أبو العباس المروزي، حينما دخل المأمون العباسي إلى خراسان سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، تقدم إليه أبو العباس المروزي بمدحة ملمعة مخلوطة من الفارسية والعربية، وأنشدها أمامه فوقعت منه موقع القبول.. كما في *ريحانة الأدب* ج٧ ص١٨٩ ط٣.

هذه القصيدة نظمها الشاعر في تأويل قول النبي ﷺ «سؤر المؤمن شفاء» وفيها يُظهرُ الكثير من التأسف والندامة على صرف العمر في ما لا ينفع يوم القيامة، وتتألف من مقدمة خمرية عرفانية في سبعة أبيات بالعربية، وبقية القصيدة في التأسي على ضياع العمر في العلوم الرسمية المجازية (إن عمري ضاع في علم الرسوم)، الذي يسميه كما لاحظنا ـ علم القيل والقال[1]، وليس هو الطريق الموصل إلى الكمال، ولا فائدة حقيقية منه.. ويعني بالعلم الرسمي الفلسفة والطب والنحو والنجوم والفقه، أما العلم الحقيقي فهو علم العشق (عشق الذات الأحدية)..

القصيدة الرابعة[2] من الملمّع أيضاً وهي في ستة أبيات (ثلاثة عربية وثلاثة فارسية) تدور حول المعنى السابق نفسه، يقول إنه سمعها وهو في الطريق من رجل عربي يغنّيها بالدفّ والناي، بدايتها:

ما أحيلى قوله لي أمس في طرب[3] بالدف وبالناي ذاك اليعربي
أيها القوم الألى[4] في المدرسة كل ما حصلتموه وسوسة

القصيدة الخامسة[5] (فصل في قطع العلائق والعزلة عن الخلائق) في ثمانية عشر بيتاً بالفارسية، وخلاصة ما يذهب إليه فيها أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى معرفة الحق إلا بالعزلة، بعيداً عن القال والقيل، وبعيداً عن الخلق المجازيين اختر عزلة عن أناس الدنيا[6]، ولكن العزلة لا تكون عزلة

---

(١) علم رسمى بسر قيل است وقال نه از وكيفيتي حاصل نه حال
(٢) *نفيسي* ص١٢١ *وجواهري* ص٥.
(٣) الأصل الفارسي للبيت:
بادف ونى دوش آنمرد عرب وه چه خوش ميگفت از روى طرب
(٤) في الأصل «الذي».
(٥) *نفيسي* ص١٢٢ *وجواهري* ص٦.
(٦) *«عزلتى از مردم دنياگزين»*.

إلا إذا تلفعت بزِيّ الزهد، ولا يكون الزهد زهداً إلا إذا اقترن بالعلم الحقيقي الموصل إلى طريق الحق المجبول بالخوف والخشية. .

القصيدة السادسة[1] في واحد وثلاثين بيتاً وهي في «ذم العلماء المتشبهين بالوزراء المترفعين عن سيرة الفقراء»، هؤلاء هم الناس المجازيون أو بعض منهم:

العلم يستمد الحُسن من الفقر يا بني/ لا من الحدائق والضياع والخيول والحمير/
الحشم والمال والمتاع الدنيوي/ نقص علم يا جناب المولوي[2]

ثم يخاطب هؤلاء المتعالمين ويقول لهم ما هذا الفراء والخز الذي تلبسونه كالملوك؟ والفراخ والأسماك التي تزين موائدكم؟ إن كنتم تدّعون التقى والكمال، أخبرونا إن كان هذا مالاً حلالاً ميسوراً، ويخاطب من رفع لواء العلم الديني، قائلاً حتى متى ستظل ناعم الملبس، طيب المعلف، إن الدين بريء منك ومما تقول، لقمتك تأتي من طريق مشبوه أيها التراب الذي يأكل التراب، أيها المفتون بظاهر الدين، وقلبك خال من العرفان والنور الحقيقي[3].

---

(١) *نفيسي* ص١٢ و*جواهري* ص٧ ـ ٨، نتذكر أنه كان قد انتقد رجال الدين في شعره العربي في القصيدتين اللتين يمدح بهما الإمام المهدي ﷺ.

(٢) أصل البيتين بالفارسية:

علم يا بد زيب از فقر، اي پسر — نى ز باغ وراغ واسب وگاو وخر
نقص علمست اى جناب مولوى — حشمت ومال ومنال دنيوى

(٣) وأصل الأبيات بالفارسية:

قاقم وخز چند پوشى چون شهان — مرغ وماهي گند سازى زيب خوان
اى علم أفراشته در راه دين — از گه شد مأكول وملبوست چنين؟
چند مال شبهه ناك آرى بكف؟ — تا كه باشى نرم پوش وخوش علف؟
عاقبت سازد از دين برى — اين خود آرائى واين تن پرورى
لقمة كايد از طريق مشتبه — خاك خور خاك وبران دندان منه

بماذا ينصح هؤلاء المتعالمين الذين يستغلون الدين لمآربهم الدنيوية؟ بالعبادة، العبادة الصحيحة وهي أول درجات السلم الموصل إلى معرفة الحق، فلقمة الخبز المشبوهة المصدر، لا يطهّرها إلا حرم الكعبة[١]، هذه اللقمة الطهور:

بيدك تبذر حبّاتها، وبيدك تفلح أرضها أثلاماً، وتحصدها وتجعل من حجر الكعبة رحىً لها، وبماء زمزم تعجن طحينها، وعلى هذا العجين تقرأ «سورة الفاتحة» و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وتخبزها على نار أغصان الجنة، ويجمع لك حطبها الروحُ الأمين.. إن هذه اللقمة تقهرُ النَّفس العصيّة الخاطئة[٢].. وأنت إن لم تفعل ذلك، فتّش عن خلاص لك فقد خسرْتَ دينك[٣]..

العبادة لا تكفي، إنها تحتاج إلى القناعة لتسندَها في طريق الحق، والقناعة إنما تكون بالتخلّي عن كلّ المظاهر الخادعة الكاذبة، أن تبدل الأطلس بالرداء المرقّع الذي يكفي لستر جسمك، وتبدّل الطعام المزعفر المطيّب بالبصل والخبز اليابس، والسرج واللّجام المحلّى بالجواهر بقدمك فهي خيرُ لجام، والقصرَ المنيف بالغار، والسجاد الحريري بحصير المسجد القديم، وإذا لم تجد مشطاً لك، فيمكن اتخاذ مشط من أصابعك، كل ما في هذه الدنيا يمكن تعويضه عدا شيء واحد: عمرك[٤].

---

(١) أصل البيت بالفارسية:
لقمة ى نانى كه بايد شبهه ناك   در حريم كعبة إبراهيم پاك

(٢) أصل البيت بالفارسية:
عاقبت خاصيّتش ظاهر شَوَد   نفس أز آن لقمة ترا قاهر شود

(٣) أصل البيت بالفارسية:
درد دينت گر بود اى مرد راه   چاره ى خود كن كه دينت تباه

(٤) أصل الأبيات بالفارسية:
گر نباشد جامه ى اطلس ترا   كهنه دلقى ساتر تن بس ترا =

أبياته هذه ذهبت أمثالاً منذ أن قالها صاحبُها إلى الآن[1]:

شعر جميل جداً وأجمل ما فيه بساطته، وقد كرر معاني هذه الأبيات في قصيدة أخرى، قالها بعد عشرين سنة في مثنوي «طوطى نامه»[2]، ولكن بأسلوب مختلف.

هذه القصيدة تعبير دقيق عن حالة الوجد التي كان يحياها الشاعر وهو في طريقه إلى حج بيت الله الحرام، وهي تعبر عن تجربة عاشها وعاناها عندما سلك في رحلته هذه مسلك الدراويش، ولعله حاول أن يكون أحدهم ولو أمداً قصيراً، وكانت تجربة الحج، مادة جديدة أضيفت إلى مواد معرفته، وتعرفه إلى الدراويش في هذه الرحلة، زاد أبعده في ما بعد عن سلوك مسلكهم، أو فلنقل مسلك بعضهم، الذي يتنافى مع منهجه الفكري، في دعوته إلى التوفيق بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن..

القصيدة السابعة[3] في ستة عشر بيتاً، البيت الأول منها عربي والأبيات الأخرى بالفارسية يقول عنها إنها «فصل في الفوائد المتفرقة في

= ور مزعفر نبودت باقند ومشك / خوش بود دوغ وپياز ونان خشك
ور نباشد مشربه از زر ناب / با كف خود ميتوانى خورد آب
ور نباشد مركب زرين لگام / ميتوانى زد بپاى خويش گام
ور نباشد دور باش از بيش وپس / دور باش نفرت خلق از تو، بس
ور نباشد خانه هاى زر نگار / ميتوان بردن بسر در كنج غار
ور نباشد فرش أبريشم طراز / با حصير كهنه ى مسجد بساز
ور نباشد شانه يى از بهر ريش / شانه بتوان كرد با انگشت خويش
هرچه بينى در جهان دارد عوض / در عوض گردد ترا حاصل غرض
بى غرض رانى چه باشد درجهان؟ / عمر باشد، عمر، قدر آن بدان

(١) غلام حسين جواهري المقدمة ص د.

(٢) نفيسي ص١٥٨ وجواهري ص٥٥.

(٣) نفيسي ص١٢٤ وجواهري ص٩ و١٠.

ما يتضمن الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾[١]، وأولُها:

إبـذلـوا أرواحـكـم يـا عـاشـقـيـن   أن تـكـونـوا فـي هـوانـا صـادقـيـن

هذه القصيدة رمزية، كيف يمكن أن يصل الإنسان إلى الكمال الحقيقي: يمكنه ذلك بترك مباهج الدنيا وذبح بقرة نفسه[٢]، كما قال عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾.

إلى متى تظل غارقاً في بحر الخطايا وأنت في خريف عمرك، فإذا كان جدّك آدم بعدما قيل له اسكن أنت وزوجك الجنة، وكان الملائكة له ساجدين، صدر منه ذنب واحد، فأمر بالخروج منها، فكيف ترجو أنت دخولها مع ما أنت مقيم عليه من الذنوب والخطايا أيها المسود الوجه؟[٣].

القصيدة الثامنة[٤] في ملمع من ثمانية عشر بيتاً، الأبيات الثلاثة منها عربية والأخرى فارسية وهي «في تأويل قول النبي ﷺ حب الوطن من الإيمان».

أولها:

أيـهـا الـمـأسـور فـي قـيـد الـذنـوب   أيـهـا الـمـحـروم مـن سـر الـغـيـوب

---

(١) ج٣، سورة البقرة، الآية ٦٧.

(٢) أصل البيت بالفارسية:

گر همی خواهی حيات وعيش خوش   گـاو نـفـس خـويـش را أول بـكـش

(٣) أصل الأبيات بالفارسية:

جـد تـو آدم بـهـشـتـش جـاى بـود   قـد سيـان كـردنـد بـهـر او سـجـود
يـك گـنـه چـو كـردگـفـتـنـدش تـمـام   مـذنـبـى مـذنـب، بـرو بـيـرون خـرام
تـو طـمـع دارى كـه بـا چـنـدى گـنـاه   داخـل جـنّـت شـوى اى رو سـيـاه؟

(٤) نفيسي ص١٢٤ ـ ١٢٥ وجواهري ص١٠ ـ ١١.

لا تقم في أسر لذات الجسد　　إنها في الجيد حبلٌ من مسد
قم توجه شطر إقليم النعيم　　واذكر الأوطان والعهد القديم

إن كنز العلم، الظاهر والباطن، قد قال إن حب الوطن من الإيمان[١]، وهو يركز على الفكرة الأساسية في العرفان وهي سعي الروح في العودة إلى موطنها الأصلي حيث كانت قبل أن تلتصق بالجسد الترابي الكثيف، ولذلك فإن هذا الوطن ليس مصر والعراق والشام هذا الوطن مدينة لا اسم لها[٢] كيف يعود إلى هذا الوطن؟ بقطع العلائق مع الدنيا الدنية (القيود التي تشده إلى الأرض، وعليه:

اجتهد في أن تفك هذا القيد من القدم وطر إلى ذروة لا مكان[٣].

القصيدة التاسعة[٤] في تسعة عشر بيتاً، منها بيتان عربيان والأبيات الأخرى فارسية وهي في العشق الإلهي وسماها «فصل في أن البلايا والمحن في هذا الطريق عسيرة، لكنها على المحب يسيرة، بل هي الراحة العظمى والنعمة الكبرى».

أولها:

أيها القلب الحزين المبتلى　　في طريق العشق أنواع البلا

وآخرها ما ترجمته:

---

(١) أصل البيت:
گنج علم ما ظهر مع ما بطن　　گفت از إيمان بود حبّ الوطن

(٢) أصل البيت:
أين وطن مصر وعراق وشام نيست　　أين وطن شهريست كآنرا نام نيست

(٣) أصل البيت:
جهد كن اين بند از پا بازكن　　بر فراز لا مكان پرواز كن

(٤) نفيسي ص١٢٦ وجواهري ص١٢.

«اذهب واتخذ القناعة مهنة في زاوية الصبر/
وتقبل العظمة من كلب شيخ المجوس ذاك»[١]

وهو يذهب في هذه القصيدة، إلى أن على السالك معاناة الآلام للوصول إلى الراحة الكبرى أي إلى العشق الإلهي، وبالمجاهدة والتخلي عن مظاهر الحياة الدنيا يقول ما ترجمته[٢]:

ليس من زاد سوى التقوى على هذا الطريق/
وبطرح الخبز والحلوى جانبًا/
الخبز والحلوى ما هي؟ جاهك ومالك/
وحدائقك والحشم والإقبال على مظاهر الحياة/
الخبز والحلوى ما هي؟ هي طول الأمل/
والغرور، والعلم بلا عمل/
الخبز والحلوى ما هي؟ سأخبرك/
إنها سعيك الدؤوب من أجل تحصيل المعاش/
الخبز والحلوى ما هي؟ إنها زوجتك/
وأولادك، الذين يقيدون عنقك/
ما هو الخبز والحلوى غير منَّةِ الناس؟

وهذا التركيز على سؤال محدد يعيده ليجيبَ عنه، مكرّرٌ في أسلوبه الشعري نان وحلوا چيست؟ الخبز والحلوى ما هي؟ إنها كذا..

---

(١) البيت بالفارسية:

رو قناعت پيشه كن درگنج صبر	بند بپذير از سك آن پيرگبر

(٢) والأبيات بالفارسية:

نيست جز تقوى در اين ره توشه يى	نان وحلوا را بهل درگوشه يى
نان وحلوان چيست؟ جان ومال تو	باغ وراغ وحشمت و إقبال تو
نان وحلوا چيست؟ أين طول أمل	وين غرور نفس وعلم بى عمل
نان وحلوا چيست؟ گويد با تو فاش	اين همه سعى تو از بهر معاش

«إن لم يترك الإنسان الخبز والحلوى (العلائق الدنيوية) يكن كالعابد الذي قلّ الصبر لديه فتفوق الكلبُ عليه».

القصيدة العاشرة[1]: من هذا المثنوي في ثلاثة وأربعين بيتاً بالفارسية يتناول فيها قصة العابد الذي قلَّ صبره فتفوق عليه كلب الشيخ المجوسي وملخص القصة أن عابداً كان منزوياً في غار في جبل لبنان، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه، ويتسحر بالنصف الآخر، وظل على ذلك مدة طويلة لا ينزل من الجبل، فاتفق أن انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي، فاشتد جوعه وقل هجوعه، . . . وكان في أسفل ذلك الجبل قرية سكانها من المجوس، فعندما أصبح العابد نزل إليهم واستطعم شيخاً منهم فأعطاه رغيفين من خبز الشعير، فأخذهما وتوجه إلى الجبل وكان في دار ذلك المجوسي كلبٌ جربٌ مهزول فلحق العابد ونبح عليه وتعلق بأذياله، فألقى إليه العابد رغيفاً من ذينك الرغيفين، ليشتغل به عنه، فأكل الكلب ذلك الرغيف، ولحق العابد مرة أخرى، واشتد هريره، وتشبث بذيل العابد ومزّقه فقال العابد: سبحان الله إني لم أر كلباً أقلّ حياءً منك، إن صاحبَك لم يعطني إلاّ رغيفين وقد أخذتهما مني. . . فأنطقَ الله تعالى ذلك الكلب: لست أنا قليل الحياء، اعلم أني ربّيت في دار ذلك الشيخ أحرس غنمه وأحفظ داره، وأقنع بما يدفعه لي من عظام أو خبز، وربما نسيني فأبقى أياماً لا آكل شيئاً، بل ربما يمضي علينا أيام لا يجد هو لنفسه شيئاً ولا لي، ومع ذلك لم أفارق داره منذ عرفت نفسي، ولا توجّهت إلى باب غيره» . . وأما أنت فبانقطاع الرغيف عنك ليلةً واحدة، لم يكن عندك

---

(١) *نفيسي* ص١٢٦ ـ ١٢٧ *وجواهري* ص١٢ ـ ١٤.

نان وحلوا چيست؟ فرزند وزنت | أو فتاده همچو غل در كردنت
چند باشى بهر اين حلوا ونان | زير منّت از فلان واز فلان؟

صبرٌ ولا كان منك تحمل، حتى توجهت من باب رازق العباد إلى باب مجوسي، وَطَوَيْتَ كشحَك عن الحبيب، وصالحت عدوَّه المريب، فأينا أقل حياء أنا أم أنت؟[1].

القصيدة الحادية عشرة[2] في اثني عشر بيتاً بالفارسية وعنوانها «فصل في الريا والتلبيس بالذين هم أعظم جنود إبليس» وفيها ينتقد المتصوفة الذين يدّعون الزهد والتقوى من أجل العزّ والجاه، والتقرُّب من السلاطين، ويبيعون دينهم من أجل الخبز الحرام، ويعتمدون المكر والحيلة لتسخير العوام ولأكل مال السلاطين[3] إن عدالة هؤلاء كوضوء «بي بي تميز» التي يفصّل لنا قصتها في القصيدة التالية.

القصيدة الثانية عشرة[4]: في اثني عشر بيتاً بالفارسية وعنوانها «حكاية على سبيل التمثيل» يعرض البهائي فيها حكاية «بي بي تميز» المرأة الفاجرة المستهترة، التي لم يرها أحد إلا مصلية، والتي وضوؤها متقن، وأكثر متانة من سدّ الإسكندر[5].

---

(١) أصل الأبيات الأخيرة:

چونكه نامد يكشبى نانت بدست	در بناى صبر تو آمد شكست
از در رزاق دو بر تافتى	بر درگبرى روان بشتافتى
خود بده انصاف اى مردگرين	بيحيا تر كيست من يا تو؟ ببين
اى سك نفس بهائى يادگير	اين قناعت از سگ آن گبرپير

(٢) *نفيسي* ص١٢٨ *وجواهري* ص١٥، أولها:

نان وحلوا اى شوريده سر	متقى خو را نمودن بهرزر
دعوى زهد از براى عزّ وجاه	لاف تقوى از پى تعظيم شاه

(٣)

سر بسر كار تو در ليل ونهار	سعي در تحصيل جاه واعتبار
دين فروشى از پى نان حرام	مكر وحيله بَهْر تسخير عوام
خورد مال شهان بازرق وشيد	گاه خبث عمروگاه خبث زيد

(٤) *نفيسي* ص١٢٩ *وجواهري* ص١٦.

(٥) أولها:

بود در شهر هرى بيوه زنى	كهنه رندى حيله سازى پير فنى
اين وضو از سنك ور ومحكمتراست	اين وضو نبود سد اسكندر است

القصيدة الثالثة عشرة[1]: **في ثمانية أبيات بالفارسية، عنوانها «فصل في ذم أصحاب التدريس الذين مقصدهم مجرد إظهار الفضل والتلبيس».**

يبدأها بالسؤال التالي: ما هو الخبز والحلوى؟ ثم يجيب قائلاً إنه تدريسك الذي هو مظهر من مظاهر غشّك وخداعك[2]، لا همَ لك إلا إظهار الفضائل وجمع العوام حولك وجعلهم من أتباعك ومريديك، وأنت تجهد نفسك لإدخالهم في مصيدتك بالخداع، لا دروس فروعك محكمة ولا أصولك، آن لك أن تخجل من الله ومن الرسول. . .

إن الدرس إن لم يكن قربةً إلى الله تعالى، ليس درساً إنه بئس المرض[3] وهذه القصيدة هي أيضاً وجه آخر لقصيدته التي مرّ ذكرها في الحديث عن شعره العربي، وعنوانها «إشارة إلى نبذ من حال من تصدى للتدريس في زماننا هذا»[4]، أو فلنقل إنها مكملة لها، فالقصيدتان معاً تؤلفان موضوعاً مهماً متكاملاً عن الأسلوب الساخر الذي يستخدمه البهائي في النقد الاجتماعي متدرّجاً من المعاني العامة إلى التجزيء والتفصيل.

القصيدة الرابعة عشرة[5]: **في عشرة أبيات فارسية عنوانها: «في ذم**

---

(1) نفيسي ص١٢٩ وجواهري ص١٩.

(2) نان وحلوا چيست؟ اين تدريس تو — كان بود سرمايه تلبيس تو

(3) درس اگر قربت نباشد زان غرض — ليس درسا إنّه بئس المرض

(4) وأولها:

مرادك أن تُرى في كلّ يوم — وبين يديك قوم أيّ قوم

كلابٌ عاويات بل ذئاب — ولكنْ فوق أظهرهم ثيابُ

(5) نفيسي ص١٢٩ وجواهري ص١٧، أولها:

نان وحلوا چيست؟ أسباب جهان — كافت جان كهانست ومهان

المهتمين بجمع أسباب الدنيا، المعرضين عن تحصيل أسباب العقبى».

ويقول فيها ما خلاصته كلّما كنت بعيداً عن خشية الله، ابتعدت من طريق الهدى والحق... إن هذا الخبز والحلوى (أسباب الدنيا)، قضت على آخر حسّ إسلامي عندك، برّد هذا الهوس في قلبك، أحرق الخبزَ والحلوى (وابتعد عن أسباب الدنيا)، تخلّص نفسَكَ من هذا العبء الذي أثقل ظهرك ولا تكن حماراً غارقاً في الوحل.

ثم يصرخ من أعماقه: الله الله ما هذا الإسلام وما هذا الدين، والإعراض عن آيات ربّ العالمين، إن مجمَلَ سعيكَ في تحصيل أسباب الدنيا الدنيّة ولا تعرف كيف يكون السعي من أجل الأخرى(١).

القصيدة الخامسة عشرة(٢): في عشرة أبيات بالفارسية وعنوانها «سؤال بعض العارفين بعض المنعمين عن قدر سعيه في تحصيل الأسباب الدنيوية وتقصيره عن الأسباب الأخروية».

وهي حوار بين عارف زاهد وأحد الأثرياء، قصد من إيرادها التمثيل على القصيدة السابقة والحث على تحصيل أسباب الآخرة والإعراض عن الدنيا يقول فيها ما ترجمته:

سأل عارف رجلاً من الأثرياء، كيف طلبك للدنيا؟ فقال الثري:

---

(١) الله الله چه اسلامست ودين ترك شد آئين رب العالمين
جمله سعيت بَهْر دنياى دنيست بَهْر عقبى من ندانى سعى چيست

(٢) *نفيسي* ص١٣٠ و*جواهري* ص١٨ أولها:
عارفى از فنعمى كرد اين سؤال كاى ترا دل در پي مال ومنال
سعى تواز بَهْر دنياى دنى تاچه مقادر است اى مرد غنى
وآخرها:
دار عقبى كان ز دنيا برتر است وزبى آن سعى خواجه كمترست
چون شود حاصل ترا چيزى از آن؟ من نگويم خود بگو اى شكته دان

أكثر من العد، إنه سعي شديد في الليل والنهار، فقال العارف: هل أدركت منها ما تريد؟ قال: قليلاً، فقال العارف: هذه التي صرفت عمرك في طلبها لم تحصل منها ما تريد، ولم تصل إلى هدفك، فكيف الحياة الآخرة، التي هي أجلّ وأرفع من هذه الحياة الدنيا، وسعيك من أجلها قليل، أيمكن أن تحصّل منها ما تريد؟...

القصيدة السادسة عشرة(١): في أحد عشر بيتاً بالفارسية وعنوانها:

«في ذم من يتفاخر بالتقرب من الملوك مع أنه يزعم الانخراط في سلك أهل السلوك».

ينتقد فيها هذا النوع من الناس قائلاً:

الخبز والحلوى ما هما؟ أتعلم أيها الفتى؟/
إنهما التقرب من الملوك فاحذر هذا الأمر(٢)

إن قرب الملوك آفة الروح، كأنك لم تقرأ قول الله عز وجل: [لا تركنوا إلى الظالمين]، وكأن لذة مخاطبة الشاه كل لحظة كمن يعبده: ما هذا الإسلام؟ إنَّه الشّرك بعينه:

الله الله أي إسلام هذا وأي دين؟ إن هذا لشركٌ برب العالمين(٣)

القصيدة السابعة عشرة(٤): في عشرة أبيات بالفارسية، إنها تمثيلٌ للقصيدة السابقة بحكاية عنوانها «حكاية العابد الذي كان قوتُه العلف

---

(١) *نفيسي* ص١٣٠ *وجواهري* ص١٨ ـ ١٩.

(٢) أولها:

نان وحلوا چيست دانى اى پسر قرب شاهانست زين قرب الحذر

(٣) وآخرها:

الله الله چه اسلامست ودين شرك باشد اين بربّ العالمين

(٤) *نفيسي* ص١٣١ *وجواهري* ص١٩.

ليأمن دينَه من التلف»، وهي حوار بين شاب من خواص الملك رأى عابداً في الصحراء، يتقوّتُ من الأعشاب البرية، كأنه ظبيٌ ضال، فيسأله الشاب، لم لا يدخل في خدمة الملوك ويرتاح من أكل الأعشاب (العلف)، فيجيبه العابد:

أيها الشاب المشهور، الذي تفتخر بخدمة الملوك، لو أنك مثلي تأكل العلف، ما اضطررت لهذه الخدمة(١).

القصيدة الثامنة عشرة(٢): في سبعة عشر بيتاً بالفارسية وعنوانها:

«في ذم المتمكنين في المناصب الدنيوية للحظوظ الواهية الدنية».

أولها: ما الخبز والحلوى؟ إنها المنصب الذي تدور حوله، ما هو المنصب الدنيوي الذي تسعى وراءه؟ إنه هو القيد الذي يمنع الإنسان من التحليق والوصول إلى معرفة الحق جل وعلا، ويدفعه إلى ذل الحرمان [المعنوي]، إنه الرغبة في الشهرة، والسّم الذي تشربه ليلَ نهار دون أن تدري، إنَّه القلق الذي يعتورُك، والذي يذرو غلَّة دينِك في مهبِّ الريح.

ثم كعادته ينتقل إلى ديوان المولوي جلال الدين ـ المعروف في العالم العربي باسم جلال الدين الرومي، فيعيد أفكاره وأقواله بقالبه هو، ويخاطب بها قارئه يقول:

اسمع ما قاله المولوي المعنوي(٣): اترك الدنيا لتصبح سلطاناً،

---

(١) آخرها:

پيرگفتش كاى جوان نامدار ... كت بود از خدمت شه افتخار

گرچو من تو نيز ميخور دى علف ... كى شدى عمرت در اين خدمت تلف؟

(٢) نفيسي ص١٣٢ و*جواهري* ص٢٠، أولها:

نان وحلوا چيست اى فرزانه مرد ... منصب دنيا ست گرد آن مگرد

(٣) البيت الثاني:

منصب دنيا ست اى نيكونهاد ... آنكه داده خَرْ مَن دينت بباد

وإلا فستبقى مضطرباً متحيراً كدولاب دائم الحركة، باطن الدنيا سم كسم الحية، وإن كان ظاهرها نقشاً وزينة، سم هذه الحية المنقّش قاتل، يهرب منه كل إنسان عاقل، ولهذا السبب قال سيّد الأولياء، النبي المختار «حب الدنيا رأس كل خطيئة، وترك الدنيا رأس كل عبادة»(١).

القصيدة التاسعة عشرة(٢): في تسعة أبيات بالفارسية وعنوانها: «في الترغيب في حفظ اللسان الذي هو أحسن صفات الإنسان».

أولها: ما الخبز والحلوى؟ إنها ثرثرتك، وهذا اللسان الحاد الذي تحمل(٣): تعوّد الصمت، واقفل قلبك على ذكر الحي الذي لا يموت، إن الصمتَ عنوان أهل الحال السالكين، وركن أساسٌ من أركان الزّهد.

القصيدة العشرون(٤): في واحد وعشرين بيتاً، عنوانها «في ذم من تشبه بالفقراء السالكين وهو في زمرة الأشقياء الهالكين».

أولها: ما الخبز والحلوى؟ إنها أعمالك، وجبّة الصوف التي تلبس(٥)..

تعالج هذه القصيدة أهم فكرة دعا إليها البهائي وهي التوفيق بين الظاهر والباطن، ينتقد فيها المتصوفة الذين يلبسون لباس الدراويش،

---

(١) أصل البيت:

١٢ ـ مولوى معنوى در مثنوى	نكته ى گفتست ها تا بشنوى
١٣ ـ ترك دنياگير تا سلطان شوى	ورنه گر چرخى تو سرگردان شوى
١٦ ـ زين سبب فرمود شاه اولياء	آن گزين أوليـاء وأنـبياء
١٧ ـ حبّ الدنيا رأس كل خطيئة	وترك الدنيا رأس كل عبادة

(٢) نفيسي ص١٣٢ *وجواهري* ص٢١.

(٣) أولها:

نان وحلوا چيست؟ قيل وقال تو	وين زبان پرد ازى بيحال تو

(٤) نفيسي ص١٣٣ *وجواهري* ص٢١.

(٥)

نان وحلوا چيست؟ إين اعمال تو	جبّه ى پشمين رداء وشال تو

ويتظاهرون بأنهم من أهل السلوك، ولكن التقوى الحقيقية ليست بما يلبس الإنسان وإنما بما يعتقد. . .

لا يصل الساعي إلى الحق إلا إذا كان ظاهره كباطنه، وإن كان مخالفاً له، فجهنَّم مأواه وبئس المصير[١].

القصيدة الواحدة والعشرون[٢]: في تسعة أبيات عنوانها.

«في ما يتضمن الإشارة إلى قول سيّد الأوصياء صلوات الله عليه وآله، ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنَّتك، بل وجدتُك أهلاً للعبادة فعبدتك».

أولها: ما الخبز والحلوى؟ إنهما عبادتك طمعاً بالجنة، ثم يقول إنَّ هذه العبادة هي عبادة العبيد، العبادة الحقيقية هي العبادة التي لا مقايضة فيها. . .

القصيدة الثانية والعشرون[٣]: في ثمانية أبيات، أربعة عربية وأربعة فارسية، عنوانها: «في التشوق إلى الإقلاع عن أدناس دار الغرور والتشوق إلى الارتماس في بحر الشراب الطهور» وهي من الشعر الملمع بالعربية والفارسية، يأسى فيها على ضياع العمر في ما لا ينفع يوم القيامة، والشراب الطهور هو الذي يخلّص الأرواح من قيودها الأرضيّة ويحلّق بها في نعيم المعرفة وأولها يا نديمي ضاع عمري وانقضى»[٤]. .

---

(١) ظاهرت گرهست با باطن يكى | ميتوان ره يافت بر حق اندكى
ور مخالف شد درونت بابرون | رفته باشى در جهنَّم سر نگون
ظاهر وباطن يكى بايد يكى | تا بيابى راه حق را اندكى

(٢) *نفيسي* ص١٣٣ *وجواهري* ص٢٢ وأولها:
نان وحلوا چيست؟ اى نيكوسرشت | اين عباد تهاى تو بَهْر بهشت

(٣) *نفيسي* ص١٣٤ *وجواهري* ص٢٣.

(٤) وقد مر تحليل الأبيات في الحديث عن خمرياته العربية.

القصيدة الثالثة والعشرون[1]: في ثمانية وعشرين بيتاً، منها ثلاثة أبيات فارسية فقط[2]، وهي خمرية عرفانية، وهي القصيدة الأخيرة من مثنوي «نان وحلوا»، من سوانح سفر الحجاز.

مثنوي شير وشكر «الحليب والسكر»

ونعني بالحليب هنا اللبن الحليب الذي تسميه العامة «الحليب» صرفاً. تجدر الملاحظة أنه يطلق على مثنوياته أسماء أطعمة يشتهيها عامة الناس، وهي رمز ـ عنده ـ للملاذّ المادية الخادعة.

يبدأ هذا المثنوي بالإشارة إلى أنه اعتمد لخواطره بحر الخبب المشهور عند العرب وغير المألوف عند الفرس[3]، وقد استخدم هذا البحر كاملاً ومجزوءاً.

---

(1) *نفيسي ص١٣٤ ـ ١٣٥ وجواهري ص٢٤.*

(2) الأبيات الفارسية هي البيت التاسع عشر وهو في الأصل للمولوي المعنوي:

«بشنو از نی چون حکایت میکند وز جدائیها شکایت میکند»

وترجمته:

«استمع للناي كيف يقص حكايته إنـه يشكـو آلام الفـراق»

والبيتان الأخيران:

هرچت از حق باز دارد ای پسر نام کردم نان وحلوا سر بسر

گرهمی خواهی که باشی تازه جان رو کتاب نان وحلوا را بخوان

وهذا هو البيت الأخير من مثنوي نان وحلوا، من سوانح سفر الحجاز.

(3) يبدأ على هذا النسق «الحمد لله على جزيل آلائه وأصلي على أشرف أوليائه وأنبيائه وبعد» اين شكسته بسته اى چند است، در بحر خبب كه در ميان عرب مشهور ومعروفست، ودر ما بين شعراء عجم غير مألوف، بخاطر فاتر أفقر الفقراء إلى باب الله بهاء الدين محمد العاملي رسيده، ونفحه يى از نفحات جنون بر صفحات حقائق مشحون ور زيده، رجاء واثق است، كه أهل استعداد كفاهم الله شرّ الأضداد دامن عفو برآن پوشند، ودر إصلاح معايب آن كوشند، وأجرهم على الله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله». =

كل أقسام هذا المثنوي تنضح بنَفَس عرفانيّ جليّ، وهو مؤلّف من خمسةِ أقسام يسمّيها أيضاً، وكحاله في المثنوي السابق «فصول» ولكل فصل عنوان خاص.

القصيدة الأولى(١) (أو الفصل الأول) في اثني عشر بيتاً لا عنوان لها، يخاطب فيها الإنسان (الخاطىء العاصي)، ويحثّه على الابتعاد عن الزخارف الحسيّة والعلائق الجسمانية ليستطيع التخلص من أوزار الجسد، عليه أن يتخلّص كيوسف الصديق من بئر طبيعته البدنية، ليصبح والي مصر الوجود، وسلطان سرير الشهود، وواضح أنه يرمز بالبئر في هذه القصيدة إلى العلائق الدنيوية، وبيوسف إلى الإنسان الذي يسعى إلى السمو والتخلص من قيود هذه الطبيعة، وترمز مصر التي أصبح يوسف ملكها بعد أن تخلّص من البئر، إلى العالم العلوي الذي سيرتفع إليه العارف، إن هو تخلَّص من ربقة الجسد «عندما يتذكر قول بارئه عزّ وجل في الذرء الأول(٢) ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾(٣)؟

إلى متى ستظلّ بعيداً عن المعارف العقلية، مغروراً بزخارف عالم

= ـ معناها باختصار «إن هذه الخواطر على بحر الخبب، وهو معروف مشهور بين العرب، وغير مألوف بين شعراء العجم، خطرت بخاطر أفقر الفقراء إلى باب الله بهاء الدين محمد العاملي، ونفحة مشحونة من نفحات الجنون على صفحات الحقائق وأرجو رجاء واثق، من أهل الاستعداد، كفاهم الله شر الأضداد، أن يمنّوا بإسدال ثوب العفو، وإصلاح المعايب، وأجرهم على الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله».

(١) *نفيسي* ص١٣٦ ـ ١٤٣ *وجواهري* من ص ٢٦ ـ ٣٥.

(٢) تـا والـى مـصـر وجـود شـوى ... سـلـطـان سـريـر شـهـود شـوى
در روز الـسـت بـلـى گـفـتـى ... امـروز بـبـسـتـر لا خـفـتـى

(٣) ج٨، سورة الأعراف، الآية ١٧٢: إشارة إلى العهد الذي أخذه الله تعالى على بني الإنسان.

الحس، لا تتذكر موطنَك القديم، متعلقاً باللّهو واللّعب، لا تتأسى ولا تتألم، استيقظْ من نوم الغفلة، استعِد أخبار العالم الأول[1].

أول طرقِ العرفان (**خشية الله تعالى**).

القصيدة الثانية: في ثمانية عشر بيتاً بالفارسية وعنوانها «**في المناجاة والالتجاء إلى قاضي الحاجات**».

أول الطرق الموصلة إلى معرفة الحق دعاء الله عز وجل والتوسّل إليه بحق صفاته وكماله، وبحق النبي والوصيّ والبتول والأئمة الطاهرين... أن يخلِّص هذا الإنسان المجرم العاصي، الغارق في بحر المعاصي، من قيد العلائق الجسمانية، والوساوس الشيطانية..

خلص البهائي من أهوائه وألطف به، لقد صرف عمرَه باللّعب واللّهو ولم يقرأ حرفاً من لوح الوفاء.. خلّصه من الدنيا الدنية، وليصبح واحداً من أهل الذكر[2].

خلاصة هذه القصيدة **رجاء الله**، وهي المرحلة التي تأتي بعد الخوف على طريق الحقّ عزّ وجل.

القصيدة الثالثة[3]: في ثمانية عشر بيتاً وعنوانها «**في نصيحة النفس الأمّارة وتحذيرها من الدنيا الغدارة**».

---

(١) تاكى ز معارف عقلى دور — بزخارف عالم حسّ مغرور
زين خواب گران بردار سرى برگير — از عالم اولين خبرى

(٢) بيت:
٩ ـ كين بنده ى مجرم عاصى را — وين غرقه بحر معاصى را
١٠ ـ از قيد علائق جسماني — از بند وساوس شيطانى
١١ ـ لطف بنما وخلاصش كن — محرم بحريم خواصش كن
١٢ ـ يا رب يا رب كه بهائى را — اين بيهده كرد هواى را
١٣ ـ كه بلهو ولعب شده عمرش صرف — ناخوانده زلوح وفا يكحرف
نفيسي ص١٣٧ *وجواهري* ص٢٧.

(٣) *نفيسي* ص١٣٨ *وجواهري* ص٢٨.

في هذه القصيدة إشارة إلى أنه قد بلغ الستين من عمره. . . كما أننا يمكن أن نعتبر هذه القصيدة سيرة ذاتية لبهاء الدين العاملي ونلاحظ فيها الشعور الدائم بالقلق، بالإثم، وبالخطأ، وعدم الرضى عن النفس، والسعي الدائب نحو الخلاص الروحي(١)، إنه يخاطب نفسه قائلاً:

لقد صرت في الستين من عمرك، ولا تزال مقيّداً بالقيود الأرضيّة، وثملاً باللَّهو واللَّعب، قلت لعلّك عندما تصل إلى الثلاثين تجد نفسك، لقد قرأتَ وأنت في الثلاثين درساً من كتاب الله عزّ وجل، لم يقدك إلى معرفة الحق، ومن الثلاثين إلى الأربعين لم تحصل غير الجهل، وها أنت ذا قد وصلت إلى الستين(٢) ولا تزال غارقاً في الوبال لم تضع قدماً على طريق الحق، ولم تُضِفْ رقماً على لوح الوفاء. . .

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة: يطلب من الساقي أن يسقيَهُ من الخمرة الطهور التي تخلّصه من العلائق الجسمانية، وتنوّر قلبه وتهديه إلى الصراط المستقيم.

إذا درسنا هذه القصيدة من الناحية المعنوية، لندرك مدى علاقتها بشخصية صاحبها، فإن أول ما نلاحظه، هذا الإلحاح على طلب المغفرة، والشعور بالتقصير، يقول إنه من الأربعين وحتى الستين، لم يخطُ خطوةً واحدةً في طريق الحق، ولهذا التحديد الزمني أهميَّة كبيرة تبين ما تعنيه له تواريخ معينة:

---

(١) ای باد صبا به پیام کسی — جو بشهر خا کاران برسی
وانگاه بگو ببهائی زار — کی نامه سیاه وخطا کردار
تاکی باشي بیسار کناه؟ — أيمجرم عاصی نامه سیاه

(٢) شد عمر تو شصت وهمان پستی — وز باده ی لهو ولعب مستی
گفتم که مکرچو بسی برسی — یا بی خودرا دانی چه کسی
واز سی بجهل چوشدی واصل — جز جهل از چهل نشدت حاصل
اکنون چو بشصت رسیدت سال — یکدم نشدی فارغ ز وبال

ففي الثلاثين من عمره توفي والده = أي بدء الإحساس بالضياع النفسي، وبالشعور بالمسؤولية الذاتية، وبدء العمل في التدريس والوعظ رسمياً.

وفي الأربعين بدء رحلة الحج التي تعدّ مفترق الطرق بالنسبة إلى أسلوبه في الحياة، وتردّده بين قبول المنصب وعدم قبوله، بين سلوك خطّ المتصوفة أو سلوك خطّ الفقهاء الظاهري (بما لذلك من علاقة بالحكّام)، واهتمام بمظاهر الحياة الدنيا...

ومن الأربعين حتى الستين قمة العطاء الفكري، وقد أعطى في هذه المرحلة أهم نتاجه العلمي والفقهي والأدبي، هذا من الناحية العملية، أما من الناحية النفسية فإن شعوراً دائماً بالذّنب يلاحقه، وهذه ضريبة الإنسان المتفوّق في سعيه الدائب نحو الكمال، فلا استقرار على الصعيد النفسي، إلا لمن خفَّ لديه الشعور بالمسؤولية.

أما الآخر المجهّز ببصيرة تدرك ما لا يدركه الآخرون، ونفسية في أعماقها بعد عن حب الدنيا وبهرجتها، وهو مضطرٌ إلى أن يعيش في قلب الظروف التي تفرض عليه التعاطي مع الآخرين، بكل ما يحملونه من رياء ونفاق وغرور وتباه، وحبّ للظهور ولو على جثث الآخرين وعلى حساب الأخلاق والدين، مستغلّين علومهم وأزياءهم لاستغلال العامة واللّعب بعقولها، فإنه يعيش في قلق وشعور دائم بالذنب.

وهذا هو الوجه الإنساني الخالد في شعر البهائي، لأنه وإن كان ينتقد في شعره معاصريه، ويتحدث عن نفسه، إلا أنه ينتقد أيضاً أفراداً وجماعات، يعيشون في كل عصر ومصر، ما دام الإنسان على هذه الأرض تتجاذبه قوتان، واحدة تشده نحو العلاء، وأخرى تجذبه نحو أسفل السافلين، وهو يخاطب فينا إحساسنا الكامن بمحاسبة النفس،

وإعادة تقويم ما فعلنا وما يجب أن نفعل، وما كان يجب أن نفعل. . .

القصيدة الرابعة[1]: في أربعة وثلاثين بيتاً، عنوانها **«في ذم من صرف خلاصة عمره في العلوم الرسمية المجازية»**.

وفيها يقسم العلوم على طريقة المتصوفة إلى قسمين:

العلوم الرسمية والعلوم الحقيقية:

أما العلوم الرسمية، فهي العلوم المجازية، والتي هي الفلسفة التي يسميها فضلات فضائل اليونان[2].

وأما العلم الحقيقي فتجده في كتاب الله وفي شريعة محمد المصطفى ﷺ وفي طريقة الإمام [علي] المرتضى[3].

وهذا العلم هو في معرفة الحق التي تصل إليها بالخمرة الإلهية[4] (والخمرة ترمز دائماً إلى معرفة الله عز وجل).

القصيدة الخامسة[5]: في أربعة وثلاثين بيتاً وعنوانها **«في العلم النافع في المعاد»** إنها مكملة لمعاني القصيدة السابقة، فالعلوم المجازية لا توصل وحدَها إلى طريق الحق فلا الجبر والمقابلة ولا حساب الخطأين[6] تنفع يوم القيامة، وفي القبر وقت السؤال والجواب، لا ينفعك الأسطرلاب[7].

---

(١) نفيسي ١٣٩ ـ ١٤٠ وجواهري ٣٠.

(٢) اين علم دنى كه ترا جانست   فضلات فضايل يونان است

(٣) نى رو بشريعت مصطفوى   نى دل بطريقت مرتضوى

(٤) الأبيات الأخيرة خمرية.

(٥) نفيسي ١٤٠ ـ ١٤١ وجواهري ٣٢.

(٦) الجبر والمقابلة وحساب الخطأين، مصطلحات استخدمها البهائي في كتابه *«خلاصة الحساب»*.

(٧) **الأسطرلاب** آلة يستخدمها الفلكيون سيأتي تعريفها في باب البهائي العالم.

كما يخاطب الذين يؤمنون بالخرافات ويعملون بالتنجيم والسحر، فيقول لهم إن الجفر والطلسم لا تنفعك في الآخرة يا مسكين(١).

العلم الحقيقي هو العلم الذي ينور القلب وهو ليس موجوداً في الكتب، ولا يدرس أو يدرّس، إنه ذوقي(٢).

العلم الحقيقي لا يحتمل الجدال، إنه حالي وليس مقالياً(٣).

هذا العلم خال من «كيف» و«لماذا»، نبعه في أعلى عليين...

ثم يطلب من الساقي أن يسقيه قدحاً من شراب «ألست»(٤).. علّ الباب ينفتحُ، ويتخلص القلب من القيود الأرضية.

القصيدة السادسة(٥): في ثلاثة عشر بيتاً، منها سبعة أبيات عربية وستة فارسية وعنوانها «**في المناجاة والشوق إلى صحبة أصحاب الحال أرباب الكمال**».

أولها:

عشاق جمالك احترقوا ... في بحر صفاتك قد غرقوا

---

(١) ز دوائر عشر ودقائق وى ... هرگز نبرى بحقايق پى
وز خبر ومقابلة وخطائين ... جبر نقصت نشود في البين
در قبر بوقت سؤال وجواب ... نفعى ندهد بتو اسطرلاب
از جفر وطلسم برور پسين ... نفعى نرسد بتو، اى مسكين

(٢) علمى بطلب كه كتابى نيست ... يعنى ذو قيست خطابى نيست

(٣) علمى بطلب كه جدالى نيست ... حالى است تمام ومقالي نيست

(٤) وفي هذه العبارة إشارة إلى قوله تعالى في القرآن الكريم، ذاكراً سؤاله للخلائق حين ابتدع وجودها بالقوة، وأخذ عليها العهد، بمعرفته وطاعته قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٢] والبيت هو:
ساقى قدحى ز شراب الست ... كه نه خستش پا، نه فشردش دست

(٥) نفيسي ص١٤١ وجواهري ص٣٣.

فـي بـاب نـوالـك قـد وقـفـوا	وبـغـيـر جـمـالـك مـا عـرفـوا
نـيـران الـفـرقـة تـحـرقـهـم	أمـواج الأدمـع تـغـرقـهـم
«إن لم يضعوا القدم مكان الرأس/	في طريق الطلب فخل عنك ذكرهم»/ [1]
«الذين لا يعرفون من شوق اللقاء/	أرجـلـهـم مـن رؤوسـهـم» [2]
مـن غـيـر زلالـك مـا شـربـوا	وبـغـيـر جـمـالـك مـا طـربـوا
صـدمـات جـمـالـك تـفـنـيـهـم	نـفـحـات وصـالـك تـحـيـيـهـم
كـم قـد أحـيـوا كـم قـد مـاتـوا	عـنـهـم فـي الـعـشـق روايـات
طـوبـى لـفـقـيـر رافـقـهـم	بـشـرى لـحـزيـن وافـقـهـم

«يـا رب يـا رب لـلـبـهـائي الـعـاصـي، رأس أهـل الـمـعـاصـي
يا رب يا رب البهائي الذي قضى عمره في الرياء والمباهاة
وفـقـه إلـى صـحـبـة أهـل الـحـال ووفـقـه إلـى رفـقـتـهـم» [3]

القصيدة السابعة[4]: في ستة وعشرين بيتاً وعنوانها «**في التوبة عن الخطايا والإنابة إلى واهب العطايا**» يقول فيها ما تعريبه[5]:

يا من ذروت خلاصة عمرك للرياح، وقضيته في اللّهو واللّعب
أيها السكران من كأس الهوى والنزق، كفّ عن شرب المعاصي

---

(١) گـر پـاى نـهـنـد بـجـاي سـر — درراه طـلـب زيـشـان بـگـزر
(٢) كـه نـمـى دانـنـدز شـوق لـقـا — پـا را از سـر سـررا از پـا
(٣) يا رب يا رب كه بهائى عاصى را — سـر دفـتـر أهـل مـعـاصـى را
يـا رب يـا رب كـه بـهـائـى را — آن عـمـر تـبـاه ريـايـى را
خـطـى ز صـداقـت ايـشـان ده — تـوفـيـق رفـاقـت ايـشـان ده
بـاشـد كـه شـود ز وفـا مـنـشـان — نـه اسم ونـه رسم، نـه نـام ونـشـان
(٤) نفيسي ص١٤٢ وجواهري ص٣٣٣.
(٥) اى داده خـلاصـه عـمـر بـه بـاد — وى گـشـتـه بـه لـهـو ولـعـب دلـشـاد
اى مـسـت ز جـام هـوا وهـوس — يـكـرز شـراب مـعـاصـى بـس
از تـوبـه بـشـوى گـنـاه وخـطـا — وز تـوبـه بـجـوى نـوال وعـطـا
گـرچـه گـنـه تـوز عـد بـيـش اسـت — عـفـو وكـر مش از حدّ پـيـش اسـت

. . واغسل معاصيك وأخطاءك بالتوبة، وبالتوبة تنال المغفرة

. . إن كانت خطاياك لا عدّ لها فإن عفو الله وكرَمه فوق الحد

إن كان العفو الأزلي لا حدَّ له، فإن عددَ الخاطئين يفوق العدّ

مثنوي نان وپنير (الخبز والجبن)

وهو مؤلف من ثلاثة عشر قسماً يسمي البهائي كلا منها (فصلاً)، ونحن نسميها قصيدة، ويماثل سابقيه في أفكاره الداعية إلى تطليق ماديات الدنيا، وتطلّب العلم والروحانيات والخلُق، وفي نهجه الذي يقسم المثنوي إلى أجزاء متميزة يسميها فصولاً، جاعلاً لكل منها عنواناً مستقلاً، ثم قبل ذلك في عنوانه الطّعامي الرامز به إلى الدنيا وملذاتها المادية العابرة.

الفصل الأول أو القصيدة الأولى[1]: في اثنين وثلاثين بيتاً وعنوانها «في ذم المنتقدين للحكمة وينكرون لطائفها وسرائرها من الغفلة والظلمة، وفي تفسير من تفقَّه ولم يتصوَّف فقد تفيقه، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّق».

هذه القصيدة خلاصة منهج البهائي الفكري. ينتقد فيها أتباع الظاهر من رجال الدين المنكرين للحكمة ولطائفها، القائلين بالرأي والاستحسان، الذين لا يميّزون بينها وبين الاجتهاد.

ينتقدون الحكمة وهم لا يعرفون ماهيّتها، يقفون عند ظواهر الأحكام ولا ينفذون إلى بواطنها[2]، ينتقدون العلم والفلسفة، ولا يدركون كنه الحكمة، ذلك الطائر القدسي الظامىء، إلى الحق، المتوجه إلى النور الأعلى حيث الجمال والكمال. .

---

(١) *نفيسي ص١٤٤ وجواهري ص٣٨.*

(٢) بر ظواهر گشته قائل چون عوام گـاه ذم حـكـمـت وگـا هـى كـلام

يخاطب الجاهلين بقوله: إن الحكمة هي الكنز المطلوب، لكن إن اقترنت بالفقه والزهد، فالفقه زاد السالكين، والزهد تجريد القلب من حب غير الله، والتسليم المطلق لإرادة الله، وعدم السرور، بمال آت، ولا الأسى على نعيم زائل.

وإذا كان حب الدنيا رأس كل خطيئة، فإنَّ أهل الدنيا وقفوا محتارين إزاءها، وإذا كان حبّ الدنيا رأس كل خطيئة، فإن بين حبِّ الشيء والشيء ذاته فرقاً كبيراً، كالفرق بين طعم التفاحة وبين شكلها ولونها:

فالطفل لا يتعلق إلا بلونها، والعاقل يأكلها لفائدتها، والطفل يتحسّر على منظرها، لذلك فإن مدار الأمور كلّها العقل[1].

القصيدة الثانية[2]: وهي حكاية في ثلاثة وخمسين بيتاً، يوردها تأييداً لآرائه في «القصيدة» السابقة، للتدليل على أن العقل هو مدار كل أعمال الإنسان، فيروي قصة العابد الذي تفرّغ للعبادة ليل نهار، ابتعد عن اللذات الدنيوية ووجد لذّته الروحية في العبادة، حتى وصل صيتُه إلى علّيين، فنظر الملائكة في لوح أجره، فإذا أجرُه قليلٌ وحقير، فسألوا ربَّ العزَّة عن سرِّ ذلك، فأمرهم أن يقضوا معه وقتاً ليعرفوا السرَّ بأنفسهم، فنزَلَ ملكٌ إلى الأرض بصورةِ آدمي، ليضعَ عبادة الزاهد على المحك، ومن الحوار الذي دار بين الملك والعابد، عرف المَلَكُ أنَّ سببَ قلَّة أجرِ المتزهد نقصانُ عقله، كان عقله فاسداً وناقصاً، لكن الفساد

---

(١) حبّ دنيا گرچه رأس هر خطاست — أهل دنيا را در آن بس خيرها ست
سيب طعمش قوت دل ميدهد — گه زرنگش طفل را دل ميجهد
عقل آن را بَهر قوّت ميخورد — بهر رنگش طفل حسرت ميبرد
پس مدار كارها عقلست، عقل — گر نداری باور اينك راه نقل

(٢) *نفيسي* ص١٤٦ *وجواهري* ص٤٠.

والنقص ليسا ظاهرين، لذلك كان أجره على قدر عقله، لأنَّ مالكَ الملك عز وجل خلق لكل إنسان عقلاً، وهو عزّ وجل يحاسب الناسَ على قدرِ عقولهم.

القصيدة الثالثة[1]: في اثني عشر بيتاً وعنوانها «في العقل».

وفيها يعرّف العقل بأنه مقتبسٌ نورُه من المشكاة القديمة، وأن العقل عينُ الذات، وهو النور الأعظم، وهو ظاهرٌ بذاته، غيرُ محتاج إلى غيرِه، نورُه منبثقٌ من شمس المعرفة، ومهمة النور العقلاني تنوير القلب، كما أن نورَ الشمس الظاهرية ينير الموجودات..

القصيدة الرابعة[2]: في واحد وخمسين بيتاً وعنوانها «قال المولوي المعنوي» وهي حوار بين شخص وآخر لنفي الشك والوصول إلى اليقين في مسألة العقل والنفس وعلاقتهما...

العقل قيد حديدي للنفس، وهو الحاكم على مدينة النفس.

العقل الإيماني كالحاكم العاقل على مدينة القلب، يظل متيقظاً كالهر في انتظار الفأر، وكما أن الفأر لا يستطيع أن يأكل الطحين إلا في غياب الهر أو في حالة موته، كذلك القلب لا يتسلط على صاحبه إلا في غياب العقل... والعقل عقلان **عقل مكتسب** من التعلم، ومن الكتاب والأستاذ والفكر والمعاني والعلوم، وعقل هو هبة من الله عز وجل..

العقل المكتسب التحصيلي يشبه السواقي التي تستمد مياهها من النهر الكبير، فإذا ما سدت طريقها لا تجد حيلة، فيجف ماؤها ويصيبها العطش والبلاء، أما العقل الذي هو هبة الله عز وجل فهو في داخل

---

(١) نفيسي ص١٤٨ وجواهري ص٤٢.

(٢) نفيسي ص١٤٨ وجواهري ص٤٣.

الإنسان كالينبوع الذي لا يجف وعلى الإنسان أن يفتش عنه في داخله..

ويخاطب البهائي الإنسان بقوله:

اجتهد لتكون سيد العقل والدين، لأنَّك بعيداً من سلطة العقل تظلّ كالخفاش شقياً في ظلمة النفس...

القصيدة الخامسة[1] في اثنين وعشرين بيتاً وعنوانها «**في اختلاف العقول**» العقول التي وهبها الله عز وجل الآدميين مختلفةُ الأقدار.. العقلُ كالشّعلةِ ولكن له حدودٌ أيضاً، فعقلُ الإنسان يقوى بالسعي والتحصيل وإعمال الفكر، أما إذا غلب الهوى العقل، فإنَّه يمثل لذلك بالقنديل، الذي امتلأ غباراً وقلَّ زيته، ما يصيب ضوءه من خفوت، هو ما يصيب العقل الذي غلبه هوى النفس.

امتياز الإنسان على الحيوان بالعقل، بالفكرة والعبرة، ومن أصبح ولم يتفكر في شؤون الخلق وشجونهم، فهو كالأنعام بل أضل[2].

إن التفكر في أمر الدين أفضل من عبادات السنين، فالنفس التي تتفكر وتعتبر، تتدبر أمر علاجها بنفسها، بتقوى القلب والصلاح الفعلي، وبالتفكر وأخذ العبرة.

القصيدة السادسة[3]، في ثمانية عشر بيتاً وعنوانها «**في العلم**

---

(١) نفيسي ص١٤٩.

(٢) أصل البيت:

چون شدى بى بهره از فكر ايدغل   دان كه كالأنعام باشى بل أضل

وترجمته:

إذا فقدت القدرة على التفكير   صرت كالأنعام بل أنت أضلّ

(٣) نفيسي ص١٥١ و*جواهري* ص٤٦.

وحده» يقول فيها أنت يا من تفتش عن العلم ليلَ نهار، ظامئاً، وغائصاً في بحرِه، أيّها الحائر في معرفة حدّ العلم، وأيّ الكتب تقرأ أو لا تقرأ، كل شخص يتعلم العلم الموافق لطبيعته، واحد يقول الحساب والهندسة، وآخر يقول علم الأصول..

إذا كان المقصود هو العلم المطلق، فإنَّه لا حدَّ له، ولا منتهى... وإذا كان المقصود هو عبادة الحق فهو كمال الأنفس، الذي يهدي إلى طريق الحق، هو معرفة لطف القادر، القيّوم، الحيّ، وقدرته التي لا حدود لها، وفيض وجوده، ونعمه التي لا حصر لها... حبه واجب دون تصنع، وعبادته واجبة دون تكلف[1].

القوم الجهال وحدهم يعبدون الله من طريق العادة، وهم إما يهدفون إلى خداع العوام، وتجميعهم حولهم، أو من أجل الدنيا هم يسعون[2].

القصيدة السابعة[3]: في ستة وعشرين بيتاً، عنوانها «تمثيل»[4]. خلاصتها: كيف يبرر تارك الصلاة تركَه لها:

واحد يقول إنه كلما نوى أداء الفريضة، وقعت مصيبة أخذت أمواله كلها، وآخر يقول إنه صلى أياماً وليالي عديدة، وهو يدعو الله أن يخرجه من حالة الفقر والحاجة إلى الغنى والجاه، ولما لم يصل إلى ما يريد، ترك الصلاة.

---

(١) بى تصنع حبّ خود در دل كُنَد ... بى تكلّف بر عمل مايل كُند
(٢) قوم جهال ار عبادت ميكنند ... بيشتر از روى عادت ميكنند
يا عواميرا بخود داعى بود ... يا براى دنيوى ساعى بود
(٣) نفيسي ص١٥٢وجواهري ص١٤٧.
(٤) تمثيل = مثل.

يقول البهائي إن هذه أحوال الجهال: وينزه الله عز وجل من نسبة الغفلة أو البخل، وكل ما يقال عنه في حالة الرضا أو الغضب إنما هو حكم الظاهر، وهذا إسلام العوام: مرحلة تلت مرحلة عبادة الأوثان، ولم يصل هؤلاء بعد إلى الإسلام الحقيقي. إن الدعوة التي حملها الرسول كانت موجهة إلى الخاص والعام، وقلة هم الذين فهموها حق فهمها، ولكنَّ التساؤل بدأ شيئاً فشيئاً مع تطور العقول، حول التقليد، والجبر والاختيار، وإجمالات هذه الأمور وتفصيلاتها تجدها في سنة المعصومين عليهم السلام.

وهكذا على النسق المتقدم نفسه يتابع البهائي بقية قصائد هذا المثنوي فيتناول في القصيدة الثامنة موضوع الفطرة، . . . والقصيدة الثالثة عشرة والأخيرة في المناجاة. . .

مثنوي طوطى نامه[1] أو أشعار متفرقة

أصل هذه المنظومة قصة تقول إن ملكاً كان يمتلك ببغاء، وكان يحبه كثيراً، وقد أراد أن يجعله عينه على مملكته، لذلك أرسله إلى إحدى الجزر ليتعرف إلى أسرار الكون والعالم، على يد عالم كان قد ساح ورأى الدنيا، وهو يرمز بالببغاء إلى الإنسان الذي يأتي إلى هذه الدنيا ولا عدّة له، ولكنه بالتعلم، وبالزهد والمعرفة الحقيقية، يستطيع أن

(١) يقول سعيد نفيسي إن هذه المنظومة تحتوي على ١٤٣٤ بيتاً في منتهى الجمال، وهي منظومة على سبك خاص وتشبه كل الشبه شعر جلال الدين الرومي، من حيث المضامين العرفانية الدقيقة المؤثرة، ولكن سعيد نفيسي لم ينقل منها سوى قصيدة واحدة هي «كنج باد آورد» أو (الكنز الذي جلبته الريح) (كليات ص١٥٧) ولكن غلام حسين جواهري نقل قصيدة «كنج باد آورد» ضمن فصل سماه (أشعار پراكنده شامل) أو أشعار متفرقة تشتمل على المثنويات والقصائد والمخمس والمستزاد.

يتخلّص من عبودية الجسد، وأن يحلق في دنيا الحقيقة...

يورد البهائي في هذا المثنوي قصصاً يرويها العالم للبغاء، لتكون عبرة له كهذه القصة.

كنج باد آورد أو الكنز الذي جلبته الريح في سبعة وعشرين بيتاً، وهو حوار بين سارق من أهل دوان وبين صاحب دكان بقالة.

وتقول القصة إن السارق ذهب مسرعاً إلى دكان بقّال، وسأله عن ثمن الألف جوزة، فأجاب البقال: إن الألف منها يباع بعشرة دراهم، وإذا كنت تريد الشراء، أنقدني الثمن، فقال المشتري قل ما هو ثمن المئة جوزة؟ قال البائع درهم واحد، قال المشتري: والعشر جوزات ما هو ثمنها؟ فأجاب البائع: إن ثمنها عشر الدرهم، فقال المشتري: والجوزة الواحدة؟ فقال البائع بعد أن نفذ صبره: لا قيمة لها أيها الفتى! فقال المشتري: أعطني إذاً واحدة ولما أعطاه جوزة واحدة، طلب منه غيرَها، عند ذلك سأله البائع من أين أنت يا فتى؟ فقال أنا من قرية «دوان»[1]، مدينة مولانا جلال[2]، فقال له البائع اذهب أيها السارق الغشاش المحتال الماكر، أتريد أيضاً أن تعطي عشر كذبات على هذا النسق؟ لعن الله جلال الدين خاصتك، أن كان هو الذي علّمك مثل هذه الأفكار ثم يقول البهائي مخاطباً الإنسان الجاهل بقيمة عمره وسنواته: أنت أكثر حمقاً من البقال، وعمرك أدنى قيمة من الجوزات العشر، إذا أُخبِرتَ أن قد بقي من عمرك أربعون سنة أخرى، ما هي قيمة السنوات الأربعين؟ أخبرني كي أحصي لك ثمنها: الجواب الذي يمكن أن تقوله، هو أن ملك الدنيا بأسرها، لا يساوي عشرَ ثمنها: لكنك أيّها الأحمق

(١) دوان اسم قرية.

(٢) جلال هو جلال الدين الدواني الفيلسوف المشهور بالمحقق الدواني.

تعطي دون مساومة الأشهر والسنواتِ من كفّك دون مقابل..

انظر كيف تذهب أيامك دون مقابل، وهذا العمر الذي يساوي مائة مملكة، ليس أكثر من هذه الأيام التي تحياها، وإذا ما انتهت هذه الأيام فلن يجديك شيءٌ نفعاً..

حيف وألف حيف على هذا الكنز الثمين الذي يذهب من بين أيدينا دون حسبان وألف تأسف على هذا العالم الفاني الذي تختفي شمسه فجأة خلف الضباب...

المثنويات المتفرقة[1]

يغلب عليها الميل إلى الزهد في الحياة الدنيا، ويتحسر على العمر الذي ضاع وانقضى دون الاستعداد للآخرة، كما يتحدث عن ميله إلى حياة الدراويش، ويذكر أيام رحلة الحج، والشوق إليها، وكذلك الشوق إلى كربلاء والنجف ومراقد الأئمة هناك، والشوق إلى أصفهان وهو في طريق العودة من رحلة الحج، كما أن بعضها قيل في الغزل العرفاني والعشق الإلهي.

القصائد[2] ويراد بالقصائد الأشعار الموحدة القافية، البيت الأول منها فقط مثنوي وما عداه يلتزم بقافية واحدة في نهاية الأبيات.

يغلب على هذه القصائد الطابع العرفاني، والدعوة إلى الزهد وترك العلم الرسمي المجازي، كما أن فيها شكوى من الزمن والحاسدين...

---

(١) نفيسي من ص١٥٩ ـ ١٦١ *وجواهري* من ص٥٥ ـ ٥٩ (أحد عشر مثنوي) ٩٠ بيتاً.

(٢) نفيسي من ص١٦٢ ـ ١٦٥ *وجواهري* من ص٥٩ ـ ٦٢. هي ٢٣ قصيدة ١٥٠ بيتاً.

المستزاد[1] له بيتان فقط على هذا النسق.

المخمس[2] له مخمس واحد، والمخمس يضم خمسة مصاريع من وزن واحد وفي موضوع واحد.

الرباعيات[3][4] في موضوعات مختلفة فلسفية وعرفانية وحكمية وأخلاقية، وبعضها في النقد الاجتماعي.

(1) نفيسي ص١٦١ وجواهري ص٧٦.
(2) نفيسي ص١٦١ وجواهري ص٧٦.
(3) الرباعي أو الدوبيتي يتألف كل منها من أربعة مصاريع وكان الرباعي يسمى في الأصل «ترانه».
(4) نفيسي ص١٦٦ وجواهري ص٨٠ ـ ٩١.

التصوف والعرفان في شعر البهائي الفارسي

إنَّا وإن كان باستطاعتنا عدّ شعر البهائي الفارسي، وخاصةً المثنويات شعراً تعليمياً، بما خلقه الشاعر من تعاليم مفادها السعي للدنيا والآخرة معاً، وإقامة التوازن بين الظاهر والباطن في السعي، وفيه تفسير وحديث وأمثالٌ وحكايات، إلا أننا نرى وبوضوح أن البهائي مزج هذه المعاني جميعاً بالتصوّف والعرفان، بأسلوب فذّ يشبه أساليب كبار المتصوفة والعارفين.

أول خصائص هذا الشعر أنه تعبير عن إحساس البهائي، الذي هو تعبير عن أحاسيس الإنسان المبهمة، عن أحاسيسنا تجاه الحياة والكون، هذه الأحاسيس المكبوتة فينا، التي تظل حبيسةَ صدرِ صاحبها، إن لم يؤتَ موهبةَ الشعر، فيسوي هذا الصراع الداخلي كلاماً موزوناً مقفى، ذا جرس موسيقي بديع، نقرأه ونتمثله، ونعيد قراءته فنحفظه ونكرره، لأنه يعبّر بلساننا، بلسان الإنسان أين وجد وأنّى وجد، عن مشاعرنا وأفكارنا.

المراحل الروحية في الطريق الصوفي

أساس التصوف **المحبة** «المحبة فيض الجميل وثمرته، فإذا ظهر الجميل كان العشق وإذا غاب كان الشوق... ولا بد من الجهاد في سبيل الحبيب حتى اللقاء، فإذا كان اللقاء ثانية، كانت السعادةُ الكبرى

جزاء وفاقاً لما لقيه العاشق في الطريق إلى المعشوق[1].

ويعيش الشاعر العارف بصدق روح الحديث القدسي الذي يقول: إن الله سبحانه كان كنزاً مخفياً فأحبّ أن يُعرف فخلق الخلق ودعاهم لعبادته، فاستمتعوا بنعمة الإجابة والمعرفة، ثم كانت المعصية والهبوط من دار الخلود إلى دار الفناء، فكان الحنين إلى الحياة الأولى، وكانت الضراعة إلى الله ليرضى، وكان الاشتياق والمجاهدة للعودة إلى موطن الحب والمعرفة، واتخذت محاولة العودة صيغاً مختلفة من الجهاد والاجتهاد.

فروح الإنسان لطيفة ربانية أودعها خالقُها في جسدٍ ترابي، كان في عالم القدس، وكانت شخصانية ترى وتسمع في عالم الصورة المتمثلة التي ظهر بها الخالق لخلقه، وناداهم معلناً ألوهيتَه بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[2] فهو سبحانه يقرر ألوهيته، وأنه ربُّهم الأكرم الذي يريهم ويعلّمهم.. وذلك النداء هو النداء الأول الذي سمعته الأرواح من بارئها في ظهوره الأول لها في عالم الصورة... هذه الروح التي أنعم الله عليها بمعرفته في عالم القدس، لا تنفكّ قلقة جزعة بعد الهبوط إلى عالم الكون والفساد، لأنها في شوق دائم إلى ما رأته وسمعته من بارئها، متذكرة ما كان من نعمة اللقاء الأول، لذلك فهي لا تزال تحنّ إلى ذلك اللقاء وتلك **المنازل**: فالمنازل التي يبكيها الشاعر رمز لدار الخلود قبل فراقها، ولذلك لا يكفّ عن الحنين إليها، وإلى عهده القديم فيها:

أيها اللاهي عن العهد القديم　　　أيّها الساهي عن النهج القويم[3]

---

(١) أسعد علي. المنتجب العاني ص٤٧٧.

(٢) ج٩، سورة الأعراف، الآية: ١٧٢ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

(٣) القصيدة الأولى من مثنوي «نان وحلوا».

استمع ماذا يقول العندليب حيث يروى من أحاديث الحبيب

فالعهد القديم هو ذلك العهد الذي قطعته الأرواح على نفسها في العالم الأول قبل الهبوط، نسيت العهد الذي قطعته **للحبيب** (الله عز وجل)، ولكن سماع غناء العندليب، بما هو مظهر من مظاهر تجلي جمال الحبيب وقدرتِه، يعيد الروح إلى ذكرى أيامها الأولى: إذ إن هذا الطائر، هو رواية قصة الحي القديم (عالم القدس)، وهو قادم من جانب بستان الحي[(١)]، لذلك فهو يخاطبه على أنه بريد الحي:

يا بريدَ الحي أخبرني بما قاله في حقنا أهل الحمى
هل رضَوْا عنا ومالوا للوفا أم على الهجر استمروا والجفا

ويتابع ملمعاً بالفارسية ما معناه، أنه رسول الحظ المبارك، وباعث السرور والحظ السعيد، لأنه هو الذي سيخلّص الروح من قيودها:

مرحباً يا رسول فألنا المبارك/ مرحباً يا باعث حظّنا السعيد/
مرحباً أيها العندليب الجميل الصوت/ لقد خلّصتني من قيد «ماسوا»[(٢)]

إن سماع الغناء يحرّك لدى الصوفي الاضطراب والقلق والغم، يذكره بسماع النغمة الأولى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وفي ترجيع الطير وأغانيه ما يفعل في النفس، فقد تنتشي وتتذكر بارئها وموطنها الأول:

غناؤك أيها العندليب نار مؤصدة/ أشعلتها ألفاً لقيدي موقدة/
مرحباً يا هدهد مدينة سبأ/ مرحباً يا رسول الأرواح مرحبا[(٣)]

---

(١) أصل البيت:
مرحبا اى بلبل دستان حي كامدى از جانب بستان حى

(٢) أصل البيت:
مرحبا اى پيک فرخ فال ما مرحبا اى مايه إقبال ما
مرحبا اى عندليب خوش نوا فارغم كردى از قيد «ماسوا»

(٣) اى نواهاى تو نار مؤصده زد بهر بندم هزار آتشكده =

الطائر المغني: هو رسول الأرواح لذلك يسميه هدهد مدينة سبأ، هو حامل الأخبار، وهادي الحائرين، حامل الرسالة الأمانة، المخبر بصدق عن رؤاه ورؤيته:

مرحباً أيّها الببغاء الجميل الكلام/[1]

قل فقد أذهبت عن قلبي الحزن

والببغاء لا دور له سوى إعادة الكلام ولكنه كلام جميل هذا الذي يعيده، ما هو هذا الكلام؟ إنه تذكير النفس الخاطئة بما قيل لها قبل الهبوط.

أخبرنا من جديد عن نجد وأحباب نجد/

حتى يغيب الحائط والباب من الوجد/

أخبرنا من جديد عن زمزم والخيف ومنى/

وأرح القلب من الغمّ والروح من العنا [التعب]/

أخبرنا من جديد عن مسكننا ومأوانا/

أخبرنا عن الحبيب الذي لم يرعَ جانبنا[2]

ماذا سيعيد هذا الببغاء على المسامع؟ أحاديث نجد وأحباب نجد وزمزم والخيف ومنى: ماذا تعني هذه الأماكن بالنسبة إلى المتصوف: أليست هي الأماكن المقدّسة التي خاطب فيها الله عز وجل رسلَه وأنبياءه؟ ومن هو الحبيب الذي نقض العهد والميثاق؟

ذلك الذي دفع يده عنّا بلا سبب/ وقطع عهدَنا وكسرَ ميثاقنا[3]

= مرحبا اى هدهد شهر سبا — مرحبا اى پيك جانان مرحبا

(١) محربا اى طوطى شكر شكن — قل فقد أذهبت عن قلبي الحزن

(٢) بازگو أز نجد وأز ياران نجد — تا در ود يوار را آرى بوجد

بازگو از زمزم وخيف ومنا — وارهان دل از غم وجان از عنا

بازگو از مسكن ومأواى ما — بازگوا از يار بى پراوى ما

(٣) آنكه از ما بى سبب افشاند دست — عهد را بيريد وپيمان را شكست

أليس ذلك كناية عن انقطاع العهد بين الخالق والأرواح؟ وما هو إلا تبرئة الذات من المعصية الأولى، التي كانت سبب هبوط الأرواح إلى الأرض، وسكنها في الأجساد.

قلْ كلمة عن لسان ذلك المعشوق الجميل الحادّ الطّبع لتسكن قلوبنا.

ذكرى الأيام التي كانت له معنا، مرة يغضب وأخرى يصالح من فرط الدلال[1].

الطائر الذي كان في بداية القصيدة عندليباً جميل الغناء، ثم انقلب بلبلاً شجيّ الصوت، انتهى ببغاء جميل الكلام، لماذا؟ لأنه لا يريد منه أكثر من إعادة كلام المعشوق العذب الحديث، القاسي القلب، الذي يرضى حينا ويجافي حيناً آخر، وما ذلك إلا رمز للعشق الإلهي، وما يكابده العاشق في طريق الوصول، وهو في شوق دائم إلى ما رآه وسمعه في اللقاء الأول.

ألا ما أحلى ذلك العهد الذي كان حيناً/
يتكرم بالتمشي في طريق الحب والوفاء[2]

ويظل العاشق (الروح المشتاقة إلى بارئها) في شوق دائم، وخشية من أن لا تصدُقَ الرؤيا وتتحقق، وتخوّف من فقدان الأمل في الرؤية، دائم التذكر، كمن يستيقظ من حلم سعيد، وكيف يعود إلى الحلم بغير النوم، حيث تفلت الروح من شهوات اليقظة، في الحلم يرى الحبيب:

---

(١) از ريان آن نكار تند خو از پى تسكين دل حرفى بگو
ياد أيامى كه با ما داشتى گاه خشم از ناز وگاهى آشتى

(٢) البيت الأخير من القصيدة الأولى من مثنوي (نان وحلوا). وأصله بالفارسية:
اى خوش اين دوران كه گاهى از كرم درره مهر ووفا ميزد قدم

مسدلاً على كتفيه قصبات المسك/ مروضاً العالم كلّه بنظرة[1]

فقصبات المسك التي يشبه بها الضفائر السوداء، لأن المسك أسود اللون، إنما يرمز بها إلى الليل، حين يرود خيال الحبيب في المنام، وحين يكثر الشوق والحنين والوجد، ونظرة الحبيب المروّضة للخلق والعالم إنما هي لطفُ الله بالعباد، لأنَّ العالمَ صنع من نظرته، ومن وجوده الأول انبثق العالم.

ولكن هل يستطيع العالم الوصول إلى الرؤية الفعلية؟

يقول البهائي:

قلت له متى أراك يا جميل التبختر؟/
قال: نصف الليل لكن في المنام[2]

وكيف يكون الوصول؟

بالتقوى، التي هي إقامة التوازن بين الظاهر والباطن، يقول:

يجب أن يكون الظاهر والباطن واحداً/
حتى تجد طريق الحق ولو قليلا[3]

وبالزهد بكل ما هو أرضى، وبكل ما من شأنه أن يشد الإنسان نحو الأسفل نحو الأرض[4]، أي بالقناعة.

---

(١) القصيدة الثانية من مثنوي (نان وحلوا) وأصله:
كا كل مشكين بدوش انداخته وز نگاهى كار عالم ساخته

(٢) گفتمش كى بينمت اى خو شخرام گفت نصفَ الليل لكن في المنام

(٣) ظاهر وباطن يكى بايد يكى تا بيابى راه حق را اندكى..

(٤) ازهوس بگذر رهاكن كش وفش باز دامان قناعت در مكش..

إن جملة سعيك أيها الإنسان هو للدنيا الدنية/
فلا تعلم ما هو السعي لأجل العقبى[1]

وبالزهد بالمنصب لأنه يذرو الدين في مهب الرياح.

منصب الدنيا يا حَسَن الأصل هو ما يجعل بيدر دينك (حصيلة دينك) للأرياح[2] والزهد يعني تجريد القلب من حب غير الله، فلا يمنع السالكَ مانع من السير في طريق المحبَّة.

ما هو الزهد؟ إنه تجريد القلب من حب الغير كي لا يمنعك التعلق بالدنيا من السير[3] **وبالخوف والخشية** لأن من لا يخاف الله، لا يعرف الطريق إليه:

ما يبعدك عن خوف الله/ هو ما يبعدك عن طريق الهدى[4]

إن خشية الله هي دليل على العلم ألا فاقرأ (إنما يخشى) في القرآن[5].

الخوف والحب معاً يؤديان إلى التوبة، وبالتوبة يغسل الساعي إلى الله خطاياه ومعاصيه، وبالتوبة يحصل النوال والعطايا:

اغسل معاصيك بالتوبة/ واحصل على النوال والعطاء بالتوبة[6]

إذا تخلصت بالتوبة من العذاب الأليم، ووصلت إلى النعيم

---

(١) جمله سعيت بهر دنياى دنيست بهر عقبى مى ندانى سعي چيست..
(٢) منصب دنيا ست اى نيكو نهاد انكه داده چرمن دينت بباد
(٣) زهد چه بود؟ تجريد القلب از حب غير تا تعلق نايدت مانع از سير
(٤) آنكه از خوف خدا دورت كند آنكه از راه هدى دورت كند
خشية الله إنسان علم دان «إنما يخشى» تو در قرآن بخوان
(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ج٢٢ [سورة فاطر، الآية: ٢٨].
(٦) أز توبه بشوى گناه وخطا واز توبه بجوى نوال وعطا

المقيم، فالتوبة هي التي تصلح الأحوال، فلا تقفل باب العفو، ولا تيأس من رحمة الله، حتى وإن فاقت خطاياك العد، فإن عفو الله لا حد له:

إن فاقت خطاياك العد　　　عفو الله وكرمه يفوق الحد

بعد التوبة تأتي **محاسبة النفس**، ومحاسبة النفس لا تكون إلا **بالعزلة والخلوة**:

كل من جاءه توفيق الحق دليلاً/　　　اختار العزلة ونجا من القيل والقال[1]

ولا يكون **تقويم النفس** وتربيتها إلا بالفرائض التي فرضها الله على عباده المؤمنين عبادة الله لأنه أهل للعبادة، لا طمعاً في جنته أو خوفاً من ناره[2]، والإقبال الكلي على العبادة ظاهراً وباطناً:

إن كان يمكن تقديس الله الواحد الصمد من طريق التقليد.

نقول على هذا النحو أن جمعاً من العوام قد دخلوا الإسلام.

لكن إسلامهم ظاهري [شكلي]، كي يخرجوا من المجوسية والوثنية[3].

وإن لم تكن كذلك، يجب أن تعرف فضل الحق جل وعلا، إذ متى كان تقليد الأصول مقبولاً؟ هذه العبادة الظاهرية، التي أتت من

---

(١) هر كه را توفيق حق آمد دليل　　　عزلتى بگزيد ورست از قال وقيل

(٢) نان وحلوا القصيدة ٢٣.

(٣) گرچه تقديس خدا وند صمد　　　از ره تقليدهم ممكن بَوَد

زانجهت گوئيم جمعى از عوام　　　يافته در سلك اسلام انتظام

ليك اين اسلام حكم ظاهر است　　　تابرون آيدز گبر وبت پرست

گرنه فضل از حق خود دارد قبول　　　كى شود مقبول تقليد اصول

(نان وپنير. ق/٨).

طريق التقليد ليست هي العبادة الحقيقية، العبادة الحقيقية هي معرفة قدرة الخالق التي لا حد لها، وفيض وجوده ونعمه التي لا عد لها، حب الخالق بلا تصنع، وعبادته بلا تكلف، وهي ليست كعبادة الجهال الذين يعبدون الله تقليداً، أو يعبدونه من أجل جنته:

أولئك الذين يعبدون الله من أجل الجنة ليسوا عشاقاً إنهم طالبو أجر[1].

هؤلاء الذين يعبدون الله طمعاً أو رياء، يضيفون ذنباً إلى ميزان سيئاتهم.

الحجر [السجدة] الذي نسجد عليه في صلاتنا
رياء أخاف أن يضاف إلى ميزان أعمالنا[2]

العبادة الحقيقية هي التي يكون دورها قهر النفس وتربيتها وتقويمها، فاللقمة المعجونة بالعبادة هي التي تقهر النفس وتقومها.

إن نتيجتها [اللقمة المعجونة بالعبادة] ظاهرة العيان/
فأنت تقوّم النفس وتقهرها بها[3]

الإقبال الكلي على العبادة ظاهراً وباطناً، هو الذي يقوم النفس ويهذبها، وهذا ما عناه بقوله:

إذا كنت تطلب حياة سعيدة/ فاقتل بقرة نفسك أولاً[4]

---

(١) وآنا نكه كنند طاعت از بهر بهشت عشاق نينند بهر خود در كارند
جواهري *رباعيات* ص٨٣.

(٢) سنگى كه سجده گاه نماز رياى ماست ترسم كه در ترازوى اعمال ما نهند
جواهري ٧٥ غزليات.

(٣) عاقبت خاصيتش ظاهر شود نفس از آن لقمة ترا قاهر شود
(نان وحلوا ق٨٠).

(٤) گرهمى خواهى حيات وعيش خوش گاو نفس خويش را اول بكش
(نان وحلوا ق٨٠ ص٥٠).

والسعادة في معرفة الحق في الذرء الأول، هذه السعادة تحولت إلى شقاء، عندما حجبت الروح في ظلمة الجسد الكثيف، ولا تنال السعادة الأولى إلا بالتخلص من ربقة الجسد الذي هو مستودع مؤقت للروح، أو هو معتقل لها:

إلى متى ستظل يا هدهد مدينة سبأ/ في الغربة مقيد الرجلين/
اجتهد كي تفكّ القيد من قدمك/ وتطير في الفضاء الرحب[1]

فهدهد مدينة سبأ يرمز هنا إلى الروح (رسول العالم العلوي إلى العالم السفلي) والغربة والقيد (بند) هو الجسد الكثيف، وإنما السعادة في التحليق:

«إلى متى ستظل يا عندليب عالم القدس/
محباً لمصيدتك [زخارف الدنيا] وعاشقاً للقفص»[2]

فعندليب عالم القدس هو الروح، والقفص هو الجسد الكثيف، والروح التي أنعم الله عليها بمعرفته في عالم القدس، لا تنفك قلقة جزعة بعد الهبوط إلى عالم الكون والفساد، وهي في شوق دائم إلى ما رأته وسمعته من بارئها يوم أشهد الخلق على أنفسهم قائلاً ألست بربكم؟ قالوا بلى، شهدنا»[3].

إلى متى ستظل قانعاً بتربية بدنك وبالتراب بديلاً من جهة عدن
تطلّع إلى الملك الذي ينتظرك، واخرج من البئر يا يوسف المصري

---

(1) تاكى اى هدهد شهر سبا / در غريبى مانده باشى بسته پا
جهد كن اين بنداز پا بازكن / بر فراز لا مكان پرواز كن
(نان وحلوا قصيدة ١٠).

(2) تاكى اى عندليب عالم قدسى / مايل دام وعاشق قفسي
جواهري ص٧٥ غزليات.

(3) سورة الأعراف، الآية ١٢٧.

لتصبح والي مصر الوجود، وسلطان سرير الشهود
في يوم «ألست» قلت نعم، والآن أنت مقيد بسرير «لا»
إلى متى ستظل بعيداً من المعارف العقلية مغروراً بزخارف عالم الحس
لا تذكر وطنك الأصلي، متعلقاً باللهو واللعب والمرح(١)

فهو يرمز هنا بيوسف إلى الروح، والبئر هو الجسد الترابي الكثيف، ولن تتخلص الروح من ربقة الجسد كما تخلص يوسف من البئر، وأصبح ملك مصر، إلا حين تتذكر يوم المعرفةِ الأولى، وتسعى للعودة إليه، إلى الوطن الأصلي، الوطن الأول: إقليم النعيم:

أيها المأسور في قيد الذنوب — أيها المحروم من سر الغيوب
لا تقم في أسر لذات الجسد — إنها في [الجيدِ حبلٌ من مسد]
قم توجه شطر إقليم النعيم — واذكر الأوطان والعهد القديم
كنز العلم ما ظهر منه وما بطن [النبي]/ — قال: إن حب الوطن من الإيمان/
هذا الوطن ليس مصر أو العراق أو الشام/ — هذا الوطن مدينة لا اسم لها/ (٢)
إن هذه الأوطان جميعها من الدنيا/ — كيف يمدح الدنيا خير الأنام؟/

---

(١) تا چند بتربيت بدنى — قانع بخزف ز در عدنى
صدملك ز بهر تو چشم براه — اى يوسف مصرى بدر آى از چاه
تا والى مصر وجود شوى — سلطان سرير شهود شوى
در روز «ألست» بلى «گفتى» — امروز ببستر «لا» خفتى
تاكى ز معارف عقلى دور — بزخارف عالم حس مغرور
از موطن أصلى نيارى ياد — پيوسته بلهو ولعب دلشاد
(شير وشكر: القصيدة الأولى).

(٢) گنج علم ما ظهر مع ما بطن — گفت از إيمان بود حب الوطن
اين وطن مصر وعراق وشام نيست — اين وطن شهريست كآنرا نام نيست
زا انكه از دنياست اين أوطان تمام — مدح دنياكى كند خير الأنام
تودر اين أوطان غريبى اى پسر — خو بغربت كرده ى خاكت بسر
آنقدر در شهر تن ماندى اسير — كان وطن يكباره رفتت از ضمير
تا بكى اى هدهد شهر سبأ — در غريبى مانده باشى بسته پا

أنت في هذه الأوطان غريب يا فتى/ اعتدت الغربة، عيب عليك/
بقيت كل هذه المدة أسير مدينة الجسد/ ونسيت وطنك الأصلي (وطن الروح)/
حتى متى يا هدهد مدينة سبأ/ [1] تبقى في الغربة مقيد القدمين

إقليم النعيم، وطن الروح الأول، قبل أن يقيدها الجسد الترابي ويشدها إلى الأرض، هذا الوطن ليس من بلدان الدنيا، وهو الذي عناه الرسول ﷺ بقوله: «حب الوطن من الإيمان»، والروح الأسيرة، رسول العالم العلوي إلى العالم السفلي، المقيدة بأسر الجسد، لا يمكنها العودة إلى الوطن الأول، إلا بالتخلص من ربقة الجسد، وفك القيود التي تشدها إلى الأرض.

وكيف تفك الروح القيود التي تشدها إلى الأرض؟

بالمجاهدة مجاهدات المحبة، حيث تتفلت الروح من متطلبات الجسد، وبهذا يصبح الصوفي على باب الطريق إلى العودة، متذكراً سعادات المعرفة الأولى، حين يتوصل إلى السر الأزلي، ويقترب من العلم الحقيقي (معرفة الحق) أو العشق الإلهي، وهو الغاية التي يجاهد من أجلها المحبّون المغرمون بكمال الجمال، ويقطعون في مجاهداتهم مراحل الطريق مرحلة مرحلة حتى يبلغوا النهاية.

ما هو العلم الحقيقي في نظره؟

العلم الرسمي كله قيل وقال، لا يحصل منه جذبة أو حال.

. .العلم الحقيقي هو علم العشق وما عداه تلبيس إبليس الشقي[2].

---

(١) والهدهد هنا إشارة إلى طير الهدهد الذي تفقّده النبي سليمان، وجاءه بأخبار مدينة سبأ، وسبأ هنا مدينة الشرك أو الكفر، هي الجسد.

(٢) علم رسمى سر بسر قيل است وقال نه از وكيفيتى حاصل نه حال
علم نبود غير علم عاشقى ما بقى تلبيس إبليس الشقي

يعني بالعلم الرسمي ككل المتصوفة، وكما يوضّح بالتفصيل في عدد من قصائده، العلم الذي نتعلمه في المدرسة أي: النحو والرياضيات والفلسفة والفقه، هذه العلوم لا توصل إلى المعرفة الحقيقية، العلم الحقيقي هو علم العشق (العشق الإلهي)، أو معرفة الحق، وما عداه تلبيس إبليس الشقي..

ماذا يبغي العاشق من علم الرسوم، وإلى متى يسعى في طلبه، العلم الحقيقي الذي يجب أن يطلبه هو نور القلب، والصدر طوره (طور سينا)، هذا العلم ليس كتابياً ولا خطابياً إنه علم ذوقي، هذا العلم ليس جدالياً ولا مقالياً إنه حالي، علم العشق هو الذي يجدد الروح، وهو الذي معه مفتاح خزائن الجود، وهو الساري في ذرات الوجود، تعلّق بالعشق الذي هو العلم الحقيقي، بينما العلم الرسمي خسران كله، علم العشق خال من كيف ولماذا، ينبوعه علي العالي. أيها الساقي اسقني قدحاً من شراب «ألست» الذي لا يتعب رجلاً ولا يضغط على يد[1].

بعد أن تشعر الروح بالظمأ وهي مقيدة في ظلمة الجسد، تتوجه بكليتها إلى النور العلوي، فتضع قدماً في عالم آخر مختلف، أفضل وأجمل وأعلى، هو مدينة الروح، والعالم الجديد، مختلف من عالم الجسد، فتصبح خالصة مصفاة من تراب طهور، لا تخاف ناراً ولا برداً،

---

(١) از علم رسوم چه میجوئی ونور طلبش تاکی بوئی؟
علمه بطلب که بدل نورست سینه از تجلی آن طورست
علمی بطلب که کتابی نیست حالی است تمام ومقالی نیست
علمیکه بدهد بتو جان نو علم عشقت ز من بشنو
عشق است کلید خزاین جود ساری در همه ذرات وجود
علم رسمی همه خسرانست در عشق آویز که علم آنست
آن علم از چون وچرا خالیست سر چشمه آن علی عالیست
ساقی قدحی از شراب «الست» که نه خستش پانه فشردش دست
(شیر وشكر قصيدة ٥).

كل جهة في ذلك العالم الجديد تبدو متعة للناظرين، تفيض عليها الأنوار القدسية، فلا ترى إلا حسناً في حسن وجمالاً في جمال[1].

وهو يرمز إلى **المعرفة** بالخمرة المقدسة التي تهدي إلى خير السبيل، فليشربها بكثرة لضيق الوقت، فإن ما بقي من العمر غير كاف للتكفير عما مضى منه:

قد صرفت العمر في قيل وقال   يا نديمي قم فقد ضاق المجال
واسقني تلك المدام السلسبيل   إنها تهدي إلى خير السبيل

إنها النار المقدسة التي أضاءت للكليم موسى عليه السلام (معرفة الحق جلا وعلا) يوم طلب رؤية الحق جهاراً:

واخلع النعلين يا هذا النديم   إنها نار أضاءت للكليم
هاتها صهباء من خمر الجنان   دع كؤوساً واسقنيها بالدنان

وليشربها دون عصر (أي دون تمحيص)، لأن ما بقي من العمر لم يعد كافياً للقيل والقال:

ضاق وقت العمر عن آلاتها   هاتها من غير عصر هاتها

هذه الخمرة المقدسة، هي التي تزيل التوتر والقلق والهموم، وتريح الفكر والنفس من العلوم المجازية:

---

(١) چيست حكمت طائر قدس شدن   سير كردن در وجود خويشتن
ظلمت تن طى نمودن بعد از آن   خويشرا بردن سوى انور جان
پا نهادن در جهان ديگرى   خوشترى، زيبا ترى، بالاترى
كشور جان وجهان تازه يى   كش جهان تن بود دروازه يى
خالص وصافى شوى از خاك پاك   نه از آتش خوف ونه از آب پاك
هر طرف وضع رشيقى در نظر   هر طرف طور انيقى جلوه گره
هر طرف أنوار فيض لا يزال   حسن در حسن وجمال اندر جمال
(نان وپنير القصيدة الأولى).

قم أزل عني بها رسم الهموم إن عمري ضاع في علم الرسوم
قل لشيخ قلبه منها نفور لا تخف الله تواب غفور

الخمرة وحدها لا تكفي لحصول المعرفة، الخمرة يرافقها الغناء:

آه ما أجمل ما كان يقول في طريق الحجاز ذلك العربي بلحن الحجاز[١]، جمال هذا البيت في التجنيس بين الحجاز، وما يرمز إليه الحج من أنه طريق موصل إلى المعرفة الإلهية، وبين الغناء، وما يعنيه مقام الحجاز بالنسبة إلى السلم الموسيقي.

كل من لم يعشق الوجه الحسن قرب الرحل إليه والرسن[٢]

ثم يتساءل إن قيل لك أنه لم يبق من عمرك سوى سبعة أيام، وهذا أمر يقين، أنت في هذه الأيام السبعة ماذا تختار؟ الفلسفة أو النحو أو الطب أو النجوم أو الهندسة أو الرمل أو الأعداد المشؤومة[٣].

العلم الحقيقي ليس سوى علم العشق وما بقي من العلوم المجازية، ليس سوى تلبيس إبليس الشقي، وكذلك علم الفقه وعلم التفسير والحديث[٤].

هذه العلوم، لا تؤدي إلى **كشف السر**، حتى وإن كان تلاميذك

---

(١) وه چه خوش ميگفت در راه حجاز آن عرب شعرى بآهنگ حجاز

(٢) يعنى آن كس راكه نبود عشق يار بهر او بالان وأفسارى بيار
الأصل العربي للبهائي أيضاً. (نان وحلوا القصيدة السادسة).

(٣) گرگسى گويد كه از عمرت همين هفت روزى مانده واين گردد يقين
تو درين يك هفته مشغول كدام علم خواهى گشت اى مرد تمام
فلسفة يا نحو يا طب يا نجوم هندسة يا رمل يا أعداد شوم
(نان وحلوا القصيدة الثالثة).

(٤) علم نبود غير علم عاشقى ما بقى تلبيس إبليس شقى

مائة من أمثال «الفخر الرازي»، أي مهما بلغت درجتك الفقهية، فإنك ما لم تتعلم (العشق الإلهي) لن ينكشف لك السر ويزول الحجاب[1].

الخمرة والغناء والحبيب هي رموز العرفان الثلاثة التي سطعت في أشعاره، ولقد خلع البهائي على المحبوب الإنسان كل الصفات التي تجعل منه المعشوق الكامل الأوصاف.. وهو يدعو إلى الحب، فمن لا حبيب له لا روح له، والحب وحده يهذب النفوس ويعيد إليها فطرة الجمال الأولى:

من لم يبتل بحبّ وجه القمر الجميل/ امح اسمه من لوح الإنسانية[2]

...القلب الخالي من حب الجميلات صاحبات وجوه الورد شجرة قديمة يابسة الأغصان[3].

...والقلب الخالي من المعشوق ليس صدراً إنه صندوق قديم[4].

كل ما في العالم دليل على المعشوق، والعاشق لا يرى فيه غير معشوقه.

كل ما كان في العالم، كان ليلى/ نحن لا نرى فيه غيرها[5]

(ليلى) الرمز الأزلي للمعشوق، وطريق العشق الصعب، لا تقطعه إلا بالخطوة الصحيحة.

---

(١) علم فقه وعلم تفسير وحديث هست از تلبيس إبليس خبيث
زان نگردد برتو هرگز كشف راز گربود شاگرد تو صد فخر راز

(٢) هر كه نبود مبتلاى ماه رو اسم أو از لوح إنساني بشو

(٣) سينه خالى ز مهر گلرخان گهنه انبانى بود بر استخوان

(٤) سينه گر خالى ز معشوقى بود سينه نبود كهنه صندوقى بود
(نان وحلوا. القصيدة الثالثة).

(٥) هر چه در عالم بود ليلى بود ما نمى بينيم در وى غير وى

يـا بـهـائـي طـريـق الـعـشـق/ لـن تـقـطـعَـهـا إلا بـالـعـشـق[1]

العشق يؤدي إلى معرفة **الذات**، بدلاً من الوقوف أمام الصفات:

إلى متى هذا الحديث عن الهيولي[2]: توجه نحو المعنى (الذات) مباشرة ولا تتحدث عن الصورة[3].

وعلى هذا النسق يتابع حتى نهاية القصيدة، مؤكداً على تنوير القلب بالأنوار الجليَّة بعد أن يغسل عنه كل ما عدا حب الله، ويسميها الأوساخ[4].

مصطلحات التصوف والعرفان في شعر البهائي

كل الشعراء العرفاء يلتقون في التعبير المتقارب عن الحنين إلى الأصل الإلهي، والشوق إلى الصفاء الذي يعيد إلى الجنَّة المفقودة والنعمة المرجوة، نعمة اللقاء، والغرق في بحر السر، والتخلص من ربقة الجسد الكثيف، وذوق التصوف والعرفان فطري، وموهبة ربانية لا تأتي كغيرها من العلوم بالاكتساب والبحث والدرس والجدل.. وللشعراء العرفاء مصطلحات وتعبيرات مجازية سطعت في أشعارهم، لا يفهمها أو يتذوقها إلا من تمرس بقراءة هذا الشعر، وأدرك ما تعنيه هذه الرموز، يقول مرتضى مطهري: إنَّ للشعراء العرفاء مصطلحات خاصة يقابلون بها المرائين والمتظاهرين بالدّين، فحينما يخطئون الزهد مثلاً أو حتى

---

(١) اى بـهـائـي شـاهـراه عـشـق را جـز بـپـاى عـشـق نـتـوان كـرد طـى
(*غزليات جواهري* ص٧٧).

(٢) از هـيـولا تـابـكـى ايـن گـفـتـگـوى رو بـمـعـنـى آر واز صـورت مگـوى

(٣) القصيدة الثالثة من مثنوي «نان وحلوا».

(٤) سينه خود را برو صدر چاك كن دل از ايـن آلـو دگـيـهـا پـاك كـن

الإسلام، إنما ينظرون بذلك إلى الزهد والإسلام الكاذب، الذي لا يزال، في كل زمن سدّاً في طريق الإسلام الصادق، ولذلك فنحن نجد من هذه التعبيرات حتى لدى الشعراء الروحانيين، بل المجتهدين المتشرعين كالشيخ البهائي العاملي المهاجر إلى إيران[١]، ويعطي مثلاً شعرياً للشاعر العارف «شمس الدين المغربي» من القرن التاسع الهجري، وهو ممن يستعمل في شعره العرفاني كثيراً من هذه المصطلحات، يقول في ديباجة شعره:

. . إذا كنت من أرباب الإشارات فلا تجمد على ظاهر العبارات.

دقّـق الـنّـظـر كـي تـرى دقـيـقـا
واعـبـر مـن الـقـشـر كـي تـرى الـلـبـاب
فـلـكـلّ مـن هـذه الألـفـاظ روح
فـاعـبـر أنـت أجـسـام الـكـلـمـات إلـى أرواحـهـا
وكـن مـفـتّـشـاً عـن الـمـسـمـى واعـبـر الأسـمـاء
لا تـتـرك شـيـئـاً مـن دقـائـق هـذه الـمـعـانـي
كـي تـصـبـح مـن أربـاب الـحـقـائـق[٢]

هذه التعبيرات المجازية لا تختص بالشعراء الإيرانيين وحدهم، وإنما هي في شعر العرفانيين الهنود أيضاً، والشعراء العرب كذلك من أمثال ابن الفارض ومحي الدين بن عربي، وفي الكشكول نماذج كثيرة من شعر المتصوفة يمكن أن تؤلف دراسة شاملة مستقلة. ولقد ورد في شعر البهائي مصطلحات من قبيل:

الخمرة والحبيب: وهما رمزان لواجب الوجود المطلق ولمعرفته،

---

(١) *الإسلام وإيران* ص٢١٠.

(٢) *المرجع نفسه* ص٢١٤.

وهو يشرب خمرته (المعرفة الإلهية على ذكر الحبيب (الله عز وجل).

مغانه (خمرة الزرادشتيين)، پيرمغان (شيخ بيوت النيران) والشيخ هو ذلك الولي أو المرشد، وميخانه (الخمَّارة) ـ الجام (الكأس)، خانگاه: تكية الدراويش، ومن هذه الرباعيات في نزوعه العرفاني:

لقد خسرنا الدين والدنيا بنظرة واحدة ونحن مع ذلك فرحون.

أجل هذا من قمار الحب وليس في قمار الحب ندامة(١)..

نحن لا نريد من الحبيب سوى الحبيب، أما الحور العين والجنة فلك أيها الزاهد بسخاء(٢).

رأيتُ في حانوت الخمر زاهداً قد احمّر وجهه من الخمرة.

قلت له فليبارك الله إسلامك.

عمر قلوبنا بكرمك قبل أن تهرم هذه القلوب(٣).

ويقول:

أيها العقل الخجل من جهلنا وعدم معرفتنا.

لقد اختلط وتعجب كثيرون من حيرتنا وترددنا.

في حضننا صنم وجبهتنا في السجود.

---

(١) دين ودل بيك ديدن باختيم وخر سنديم
در قمار عشق اى دل كى بود پشيمانى؟

(٢) مازدوست غير از دوست مطلبى نمى خواهيم
حور وجنت اى زاهد ابرتو باد ارزانى

(٣) زاهدى بميخانه سرخ رومى ديدم گفتمش مبارك باد برتو إين مسلمانى
خانه ى دل ما را از كرم عمارت كن پيش از آنكه اين خانه رو نهد بويرانى
(جواهري ص٧٥).

لقد ضحك الكفر من إسلامنا[1].

ويقول:

أوقد شيخ المجوس نار الحديث/ رأى إيماني واحترق قلبه علي/
أخذ من خرقة الكفر شبه رقعة/ وأتى بها فخاطها على كم إيماني[2]

كما أن الغزل والخمرة رموز إلى المعرفة الصوفية:

الغزل بوجهيه المادي والمعنوي:

المعشوق: جميل، حاد الطبع، ناقض للعهد، متقلب الطباع، صاغ العالم من نظرة[3]، أما الخمرة فإنها المدام السلسبيل، وهي نار أضاءت للكليم (رمز المعرفة)[4].

---

(١) اى عقل خجل ز جهل ونادانى ما دَرهَم شده خلقى ز بريشانى ما
بت در بغل ويسجده بشيمانى ما كفر زده خنده بر مسلمانى ما
(جواهري ص٨٠).

(٢) دى پير مغان آتش صحبت افروخت ايمان مرا ديد ودلش بر من سوخت
از خرقه كفر رقعه وارى بگرفت آورده برآستين ايما نم دوخت
(جواهري ص٨١).

(٣) نان وحلوا قصيدة ٩ و١١.

(٤) نان وحلوا قصيدة ٣ وقصيدة ٩ وشير وشكر قصيدة ٣ و٤ و٧.

الباب الثالث
البهائي الفقيه

تمهيد: منهجه الفقهي.

الفصل الأول: علم الحديث.

الفصل الثاني: علوم القرآن.

الفصل الثالث: المسائل الاعتقادية.

الفصل الرابع: الاتجاه الفلسفي الصوفي.

تمهيد

منهجه الفقهي

«سلطان العلماء وتاج قمّتهم، برهان الفقهاء وتتمة أئمتهم، وخاتم المجتهدين وزبدتهم، وقدوة المحدّثين وعمدتهم»[1]، هكذا يعرّف صاحب «روضات الجنات» البهائي الفقيه، ولعلّ أحداً لا يلومه أو ينحي عليه بالمبالغة، لأنَّ بين الفقهاء من معاصريه من أجهد نفسه وكتب وألَّف في موضوع واحد، أو موضوعين، من موضوعات الفقه، في الأصول مثلاً أو التفسير، أو الحديث، أو الدعاء، أو غير ذلك. بيد أنَّ الشيخ البهائي لم يدع باباً من أبواب الفقه إلا طرقه، ولا طريقاً من طرقه إلا سلكها، فترك لنا نتاجاً متنوّعاً غنيّاً، وكان في كلّ ما كتب من الكتب والرسائل، في الأصول والحديث، يميل إلى الاختصار وحذف فضول الكلام، وهذه من أهم ميزات أسلوبه، فهو عالم رياضيّ يعطي العقل والمنطق الأهمية القصوى، لذلك جاء أسلوبه في ردّ بعض القضايا الأصولية وفي عرض بعض الأمور الاعتقادية، هادئاً، رصيناً، بعيداً من التوتر والانفعال والتعصّب الذي يميز غالبية معاصريه من فقهاء السنّة والشيعة[2].

(١) *روضات الجنات* ج٧ ص٦٣.

(٢) تكفي للمقارنة هذه مراجعة ما جاء في الردود المتبادلة بين المحقق الكركي =

وتتمحور شخصية بهاء الدين العاملي الفقهية حول ثلاثة مدارات:

١ ـ **المدار الأول**: هو اتباعه لخطى أبيه في العلوم الشرعية، وتأكيده على هذا الأمر مراراً وتكراراً: «والدي وأستاذي ومن إليه في العلوم الشرعية استنادي»[1]، وهذا يعني أنَّه اتّبع المنهج الأصولي والكلامي للشيخ حسين بن عبد الصمد، والتالي للشهيد الثاني: ويكفي أن نتذكر أنَّ الشيخ حسين بن عبد الصمد كتب إجازته لولديه بهاء الدين محمّد، وأبي تراب عبد الصّمد على ظهر إجازة الشهيد الثاني له وقال: «أجزت لولديّ... جميع ما تضمّنته هذه الإجازة، واحتوت عليه بالطرق المقرّرة فيها، وكذلك أجزت لهما... جميع ما تجوز لي روايته من طرق الخاصّة والعامّة، وجميع ما ألّفته نظماً ونثراً، شارطاً عليهما الاحتياط في الرواية، واتباع شرائطها المقرّرة عند أهل الرواية والدراية[2]»...

ويجيز الشيخ البهائي بدوره كذلك لتلاميذه، جميع ما انطوت عليه الإجازة التي أجازها الشيخ زين الدين لوالده[3].

وكذلك فقد تابع ما فعله والده الذي قيل «إنه أول من جدّد قراءة الحديث في بلاد العجم»[4]، في دعوته إلى تقصّي أخبار الأحاديث،

= والشيخ إبراهيم القطيفي، المتعاصِرينَ من الشيعة ورسائلهما مطبوعة في كتاب كلمات المحققين مع رسائل الشيخ البهائي، وكذلك ما جاء في كتابات ميرزا مخدوم الجرجاني من أهل السنة.

(١) *مشرق الشمسين وإكسير السعادتين* ص٢٧٩ *وأربعين شيخ بهائى* ص٢٦، *وبحار الأنوار* ج١٠٥ ص١٤٧.
(٢) *بحار الأنوار* ج١٠٥ ص١٩.
(٣) *المصدر نفسه* ج١٠٥ ص١٥١.
(٤) *أعيان الشيعة* ج٦ ص٦٠.

وضرورة الاعتماد على الصحيح منها في كثير من الأمور التشريعية، على اعتبار أن معرفة الأحاديث الصحيحة هي الضابط لسلوك الفقيه، وقد كان اهتمامه بنقل كتب الحديث، وقراءتها وتصحيحها عظيماً، كلّ ذلك اهتماماً منه بشأن الحديث، وحفظاً له من أن يتطرّق إليه ضياع أو تحريف، وبذلك كلّه كان محدّثاً كبيراً.

كما أنَّه اتبع خطى أبيه وخطى الشهيد الثاني في تسامحه الديني، وبعده من التّعصب المذهبي، بمفهومه المغلق الواحدي الجانب.

٢ ـ المدار الثاني: «..المترقي عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين»[١].

يُعد من هذا المنطلق من الأصوليين أو الاجتهاديين، الذين يقولون بأدلة الأحكام الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع **ودليل العقل**، وهو من هذه الناحية مناهض للإخباريين، الذين حصروا مصادرَهم في كتب الأخبار الأربعة المعروفة عند الشيعة[٢]، والتي يعتبرون أحاديثها عندهم قطعية السّند، موثوقة المصدر لا تحتاج إلى البحث عن السند أو علم الرجال، وأعرضوا عن دراية الحديث، وأغفلوا أقسامه، وأسقطوا من أدلة الأصوليين دليليْ العقل والإجماع، واقتصروا على الكتاب والخبر والسنة من طريق أهل البيت، وأوجبوا الاحتياط عند الشك في التحريم، ولو مع عدم سبق العلم الإجمالي[٣].

---

(١) *بحار الأنوار* ج١٠٥ ص١٤٨، العبارة للشيخ البهائي في مدح أحد تلاميذه.

(٢) الكتب الأربعة هي: ***الكافي*** لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، وكتاب ***من لا يحضره الفقيه*** لأبي جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق، ***والاستبصار وتهذيب الأحكام*** لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

(٣) *الكشكول للبحراني* ج٢ ص٣٨٦ ـ ٣٨٩. =

لقد ورث أصول الفقه والتحقيقات عن الفقهاء أسلافه، فنظر فيها بتدقيق عميق ـ وهذا من أهم ميزاته ـ فأبدى رأيه وفتواه في الخلافيات على ما يقتضيه التحقيق[1]، وقد جمع في «زبدة الأصول» آراء أهل السنة والشيعة، وحكى أدلتهم مهذّبة مرتّبة، وأدلى برأيه فيها، باذلاً وسعه في تحصيل الظنّ بالحكم الشرعي.

وهو لهذا كان يشترط في التلميذ ليجيزَه أن يكون مترقياً عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، أو متخلياً عن **ربقة التقليد**، متحلياً بحلية الاستدلال، وأن لا يروي كتب الحديث والفقه إلا لمن له أهلية الرواية[2].

٣ ـ المدار الثالث: جعل الفقه علماً ميسوراً لعامة الناس:

كان الفقه بالنسبة إليه هو المجال الحيوي للتعاطي اليومي مع الناس، والقناة التي من خلالها يتم التواصل بين التراث وبين الحاضر، فهو أول من ألّف في الفقه الميسّر «جامع عباسى»، وجعل المعارف الفقهية الأساسية في متناول طبقات الشعب المختلفة[3].

= ونفهم هنا لمَ لمْ يوثّق الفقهاء الإخباريون الشيخ البهائي كما أوردت بعض المصادر: راجع *أعيان الشيعة* ج٩ ص١٦٩ وص٢٤٣.

(١) مهدي الحسني الروحاني: مقالة عن الشيخ البهائي في مجلة *الثقافة الإسلامية* سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م عدد ٥ ص١٢٩.

(٢) بحار *الأنوار* ج١٠٥ ص١٤٩ وج١٠٦ ص١٥١ و١٥٧ و١٤٦.

(٣) أغلب الكتب الفقهية في وقته كانت عبارة عن شرح على آثار الكتّاب السابقين، أو شرح على شرح آخر، أو حاشية على شرح الشرح، هذه الشروح، والشروح فوق الشروح على موضوعات الكتاب الأصلية، جعلت الاستفادة من الكتاب الأصلي صعبة ومتعبة، وجعلت العلم الحقيقي مغلقاً على الأفهام: *تاريخ فرهنگ إيران* ص٢٤٥.

كما أنَّه بحكم وظيفته كشيخ للإسلام، صدرت عنه بعض الفتاوى في بعض الأمور اليومية المستجدَّة، وقد أثبتت لنا كتب التراث الكثير من فتاوى هذه المسائل الموجهة إليه من الشاه(١)، أو من رجال البلاط(٢)، أو من الفقهاء من معاصريه(٣).

نضيف هنا: أثره الباقي في تلامذته الكثيرين الذين ربَّاهم، ونهجوا النهج نفسه الذي خطَّه لنفسه ولهم(٤).

هذا النهج سبق به الشيخ بهاء الدين العاملي الفقهاء قبله وبعده في أمرين مهمّين:

أولاً: عمله على تنسيق النصوص التي يرجع إليها المجتهد في استنباط الحكم الشرعي من قرآن وحديث تنسيقاً موضوعياً، كما سنرى في «الحبل المتين» و«مشرق الشمسين» و«زبدة الأصول» خاصة: إذ يبدأ من الفرع الفقهي بشكل فتوى لينتهي منه وقد أصبح محصّلةَ عملٍ اجتهادي متكامل، أي نموذجياً، مروراً بالآلية التالية:

١ - الفرع الفقهي.

٢ - نصوص من القرآن والحديث توافق دائماً المسألة التي يتناولها بالدرس أو البحث مجتهداً دائماً في أن لا يدع واحداً منها.

---

(١) *سلافة العصر* ص٣٠٠ و*روضات الجنات* ج٧ ص٧٣.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٢ ص٤٤٢.

(٣) أسئلة الشاه نعمة الله الجزائري من معاصريه.

(٤) إنّ أحد تلامذته **زين الدين بن حاتم القدامي البحراني**، ذُكر في حقه أنه أول من نشر الحديث في بلاد البحرين، وقد كان قبل ذلك لا أثر له ولا عين بحسب تعبير *روضات الجنات*، وكان أستاذه يحضر دروسه بعد دراسته على الشيخ البهائي وعودته إلى البحرين، وكان فقيهاً معروفاً، ولما عوتب على ذلك قال: إنه قد فاق عليَّ وعلى غيري ما اكتسبه من علم الحديث.. وفيه دلالة على غاية مهارة الشيخ البهائي، *روضات الجنات* ج٧ ص٧٩.

٣ ـ نقد الحديث من حيث سندُه ولغتُه.

٤ ـ مناقشة الدلالات بيانياً وفقهياً واجتهادياً وأحياناً علمياً.

٥ ـ العودة إلى الفرع الفقهي[1].

«قيمة هذا المنهج هي في أنه يوفّر جهوداً كبيرة على طلاب الفقه، من العودة إلى المصادر الواسعة غير المفهرسة غالباً لآيات الأحكام والحديث ورجاله... نلاحظ أن هذا الاتجاه المنهجي لم يستمر من بعد الشيخ [البهائي].. كما أننا نلاحظ أن الأسباب التي نتصور أنها دعت الشيخ إلى القيام بمشروعه هذا ما زالت قائمة، بحيث أن الفقيه اليوم ما زال يعاني الكثير من تشابك المصادر وتداخلها، وفقدان المنهجية في وضعها»[2].

وهذا يعني أن الشيخ البهائي فكر منذ أربعة قرون بما هو حاجة، ما زالت ملحة حتى الآن في منهجة الدراسات الفقهية.

إن قدرة الشيخ البهائي على هذا التنسيق والتبويب سببها عقليته العلمية، وتأثير هذه العقلية على عمله فقيهاً، وسأشير إلى هذا الأمر في حديثي عنه عالماً.

ويتّضح من مؤلفاته أنه لم يرد أن تكون كتبه الفقهية بديلاً من كتب السابقين، وإنّما وضّح ونسّق الأمور التي وجد من المناسب شرحها وتوضيحها، وأعطى المفتاح الذي تستطيع بواسطته أن تسير في الطريق، درَس وحقَّق وقارن وغزبل ما جاء عن العلماء السابقين، وفي كل رأي

---

(١) سنورد أمثلة على كيفية استنباطه للحكم الشرعي في دراستنا المفصّلة لكتبه: في «بحث القبلة» من الحبل المتين.

(٢) الشيخ جعفر المهاجر. مقالة عن الشيخ البهائي في مجلة *الثقافة الإسلامية* العدد ٥ ص١٤٢.

أعطاه، كان على بيّنة من الفروقات الظاهرة بين الكتب السابقة.

مثلاً: أورد في كتاب «مشرق الشمسين» حديثاً موجوداً في «الكافي»، ولكنه نقله من التهذيب لزيادة وجدها فيه ولو طفيفة قائلاً: «وإنما أوردت هذا الحديث من التهذيب لا من الكافي لأجل هذه الزيادة»[١]، وكانت الزيادة كلمة واحدة.

ثانياً: أمرٌ آخر شديد الأهمية هو أنه لم يلجأ إلى التجريح أو الطعن برأي العلماء السابقين كما هي حال معاصريه، وكما تؤكد المقارنة بين بعض رسائله، ورسائل لمعاصريه مطبوعة معاً، لم يقل في حق غيره أكثر من «فلان لم يوف البحث حقّه في التأمل»[٢].

كما أنه لا يعيد بحثاً يكون قد بحثه في كتاب سابق، فإذا اضطر إلى أن يعيد حديثاً، يشير إلى موضعه في كتاب سابق له. مثلاً يقول أثناء حديث الوضوء في كتابه «مشرق الشمسين»: وقد أطنبت الكلام فيه في «الحبل المتين»[٣]، أو «قد أوردت في الحبل المتين حديثاً آخر.. مطابقاً لهذا الحديث»[٤].

---

(١) مشرق الشمسين ص٣٦١.

(٢) *المصدر نفسه* ص٣٣٨.

(٣) *المصدر نفسه* ص٣٣٩.

(٤) *المصدر نفسه* ص٣٦١.

الفصل الأول

علم الحديث

- رسالة الدراية
- الحبل المتين
- كتاب الأربعين حديثًا
- مشرق الشمسين وإكسير السعادتين

الفصل الأول

علم الحديث

من أهم الأسس والمباني التي يعتمد عليها الفقيه في استنباطه، ويرنو إليها المجتهد في اجتهاده، علم «دراية الحديث»، ومعرفة رجال الإسناد، لأنَّه يتضمّن قواعد الاستنباط واستخراج أحكام الشريعة، من هنا برزت ضرورة معرفة صحة إسنادها وتمييز نوعية أصنافها، للاطمئنان إلى صحة الحديث المأثور، وأوجز ما كتب في هذا الشأن هو: «وجيزة علّامةِ دهره وكبير علماء عصره، الشيخ محمد بهاء الدين العاملي، فإنها مفتاح لهذا العلم الأساسي، يجعل من طالب العلم مقتدراً على استخراج أمهات مسائله بأيسر طرق ممكنة»[١].

والشيخ بهاء الدين في اهتمامه بالحديث يسير على خطى أبيه، الذي سار على خطى الشهيد الثاني، أول إمامي ألَّف في الدراية، فقد اقتبس الشهيد الثاني الاصطلاحات من كتب العامة [أهل السنة][٢]، كما روى عن جماعة كثيرين من الخاصة والعامة في الشام ومصر وبغداد والقسطنطينية وغيرها[٣]، وقد شرح الشهيد الثاني سبب اهتمامه بعلم

---

(١) محمد هادي معرفة *«المقدمة الوجيزة في الدراية»* ص١.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٧ ص١٤٥ وص١٥٦، *وجبل عامل في التاريخ* ص٩٦.

(٣) *أعيان الشيعة* ج٦ ص٦٠ *وجبل عامل في التاريخ* ص٩٦.

دراية الحديث في إجازته لتلميذه الحسين بن عبد الصمد في قوله: «كان السلف همهم رعاية الأخبار بالهمم العالية والفطن الصافية، تارة بالحفظ لما يروونه، والفرق بين ما يقبلونه ويروونه، وأخرى بالتصنيف والإقراء والرواية على أكمل وجوه الرعاية.

ثم درست عوائد التوفيق، وطمست فوائد التحقيق، وذهبت معالم الشريعة النبوية في أكثر الجهات، وصارت الأحكام المصطفوية في حيّز الشتات، وبقي الأمر كما تراه، يروي إنسان هذا الزمان ما لا يحقق معناه ولا يعرف من رواه»[١].

وتلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد البهائي الذي كتب الشهيد له ما تقدم في إجازته، هو ثاني إمامي مؤلف في علم الدراية، وهو أول من نشر علم الحديث في إيران، وأول من استدلّ على «حجيَّة الاستصحاب بالروايات»[٢].

الوجيزة في الدراية

وجاء بعده ابنه الشيخ البهائي في كتبه الحديثية، **فنسّق وبوّب**، وهذا ما يميّز كتابته من كتابات السابقين والمعاصرين[٣]. وفي «الوجيزة في الدراية»[٤] بسط الكلام في هذا العلم واستقصى مسائله، وأنواع

(١) *بحار الأنوار* ج١٠٥ ص١٤٨.

(٢) *أعيان الشيعة* ج٦ ص٦٠ *وفقيه جبل عامل في التاريخ* ص٥٦.

(٣) أظهر صاحب «**المعالم**» الشيخ جمال الدين أبو منصور ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني، على ظهر نسخة من كتاب «*من لا يحضره الفقيه*» استنسخها لنفسه.. وبالغ في مقابلتها بالنسخ الكثيرة، وأظهر في خاتمة كل من أجزائها الأربعة ضجراً شديداً، من اختلافات أساس الفقه، ونظام الحديث في ذلك الزمان: *الأعيان* ج٥ ص٩٢.

(٤) *الوجيزة في الدراية*، طبعة جديدة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

الحديث، ومباحث الجرح والتعديل، وهو يقول عنها إنها رسالة عزيزة، تتضمن خلاصة علم الدراية، وتشتمل على زبدة ما يحتاج إليه أهل الرواية، جعلها كالمقدمة لكتاب «الحبل المتين»، وهي مرتّبة على مقدّمة وفصول ستة وخاتمة.

في المقدمة: يعرّف بعلم الدراية فيقول إنه علم يبحث فيه عن سند الحديث ومتنه، وكيفية تحمّله وآداب نقله، ويعرّف الحديث بأنه كل كلام يحكي قول المعصوم عليه السلام أو فعله أو تقريره، وإطلاقه عندنا على ما ورد عن غير المعصوم عليه السلام تجوز وكذلك الأثر، والحديث غير الخبر أو هو نفسه.

فالخبر: يطلق تارة على ما ورد عن غير المعصوم عليه السلام من الصحابي والتابعي ونحوهما، وأخرى على ما يرادف الحديث وهو الأكثر..

والحديث: قول المعصوم عليه السلام أو حكاية قوله أو فعله أو تقريره..

والسنّة: هي نفس الفعل والتقرير، فهي أعم من الحديث مطلقاً.

ومن الحديث ما يسمى **حديثاً قدسياً** وهو: ما يحكي كلامه تعالى غير متّحد بشيء منه، نحو قوله تعالى: «الصوم لي وأنا أجزي عليه»[1].

الفصل الأول: يتحدث فيه عن أنواع الحديث بالنسبة إلى متنه وسلسلة رواته إلى المعصوم، أي **سنده**.

فالمتواتر: إن بلغت سلاسله في كل طبقة حداً يؤمن معه تواطؤهم على الكذب.

---

(١) *الوجيزة* ص١ و٢ و٣ *والحبل المتين* ص٤، وقد عاد وكرر هذه المعاني في *مشرق الشمسين* ص٦٩.

والآحاد: إن كان لا يفيد بنفسه القطع بصدقه ولا يفيد بنفسه إلا ظناً.

والمستفيض: إن نَقَلَه في كل مرتبة أزيد من ثلاثة.

والغريب: إن انفرد به واحد في أحد المراتب.

والمسند: إن عُلِمَتْ سلسلتُه بأجمعها.

والمعلّق: هو ما حذف من أول إسناده، واحد أو أكثر على التوالي.

والمرسل: هو كل حديث حذف رواته أجمع، أو سقط واحد من آخر سلسلة إسناده.

والمنقطع: إن سقط من وسط سلسلة إسناده واحد.

والمعضِل: إن سقط من وسط سلسلته أكثر من واحد.

والمعَنْعَنْ: المروي بتكرير لفظة **عن**.

والمُضمَر: المطوي ذكر المعصوم عليه السلام.

والعالي: قصير السلسلة.

والمُسلسل: مشترك السلسلة كلا أو جلا في أمر خاص كالاسم والأولية والمصافحة والتلقيم.

الشّاذ: مخالف المشهور(١).

والصحيح: إذا كانت سلسلة السند أو رجاله إماميون ممدوحون بالتوثيق.

---

(١) *الوجيزة* ص٤ و٥ و*الحبل المتين* ص٤.

والحَسَن: إن شذّ بدون التعديل لكل الرواة أو بعضهم مع تعديل البقية.

والقوي: إن كان رجال السند مسكوتاً عن مدحهم وذمهم.

والموثَّق: إذا كان رجال السند من غير الإماميين كلا أو بعضاً مع توثيق الكل، ويسمى أيضاً قوي.

والضّعيف: ما عدا هذه الأربعة.

والمقبول: إن اشتُهِر العمل بمضمونه[1].

الفصل الثاني: تحدّث فيه عن الصدق في أنواع الحديث، فذكر أن الصدق في المتواترات مقطوع وفي الآحاد الصحاح مظنون.

ثم ذكر من عمل بالآحاد الصّحاح من المتأخرين ومن لم يعمل بها من القدماء، ورأي علماء السنة بها، ورأي الإمامية، فيقول إنه بسط الكلام في شرح الحديث الحادي والثلاثين من كتاب الأربعين[2].

الفصل الثالث: تحدّث فيه عن أنواع الأحاديث: كالمعلّل، والمدرج، والمدلَّس، والمقلوب، والمصحّف، والمتّفق، والمفترق، والمؤتلف، والمختلف، والمتشابه، وما كان من رواية الأقران أو رواية الأكابر عن الأصاغر[3].

الفصل الرابع: تحدث فيه عن صفات الراوي: ثقة ـ حجّة ـ عين ـ متقن ـ حافظ ـ ضابط ـ صدوق ـ مشكور ـ مستقيم ـ زاهد ـ قريب الأمر.

---

(١) *الوجيزة* ص٥ و*الحبل المتين* ص٥.

(٢) *الوجيزة* ص٧ ـ ٨ و*الحبل المتين* ص٥.

(٣) *الوجيزة* ص٨ و٩ و*الحبل المتين* ص٥.

وألفاظ الجرح: ضعيف، مضطرب، غال، مرتفع القول، متّهم، ساقط، ليس بشيء، كذوب، وضّاع، وما شاكلها[1].

الفصل الخامس: أنحاء تحمّل الحديث وهي سبعة:

١ ـ السماع من الشيخ.. ٢ ـ القراءة عليه.. ٣ ـ الإجازة.. ٤ ـ المناولة.. ٥ ـ أن يكتب له مرويّة بخطّه أو يأمر له بها.. ٦ ـ الأعلام.. ٧ ـ الوجادة..

الفصل السادس: تحدّث فيه عن آداب كتابة الحديث[2].

الخاتمة: ذكر فيها أنواع الأحاديث التي تضمّنتها كتب الخاصة والعامة: ذكر أهم كتب الحديث والتعريف بها وبأصحابها: (الأصول الأربعة وأصحابها المحمّدين الثلاثة) ثم يذكر خلاصة ما جمعه في كتاب «الحبل المتين»: خلاصة ما تضمّنته الأصول الأربعة، من الأحاديث الصّحاح والحسان والموثّقات، التي منها تستنبط أمهات الأحكام الفقهية، وإليها ترد مهمّات المطالب الفرعية، ويقول إنه سلك في توضيح مبانيها وتحقيق معانيها مسلكاً يرتضيه الناظرون بعين البصيرة، ويحمده المتناولون بيد غير قصيرة[3].

الحبل المتين

بعد رسالته في الدراية، التي اعتبرها مدخلاً إلى رحاب كتابه **الحبل المتين**، يعود في هذا الكتاب فيتحدث عن أهمية علم الحديث، ومكانته بالنسبة إلى التشريع فيقول: إن أهم ما توجّهت إليه الهمم

(١) *الوجيزة* ص٩ و١٠ *والحبل المتين* ص٥.

(٢) *الوجيزة* من ص١٠ ـ ١٥ *والحبل المتين* ص٦.

(٣) *الوجيزة* من ص ١٦ ـ ١٩ *والحبل المتين* ص٧.

العوالي، وأحق ما تقضّت عليه الأيام والليالي، هو العلوم الدينية، التي عليها مدار أمر الإسلام، والمعارف المليّة التي إليها دعا الأنبياء عليهم السلام، سيّما علم الحديث **ودرايته ونقله** وروايته، والبحث عن حاله والتفحّص عن رجاله، والوقوف على رموزه أو الوصول إلى كنوزه، فإنَّه بعد علم التفسير منبع العلوم الشرعية...

وهذا الكتاب بذلتُ فيه جهدي... ينطوي على عيون الأحاديث الواردة في الأحكام العملية، ويحتوي على خلاصة ما رواه أصحابنا رضي الله عنهم بالأسانيد المعتبرة عن العترة النبوية، كنز مذخور بصحاح الأحاديث وحسانها...[1].

هذا هو إذاً كتاب الحبل المتين جمع فيه صاحبه الأحاديث الصحاح والحسان، ووشّح هذه الأحاديث بتفسير مبانيها وتقرير معانيها، وتبيّن النكات، وتوضيح المغلقات، واستكشاف الدلائل، واستنباط المسائل «مما سنح به النظر القاصر وانتهى إليه الفكر الخاسر».

ثم هو يحتمل أن يجد فيه طالب الحديث ما لم يطرق سمعه، ويجد فيه ما لم يألفه، لذلك هو يطلب من القارىء أن يتبصّر في معانيه ولا يتعجل بانتقاده[2].

ثم يتحدث عن المنهج الذي اتبعه وعن ترتيب الكتاب وأبوابه ـ ومنهجه فيه هو الجديد فعلاً بالنسبة إلى كتب الحديث التي أخذ عنها ـ فيقول:

«ورتبته على أربعة مناهج: أولها في العبادات، وثانيها في العقود،

---

(١) *الحبل المتين* ص٨.

(٢) *الحبل المتين* ص٩.

وثالثها في الإيقاعات، ورابعها في الأحكام»[١]. . فيجعل أقسام الكتاب في أربعة مناهج، ويقسم المنهج إلى كتب، والكتب إلى أبواب، والباب إلى مقاصد، والمقصد إلى جملة والجملة إلى فصول. . وقد شرح من الأحاديث ما يحتاج إلى البيان والتفسير، ورفع التنافي بينها على وجه حسن في ما يظن فيها التنافي بحسب الظاهر، وقد اقتضى ذلك منه لغة تفصيلية نقدية، تصل في نقديتها أحياناً كثيرة إلى تفتيت النص وفحص مفرداته وروابطه، ومستوياته التعبيرية، وصوره الفنية ودلالاته، وله ذوقٌ أدبي في تفسير الروايات، وشرح ألفاظها، واستعمالاتها المجازية المغفول عنها:

كأن يستطرد في شرحه لأحد الأحاديث المتعلقة بالوضوء، إلى تبيان دلالة الجملة الخبرية فيه، ثم يتحدث عن مواقع الجملة الخبرية، ومتى ترد مورد الجملة الإنشائية، والفرق بين استعماليهما في الكلام[٢]. . .

أو يستطرد إلى شرح آية تناسب المقام[٣].

أعطي مثلاً لما عنيته بتفتيت النص والبحث عن دلالاته المعنوية واللغوية والبيانية في شرحه لهذا الحديث: «هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقامهن، وحافظ على مواقيتهن لقي الله يوم القيامة، وله عنده عهد يدخله به الجنة، ومن لم يصلّهن لمواقيتهن، ولم يحافظ عليهن، فذلك إليه إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه». . . اللام في قوله: «لم يصلّهن لمواقيتهن» إما بمعنى «في» كما في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ

(١) *المصدر نفسه* ص٥.

(٢) *المصدر نفسه* ص٤٠.

(٣) *الحبل المتين* ص٨٠.

﴿ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أو بمعنى «بعد» كما قالوه في قوله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، وبمعنى «عند» كما في قولهم: «كتب الكتاب لخمس خلون من شهر كذا»، والمجرور في قوله: «ولم يحافظ عليهن»، إما عائد إلى الصلوات أو إلى المواقيت، والسلامة من تشويش الضمائر تعضد الأول، ورعاية اللف والنشر تعضد الثاني، والجار والمجرور في قوله: «فذلك إليه» خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: «فذلك أمره إليه سبحانه»، ويحتمل أن يكون المراد هو الخبر عن اسم الإشارة، أي: «فذلك الشخص سائر إلى الله راجع إليه، وإن شاء غفر له وإن شاء عذبه»[1].

ونأخذ نموذجاً آخر من كتاب الحبل المتين وهو «**مبحث القبلة**»[2]، للدلالة على منهجه المتكامل في البحث:

١ ـ أورد أولاً **المسألة الفقهية وهي**: «وجوب استقبال القبلة في الصلاة والاجتهاد فيها بقدر الإمكان».

٢ ـ أورد الأحاديث التي تؤيد ذلك، وهي أربعة أحاديث.

٣ ـ نقد الحديث من حيث سنده ولغته:

شرح أولاً معنى القبلة في اللغة فقال: «إنها الحالة، التي عليها الإنسان حال استقبال الشيء، ثم نقلت في العرف إلى ما يجب على المكلف استقبال عينه وجهته في الصلاة المفروضة، وذلك عند التحقيق هو الفضاء الواقع فيه البيت.. الممتد منه إلى السماء... وإن قبلة القريب هي عين الكعبة وقبلة البعيد جهتها... «ثم شرح كل حديث من

---

(١) *المصدر نفسه* ص٩.

(٢) *المصدر نفسه*: الفصل الأول من المقصد السادس من ص ١٨٩ إلى ص١٩٩.

الأحاديث الأربعة التي أوردها من حيث سنده ولغته ودلالته الفقهية..

ثم ذكر علامات القبلة كما وردت في كتب الأصول الأربعة، والعلامات التي ذكرت في كتب الفروع ودلالاتها.

٤ ـ **ثم يناقش هذه الدلالات اجتهادياً**[(١)]: يقول إن أكثر علامات القبلة «مستنبط مما دلت عليه قواعد علم الهيئة فإن المراد في تعيين سمت القبلة في البلاد البعيدة على ما يقتضيه قواعد ذلك العلم».

وهنا يظهر لنا بشكل واضح جليّ تأثير نضجه العلمي على آرائه فقيهاً، إذ يورد أولاً رأي الفقهاء الذين لا يعوّلون على كلام علماء الهيئة وحججهم، ثم يرد عليهم جملة وتفصيلاً معتمداً مثلهم على النصوص، وعلى أدلة العقل: «..فإن قلتَ (المخالف) جواز التعويل في القبلة على قواعد علم الهيئة مشكل جداً لابتنائها على كروية الأرض، وما ذكروه في إثبات كرويتها، لا يثمر ظناً بذلك، فضلاً عن القطع، مع أن الفقهاء وسائر أهل الشرع لا يوافقونهم على كرويتها بل ينكرونها، والآيات الكريمة، أعني قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، وقوله جلّ وعلا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾، وقوله عزّ شأنه: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ تدل على عدم كرويتها، بل ينبغي القطع بعدم جواز التعويل على كلام علماء الهيئة في باب القبلة وغيره، لأنّ شيئاً من كلامهم لا يفيدنا علماً ولا ظناً، إذ لا وثوق لنا بإسلامهم فضلاً عن عدالتهم، فكيف يحصل لنا علم أو ظن بصحة ما يلقونه إلينا من قواعدهم، وكيف يجوز لنا التعويل على كلامهم قبل ثبوت مضمونه شرعاً».

٤ ـ بعد أن يورد الرأي المخالف يناقشه فقهياً وعلمياً:

---

(١) *الحبل المتين* ص١٩٥.

«قلت أما ما ذكرت من ابتناء قواعدهم على كروية الأرض فحق، وأما قولك ما ذكروه في إثبات كرويتها لا يثمر ظناً فخلاف الواقع، إذ إفادة الدليل: الآيات المفصّلة في محالها الظن بكروية الأرض مما لا مجال للريب فيه... وأما ما ذكرت من أنَّ أهل الشرع ينكرون كرويتها فليس كما **زعمت**، وكلامهم ينادي بخلافه، قال العلامة[1] في كتاب الصوم من «التذكرة»: «إنَّ الأرض كرة فجاز أن يُرى الهلال في بلد ولا يظهر في آخر، لأن كروية الأرض مانعة لرؤيته، وقد رصد ذلك أهل المعرفة، وشوهد بالعيان: إخفاء بعض الكواكب الغربية لمن جدّ في السير نحو المشرق... وقال ولده «فخر المحققين»[2] في «الإيضاح»: «إن الأرض كروية لأن الكواكب تطلع في المساكن الشرقية، قبل طلوعها في المساكن الغربية، وكذا في الغروب، فكل بلد غربي يبعد عن الشرقي بألف ميل يتأخر غروبه عن غروب الشرقي بساعة واحدة، ثم إنه طاب ثراه، بسط الكلام في ذلك بما لا مزيد عليه، وأما ما ظننت من إفادة الآيات الكريمة عدم الكروية فليس كذلك، إذ كون الأرض بجملتها كرة لا ينافي امتنانه سبحانه بجعلها فراشاً للناس ومهاداً لهم، ومبسوطة لمنافعهم، فإن عظم حجمها لا يأبى ذلك، وقد نقل الشيخ الجليل أبو علي الطبرسي في مجمع البيان مثل هذا عن السيد المرتضى، وإن المستدرك على عدم كرويتها بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[3]، هو أبو علي الجبَّائي، وأنه لا دلالة في الآية الكريمة على ما

---

(١) **العلامة**: أبو منصور جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي، المعروف بالعلامة ولد سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م، بلغت تصانيفه مائة وعشرين مجلدة، وبينه وبين ابن تيمية مراسلات، ومناظرته مع العلماء في بلاط السلطان أولجايتو المغولي مشهورة. ترجمته في *أعيان الشيعة* ج٥ ص٣٩٦ إلى ٤٠٣.

(٢) **فخر المحققين**: فخر الدين محمد ابن العلامة الحلي.

(٣) ج١/ سورة البقرة، آية ٢٢.

زعمه، وقال في «الكشاف» عند تفسير هذه الآية، أعني قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾: فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكروية، قلت ليس فيها إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش، وسواء كانت على شكل المسطح أو شكل الكرة، فالافتراش غير مستنكر، ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها، وتباعد أطرافها... وأما قولك ينبغي القطع بعدم جواز التعويل على كلام علماء الهيئة في باب القبلة وغيره، فما لا يلتفت إليه بعد تصريح محققي علمائنا بخلافه...

وأما ما زعمت من أن شيئاً من كلامهم لا يفيد علماً ولا ظناً، فبعيد عن جادة الإنصاف جداً، وكيف لا يفيد شيء من كلامهم علماً ولا ظناً، وقد ثبت أكثره **بالدلائل الهندسية والبراهين المجسطية التي لا يتطرق إليها شبهة**، ولا يحوم حولها وصمة ريب...

وأما قولك أنه لا وثوق لك بإسلامهم فضلاً عن عدالتهم، فكيف يجوز التعويل على كلامهم قبل تيقّن مضمونه، فكلام عار عن حلية السداد، إذ اليقين غير شرط، ورجوع الفقهاء في ما يحتاجون إليه من كلِّ فن إلى علماء ذلك الفن، وتعويلهم على قواعدهم، إذا لم تكن مخالفة لقانون الشرع شائع، ذائع، معروف في ما بينهم خلفاً عن سلف، كرجوعهم في مسائل النحو، وفي مسائل اللغة إلى النحاة، وفي مسائل الطب إلى الأطباء، وفي مسائل المساحة والجبر والمقابلة والخطأين، وما شاكلها إلى أهل الحساب، من غير بحث عن عدالتهم وفسقهم، بل يأخذون عنهم تلك المسائل مسلّمة ويعملون بها من دون نظر في دلائلهم التي أدتهم إليها، لحصول الظن الغالب، بأن الجم الغفير من الحذاق في صناعة من الصناعات، إذا اتفقت كلمتُهم على شيء مما يتعلق بتلك الصناعة فهو أبعد من الخطأ، وهذا من قبيل الظن الحاصل بخبر الشياع..

وليت شعري كيف يفيدك كلام «الجوهري»[1] مثلاً الظن في المسائل اللغوية، فتتبعه في جميع ما يلقيه إليك من معاني ألفاظ الكتاب والسنة، ولا يفيدك كلام المحقق[2] نصير الملة والدين، مع جم غفير من علماء الهيئة، الظن في ما يلقونه إليك في مسألة واحدة من مسائل الفن، بل كيف تعوّل على كلام فلان المتطبّب اليهودي، إذا أخبر المريض الفلاني مما يضرّه الصوم، ويتحتم له الإفطار، أو يضرّه القيام أو القعود في الصلاة، ويتعين له الاستلقاء مثلاً، فتفطر في شهر رمضان، وتصلي مستلقياً مومياً أياماً عديدة، لاعتمادك على كلامه، لما بلغك من حذاقته، في ما يتعلق بفنّه، فبالأولى أن تقبل قول جماعة متكثّرة من علماء الإسلام في ما يتعلق بفنهم، مع إطباق الخاص والعام على حذاقتهم في ذلك الفن إلى ما لا مزيد عليه»[3]..

شرح الأربعين حديثاً

يحتوي هذا الكتاب على أربعين حديثاً من الصّحاح، في السنن والآداب الدينية والأحكام الفقهية:

أوله: إن أحسن حديث تحلّى اللسان بجواهر حقائقه، وخير خبر

---

(١) **الجوهري**: (... ـ ٣٩٣هـ = ... ـ ١٠٠٣م) إسماعيل بن حمّاد الجوهري، أول من حاول الطيران ومات في سبيله. لغوي، وخطه يُذكر مع خط ابن مقلة، أشهر كتبه (الصحاح. ط) مجلدان، وله كتاب «العروض» ومقدمة في «النحو» أصله من فاراب، دخل العراق صغيراً، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور وفيها مات... (الصالح ـ دراسات في فقه اللغة ص١٣ ج١ ـ *الأعلام* ج١ ص٣١٣).

(٢) المحقق نصير الملة والدين: هو المحقق نصير الدين الطوسي. سيأتي تعريفه في باب البهائي العالم.

(٣) *الحبل المتين* ص١٩٦.

تجلّى الإنسان في زواهر حدائقه، حمدُ الله سبحانه على نِعَمِه المسلسلة المتواترة، وشكره على مِنَنِه المستفيضة المتكاثرة. . .

آخره: اتفق الفراغ من مشقَّة مَشْقِهِ ضحوة يوم الإثنين، ثالث العُشر الثالث من ثاني شهور السنة الخامسة، من العشر العاشر، من المائة العاشرة، من هجرة سيّد المرسلين على يد مؤلفه. . . محمد المشتهر ببهاء الدين العاملي، وفّقه الله للعمل في يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده، بمحروسة أصفهان، حرست من بوائق الزمان، وطوارق الحدثان، والحمد لله أولاً وآخراً، وباطناً وظاهراً. . .

الحديث الأول في أجر الشخص الذي يحفظ أربعين حديثاً: واستفاض البهائي في شرح المقصود من حفظ الحديث، ثم شرح معنى الحديث، ولماذا سمي حديثاً، وحاجة الأمة إلى الحديث. .

ثم ذكر في الحديث الأول، بالتفصيل سلسلة إسناده، وأنَّه سمع آخر هذه الأحاديث من والده وأستاذه في يوم الثلاثاء الثاني من شهر رجب المرجّب سنة ٩٧١هـ (١٥٦٣م)، في منزلهم في المشهد المقدّس الرضوي، ووالده يروي عن أستاذه الشهيد الثاني، الشيخ زين الملة والدين العاملي. . .

وقد عرّف البهائي بأصحاب السّند تعريفاً كاملاً وافياً(١).

هذا الكتاب ترجمه إلى الفارسية في حياة المؤلف، محمد بن علي المشتهر بابن خاتون العاملي بأمر من ملك الهند السلطان محمد قطب شاه سنة ١٠٢٧هـ (١٦١٧م)، وقد أثنى الشيخ البهائي على الترجمة، وحكم بأنها حسنة جداً، وقد طبعت الترجمة أيضاً في إيران سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

---

(١) *اربعين شيخ بهائى* من ص ٢٦ إلى ٣١.

إن المنهج الذي اتبعه في دراسة الأحاديث الأربعين هو التالي:

١ ـ التعريف بأصحاب السَّند والرواة تعريفاً كاملاً، ورأي علماء الحديث بهم.

٢ ـ شرح المعنى اللغوي للحديث.

٣ ـ موافقة الحديث لما جاء في القرآن.

٤ ـ المقارنة بينه وبين أحاديث أخرى لها معنى مشابه رويت عن النبي والأئمة عليهم السلام.

مشرق الشمسين وإكسير السعادتين

جمع بهاء الدين العاملي في هذا الكتاب بين أحكام الكتاب والسنّة، وقد بدأ فيه بمقدمات عامة في أربع عشرة صفحة، شرح فيها ووضّح ما كان قد أجمله في «وجيزة الدراية» وفصّل الحديث عن أقسام الخبر، وشرائط قبوله، وأقسامه في اصطلاح المتأخرين، ورأى أن العلماء المتأخرين استقروا على تنويع الحديث المعتبر، ولو في الجملة على الأنواع الثلاثة المشهورة، الصحيح والحسن والموثّق: بأنه إن كان جميع سلسلة إسناده إماميين ممدوحين بالتوثيق فصحيح، أو إماميين ممدوحين بدونه أو كلا أو بعضاً مع توثيق الكل **فموثّق**، وهذا الاصطلاح لم يكن معروفاً بين قدماء المحدّثين كما هو ظاهر لمن مارس كلامهم، بل كان المتعارف بينهم إطلاق الصحيح على كل حديث صحيح، اعتضد بما يقتضي اعتمادهم عليه، واقترن بما يوجب الركون إليه، وبعد أن ذكر الأمور التي يعتمد عليها المحدّثون لمعرفة الأحاديث الصحيحة، وتسمية الكتب التي تعتبر ثقة، ومن بينها بعض الكتب لغير الإمامية، قال إن ابن بابويه القمي، جرى على متعارف المتقدمين، في

إطلاق الصحيح على ما يركن إليه ويعتمد عليه... وقال أيضاً إنه قد سلك على ذلك المنوال جماعة من أعلام علماء الرجال، فحكموا بصحّة أحاديث بعض الرواة غير الإمامية؛ كما لاح لهم من القرائن المقتضية للوثوق بهم والاعتماد عليهم، وإن لم يكونوا في عداد الجماعة الذين انعقد الإجماع على تصحيح ما يصحّ عنهم..

ثم بيّن السبب الذي جعل المتأخرين يعدلون عن متعارف القدماء، ويصنعون الاصطلاح الجديد «الموثّق»، وهو أنه: «لما طالت المدة بينهم وبين الصّدر السالف، وآل الحال إلى اندراس بعض كتب الأصول المعتمدة، المأخوذة من غير المعتمدة، واشتبهت المتكررة في كتب الأصول بغير المتكرّرة، وخفي عليهم كثير من تلك الأمور، التي كانت سبب وثوق القدماء بكثير من الأحاديث، ولم يمكنهم الجري على أثرهم في تمييز ما يعتمد عليه، مما لا يركن إليه، فاحتاجوا إلى قانون تتميّز به الآحاد المعتبرة عن غيرها، والموثوق بها عما سواها... فقرروا ذلك الاصطلاح الجديد، وأول من سلك هذا الطريق الحسن بن المطهّر الحلّي»[1].

وبعد أن أكّد أنَّ بعض العلماء السابقين اكتفوا في بعض الأحيان بخبر الواحد، وقبول شهادة الواحد في بعض المواد، بل شهادة **المرأة الواحدة** في بعض الأوقات عند أكثرهم، قال: «...لقد بالغ بعض المعاصرين في الإصرار على اشتراط العدلين في المزكّى نظراً إلى أنّ التزكية شهادة، ولم يوافق القوم على تعديل من انفرد الكشي، أو الشيخ الطوسي أو النجاشي أو العلامة بتعديله، وجعل الحديث الصحيح عند التحقيق منحصراً في ما توافق اثنان فصاعداً على تعديل رواته، ويلزمه

(١) مشرق الشمسين ص٢٧٣.

عدم الحكم بجرح من تفرّد من هؤلاء بجرحه، وهو يلتزم ذلك، ولم يأت على هذا الاشتراط بدليل عقلي أو نقلي تركن النفس إليه[1]»..

ويتابع منتقداً معاصريه من العلماء: «...لو كان هؤلاء الذين كتبهم في الجرح والتعديل بأيدينا في هذا الزمان، ممن شهد عند كل واحد منهم عدلان بحال الراوي، أو كانوا من الذين خالطوا رواة الحديث، واطلعوا على عدالتهم لتمَّ الدّست، والله سبحانه أعلم بحقائق الأمور..»[2].

أما رأيه بالنسبة إلى صفات الراوي فهو أنه «يجب الترجيح بكثرة العدد وشدة الورع، والضبط وزيادة التفتيش عن أحوال الرواة، لأن «هذا ما ذكره علماء الأصول منَّا ومن المخالفين، وظنّي أن إطلاق القول بالجرح غير جيّد.. كما أنَّ المعتبر توثيق الراوي وقت حال الأداء، لا وقت التحمّل...»[3].

..ثم بعد أن انتهى من مناقشة ما جاء في باب الجرح والتعديل عند العلماء السابقين واللاحقين، بيّن أساليب كتب الفقه الأربعة، فإن كلاً من المحمّدين الثلاثة سلك مسلكاً لم يسكله الآخر، فأبو جعفر الكليني يذكر في كل حديث جميع سلسلة السّند بينه وبين المعصوم، أما ابن بابويه القمي فرأيه في كتاب «من لا يحضره الفقيه» ترك أكثر السّند والاقتصار في الأغلب على ذكر الراوي الذي أخذ عن المعصوم، ثم إنّه ذكر في آخر الكتاب طريقه المتصل بذلك الراوي، وأما أبو جعفر الطوسي فيجري في كتابي «التهذيب» و«الاستبصار» على وتيرة الكليني،

(١) (٢) مشرق الشمسين ص٢٧٣.
(٣) مشرق الشمسين ص٢٧٤.

فيذكر جميع السند، وقد يقتصر على البعض، فيذكر أواخر السند ويترك أوائله، وكل موضع سلك فيه هذا المسلك، أعني الاقتصار على ذكر البعض، فقد ابتدأ فيه بذكر صاحب الأصل الذي أخذ الحديث من أصله، أو مؤلف الكتاب الذي أخذ الحديث من كتابه، وذكر في آخر الكتابين بعض طرقه إلى أصحاب تلك الأصول، ومؤلفي تلك الكتب(١).

ويكمل البهائي المقدمة موضحاً الاصطلاحات التي يستعملها في ذكر أسانيده ويوضح المختصرات التي استخدمها.

وبعد هذه المقدمات التي بلغت أربع عشرة صفحة يقول: «وحيث قدّمنا ما لا يستغنى عنه في المقدمات، فقد حان الآن أن أشرح المقصود فأقول: رتّبت الكتاب المسمى بمشرق الشمسين على أربعة مناهج:

أولها: في العبادات، **وثانيها**: في العقود، **وثالثها**: في الإيقاعات، **ورابعها**: في الأحكام. المنهج الأول في العبادات وفيه ستة كتب: كتاب الطهارة، وفيه **مسالك**، **المسلك الأول** وفيه مقاصد، **المقصد الأول** وفيه مطلبان: **المطلب الأول** في تفسير الآية الكريمة الواردة في بيانه: قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾(٢)، والكلام في ما يتعلق بتفسير هذه الآية الكريمة، يستدعي إطلاق عنان القلم بإيراد اثني عشر درساً(٣).

(١) *المصدر نفسه* ص٢٧٩.

(٢) ج٧، سورة المائدة، آية ٦.

(٣) *مشرق الشمسين* ص٢٧٩ ـ ٢٨٠ وهذه من الإثنا عشريات الخمس التي ذكر أنها من مؤلفات الشيخ البهائي.

وعلى هذا النسق من الترتيب والتبويب الذي لم يسبق إليه، والذي ميّزه من الآخرين، كلّ الآخرين الذين أتوا قبله والذين أتوا بعده، يسير حتى نهاية الكتاب.

وسأورد نموذجاً واحداً للدلالة على منهجه في هذا الكتاب، وهو التوفيق بين الكتاب والسنة، ما ورد في الفصل الأول من المسلك الثاني «في الطهارة الترابية» أو «التيمم» ورد في الكتاب العزيز من بيان التيمم، قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾[1].

وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾[2].

يقول: لنذكر ما يتعلق بالتيمم في ثلاثة دروس:

١ ـ درس: قدم سبحانه في الآيتين حكم الواجدين للماء القادرين

---

(١) ج٥، سورة النساء، آية ٤٣.

(٢) ج٧، سورة المائدة، آية ٦.

على استعماله، ثم أتبع ذلك بأصحاب العذر، فقال جلّ شأنه: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ والمراد به والله أعلم المرض الذي يضرّ معه استعمال الماء، والذي يوجب العجز عن السعي إليه، وعن اسعماله، فظاهر الآية الكريمة يشمل كل ما يصدق عليه اسم المرض، لكن علماءنا... مختلفون في اليسير ومثّلوه بالصداع ووجع الضّرس..

وقوله سبحانه فلم تجدوا ماء، يراد به والله أعلم ما يكفي الطهارة، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى في كفارة اليمين، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام، فمن لم يجد فإطعام عشرة مساكين، ففرضه الصيام، وقد حكم الكل أنه لو وجد إطعام أقلّ من عشرة لم يجب عليه ذلك، وانتقل فرضه إلى الصوم ولا يخفى أن البحث إنما هو في من هو مكلّف بطهارة واحدة.

ويمكن أن يراد بعدم وجدان الماء عدم التمكن من استعماله، وإن كان موجوداً، فيدخل المرض في خطاب ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ﴾ ويسري الحكم إلى كل من لا يتمكن من استعماله، كفاقد الثمن أو الآلة أو الخائف من لص أو سبع ونحوهم، وهذا التفسير وإن كان فيه تجوّز، إلا أنه هو المستفاد من كلام محققي المفسرين من الخاصة والعامة...

٢ ـ درس: اختلف كلام أهل اللغة في الصعيد، فبعضهم كالجوهري[١]، قال: التراب، ووافقه ابن فارس[٢] في المجمل، ونقل

---

(١) *الجوهري*: مر التعريف به ص٥٢٣.

(٢) **ابن فارس**: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٢٩ ـ ٣٩٥هـ = ٩٤١ ـ ١٠٠٤م) من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه بديع الزمان الهَمَداني والصاحب بن عبَّاد وكتابه المجمل لم يزل مخطوطاً: (الصالح) *دراسات في فقه اللغة* ص٥٥ ج٣ *والزركلي* ج١ ص١٩٣.

ابن دريد[1] في الجمهرة عن أبي عبيدة[2].

إنه التراب الخالص، الذي لا يخالطه سبخ ولا رمل، ونقل الشيخ أبو علي الطبرسي[3] في مجمع البيان عن الزجّاج[4]، أن الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض، تراباً كان أو غيره، وسمي صعيداً لأنه نهاية ما يصعد من باطن الأرض، وقريب منه ما نقله الجوهري، عن ثعلب[5]، وكذا ما نقله المحقق[6] في المعتبر عن الخليل[7] عن ابن الأعرابي[8]، ولاختلاف أهل اللغة في الصّعيد اختلف فقهاؤنا في التيمم..

---

(١) **ابن دريد**: محمد بن الحسن (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ = ٨٣٨ ـ ٩٣٣م)، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء وكتابه: *«الجمهرة»* مطبوع في أربعة مجلدات: *دراسات في فقه اللغة* ص٦٩ ج١، *والزركلي* ج٦ ص٨٠.

(٢) **أبو عبيدة**: معمر بن المثنّى البصري (١١٠ ـ ٢٠٩هـ) = ٧٢٨م من أئمة العلم بالأدب واللغة، له نحو ٢٠٠ مؤلف قال عنه الجاحظ: «لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه» كان أباضياً، شعوبياً، من حفّاظ الحديث. *دراسات في فقه اللغة* ص٧٤ ج٣. *والزركلي* ج٧ ص٢٧٢.

(٣) **الطبرسيّ**: مر التعريف به في كتاب *الكشكول* ص٣٢٩.

(٤) **الزجّاج**: إبراهيم بن السَّري بن سهل أبو إسحق الزجاج (٢٤١ ـ ٣١١هـ = ٨٥٥ ـ ٩٢٣م) عالم *بالنحو واللغة*، ولد ومات في بغداد.. *معجم الأدباء*.

(٥) **ثعلب**: ج١ ص٤٧ *والأعلام* ج١ ص٤٠، هو أحمد بن يحيى، أبو العباس، المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو توفي سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م: *دراسات في فقه اللغة* ص٣٤٣ ج٢.

(٦) **المحقق**: المقصود أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي الملقب بشيخ الطائفة (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ)، من أهم كتبه: *التبْيان والاستبصار وتهذيب الأحكام والعدّة في أصول الفقه* وكتاب *الرجال* وكتاب *الغيبة* وغيرها (راجع *تهذيب الأحكام* مقدمة السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، ط ٣، ١٣٩٠هـ).

(٧) **الخليل**: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٨) **ابن الإعرابي**: (١٥٠ ـ ٢٣١هـ = ٧٦٧ ـ ٨٤٥م) محمد بن زياد المعروف بابن الإعرابي علّامة باللغة من أهل الكوفة: *الأعلام* ج٦ ص١٣١.

٣ ـ درس: في الدرس الثالث أورد أقوال المفسرين وأهل اللغة في معنى لفظة من في قوله سبحانه: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾[١].

أوردتُ هذا المثل لأنَّ له دلالتين: **الدلالة الأولى**، وهي ثقافة الشيخ الواسعة المتنوعة فقهياً ولغوياً، **والدلالة الثانية** هي ما حاول إثباته دائماً في جميع بحوثه من العلاقة الوثيقة بين اللغة وعلم البيان، وبين الفقه والتفسير، كما أنه في بحوثه الفقهية لم يكتف بما أورده كبار علماء الشيعة وإنما أورد أيضاً ما ذكره علماء السنة، ومثال ذلك أنه في ذكر الواجب في التيمم بمقتضى الآية الكريمة: أورد قول ابن بابويه عملاً بصحيحة محمد بن مسلم، وقول المحقق والعلامة الحلي، ثم أورد بعد ذلك قول الشافعي وابن حنبل وأبي حنيفة والزهري[٢][٣].

---

(١) مشرق *الشمسين* ص٣٣٨.

(٢) **الزّهري**: (٥٨ ـ ١٢٤هـ = ٦٧٨ ـ ٧٤٢م) محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: أول من دون الحديث، تابعي من أهل المدينة *وفيات الأعيان* ج١ ص٤٥١ *والأعلام* ج٧ ص٩٧.

(٣) مشرق *الشمسين* ص٣٣٩.

الفصل الثاني

علوم القرآن

- رأيه في التفسير
- نماذج من حواشيه على تفاسير غيره
- أسلوبه الخاص في التفسير

الفصل الثاني
علوم القرآن

للحديث عن أسلوب الشيخ البهائي ومنهجه في التفسير، لا بد من الإشارة، إلى أنَّ منهجه قد تطور من تعليق على تفسير الآخرين، إلى منهج وأسلوب واضحَيْن خاصَّين به...

لقد بدأ الشيخ البهائي دراسة القرآن والتعليق على ما جاء في كتب المفسرين قبله، منذ أن أتمّ العشرين من العمر، وله تعاليق على تفسير البيضاوي، وعلى مباحث الكشّاف للزمخشري، ومجمع البيان للطبرسي، كما أشرنا في حديثنا عن مؤلفاته، وكما أشار هو نفسه في مقدمة كتابه «العروة الوثقى».

لذلك سأورد نماذج لأسلوبه في هذه الحواشي، لنراقب التطور الذي أصاب أسلوبه على مدى ثلاثين سنة، وكيف أنَّ هذا الأستاذ الكبير، لم يبدأ بوضع تفسير خاص به، يسمى تفسير الشيخ البهائي بحقّ، إلا بعد أن شعر أنه امتلك الأدوات التي تخوّله القيام بمثل هذا الأمر الجلل.

قبل «العروة الوثقى»، كان يذكر ما ورد عند المفسرين ثم يعلق عليه. في العروة الوثقى: يورد آراء المفسرين السابقين دون تسمية أصحابها إلا حين الضرورة، كما سنرى، ثم يستنبط التفسير المناسب.

رايه في تفسير القرآن

يرد البهائي على الذين يقولون إنه لا يجوز أن يتجاوز الإنسان في تفسيره القرآن ما هو مسموع فقط، وأنه قد نسب إلى النبي ﷺ أنه قال: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده في النار».

يرد الشيخ بهاء الدين العاملي على نسبة هذا الحديث بقوله: إن الجواب عن هذه المسألة هو من وجوه كثيرة:

الأول: إنه معارض بقوله ﷺ: «إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً، وحدّاً ومطلعاً»، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إلاّ أنْ يؤتَى الله عبداً فهماً في القرآن»، ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك الفهم؟

الثاني: لو لم يكن غير المنقول، لاشترط أن يكون مسموعاً من الرسول ﷺ، وذلك ما لا يتأتى إلاّ في بعض القرآن، فأما ما يقوله ابن عبَّاس وابن مسعود وغيرهما من أنفسهم، فينبغي أن لا يقبل، ويقال هو تفسير بالرأي.

الثالث: إن الصحابة والمفسّرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات، وقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع ذلك (التناقض) من رسول الله ﷺ محال، فكيف يكون الكلّ مسموعاً.

الرابع: إنه ﷺ دعا لابن عبَّاس فقال: اللّهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل، فإنْ كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، ومحفوظاً مثله، فلا معنى لتخصيص ابن عباس بذلك.

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[1]، فأثبت للعلماء استنباطاً، ومعلوم أنه وراء المسموع، فإذا الواجب أن يحمل

(١) ج٦، سورة النساء، آية ٨٣.

النهي عن التفسير بالرأي على أحد معنيين: **أحدهما** أن يكون للإنسان في شيء رأي وله إليه ميل بطبعه، فيتأول القرآن على وفق طبعه ورأيه، ولو لم يكن له ذلك الميل، لما خطر ذلك التأويل بباله، سواء كان ذلك الرأي مقصداً صحيحاً أو غير صحيح، وذلك كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي، فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[1]. ويشير إلى أن قلبه هو المراد بفرعون، كما يستعمله بعض الوعّاظ تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع، **الثاني**: أن يتسرّع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل في ما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيها من الألفاظ المبهمة، وما يتعلق به من الاختصار والحذف والإضمار، والتقديم والتأخير والمجاز، فمن لم يحكم ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربية كثُر غلطُه، ودخل في زمرة من فسّر القرآن بالرأي: مثاله قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[2]، فالناظر إلى ظاهر العربية، ربّما يظن أنَّ المراد أن الناقة كانت مبصرة، ولم تكن عمياء، والمعنى: آية مبصرة، فظلموا غيرهم[3].

نستنتج أن بهاء الدين العاملي مع التفسير بالرأي، ولكن بشروط واضحة بيّنة، لا تختلف عن الشروط التي وضعها علماء التفسير المعروفون[4].

---

(١) ج٣٠، سورة النازعات ٧٩، آية ١٧.

(٢) ج١١، سورة الإسراء١٧، آية ٥٩.

(٣) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٥ و٦ *ودار الكتاب* ص٦١٩.

(٤) وتمكن مراجعة كتاب «مباحث في علوم القرآن» للشيخ صبحي الصالح من ص٢٨٩ ـ ٢٩١، حيث بسط الحديث في أنواع التفاسير، والفرق بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، ومساوىء التفسير بالمأثور، والمطاعن على التفسير بالرأي والشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأي.

نماذج من حواشيه على تفاسير غيره:

أ ـ أنموذج من إحدى حواشيه على تفسير القاضي البيضاوي

«ومن تفسير القاضي (البيضاوي) عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾(١) الآية، فتعرّفوا وتفحصوا.

رُوي أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة مصدّقاً إلى بني المصطلق وكان بنيهم وبينه إحنة، فلما سمعوا به استقبلوه فحسبَهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدّوا، ومنعوا الزكاة. فهمّ بقتالهم، فنزلت.

وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد، فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين، فسلّموا إليه الصدقات فرجع. وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم، وتعليق الأمر بالتبين على فسق الخبر يقتضي جوازَ خبر العِدل، من حيث أن المعلّق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه، وإن خبر الواحد لو وجب تبيّنه من حيث هو كذلك، لما رتّب على الفسق إذ الترتيب يفيد التعليل، وما بالذات لا يعلل بالغير»(٢).

وقد علق الشيخ بهاء الدين العاملي على هذا التفسير للقاضي البيضاوي بقوله: «لا ريب أن صيغة اسم الفاعل هنا حاملةٌ لمعنى الوحدة والوصف العنواني معاً، فيجوز كون المجموع علّة للتثبت، فكأنه قيل إن جاءكم فاسق واحد فتثبتوا، ولو كان التثبت معلّقاً على طبيعة الفسق لبطل العمل بالشياع.

ثم لا يخفى أن التثبت في الآية معلّل بأدائه إلى إصابة القوم أي

---

(١) ج٢٦، سورة الحجرات، آية ٦.

(٢) *الكشكول ط أعلمي* ج١ ص٣٢٣ *وط دار الكتاب* ص٢٣٢.

قتالهم، فإذا لم تكن مظَنَّةُ هذه العلة، لا يجب التثبت لإصابة عدم هذه العلة علة أخرى كما يقول الخصم، من أنه إذا انتفى الفسق انتفى التثبت، لأن الأصل عدم علّة أخرى له، وعند التأمل في ما ذكرناه يظهر لك أن الاستدلال بالآية على حجية الآحاد العدول لا غيرهم كما ذكره بعضُ الأصوليين، فيه ما فيه، والعجب عدم تبيُّنهم لهذا مع ظهوره فتأمل»[1].

ب ـ **بحث في القبلتين**: أورده في الكشكول أيضاً:

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[2].

قال صاحب الإكسير في تفسير الآية: «المراد وما ولّيناك الجهتين إلا لأنَّك المنعوت في التوراة بذي القبلتين، فأكَّدنا على اليهود الحجَّة، لنعلم من يتبعك عند ظهور أيامك» ويعلّق الشيخ بهاء الدين العاملي على ذلك بقوله:

«ولا يخفى أنه يمكن تطبيق كلامه هذا على كلّ من الجعل الناسخ والمنسوخ فتدبّر» وقال صاحب «جامع البيان»، وهو من المتأخرين عن زمن البيضاوي: يحتمل أن يراد من ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ الكعبة، أي خاطرك مائل إليها، فإنَّ الأصح أنَّ القبلة قبل الهجرة **الصّخرةُ**، إلا أن خاطره الشريف مائل إلى أن تكون الكعبة قبلته، ويعلق البهائي بقوله: «ولا يخفى أنه على هذا يمكن توجيه إرادة الجعل الناسخ في الرواية عن أئمتنا أنَّ قبلته كانت في بيت المقدس فتأمَّل، وقد اتفق الكل على أن النبيّ ﷺ صلّى إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة مدَّة، ثم أُمر

(١) *الكشكول. أعلمي* ج١ ص٣٢٤ *ودار الكتاب* ص٢٣٣.

(٢) ج١، سورة البقرة، الآية ١٤٣.

بالصلاة إلى الكعبة، وإنما اختلفوا في قبلته بمكة، هل كانت الكعبة أو بيت المقدس، ثم لا يخفى أن الجعل في الآية الكريمة مركَّب لا بسيط، وقوله تعالى التي كنت عليها ثاني مفعولَيْه، كما نصَّ عليه صاحب الكشاف، واختلفوا في المراد بهذا الموصول: فأئمتنا على أن المراد بيت المقدس، فالجعل في الآية هو الجعل المنسوخ، وأما القائلون بأنه كان يصلي بمكة إلى الكعبة، فالجعل عندهم يحتمل أن يكون جعلاً ناسخاً باعتبار الصلاة بمكة.

ولله درّ صاحب الكشاف، فإن كلامه في تفسير الآية كالدرّ المنثور، وكلام المتأخرين عنه كالإمام الرازي والنيسابوري والبيضاوي لا يخلو من خبط[1].

ثم يقول: إن جعل البيضاوي رواية ابن عبَّاس عليه السلام دليلاً على جواز أن يكون الجعل منسوخاً، كلام لا طائل تحته، وصاحب الكشاف لما قرّر ما يستفاد منه جواز إرادة الجعل الناسخ والمنسوخ، نقل الرواية عن ابن عبَّاس عليه السلام، وغرضه بيان مذهبه في تفسير الآية، كما ينقل مذهبه في كثير من الآيات، فظنَّ البيضاوي أنَّ مراده الاستدلال على جواز إرادة الجعل المنسوخ.

ثم يقول: إن في كلام الرازي في تفسيره الكبير في هذه الآية نظراً أيضاً، فإنه فسّر الجعل بالشّرع والحكم: أي وما شرّعنا القبلة التي كنت عليها، وما حكمنا عليك بأن تستقبلها إلا لنعلم، ثم قال إن قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ﴾، ليس نعتاً للقبلة، وإنما هو ثاني مفعولَيْ جعلْنا، وأنت خبير بأنَّ أولَ كلامه منافٍ لآخره فتأمَّل[2].

---

(١) *الكشكول. أعلمي* ج١ ص٣٩٧ و٣٠٠ *ودار الكتاب* ص٢٠٤ وص٥٠٧.

(٢) *الكشكول. أعلمي* ج١ ص٣٠٠ *ودار الكتاب* ص٢٠٨.

هذا البحث يعطينا صورة واضحة جليَّة عن قدرة بهاء الدين العاملي في كتب التفسير التي يقرأها، أو يدرّس فيها، وأسلوبه التعليمي البيّن.

ج - في غرائب سور القرآن:

ينتقد في هذه الرسالة أقوال المفسرين لآية ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1]..

وفيها يقول: «...بينما الخاطر... يجتهد في التقاط النواظر من عيون الطرائف، إذ انفتحت عين الناظر على غرائب سور القرآن، وانطبعت في بصر الفكر بدائع صور الفرقان... إذ وقع المحطّ على آية هي معترك أنظار الأفاضل والأعالي، ومزدحم أفكار أرباب الفضائل والمعالي. كلّ رفع في مضمارها رايةً ونصب لإثبات ما سنح له فيها آيةً، فرأيت أن قد وقع التخالف والتشاجر، والمناقشة في التعاظم والتفاخر.. ثم إني ظفرت على ما جرى بينهم من الرسائل، واطّلعت على ما أوردوا في الكتب من تحقيقات الأفاضل... فأخذتُ أحلّ عقدها بأنامل الأفكار، وأعتبر دورها بمعيار الاعتبار... حتى آنست أنوار المقصود، قد تلألأت عن أفق اليقين، وشهد بصحتها لسانُ الحق والبراهين، فرغبت أن أحقق المرام وأحرّر الكلام في فناء بيت الله الحرام»[2].

ويذكر في المتن قول صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ ثم قول خاتم المحققين (الطوسي)، ثم جواب الفاضل

---

(١) ج١، سورة البقرة، آية ٢٣.

(٢) *الكشكول. أعلمي* ج٢ ص١٥٤ *ودار الكتاب* ص٣٧٦، وكونه ألّفه في بيت الله الحرام، أي في أثناء رحلة الحج معنى ذلك أنه ألّفه قبل اثنتي عشرة سنة أو أكثر من بدئه بتأليف «العروة الوثقى».

- يمكن اعتبار «في غرائب سورة القرآن» رسالة مستقلة (١٢ صفحة من القطع الكبير)، وإن كانت مطبوعة في ثنايا كتاب *الكشكول*.

الجاربردي[1] على سؤال الطوسي ويقول إن جوابه «معقّد غاية التعقيد لا يظهر معناه»... وأنَّ إيراده أثناء البحث يشتت الكلام... ثم يذكر ما أورده التفتازاني[2] في شرحه للكشاف: ويردّ على التفتازاني في موضعين، ثم يذكر رأي الفاضل الطيبي[3]، وردّه عليه فيقول: «هذا الكلام مع طول ذيله قاصر عن إقامة المرام، كما لا يخفى على من له بالفنون أدنى إلمام، فلا علينا أن نشير إلى بعض ما فيه فنقول:

«..إن الآية الكريمة ما أنزلت إلا للتحدّي، وحقيقة التحدّي هو طلب المَثَل، ممن لا يقدر على الإتيان به، فإذا قال المتحدي، فأتوا بسورة من مثله، كل أحد يفهم منه أن يطلب سورة من مثل القرآن، وإذا قال: ائتوا من مثله بدون قوله سورة، (لأنَّ منْ متعلقة بوصف «سورة») كلّ أحدٍ يفهم منه أنَّه يطلب من مثل القرآن ما يصدق عليه أنه مثل القرآن أيَّ قدر، كان سورة أو أقلَّ منها أو أكثر، وإذا أراد المتحدّي الجمع بين قوله بسورة، وبين قوله من مثله فحق الكلام أن يقدّم من مثله، ويؤخر بسورة، ويقول: فأتوا من مثله بسورة حتى يتعلق الأمر بالإتيان من المثل، أولاً بطريق العموم، وكان بحيث لو اكتفى به لكان المقصود

---

(١) **الجاربردي**: المتوفى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٦م. أحمد بن الحسن بن يوسف، فقيه شافعي، اشتهر وتوفي في تبريز. *الأعلام* ج١ ص١١١.

(٢) **التفتازاني**: مسعود بن عمر التفتازاني: من أئمة العربية والبيان والمنطق (٧١٢ ـ ٧٩٣هـ = ١٣١٢ ـ ١٣٩٠م). من كتبه: «تهذيب المنطق» و«المطول» في البلاغة، والنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري، وله شرح الكشاف للزمخشري. *الأعلام* ج٧ ص٢١٩.

(٣) **الفاضل الطيبي**: (... ـ ٧٤٣هـ = ... ـ ١٣٤٢م) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان.
من كتبه «شرح الكشاف» في التفسير سماه «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» *الأعلام* ج٢ ص٢٥٦.

حاصلاً، والكلام مفيداً. . . وهذا الأسلوب مما تعنى به البلغاء. وأما إذا قال فأتوا بسورة من مثله، على أن يكون من مثله متعلقاً بـ فأتوا، يكون في الكلام حشو، وذلك لأنه لما قال بسورة عرف أن المثل هو المأتي منه، فذكر من مثله على أن يكون متعلقاً بـ فأتوا يكون حشواً، وكلام الله ينزّه عن هذا، فلهذا حكم بأنه وصف للسّورة»[١].

أسلوبه الخاص في التفسير

نأخذ أنموذجاً للحديث عن أسلوبه الخاص في التفسير كتاب «العروة الوثقى»[٢] الذي لم يخرج منه سوى تفسير الفاتحة:

يقول في أوله بعد المقدّمة الرائعة معنى وأسلوباً[٣] «. . .وأما علم التفسير فإنَّه أشرف العلوم الدينية قدراً، إذ منه تفرّعت أصولها، لذلك فإنَّه أولى العلوم بالتوقير والتعظيم، «فطوبى لقوم ولّوا وجوههم شطر مطالبه، وتوجّهوا تلقاء مديَنَ مآربه، فأولئك الذين نالوا من الله كرامة وتوفيقاً، وانتظموا في سلك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. . .».

ولا يمكن في رأي بهاء الدين العاملي أن يتصدى إنسان كائناً من كان، لتفسير كلام الله جلّ وعلا دون أن تتوفّر له أدواته الأساسية، وهي **علم المعاني، وعلم البيان،** إذ بدون التبحّر فيهما، لا يمكن الغوص على جواهر أسرار القرآن:

---

(١) *الكشكول. أعلمي.* ج٢ ص١٦٢ *ودار الكتاب* ص٣٨٣.

(٢) **العروة الوثقى**: مطبوع مع الحبل المتين ومشرق الشمسين ورسالة الكر في مجلد واحد من ص٣٨٦ إلى ص٤١٠.

(٣) لقد ذكرنا المقدمة في فصل البهائي الأديب أنموذجاً على فصاحته وبلاغته في كتبه الفقهية.

«. . . وإنّ من أعظم نعم الله سبحانه عليَّ، وأتمّ ممنه التي لم تبرح متواصلة لدي، أنه لم أزل منذ بلغت العشرين، إلى أن أكملت الخمسين، متطلباً لاستكشاف سرّه المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم، فأنفقت كنز الشباب في (كسب) أسبابه وأدواته، سيّما العِلمين الأجلّين اللّذين لهما به مزيد اعتلاق واختصاص، وليس للمتعطشين إلى زلاله عن التبحّر فيهما محيد ولا مناص، أعني بهما **علم المعاني وعلم البيان**، اللّذين هما الذريعة لمن رام الاطلاع على جواهر أسرار القرآن، ولقد امتدّ فيهما كدّي ونصبي، حتى امتزج فيهما لحمي وعصبي، وبلغت منهما بتوفيق الله أقصى مناي، ولم أكن قانعاً بما يقنع به سواي. . .».

ويوضّح الشيخ أنَّه لا بدّ لمن يتصدَّى لعلم التفسير، أن يبدأ أولاً بدرس مقدّماته، ودرس مؤلفات العلماء السَّابقين في التفسير، كما فعل هو، فقد قرأ أولاً كتب السابقين، بل إنّه حين أنس في نفسه الملكة والقدرة على إبداء رأي، لم يزد عن أن يعلق عليها، قبل أن يبدأ تفسيره هذا: «. . . ولما قضيت من مقدّمات علم التفسير وطري، ووجّهت إلى الكتب المؤلفة فيه بريد نظري، طفقت أواصل بين عشيّاتي وأسحاري، في كلّ سطر منها شطر الرّزم ليلي ونهاري. . . معلّقاً على بعضها حواشي شريفة، تزري نفحاتُها بنسماتِ الأزهار، وتحكي صفحاتُها جناتٍ تجري من تحتها الأنهار». . . «كما علّقته في عنفوان الشباب على تفسير البيضاوي[1] من حواشي بارعة تسلك بالطالبين طريقاً قويماً، وتهدي الراغبين صراطاً مستقيماً. . .، وكما رقمته على بعض مباحث

(١) **تفسير البيضاوي**: *«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»*، والبيضاوي كما يذكر الشيخ صبحي الصالح يُعنى بتقرير الأدلة على أصول أهل السنة، ولا يفوته التنبيه على قواعد اللغة، مباحث في علوم القرآن ص٢٩٣.

الكشّاف[1]، ومجمع البيان[2]، من فوائد حسان أبهى من أيّام الشباب، وأشهر من وصال الأحباب..».

وأخيراً بعد هذا السعي المتمادي، والدأب المتطاول، وبعد أن تجمّعت لديه فوائد جليلة، لم يحم حولها أحد قبله، تصدّى لهذا الشرح:

«وكان قد اجتمع إليّ على تمادي الأيَّام، وتحصّل لديّ على توالي الشهور والأعوام، فوائد جليلة، لم يجتمع مثلها إلى الآن في كتاب، ولم يتطلّع إليها واحد من أولي الألباب، وزوائد جزيلة استنبطها بالعقل الكليل القاصر... لم يحمْ حولَها أبناء الزمان... فأحببْتُ أن أجمع نفائس تلك العرائس في تأليف هذا الفن الشريف.. متضمّناً خلاصة ما ورد في هذا العلم عن سيّد المرسلين... وعن الأئمة الطاهرين... ومشتملاً على صفوة ما وصل إلينا عن الصحابة المرتضين، والعلماء الماضين، والسّلف الصالحين... وسمّيته «بالعروة الوثقى» وأرجو أن تكون وسيلة إلى ما هو خير وأبقى»[3].

ولنلاحظ المنهج الذي يصدر عنه، والذي يدلّ على تعمقه في الأسلوب القرآني، ودراسته له، وكيف جمع فيه بين البحث على أساس تشريعي، والبحث على أساس منطقي وأدبي، وفصّل في أنواع الدّلالة القرآنية المستفادة من اللفظ والمستنبطة من المعنى، واستكناه عناصر

---

(١) **الكشاف**: لمحمود بن عمر الملقب بجار الله المتوفى سنة ٥٣٨هـ، ويمتاز الكشاف بإيراد النكات البلاغية وتحقيق وجوه الإعجاز... وعبارته بليغة موجزة ليس فيها حشو وتطويل: مباحث في علوم القرآن ص٢٩٤.

(٢) **مجمع البيان**: للطبرسي.

(٣) *العروة الوثقى* ص٣٨٧.

الجمال الفني في القرآن بأسلوب مشرق جذّاب، مع حسن الاستنباط وسعة الثقافة، والمقدرة على الترجيح:

وهذا أنموذج لأسلوبه الخاص في التفسير:

سورة فاتحة الكتاب: السورة إما مستعارة من سور المدينة لإحاطتها بما تضمّنته من أصناف المعارف والأحكام، كإحاطة السور بما يحتوي عليه، أو مجاز مرسل من السورة بمعنى المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة، إذ لكلّ واحدة من السّور الكريمة مرتبة في الفضل عالية، ومنزلة في الشرف رفيعة، أو لأنها توجب علوّ درجة تاليها وسموّ منزلته عند الله سبحانه، وقيل واوها مبدّل من الهمزة أخذاً من السّور بمعنى البقيّة والقطعة من الشيء، واختلفوا في رسمها عرفاً، فقيل طائفة من القرآن مصدّرة فيه بالبسملة...

وقيل طائفة من القرآن مترجمة بترجمة خاصّة، ونَقَضَ طردَه بآية الكرسي، وردّ بأن المراد بالترجمة الاسم، وتلك إضافة محضة لم تبلغ حدّاً لتسميته وأنت خبير بأن القول ببلوغ سورتي الإسراء والكهف مثلاً حدّاً لتسميته دون آية الكرسي لا يخلو من تعسّف، والأولى أن يراد بالترجمة، ما يكتب في العنوان ومنه ترجمة الكتاب، فالمراد به ههنا، ما جرت العادة برسمه في المصحف المجيد عند أول تلك الطائفة من لقبها وعدد آياتها، ونسبتها إلى أحد الحرمين الشريفين فيسلم الطرد، وما يتراءى من فساد العكس لعدم صدق الرسم على شيء من السّور، قبل اعتياد رسم الأمور المذكورة في المصاحف...

..وقد ذهب جماعة من قدماء الأمة إلى أن «الضحى»، و«ألم نشرح لك صدرك» سورة واحدة، وكذا «الفيل» و«الإيلاف»، وهو مذهب جماعة من فقهائنا.. قلت: هذا القول وإن قال به جمع من السلف والخلف إلا أنَّ الحق خلافه، واستدلالهم بالارتباط المعنوي بين كلّ آية

وصاحبتها، وبقول الأخفش والزجّاج، أن الجار في قوله عزَّ وجلَّ لإيلاف قريش متعلق بقوله جلّ شأنه فجعلهم كعصف مأكول، وبعدم الفصل بينهما في مصحف أبيّ بن كعب ضعيف لوجود الارتباط بين كثير من السّور التي لا خلاف بين الأمة في تعدّدها، فليكن هذا من ذاك، وكلام الأخفش لا ينهض حجّه في أمثال هذه المطالب، وتعلق الجارّ بقوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت، الذي لا مانع عنه، وعدم الفصل في مصحف أبيّ لعلّه سهو منه على أنَّه لا يصلح معارضاً لسائر مصاحف الأمة، رأما ما ذكره جماعة من مفسّري أصحابنا الإمامية... من ورود الرواية بالوحدة عن أئمتنا عليهم السلام، فهذه الرواية لم **نظفر بها،** وما اطّلعنا عليه من الروايات التي تضمنتها أصولُنا، لا تدل على الوحدة بشيء من الدّلالات بل لعلّ دلالة بعضها على التعدّد أظهر، وأقصى ما تستنبط منها جواز الجمع بينهما في الركعة الواحدة، وهو بعيد من الدلالة على الوحدة بمراحل، وما تشرّفنا بمشاهدته في مشهد مولانا وإمامنا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام من المصاحف التي قد شاع وذاع في تلك الأقطار أنَّ بعضها بخطّه عليه السلام، وبعضها بخط آبائه الطاهرين عليهم السلام، يؤيد ما قلناه من التعدّد، فإن الفصل في تلك المصاحف بين كلٍّ من تلك السور الأربع وصاحبتها على وتيرة الفصل بين البواقي والله أعلم بحقائق الأمور»[1].

تظهر سعة الثقافة وحسن الاستنباط، والمقدرة على الترجيح جليّة، بعد أن يقارن بين رأي أصحاب المعاني وبين رأي اللغويين، وفي تحقيق الروايات، حتى إن كانت صادرة عن علماء أعلام، وهذا من أهم مميزات أسلوبه في التحقيق.

---

(١) *العروة الوثقى* ص٣٨٨.

..وبعد أن أورد الوجوه الخمسة لتسمية سورة الفاتحة بأم الكتاب، ردّ أربعة وجوه منها، وفنّد سبب ردّه لها، وأبقى على وجه واحد وهو: «أنها سمّيت كذلك من باب تسمية البعض باسم الكلّ: «وهذا مجاز شائع لا حجرَ فيه، فلا مانع من أن يكون هذا منه»[1].

أمّا «بسم الله الرحمن الرحيم»: فقد أطبقت الأمة على أنها بعض آيةٍ من القرآن، ولكنْ طال تشاجرهم في شأنِها أوائلَ السّور الكريمة المصدّرة بها في المصاحف المجيدة، هل هي هناك جزءٌ من كلٍّ واحدة لا غير، أو أنها ليست جزءاً من شيء منها، بل هي آية من القرآن أنزلت للفصل بها بين السور، أو أنها لم تنزل إلاّ بعض آية في سورة النّمل، وليست جزءاً من غيرها، وإنما يأتي بها التالي والكاتب في أوائل السّور تبرّكاً وتيمّناً باسمه جلّ وعلا، أو أنها آياتٌ من القرآن أنزلت بعدد السّور المصدّرة بها من غير أن يكون شيء منها جزءاً لشيء منها»[2].

وبعد أن أورد هذه الأقوال التي قيلت في حق (بسم الله)، يورد أصحاب هذه الأقوال، فيقول: «إن القول الأول هو مذهب أصحابنا رضي الله عنهم، وقد وردت به الروايات عن أئمة أهل البيت ﷺ، وعليه فقهاء مكة والكوفة وقرّاؤهما، سوى حمزة ووافقه «سعيد بن جبير» و«الزهري» و«ابن المبارك» و«قالون» من قرّاء المدينة، وبه قال أكثر **الشافعية**، والقول الثاني هو المختار عند بعض الشافعية، والقول الثالث هو الراجح عند متأخري فقهاء الحنفية، وإن كان المشهور بين قدمائهم هو القول الرّابع، وهو الذي قال به قرّاء البصرة والشام والمدينة إلا «قالون»، وعليه فقهاء هذه الأمصار كمالك والأوزاعي، ووافقهم حمزة

(١) *المصدر نفسه* ص٣٨٩.

(٢) *المصدر نفسه* ص٣٩٠.

من قرّاء الكوفة، وقال بعض المتأخرين أن أبا حنيفة لم ينص في البسملة بشيء، ولما كان كوفياً، وقد نصَّ الكوفيون على جزئيتها دونه، ظن أنها ليست من السورة عنده، ولا يخفى أن عدم نصِّه فيها لا يدلّ على ما ظنَّ بشيء من الدلالات لاحتمال توقفه في أمرها...»[1].

إيراده هذه الأقوال كلها دلالة على ثقافته الواسعة، وقدرته الفريدة على إيراد الآراء المختلفة والمتباينة، ليصل في النتيجة إلى الغاية المرجوَّة.

وهو في أثناء التفسير لا يتوانى عن ردّ حديث يؤيد به بعض أصحاب الآراء رأيهم إن رأى في هذا الحديث خللاً معنوياً أو لفظياً:

ففي نقده لرواية نُقِلَتْ عن ابن عبَّاس يقول: «...على أنَّ في متنها خَلَلاً يُبعدُ صدورَ مثلِهِ عن مثلِهِ»[2].

وفي وجه تقديم الرحمن على الرحيم له تعليل لطيف: «الرحمن اسم خاص لصفة عامة، والرحيم اسم عام لصفة خاصة، وتقديمه على الرحيم مع اقتضاء الترقّي العكسي، لمتقدم رحمة الدنيا، وللمحافظة على رؤوس الآي، ولأنه لاختصاصه بالله سبحانه صار كالواسطة بين العلم (الله) والوصف (الرحيم)، فناسب توسطه بينهما، ولأن الملحوظ أولاً في باب التعظيم والثناء هو عظائم النعماء، وجلائل الآلاء، وما عداه يجري مجرى التتمة والرّديف»...[3].

وفي شرحه للفظة **الحمد** يقول: «إن الله سبحانه لم يوجب علينا أن نَصِفَهُ إلا بمثل الصّفات التي ألِفناها وشاهدناها، وكانت بحسب حالنا

---

(١) *العروة الوثقى* ص٣٩١.

(٢) *المصدر نفسه* ص٣٩٢.

(٣) *العروة الوثقى* ص٣٩٧.

مزيّة، وبالنسبة إلينا كمالاً، كالكلام والحياة، والإرادة، والسمع والبصر وغيرها، مما أحاطت به مداركُنا، وانتهت إليه طليعةُ أوهامِنا، دون ما لم تصل إليه أيدي عقولنا، ولا تتخطى إلى عزّ مساحته أقدامُ أفهامنا، وناهيك في هذا الباب بكلام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فقد رُوي عنه أنه قال لأصحابه: كلّ ما ميزتموه بأوهامِكُم في أدقّ معانيه، مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم، مردودٌ إليكم، ولعلّ النمل الصغار تتوهَّم أن لله زبانيتين، فإن ذلك كمالُها، ويعتقد أن عدمهما نقصانٌ لمن لا يتصف بهما، وهكذا حالُ العقلاء، في ما يصفون الله تعالى به. . .، ومن تأمل هذا الكلام الشريف بعين البصيرة، فاحت عليه من أزهاره نفحة قدسيَّة، تعطر مشامّ الأرواح، ولاحت لديه من أنواره شعشعة أنسية، تحيي رميم الأشباح»(١).

وبعد شرحه لـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وإيراده الوجوه المختلفة فيه، يقول: «وهنا مسألة فقهية، هي أن من باع أمتعة مختلفة صفقة واحدة، فكان بعضها معيباً، فإن المشتري لا يصحُّ له أن يأخذَ الصَّحيح ويردَّ المعيب، بل إما أن يردَّ الجميع أو يقبل الجميع، فأراد العابد أن يحتال لقبول عبادته ويتوصَّل إلى نجاح حاجته، فأدرج عبادته الناقصة المعيبة، في عبادات غيره من الأولياء والمقرّبين، وخلَطَ حاجتَه بحاجات من عداه من الأصفياء المخلصين، وعرض الجميع صفقة واحدة على ذي الجود والإفضال، فهو عزَّ شأنه أجلَّ من أن يردَّ المعيب ويقبل الصَّحيح. . . وما تضمَّنته الآية من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ينطوي على نكات فائقة ولطافة رائقة، زيادةً على ما في مطلق الالتفات من المزيَّة المقرَّرة في فنَّ المعاني»(٢).

---

(١) *العروة الوثقى* ص٣٩٨.

(٢) *المصدر نفسه* ص٤٠٣.

ويورد أربعة عشر وجهاً من نكات الالتفات من المزيَّة المقرَّرة في فن المعاني: منها التنبيه على أن القرآن يجب أن يكون صادراً عن قلب حاضر وتوجُّه كامل، بحيث كل ما أجرى القارىء اسماً من تلك الأسماء العليا ونعتاً من تلك النعوت العظمى على لسانه، ونَقَشَهُ على صفحةِ قلبه، حصل للمطلوب مزيد انكشاف وانجلاء... وهكذا إلى أن يترقّى من مرتبة البرهان إلى درجة الحضور والعيان، فيستدعي المقامُ العدول إلى صيغة الخطاب والجري على هذا النمط المستطاب...

ومنها التلويح بما ورد في الحديث عن أبي عبد الله «كما تراه فإنه يراك»، ففي هذا الالتفات إشعار بأن العبادة الشاملة عن القصور هي التي يكون العابد حال الاشتغال مستغرقاً في بحر الحضور، كأنه مشاهد لجلال معبوده، مطالع بجمال مقصوده... ومنها التنبيه على علوِّ مرتبة القرآن المجيد، واعتلاء شأنه، وسيَّما آياته المتضمنة لذكر الله عزَّ شأنه، وأن العبدَ بإجراء هذا القدر منه على لسانه، يصير أهلاً للخطاب، فائزاً بسعادة الحضور والاقتراب، فكيف لو لازم وظائفَ الإذكار، وواظب على تلاوته بالليل والنَّهار، فلا ريب في ارتفاع الحجب من البين والوصول من الأثر إلى العين...[1].

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾: يقول إن المُستنبط مِنْ تتبّعِ مواردِ أهل اللسان أنها مطلق الإرشاد، والدّلالة بلطف، سواء كان معها وصول إلى البغية أم لا، وبه صرَّح اللغويون، ومنه الهداية... ومنها وقوع الضلالة مقابل الهداية[2]...

وأما أقسام هدايته جلَّ شأنه وإن كانت مما لا يحصر قدره، ولا

---

(١) *العروة الوثقى* ص٤٠٤ ـ ٤٠٥.

(٢) *العروة الوثقى* ص٤٠٦.

يقدر حصره إلا أنها على أربعة: . . .**رابعها**: الدلالة على طريق السير والسلوك، والانجذاب إلى حظائر القدس ومحاضر الأنس، بانطماس آثار التعلّقات الجسمانية، واندراس أغشية الجلابيب الهيولانيّة، فينكشف على قلوبهم السرائر، ويريهم الأشياء كما هي بالوحي والإلهام أو المنامات الصَّادقة، ويشغلهم عن ملاحظة ذواتهم وصفاتهم، بالاستغراق في ملاحظة جلاله، ومطالعة أنوار جماله، وهذا قسم يختص بنيله الأنبياء ثم الأولياء، ثم من يحذو حذوهم من أصحاب الحقائق، الذين نفضوا ذيولهم من غبار هذه الدار الفانية، وكحّلوا عيونهم بكحل الحكمة النبوية، وإياهم عنى بقوله عزَّ وعلا، أولئك الذين هداهم الله». . وقوله عزَّ وجلَّ ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1].

وينهي تفسير «أم الكتاب» (الفاتحة) بقوله: «اللهم إن الذنوب قد أماتت قلوبنا فأحيها بالسبع المثاني، والقرآن العظيم. . . ويسِّر لنا الفوز بسعادة اختتامه. . .».

---

(١) *المصدر السابق ص٤٠٧.*

الفصل الثالث

المسائل الاعتقادية

- الرسالة الحريرية
- رسالة ذبيحة أهل الكتاب
- الفقه الميسَّر: - الجامع العباسي
- علم الأصول: - كتاب زبدة الأصول
  - الرسالة الاعتقادية

الفصل الثالث

المسائل الاعتقادية

إن أهمَّ ما يميز الشيخ البهائي في مناقشة المسائل الاعتقادية هو عرضه لمجمل الآراء، وإظهار موقفه من المسألة دون تشنيع أو تجريح برأي أحد من السَّابقين أو اللاحقين، في زمن وُجدَ فيه من بين معاصريه، من يردّون على أخصامهم بصيغ فيها الكثير من التحدي والتجريح والتسفيه[1].

وفي ما يلي نورد نموذجاً لطريقة الشيخ البهائي في عرضه للمسائل الاعتقادية، وعرضه لآراء الغير، مسألة صحة الصلاة مع لبس شيء من الحرير:

الرسالة الحريرية

يقول: **مسألة**: اختلف الأصحاب في صحَّة الصلاة في ما لا تتم فيه وحده من الحرير المحض كالتكَّة والقلنسوة وأمثالها، فالعلّامة[2] في المختلف على المنع، وحكاه المفيد وابن بابويه وابن الجُنيد[3]، وبالغ

---

(١) *الرسالة الحريرية*. مطبوعة في كتاب *كلمات المحققين* من ص٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٢) **العلّامة**: هو العلامة الحلي، والمفيد وابن بابويه قد مرَّ التعريف بهم.

(٣) **ابن الجنيد**: (... ـ ٣٨١هـ = ... ـ ٩٩١م) محمد بن أحمد بن الجنيد، من أهل الري، له نحو خمسين كتاباً. *الذريعة* ج١ ص٢٩٩.

الأصحاب على الجواز، والمجوّزون احتجوا بالأصل، وبرواية الحلبي[1] عن الصادق عليه السلام، قال: «ما لا يجوز فيه الصلاة وحده، فلا بأس بالصلاة فيه (ضمن سواه) مثل التَّكة الإبريسم، والقلنسوة، والخف، والزنَّار يكون في السّراويل، وبأن تسويغ الصلاة في ما لا تتم فيه وحده مع نجاسة، يقتضي تسويغها فيه إذا كان حريراً لاشتراكهما في المصلحة المطلوبة، وإخراجها عن حكم الثياب، هذا ما وصل إلينا من دلائل أصحاب هذا القول، وأما المانعون فقد احتجّوا بما رواه ابن عبد الجبار[2] في الصّحيح، قال كتبت إلى أبي محمد[3] عليه السلام أسأله هل يصلي في قلنسوة حرير محض أو قلنسوة ديباج؟ فكتب لا تحل الصلاة في حرير محض، وبغيره من الأخبار الدالة على المنع من الصلاة في الحرير الشاملة بعمومها لما يتم فيه وحده وما لا يتم، وهذا القول **أقوى دليلاً وأحوط سبيلاً**، ودلائل القول الآخر لا يخفى على المنصف ضعفها... وأما رواية الحلبي ففي طريقها أحمد بن هلال وهو من الغلاة، فكيف تصلح لمعارضة الأخبار الصحيحة، وأما الاستدلال الثالث فهو قياس محض لا نقول به..

وقد تصدى بعض الأعلام من مشايخنا المعاصرين[4]، للذبِّ عن القول الثاني بأن رواية الحلبي ترجّح بموافقته الأصل، أعني براءة الذمَّة من وجوب النَّزع.. وأن رواية ابن عبد الجبار غير صريحة في التحريم، لأن الحلول اسم للمباح، كما أن الجائز اسم له، وانتفاء الإباحة لا

---

(١) **الحلبي**: أحد الذين رَوْوا عن الإمام الصادق.

(٢) **ابن عبد الجبار**: أحد الذين روَوا عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

(٣) المقصود الإمام الحسن العسكري: الإمام الحادي عشر (٢٣١هـ ـ ٣٦٠م) ترجمته في *الدروس البهية* من ص١٦٤ إلى ص١٧٣. في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، ج٤، من ص١٨٤ ـ ٢٠٠.

(٤) نشير هنا إلى أنه أحياناً يتحدث عن أشخاص من معاصريه ولا يسميهم.

يستلزم التحريم، ونحن نقول بكراهة الصلاة في ما لا تتم فيه وحده من الحرير، هذا كلامه وفيه نظر»...

وعبارته هذه «وفيه نظر»، التي تدلُّ على عقليته الناقدة، وعلى روح النقاش والتمحيص والدراسة عنده، يمهّد بها لمناقشة القول المتقدم ولعرض آرائه ونقده، فيقول بعدها مباشرة:

أما **الأول** فلأن الترجيح إنما يكون مع التعارض، والرواية الضعيفة المنفردة، لا تعارض الصِّحاح الدَّال بعضها بخصوصه، وبعضها بعمومه، ليحتاج إلى النَّظر في المرجّحات، على أن الأصل المنع من لبس الحرير، كما قاله العلامة في المختلف وغيره، فالأصل معنا لا علينا.

وأما **الثاني** فقياس لا عمل عليه، على أن جواز لبس المكفوف بالحرير محلّ بحث، وبعض أصحابنا على المنع منه، وفي بعض رواياتنا إشعار بالمدح، وسند روايته الجواز من طرقنا غير معلوم.

وأما **الثالث**: ففيه من المفهوم من قول الشارع: لا يجوز الفعل الفلاني، أو لا يحل أو لا يباح، إنما هو التحريم، وليس إلا على الحظر، إذ المفهوم من الحلِّ والجواز لغة وعرفاً، هو عدم الحرمة، كما أن المفهوم من عدم الحرمة هو الحلّ، وأمَّا تخصيص الحلّ والجواز بالإباحة، التي هي أحد الأحكام الخمسة، بحيث لا يطلق الحلال والجائز على المكروه مثلاً، فاصطلاح أصولي، لا يحمل عليه محاورات أهل اللسان، ولا يظن أن أحداً يمتري في سؤال ابن عبد الجبّار عن جواز الصلاة في القلنسوة، ليس سؤالاً عن الجواز بهذا الاصطلاح، وكذا جواب الإمام عليه السلام بقوله: لا يحلّ الصلاة في حرير محض، وهذا مما لا ينكره من شمَّ رائحة الإنصاف، والله أعلم بحقيقته[1]...

---

(١) هذه الرسالة تلخيص لما ورد في «*الحبل المتين*» الفصل الثالث من المقصد الخامس ص١٨٣ إلى ص١٨٩.

وفي رسالته: «في ذبيحة أهل الكتاب»[1] التي كتبها بناء على طلب الشاه عباس، ردَّ فيها على علماء الروم [العثمانيين]، الذين شنَّعوا على علماء الإمامية، الذين يرَوْن أن ذبائح أهل الكتاب (من اليهود والنصارى والمجوس) حرام، مع أن القرآن الكريم ناطق بتحليلها في آية لا مجال لتأويلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[2]، فكتب هذه الرسالة التي يقول عنها «إنها القامعة للجاجهم، القاطعة لاحتجاجهم، بحيث يرتفع تشنيعهم علينا، ويندفع ما نسبوه من مخالفة الكتاب إلينا»... «ويظهر أننا غيرُ ناكبين عن نهج الصواب، ولا مخالفين لما نطق به الكتاب»...

فهي رسالة اعتقادية، يدافع فيها صاحبُها عن رأي الإمامية، ويؤكد فيها أن علماء الشيعة مصيبون في رأيهم، معتمداً على آية ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[3]، ثم ذكر أن الشافعية والمالكية أباحوا أكلها مطلقاً، وأن جماعة الإمامية ذهبوا إلى التفصيل بأنه إن تركَها عمداً حُرِّمَ أكلها، وإن تركها سهواً لم تحرم، وهو مذهب الحنفية.

وأما حجج الإمامية على التحريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ... ﴿١٢١﴾﴾ وبالروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام، كما رواه محمد بن مسلم في الصحيح عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام... وما رُويَ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام...

(١) مطبوعة في كتاب «*كلمات المحققين*» من ص٥٢٦ إلى ص٥٣٠ (أربع صفحات).

(٢) ج٧، سورة المائدة، آية ٥.

(٣) ج٧، سورة الأنعام، آية ١٢١.

ثم يقول إن الجواب على ما احتجوا به عن أصالة الحل... وهو الاستدلال بآية ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾.. فقد رُويَ عن أئمة أهل البيت أن المراد بالطعام في هذه الآية الحبوب وما شابهها...

وأورد كذلك أن الحنابلة حرَّموا ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية عمداً أو سهواً، كما أورد احتجاج المالكية والشافعية على إباحتهما...

هذه الرسالة من باب **الفقه الإسلامي المقارن**، لإيراده فيها أقوال المذاهب الخمسة وحججهم، ومع أنه دافع فيها عن رأي الإمامية، إلا أنه لم يسفِّه آراء المذاهب الأخرى، وإنما أورد الآراء بأسلوب رصين وقارن بينها...

الفقه الميسَّر

لا نعرف أحداً قبل البهائي من فقهاء المذاهب الخمسة عند المسلمين، كتب كتاباً **في الفقه الميسَّر**، لكأنَّ الشيخ البهائي أوَّل من فكر بوظيفة العمل الفكري، آخذاً بعين الاعتبار المفهوم الأفقي الانتشاري للثقافة، وتغطية المساحة القصوى من القرَّاء... فقد كانت كتب الفقه حتى عصره، وبعده حتى النصف الأول من القرن الهجري الرابع عشر، موجهةً لغةً ومضموناً إلى خاصة الخاصَّة من الفقهاء ودارسي الفقه.

لذلك يُعتبر كتاب الشيخ البهائي «**جامع عباسى**»[1] أو «الجامع العباسي» أول كتاب في الفقه الميسَّر، وهذا الكتاب أحد أهم كتب الشيخ، وواضح أن المقصود «بالجامع» الكتاب الجامع، لأنه يجمع

---

(١) *جامع عباسى*. منشورات مطبعة گلزار حسنى. مؤسسة انتشارات فراهائي ١٣١٩هـ.ق/ عن مخطوطة السيد إسماعيل بن صدر الدين العاملي. تحقيق الشيخ علي المحلاتي الحائري.

أعماله الفقهية كلّها، وبصفة «العباسي» نسبته أو إهداؤه، افتخاراً وتقديراً إلى الشاه «عباس» الصَّفوي، والمؤسف حقاً، أن هذا الكتاب الذي يمكن اعتباره، خلاصة أعمال البهائي الفقهية كلّها، قد عاجلته الوفاة قبل إتمامه فأكمله تلميذه «نظام الدين حسين السَّاوجي».

ويكفي للتدليل على أهمية هذا الكتاب أن نقول إنه أكثر كتبه الفقهية شهرة، وتداولاً في إيران والهند، قلنا في إيران والهند ولم نقل في البلاد العربية، ومنها وطنه الأول ووطن آبائه وأجداده، لأن الكتابَ غيرُ معروف بالعربية، بسبب أنَّ صاحبَهُ كتبه بالفارسية ولم يترجم بعدُ إلى العربية.

إن قيمةَ هذا الكتاب في نظرنا، هي في أنه «أول كتاب نزل بالمعرفة الفقهية من أبراجها العاجيّة إلى مستوى الجمهور»[1]، وهو «أول رسالة عملية فقهية غير استدلالية، ودورة كاملة في الفقه»[2].

لغته الفارسية بسيطة ومباشرة تقربه من أفهام الخاصَّة والعامة من طالبي المعرفة، وتكاد لا تستعصي على أيٍّ قارىء له معرفة متوسِّطة باللغة الفارسية، كما أن أهميته تكمن في أن المقصود من وراء كتابته أيضاً أن يقرأه، متوسطو الثقافة، والعامة الذين لا يعرفون العربية[3]، «كي لا يظل فهم أمور الدين منحصراً بالأشخاص الذين يعرفون العربية»[4].

---

(١) جعفر *المهاجر*. مقالة عن الشيخ البهائي. مجلة الثقافة الإسلامية العدد الخامس، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ ص١٣٩.

(٢) مطهري. الإسلام وإيران ص٣٤٠.

(٣) كانت العربية لغة الخاصة من العلماء، والطبقات الأرستقراطية، ولم تكن معرفتها وتعلمها ميسرة لعامة الناس.

(٤) *تاريخ فرهنگ إيران* ص٢٤١.

والفرق بين «جامع عباسى» وسواه من كتب البهائي الفقهية أن كتبه الأخرى موجهة في أغلبها إلى الخاصة من طلاب الفقه والمعرفة، لذلك كان يورد فيها الآراء الفقهية المختلفة، ويعطي رأيه في الخلافيات منها بأسلوب هادىء رصين، أما «جامع عباسى»، فبما أن غاية المؤلف فيه تعريف عامة الناس بأحكام الدين، فقد أورد الشيخ فيه الأحكام القاطعة النهائية على رأي الإمامية، فهو جامعٌ وميسَّر في آن معاً، دعا فيه من يرغب في معرفة تفاصيل بعض الأمور، إلى الرجوع إلى كتبه الأخرى «كالحبل المتين» و«مشرق الشمسين»[1]، كما أنه أضاف مادة واسعة تتعلق ببعض الأعمال المندوبة، بخاصة زيارة مراقد الأئمة عليهم السلام، ومولد رسول الله صلى الله عليه وآله، فضلاً عن مناسك الحج التي تفرد عادة في كتب مستقلة.

ذكر بهاء الدين العاملي في مقدمة «جامع عباسى» أنه كتبه بناء على رغبة الشاه عباس الصّفوي، فرتّب هذا الكتاب مشتملاً على المسائل الضرورية في الدين، مثل الوضوء والغسل والتيمم، والصلاة والزكاة والحج والجهاد، وزيارة ضريح أمير المؤمنين عليه السلام، وأضرحة حضرات الأئمة المعصومين عليهم السلام وأيام ولادتهم ووفياتهم، والمسائل التي غالباً ما يحتاج إليها الإنسان في حياته اليوميَّة، كمسائل الوقف والصدقة والبيع والزواج والطلاق والنذر والكفارة، والعتق، ومقدار الديَّات وشروط القضاء، والطعام، والشراب واللباس، والصّيد وأمثالها، ويقول إنه وضعه بعبارات واضحة سهلة المتناول ليفهمه الخاصَّة والعامة[2].

---

(١) *جامع عباسى* ص٩.

(٢) *جامع عباسى*: ص٢ يقول بالفارسية: «... ومسائل آنرا بعبارات واضح نزديك بفهم مؤدى ساخت تا جميع خلائق از خواص وعوام، از مطالعه آن نفع يا بند وبهره مندگردند... واين كتاب بجامع عباسى موسوم ساخت».

ووضع خطة العمل والتصميم في عشرين باباً وزَّعها كما يلي:

الباب الأول: في الطهارة يعني الوضوء والغسل والتيمم وتوابعها.

الباب الثاني: في الصلاة الواجبة والسنَّة.

الباب الثالث: في الزكاة والخُمس، الواجب منه والسنَّة.

الباب الرابع: في الصوم: مبطلاته، والواجب منه، والمستحب، والصوم المكروه، والنيَّة. والجماعة الذين لا يُعتبر صومُهم صحيحاً، وما يجب فعله في الشهر المبارك، ومكروهات الصوم، والاعتكاف إلخ.

الباب الخامس: في الحج وأحكامه وآدابه وشروطه وأنواعه ومراسمه، وأفعاله، الحج الجماعي، والحج الإفرادي.

الباب السادس: في الوقف والصدقة والقرض والعتق وجهاد الكفار.

الباب السابع: في زيارة النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام، وأيام موالدهم ووفياتهم.

الباب الثامن: في النذر والعهد والقسم والكفارة.

الباب التاسع: في آداب البيع والرَّهن والشفعة وتوابعها.

الباب العاشر: في التأجير والإعارة والغصب وتوابعها.

الباب الحادي عشر: في الزَّواج وأنواعه.

الباب الثاني عشر: في الطلاق والخلع والعدَّة.

الباب الثالث عشر: في العيد: أقسامه وشروطه وأحكامه.

الباب الرابع عشر: أقسام الذبائح: الحرام والمكروه والسنَّة والمباح، وكيفية الذبح وأنواع الحيوان.

الباب الخامس عشر: أقسام الطعام وآدابه ومنافعه وآداب الشرب وأقسام اللباس الواجب والسنَّة والحرام.

الباب السادس عشر: في القضاء وصفات القاضي، وسنن القضاء ومكروهاته، وكيفية إصدار الأحكام.

الباب الثامن عشر: في الوراثة وطبقات الورَّاث، ومواضع منع الإرث في الجملة، وفي تفصيل السهام المفروضة، وبيان نصيب كل وارث بعلم الحساب.

الباب التاسع عشر: في أقسام الحدود.

الباب العشرون: في أقسام القتل: الحرام والمكروه والواجب والسنَّة، وأنواع القصاص وشروطه، والديَّات وأنواعها، والكفارات.

وقد أورد البهائي في هذه الأبواب العشرين، بأسلوب موجز مباشر، جميع المسائل التي كان قد شرحها شرحاً مفصَّلاً في كتبه الأخرى.

وصحيح أن البهائي لم يكمل سوى الفصول الخمسة الأولى منه، وبقية الفصول أكملها تلميذه نظام الدين حسين الساوجي بأمر من الشاه عباس، ولكن البهائي هو الذي وضع خطة العمل المذكورة، والمنهج الذي سيتبعه، وما كان على التلميذ إلا إتمام ما بدأه الأستاذ، وإكمال الفراغ، بما كان قد تعلمه وكتبه على يد أستاذه، كما أشار هو نفسه في خاتمة الكتاب[1].

---

(١) جامع عباسى ص٤٥٣.

علم الأصول

إن علمَ الأصول يشتمل عادة على جملة من المباحث العقلية، كما أنه من أهم ما يعتمده، الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية، وفي فهم المواد الكبرى، والقوانين الشريفة التي جاء بها نبيُّهم الأعظم محمد ﷺ في تطبيقها على مواردها.

وطبيعي أن يكون للبهائي الموسوعة، قسطٌ في علمِ الأصول أيضاً، وهو العلم الرصين الذي تستنبط به الأحكام في الفقه الإسلامي، فكان لنا كتابه «زبدة الأصول».

كتاب **زبدة الأصول**(١): جمع البهائي في هذا الكتاب القواعد المهمَّة من علم أصول الفقه، منسَّقة مرتبة، وقد بدأه بتعريف هذا العلم المهم «في مقدمة تمهيدية» بقوله: «أبهى علم يبتنى عليه الخطاب، وأوَّل قول فصل ينتمي إليه أولو العقول والحواس، والصلاة على أفضل من أرسله لتبليغ الأوامر والنواهي، وأشرف من عرَّفه أسرار الحقائق كما هي وآله، الذين من أنوارهم تقتبس الأحكام، وبآثارهم تعرف مسائل الحلال والحرام، ما دامت الفروع مترتبة على الأصول، والأجناس منقسمة بالفصول»(٢)...

ويظهر في كتابه «زبدة الأصول» ـ وهو نموذج بارز لأسلوبه في

---

(١) طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٠٢هـ/ كما يقول الدكتور محمد باقر حجتي: مجلة الثقافة الإسلامية، عدد ٥ ص٤٥. وتوجد منه نسخ خطية عديدة في مكتبات إيران والنجف الأشرف.

(٢) وقد اعتمدت في دراستي له على مخطوطة السيد مهدي آل إبراهيم (الدوير ـ قضاء النبطية) وعلى المخطوطة هوامش عديدة. وعلى مخطوطة أخرى منقولة عن خط محمد بن محمد خان الخوانساري ج٢ رجب ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. وعليها هوامش عديدة بخطوط مختلفة.

مباحثه الفقهية والعقلية ـ أثرُ تفكيره الرياضي، ومعرفته بدقائق اللغة، بأسلوب واضح منسَّق، بيِّن، يتجلى فيه احترامُ المخاطَب والرّفقُ به في مسائل الفقه العويصة، فقد حاول تسهيلها قدر استطاعته من طريق تبويب الكتاب، وتقسيم مطالبه إلى أقسام وفصول، ينتقل بها من فصل إلى آخر بأسلوب مترابط متناسق، متدرجاً من العام إلى الخاص، ومن المسائل الكليَّة إلى المسائل الفرعية[1].

«فالفروع مترتبة على الأصول، والأجناس منقسمة بالفصول».

والدليل: ما يمكن التوصُّل بصحيح النَّظر فيه إلى مطلوب خبري... لإخراج الحدّ... **والعلم** صورة حاصلة عند المدرِك عن المدرَك.

المنهج الثاني: في الأدلة الشرعية وهي أربعة: الكتاب والسنَّة والإجماع ودليل العقل، أما القياس فلا.

أما **الكتاب** فهو القرآن، وأما **السنة** فهي قول النبي أو فعله أو تقريره، وحديث المعصوم أو حكاية قوله، أو فعله أو تقريره، **والمتواتر**: خبر جماعة يفيد بنفسه القطع بصدقه... وشرط بلوغ روايته في كل طبقة حدّاً يؤمن معه تواطؤهم على الكذب، وإسنادهم إلى الحسّ...

وهو يحيل في تفصيل هذه المباحث[2]، إلى كتابه مشرق الشمسين.

ورجال السَّند: إماميون ممدوحون بالتوثيق، فالحديث صحيح، أو بدونه ـ كلا أو بعضاً ـ مع توثيق الباقين **فحسن**، أو غير إماميين كلا مع

(١) *زبدة الأصول* ورقة ٢.

(٢) *زبدة الأصول* الورقة ٣٢ و٥٧ و٦٧.

توثيق الكل فموثَّق، وسوى الأولين **ضعيف**. وأنحاء **التحمل في هذا** الزمان ستة: السَّماع من الشيخ، والقراءة عليه، والسماع بقراءة، والإجازة، والمناولة، والمكاتبة، وأولها مع تاليه أقواها، والبواقي أدناها...

ولا عمل بالمرسل إلا مع ظن عدم إرساله من غير الثقة...

الإجماع(١): هو إجماع المجتهدين من هذه الأمة في عصر على أمر... وإجماع أهل البيت ﷺ حجَّة، لآية التطهير ونزولها في شأنهم...

ثم ينتقل إلى مضمون الكتاب، فيرتبه على خمسة مناهج:

المنهج الأول: في المقدمات.

المنهج الثاني: في الأدلة الشرعية.

المنهج الثالث: في الأدلة العقلية.

المنهج الرابع: في الاجتهاد والتقليد.

المنهج الخامس: في الترجيحات: والترجيح تقديم إمارة على أخرى في العمل بمؤداها.

المنهج الأول(٢): في المقدمات، وفيه مطالب، وفي كل مطلب فصول.

ويوضح في الفصل الأول أن لأصول الفقه اعتبارين هما:

اعتبار علمي، واعتبار إضافي، والفرق بين الاعتبارين هو من وجوه ثلاثة:

---

(١) *المصدر السابق*. الورقة ٦٩...

(٢) *زبدة الأصول*. المخطوط، الورقة ٢ وما بعدها.

الأول: أنه (علم أصول الفقه)، باعتبار العَلَميَّة فرد، وباعتبار الإضافة مركب.

والثاني: أنه لا نظر باعتبار العلمية إلى ما وضع له جزؤه في اللغة بخلاف اعتبار الإضافة.

والثالث: أنه باعتبار العلمية علم، وباعتبار الإضافة معلوم...

شرح أولاً (علم الأصول) شرحاً لغوياً، ثم تحدّث عن مبادئه المنطقية: «علم هذا العلم في الأصل مركب إضافي: **فالأصول** ما يبتنى عليها شيء، **والفقه**: العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية فعلاً أو قوة قريبة، وعلميتها عنها مع ظنيتها على التصويب ظاهرة، وبدونه خفيَّة، إلا أن يراد الظاهرية أو ظنها، أو القطع بتعيين العمل والإفتاء بها. والقطعيات ليست فقهاً ومن ثم لا اجتهاد فيها...

وحدُّه عَلَماً العلم بالقواعد الممهدة لاستنباط الأحكام الشرعية الفرعية... مع دخول العربية والمنطق ومبادئه الممهدة لاستنباط الأحكام. **وموضوعه** دلائل الفقه من حيث الاستنباط، **وثمرته** الفوز بالسعادة الدينية، والترقي عن حضيض التقليد، إذا استعمل في ما وضع لأجله، ووجوبه كفائي...

ثم هو يُفرِّق بين الاستصحاب[1] كما هو على مذهب الإمامية، والقياس الذي ليس من مذهبهم. **فالاستصحاب**: هو إثبات الحكم في الزمن الثاني تعويلاً على ثبوته في الأول، يقول: «الأظهر أنه حجة وفاقاً لأكثر أصحابنا، وخلافاً للمرتضى وأغلب الحنفية والمتكلمين لنا، ثبوت الحكم أولاً وعدم تحقّق ما يزيله، فيُظن بقاؤه».

---

(١) *زبدة الأصول* ص٧٨.

«والحقيقة هي أن الشيخ حسين بن عبد الصمد هو أول من استدل على حجية الاستصحاب بالروايات لدليل قطعي»[1].

«أما القياس فهو مساواة فرع لأصل في علة الحكم، أو إجراء حكم الأصل في الفرع بجامع، وليس حجة عندنا»[2].

المنهج الثالث: في الأدلة العقلية:

ومن المسائل الأصولية المهمة التي هي محلّ بحث وجدال عند علماء الأصول: «**مسألة الضد**»، وثمرتها عندهم هي فساد العبادة، إذا كانت ضدّاً للمأمور به، بناء على القول أن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن أضداده الخاصة، وعدمه على القول بعدم الاقتضاء، وإنما تفسد بناء على الاقتضاء لأنها عبادة نهي عنها. وهناك قاعدة أخرى: وهي أن النهي عن العبادة يقتضي فسادها[3].

والبهائي أنكر هذه الثمرة بدعوى أن الفساد لا يتوقف على القول بالاقتضاء الآنف، بل يكفي عدم الأمر بالضد الآخر في ظرف الأمر بضدّه المزاحم له. والعبادة محتاجة إلى الأمر إذ بدونه لا تكون عبادة، بل ربما كان فيها نوع من التشريع. وربما يكون غرضه أنه في ظرف مزاحمة الضدّين اللّذين يكون أحدهما أهم والآخر مهماً، لا يكون في المهم أمر ليتقرب بامتثاله في جميع مراتب الأمر من الاقتضاء والشأنية والفعلية، بناء عليها كما يؤيده إطلاق الكلام.

إن ثمرة الخلاف ما هو بيّن لا تظهر إلا في العبادات، وقول البهائي هو التالي: «اقتضاء الأمر بالشيء، النهي عن ضدّه العام، أعني

---

(١) محمد تقي الفقيه: *جبل عامل في التاريخ* ص١٠٠.

(٢) *زبدة الأصول* ص٨٠.

(٣) *جبل عامل في التاريخ* ص١٠٢.

تركه مما لا ينبع الرّيب فيه، أما الخاص فللمثبتين توقف الواجب فيحرم على تركه فيجب، واستلزام فعله ترك الواجب فيحرم وفيهما كلام، وللنَّافين تحقق الذهول حال الأمر على الأضداد الوجودية، فأين النهي عنها، وفيه أنه مستنبط منه لدليل الإشارة، فلا يضرّ الذهول مع انتفائه في ما أصل هذا الأصل له، وللبحث من الجانبين مجال واسع، ولو أبدل النهي عن الضد الخاص بعدم الأمر به فيبطل... والأكثر على أن الأمر لا يكفي في وجوب قضائه لو فات، لعدم دلالة صوم الخميس على صوم غيره بوجه، واحتمال اختصاص جهة الحسن به، والاستدلال بالأداء والتسوية ضعيف، قالوا أمرنا بالصوم وبتخصيصه، وبفوت الثاني لا يفوت الأول، والوقت كأجل الدين ويلزم أداؤه»[1].

وأهم المسائل المتفرعة من هذا الأصل بطلان العبادات المأمور بأضدادها وعدمه، كالصلاة عند ردّ الوديعة، وإزالة النجاسة عن المسجد مثلاً، وكالحج حال مطالبة الزوجة بالمهر، إلخ.

ويقول السيد مهدي الروحاني[2]: «وهذا ينبئنا عن عظمة مقام الشيخ البهائي عندهم في ذاك الفن (علم الأصول)، والعلماء يعرفون أن بحث الترتيب من أكبر المسائل الأصولية، ولنظر الشيخ البهائي أثر كبير في نضج المسألة وكمالها، حيث كانوا يقولون في مسألة وجوب إزالة النجاسة عن المسجد في وقت الصلاة، إن النَّهي متعلق بالصلاة في ذاك الوقت، فتصير منهيّاً عنها فهي باطلة، فأورد الشيخ البهائي على ترتيب تلك الثمرة على ذاك الشيء، بأن بطلان الصلاة لا يتوقف على توقف النهي بها، بل يكفي في البطلان عدم الأمر بها، فصار كلامه مثالاً للرد والإيراد، ووصل البحث إلى هذه المرتبة»..

(١) *زبدة الأصول* الورقة ٨٨.

(٢) مقالة عن الشيخ البهائي في مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص١٣٠.

ولا تزال هذه المسألة موضع بحث عند العلماء، فمنهم من يرى الترتب محالاً، ومنهم من يعدُّها من البديهيات[1].

وإن علم الأصول وإن اشتمل على جملة من المباحث العقلية، إلا أن علاقته باللغة أكيدة ولا سيما اللغة العربية، لذلك بحث في زبدة الأصول في **المنهج الثالث**: مباحث لغوية بأسلوب منطقي كأدلة عقلية على آرائه في مسألة ثمرة الضد[2].

المنهج الرابع: في الاجتهاد والتقليد[3]:

قال: «إن الاجتهاد ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الأصل فعلاً أو قوة... أو هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية، بحيث ينتفي اللوم عنه بسبب التقصير... أو هو استفراغ الفقيه الوسع في تحصيل الظن بحكم شرعي... ويراد بالفقيه من مارس الفنَّ...

وأحكام النبي ليست عن اجتهاد... «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى»... فأحكامه قطعية لا اجتهادية، وهذا يعمُّ سائر المعصومين عليهم السلام..

ولا بد لمن يجتهد في مسألة من تحصيل ما يتوقف عليه الاجتهاد فيها، وإن الشبهات كثيرة، والنظر مظنَّة الوقوع في الضلالة، والتقليد أسلم، وإن قول من يوثق به كالنبي والإمام، بل العدل العارف أوقع في النفس، مما تفيده هذه الدلائل المدوَّنة، وإن قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مطلق غير مقيَّد بالفروع».

---

(١) مراجعة البحث حول هذه المسألة في «*جبل عامل في التاريخ*» من ص١٠١ ـ ١٠٩ *وأعيان الشيعة* ج٦ ص٢٤٣.

(٢) *زبدة الأصول* من ص١٠٠ ـ ١٢٥.

(٣) *زبدة الأصول*. الورقة ١٢٦ ـ ١٣٥.

المنهج الخامس: في الترجيحات[1]:

الترجيح تقديم أمارة على أخرى في العمل بمؤدَّاها... والترجيح إما بالسَّند أو المتن، أو المدلول... فالسند بالعلو وكثرة الرواة وزيادة الثقة والفقاهة والعربية، والفطنة، والورع والضبط، وكثرة المزكّين، وأعدليتهم وأعلميتهم، بالرجال والمباشرة والمشافهة والقرب والحفظ ومخالطة العلماء، والتحمل بالغاً وعدم التباس الاسم بضعيف أو مجهول...

وأما **المتن** فالمسند على المرسل والمقروء على المسموع، والمسموع من الأصل على المشتبه، والمؤكد على العاري والحقيقة على المجاز... والفصيح على غيره، والمنطوق على المفهوم...

وأما **المدلول** فالتحريم على الإباحة، والإثبات على النفي، وما تضمن درء الحدِّ على الموجب والعتق على عدمه[2]...

الرسالة الاعتقادية

من أعمال الشيخ بهاء الدين العاملي المهمَّة: «الرسالة الاعتقادية»[3]، وهي على قصرها، خلاصة للمنهج الذي سار عليه في

---

(١) *المصدر نفسه* الورقة ١٣٥ ـ ١٤٠.

(٢) يشير في نهاية كتابه إلى أنه كتبه في أول شهور السنة الثانية بعد الألف، أي قبل وفاته بثمانية وعشرين عاماً، وكان في حوالى الخمسين من عمره.

(٣) توجد عدة نسخ مخطوطة من هذه الرسالة في مكتبات إيران والنجف:
فهرس المكتبة المركزية ج٣ ص٥٣٤ وج١١ ص٢٣٨١.
فهرس المكتبة الرضوية ج٤ ص٢٦ وفهرس *مكتبة المرعشي* ج٣ ص١٩٥.
وفهرس *مكتبة ملك* ج٥ ص٣٧٨. *الذريعة* ج٢ ص١٢٣٨.
«*مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة*» في النجف الأشرف رقم ٢٨٠٧ وهذه =

حياته، هذا المنهج الذي أبعده من التعصب المذهبي(١)، الذي هو صنو التحجر والجمود، إنَّها مَعْلَمٌ من أهمَّ معالم شخصيته، من ناحية الاعتدال، ودعوته إلى الحوار القائم على المعرفة المتبادلة، كما أنها مكمِّلة لما كان قد بدأه في حواراته مع العلماء والشخصيات الذين التقى بهم خارج إيران.

تظهر لنا شخصيته من خلال «رسالته الاعتقادية» واضحة جليَّة، هذه الشخصية المتزنة، المتوازنة، التي تحاور الآخر أي تعترف بوجوده، تتعرَّف إليه، وتعرفه بنفسها، موضحة الصورة الخافية عليه من نهجها.

إن هذه الرسالة عمل فريد في بابه بالنسبة إلى ذلك العصر، لأنها تختلف كلَّ الاختلاف عن الكتب المذهبية والعقائدية الأخرى، عند السنة والشيعة، التي تملي على قارئها ما يجب أن يعتقد كي يكون على مذهب واضعه، نجد هذه الرسالة تخبر قارئها بمجمل معتقدات الشيعة الإمامية، ما يلتقون به وما يختلفون عن غيرهم من أصحاب المذاهب الأخرى من المسلمين بطريقة موضوعية مجرَّدة.

لقد هاله ما سمع في أثناء رحلته خارج إيران مما ينسب إلى الشيعة، واعتبار مذهبهم من المذاهب الباطلة، بسبب النزاع المذهبي

= المخطوطة منسوخة سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م. أي بعد وفاة مؤلفها بخمس سنوات.

ـ ولهذه الرسالة شرح يسمى بـ *«الفرائد البهية في شرح الاعتقادية البهائية»* كما في *الذريعة* ج٢ ص٣٨٢.

ـ وقد طبعت الرسالة سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م. (*الذريعة* ج٢ ص٣٨٢).

كما أعاد نشرها الشيخ جعفر المهاجر في مجلة الثقافة الإسلامية عدد ١٢/ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ص٣٠١ ـ ٣٠٥.

(١) يمكن مراجعة وصف ابن تيمية لشيعة لبنان في الرسالة التي وجهها إلى السلطان الملك الناصر في مجلة الفكر الإسلامي. السنة السابعة، جمادى الثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. بيروت ومجموعة *الرسائل والمسائل* مجلد ١ ج٣.

الذي غذّاه الصّراع السياسي بين الدولة العثمانية والصفويين(١).

ويحتمل أن يكون الشيخ بهاء الدين قد وجّه هذه الرسالة في الأصل إلى إنسان بعينه، قد يكون «ميرزا مخدوم شريفي»(٢) (المتوفى سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٩م)، لأن ما جاء فيها كأنه ردٌّ على ما جاء في كتاب ميرزا مخدوم «النواقض لبنيان الروافض» الذي كتبه في مكّة بعد أن هرب إليها من إيران، في حمأة الفوضى السياسية التي أعقبت وفاة الشاه طهماسب، ووفاة ابنيه حيدر وإسماعيل الثاني.

ولم يقتصر ميرزا مخدوم في تلك الرسالة على ذكر نواقض الحكم الصفوي السياسية، بل تعدّاه إلى الفكر الإثني عشري ممثلاً ببعض تطبيقاته الاجتهادية، وليس غريباً أن يخلص «الميرزا مخدوم» من وراء ذلك إلى القول إن الإثني عشرية تبع المعتزلة في عقائدهم، مستدلاً على

---

(١) يكفي أن نتذكر ما جاء في رسائل السلطان سليم الأول العثماني، التي كان يهدد بها الشاه إسماعيل الصفوي، والرسائل المتبادلة بين الشاه إسماعيل وزعيم الأوزبك شيبك خان، والتي يتهم كلاهما فيها الشيعة (وبفتوى من فقهاء السنة)، بالمروق من الدين وإحلال البدع محل العقيدة (زنادقة، أوباش، ملاحدة، مرقة، ضالة ـ رفضة. . .)، وبالمقابل موقف فقهاء الشيعة من السنة في إيران، تشكيل شاهنشاهى صفويه من ص١٦٧ إلى ص ١٧٥. «وعندما حاصر عبد الله خان الأوزبكي سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م مشهد المقدسة، نهبت جيوشه الحبوس الكثيرة التي كانت موقوفة على زوار ضريح الإمام الرضا عليه السلام وقد كتب القيمون على المقام إلى عبد الله خان يسألونه كيف تسمح له مشاعره الدينية أن يدمر جيشه ممتلكات الإمام، فرد عليهم مشايخ أهل السنة، وحملوا على عامة الشيعة حملة شعواء طويلة، واحتجوا أن أصحاب هذا المبدأ هم على مقتضى أحكام السنة أشدّ كفراً من المشركين الذين أمر الله بقتلهم والقضاء عليهم لأنهم سقطوا في حمأة الضلال المبين: *الأعيان* ج١ ص٣٦ و*تاريخ بخارى* ص٣٤٢، *زندگانى شاه عباس أول* ج١ ص١٦١.

(٢) أحد حفاد السيد شريف الجرجاني، ترك وطنه بسبب تسننه إلى الدولة العثمانية، ثم انتقل إلى مكة. توفي في إسلامبول. *فرهنگ فارسى* جزء ٦ صفحة ١٩٣٣.

ذلك بما ورد عن نصير الدين الطوسي والعلامة الحلّي، وجلال الدين الدّواني في مسألة التحسين والتقبيح العقليين[1].

يبدأ الشيخ البهائي «الرسالة الاعتقادية» بذكر الباعث على تحريرها، وغرضها الأساسي، فيقول بعد البسملة والحمد إن «الغرض من تحرير هذه المقالة، والباعث على تدوين هذه الرسالة، أنه كان لبعض الفرق الباطلة، الذين سموا أنفسهم باسم الشيعة كالواقفية، والكيسانية وغيرهم، اعتقادات فاسدة، في بعض الأصول الاعتقادية والفروع العملية، وكنَّا معاشر الشيعة بريئين من تلك الأصول الباطلة والفروع العاطلة، ومخالفونا من أهل السنة، لمَّا لم يطلعوا على حقيقة مذهبنا، لم يفرّقوا بيننا وبين أولئك الفرق الضالة، لاشتراك الجميع في اسم الشيعة، نسبوا ما عليه تلك الفرق من بعض العقائد الفاسدة والآراء الكاسدة إلينا وشنَّعوا بها علينا، **فأردنا أن نبيِّن ما نعتقده من المطالب الأصلية، والأحكام الفرعية، وما نحن عليه من المسائل التي يظن المخالفون أنَّا لا نقول بها**، بل نعتقد خلافها، والله يُحقُّ الحقَّ ويهدي إلى سواء السبيل»..

إذا هو وضّح في هذه المقدمة سبب وضعه للرسالة، وهو ما شُنِّع به على الشيعة في عصره، ثم عرض معتقدات الشيعة الأساسية، التي يعتقد المخالفون أنهم يقولون خلافها: ثم يفصِّل قائلاً:

«فنقول: إنَّا معشر الشيعة الإثني عشرية إنما أخذنا أصولنا الدينية وفروعنا المليَّة، مما قامت عليه البراهين العقلية وشهدت به الدلائل النقلية، التي وصلت إلينا من أئمة أهل البيت ﷺ، كما أخذ غيرُنا

---

(١) *الفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية* ص٢٦٧ نقلاً عن النواقض *لبنيان الروافض* مخطوط ص٦٩ ـ ٧٠.

أحكام مذهبهم عن غيرهم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فنعتقد أن العالم، أي جميع ما سوى الله سبحانه، حادث عن القدم، جوهراً كان أو عرضاً، بسيطاً أو مركّباً، وأنه لا قديم إلا الله، وأنَّه واجد الوجود لذاته... ونعتقد أنه أرسل رسلاً بالحجج والبينات آخرهم نبيّنا محمد أشرف الأنبياء والمرسلين... وأنه معصوم من الكبائر والصغائر والسهو والنسيان... وأن جميع أوامره ونواهيه الدينية ليست بالاجتهاد، وإنما هي بالوحي، ونعتقد أن خليفته من بعده على أمته... أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

...ونعتقد ظهور المعجزات على يد الأنبياء، والكرامات على يد الأولياء، وأنَّ الحُسنَ والقُبحَ بمعنى ترتّب استحقاق المدح والذمّ عقليان[1]، وأنَّ شكر المنعم واجب عقلاً وسمعاً[2]، وأنّنا فاعلون لأفعالنا ولسنا مجبورين عليها، وأنَّ الله سبحانه لم يكلّفنا إلاّ ما نطيقه، وأن تكليف ما لا يطاق قبيح لا يصدر عنه تعالى، ونحمل آيات القرآن المجيد على ظاهرها[3]، إلا ما قام الدّليل على خلافه، كقول الله سبحانه:

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ و﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ و﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ وأمثال ذلك...

ونعتقد وجوب محبّة أصحاب رسول الله، الذين أقاموا على متابعته، ولم يخالفوا أمرَه بعد وفاته، وانقادوا إلى ما أوصاهم به حال

(١) مسألة التحسين والتقبيح العقليين من المسائل التي شنَّع بها ميرزا مخدوم على الشيعة وقد وضّح بهاء الدين العاملي هذه المسألة في *الكشكول*.
(٢) عالج البهائي هذه النقطة في *الكشكول* وأوضح رأي الأشاعرة والمعتزلة والشيعة.
(٣) اتهم ميرزا مخدوم وغيره الشيعة بتأويل الآيات القرآنية.

حياته، ونتبرأ ممن حارب أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب عليه السلام أو غَصَبَ حقَّه، وأعان على ذلك أو رضي به.

ونعتقد وجوب الصلوات الخمس على كل شخص بالغ عاقل... وأن الأغسال الواجبة ستَّة... ولا تجوز الصلاة في المكان المغصوب، ولا في الحرير المحض والذهب... ولا يجوز الصلاة بغير فاتحة الكتاب... ولا يجوز الصلاة خلف الفاسق ومجهول الحال... ونعتقد بوجوب الزكاة في تسعة أشياء... ووجوب صوم رمضان على كل بالغ عاقل... ونقول بوجوب الحج مرة على كل من استطاع إليه سبيلاً..

ونقول بوجوب جهاد الكفار... وبتحريم الربا والرشوة والسحر والقمار، وحلق اللحية وأكل السمك الذي لا فلس له... ونعتقد أن شرب الخمر وكل مسكر حرام...»

ثم يقول في نهاية الرسالة مؤكّداً ما كان قد قاله في مقدّمتها: «هذه عقائدنا التي نسب مخالفونا خلافها إلينا وافتروا بذلك علينا، والله وليُّ التوفيق»[١]...

لقد استطاع الشيخ بهاء الدين العاملي أن يضع الفكر الإثني عشري في الموقع الصحيح ويشذّبه من كل ما علق به، وقد خلت الرسالة كما أسلفنا من اللهجة العدائية المتوترة، التي اتسمت بها كتابات معاصريه من الفريقين[٢]، فهي تخبر قارئها بطريقة موضوعية عن خصائص المذهب

(١) *الرسالة الاعتقادية*. مجلة الثقافة الإسلامية عدد ١١٢/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م من ص٣٠١ ـ ٤٠٥.

(٢) ما جاء على لسان الذين التقى بهم خارج إيران من ذم للشيعة، وما جاء في رسالة ميرزا مخدوم *«النواقض لبيان الروافض»* وفي كل ما فعله السَّاسة لتجذير الصراع خدمة لمآربهم... =

الشيعي الإثني عشري، واستقراء ما كان ميدان خلاف بين متكلمي الشيعة والسنة وفقهائهم، ثم إنها كما هو واضح، موضوعة للشيعة ولغيرهم، بينما كتب العقائد الأخرى، توضع أساساً لجمهور واضعها، وتؤكّد على مزيد من الخصوصيَّة والتميّز.

= ويمكن مراجعة بعض كتب *المحقق الكركي* مثلاً «في *استنباط الأحكام*» من ص١٨ ـ ٢٠، ط. النجف/ ١٩٧١ وما فيه من لهجة عدائية تجاه أهل السنة.

الفصل الرابع

الاتجاه الفلسفي الصوفي

- الفقيه الفيلسوف
- الفقيه والتصوف
- التوفيق بين الحقيقة والشريعة

الفصل الرابع
الاتجاه الفلسفي الصوفي

لا بد لنا ونحن نتحدث عن البهائي فقيهاً من أن نعرّج على الاتجاهين الفلسفي والصوفي عنده لأنهما شديدا الصلة بالاتجاه الفقهي الاجتهادي، وقد تطرَّق البهائي إلى بحث قضية الخالق ووحدانيته وصفاته، والبعث والنشور والكون والإنسان والقدر والجوهر الفرد، التي عالجها الفلاسفة المسلمون قبله، فتناولها بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والوجدانية، أي بما يؤمن به العقل والقلب معاً.

الفقيه الفيلسوف:

الله: ففي بحث وجود الله جلّ وعلا، يرى البهائي أن التصديق بوجوده لا يحتاج إلى برهان، وكلَّ من زعم أنه وصل إلى كنه الحقيقة فقد ضلَّ وغوى، لأنه مخالف لظاهر الشريعة، ولأن «العبارات قاصرة عن أدائه وغير وافية ببيانه، فكل عبارة قرَّبته إلى الذهن من وجه أبعدته عنه من وجوه»[1]، كذلك فإن «تصور كنه الحقيقة أو ما يقرب من الكنه من أمحل المحالات، لأن الأمر أجلّ وأرفع من أن يحيط به عقل بشر»[2].

---

(١) *الكشكول. أعلمي* ج٣ ص٢٢ وط *دار الكتاب* ص٦٣٠.

(٢) *المصدر نفسه* ج٣ ص١١ و*دار الكتاب* ص٦٢٥.

الصفات: وأما ما ننسبه من **صفات إلى الله تعالى**، فإنما هو على قدر عقولنا القاصرة، وتصوراتنا الواهمة، ولا يمكن أن تعبّر حقيقةً عن ماهية الله[1]، فصفات الله جلَّ وعلا هي عين ذاته، وذاته **القدرة** الكليَّة: «معنى كون صفاته تعالى عين ذاته، أنه يترتب على ذاته الأحدية من حيث هي، ما يترتب على ذات مع صفة، مثلاً: ذاتك ليست كافية في انكشاف الأشياء عليك، بل تحتاج في ذلك إلى صفة العلم، الذي يقوم بك، بخلاف ذاته تعالى، فإنه لا يحتاج في انكشاف الأشياء إلى صفة تقوم به، بل المفهومات كلها لأصل ذاته منكشفة عليه، فذاته بهذا الاعتبار حقيقة العلم، وكذا الحال في القدرة، ومرجع هذا إلى نفي الصفات مع حصول نتائجها، وهو المشار إليه في نهج البلاغة بقوله عليه السلام: وتمام توحيده نفي الصفات عنه[2].

القدرة والاختيار: وأما معنى القدرة والاختيار، فهو أنه عزّ وجل قادر بمعنى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل... ومشيئة الفعل الذي هو الفيض والجود لازمة لذاته، كلزوم العلم وسائر الصفات الكمالية، فيستحيل الانفكاك بينهما...

ولقد اقتضت الحكمة إيجاد هذا العالم الجسماني برهة ما، بسرٍّ خفي لا يهتدي أكثر العقول إليه، ولا يتسلَّق أكثر الأفهام للاطلاع عليه، إلا من فتح الله سبحانه عن بصيرته، وأضاءت مشكاة الهداية في سريرته، وذلك قليل بل أقل من القليل: «فإن هذا قباء لم يخطّ على قدِّ كلّ ذي قدّ، ونتائج لم يفرِّق مقدّماتها كلّ على ذي حدّ»[3].

(١) *المصدر نفسه* ج٢ ص٢٧٥ *ودار الكتاب* ص٤٨٨.

(٢) *الكشكول أعلمي* ج٣ ص٣١٤.

(٣) *المصدر السابق* ج٣ ص١٢٣.

كلام الله: ثم نراه يناقش المتكلمين والأشاعرة والمعتزلة في قولهم إن الكلام صفة الله تعالى، ويقول البهائي: «الحق أن الكلام يطلق على معنيين: على الكلام النفسي، وعلى الكلام اللساني، وقد يقسم الأخير إلى حالتين: ما للمتكلم بالفعل، وما للمتكلم بالقوة، ويتبيّن الكل بالضدّ، كالنسيان للأول والسكوت للثاني، والخرس للثالث، والمعنى يطلق على معنيين: المعنى الذي هو مدلول اللفظ، والمعنى الذي هو قائم بالغير... والكلام النفسي شامل للفظ والمعنى، قائم بذات الله تعالى، وهو مكتوب في المصاحف، مقروء بالألسنة، محفوظٌ في الصدور، وهو غير القراءة والكتابة، والحفظ الحادثة، كما هو المشهور من أن القراءة غير المقروء... والمعنى الذي في النفس لا ترتب فيه ولا تأخر، كما هو قائم بنفس الحافظ ولا ترتيب فيه...»[1].

الوجود: إن بحث الوجود والموجود يؤدي إلى بحث العلة والمعلول: «المعلول إن اعتبر من حيث نسبته إلى العلة على الوجه الذي انتسب إليها كان له تحقق، وإن اعتبر ذاتاً مستقلة كان معدوماً بل ممتنعاً، كالسواد إن اعتبر على النحو الذي هو في الجسم كان موجوداً، وإن اعتبر على أنه ذات مستقلة كان معدوماً بل ممتنعاً»[2].

ويقول البهائي إن العوالم الكليَّة منحصرة في عالمين: «عالم الخلق وهو ما يحسّ بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، وعالم الأمر، وهو ما لا يُحَسُّ بها كالروح والعقل... وربما يعبّر عن هذين العالمين، بعالم الملك والملكوت وعالم الشهادة والغيب، والظاهر والباطن، والبرِّ والبحر، وغير ذلك من العبارات، وقد خلق الإنسان جامعاً بين هذين

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٢ ص٣٨ *ودار الكتاب* ص٢٦٨.

(٢) *المصدر السابق* ج٣ ص٤٤٣.

العالمين، فجسده أنموذج من عالم الخلق، وروحه من عالم الأمر، . . . ولقد كانت روحه سابحة في بحر الحقيقة، قبل وجود سائر الموجودات، وحاملها العناية الأزلية. . . ثم أودعت هذه الروح في حجر ظئر الجسد لتكسب بعض الكمالات، وتحصل بعض الاستعدادات، التي لا تحصل بدون ذلك، ثم تسير إلى أصلها، وتسبح إلى منشئها، وتعود إلى بحر الحقيقة، وقد حصل لها استعداد قبول الفيوض الجلاليَّة للإشراق بالأنوار والبوارق السرمدية»[1].

النفس: أما بالنسبة إلى النفس الإنسانية فيرى البهائي أن هنالك اختلافاً كبيراً بين الفلاسفة حول حقيقتها أو ماهيتها، ويقول إن المذاهب في حقيقة النفس كثيرة، والمشهور منها أربعة عشر مذهباً، وهو يتبنى منها المذهب الذي يقول «إن النفس جرمٌ مجرّد عن المادة الجسمانية وعوارض الجسمانيات، لها تعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرّف، والموت هو قطع هذا التعلق. . . ويقول إن هذا هو مذهب الحكماء الإلهيين، وأكابر الصوفية، والإشراقيين، وعليه استقرّ رأي المحققين من المتكلمين، كالإمام الرازي، والغزالي والمحقق الطوسي، وغيرهم من الأعلام، وهو الذي أشارت إليه الكتب السماوية، وانطوت عليه أنباء النبوَّة، وقادت إليه الإيماءات الحسيَّة والمكاشفات الذوقية.

والنفس هي التي تقرّب الإنسان من خالقه، لذلك فإن الله قد خصَّ الإنسان دون غيره من المخلوقات بكراماته وألطافه، واصطفاه من بين الموجودات بخلافته، «لذلك وجب عليه التخلّق بأخلاقه، والتشبُّه بأوصافه، لأن الحكيم لا يستخلف السفيه، والعالم لا يستنيب الجاهل، ولهذا قال النبي ﷺ: «تخلّقوا بأخلاق الله»[2].

---

(١) الكشكول: *أعلمي* ج٣ ص٢١٩.

(٢) الكشكول: *أعلمي* ج٣ ص١٥٥.

«ومثل نفس الإنسان في بدنه كمثل وال في بلده، وقواه وجوارحه وأعوانه، والعقل له وزير ناصح، والشهوة فيه كعبد سوء جالب للمسرَّة، والعبد المذكور خبيث مكَّار، يتمثل للوالي بصورة الناصح، وفي نصحه دبيب العقرب، ويعارض الوزير في تدبيره، ولا يغفل ساعة عن معارضته ومنازعته، وكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبير أمور بلده وزيره دون هذا العبد الخبيث، وجعل الوزير مسلّطاً على هذا العبد حتى يكون العبد مسوساً لا سايساً، ومدبَّراً لا مدبِّراً، استقام أمر بلده، كذا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير، وسلَّطته على الشهوة استقام أمرها وإلا فسد»[1].

وعلى هذا الأساس فإنَّ البهائي يميّز بين ثلاثة أنواع من النفوس[2]:

١ ـ النفس الأمّارة: وهي النفس المسخَّرة للقوة البهيمية، المائلة إلى الطبيعة البدنية، وهي التي تأمر باللذات والشهوات الحسيّة، وتجذب القلب إلى الجهة السفليَّة، وهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الدنيئة والأفعال الرديئة.

٢ ـ النفس المطمئنّة: وهي النفس الحاكمة على القوة البهيمية، المنقادة للقوة الملكية، الراسخة في الأخلاق المرضية، وهي النفس المترقّية إلى جانب عالم القدس المنتزهة عن جانب الرجس، المواظبة على الطاعات، التي شوقها إلى حضرة رفيع الدرجات حتى خاطبها

(١) *الكشكول* ج٣ ص٤٠٥، وهذا المعنى هو الذي تدور حوله القصيدة الرابعة من مثنوي *«نان وپنير» «الخبز والجبن»*.

(٢) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٣٣١ *وأربعين شيخ بهائى ط خاتون آبادي*، ص١٩٦ إلى ص١٩٨.

بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

٣ ـ **النفس اللوامة**: وهي التي تميل إلى الخير تارة، وإلى الشرّ أخرى، وإذا صدر منها شيء لامت نفسها، التي حصلت من النور على مقدار ما تتنبه به من سنة الغفلة... وكلما ساء طبعها الأصلي تداركها نور التنبيه، فأنابت واستغفرت ربّها، وأقبلت عليه، ولهذا أقسم الله بها فقال: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾.

وفي قصة «موش وگربة» (الهر والفأر)، التي اعتمد فيها أسلوب التمثيل الذي اعتمده ابن المقفع في كليلة ودمنة، يقول الشيخ لا تظنوا أن حوار الفأر والهر بلا جدوى: فالفأر نفسكم الأمارة بالسوء التي تريد بالحيلة والمكر أن تتخلص من سلطة العقل، وتضيِّع في كل لحظة على العقل نعمة الاختيار... لقد استطاع الهر بقوته أن يسيطر على الفأر، ولكنَّ الفأر وعده بالخبز والمَرَق فكانت النتيجة أن لان له، وحجب الطمع بالملذات بصيرته، فخُدع وأفلت الفأر من يده، وأنت إن لم تفلت عنانك من يدك وتسلّمه للنفس الأمّارة فلن تتأخر عن نيل مطلبك...[1].

وإن بعض قصائد مثنوي «نان وپنير» (الخبز والجبن) ذات نفس فلسفي وتعكس أفكار البهائي حول العقل[2]، وعلاقة العقل بالنفس، واختلاف عقول البشر، وفي ماهية الذوات ومجانسة الذوات للصفات[3].

---

(١) موش وگربه: ص١٩٣، *والقوس والنفاق بلسان القط والفأر*، ترجمة وتحقيق، دلال عباس ورياض الريّس، بيروت ١٩٩٥.

(٢) *نان وپنير*: القصيدة الثالثة.

(٣) *نان وپنير*: القصيدة الرابعة.

العقل: والعقل هو الذي يميز الإنسان من البهيمة، وإن التفكير في أمر الدين ولو ساعة واحدة أفضل من عبادات سنين متطاولة.

والعقل في نظره عقلان: **العقل الطبيعي** وهو موهبة من الله عزّ وجلّ، ونبعه الحقيقي داخل النفس، وهو ليس بحاجة إلى تغذية من الخارج، **والعقل المكتسب** أو العقل التحصيلي وهو الذي يتربَّى بالتعلم من الكتاب والعلم والفكر والذكر والمعاني اللطيفة والمبتكرة: المعارف الدنيوية والعلوم الأخروية، وهو كالينابيع التي تأتي إلى المنزل من النواحي البعيدة، فإذا ما سدّت طريقها لأي سبب من الأسباب، يصاب الجسم بالعطش، ويصاب بألف داء(١).

الفلسفة والشريعة: وفي محاولاته للتوفيق بين الفلسفة والشريعة يقول: «إن الله سبحانه أرسل إلى خلقه رسولين: أحدهما من الباطن وهو **العقل**، والآخر من الظاهر وهو النبي، وبالرسول الباطن يعلم صحة دعوى الرسول الظاهر، والعقل قائد والدين مسدِّد، والمعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحَّة، والشرعيات تجري مجرى الأغذية الحافظة للصحّة، وكما أن الجسم متى كان مريضاً لا ينتفع بالأغذية، بل يستضرُّ بها، كذلك من كان مريض النفس كما قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(٢)، لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات، بل صار ضاراً له مضرة الغذاء للمريض، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَأَمَّا

---

(١) *نان وپنير*، القصيدة الرابعة: وقد أوردت المعنى العام، ولم أعتمد الترجمة الحرفية.

فكر يكساعت ترادر امر دين ‏ ‏ ‏ ‏ أفضل آمد از عبادات سنين

(٢) ج١، سورة البقرة، آية ١٠.

﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1].

ويرى البهائي أن القلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات، والاعتقاد فيه بمنزلة البذر: إن خيراً وإن شراً، وكلام الله تعالى بمنزلة الماء إذا سقى الأرض يختلف نباتها بحسب اختلاف بذره، كذا القرآن، إذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب تختلف تأثيراته، وإلى ذلك أشار تعالى بقوله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[3][4].

الحزن والغضب: وقد تطرَّق البهائي إلى موضوع الحزن والغضب وأثرهما في النفس الإنسانية[5]، كما يحث موضوع النيَّة وعلاقتها بالنفس الإنسانية: «قد يسمع الجاهل ما ذكره أصحاب القلوب من المبالغة والتأكيد في أمر النيَّة، وإن العمل بدونها لا طائل تحته، كما قال سيّد البشر: «إنما الأعمال بالنيات» و«نية المرء خير من عمله» فيظن هذا المسكين أن قوله عند تسبيحه أو تدريسه: أسبّح قربة إلى الله، أو أدرِّس قربة إلى الله، مخطراً معنى هذه الألفاظ على خاطره هو النيَّة، وهيهات،

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٤٠٣ وتخريج الآية ج١٠، سورة التوبة، آية: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) ج١٣، سورة الرعد، آية ٤.

(٣) ج٨، سورة الأعراف، آية ٥٨.

(٤) *الكشكول ط. أعلمي* ج٣ ص٤٠٣.

(٥) *الكشكول* ط دار الكتاب ص٦٠٣.

إنما ذلك تحريك لسان وحديث نفس أو فكر، وانتقال من خاطر إلى خاطر، والنيَّة عن جميع ذلك بمعزل، إنما النية **انبعاث النفس** وانعطافها وميلها وتوجهها إلى فعل ما، فيه غرضها وبغيتها، إما عاجلاً وإما آجلاً، وهذا الانبعاث والميل إذا لم يكن حاصلاً لا يمكنه اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة المتخيلة... بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى شيء وميله وتوجهه إليه إلا باكتساب أسبابه، فإن النفس إنما **تنبعث إلى الفعل وتقصده** وتميل إليه إجابة للغرض الموافق الملائم لها بحسب اعتقادها، وما يغلب عليها من الأحوال[1]...».

اللذة: كما أن البهائي يقسم اللذة إلى أنواع عدة تتناسب مع أدوار عمر الإنسان: **أولها**: لذة اللعب... **وثانياً**: لذة اللهو... **وثالثاً**: لذة التزين... **ورابعاً**: لذة الجاه والسلطان... **وخامساً**: لذة العلم بالله، وهذه لا تأتي للناس جميعاً، وإنما قد تظهر عند بعض الناس: «...ثم بعد ذلك فقد تظهر لذة العلم بالله تعالى، والقرب منه والمحبة له، والقيام بوظائف عباداته، وترويح الروح بمناجاته، فيستحقر معها جميع اللذات السَّابقة، ويتعجب من المنهمكين فيها...[2].

المعاد: أما المعاد فإن رأي البهائي فيه لا يختلف عن رأي الإمام الغزالي والطوسي وكثير من الصوفية، الذين يثبتون المعاد الروحاني والجسماني معاً، وهو يردّ على الطبيعيين الذين ينفون المعاد سواء منه الجسماني أو الروحاني جملة وتفصيلاً[3].

---

(١) *الكشكول*. ط. دار الكتاب ص٥٤٢ *وط أعلمي* ج٢ ص٣٢٠.

(٢) *الكشكول. أعلمي* ج٢ ص٣٣٦ *وط. دار الكتاب* ص٥٦٢.

(٣) *الكشكول نفسه. أعلمي* ج٢ ص١٩٣ وج٣ ص٢٥٨ *وط. دار الكتاب* ص٤١٤ وص٧٠٥.

ويقول إن «المعاد الجسماني هو تأليف أجزاء البدن وجمعها بعد تفرقها وخلع صورها، بناء على أن الجسم لا يعدم بالكليَّة، أو هو بإحداث الجسم مرَّة أخرى...»[1].

الروح: ويقول إن **الأرواح الإنسانية** كانت قبل ظهورها في الأبدان ظاهرة في عالم المثال بصور مناسبة لها، وهي مشهودة فيها لأرباب الشهود، وجميع أرباب المكاشفة أكثر ما يكشفون فيه من الأمور الغيبية تكون في هذا العالم، وفيه تتجسّد الأعمال والأفعال الإنسانية الحسنة والقبيحة، كل بما يناسبه، ولكل إنسان منه نصيب هو القوَّة الخيالية التي يرى فيها المنامات، وأول ما ينفتح للإنسان عند غيبته عن هذا العالم الجسماني هو هذا العالم المثالي، وفيه يشاهد أحوال العباد بحسب صفاء الباطن وقوة الاستعداد، فإن من يشاهد أمراً يقع بعد سنة أقوى استعداداً ممن يشاهد ما يقع دون تلك المدة[2].

النبوَّة: يرى البهائي أن الإنسان إما أن يكون ناقصاً وهو أدنى الدرجات، وإما أن يكون كاملاً في ذاته لا يقدر على تكميل غيره وهم الأولياء، وإما أن يكون كاملاً في ذاته قادراً على تكميل غيره، وهم الأنبياء ﷺ وهؤلاء في الدرجة العالية... ثم إن الكمال والتكميل، إنما يعتبران في القوة الفطرية والقوة العملية، ورئيس الكمالات المعتبرة في القوة العملية طاعة الله تعالى، وكل من كانت درجاته في تكميل الغير في هاتين المرتبتين أعلى كانت درجات نبوَّته أكمل... ويقول: «إذا كان لا معنى للنبوَّة إلا تكميل الناقصين في القوة النظرية والقوة العملية، ورأينا أن هذا الأثر حصل بمقدم محمد ﷺ أكمل وأكثر مما ظهر بسبب مقدم

(١) *المصدر نفسه. أعلمي* ج٣ ص٣١٤.
(٢) *المصدر نفسه. أعلمي* ج٣ ص٣٦٧.

موسى وعيسى عليهما السلام علمنا أنه سيّد الأنبياء وقدوة الأصفياء»[1].

ولا بدَّ للإنسان الذي يسعى إلى الفوز بإكسير السعادة الأخروية أن يسلك في الحياة الدنيا وفق الصراط المستقيم الذي رسمه الأنبياء: «اعلم أنه كما أن الإكسير لا يوجد في أسفاط الأسقاط والعجائز، بل إنما يوجد في خزائن الملوك الأعاظم، كذلك إكسير السعادة الأبدية، لا يوجد عند كل أحد، ولا يكون إلا في خزانة الربوبية، وخزائن الحق جلّ وعلا في السماء، هي الجواهر المجرّدة الملكية، وفي الأرض قلوب الأنبياء والأولياء، فمن طلب هذا الأكسير من غيرهم، فقد ضلَّ الطريق وزلَّ عن الصراط المستقيم، وكان عاقبة أمره الغشّ والتمويه... وانكشفت حقيقة حاله... ومن كمال رأفة الله بالعباد أن أرسل إليهم الأنبياء المتعاقبين المترادفين، ليعلِّموهم نسخة هذا الإكسير، ويدلّوهم على الطريق الموصل إلى هذا الأمر الجليل الخطير»[2]..

ويرى البهائي أن شكر المنعم واجب عقلاً، وإن لم يرد به نقلٌ أصلاً، وذلك لأنَّ من نظر بعين عقله إلى ما وُهب له من القوى والحواس الباطنة والظاهرة، وتأمَّل بنور فطرته في ما ركب في بدنه من دقائق الحكم الباهرة، وصرف بصيرته نحو ما هو مغمور فيه من أنواع النعماء وأصناف الآلاء التي لا يحصر مقدارها، ولا يقدر على انحصارها، فإن عقله يحكم حكماً لازماً، بأن من أنعم عليه بتلك النعم العظيمة والمنن الجسيمة، حقيق بأن يشكر، وخليق بأن لا يكفر، ويقضي قضاء جازماً بأن من أعرض عن شكر تلك الألطاف العظام، وتغافل عن حمد هاتيك الأيادي الجسام، مع تواترها ليلاً ونهاراً،

---

(١) *الكشكول. ط أعلمي* ج٣ ص٤٣ *وط. دار الكتاب* ٢٧٠.

(٢) *المصدر نفسه. أعلمي* ج٣ ص٢٥ *وط. دار الكتاب* ص٦٣٢.

وترادفها سرّاً وجهاراً، فهو مستوجب للذمّ والعتاب، بل مستحق لأليم النكال وعظيم العذاب[1].

الفقيه والتصوف

إن بهاء الدين العاملي مع حضّه على النشاط في الحياة والفاعلية فيها (وقد أعطى النموذج العملي على ذلك في ممارساته ومسلكه)، كان أميل إلى الزهد في الدنيا والتزام الصّمت، والبعد عن التماس العطاء من غير الله عزَّ وجلَّ.

ميلُه الزاهدُ هذا فيه حزمُ المؤمن المجاهد العارف، الذي خبر الدنيا وعرفها حق معرفتها، فتصرف حيالها بما تستحق، وماذا يستحق هذا الفاني سوى الرغبة عنه إلى الخالد الباقي؟

هذا الزهد في الحياة الدنيا يظهر واضحاً جليّاً، في تشجيعه النفوس على التخلص من ربقة المادة، كما يتضح في نَفسِه العرفاني الذي ظهر في سوانحه، وفي شعره العرفاني بالفارسية، وفي إكثاره من الحديث عن المتصوفة وأخبارهم في كتاب الكشكول.

بدأ هذا الميل عنده في مرحلة الشباب كما لاحظنا في أثناء دراستنا لآثاره النثرية والشعرية التي قالها في حقبة الشباب، بخاصة منها تلك التي قالها في أثناء رحلة الحج في سوانح سفر الحجاز: «لو لم يأتِ والدي. . . من بلاد العرب. . . لكنت من أتقى الناس وأعبدهم وأزهدهم. . . ولم يحصل لي من الاختلاط بأهل الدنيا إلا القيل والقال والنزاع والجدال. . .»[2].

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص٢٢٢ إلى ص٢٢٣ *وط. دار الكتاب* ص١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) *الكشكول: ط. أعلمي* ج١ ص٢١٣ *ودار الكتاب* ص١٤١.

إن بهاء الدين العاملي في دعوته إلى التوفيق بين الروح والمادة، بين الممارسة العملية والنيَّة، بين الظاهر والباطن، بين النصوص والمعاني الكامنة في هذه النصوص من جهة أخرى، تعرَّض لهجمات معاصريه من الفقهاء القشريين، فظهر عنده شعور بالغربة المادية والمعنوية:

وإني امرؤ لا يدرك الدّهر غايتي ولا تصل الأيدي إلى سبر أغواري
أخالطُ أبناء الزمان بمقتضى عقولهم، كي لا يفوهوا بإنكاري[١]

هذه الغربة أو التغرّب، هي التي كانت الدافع إلى عزلته عن الخلق، إذ كيف يمكن لمن عايش الناس وخالطهم أن يظلّ نقيّاً بعيداً من الشوائب؟

يقول في إحدى سوانحه: «إذا أغارت جيوش الضعف على مملكة القوى، بالعزلة عن الخلق والإنزوا[٢]، فسأل ربّك التوفيق، ولا تبال إذا عدم الرفيق الشفيق»[٣] وفي إحدى قصائده الفارسية من مثنوي «نان وحلوا» يقول:

«. . .إن العزَّة إنما تأتّت بالعزلة يا هذا، فما تبتغي أنت من الاختلاط بهذا وذاك. . . توجه نحو العزلة أيها الفرد الحكيم، وتفرّد عن جميع ما سوى الله، فالعزلة هي الكنز المطلوب يا حزين، لكن إذا اقترنت بعلم وبزهد، فالعزلة بلا زاي الزّهد علة، وبلا عين العلم زلة. .»[٤].

---

(١) قصيدة الفوز والأمان. *الكشكول ط. دار الكتاب* ص٧٤٦.

(٢) وردت هكذا في جميع الطبعات.

(٣) *أعلمي* ج١ ص٢١٣ *ودار الكتاب* ص١٤١ *وخرسان* ج١ ص١٨٥.

(٤) *كليات شيخ بهائى «نفيسي* ص١٢٢ وأول القصيدة»:

هر كه را توفيق حق امد دليل عزلتى بگزيد ورست از قال وقيل

ليس هنالك من تعارض على الإطلاق بين كونه فقيهاً وبين هذا الميل إلى التصوّف الذي يشاركه فيه جمهور كبير من علماء الشيعة من المتقدّمين عليه والمتأخرين عنه[1]، والذين نراهم يستعملون تعابير الصوفيَّة وألفاظهم، ولهم أحلامهم وتجاربهم الحدسيّة دون أن يكونوا منتمين إلى طريقة أو إلى تكيّة صوفية[2]، لقد كان التصوف الصّحيح منذ البدء تطبيقاً عملياً دقيقاً لتعاليم الإسلام على حياة المسلم وسلوكه، وصلته بالناس، وصلته بربّه من طريق المجاهدة وتصفية الباطن والانقطاع إلى حبّه تعالى، وابتغاء وجهه، يقول البهائي في إحدى سوانحه[3]:

«نور الأنوار محيط بجميع الأرواح والأشباح، لا تخلو منه ذرَّة من ذرَّات الأرض والسماوات، إلاّ أنه بكلّ شيء محيط... ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[4]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[5]... ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[6]... ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[7]... ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[8].

لم يكن بهاء الدين العاملي رجل الدين الذي تبقيه عبادته في حدود الشكل الظاهري، وإنَّما أخذته نشوة التعبّد بعيداً في عالم الباطن، فحظي بلحظات السعادة الكبرى التي هي همُّ الصوفيّ دائماً... إن شعلة

(١) خرسان: مقدمة *الكشكول* ص٨٨.

(٢) Henri Corbin en islam iranien p.85.

(٣) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٣٩ *ودار الكتاب* ٦٤٧.

(٤) ج٢٨، سورة المجادلة، آية ٧.

(٥) ج٢، سورة البقرة، آية ١١٥.

(٦) ج٢٧، سورة الحديد، آية ٤.

(٧) ج٢٧، سورة الواقعة، آية ٨٥.

(٨) ج٢٦، سورة ق، الآية ١٦.

ألإيمان توقدت في المكنون الملتهب في الأعماق: «إن ذرات الكائنات تنصحك ليلاً ونهاراً بأفصح لسان، وتعظك سراً وجهاراً بأبلغ بيان، لكن لا يفهم نصائحها الغبيّ البليد، ولا يعقل مواعظها إلا من ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾»[1].

فهو هنا يؤكد على الإدراك الحدسي والتجربة الحدسيّة في التصوف، وينحو نحو القلب، في سعيه نحو الوصول إلى الحقيقة، التي لا يصل إليها إلا من ألقى الله عزَّ وجلّ في قلبه شعلة الإيمان المقدَّسة والذوق العرفاني. ويعرّف البهائي التصوف بقوله: «هو التمسُّك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرّض والاختيار»[2].

لقد حاول البهائي أن يطبِّق تعاليم الإسلام تطبيقاً عملياً دقيقاً على حياته وسلوكه... وهو يكثر في كتاب الكشكول وفي مثنوياته الشعرية، وفي قصته النثرية «موش وگربه» من التحذير من الدنيا والإقبال عليها كما يكثر من الترغيب في الآخرة والميل إليها، وينصح الإنسان بأن لا يطلب الدنيا للتمتُّع بلذاتها، بل أن يطلبها لصالح يرجو إعانته أو طالح يخاف إهانته[3].

وقد **قسَّم البهائي اللَّذات إلى ثلاث**: حسيَّة، وعقليَّة، وأُنسية، أما اللِّذة الحسيَّة: فهي لذة أبناء الدنيا المتّبعين شهواتهم، الذين كانت عقولهم قاصرة عن إدراك ما هو فوق المادة، وفوق الحس/، لذا: «لا ريب أن **اللذة العقلية** أتم وأعظم من الحسيَّة بما لا يتناهى، والترقي إلى

(١) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص٢١٤، الاقتباس من الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ وهي الآية ٣٧ من سورة ق.
(٢) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٩٧.
(٣) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص١٩٨ وص٢١٠.

الله سبحانه وتعالى بالأعمال الحميدة، والأخلاق المجيدة، ولذة مناجاته السّعيدة، من أفضل الكمالات وأعظم اللذات[1]. . . وهو ينصح العقلاء بأن لا يأخذوا باللذات الفانية الدنيوية، وأن يأخذوا باللذات الروحية، «إلى كم تكون في طلب اللذات الفانية الدنيوية وأنت معرض عما يثمر السعادات الباقية الأخروية، فإن كنت من أصحاب العقول وأرباب المعقول، فاقنع من الدنيا كلّ يوم برغيفين، واكتف منها كلّ سنة بثوبين لئلا تسقط من البين، وتجيء يوم القيامة بخفيّ حُنين»[2][3].

أما اللذة الأنسية فلا ينالها إلا من استطاع التخلي عن ربقة الجسد وربقة المادة: «. . .البصيرة إذا كانت مؤوفة بالهوى واتّباع الشهوات، والاختلاط بأبناء الدنيا، فهي محرومة من إدراك الأنوار القدسية، محجوبة عن ذوق اللذات الأنسية»[4].

لا تقم في أسر لذات الجسد إنها في الجيد حبل من مسد[5]. وهو يدعو إلى إخضاع الحواس والعقل لمراقبة القلب الدقيقة، القلب الذي يصبح صالحاً بالتزكية والتصفية، لأن تُقذَفَ فيه أنوار اليقين ومواهب الحقّ المبين، ويتنوّر باطنه، وينفتح له باب الملكوت، فيشاهد المعاني القلبية والحقائق السريَّة، والأنوار الروحية، حين يتصل بالعالم العقلي وطنه الأول، قبل التحاق النفس بالجسد الترابي، هذا الوطن الأول هو مكان التلقي أو اللقاء، مكان التجلي في الذرء الأول (المكان بالمطلق)

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٢٥٤.

(٢) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص٢١٤ *ودار الكتاب*ص١٤٢.

(٣) وقد أورد كلاماً مشابهاً في كتاب *الأربعين حديثاً* ص١٩٦، كما حث على ترك مطالب الدنيا في عدد من قصائده الفارسية، كما ذكرنا.

(٤) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص٢١٤ *ودار الكتاب* ١٤٢.

(٥) مثنوي شير وشكر.

حيث خلق الله وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1]، حيث رحاب النعمة، حيث كان الإنسان قبل العصيان والهبوط: التجريد سرعة العود إلى الوطن الأصلي، والاتصال بالعالم العقلي، وهو المراد بقوله ﷺ: «حب الوطن من الإيمان». . وإياك أن تفهم من الوطن دمشق وبغداد وما ضاهاهما فإنهما من الدنيا[2][3].

وتبعاً لذلك فإن الناس بالنسبة إلى القرب أو البعد من المبدأ ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: طائفة الأنبياء والأولياء والمرشدين. . . الذين يؤمنون بأن حبَّ الوطن من الإيمان، ولا يغفلون لحظة عن فكرة العودة إلى الوطن الأصلي والحنين إليه والأنين لفراقه.

الفرقة الثانية: هم أرباب الإيمان، القابلون لاكتساب العرفان، الذين أقاموا في هذا العالم الفاني وسمّوه وطناً، وقليلاً ما يتذكرون الوطن الأصلي، هؤلاء بحاجة إلى من يرشدهم، وينبههم إلى تذكر وطنهم الأصلي، وإلقاء السمع، وحضور القلب، والاستماع إلى أهل الكمال، وطلب صحبتهم لتنوير قلوبهم بشعلة الإيمان، وليجدوا الطريق بمناعة الاقتداء وصحبة الاهتداء، ويقطفوا من شجرة الموعظة ثمرة تذكر المعاد، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[4].

---

(١) ج٨، سورة الأعراف، آية ١٧٢.

(٢) *الكشكول* ج١ ص٢٤٥.

(٣) وقد كرر هذا المعنى شعراً في مثنوي *نان وحلوا*: كليات ص١٢٤. اين وطن مصر وعراق وشام نيست، اين وطن شهر يست كانرا نام نيست.

(٤) ج٦، سورة ق، آية ٣٧.

الفرقة الثالثة: أصحاب الكفر والطغيان، ليسوا مرشدين ولا مسترشدين، يقصرون همّهم على العاجل من الدنيا: وجدوا هذا القيد الأرضي الفاني أفضل من ديارهم الأصلية، وذهبت محبَّة الوطن الأصلي من قلوبهم بالكليَّة، وانصرفوا إلى تحصيل اللذات الفانية، وأخلدوا إلى الأرض، واتبعوا هواهم، ونسوا هداهم فأنساهم لذة الاشتياق(١).

ويرى البهائي أنَّ أصحاب العوائق الدنيوية يمكن أن تصيبهم نفحة من نفحات عالم القدس، تطهّرهم من أرجاس دار الغرور، وتنبّههم من نوم الغفلة لكن إلى حين: «قد تهبّ من عالم القدس نفحة من النفحات، على أصحاب العلائق الدنيَّة والعوائق الدنيوية، فتتعطر بذلك مشام أرواحهم، وتجري روح الحقيقة في رميم أشباحهم، فيدركون قبح الانغماس في الأدناس الجسمانية، ويذعنون بخساسة الانتكاس في مهاوي القيود الهيولانية، فيميلون إلى سلوك مسالك الرشاد، وينتبهون من نوم الغفلة عن المبدأ والمعاد، لكن هذا التنبّه سريع الزوال... فيا ليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية تميط عنهم أدناس عالم الزور، وتطهرهم من أرجاس دار الغرور، ثم إنهم عند زوال تلك النفحة القدسيَّة، وانقضاء هاتيك النسمة الأنسية، يعودون إلى الانتكاس في تلك الأدناس، فيتأسفون على ذلك الحال الرفيع المنال...»(٢).

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٣ ص٢٩٦. هذا هو تقسيم البهائي للناس كما ورد في الكشكول أما التقسيم الذي نسبه إليه الدكتور مهدي فضل الله في كتابه أعلام الفكر الإسلامي (ص١١٤) فهو ما جاء في كتاب الغزالي إلى الوزير نظام الملك جواباً عن كتابه الذي استدعاه فيه إلى بغداد ووعده بتفويض المناصب الجليلة إليه، وذلك بعد تزهد الغزالي وتركه تدريس النظامية.../ وقد أورده البهائي في *الكشكول أعلمي* ج٢ ص٢٠٣ *ودار الكتاب* ص٤٢٦.

(٢) *الكشكول*. ج١ ص٢١٢.

ويتجلى ما أشرنا إليه من عدم التعارض بين الفقه والتصوف في شخصية الشيخ البهائي بأنه ـ وهو الفقيه الكبير المتمسك بالشريعة تمام التمسك ـ يغرق في روحانية الصوفيين ويأخذ بمراتبهم ومقاماتهم ومصطلحاتهم وتطلعاتهم، فهو مثلاً يتحدث عن المراحل والدرجات في عالم التصوف، ويعدد **المقامات** التي يجب أن يجتازها السالك أو المريد لبلوغ مرتبة الصوفي، فيقول إنها أربعة عشر مقاماً يصفها كما يلي: «أول مقامات الانتباه هو **اليقظة** من سنة الغفلة، ثم **التوبة** وهي الرجوع إلى الله بعد الإباق، ثم **الورع والتقوى**، لكن ورع أهل الشريعة عن المحرمات، وورع أهل الطريقة عن الشبهات، ثم **المحاسبة**، وهي تعداد ما صدر عن الإنسان بينه وبين نفسه، وبينه وبين نوعه، ثم **الإرادة**، وهي الرغبة في نيل المراد مع الكد، ثم **الزهد** وهو ترك الدنيا، وحقيقته التبرّؤ من غير المولى، ثم **الفقر**، وهو تخلية القلب عما خلت عنه اليد... ثم **الصدق**: وهو استواء الظاهر والباطن، ثم **التصبّر** وهو حمل النفس على المكاره، ثم **الصّبر** وهو ترك الشكوى وقمع النفس، ثم **الرضا**: وهو التلذذ بالبلوى، ثم **الإخلاص** وهو إخراج الخلق عن معاملة الحق، ثم **التوكّل**...»(1).

وهذه المقامات التي عرّفها البهائي بصورة إجمالية، عاد وتحدّث عن كل منها في سوانح مستقلة، وكانت هذه المقامات متداخلة في كثير من الأحيان: «**غفلة** القلب عن الحق من أعظم العيوب وأكبر الذنوب... فاجتنبِ الاختلاط بأصحاب الغفلة على كل حال، إن أردت أن تكون من زمرة أهل الكمال»(2)، وكرَّر الحديث عن الغفلة في أكثر من موضع:

---

(1) *الكشكول: أعلمي* ج1 ص238.

(2) *المصدر نفسه* ج1 ص260.

مضى في غفلة عمري/ كذلك يذهب الباقي..[1]

أما الدعوة إلى التوبة عن محارم الله والورع والتقوى فمرتبطة كلها بمحاسبة المرء المستمرّة لنفسه عما ترتكبه:

إلى كم كالبهائم أنت هائم

وفي وقت الغنائم أنت نائم..[2]؟

يا رب إني مذنب خاطىء/

مقصّر في صالحات القرب[3]

ويقرن البهائي بين النيَّة والإرادة للوصول إلى الكمال: «يا مسكين عزمك ضعيف ونيتك متزلزلة، وقصدك مشوب، ولهذا لا ينفتح لك الباب، ولا يرتفع عنك الحجاب، ولو صمّمت عزيمتك، وأثبت نيّتك، وأخلصت قصدَك لانفتح لك الباب من غير مفتاح، كما انفتح ليوسف عليه، وعلى نبينا السلام لما صمم العزم وأخلص النيَّة في الخلاص من الوقوع في الفاحشة، وجدّ في الهرب من زليخا»[4].

أما الزهد في كلّ ما من شأنه أن يبعد الإنسان عن التفكير بالحق سبحانه وتعالى فهو يدعو إليه في مختلف جوانب كتبه النثرية: «أيها الغافل شاب رأسك، وبردت أنفساك، وأنت في القيل والقال، والنزاع والجدال، فاحبس لسانك عن بسط الكلام في ما لا ينفعك يوم القيامة»[5]، وكذلك في أشعاره وبخاصة في شعره الفارسي، وأبرزه في

---

(١) *كليات شيخ بهائى. نفيسي* ص٦٠.

(٢) البيت من قصيدة «*رياض الأرواح*»: *سلافة العصر* ص٢٩٦ *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٩ *ونزهة الجليس* ج١ ص٣٥٩.

(٣) إحدى رباعياته: *رياض العلماء* ج٥ ص٩٣ *وأمل الآمل* ج١ ص١٥٩، *وأعيان الشيعة* ج٩ ص٢٤٧.

(٤) *الكشكول. أعلمي* ج١ ص٢٦٠.

(٥) *المصدر نفسه. أعلمي* ج١ ص٢٦٠.

مثنويّي «نان وحلوا» و«شير وشكر»، حيث ضمَّخ جوانب أبياته بحديث الزهد المتكرر.

هذا والمقامات تتبعها عادة أحوال أو حالات، وهذه الأحوال مرتبطة بالمحبة التي هي «محو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات»[1]، وقد فصَّل فيها كما فصَّل في الأحوال، تفصيلاً يجعلك لا ترى فيه فرقاً بين هذا الفقيه وبين أيِّ صوفي من أعلام الصوفيين الممعنين في عالم السلوك والوجد والوصول: «السالك إذا زهد في كل ما يصرفه عن مقصوده... اتَّصف بالورع، والزهد، والتقوى، فيحاسب نفسه دائماً في أفعاله وأقواله... فإذا خلص منها وطاب وقته بالالتذاذ بما يجده في طريق المحبوب تنوّر باطنه... وانفتح له باب الملكوت... فيشاهد أموراً غيبية في صور مثالية، فإذا ذاق شيئاً منها رغب في العزلة والخلوة، والذكر والمواظبة على الطهارة التامة، والعبادة والمراقبة، وأعرض عن المشاغل الدنيوية الحسيَّة، توجَّه باطنه إلى الحق سبحانه بالكليَّة فيظهر له **الوجد والسكر، والشوق** والذوق والمحبة والهيمان والعشق.. ويشاهد المعاني القلبية والحقائق السريَّة والأنوار الروحية، ويتحقق بالمشاهدة والمعاينة والمكاشفة، ويفيض عليه العلوم اللدنية والأسرار الإلهية»[2].

وإذا أتيح للمحب أن يرى المحبوب، وغلب عليه الفرح بالقرب، أصيب بالصّعقة من رؤية المحبوب كما جرى لموسى عليه السلام[3]، وكثيراً ما شبّه البهائي خمرة المعرفة في شعره العرفاني بنار موسى أو النار التي أضاءت للكليم..

(١) *المصدر نفسه. ط أعلمي ج١ ص١٠١.*

(٢) *الكشكول خرسان ج٣ ص٢٣ ـ ٢٤.*

(٣) *الكشكول. دار الكتاب ص٧١٩.*

أما **المعرفة الإشراقية** التي تحدّث عنها المتصوفة، **فهي في نظر** بهاء الدين العاملي، المعرفة الحقيقية الصادقة للكون وأسراره وخفاياه، وهي أعلى مراتب المعرفة وأكملها: «أيها الطالب الراغب، إني أكلمك على قدر عقلك وعرفانك، لأن شأن الأسرار المكنونة فوق مرتبتك وشأنك، فلا تطمع في أن أكشف لك الأمر المكتوم، وأن أسقيك من الرحيق المختوم، إذ لا طاقة لك على شرب ذلك، ولا قدرة لأمثالك على سلوك تلك المسالك، ثم إذا ترقّيت عن مرتبة العوام، وصرت قريباً من درجة أولي البصائر والأفهام، فأنا أسقيك من شراب أصحاب المرتبة الوسطى، ولن أتركك محروماً من هذا الإعطاء، فكن قانعاً بما في الحباب من ذلك الشراب، ولا تكن طامعاً بما في الأباريق والأكواب[(١)]».

الأباريق والأكواب هي التي يشرب بها المتصوفة خمرة الحب الأزلي... «ومعرفة الإنسان للأشياء إنما تكون عادة للظواهر والصّور دون الجواهر والبواطن، لأنَّ الإنسان عاجز بوسائله المحدودة عن إدراك الحقائق، ولا يعلم الجوهر الذي هو أصل هذه الصّور إلاَّ علَّام الغيوب»[(٢)].

لم يبتعد بهاء الدين العاملي في تصوّفه كما لاحظنا، عن الأساس النظري للتصوف كحركة نفسية أو روحية، فهو يبدأ من فكرة الوصول إلى المعرفة، بطريق «الكشف» أو «الإشراق» أو «الحدس»، والوسيلة العملية إلى ذلك هي «مجاهدة النفس»، أي ترويضها على احتمال أشدّ الآلام وكبح شهوتها للملذات الحسيَّة الدنيوية، لذلك فهو لم يبتعد عن الزهد

---

(١) *المصدر نفسه. أعلمي* ج١ ص٢١٢.

(٢) *المصدر نفسه* ج٢ ص١٩٢ وص٢٨٦.

كما دعا إليه الإسلام، لما بين الزهد وبين التصوُّف الفلسفي من نسب عريق.

فالعارف في نظر البهائي هو الذي يصل إلى منبع الحقيقة بالمجاهدة من طريق تصفية الباطن للوصول إلى الحقيقة المطلقة (السرّ الأزلي)، والشيخ هو الإنسان الكامل في علوم **الشريعة والطريقة والحقيقة**، البالغ إلى حدّ التكتم فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها، ومعرفته بدوائها، وقدرته على شقائها... «والعامة هم الذين اقتصر علمهم على الشريعة، ويُسمى علماؤهم علماء الرسوم»[1].

ونراه هنا يطلق على الفقهاء لقب «علماء الرسوم»، كما يطلق على علمهم نعت «العلم الرسمي» أو «العلم المجازي»، كما رأينا في شعره العرفاني، معتبراً هذا العلم الرسمي من باب القيل والقال، لا فائدة حقيقية ترجى منه، ويقول إن «علماء الرسوم والعوام لا يفهمون أسرار الحقيقة على ما ينبغي فتضرّهم أو تهلكهم»[2].

وبما أن الحقيقة غير مفهومة من علماء الرسوم والعوام على ما ينبغي، لذلك وجب على الإنسان الكامل أن يتكتم فيها لعلمه بأمراض النفوس ومعرفته بدوائها، وهذا ما عناه بقوله في قصيدة «الفوز والأمان»:

أخالط أبناء الزمان بمقتضى　　　عقولهم كي لا يفوهوا بإنكاري

نرى بهاء الدين العاملي في أسلوب الحياة الذي اتّبع، وفي المنحى الفكري الذي انتهج، داعياً إلى التوفيق ما بين الطريقة والشريعة، في وقتٍ أخذ التطرّف والغلو من الفقهاء القشريين والمتصوفة خطاً

(١) *الكشكول. أعلمي* ج٣ ص٩٧.

(٢) *الكشكول. أعلمي*، دار الكتاب ص٧١٩.

تصاعدياً نامياً، وحكم كلّ فريق على الآخر بالخروج عن الجادّة.

غالى المتصوفة في مفاهيمهم، وقالوا بوحدة الوجود والحلول والتنصّل من الطاعات، وسقوط التكليف عن الصوفيّ العارف[1]، وحدثت حركة مضادّة في اتجاهها لنزعات الصوفية وفلسفتها الإشراقية، كنتيجة محتومة لذلك الغلو المتطرف، ونشأ فريق من الفقهاء، أنكروا مدخلية العقل في الأحكام، وأنكروا الركون إلى معطياته في الوجود والروح وما وراء الطبيعة، وتطرّفوا في ذلك، والتزموا في تفسير التعبّد، بما جاء به الشرع من طريق الأخبار والجمود على ظواهرها، وغلا نفر منهم فقالوا بقطعية صدور جميع الأخبار، واشتد الغلو إلى الأخذ بظواهر الكتاب وحده من دون الرجوع إلى الأخبار الواردة، ونعى هؤلاء على المتصوفة طريقتهم وعدّوها مروقاً من الدين[2]، فردَّ المتصوفة بأن نعوا على هؤلاء جمودهم وانكماشهم وقلة فهمهم...[3].

وكادت تنطفئ شعلة الإيمان من نفوسهم بين إفراط الأولين، وتفريط الآخرين لفقدانهم الطريقة المثلى، والاعتدال في السلوك الديني، لذلك يعدّ البهائي من أهم رجال الإصلاح الذين دَعوْا إلى الاعتدال في السلوك في ضوء التعاليم الإسلامية.

لقد قاد بهاء الدين العاملي الصراع الفكري على جبهتين:

أولاً: مواجهة الفقهاء القشريين الجامدين، المعجبين بالظواهر المنكرين للتصوف والذوق، الذين وقفوا تعاليم الدين على بعض المسائل والطقوس، وأعرضوا عما هو جوهر الإسلام وتجاهلوه، الذين استغلوا مناصبهم الدينية للشهرة والغنى والجاه، واستغلوا زِيّهم الخاص،

---

(١) انتقدهم البهائي في «موش وگربه» ص٢٦٠ و٢٦٤ إلى ٢٧٥.

(٢) (٣) في قصة موش وگربه: الهر هو نموذج لهؤلاء الفقهاء القشريين.

وسلطتهم المعنوية للتأثير في العوام، وهم المفتونون بظاهر الدين وقلوبهم خالية من العرفان[١].

ثانياً: مواجهة متصوفة عصره الذين يدعون إلى الباطن دون الظاهر[٢]، والذين بالغوا في بعض الطرائق الصوفية وبعض الممارسات، وتظاهروا بالتقوى والزهد، ولم يكن لباسهم موافقاً لسرائرهم، وطغت عندهم الطرق والشكليات على أساليب النظر الفلسفي العميق[٣]، وانتهى التصوّف على أيديهم، بخاصة في زمن الصفويين ـ حيث كان للمتصوفة تأثير شديد على العامة، الذين يتعلقون عادة بالخوارق والكرامات ـ إلى تقاليد وطقوس شكلية خالصة[٤]، وقد انتقدهم البهائي في مثنوياته الفارسية وفي قصة «موش وگربه»[٥]، لأنهم أعرضوا عما هو جوهر الإسلام وتجاهلوه، ورأى أن التوكيد على الباطن، لا يعني مطلقاً النسخ الخالص البسيط للشريعة ولحرفية النص وظاهره، وإنما يعني أن الشريعة إذا تجرّدت من الحقيقة ومن الباطن لا يبقى منها سوى جدول للتعاليم والمعتقدات، بدل أن تظلّ منفتحة لنشأة المعاني الجديدة. هي دعوة إذاً لإقامة التوازن بين الحقيقة والشريعة، بين الظاهر والباطن.

لقد أخذ بهاء الدين العاملي من الصّوفية حسناتها في التعالي عن قيود الحياة المادية، من غير أن يترك فضل السّعي في الدنيا، ومن غير

---

(١) *نان وحلوا. كليات* ص١٢٢ و١٢٦.

(٢) انتقدهم في *«موش وگربه»* وخاصة الصفحات ٢٦٠ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢٧٠ إلى ٢٧٥.

(٣) *نان وحلوا* ص١٣٠.

(٤) يجدر أيضاً مراجعة نصر الله فلسفي في *«زندگانى شاه عباس أول»* حيث صوّر لنا الحال التي وصل إليها المتصوفة زمن الشاه عباس، وموقف الشاه منهم.. وتحولهم إلى نوع من اللاأدرية الورعة التي تحض على الجهل الكسول كما تحضّ على الانحلال الأخلاقي: ج١ ص١٧٣ ـ ١٨٧.

(٥) موش وگربه: الفصل الثالث.

أن يترك قياد حياته لأوهام تتراقص في أخيلة العاجزين، وأخذ من فقهاء الظاهر اتّباع الشريعة والعمل بما تمليه أحكام الدين، لذلك نستطيع القول أن لا تناقض في الحقيقة بين دعوته إلى التصوّف وبين ممارسة حياته العلمية والعملية والفقهية[1]، إنه تناقض إذا قسنا سلوك العباقرة بأحوال جمهور الناس. ويجمل موقف البهائي من الفقهاء والمتصوفة العنوان الذي جعله في بداية مثنوي «نان وپنير» (الخبز والجبن) وهو: «فصل في ذم المنتقدين للحكمة وينكرون لطائفها وسرائرها من الغفلة والظلمة، وفي تفسير من تفقه ولم يتصوف فقد تفيقه، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق»[2].

في نهاية حديثنا عن البهائي فيلسوفاً متصوفاً لا بد من القول إن البهائي لم يأتِ بنظرية فلسفية متكاملة، وإنما كانت له آراء فلسفية، لا تختلف عن آراء الفلاسفة السابقين، اعتمدها في تدريسه لتلاميذه، هذه الآراء وإن لم تجعل منه فيلسوفاً، إلا أنَّ أثرها واضح في التلاميذ الذين تأثروا به وتخرجوا على يديه، وبخاصة «صدر المتألهين الشيرازي» أهم فلاسفة المسلمين في عصره، أو فلنقل أحد أهم الفلاسفة منذ عصره إلى يومنا هذا، لقد انعكست آراء البهائي على تفكير تلميذه، وتركت فيه

---

(١) رد السيد حسن الصدر على الفقهاء الذين انتقدوا البهائي لميله إلى التصوف: تكملة *أمل الآمل* ص١٨٣ وكذلك أورد السيد محسن الأمين أقوال الذين أنكروا على البهائي تصوفه ورد عليهم: *الأعيان* ج٩ ص٢٨٣ ودافع عنه الخوانساري في *روضات الجنات* ج٧ ص٦٨، والشيخ يوسف البحراني في *كشكوله* ص٣٧١ ـ ٣٧٣. كذلك فقد نعا عليه متصوفة عصره تظاهره بالدروشة ومسلكه العرفاني، وقالوا إن ذلك ينافي سيرته العامة، ومنصبه الديني، وعلى هؤلاء كان يرد حين قال:

خرده بينانند در عالم بسى   واقفند ازكار وبار هركسى

كليات، جواهري، المقدمة ص ز.

(٢) *نان وپنير*: *كليات نفيسي* ص١٤٤.

أصداء عميقة طغت على كيانه الثقافي وتفكيره الفلسفي وتحولت إلى طاقة فكرية جديدة برزت في نزعاته واتجاهاته، حين أراد أن يوفّق بين الفلسفة الإشراقية أو الصوفية من جهة، وبين الفلسفة المشّائية المنطقية من جهة أخرى، وتعاليم الإسلام من جهة ثالثة[١].

(١) *فلاسفة الشيعة* ص٣٥٢ و*أعيان الشيعة* ج٩ ص٣٢٣ وما بعدها.

الباب الرابع

البهائي العالم

١ ـ **الفصل الأول:** نشاط البهائي العلمي وقيمته

٢ ـ **الفصل الثاني:** نتاجه العلمي: أهم كتبه ورسائله

- كتاب بحر الحساب
- رسالة تشريح الأفلاك
- رسالة في أن جميع أنوار الكواكب مستمدة من الشمس
- المباحث العلمية في كتاب الكشكول
- الحساب والرياضيات في كتبه الفقهية

٣ ـ **الفصل الثالث:** كتاب خلاصة الحساب

- أهم مبتكراته فيه.

الفصل الأول
نشاط البهائي العلمي وقيمته

مقدمة:

قبل الحديث عن نشاط البهائي العلمي، يجب أن نحدّد ما نعنيه بكلمة «العالم»، مع الأخذ بعين الاعتبار، أن هذه الصفة كانت تطلق في عصره ـ وما زالت حتى اليوم ـ على علماء الدين «الفقهاء».

ما نعنيه نحن هنا بكلمة «العلم»، علم الطبيعة والحساب والرياضيات والفيزياء.. إلخ.

عرّف الخفاجي[1] طاقة البهائي في ميدان العلوم بقوله: «زيّن بمآثره العلوم النقلية والعقلية، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنيَّة، لا سيّما الرياضيات فإنَّه راضها، وغرس في حدائق الألباب رياضها».

هذا وإن من يقرأ كتب البهائي بموضوعاتها المتنوعة، يتأكد له خطأ النظرية التي تقول: «إن الأديب لا يستسيغ الرياضيات، والرياضيّ لا يتذوق الأدب»، لأنه كأكثرية علماء العرب والمسلمين، ونوابغهم في العصور الذهبية للحضارة العربية الإسلامية، جمع بين الأدب والفقه والرياضيات، وبرز مثلهم في كلٍّ فنٍّ منها، وسما في كل فن من تلك

---

(١) *ريحانة الألبا* ج١ ص٢٠٧.

الفنون إلى درجات عالية، ووضع المادة الرياضية في أسلوب أخّاذ لا ركاكة فيه ولا تعقيد، ينمُّ عن أدب رفيع وإحاطة كليَّة بدقائق اللغة.

وللبهائي كتب علمية مستقلة ككتاب: «بحر الحساب» المفقود، «وخلاصة الحساب»، «ورسالة تشريح الأفلاك» المطبوعَين، كما أن له أبحاثاً علمية عديدة مبثوثة في كتاب الكشكول، وقد طبَّق معارفه الرياضية في مباحثه الفلسفية والفقهية كما سنرى.

إن أهمية البهائي العالم، تكمن في كونه الوحيد الذي أبدع في علم الرياضيات والفلك بعد قرن ونصف من العقم والجمود الفكري في إيران وفي مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى، «كان وحيد عصره في علم الحساب(١) والجبر والمقابلة(٢) والهندسة(٣) والهيئة والنجوم(٤)

---

(١) **علم الحساب**: يدرس الرموز العددية، ومجموعات الأعداد، وطرق حل المسائل الحسابية، وحلّ الكسور، وطرق القيام بعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة..

(٢) **الجبر والمقابلة**: إن مصطلح الجبر عند الخوارزمي وغيره من علماء العرب، يعني نقل الحدود Les termes من طرف إلى طرف آخر من المعادلة، مع تغيير إشارة الحدود، وهو ما يعرف في الجبر الحديث بالردّ La restitution، أو النقل La transposition أو الإكمال reintegration، أما مصطلح **المقابلة**، فكان يعني حذف الحدود المتشابهة من كل طرف من طرفي المعادلة، أي ما يقابله من مصطلحات الجبر الحديث الاختزال La reduction، ثم صار يطلق اصطلاح الجبر على المعادلات بوجه عام: *تراث العرب العلمي* ص١٢، *الرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٠٩.

(٣) **الهندسة**: علم الهندسة يشتمل على القواعد التي تساعد على حساب المساحات، وعناصر الأشكال الهندسية.

(٤) **الهيئة والنجوم**: المقصود **علم الفلك**، أي دراسة الفلك وظواهره وكل ما يتصل بحركات الكواكب والأرض والشمس والأنواء، وغايته تحديد أوقات الصلاة، ولا بد لمعرفة ذلك من تعرف الموقع الجغرافي وحركة الشمس في البروج، وأحوال الشفق الأساسية، ومعرفة حساب حركة النيّرين، واستعمال الأرصاد =

والأسطرلاب[1]»[2].

فبالإضافة إلى الكوارث والنوازل التي نزلت بالشرق وحالت دون تقدُّم العلوم، كان دخول الأتراك العثمانيين إلى عالم الشرق عائقاً في طريق الحضارة للمسلمين، لأن الأتراك العثمانيين كانوا أمّة حربيّة، ولم يهتم ملوكهم بتغذية العلوم، التي من شأنها أن تخلق حضارة حقيقية، ولم يشجّعوا المشتغلين بها، ولم يفسحوا المجال أمام الناس لممارسة أيِّ نشاط علمي أو ثقافي، لذلك أجدبت الحواضر العلمية في العراق ومصر والشام من وجود علماء حقيقيين: يمكن أن يعدُّوا بمصاف العلماء الكبار كالخوارزمي[3]..........................

= والأزياج والتقاويم والتنجيم: *فلاسفة الشيعة* ص٧٠ و*الرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص٢٢٤.

(١) **الأسطرلاب**: أو الأصطرلاب لفظة يونانية مأخوذة من كلمة (الأصطرلابون)، ومعناها مرآة النجم (فأصطر معناه النجم و(الأبون) معناها المرآة، وقيل إنه لفظة فارسية أصلها (ستارة باب)، وأقسام الأصطرلاب كثيرة، منها ذات الحلق المؤلفة من دوائر نحاسية، وهي دائرة نصف النهار، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض ودائرة الليل. ومن أشكاله المسطح والتام والكروي والهلالي: *لغت نامه* ج٣ من ص٢٢٨٧ إلى ص٢٣٠١ و*فلاسفة الشيعة* ص٧٢.
وقد عرّفه البهائي بقوله: إنه آلة تشتمل على أجزاء، يتحرك بعضها فتحكي الأوضاع الفلكية، ويستعلم بها بعض الأوضاع العلوية، والساعات المستوية والزمانية، ويستنتج منها بعض الأمور السلفية. *الكشكول ط. دار الكتاب* ص٤٤٧، *وط أعلمي* ج٢ ص٢٢١.

(٢) غلام حسين جواهري. *كليات شيخ بهائى* ص١٩.

(٣) **الخوارزمي**: محمد بن موسى الخوارزمي (٢٣٠ ـ ٣٠٠هـ= ٧٧٩ ـ ٨٤٩م)، ولاه المأمون رئاسة العلماء والرياضيين الذين عملوا في «بيت الحكمة»، وبرز كعالم في الرياضيات والفلك. من أشهر كتبه: كتاب *الزيج الأول*، وكتاب *الزيج الثاني*، وكتاب *العلم بالأسطرلاب* وكتاب *الجبر والمقابلة*.
وهو أول من استخدم كلمة جبر Algèbre وفصله عن الحساب، وكان لرياضيات الخوارزمي وبخاصة الحساب والجبر أثر بالغ في نمو الرياضيات لاحقاً، وكان مرجعاً للعلماء: =

والبتَّاني[1] والبوزجاني[2] والبيروني[3]، . . . .

= *تراث العرب العلمي* ص١٢ وما بعدها، *الأعلام* ج٧ ص١١٦، *لغت نامه* ش١٦٧ ص٨٠٢، *وتراث الإسلام* لأرنولد ص٥٧٩ وص٥٨٤، *المدخل إلى الرياضيات عند العرب والمسلمين* ص٣١ وما بعدها، *الرياضيات في الحضارة الإسلامية* من ٦٩ و٧٧ إلى ٩٠.

(١) **البتَّاني**: الفلكي الشهير أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني (٢٤٤ ـ ٣١٨هـ = ٨٥٨ ـ ٩٢٩م)، هو الذي أدخل مفهوم «الجيب» واستخدمه بدل كلمة «الوتر» حسب قيمة ميل فلك البروج، فوجدها ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة، وبذلك يكون قد أخطأ بمقدار دقيقتين و٢٢ ثانية. . وله أرصاد جليلة للكسوف والخسوف، اعتمد عليها العلماء بعده. . ويعتبر البتاني من الذين أسَّسوا علم المثلثات الحديث. . .

ومجمل أبحاثه تدل على إبداعه في الهندسة والجبر والمثلثات. . . أشهر مؤلفاته: *«الزيج الصابىء»* ـ كتاب *«معرفة مطالع البروج في ما بين أرباع الفلك»* ـ *«اصطلاح المجسطي»* ـ *«تحقيق أقدار الاتصالات»* ـ *«شرح أربع مقالات لبطليموس»* ـ كتاب *«تعديل الكواكب»*. . . *الفهرست* ج٧ ص٣٣٨ ـ *الأعلام*: ج٦ ص٦٨ ـ *الرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٩٨.

(٢) **البُوزجاني**: أبو الوفاء البوزجاني: ولد سنة (٣٢٨ ـ ٣٨٨هـ = ٩٤٠ ـ ٩٩٨م) في بوزجان وهي بلدة صغيرة واقعة بين هراة ونيسابور، وفي بغداد فاضت قريحته، ولمع اسمه وبخاصة شروحه لمؤلفات إقليدس وديوفنت والخوارزمي، أهم المواضيع التي تناولها كانت الهندسة وعلم المثلثات، وقد ابتكر طرقاً خاصة لكيفية الرسم واستعمال الآلات، مما يحتاج إليه الصَّانع من أعمال الهندسة: *الفهرست* ج٧ ص٣٤١ *وتاريخ الفلك عند العرب* ص٥٣ *والأعلام* ج٧ ص٢١، *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٧٣.

(٣) **البيروني**: (٣٦٢ ـ ٤٤٠هـ = ٩٧٣ ـ ١٠٤٨م)، محمد بن أحمد المكنّى بأبي الريحان البيروني، تعلم كل اللغات القديمة المعروفة في عصره: العربية ـ الخوارزمية ـ الفارسية ـ السنسكريتية ـ اليونانية ـ السريانية والهندية.

كان يملك ذكاء خارقاً وقد عمل بالسياسة، واهتم بالتاريخ، والطب، والفلك، والرياضيات وللبيروني يرجع الفضل في الكلام على تاريخ الأرقام الحسابية الهندسية: فقد قال إن صور الحروف وأرقام الحساب تختلف باختلاف المحلات، وإن العرب أخذوا أحسن ما عندهم ـ أي عند الهنود ـ فلقد كان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام، فهذّب العرب بعضها، وكوّنوا من ذلك سلسلتين، عرفت =

وابن يونس[1]، وابن سينا[2]، وابن الهيثم[3]، والخيَام[4]، . . . .

= إحداهما بالأرقام الهندية، وهي التي تستعمل في بلادنا، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب والأندلس، ومنها دخلت الأرقام الغبارية إلى أوروبا. . . : *دائرة المعارف الإسلامية* ج١٠ ص٧٥ *وتراث العرب العلمي* ص١٧٥ ـ ١٧٦ *والأعلام* ج٥ ص٣١٤ *وفلاسفة الشيعة* ص٣٦٩ *والأدب الفارسي* ص١٤٥ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٧٣.

(١) **ابن يونس**: علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصوفي المصري: من أشهر الرياضيين والفلكيين الذين ظهروا بعد البتَّاني توفي (٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م) برع في علم المثلثات وإصلاح الأزياج، واختراع بندول الساعة. وكان عنده مرصد على صخرة جبل «المقطم» قرب الفسطاط. أهم كتبه «الزيج الحاكمي»، وقد قام ابن يونس بحساب «جيب» بأسلوب أفضل من أسلوب بطليموس: *طبقات الشافعي*، *سارتود*، *شذرات الذهب* ج٣ ص١٥٦ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص٧٤ و٢١١.

(٢) **ابن سينا**: أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا، الشيخ الرئيس (٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ = ٩٧٠ ـ ١٠٣٧م)، اهتم بالفلسفة والطب والرياضيات والفلك، وإن كانت قد غلبت شهرة الطبيب والفيلسوف على ابن سينا، أكثر من شهرته رياضياً إلا أن له مؤلفات في الرياضيات والفلك منها: *«رسالة الآلة الرصدية»* وكتاب *«الأجرام السماوية»*، وكتاب *«مختصر إقليدس»* في الهندسة وغيرها. . . *تراث العرب العلمي ط. أولى* ص٢٨٦ ـ ٢٩٧ *وفلاسفة الشيعة* ص٢٥٦ *واليازجي*: *أعلام الفلسفة العربية* ص٦٦٩ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص٧٢.

(٣) **ابن الهيثم**: أدق رياضي عرف حتى عصره، ظهر في القرن الخامس للهجرة في البصرة، ونزل مصر واستوطنها إلى أن مات بها سنة ٤٣١هـ/١٠٣٨م. أشهر كتبه: كتاب *«المناظر»*، كتاب *«شرح أصول أقليدوس في الهندسة والعدد»* ـ كتاب *«الجامع في أصول الحساب»* ـ كتاب *«تحليل المسائل الهندسية»*. . *أخبار العلماء* ص١١٦ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص٧٤.

(٤) **الخيَّام** (عمر خيَّام): الفيلسوف الرياضي الطبيب، أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري المتوفى حوالى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م، إن مجمل براهينه الرياضية ترتكز على اقتراحات تتعلق بإيجاد الحدّ الرابع في التناسب عندما نعرف الحدود الثلاثة الأخرى:

كشف الصنون ج٢ ص٩٧٢ *والأعلام* ج٤ ص٣٨ *ورباعيات الخيام لعمر رمضاني*: المقدمة ١ ـ ٥ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٥٢ ـ ١٥٣.

والطوسي[1] الذين قدّموا للحضارة الإنسانية خدمات لا يحيط بها الحصر[2].

إن أحد كتَّاب هذه المرحلة في التاريخ العثماني يذكر، أن شيخ الإسلام أصدر فتوى تقضي بمنع جواز وقف مكتبة الصدر الأعظم، لأن في هذه المكتبة كتباً في علم النجوم والفلسفة والتاريخ[3].

هذا وإن الكاتب التركي المعروف: «حاجي خليفة» (١٠١٧ ـ ١٠٦٧هـ = ١٦٠٩ ـ ١٦٥٧م)، صنّف موسوعته «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» التي أحصى فيها العلوم والفنون والكتب التي وضعت فيها، وكانت وقفته أمام كتابَيْ الغزالي وابن رشد تجسيداً لمكان كل منهما في المناخ العثماني...

---

(١) **الطوسي**: نصير الدين الطوسي، أحد الأفذاذ النادرين، ولد في طوس سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، وتوفي في بغداد سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م، حيث دفن في «مشهد الكاظم» من مؤلفاته في الرياضيات: كتاب *«الأصول والفروع»*، كتاب *«تسطيح الأرض وتربيع الدائرة»*، كتاب *«قواعد الهندسة»*، كتاب في *«الجبر والمقابلة»*، كتاب *«الشكل القطاع»*..

لقد فوَّض إليه هولاكو أمر أوقاف البلاد، فقام بضبطها، وصرفها على المدارس والمعاهد العلمية، وجمع العلماء والحكماء، وتعاون معهم في إقامة مرصد كبير في مراغة بآذربيجان، ومكتبة بجانبه يقال إنها كانت تحتوي ٤٠٠ ألف مجلد...: *كشف الظنون* ج٢ ص٩٦٩ *وفلاسفة الشيعة* ص٤٧٢ ـ ٥٠٣٠ *والأعلام* ج٧ ص٣٠ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٨١ ـ ٢٠٧..

(٢) تجدر مراجعة *تاريخ العلم لجورج سارطون* ص١٦٦ ـ ١٨١ *والثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط* ص٥٤ ـ ٥٧.

(٣) مقالة للدكتور عبد الهادي الحائر في مجلة الثقافة الإسلامية العدد ١٤ ص٢٢٥ نقلاً عن:

Niazi Berkes, the développement of secularism in turky (Montréal, canada, 1964).

فهو قد أفرد حديثاً «لتهافت الفلاسفة» للغزالي الذي شن فيه أكبر هجوم على الفلسفة والفلاسفة وعلى قوانين السببية وقوانين الطبيعة، استغرق مائة واثنين وثلاثين سطراً، بينما لم يفرد لكتاب ابن رشد المعروف «تهافت التهافت»، الذي انتصر فيه للفلسفة والعقل والعقلانية أيَّ حديث، وإنما عرض له في التذييل والتعقيب على حديثه عن كتاب الغزالي، ولم يزد هذا التعقيب عن ستة أسطر فقط[١]، هذا ما يؤكد ما قلناه من أن الدولة العثمانية مؤسسات وشيوخاً وسلاطين، كانت تشجّع الفكر المؤسس على الخرافة، وتنفر من الفلسفة وتعادي أداتها في البحث وهو العقل..

لقد أتاحت العناية الإلهية لعبقرية البهائي أن تتفتح بعيداً من القهر والتضييق، الذي كان يمارس على مواطني الدولة العثمانية، وبخاصة على مواطنيه في جبل عامل، أن تتفتّح في إيران في مرحلة من أهم المراحل في تاريخها السياسي، وجّه في أثناءها الحكّام بعضاً من عنايتهم للعلوم، وشجّعوا المشتغلين بها[٢]، فأخذ البهائي الرياضيات والفلك عن كبار علماء زمانه، ودرس كتب العلماء السابقين، وبرع وأبدع في هذه العلوم حتى أن آثاره في الرياضيات والفلك ظلّت زمناً طويلاً مرجعاً لكثيرين من علماء المشرق، كما أنها كانت منبعاً يستقي منه طلاب المدارس والجامعات[٣].

---

(١) كشف *الظنون* ج١ ص٥٠٩ ـ ٥١٣ وعمارة: *تيارات الفكر الإسلامي* ص٣٠٠.

(٢) يتحدث المؤرخون، وكذلك السيَّاح الأوروبيون الذين زاروا إيران زمن الشاه عباس الكبير عن تشجيعه للعلوم، ومحاولته تعرّف الاختراعات الأوروبية التي تقع تحت يده.. *زندگانى شاه عباس أول* ج٤ ص٥١ و*تاريخ فرهنگ إيران* ص٢٤١ و*سفر نامهٔ برادران شرلى* ص١٢٠.

(٣) *تراث العرب العلمي* ص٤٧٥ وتهراني. *اللباب: المقدمة* من ص١ ـ ٤.

إن مؤلفات البهائي العلمية، أسهمت مع مؤلفات العلماء السابقين في النهضة الأوروبية العلمية الحديثة، في انتقال ناصية الحضارة من الشرق إلى الغرب، تبعاً لمنطق التكامل الحضاري بين البشر، «لقد احتوى بهاء الدين العاملي، العلّامة المسلم الموسوعي، علوم عصره الرياضيّة فهضمها وتمثّلها إذا صحّ التعبير، وذلك في رؤية شموليّة خارقة، جمعت استخراج المجهولات بالطرق الحسابية الأساسية، التي تشمل قواعد حساب الأعداد الصحيحة أو الصحاح... وقواعد الكسور... وميزان العدد، وطريقة إيجاد الجذر للعدد الصحيح، معتمداً على طرق فذة ابتكرها[1]، لذلك «فإن أكثر مؤرخي العلوم في العالم يعترفون بغزارة علم بهاء الدين النظري والتطبيقي»[2].

على أن ما يستهوينا التوقف عنده في حديثنا عن البهائي العالم، لا مؤلفاته العلمية وسعة معارفه في ميدان العلوم الطبيعية والرياضية والتطبيقية فقط، بل كذلك، إلى جانب هذه، وربما أكثر منها، عقليته العلمية واعتماده المنهج الرياضي، والمنطق العلمي في معارفه ومباحثه الأخرى، من أدبية وفلسفية وفقهية وسواها، فهذا الرجل الذي عشق العلوم الطبيعية إلى جانب المعارف الأخرى، والذي اختمرت عقليته بمنهجية علمية، طبّق عشقه ذاك وعقليته تلك على تلك المعارف، فتجلّت في مباحثه الفلسفية، واستعان بها في حججه الفقهية، واعتمدها في باقي معارفه النظريّة والعلميّة، لأن العلوم الرياضية ـ في نظره ـ أشرف العلوم، بل هي الأساس لكل العلوم، لذلك نراه يلجأ حين يريد تقريب فكرة ما إلى الأذهان، إلى البدء بمقدمة رياضية يبرهن من خلالها على

---

(١)و(٢) *غازي أبو شقرا*، مجلة الصفر، مقالة عن *رياضيات بهاء الدين العاملي*، العدد ١٩ ت٢ ١٩٨٧ ص٦٨.

صواب الفكرة التي يعالج: «كل جسم له صورة فإنه لا يقبل صورة أخرى، إلا بعد أن تفارقه الصورة الأولى مفارقة تامة، كجسم مشكَّل بصورة التثليث ـ مثلاً ـ فإنه لا يقبل صورة التربيع أو غيرها من الأشكال، إلا بعد أن يزول عنه ذلك التثليث بالكليَّة، فإن بقي فيه شيء من الرسم الأول لم يقبل الرسم الثاني على التَّمام، بل يختلط فيه الرَّسمان، فلا يخلص له أحدهما، وهذا حكم مستمر في جميع الأجسام كلها، ونحن نجد أنفسنا نقبل صورة الأشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والكمال، من غير مفارقة الأول، ولا زوال رسمه، بل يبقى الرسم الأول تامّاً كاملاً، ويقبل الرسم الثاني تامّاً كاملاً، ولا يزال يقبل صورة بعد صورة أبداً، من غير أن يضعف في وقت من الأوقات عن قبول ما يطرأ عليها من الصور الأخرى... وهذه الخاصيَّة، مضادَّة لخواص الأجسام فليست جسماً»(١).

وفي ميدان الفلسفة ومباحثها، مثلاً، نرى الشيخ يعتمد حديث المتصل والمنفصل الذي هو موضوع علمي وفكري طويل ومتشعّب، وقد برزت فيه ألمعيته ومدى تعمقه في علم الحكمة، فمعنى المتصل أنّ الخط مثلاً قابل للانقسام غير المتناهي، وكذلك السطح والمادة، ومعنى المنفصل أن الخط أو السطح والمادة يتألف كل منها من نقاط أو أجزاء دقيقة محدودة، وأن الانقسام يقف عند هذه الأجزاء وهو متناه.. إن اتصال الخطوط والسطوح والأجسام والطاقة، والضوء أو انفصالها شغل المفكرين منذ قديم الزمان... وأثيرت هذه القضية في التراث الإسلامي، فالاعتقاد بوجود الجزء الذي لا يتجزأ مذهب فريق واسع من المسلمين، وهم غالبية المعتزلة وجمهور المتكلمين... وقد أخذ

(١) *الكشكول ط. أعلمي* ج٣ ص٢٠٩ *وط دار الكتاب* ص٦٩٦.

الأشعري هذه النظرية عن سابقيه من المعتزلة واعتمدها في دعم اتجاهه الديني، إذ حصر التناهي في المخلوقات والأشياء المحدثة، وترك اللاتناهي لله عز وجل. . . والفلاسفة المشّاؤون (ابن سينا وغيره من أتباع أرسطو) قالوا إن الجسم كمّ متّصل، وفرّقوا بين الانقسام بالفعل والانقسام بالقوة، فأجازوا الثانية إلى ما لا نهاية وأنكروا الأولى. . . وورث العلم والفلسفة هذه المشكلة في العصور الحديثة وتوزعها الباحثون على اختلاف مذاهبهم «فلاسفةً وفيزيائيين وكيمياويين»[1].

لقد نفى البهائي الجواهر المفردة، وردّ على العلماء الطبيعيين وعلى المتكلمين معتمداً على البراهين الرياضية:

«كلّما أمعن الناظر نظره في العلوم الرياضية، زاد أصحابها في نفسه وقعاً عظيماً، بخلاف العلوم الطبيعية، لتطرّق الخدش في أكثر دلائلهم (أي دلائل العلماء الطبيعيين)، والمتكلمون شكر الله سعيَهم، قد بذلوا وسعهم في تزييف مسائلهم ونقض أحكامهم، حتى تزلزلت براهينهم بكثرة المناقشات والاعتراضات التي أوردها عليهم، لكن كان الأولى على المتكلمين، أن يكتفوا بنقض دلائلهم وتزييف مسائلهم، التي خالفوا فيها الشريعة المطهّرة، ويسكتوا عما سوى ذلك من مطالبهم، ولا يجعلوا لأنفسهم في مقابلها مطالب أخرى، هم عن إثباتها عاجزون، كما جعلوا في مقابل القول بتركب الجسم من الهيولي والصورة، القول بتركّبه من الأجزاء التي لا تتجزأ ثم استدلّوا على ذلك بما لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً، ولو اكتفوا بتزييف دلائل إثبات الهيولي لكان أحرى

(١) يجدر مراجعة مقالة الدكتور عبد الكريم اليافي في مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الخامس ص٩٠ وما بعدها حول موضوع «المتصل والمنفصل»، وما آلت إليه هذه القضية ابتداء من أرسطو وزينون الأيلي مروراً بالنظّام وابن سينا والبيروني، وصولاً إلى موقف العلماء في العصر الحديث من هذه المسألة.

وأولى، ولكان بجملته أوقع في النفس وأقوى»[1].

وبرهن بهاء الدين العاملي على إبطال الجزء الذي لا يتجزأ أو **الجوهر الفرد** معتمداً البراهين الرياضية:

١ ـ يقول: «لو وجد الجزء للزم صحة كون قطر الفلك الأعلى ثلاثة أجزاء: لأنا نفرض قطراً وعن جنبيه وتران ملاصقان له، ثم قطع الثلاثة بقطر ما، من طرف أحد الوترين إلى طرف الآخر، فهو مركب من ثلاثة أجزاء لعدم إمكان التقاطع على أكثر من جزء»[2]. «اعترض بعض الأعلام بالاستغناء عن أحد الوترين وحينئذٍ يلزم كون قطر الفلك جزأين وهو أبلغ» فردّ البهائي عليه بقوله: «لي فيه نظر لأن الخط الثالث هنا ليس قطراً، بخلاف الرابع، والمحذور كون القطر ثلاثة أجزاء، واللازم من هذا كون الوتر جزأين، ويظهر من عدم قطريته من لزوم مروره بالمركز اعوجاجه لانطباق نصفه على الوتر ونصفه على القطر»[3].

٢ ـ وله على إبطال الجزء برهان آخر سماه «**البرهان السلّمي**».

«لو وجد الجزء لكان ضلعا المثلث كالثالث، وهو باطل بالشكل الحماري[4]، لأنا نفرض سلماً على الحائط، بين أسفله ورأس السلم عشرة أذرع مثلاً، وكذا بين سفليهما، ثم يجرّ السلم على الأرض، فهو مماسّ برأسه الحائط، بحيث تعظم قاعدة المثلث آناً فآناً، فكلما قطع على الأرض جزءاً، قطع رأسه على الحائط جزءاً وهكذا، فإن قطع عشرة أجزاء انطبق السلم على قاعدة المثلث، فكان السلم عشرين

---

(١) *الكشكول. ط أعلمي* ج٣ ص٣٢٠.

(٢) *المصدر نفسه* ج٢ ص٢٨٦ *وط دار الكتاب* ص٤٩٧.

(٣) *المصدر السابق* ج٢ ص٢٩٢ *وط دار الكتاب* ص٥٠٣.

(٤) توضيح هذا الشكل في كتاب «*خلاصة الحساب*».

ذراعاً، فساوى مجموع الضلعين وهو محال»[١].

هذان البرهانان على إبطال الجزء الذي لا يتجزأ من رسالته الموسومة «بالجوهر الفرد» التي أورد فيها ثمانية براهين على إنكار الجزء الذي لا يتجزأ، أما البرهانان الأخيران اللذان أوردهما في الكشكول أيضاً فهما كما يقول:

«ومما سنح بخاطري في إبطال تركب الجسم من الأجزاء التي لا تتجزأ سوى الوجوه الستَّة السَّابقة: أن نفرض مثلثاً متساوي السَّاقين، كلّ منهما ثمانية أجزاء، وقاعدته سبعة فما بين طرفي ساقيه خمسة من قاعدته لاشتراك طرفيها، والثامن الذي هو رأس المثلث مشترك أيضاً في ما بين السَّاقين إذا كان واحداً، فبين السادسين اثنان، وبين الخامسين ثلاثة: فبين الأولين سبعة، وقد كان خمسة، هذا خلف، وإن كان أكثر فالفساد أشدّ، فهو أقلّ من جزء فافهم، وقد لاح لي وجه ثامن: وهو أن نفرض دائرة، نصل بين جزأين منها بالقطر، ثم بين ثمانية يتوسطها القطر، وبين نظائرها أوتار ثمانية، ونصل بين الطرفين الأقصرين بخط مستقيم، فهو تسعة أجزاء، ووتر القوس وهو تسعة أيضاً، فقد سادت قاعدة القطعة قوسها»[٢].

وله برهان تاسع على نفي الجزء الذي لا يتجزأ، ذكره في لغزه الموسوم بـ «رتبة الأصول»[٣]، وقد أورده أيضاً في الكشكول[٤]، «تفرض دائرة مركبة من الأجزاء، وتخرج فيها خطين مارّين بالمركز بين طرفيهما

---

(١) الكشكول: *أعلمي* ج٢ ص٢٩٢ *ودار الكتاب* ص٥٠٣.

(٢) الكشكول: *أعلمي* ج١ ص٢٦٥ *ودار الكتاب* ص١٧٤.

(٣) المصدر نفسه في الصفحة نفسها، واللغز مذكور بكامله في *خلاصة الأثر* ج٣ ص٤٤٤ ـ ٤٤٦.

(٤) الكشكول: *أعلمي* ج٢ ص٢١١ *ودار الكتاب* ص٤٣٥.

جزء واحد من محيط الدائرة، فهما متقاطعان على المركز، فالانفراج، الذي بينهما قبل التقاطع إما أن يكون بقدر الجزء، أو أكثر أو أقل، والكل باطل لاستلزام الأول، كون المتقاطعين متوازيين، والثاني كون المتقاربين في جهة، متباعدين فيها، والثالث الانقسام»[١].

ويقول في مكان آخر: «فهذه وجوه تسعة في إبطال الجزء لم يسبقني إلى شيء منها أحد»[٢].

هذه براهينه الرياضية على إبطال الجزء الذي لا يتجزأ أو الجوهر الفرد، أما مثبتو الجزء فليس لهم كما يقول: «حجّة أقوى من وضع الكرة على السطح المستوي، إذ لو انقسم موضع الملاقاة لوصل من طرفيه إلى مركزها ليحدث مثلث متساوي الساقين، ويخرج من ملاقاة القاعدة عمود إلى المركز، فالخطوط الثلاثة الخارجة من المركز إلى المحيط متساوية لأنها كذلك، ويلزم أطوله الساقين من العمود لأنهما وتر القائمتين وهو وتر الحادتين»[٣]. وفي خلاصة الحساب، عندما يعرّف الكسر يقول: «والحق أنه ليس بعدد وإن تألّف منه الأعداد، كما أنَّ الجوهر الفرد عند مثبتيه ليس بجسم وإن تألّف منه الأجسام»[٤].

لقد توصَّل العلماء في العصر الحديث إلى التأكيد على أن الذرَّة التي تدعى باللغة العلمية المعاصرة «آتوم» ـ أي ما لا يتجزأ ـ تتجزأ، وإن بناءها يشتمل على كهارب تدور حول نوى تتألف من أوّيلات وأوّيمات (بروتونات ونترونات)، وكذلك على أجزاء أخرى دقيقة عدّوها

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٢ ص٢١١ *ودار الكتاب* ص٤٣٥.
(٢) *الكشكول: أعلمي* ج١ ص٢٦٥ *ودار الكتاب* ص١٧٤.
(٣) *الكشكول: أعلمي* ج٢ ص٢٩١ *ودار الكتاب* ص٥٠٣.
(٤) *اللباب* ص١٣.

جميعاً نهاية المادة، وكذلك الأمر في الضوء فبعد اعتباره موجباً متصلاً، نُظِرَ إليه على أنه يتألف من جسيمات دقيقة هي ما دعوه «بالفوتون»، ورأوا أيضاً أن الطاقة عند تبادل المادة والإشعاع لها، إنما يحصل التبادل بصورة منفصلة، ولكنَّ العلماء أنفسهم في الوقت نفسه كانوا مضطرين إلى الحفاظ على فكرة الاتصال، لأنهم قرنوا بالأجزاء الدقيقة أمواجاً ذات مقادير رياضية، والموج يفيد الاتصال، وكذلك رأوا أن تلك الأجزاء الدقيقة يؤثر بعضها في بعض تأثيراً متصلاً ضمن مساحات في المكان تجاذبية وكهرطيسية وما إلى ذلك.

«فالاتصال والانفصال بَدَوا جانبين متقابلين لحقيقة واحدة، فدعا العلماء هذا الاقتران المتبادل بالتاميَّة، وليست هذه التاميَّة إلا شكلاً نظرياً للحيرة التي يحيط العالم بها بدلاً من أن تحيط به»[١].

مثل هذه الحيرة أو التّامية نجدها عند بهاء الدين العاملي، لقد كانت فكرة المتصل والمنفصل تشغل تفكيره إذ يتبدّى أحد الجانبين فيها تلو الآخر، فهو في الوقت الذي يورد فيه البراهين على إبطال الجزء الذي لا يتجزأ، يذكر براهين أخرى رياضيّة وهندسيّة على **بطلان اللاتناهي**، تذكّرنا بطريقة الكندي الفيلسوف، الذي كان يرى أن الفلسفة لا تُنال إلا بالرياضيات[٢]. وهو كذلك يؤيد رأي نصير الدين الطوسي في قوله ببطلان اللاتناهي، مبرهناً على ذلك ببراهين رياضية وهندسية:

«قال المحقق الطوسي في التجريد في برهان تناهي الأبعاد:

ولحفظ النسبة بين ضلعي المثلث، وما اشتملا عليه مع وجوب إلصاق الثاني به»..

---

(١) اليافي: «*المتصل والمنفصل*» مجلة الثقافة الإسلامية عدد ٥ ص٩٣.

(٢) تجدر مراجعة ما كتب الشيخ عبد الله نعمة حول هذا الموضوع في فلاسفة الشيعة ص٤٠١ وما بعدها وكذلك ما كتبه طوقان في *تراث العرب العلمي* ص١٧٣.

يقول البهائي: «إنه يمكن حمل كلام المحقق على وجه يدل على امتناع اللاتناهي في جهة واحدة، والعجب أن جميع الشارحين والمحشّين غفلوا عنه، وتقريره أنه لو فرض أسطوانة غير متناهية مثلاً، لفرضنا خطاً ذاهباً في طولها إلى غير النهاية، وآخر في عرضها عموداً غليه، ولا شك أنَّ لهما نسبة إلى ما اشتملا عليه، أعني الضلع الثالث الذي يتم به المثلث القائم الزاوية في الفرض المذكور: لأن مربّعه يساوي مربّعيهما بشكل العروس، وهذه النسبة محفوظة مهما امتد الخط الطولي، والثالث متناه لانحصاره بين حاصرين، فالأوّلان أولى بالتناهي..»[1].

وقد أورد برهاناً آخر على امتناع اللاتناهي سمَّاه **اللام ألف**:

«لو أمكن عدم تناهي الأبعاد، لفرضنا مثلث، (أدح) القائم الزاوية وأخرجنا ضلعي اح ـ دح المتقاطعين على ح إلى غير نهاية، لا شك أن الزاوية د الحادّة تعظم آناً فآناً، فيحصل فيها زيادات غير متناهية بالفعل، وهي مع ذلك أصغر من الزاوية القائمة، إذ لا يمكن تساويها، لأن المثلّث لا يساوي قائمتين فتأمّل»[2].

كما يذكر برهاناً آخر على امتناع اللاتناهي ينسبه إلى السيد السمرقندي[3] ويناقشه[4].

وهذا يدل في ما يدل على أن العاملي كان مدمن الفكر في قضية

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٢ ص٢٥٢ *ودار الكتاب* ص٤٧٧.

(٢) *الكشكول: أعلمي* ج٢ ص٢٠٥ *وط دار الكتاب* ص٤٢٩.

(٣) **السمرقندي**: أحد علماء الهندسة في القرن الخامس الهجري، انظر ترجمته في *لغت نامه* مج١٦ ص٦٢٥ *والأعلام* ج٦ ص١٦٩.

(٤) اليافي «م» الثقافة الإسلامية ع٥ ص٩٤.

إثبات الجزء أو نفيه... فهو في هذه الحيرة العلمية يبدو في صفّ العلماء الحديثين إذ كان هؤلاء العلماء يلحّون على التنافر بين هذين الوصفين المقترنين عند دراستهم للظواهر الميكروفيزيائية، يلحّون فيهما الاتصال فيخفى الانفصال، فكأنهما وجهان لعملة واحدة لا نراهما معاً، وإن قصارانا أن نرى الوجه الواحد تلو الآخر[1].

ولعلَّ إنكار البهائي للجوهر الفرد ومحاولاته الرياضية للبرهنة على ذلك، هي التي حدت بمعاصريه، ومن أتى بعدهم ممن ترجموا له أن ينسبوا إليه الاختراعات الغريبة، فقد حكي أنه استطاع أن يحطّم الذرّة وأن يسيطر على طاقتها وأن يستخدمها في الحاجات، وأن من مظاهر ذلك أن صنع «شمعة»[2] أوقدها في أتون حمام بأصفهان وأنها كانت تكفي لتدفئة حمام بكامله مدة طويلة دون أن تتغير الشمعة وينسب إليه أنه صنع «ساعة» دوَّامة الحركة، دون أي حاجة إلى من يحرِّكها.

---

(١) *الكشكول: أعلمي* ج٢ ص٢٣٢ *ودار الكتاب* ص٥٤٤.

(٢) كتب الأستاذ «كمال سنو» في جريدة النهار اللبنانية، في حديث له عن آثار أصفهان عندما زارها صيف العام ١٩٦١م، «...يتحدثون في أصفهان عن المياه الأزلية الساخنة، فيقولون إن أصفهان كانت تنعم بالمياه الساخنة دائماً، ولم يستطع أحد أن يعرف سرّ هذه المياه الساخنة ومن أين تأتي وما الذي يسخنها.. حتى جاءت بعثة من العلماء الإنگليز فاستغربت مصدر المياه الساخنة، وأخذت تبحث عنه، حتى وصلت إلى مكان وجدت فيه خزاناً كبيراً يصب فيه الماء، وقد حفر في الصخر، ووضعت تحته شمعة سوداء صغيرة مضاءة، طولها بضعة سنتيمترات، وأطفأ العلماء الإنكليز الشمعة وأخذوها إلى بلادهم ليحللوها، ولكنهم لم يستطيعوا إعادة إشعالها».. جريدة النهار البيروتية. السنة ٢٩ العدد ٧٩٠١، ١٢ أيلول سنة ١٩٦١ ص٤ ـ ٥.

تجدر مراجعة *أجوبة المسائل الدينية*، العدد ٦ الدورة ٤ نيسان جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ (١٩٥٩م) *وفلاسفة الشيعة* ص٥٨ وص٤٠٧، *وكليات شيخ بهائى* ص٥١، *والشيعة في الميزان* ص١٩٢.

لقد أشبعنا هذه المقدمة بهذه النماذج من أعمال البهائي وأفكاره وأقواله، لنعطي فكرة واضحة عن مدى طاقة الرجل العلمية من جهة، وعن مقدار اعتماده العلوم ومنهجيتها وحججها في ميادين المعارف الأخرى الفلسفية والفقهية وسواها، من جهة أخرى، ولنظهر أنَّه في هذا الميدان أيضاً، إنما هو علم ضخم يأتي في طليعة معطي الحقبة ومبدعيها، وأنه ـ عالماً ـ يستحق عقد باب خاص عليه، وعلى كتبه العلمية في كتاب يوضع في شخصيته الأدبية والفكرية وعطاءاتها الإنسانية.

ننتقل الآن إلى الفصلين التاليين اللذين عقدناهما لشخصيته العلمية، منبهين إلى أنَّ أولهما أي **الفصل الثاني** من الباب الرابع وقفناه على نتاجه العلمي، نتناول فيه من أعماله العلمية: كتابي «بحر الحساب» و«تشريح الأفلاك» ورسالة «في أن جميع أنوار الكواكب مستمدة من الشمس»، ثم نتطرق إلى ذكر بعض المباحث العلمية المتفرقة في كتاب الكشكول، كما نتحدث فيه أيضاً عن الرياضيات وأثرها في كتب البهائي الفقهية. أما **الفصل الثالث** (وهو الأخير من الباب)، فقد خصَّصناه للحديث بشيء من التفصيل عن كتابه «خلاصة الحساب»، الذي يُعدُّ أهمَّ كتبه العلمية، والذي نال بسببه شهرة لا نظير لها في الأوساط العلميَّة.

الفصل الثاني

نتاجه العلمي:

نتناول في ما يلي أهم كتب البهائي العلمية دون كتاب «خلاصة الحساب» الذي نرجئه إلى فصل أخير نخصُّه به.

ونذكر أولاً:

كتاب «بحر الحساب»:

ذكر أكثر المهتمين بجمع آثار الشيخ بهاء الدين العاملي كتاباً له اسمه «بحر الحساب»، لكنَّ أحداً منهم لم يدّع أنه رأى هذا الكتاب، أو رأى شرحاً له أو تعليقاً عليه.

ولكنَّ الواقع أن للشيخ بهاء الدين كتاباً يحمل هذا الاسم، لأنه يحيل في كثير من مواضع «خلاصة الحساب» عليه، ويقول إن فيه تفصيلاً لكثير من النظريات الهندسية وقوانين المساحات والحجوم، وعدداً من المبادىء الحسابية، وأنه أدخل فيه أيضاً طرقاً جديدة لحل مسائل مختلفة صعبة، تشحذ الذهن وتمرّنه على حلّ الأعمال المعقدة الملتوية:

يقول مثلاً في الباب السادس من خلاصة الحساب، في مساحة الأجسام، «ولبعضها طرق خاصة لا تسعها الرسالة... وبراهين جميع هذه الأعمال مفصَّلة في كتابنا الكبير «بحر الحساب»[1]. ويقول في

(١) *اللباب* ص٢١٨ و٢٤٠.

الفصل الثاني من الباب السابع المتعلق بمعرفة ارتفاع المرتفعات: «وبراهين هذه الأعمال مبيّنة في كتابنا الكبير»[1].

وفي الباب العاشر كذلك يقول في شرح إحدى المسائل... بعد إيراد عدة حلول لها: «ولاستخراج هذه المسألة ونظائرها طرق أخر تُطلبُ مع براهينها من كتابنا الكبير وفّقنا الله لإتمامه»[2].

وذكر في الكشكول أيضاً مسألة حسابية هيئوية هندسية... وبعد عرضها قال: «طريق استخراجها بالجبر والمقابلة يُطلب من كتابنا الكبير الموسوم ببحر الحساب»[3].

وبما أن كتاب «خلاصة الحساب» قد قُدِّمَ للأمير حمزة ميرزا[4] «سلطان حمزة بهادر خان»، المقتول سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م، فمعنى ذلك أنه قدَّمه له قبل رحلة الحج التي بدأها سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م، أو بعدها وقبل الوفاة، أي ألَّفه قبل وفاته بما يقارب الأربعين سنة، وقد عرفنا من خلال سيرته، أنَّه تابع رسالته التعليمية حتى نهاية حياته، ورجّحنا مشاركته في تصاميم الكثير من الأعمال العمرانية في عهد الشاه عباس الكبير، فالراجح أن يكون مصدرها الكتاب الكبير المفصَّل، أكثر من الكتاب المختصر، والموضوع أساساً للتدريس.

إنَّ هذا الكتاب ضاعَ مع ما ضاع من مكتبة البهائي الخاصة بعد وفاته، ويذكر المؤرخون أنَّه وقف كتبه، ومن بينها أيضاً الكتب التي

---

(١) *المصدر السابق* ص٢٥٧ *والمخطوط* ص٨٢.

(٢) *المصدر السابق* ص٣٨١ *والمخطوط* ص١١٠.

(٣) *الكشكول. أعلمي* ج٣ ص٢١٦.

(٤) **الأمير حمزة ميرزا**: أخو الشاه عباس الكبير، قدَّمنا تعريفاً له في الفصل الثاني من الباب الأول ص١١٥.

ورثها عن والد زوجته، «ولمّا توفي ضاعت أكثر تلك الكتب لأسباب منها عدم اهتمام المتولي لها»[1].

أو أنَّ يد أحد المنتفعين سطت عليه، وبخاصة أنه لم يُستنسخ في عصره، يقول تلميذ البهائي السيد أشرف الطباطبائي في شرحه على خلاصة الحساب، الذي ألَّفه سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م، بعد وفاة البهائي بثماني سنوات، عندما يأتي الكلام في المتن عن «بحر الحساب»، يقول: «رزقنا الله رؤيته»[2]، ولعلَّه لم يُنسخ في عصره ولا بعد عصره، لأن نسَّاخ الكتب وشارحيها ـ كما نلاحظ من أسماء شارحي كتب البهائي ـ هم من الطلاب الذين ينسخون عادةً ما هم بحاجة إليه، والكتب التي هم بصدد دراستها، وإذا عرفنا أن المرحلة التي تلت عهد الشاه عباس الكبير، قد قلَّ فيها الاهتمام بدراسة الرياضيات، وطغت فيها الدراسة الفقهية على سائر العلوم[3]، نفهم لمَ نُسيَ أمرُ هذا الكتاب.

ثم ألا يُحتَمَلُ أن يكون قد سرقه أحد أولئك الأوروبيين، الذين أتوا إيران كسيَّاح وتجار ومبعوثين ومبشّرين، ابتداء من حكم السلطان محمد خدابنده، والمهمَّة الأساسية لهؤلاء الوافدين، كانت التفتيش عن الكنوز العلمية الضائعة، وبينهم حتماً من يهمّه أمر مثل هذه الكتب، لأنَّ أوروبا كانت قد بدأت تشهد نهضة علميَّة واسعة، وحركة النقل عن العلماء العرب والمسلمين كانت على قدم وساق.

---

(١) مستدرك *الوسائل* ج٣ ص٤٢٠.

(٢) *الذريعة* ج٣ ص٣٥ و٣٦ ومحمد باقر حجتي في مقالته عن *بهاء الدين العاملي* في مجلة الثقافة الإسلامية ج٥ ص٦٥.

(٣) صدّيق. *تاريخ فرهنگ إيران* ص٢٦٧.

ولم يكن الشيخ البهائي شخصيةً نكرة في عصره، بل كان يعرفه القاصي والداني، وكان أولئك الوافدون على بلاط الشاه عباس الكبير، على معرفة به وبإنجازاته العلمية، لعلاقته الرسمية بالشاه، ولشهرته بين الخاصة والعامة. . .

وإذا كان الشيخ البهائي قد علَّم الأمير حمزة ميرزا الرياضيات مباشرة أو بشكل غير مباشر، بواسطة كتابه «خلاصة الحساب»، فيكون قد اشترك في تعلميه مع شخص آخر لا يُستبعد أن يكون على معرفة بأمر هذا الكتاب، «فقد ذُكِرَ أنَّ فيليب الثاني ملك إسبانيا أرسل سفيراً إلى الشاه، محمد خدابنده، راهباً كاثوليكياً، كان يجيد الفارسية فتقرب من الشاه، وتولى تدريس ولي عهده حمزة ميرزا الرياضيات والنجوم والفلك، وأن الشاه غضَّ طرفه عن مصالحة العثمانيين بناء على طلبه»[1].

«رسالة تشريح الأفلاك»[2]:

اتّبع فيها المنهج المتّبع في خلاصة الحساب، أي أنه بدأ بتمهيد يذكر فيه سبب وضعه للكتاب وأهم موضوعاته وعدد فصوله، وقال بعد البسملة والتحميد:

«هذه درَّة يتيمة، احتوت من فنِّ الهيئة على أصوله ولبابه، وانطوت

---

(١) *زندگانى شاه عباس أول*. ج٤ ص١٥٢ وص١٧٠.

(٢) اعتمدت في دراستها على:

أ ـ شرح محمد جواد تهراني، المطبوع مع خلاصة *الحساب*، باسم *«تحفة الأحباب في شرح تشريح الأفلاك»*، انتشارات قمي نجفي ١٢٣ صفحة.

ب ـ مخطوط قديم بخط عبد الله نجفي بتاريخ ١٩ صفر ١٢٨٣هـ (*مكتبة المقاصد الإسلامية في النبطية* ١٥ صفحة).

على المهمّ من فصوله وأبوابه، وتضمنت لطائف فوائده، واشتملت على طرائف فرائده، وضعتُها تبصرة للمتفكرين، وتذكرة للمتذكرين، وسمّيتها تشريح الأفلاك، ليتوافق الاسم والمسمّى ويتطابق اللفظ والمعنى، ورتّبتها على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة». .

وقد تحدّث في المقدمة عن هيئة العالم الجسماني أيضاً وكيفية خلقه، واشتماله على كرات، وذكر تعدادها وترتيبها ونظامها، ووضعيَّة كلٍّ منها بالنسبة إلى الأخرى، أما الفصول فهي عبارة عن:

الفصل الأول: في بيان الدوائر العظام والصغار والقسيّ المشهورة (جمع قوس).

الفصل الثاني: في شرح صور الأفلاك السّبع السيّارة مع صور توضيحية.

الفصل الثالث: في الحركات وما يتبعها.

الفصل الرابع: في ما يتعلق بالكرة الأرضية وفي اختلاف أوضاع بقاعها.

الفصل الخامس: شرح الصبح والشفق.

وجعل الخاتمة: في كيفية استخراج خط نصف النهار، وسمت القبلة بالدائرة الهندية.

وقد أورد فيها أقوالاً للسابقين من أمثال الطوسي وغيره، وردّ عليها. . .

المقدمة:

«العالم الجسماني كرة منضّدة من ثلاث عشرة كرةً متلاصقة، أعلاها الأطلس، وهو كاسمه غير مكوكب، ثم فلك الثوابت وكلّها

مركوزة في ثخنه [قطره]. . . وهذان هما العرش والكرسي بلسان الشرع.

ثم السماوات السبع للسيَّارات السَّبع المشهورة، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٣٣﴾، وترتيبها عن السَّلف مأثور والكلام فيه مشهور»[1].

والمقصود بالعالم الجسماني تمام الموجودات من الأجسام والجواهر والأعراض، مرتّبة ومتلاصقة بعضها فوق بعض، أعلاها الأطلس (خال من الكوكب)، ثم فلك الثوابت أو فلك البروج والمقصود من أنه ثابت أن حركته قليلة إلى درجة يُظن فيها أنه ثابت. والكرات الثلاثة عشرة مركوزة في قطره، والمقصود بسطحَيْ الفلك: سطحه المحدّب وسطحه المقعّر.

ثم إن فلك الأطلس هو العرش وفلك الثوابت أو فلك البروج هو الكرسي بلغة الشرع. ثم السماوات السبع للسيَّارات السّبع المشهورة: زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر.

وبعد أن يتحدث عن الأفلاك الكلّيّة وكرة الهواء، وكرة الماء، ثم كرة الأرض يورد صوراً توضيحية للأفلاك التسعة وللسطح المقعّر والمحدّب، والشكل الأهليلجي، وشكل توضيحي لقعر البئر بالنسبة إلى سطحه.

ثم ردّ على الذين ادّعوا أن الأرض ثابتة، دون أن يوجدوا الدليل المناسب على مدّعاهم: «ولم يقم دليل على بطلان تحركها حركة وضعيَّة بطيئة، والتضاريس لا يخرجها عن الكروية الحسيَّة كما لا يخرج الماء والهواء، إذ نسبة ارتفاع أعظم الجبال إلى قطرها كنسبة سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع، ويتفرع على كرويتها صحّة كون يوم معين

---

(١) *تحفة الألباب* ص٤.

خميساً وجمعة وسبتاً عند ثلاثة[١] «ثم يرسم صورة توضيحية[٢]..» وقوله: «لم يقم دليل على بطلان تحركها حركة وضعية بطيئة» هو ردّ على الذين كانوا يدّعون حتى وقته أن الأرض ثابتة، فالعلامة «البير جندي» في شرح «التذكرة»[٣] قال: «لا يخفى أن المذهب الحق هو القول أن الأرض ثابتة ولا حركة عينية لها ولا وضعيّة»[٤].

الفصل الأول: في الدوائر العظام والصغار والقسيّ المشهورة. فالدائرة إن نصفت الكرة فعظيمة وإلا فصغيرة: والعظام عشرة:

الأولى: معدل النهار وقطباها قطبا العالم.

الثانية: منطقة البروج وتقاطع الأولى على نقطتي الاعتدالين الربيعي والخريفي وأبعد أجزائها عنها نقطتا الانقلابين الصّيفي والشتوي... ويوازيها صغار كالأولى وهي مدارات العرض.

الثالثة: الدائرة المارة بالأقطاب الأربعة، وهي دائرة مارَّة بأقطاب الأوليّين قائمة عليهما، فهما كذلك، وتقطع الثانية على الانقلابين والأولى على نظيرتيهما، وأقصر قوس منها بينهما وبين قطبيهما هو الميل

(١) *المصدر السابق* ص١٩ يفسر تهراني قوله: «صحة كون يوم معين خميساً وجمعة وسبتاً عند ثلاثة» أنه إذا افترضنا ثلاثة أشخاص في نقطة معينة في الكرة الأرضية، يوم الأربعاء ثم ذهب واحد منهم إلى جهة الغرب، والثاني إلى جهة الشرق والثالث ظل واقفاً مكانه، بصورة أن حركة الاثنين بمقدار حركة الشمس، وبعد ذلك يصل الاثنان إلى النقطة التي كان الساكن موجوداً فيها: بالنسبة إلى الساكن، النهار هو الخميس والذي أتى من جانب المغرب يوم الجمعة والآتي من جانب الشرق يوم السبت.

(٢) *تحفة الألباب* ص١٣، سأقدم صورة توضيحية في الملحق.

(٣) كتاب «*التذكرة*» لنصير الدين الطوسي.

(٤) تهراني. شرح *تشريح الأفلاك* ص١٩.

الكلي وهو بالرصد الجديد كج ل[١].

الرابعة: دائرة الميل، وتمر بقطبي الأولى وجزء من الثانية وقد تتحد بالثالثة، وأقصر قوس منها بين الأول والأولى ميله الثاني، وبينها وبين الثاني بُعده[٢].

الخامسة: دائرة العرض وتمرّ بقطبي الثانية جزء منها أو مركز الكوكب، فقد تتّحد بالثالثة والرابعة، وأقصر قوس منها بين الأول والأولى ميله الثاني، وبين الثاني والثانية عرضه، والأقسام المتساوية الحاصلة من تقاطع ست عرضيات (ثالثها) ورابعتها تمرّ بالاعتدالين والبواقي بينها وهي البروج الاثني عشر المشهورة[٣].

السادسة: دائرة الأفق، وهي واسطة بين النصف الفوقاني والنصف التحتاني وقطباها سمتا الرأس والقدم... ثم يتحدّث عن تساوي الليل والنهار واختلافهما[٤].

السابعة: دائرة نصف النهار وهي التي غاية في ارتفاع الشمس أو وصولها إليها وتكون واسطة بين النصف الشرقي والغربي مارة بأقطاب الأولى والسادسة[٥]. وأقصر قوس منها بين الأولى وقطب السادسة أو بالعكس عرض البلد، وطوله ما وقع من المعدّل بين نصف نهاره،

---

(١) شرح تشريح *الأفلاك*، *المتن* ص٣٠ *والشرح* ص٣٥: «إن الرصد الجديد يعني ٢٣ درجة و٣٠ دقيقة و١٧ ثانية، وهو منسوب إلى شاهرخ ابن الأمير تيمور الگورگاني ومعروف برصد «الغ بك» وخاقان شهيد.

(٢) *المصدر نفسه* ص٣٦.

(٣) *المصدر نفسه* ص٣٨: وهي الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت.

(٤) *المصدر نفسه* ص٤١.

(٥) شرح تشريح *الأفلاك* ص٤٩ ـ ٥٢.

ونصف نهار الجزائر الخالدات من فوق[١].

الثامنة: أول السماوات وهي واسطة بين النصف الشمالي والجنوبي مارَّة بأقطاب السادسة والسابعة وقطباها نقطتا الشمال والجنوب[٢].

التاسعة: وسط سماء الرؤية[٣].

العاشرة: دائرة الارتفاع وقد تسمى السمتيّة أيضاً، وتمر بنقطة مفروضة من الفلك وقطبي السادسة، وتقطعها على نقطتي السَّمت، والواصل بينهما خط السمت[٤].

الفصل الثاني: في صور الأفلاك السبعة السيَّارة:

فلك الشمس[٥]، الأفلاك العلوية (المريخ والمشتري وزحل) وفلك الزهرة[٦]، هيئة فلك القمر، وهيئة فلك عطارد[٧].

الفصل الثالث: في بيان حركات الأفلاك وما يتبعها... وبعد أن يتحدَّث عن حركة كل فلك يقول: «وهذه المشكلات قد حلّها محققو القوم شكر الله سعيّهم بوجوه طويلة، لا يليق ذكرها في المختصرات»[٨].

---

(١) *المصدر نفسه* ص٥٩، يقول تهراني إن هذا القول نسبة إلى رأي بطليموس الذي كان يرى أن مبدأ الطول هو الجزائر المسدسة أو الجزائر السعيدة... ولكن المقارنة الآن مع خط غرينتش الذي يمر في لندن.

(٢) *المصدر نفسه* ص٥٩.

(٣) *المصدر نفسه* ص٦١.

(٤) (٥) *المصدر نفسه* ص٦٧.

(٦) *المصدر نفسه* ص٦٨.

(٧) *المصدر نفسه* ص٧٤.

(٨) شرح تشريح *الأفلاك* ص٧٨.

الفصل الرابع: في ما يتعلق بالأرض وفي اختلاف أوضاع بقاعها مع صور الأقاليم وما فيها من البلاد المشهورة، مع جدول لبيان عروض مبادىء الأقاليم، وأوساطها وأطول أيامها وفراسخ عروضها وعدد نظام جبالها وغزارة أنهارها على ما حقّقه أهلُ هذا الفن[1]..

الفصل الخامس: في الصّبح والشّفق.

خاتمة:

في استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة بالدائرة الهندية[2].. ويورد طريقين لتعيين سمت القبلة. ثانيهما الأقصر والأوضح:

يقول: «طريق آخر أسهل من الأول[3]: فَخُذ حال كون الشمس في أحد الجزأين السابقة لكل خمس عشرة درجة من التفاوت بين الطولين ساعة، ولكل درجة أربع دقائق، فإذا مضى من نصف النهار بقدر ما معك من الساعات والدقائق، إن زاد طول البلد وبقي له بقدره إن نقص، فظلُّ المقياس حينئذٍ خطّ سمت القبلة وهي إلى خلاف جهة الظل..

رسالة في أن «جميع أنوار الكواكب مستمدة من الشمس»:

ردّ في هذه الرسالة على الذين قالوا إن أنوار سائر الكواكب ذاتية، واحتجّوا لرأيهم بقولهم: إنها لو كانت من الشمس لظهرت فيها

(١) *المصدر نفسه* ص٩٥ ـ ١٠٨.

(٢) *المصدر نفسه* ص١٠٩ ـ ١١٤.

م.ن ص١١٥ ـ ١١٩.

(٣) الطريق الأول م. ن ص١١٩.

المصدر نفسه ص١٢٢.

التشكلات البدرية والهلاليَّة، باختلاف وضعِها منَّا كما في القمر[1]، وتبنّى في هذه الرسالة أقوال الإشراقيين والفلاسفة. يقول البهائي: «رأيت في كتاب الفتوحات المكيَّة[2] في الباب التاسع والستين منه، وهو الباب المعقود لبيان أسرار الصلاة ما يدلّ بصريحه على أنَّ أنوار جميع الكواكب مستفادة من نور الشمس، وكذا في كتاب الهياكل للشيخ السهروردي[3]، ما يدلّ على ذلك، فإنه قال: إن الشمس هي التي تعطي جميع الأجرام ضوءها ولا تأخذ منها، وقال المحقّق الدَّواني في شرحه لهذا الكلام: «هذا يدلّ على أنَّ أنوار جميع الكواكب مستفادة من الشمس كما هو مذهب بعض أساطين الحكماء».

ويقول البهائي: «هذا هو الحق، وفي المثنوي للعارف الرومي[4]، ما يدل على ما ذكرناه وأنَّه الحق»[5]. كما أورد أقوال العلامة (الحلي) في التحفة وهو من القائلين بذاتية أنوار سائر الكواكب (عدا القمر)، وشرح رأي العلامة وعلّق عليه، ووضّح كيفية نفوذ الشعاع في الأجسام:

«إن نفوذ الشعاع في الجسم على ضربين:

---

(١) أورد هذه الرسالة في *الكشكول ط. أعلمي* ج١ ص٧١ إلى ص٧٦ *وط. دار الكتاب* من ص ٥٧ ـ ٦١.

(٢) *الفتوحات المكية* لمحي الدين ابن عربي.

(٣) **السهروردي**: (٥٤٩ ـ ٥٨٧هـ = ١١٥٤ ـ ١١٩١م) شهاب الدين السهروردي، شيخ الإشراق، الحكيم المعروف، ولد في سهرورد من قرى زنجان، ونشأ في مراغة، وسافر إلى حلب، نُسِبَ إلى انحلال العقيدة، فأفتى الفقهاء بإباحة دمه. والهياكل هو كتابه *(هياكل النور)* مطبوع. *الزركلي* ج١٠ ص١٤٠. **فرهنگ معين** ج٥، ص٨٣٠.

(٤) العارف الرومي: يعني به جلال الدين الرومي المولوي وقد مرَّ التعريف به.

(٥) *الكشكول*. دار الكتاب ص٤٦٨.

الأول: نفوذ مرور وتجاوز عنه إلى ما وراءه كنفوذ شعاع الشمس في بعض الأفلاك والعناصر منحدراً إلينا، ونفوذ شعاع البصر في بعض العناصر والأفلاك مرتقياً إلى الكواكب.

الثاني: نفوذ وقوف واجتماع من غير تجاوز إلى ما وراءه كنفوذ ضوءِ النَّار في الجمرة والحديدة المحمَّاة، وضوء الشمس في الشفق والثلج ونحوهما، ونفوذ شعاع البصر في القطعة الثخينة من الجمر والبلُّور والماء الصافي الذي له عمق ويعتدّ به.

والنفوذ الأول لا يستلزم تكيّف الجسم بالضوء النافذ وإن كان شديداً ولَّد انعكاسه عنه إلى ما يقابله، ولو فرض حصوله ففي غاية الضّعف والقلّة، بخلاف الثاني فإنَّه يوجب تكيّف الجسم بالضوء وانعكاسه عنه تكيّفاً وانعكاساً ظاهرَيْن، سيّما إن كان ذا لون كما نحن فيه، وعلى مثل هذا بنى الشيخ الرئيس[1] جواب سؤال أبي الريحان[2] له عن سبب إحراق الشعاع المنعكس عن الزجاجة المملوءة ماءً دون المملوءة هواء كما هو مذكور»..

ثم يقول: «وحاصل كلامي على العلامة أنَّ القائل باستفادة أنوار الكواكب من الشمس له أن يجعل نفوذ شعاعها فيها من قبيل نفوذ الثاني، فتستنير أعماقها به، كالكرة من البلّور الصافية أو التي لها لون ما إذا أشرقت عليها الشمس ونفذ شعاعها في جميع أعماقها نفوذ اجتماع، فإنه إذا نظر إليها من أي الجهات كان يرى كلَّها مستنيراً، فلا يلزم في اختلاف تشكّلات الكواكب كما في القمر، إذ لم يبق شيءٌ من أجزائها مظلماً، وهذا ظاهر لا سترة فيه»..

---

(١) الشيخ الرئيس: المقصود ابن سينا.

(٢) المقصود: أبو الريحان البيروني.

وأخيراً لا بد أن نذكر أن الشيخ بهاء الدين العاملي، أورد في الكشكول أكثر من ٥٠ مسألة حسابية وهندسية متنوّعة[١]، غير مرتبطة ببحث معين، وإنما وردت حسب استطراق الذهن إليها، وحسب ما يقتضيه أسلوبه في التعليم من تنويع. مثال ذلك:

«إذا قيل كم يتحصل من تركيب حروف المعجم كلمة ثنائية سواء كانت مهملة أو مستعملة، فاضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين فالحاصل جواب. فإن قيل كم يتركب منها كلمة ثلاثية، بشرط ألا يجتمع حرفان من جنس، فاضرب حاصل ضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين في ستة وعشرين، يكن تسعة عشر ألفاً وستمائة وستة وخمسين.

وإن سئلت عن الرباعية، فاضرب هذا المبلغ في خمسة وعشرين والقياس فيه مطّرد في الخماسي فما فوق»[٢].

مسألة هندسية: تستعلم مساحة الأجسام المشكلة المساحة كالفيل والجمل، بأن يُلقى في حوض مربّع ويُعلَّم الماء، ثم يُخرَجُ منه ويُعلَّم أيضاً، ويمسح ما نقص فهو المساحة تقريباً[٣].

مسألة فيزيائية: «السبب في رؤية القمر تحت الغيم الرقيق متحركاً حركة سريعة، أنّا إذا نظرنا إليه نفذ شعاع البصر في جزء من أجزاء ذلك الغيم، فإذا فرضنا حركة الغيم من المشرق إلى المغرب أيضاً، كانت هذه الحركة أيضاً لقرب الغيم منّا أسرع في الرؤية من حركة القمر لبعده

---

(١) جمعتُ ونسّقتُ الموضوعات العلمية التي وردت في *الكشكول*، ووضّحتُ علاقة بعض الموضوعات بكتبه الأخرى (*خلاصة الحساب ـ تشريح الأفلاك*)، بما يقارب الأربعين صفحة.

(٢) *الكشكول*. *أعلمي* ج١ ص٣٢.

(٣) *المصدر السابق*. *أعلمي* ج١ ص٣٥.

عنًا، فيصير ذلك الجزء الذي كان قد نفذ الشعاع فيه غريباً عن القمر بحركته إلى المشرق قطع تلك القطعة التي هي بمنزلة المسافة[1].

رؤية الشجر في الماء منكوساً إنما هو لوجوب مساواة زاوية الشعاع لزاوية الانعكاس مثلاً في هذا الشكل (يرسم شكلاً توضيحياً).

إذا كان البصر أو الماء (ج د) وزاوية الشعاع (ف ب ج) وزاوية الانعكاس (هـ ب د)، وتمام الدليل مذكور في الجزء الأول من الكشكول، وهنا وجه إقناعي قليل المؤونة، وهو أن العادة جرت بأن المرئي يرى غائراً في سطح الصقيل بمقدار بعده عن النظر، ولا ريب أن رأس الشجرة أبعد عن سطح الماء من أسفلها، فلا بد أن يرى أسفلها أقرب إلى سطح الماء ورأسها أبعد فترى منكوسة لا محال، فتأمّل»[2].

الرياضيات في كتب البهائي الفقهية:

في كتاب «**الحبل المتين في أحكام الدين**»، ظهرت شخصية بهاء الدين العاملي كعالم رياضي وفلكي، عندما انجرَّ القول إلى شرح ما تضمنته الأحاديث من دخول وقت الظهر بزوال الشمس، أي ميلها عن دائرة نصف النهار إلى جانب المغرب... وأن ذلك يعرف بأمور: الأول ميل الشمس إلى الحاجب الأيمن لمن يستقبل قبلتهم... إلخ. الأمر الثاني: حدوث الظل بعد عدمه... الأمر الثالث: ميل الظل عن خط نصف النهار إلى جهة المشرق، وهو يتوقف على استخراج خط نصف النهار والطرق في استخراجه كثيرة... منها الدائرة الهندية[3].

---

(١) *المصدر السابق* ج٣ ص٣٦٤.

(٢) *الكشكول* ج٣ ص٣٢٧.

(٣) *الحبل المتين* ص١٣٧، وقد شرح الدائرة الهندية، كما شرحها أيضاً في رسالة *تشريح الأفلاك* كما مرَّ.

«ترصد ظل المقياس قبل الزوال... ثم ترصد خط المقياس بعد الزوال... ومن هذا يظهر أن النصف الشمالي من خط نصف النهار المستخرج ينحرف يسيراً إلى جانب المشرق عن خط نصف النهار الحقيقي، أعني الفصل المشترك بين دائرة نصف النهار والأفق إذا عملت الدائرة الهندية حال كون الشمس صاعدة، وإلى جانب المغرب إذا عملت حال كونها هابطة...»[1].

واعتمد علم الفلك أيضاً في تحديد أوقات النوافل، وفي أحكام القبلة[2]. يقول: «...فهذه نبذة من العلامات الدائرة على ألسنة الفقهاء... وأكثرها مستنبط مما دلت عليه قواعد علم الهيئة، فإن المدار في تعيين سمت القبلة في البلاد البعيدة، على ما تقتضيه قواعد ذلك العلم..».

كما أنه يفنّد رأي من يمنع جواز التعويل على علماء الهيئة في تحديد الموضوعات الشرعية.

ويردّ بقوله: «...وأما ما زعمت من أن شيئاً من كلامهم لا يفيد علماً ولا ظناً، وقد ثبت أكثره بالدلائل الهندسيَّة والبراهين المجسطيّة التي لا يتطرق إليها شبهة، ولا يحوم حولها وصمة ريب... وأما قولك أنه لا وثوق لك بإسلامهم فضلاً عن عدالتهم، فكيف يجوز ذلك التعويل على كلامهم قبل تيقّن مضمونه، فكلام عار عن حلية السداد، إذ اليقين غير شرط، ورجوع الفقهاء في ما يحتاجون إليه من كل فنّ إلى علماء ذلك الفن وتعويلهم على قواعدهم، إذا لم يكن مخالفته لقانون الشرع شائع ذائع معروف في ما بينهم خلفاً عن سلف، كرجوعهم في مسائل

---

(١) *الحبل المتين* ص١٣٨.

(٢) *الحبل المتين* ص١٤٦ ومن ص١٨٩ إلى ص١٩٣.

النحو، وفي مسائل اللغة إلى النحاة، وفي مسائل الطب إلى الأطباء، وفي مسائل المساحة والجبر والمقابلة والخطأين، وما شاكلها إلى أهل الحساب، من غير بحث عن عدالتهم وفسقهم، بل يأخذون عنهم تلك المسائل مسلَّمة ويعملون بها من دون نظر في دلائلهم، التي أدّتهم إليها لحصول الظن الغالب بأن الجمَّ الغفير من الحذّاق في صناعة من الصناعات إذا اتفقت كلمتهم على شيء مما يتعلق بتلك الصناعة فهو أبعد عن الخطأ، وهذا من قبيل الظن الحاصل بخبر الشياع.

. . .وليت شعري كيف يفيدك كلام الجوهري مثلاً الظن في المسائل اللغوية، فتتبعه في جميع ما يلقيه إليك من معاني ألفاظ الكتاب والسنة، ولا يفيدك كلام المحقق نصير الملة والدين مع جم غفير من علماء الهيئة الظن في ما يلقونه إليك في مسائل الفن، بل كيف تقول على قول فلان اليهودي المتطبب إذا أخبر المريض الفلاني مما يضره الصوم، ويتحتم له الإفطار، أو يضره القيام أو القعود في الصلاة، ويتعيَّنُ له الاستلقاء مثلاً، فتفطر في شهر رمضان، وتصلي مستلقياً مومياً أياماً عديدة، لاعتمادك على كلامه لما بلغك من حذاقته في فن الطب، فإذا كنت تقبل قول يهودي واحد تظن حذاقته، في ما يتعلق بفنه فبالأولى أن تقبل قول جماعة متكثرة من علماء الإسلام، في ما يتعلق بفنهم، مع إطباق الخاص والعام على حذاقتهم في ذلك الفن إلى ما لا مزيد عليه»[1].

وفي الرسالة الموسومة بـ «**الفرائض البهائية**»، وهي في الباب الثالث من المنهج الرابع من كتاب الحبل المتين، وضع ثلاثة رسوم بيانية لكيفية توزيع المواريث، لا يجيدها إلا من كان له اهتمام وإلمام

---

(١) *الحبل المتين* ص١٩٠.

بالرياضيات والحساب، وقد شرح فيها النسب العددية، وطرق القسمة، وأنواع الكسور، وطرق استخراج الجذور، لتسهيل أعمال قسمة المواريث[1].

كما أنَّ نبوغه في علم الرياضيات قد ظهر في رسالته الفقهية «**تحقيق مقدار الكر**» التي طبق فيها معارفه الرياضية، يقول في مقدمة هذه الرسالة التي كتبها باسم الشاه طهماسب الصفوي المتوفى سنة ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م:

«. . .فبينما الخاطر يرتشف من رحيق حقائقه (علم الفقه)، ويقتطف من ثمار دقائقه، إذ عثر سبوحه بمسألة الكر[2]، وتحقيق تقديره، وكيفية مساحته وتكسيره، فجال بخاطري أن أرتّب مقالة أذكر فيها ما قامت عليه الدلائل الصّحيحة من مقداره، وقادت إليه الحجج الصريحة من كمية أشباره، وأن ألمح فيها إلى المشهور من أشكال الآنية وكيفية مساحتها على ما قامت عليه الدلائل الهندسية، فإن فقهاءنا إنما بيّنوا مساحة المكعّب من الأشكال تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً إلى

(١) الفرائض البهائية مطبوعة مع كتاب *الحبل المتين* (٤ صفحات) من ص٢٦٤ ـ ٢٦٧.

(٢) **الكرّ**: «قدره ألف ومائتا رطل بالبغدادي» الشيخ المفيد «*تهذيب الأحكام*» ج١ ص٢١٧.

وهو كل ماء بلغ وزنه ثلاثمائة وسبعين كلغ تقريباً، وإذا كان من الماء الصافي الذي يستعمل في أنابيب الإسالة فحساب الكر منه يساوي ثلاثمائة وسبعة وخمسين ألفا ومائتي سنتيمتراً مكعباً. . . ومن الناحية العملية فإن الحوض المربع الممتلىء ماء إذا قاسه أيّ إنسان اعتيادي بأشباره فكان كل من طوله وعرضه وعمقه يساوي ثلاثة أشبار ونصف شبر أو كان بعدان من هذه الأبعاد الثلاثة يساوي ثلاثة ونصفاً والبعد الثالث ثلاثة أشبار وثلث الشبر فهو كر مع زيادة: محمد باقر الصدر «*الفتاوى الواضحة*»: الجزء الأول ط ٦ ـ ١٩٧٩م/ ١٣٩٩هـ.
والكر هو المقدار من الماء الراكد في بئر أو حوض، الذي يجوز التطهّر به.

أفهام المبتدئين، وأما استعلام باقي أشكاله كالمستدير والمثمّن والمثلث والمعين فقد جعلوها موكولة إلى القواعد الحسابية، والدلائل الهندسية، وقد أوردت في هذه الرسالة، ما لا بد منه ولا غنية للطالب عنه ليكون محيطاً بكيفية مساحته على اختلاف أنواعها، عالماً بطريقة تكسيره على تباين أوصافها سالكاً في ذلك أقرب طريق وأيسره، ذاكراً فيه أسهل وجه وأخصره، ممثلاً لما عساه يحتاج إلى المثال على حسب ما اقتضاه الحال». . .

وهي مقسمة على الشكل التالي:

١ ـ مقدمة، ٢ ـ في تعريف الكرّ، ٣ ـ في معنى مساحة الجسم، ٤ ـ في تحديد الكر بحسب المساحة، ٥ ـ في تحديد الكر بالوزن، ٦ ـ في الصور المتصوّرة في الكرّ، ٧ ـ في الأشكال الهندسيّة وطريقة ضربها، ٨ ـ في مساحة الحوض المستدير.

ولا يخفى على قارىء هذه الرسالة[1]، أنَّ بهاء الدين العاملي طبّق فيها، ما كان قد ذكره مفصلاً في الفصل السادس من كتابه «خلاصة الحساب»، المتعلّق بمساحة الأشكال الهندسية المختلفة.

---

(١) رسالة في تحقيق مقدار الكر. مطبوعة مع كتاب *الحبل المتين* ورسائل أخرى للبهائي من ص ٣٧٤ ـ ٣٨١.

الفصل الثالث

كتاب «خلاصة الحساب»

لقد خصصنا هذا الكتاب بفصل مستقل، ورغبنا في تناوله بالدرس ببعض التفصيل لأن بهاء الدين العاملي نال بسببه شهرة لا نظير لها، وذلك لما فيه من معلومات مفيدة لا يستغني عنها طالبُ العلم... ولقد اعتُمِدَ كتاب «خلاصة الحساب»، حتى نهاية النصف الأول من هذا القرن، لتدريس الرياضيات والحساب في مختلف مدارس إيران[1]، وكان داخلاً ضمن منهج دراسة الطلاب في النجف الأشرف حتى نهاية الخمسينات من هذا القرن، لذلك لا تخلو مكتبة رجل دين درس في النجف في النصف الأول من القرن الحالي من مخطوطة لهذا الكتاب[2]...

(١) *اللباب في شرح خلاصة الحساب*، ويقول شارحه ومترجمه بالفارسية محمد جواد تهراني، أنه كان يدرّس الخلاصة لتلاميذه في الستينات من هذا القرن [المقصود القرن العشرون]: *اللباب* ص٣، وقد طُبع كتاب *«الخلاصة»* في إيران والهند واسطنبول ومصر كما تُرجم إلى الألمانية سنة ١٨٤٣م في برلين، وترجم إلى الفرنسية في العام ١٨٦٤م، نقلاً عن طوقان في *«تراث العرب العلمي»* ص٤٣٥ وما بعدها، وآخر طبعة لهذا الكتاب في إيران طبعة مكتبة نجفي لشرح الكتاب وترجمته، للسيد محمد جواد ذهني تهراني المسمى *«اللباب في شرح خلاصة الحساب»* سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٢) في مكتبة السيد إسماعيل إبراهيم (في قرية «الدوير» بقضاء النبطية جنوبي لبنان) مخطوطة (*خلاصة الحساب*) من كتب والده العلامة السيد مهدي آل إبراهيم: وهي =

أهم ما يميِّز كتاب خلاصة الحساب المنهج العلمي الذي اتبعه صاحبه وطريقة ترتيب موضوعات الكتاب وتبويبها، بأسلوب بليغ، جميل أخَّاذ.

ويقسم الكتاب إلى تمهيد ومقدّمة وعشرة أبواب وخاتمة، يمكن تلخيصها وتعريفها كما يلي:

التمهيد: يتحدث فيه عن أهمية علم الحساب بالنسبة إلى العلوم الأخرى، فيقول بعد التحميدات:

«إن علم الحساب لا يخفى علوّ شأنه، وسموّ مكانه، ورشاقة مسائله، ووثاقة دلائله، وافتقار كثير من العلوم إليه، وانعطاف جمّ غفير من المعاملات عليه، وهذه رسالة حوت الأهم من أصوله، ونظَّمت المهم من أبوابه وفصوله، وتضمنت منه فوائد لطيفة هي خلاصة كتب المتقدمين، وانطوت منه قواعدَ شريفة هي زبدة رسائل المتأخرين... وسمّيتها خلاصة الحساب، ورتبتها على مقدمة وعشرة أبواب بتوفيق القادر الوهَّاب»[1].

إذاً فالبهائي يعتمد في كتابه على «خلاصة كتب المتقدّمين»، و«زبدة رسائل المتأخرين»، «كما يقضي اليوم كلُّ مبحث علمي، جامعيّ

= بخط نسخ جميل واضح، وهي بخط الباقر بن أحمد المعروف بحاجي بابا في لكندو وهي قرية في الكشمير، انتهى من كتابتها يوم الأربعاء من شهر رجب ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)، وعليها شروح كثيرة، وأهمية هذه المخطوطة أنها منقولة عن نسخة الأصل وأنها الوحيدة من بين عدد من المخطوطات التي اطّلعتُ عليها، تتضمَّنُ إهداء من الشيخ البهائي إلى حمزة ميرزا أخي الشاه عباس، يحدد على وجه التقريب *تاريخ كتابة الكتاب*، وفي الملحق صورة لمقدمة المخطوطة.

(١) *المخطوط* ص١ وفي *اللباب* لم يذكر التمهيد ولا الإهداء وإنما بدأ مباشرة بتعريف علم الحساب.

السَّمات ينطلق من الذخائر العلمية السابقة لبحثه في شكل جامع تكامليّ الحلقات شمولي الأبعاد»[1].

المقدّمة: يعرّف فيها أولاً بعلم الحساب فيقول:

«الحساب علمٌ يستعلم منه استخراج المجهولات العددية من معلومات مخصوصة، وموضوعُهُ العددُ الحاصل في المادة كما قيل، ومن ثم عدّ الحساب من الرياضي وفيه كلام».

ثم يعرّف بالعدد: «والعدد قيل كميَّة يطلق على الواحد وما تألف منه فيدخل الواحد، وقيل نصف مجموع حاشيته فيخرج (الواحد). وقد يتكلف لإدراجه بشمول الحاشية الكسر».

أما **الواحد** فيقول عنه: «والحق أنه ليس بعدَدٍ وإن تألَّفَ منه الأعداد، كما أن الجوهر الفردَ عند مثبتيه ليس بجسم، وإن تألَّف منه الأجسام»[2].

---

(١) يقول د. غازي أبو شقرا واصفاً التّمهيد في كتاب *الخلاصة* بقوله: «هل يختلف هذا التمهيد في شيء تعبيراً وأسلوباً عن المنهج العلمي الحديث؟ خاصة عندما يؤكد العاملي على *«خلاصة المتقدمين»* و*«زبدة رسائل المتأخرين»* كما هي الحال اليوم في كل مبحث علمي جامعي السمات ينطلق من الذخائر العلمية السابقة لبحثه في شكل جامع تكاملي الحلقات شمولي الأبعاد. ثم يتطرَّق إلى أهمية علم الحساب. ومن هذا المعنى تفوح روح العصر من الخمائل «البهائية العاملية» المتضوعة نشراً بكل طيب هذه الآثار التي ترجمت إلى لغات عدة، حيث نهل من معينها علماء الغرب الحديث الشيء الكثير لأنها مثلت زبدة الفكر الرياضي في الحقبة الممتدة من أواخر القرن السادس عشر للميلاد حتى أواسط السابع عشر للميلاد، فأسهمت مع مؤلفات الخوارزمي في النهضة الأوروبية حيث اعتمدت منطلقاً للأبحاث العلمية الحديثة بانتقال الناصية من المشرق إلى المغرب»..

(٢) عرّف البهائي العدد في *الكشكول* بقوله: «أجمع الحسَّاب على أن تعريف العدد بأنه نصف مجموع حاشيته، وهو لا يصدق على الواحد، إذ ليس له حاشية =

يعني ذلك أنه القمة المتوسطة للعددين السابق له واللاحق به على التسلسل الطبيعي، كأن يكون تعريف العدد ٤ بالوسط الحسابي للعددين ٣ و٥، فإن الواحد لا يدخل حسب هذا التعريف في العدد، إلا إذا كانت الحاشية تشمل الكسر، فعندئذٍ تستطيع تعريف الواحد على أنه القيمة المتوسطة لحاشيته، وهما في هذه الحال ١/٢، ١/٥، علماً أن العدد وحاشيته لا بدَّ وأن تكون متوالية عددية ذات تزايد ثابت(١).

ويتابع بهاء الدين العاملي: «. . .وهو [العدد] إما مطلق فصحيح، أو مضاف إلى ما يفرض واحداً فكسر وذلك الواحد مخرجه، **والمطلق** وإن كان له أحد الجذور التسعة، أو جذر فمُنطِق وإلا أصمّ، والمُنطِقُ إن ساوى أجزاءه فتام أو زاد عليها فزائد، أو نقص عنها فناقص(٢).

= تحتانية، وفيه نظر، إذ الحاشية الفوقانية لكل عدد تزيد عليه بمقدار نقصان الحاشية التحتانية عنه، ومن ثمة كان مجموعها ضعفه، وقد أجمعوا أن العدد إما صحيح أو كسر، فنقول: الحاشية التحتانية للواحد هي النصف، فالفوقانية واحد ونصف، لأنها تزيد على الواحد بقدر نقصان النصف عنه، كما هو شأن حواشي الأعداد، والواحد نصف مجموعهما، فالتعريف المذكور صادق على الواحد، بل نقول: التعريف المذكور صادق على جميع الكسور أيضاً، وليس مخصوصاً بالصحاح، مثلاً يصدق على الثلث أنه نصف مجموع حاشيته فالتحتانية السدس، والفوقانية ثلث وسدس، أعني نصفاً، ولا شك أن الثلث نصف مجموع النصف والسدس هو المراد.

(*الكشكول أعلمي* ج٢ ص٣٠ *ودار الكتاب* ص٥١١ كما يعرف العدد التام، *أعلمي* ج٢ ص٣٤٥ *ودار الكتاب* ص٥٨٨).

(١) أبو شقرا: مجلة الصفر عدد ١٩ ص٦٧.

(٢) وفي هذا المنحى يعمد البهائي إلى تقسيم العدد إلى صحيح وكسر، والكسور التسعة هي:

١/٢ ١/٣ ١/٤ ١/٥ ١/٦ ١/٧ ١/٨ ١/٩ ١/١٠، وإذا كان العدد صحيحاً، يطلق عليه جذرٌ مُنطِق، وإن لم يكن صحيحاً سمي جذراً أصم، وإن ساوى =

ومراتب العدد أصولها ثلاثة: آحاد وعشرات ومئات، وفروعها ما عداهما مما لا يتناهى، وينعطف إلى الأصول، وقد وضع لها حكماء الهند الأرقام التسعة المشهورة: ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩[١].

الباب الأول: في حساب الصحاح وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: في الجمع **والثاني** في التنصيف، **والثالث** في التفريق، **والرابع** في الضرب، **والخامس** في القسمة، **والسادس** في استخراج الجذر، ولكل عمليّة من هذه العمليات الحسابية ميزان للتأكد من صحتها.

الباب الثاني: في حساب الكسور:

= مجموع عوامله فهو تام، مثال على ذلك العدد ٦ فإن عوامله هي: ١ و٢ و٣، بمعنى أنه يقبل القسمة على أي منها ومجموع هذه العوامل يساوي: ١+٢+٣=٦ =العدد المراد، ومن هنا اتسمت تسميته بالتام، أما في العدد ٤ على سبيل المثال فعوامله هي ١ و٢ ومجموعها ٣، فيكون العدد ٤ والحالة تلك عدداً زائداً، وفي صورة معكوسة إذا اخترنا العدد ١٨ على سبيل المثال فعوامله هي ١ و٢ و٣ و٦ و٩ ومجموعها ٢١ وبذلك يكون العدد ١٨ أنقص من مجموع عوامله ولهذا السبب يسمى عدداً ناقصاً: أبو شقرا. بهاء الدين العاملي «*مجلة الصفر* العدد ١٩ ص٦٨».

(١) يقول طوقان: «نجد في الخلاصة أن المؤلف استعمل الأرقام الهندية التي نستعملها نحن اليوم إلا أنه استعمل للصفر الشكل (٥)، وللخمسة شكل يخالف الشكل الذي نعرفه» (*تراث العرب العلمي* ص٤٧٥) وللحقيقة أن في نسخ الخلاصة المخطوطة التي بين يدي، وفي كتاب *«اللباب» للشيخ التهراني*، لاحظت أن البهائي استخدم الصفر المعروف اليوم، وهو نقطة (.)، واستخدم الرقم خمسة كما يكتبه الإيرانيون ۵ الآن بجعل سن أو خط داخلي صغير في جوف المستديرة. وقد كان الهنود يستعملون النقطة لتدل على الصفر، ثم استعملوا الدائرة (٥) عوضاً عن النقطة للغرض نفسه، أما العرب فإنهم منذ بداية الأمر لم يأخذوا بالدائرة لمشابهتها للعدد (٥)، بل استعملوا النقطة لتدل على الصفر.

وفيه ثلاث مقدمات وستة فصول:

تتناول المقدمات الكسور وأصولها الأولية، ومعنى مخرج الكسر، وكيفية إيجاد مخارج عدَّة كسور، أي كيفية إيجاد المضاعف المشترك الأصغر لمقامات عدة كسور، وتتناول أيضاً التجنيس والتجانس والرفع، ويأتي عند شرح كلّ هذه البحوث بأمثلة تزيل غموض الموضوع وتزيد في وضوحه[1].

الفصل الأول: في جمع الكسور وتضعيفها.

الفصل الثاني: في تنصيفها وتفريقها.

الفصل الثالث: في ضرب الكسور.

الفصل الرابع: في قسمتها.

الفصل الخامس: في استخراج جذر الكسور.

الفصل السادس: في تحويل الكسور من مخرج إلى مخرج.

الباب الثالث: في استخراج المجهولات بالأربعة المتناسبة.

الباب الرابع: في استخراج المجهولات بحساب الخطأين[2].

---

(١) ويعطي محمد جواد تهراني أمثلة عديدة إضافة إلى أمثلة بهاء الدين العاملي تكفي قراءتها لمن لا يعرف مبادىء الحساب ليتقنه.

(٢) يقول طوقان: «حلّ علماء العرب بعض معادلات الدرجة الأولى بطريقة حساب الخطأين الخوارزمي[3]، أبو كامل[4]، قسطا بن لوقا[5]، سنان بن ثابت[6]، وابن البنَّاء[7]، والقلصادي[8] والعاملي..

وهذه الطريقة غير مستعملة في الكتب الحديثة مع أنها كانت شائعة الاستعمال عند العرب في القرون الوسطى، وفيها شيء من الطرافة، وقد وردت عند العاملي أمثلة طريقة واضحة (تراث العرب العلمي ص٧٥).

الباب الخامس: في استخراج المجهولات بالعمل بالعكس وقد يسمى بالتحليل والتعاكس، «وهي العمل بعكس ما أعطاه السائل، فإن ضعَّف نصِّف، وإن زاد فانقص، أو ضرب فاقسم، أو جذر ربِّع، أو عكس فاعكس، مبتدئاً من آخر السؤال ليخرج الجواب»[1].

الباب السادس: في المساحة وفيه مقدِّمة وثلاثة فصول:

المقدمة: تعريف المساحة، وتعريفات أولية على السطوح والأجسام.

---

(٣) **الخوارزمي**: مر التعريف به ص٦١٣ ـ ٦١٤.

(٤) **أبو كامل**: عالم الجبر المشهور، عمل في ظل الفاطميين في مصر، وهو المعروف بالحاسب المصري (٨٥٠م ـ ٩٣٠م)، استخدم أبو كامل عدة مجاهيل: طوقان *وتراث العرب العلمي* ص٤٢٠ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٣٠.

(٥) **قسطا بن لوقا**: البعلبكي ت(٣٠٠هـ ـ ٩١٢م)، خصص كتاباً خاصاً لحساب الخطأين، انظر ترجمته في *طبقات الأطباء* ج١ ص٢٤٤ *.الفهرست* ج٧ ص٣٥٣، *تراث العرب العلمي* ص٧٥ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٢٧.

(٦) **سنان بن ثابت**: (... ـ ٣٣١هـ = ... ـ ٩٤٢م) سنان بن ثابت بن قرَّة الحرّاني: *معجم الأدباء* ج١١ ص٢٦٣.

(٧) **ابن البنَّاء**: (٦٥٤ ـ ٧٢١هـ = ١٢٥٦ ـ ١٣٢١م). أدخل بعض التعديلات على الطريقة المعروفة بطريقة الخطأ الواحد، ووضع ذلك بشكل قانون. وهو أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العددي، أبو العباس، ابن البنَّاء، رياضي، باحث، من أهل مراكش مولداً ووفاة (٧٢١هـ ١٣٢١م) *كشف الظنون* ص٤٧٢ *ودائرة المعارف الإسلامية* ج١ ص١٠٢ *وتراث العرب العلمي* ص٧٦.

(٨) **القلصادي**: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي الشهير بالقلصادي. ولد في مدينة بسطة في الأندلس سنة ١٤١٢م وتوفي سنة ١٤٨٦م، اشتغل بالحساب وألَّف فيه تآليف قيمة وأبدع في نظرية الأعداد.

(٨١٥ ـ ٨٩١هـ = ١٤١٢ ـ ١٤٨٦م) *نفح الطيب* ج٢ ص٦٨٤ *وتراث العرب العلمي* ص٤٢٠ و٧٥ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص٧٤.

(١) شرح طوقان هذه المقولة بعدة أمثلة: *تراث العرب العلمي* ص٥٧، وكذلك تهراني في *اللباب* ص١٨٢ ـ ١٨٥.

الفصل الأول: في مساحة السطوح المستقيمة الأضلاع كالمثلث والمربَّع والمستطيل، والمعين، والأشكال الرباعية، والمسدس والمثمَّن والأشكال المستقيمة، الأضلاع الأخرى.

الفصل الثاني: في مساحة فية السطوح.

الفصل الثالث: في مساحة الأجسام: الكرة ـ الأسطوانة ـ المخروط ـ المضلّع.

الباب السابع: في ما يتبع المساحات.. وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في وزن الأرض لإجراء القنوات.

الفصل الثاني: في ارتفاع المرتفعات.

الفصل الثالث: في معرفة عروض الأنهار وأعماق الآبار.

الباب الثامن: في استخراج المجهولات بطريق الجبر والمقابلة وفيه فصلان:

الفصل الأول: في المقدمات في معنى المجهول، والمال والكعب، ومال المال، ومال الكعب، وكعب الكعب، وجزء الشيء، وجزء المال وجزء الكعب(١).

الفصل الثاني: في المسائل الجبريّة الست: وهي عبارة عن أوضاع

(١) المجهول أو الشيء: ورمزه س (x) المال ورمزه س٢ (x^2) ويدل على مربع المجهول ـ الكعب ورمزه ك أي س٣ (x^3) جزء الشيء ورمزه س/١ ($1/x$) جزء المال: ١/س٢ ($\frac{1}{x^2}$).

جزء الكعب: ١/س٢ ($\frac{1}{x^2}$)، *تراث العرب العلمي* ص٤٧٨ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١١٢.

مختلفة للمعادلات، وإيجاد المجهول منها، ويورد عدّة حلول للمسألة الواحدة، ثم يقول: وههنا طريق آخر أسهل وأخصر[1]، ويورد مسائل من المقترنات[2].

الباب التاسع: في قواعد شريفة وقواعد لطيفة، لا بد للحاسب منها، ولا غناء له عنها: يقول: «ولنقتصر في هذا المختصر على اثنتي عشرة: الأولى وهي مما سنح بخاطري الفاتر: إذا أردت مضروب عدد في نفسه، وفي جميع ما تحته من الأعداد، فزد عليه واحداً واضرب المجموع في مربّع العدد، فنصف الحاصل هو المطلوب»[3].

الباب العاشر: فيه مسائل متفرقة بطرق مختلفة يقول: إن القصد من هذا الباب «شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطالب».

ونراه يستعمل في حلول بعض المسائل طرقاً جبريّة وفي بعضها الآخر طرقاً حسابية، يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه، ويقوّي فيه ملكة التفكير.

الخاتمة:

المسائل المستحيلة الحل، أو المستصعبات الأبيات، أوردَ سبعة منها على سبيل الأنموذج، اقتداءً بعلماء الرياضيات من السابقين الذين أوردوا بعضها في مصنّفاتهم.

النهاية:

«فاعلم أيها الأخ العزيز، الطالب لنفائس المطالب، أني قد

(١) *المخطوط* ص٩٢ *واللباب* ص٣٠١.

(٢) *المخطوط* ص٩٣ *واللباب* ص٣٠٥ وما بعدها.

(٣) *المخطوط* ص١٠٩ ـ ١١١ *واللباب* ص٣١٦.

أوردت لك في هذه الرسالة الوجيزة، بل الجوهرة العزيزة، من نفائس عرائس قوانين الحساب، ما لم يجتمع إلى الآن في رسالة ولا كتاب، فاعرف قدرها، ولا ترخّص مهرها، وامنعها عمّن ليس أهلها، ولا تنزلها إلا إلى حريص على أن يكون بعلها، ولا تبذلها لكثيف الطبع من الطلاب، لئلا تكون معلقاً للدرّ في أعناق الكلاب، فإن كثيراً من مطالبها حريّ بالصيانة والكتمان، حقيق بالاستتار عن أكثر أهل الزمان، فاحفظ وصيتي إليك، والله حفيظ عليك»(١).

مبتكراته:

١ ـ لخَّص بهاء الدين العاملي في هذا الكتاب: الحساب والجبر وأعمال المساحة المتفرقة في عشرات الكتب عند العلماء السابقين المسلمين، وقدّم هذه المعلومات في صورة مرتّبة كلّ الترتيب، واضحة كلّ الوضوح، وأورد العدد من الأمثلة التي تزيل الغموض عن الموضوعات المستعصية، وبيَّن أنواع المعادلات وطرق حلّها، كذلك المسائل المستعصية الحل، كما قدّم قواعد وفوائد لتسهيل أعمال الحاسب، كما ذكر هو نفسه في مقدِّمة الكتاب(٢).

ويقول محمد جواد تهراني في مقدمة شرحه بالفارسية على خلاصة الحساب: «إن هذا الكتاب في غاية الاختصار والإيجاز، على الرغم من احتوائه لأمهات المسائل الرياضية وأصولها، ويمكن القول إن لصاحبه السَّبق في طريقة عرضه لهذه المسائل»(٣).

---

(١) لم يذكر تهراني في اللباب، النهاية التي يمدح بها البهائي رسالته، لأن كتابه كتاب مدرسي وفي *المخطوط النهاية* ص١١١.

(٢) *المخطوط* ص١ و٢ *واللباب* ص٣.

(٣) *اللباب* ص٣.

أنموذج: في الفصل الأول المربوط بقاعدة الجمع، يشرح كيفية كتابة الأعداد، وبعدها كيفية الجمع، ثم صورة بيانيَّة للمسألة:

«ترسم العددين متحاذيين، وتبدأ من اليمين بزيادة كل مرتبة على محاذيها، فإن حَصَل أقل من عشرة ترسم تحتها أو أزيد، فالزائد أو عشرة فصفراً، حافظاً في هاتين الصورتين في الذهن للعشرة واحداً لتزيده، على ما في المرتبة التالية، أو ترسمه بجنب سابقه إن خَلَتْ، وكلُّ مرتبةٍ لا يحاذيها عددٌ فانقلها بعينها إلى سطر الجمع وهذه صورته: ⁚ ⁚ ⁚ «فإن تكثرت سطور الأعداد فارسمها متحاذية المراتب، وابدأ من اليمين حافظاً لكل عشرة واحداً كما عرفت وهذه صورته: ⁚ ⁚ ⁚ ⁚»[١].

٢ ـ ويقول علماء الرياضيات[٢]، إن أوضح تفسير لكلمتي «جبر ومقابلة»[٣] هو تفسير بهاء الدين العاملي لهما: «استخراج المجهولات بالجبر والمقابلة محتاج إلى نظر ثاقب وحدس صائب وإمعان فكر في ما أعطاه السائل، وصرف ذهن في ما يؤدي المطلوب من الوسائل[٤]».

---

(١) *المصدر السابق* ص٢٥ و٢٧.

(٢) علي عبد الله الدفاع: المدخل إلى *تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين* ص٣٤ *وإسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢١٩ وجلال شوقي: *رياضيات بهاء الدين العاملي* ص (١٢٣ ـ ١٢٥) نقلاً عن:
David Eugenne Smith, History of mathematics (New York, Ginn and company, 1925).

(٣) إن العرب هم أول من أطلق لفظة جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم، وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علميَّة منظمة، وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمي في زمن المأمون، كما أن الخوارزمي ومن أتى بعده من علماء المسلمين اتفقوا على تفسيرهم لكلمتي (الجبر والمقابلة). *تراث العرب العلمي*، *إسهام العلماء المسلمين في الرياضيات* ص٢٢، *المدخل إلى تاريخ الرياضيات* ص٣٧، *الرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١١٣.

(٤) *اللباب* ص٢٨٦.

فتفرض المجهول شيئاً وتعمل ما تضمَّنه السؤال، سالكاً على ذلك المنوال لينتهي إلى المعادلة، **والطرف ذو الاستثناء** يكمل ويزاد مثل ذلك على الآخر وهو **الجبر**، والأجناس المتجانسة المتساوية في الطرفين تسقط منها وهو **المقابلة**، ثم **المعادلة** إما بين جنس وجنس، وهي ثلاث مسائل تسمَّى المفردات، أو جنس وجنسين وهي ثلاث أخر تسمى المقترنات»، ويقصد بالطرف ذي **الاستثناء** الحد الذي يسبق إليه بالإشارة السالبة[1].

٣ ـ كما ساهم في تطوير الرموز التي أوجدها الخوارزمي للجذور والمربّع والمكعّب والمجهول.

يقول بهاء الدين العاملي: «يسمى المجهول شيئاً، ومضروبه في نفسه مالاً، وفيه كعباً، وفيه مال المال، وفيه مال الكعب، وفيه كعب الكعب إلى غير النهاية. . .

ويضيف: «وإن كان استثناء يسمى المستثنى منه زائداً **والمستثنى ناقصاً**، وضرب الزائدين مثله زائداً، والمختلفين ناقصاً، فمضروب عشرة أعداد وشيء، في عشرة أعداد إلا شيئاً: مائة إلا مالاً»[2]، وهو في لغة العصر الحديث وكما هو موضح في شرح الخلاصة[3]: يصير (١٠ + س) (١٠ - س) = ١٠٠ - س^{٢}.

٤ ـ اهتم بهاء الدين العاملي: اهتماماً ملموساً بالمتواليات

---

(١) *إسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢١٩ *والمدخل إلى تاريخ الرياضيات* ص٣٦.

(٢) *اللباب*: من ص٢٦٦ ـ ٢٨٦.

(٣) *المصدر السابق* من ص٢٨٠ ـ ٢٨٣، وقد أورد تهراني أمثلة توضيحية لكل من هذه المسائل، ولكل مثل بيان توضيحي مفصّل.

وأنواعها، فاتبع أستاذه الكرخي[1]، ولكنه زاد عليه بابتكار متواليات أخرى[2].

أ ـ أوجد مجموع مضروب عدد في نفسه وفي مجموع ما تحته من الأعداد.

ب ـ اكتشف قانوناً لجمع الأعداد المفردة بحسب تسلسلها الطبيعي.

ج ـ ابتكر قانوناً لجمع الأعداد المزدوجة بحسب تسلسلها الطبيعي.

٥ ـ ابتكر طريقة تسمى استخراج المجهولات «بالعمل بالعكس»، أو طريقة التحليل والتعاكس وهو العمل بعكس ما أعطاه السائل: «فإن ضعَّفَ نصِّف، أو زاد فانقص، أو ضرب فاقسم، أو جذّر فربِّع، أو عكس فاعكس، مبتدئاً من آخر السؤال ليخرج الجواب»:

مثل: «فلو قيل أي عدد ضرب في نفسه وزيد على الحاصل اثنان وضعِّف وزيد على الحاصل ثلاثة دراهم وقسِّم المجتمع على خمسة وضرب الخارج في عشرة حصل خمسون؟ فاقسمها على العشرة،

---

(١) **الكرخي**: أبو بكر محمد بن الحسين الكرخي المتوفى بين سنة ١٠١٩ أو ١٠٢٩م، من أعظم نوابغ الرياضيين الذين ظهروا في بداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وهو من أكثر المشتغلين بعلم الحساب وأعلى من كتب فيه أصالة، وله فيه مصنفان معروفان أولهما: *«الكافي في الحساب»* ويعرض فيه لقواعد العمليات الحسابية، وثانيهما كتاب *«الفخري»*، الدفاع ص٣٦ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص١٣٥.

(٢) الدفاع: *إسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢٢٤، *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* من ص١٣٥ ـ ١٣٧.

واضرب الخمسة في مثليها وانقص من الحاصل ثلاثة ومن منصَّف الاثنين والعشرين وجذر التسعة جواب»[1].

٦ ـ استنتج طريقة جديدة لإيجاد الجذر الحقيقي التقريبي للمعادلة الجبرية، وسمَّاها طريقة الكفتين أو طريقة الميزان الرياضي:

ويعرّف البهائي الميزان بقوله: «واعلم أن ميزان العدد ما يبقى منه بعد إسقاطه تسعة تسعة، وامتحان الجمع والتضعيف لجمع ميزاني المجموعين، وتضعيف ميزان المضعّف، وأخذ ميزان المجتمع، فإن خالف ميزان الحاصل، فالعمل خطأ»[2].

يعرّف ميزان العدد بأنه ما يبقى من العدد بعد إسقاطه تسعة تسعة، بمعنى أننا نجمع الأرقام المكونة للعدد، ونستبعد منها جميع التسعات الصحيحة، فما يبقى بعد ذلك فهو ميزان العدد، مثال ذلك[3]، عملية الجمع التالية حيث نبيّن ميزان كل عدد على حدة (إلى اليسار)، ثم ميزان المجتمع (ميزان حاصل جميع موازين الأعداد) الذي لا بد وأن يساوي ميزان الحاصل (أي ميزان حاصل جمع الأعداد، وهو مبين إلى اليمين:

(١) *اللباب* ص١٨٣. والحل هو التالي: إذا بدأنا من آخر المسألة. . . نقسم الخمسين على عشرة ينتج ٥، ثم نضرب ٥ في مثلها ينتج ٢٥ وننقص من ٢٥ العدد ٣ نحصل على ٢٢ ومن نصف العدد ٢٢ ننقص ٢، نحصل $\frac{٢٢}{٢}$ - ٢ = ٩، والجواب هو الجذر التربيعي للعدد ٩، أي ٣... (*اللباب* ص١٨٤).

(٢) *نماذج للميزان في اللباب* ص٣٩، ٤٦، ٩٩، ١٠٦، ١٢١.

(٣) *رياضيات بهاء الدين العاملي* ص٣٦.

العدد الأول : ٩٣٥٧٢٤	٣
العدد الثاني : ٦٧٠٣٥٨	٢
العدد الثالث : ٤٩٦٢٣٧	٤
العدد الرابع : ٨١٤٧٨٥	٦
ميزان الحاصل ٦← ٢٩١٧١٠٤	٦ ميزان المجتمع

وتسري قاعدة اختبار صحة العمليات الحسابية على جميع العمليات البسيطة من جمع وطرح وتفريق وقسمة وضرب، حيث يكون تحويلها إلى صورة عملية الضرب.

يقول علي عبد الله الدّفّاع[١]: «بقيت طريقة بهاء الدين العاملي المسماة (الميزان) تستعمل في جميع معاهد وجامعات أوروبا، حتى جاء في القرن السابع عشر الميلادي الإنجليزي إسحق نيوتن، الذي دَرَس واستعمل طريقة الميزان لبهاء الدين العاملي، ثم ابتكر طريقة أخرى لإيجاد الجذر الحقيقي التقريبي، وسمَّاها طريقة نيوتن ورفسون المعروفة باللغة الإنجليزية (the New-Raphson Method) وهي طريقة تمتاز بدقّة أكبر إذ إنها ترتكز على نظرية حساب التفاضل والتكامل[٢].. وجلّ عمل

(١) أعطى علي عبد الله الدفاع مثلاً مطولاً على كيفية إيجاد الميزان لمعرفة الجذر الحقيقي التقريبي للمعادلة (*إسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢٢٥ - ٢٢٦).

(٢) المعروف لدى علماء الرياضيات أن صاحب فكرة **حساب التفاضل والتكامل** هو العالم العربي ثابت بن قرَّة الذي استخدم بكثرة نظرية الجاذبية التي طورها أبو الريحان البيروني، ولكن نيوتن هو الذي طبقها على الأجسام المتحركة (*إسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢٢٨).

نيوتن كما قلنا كان مرتكزاً على أبحاث بهاء الدين العاملي وأفكاره، هو وغيره من علماء المسلمين»[١].

ويرى الدّفاع أن من الواجب أن تدرّس طريقة الميزان التي تدل على عبقرية بهاء الدين العاملي، لطلاب المعاهد والمدارس والجامعات، عندما يحين وقت شرح «طريقة الخطأين» لإيجاد جذر المعادلة الحقيقي التقريبي، المعروفة باللغة اللاتينية (Re Gula bourum)، وباللغة الإنجليزية (False Position)، ثم يتبع هاتين الطريقتين بالترتيب المنهجي طريقة نيوتن ورافسون المشهورة[٢].

٧ ـ قدَّم بهاء الدين العاملي قاعدة مبتكرة لتعيين الأعداد التامة، وهي قاعدة ثبتت صحّتها كما يقول جلال شوقي حتى البلايين على الأقل، وقد أمكن باستخدام هذه القاعدة تعيين الأعداد التامة السبعة الأولى[٣].

٨ ـ عرض جلال شوقي قاعدة في بيان تقسيم الغرماء التي استخدمها بهاء الدين العاملي في حساباته مع صورة توضيحية:

«تضرب دين كل واحد من الغرماء في التركة، وتقسم الحاصل على مجموع الديون، فخارج القسمة هو نصيب صاحب المضروب في التركة».

مثال: التركة عشرون، وأحد الديون ثمانية، والآخر عشرة، والآخر اثني عشر ومجموع الديون ثلاثون.

---

(١) *إسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢٢٧.

(٢) الدفاع: *المدخل إلى تاريخ الرياضيات* ص٣٦.

(٣) *رياضيات بهاء الدين العاملي* ص١٢٣ ـ ١٢٧.

ـ رسم لوحة وفيها خلايا كما هي موضّحة في الشكل.

ـ وضع التركة فوق ومجموع الديون تحت كما في الشكل.

ـ وضع كل واحد من الديون بخلية، وفوق مقدار التركة.

ـ كما في الشكل المخصص له حرف «أ» حتى يتسنى له إجراء عملية الضرب.

ـ ضرب التركة في كل من الديون، ونتج عنه المقادير كما في الشكل الموضح بحرف «ب».

التركة
٢٠

٢٠ ١٢	٢٠ ١٠	٢٠ ٨	أ
٤٠ ٢٠	٠٠ ٢٠	١٦٠	
٢٤٠	٢٠٠	١٦٠	ب
٣٠	٣٠	٣٠	
٨	٦	٥	ج
	كسر ٢٠	كسر ١٠	د

مجموع
ديون
٣٠

ـ ثم قسم حاصل ضرب الديون في التركة على مجموع الديون والناتج موضح بالشكل ومخصص له حرف «ج».

ـ وضع الباقي في الخلية التي تحت النصيب لكل دين ووضع لفظ كسر فوقه كما في الشكل الموضح بحرف «د».

[نصيب صاحب الثمانية: ٨×٣/ ٢ = ٣/ ٥١

نصيب صاحب العشرة: ١٠×٣/ ٢ = ٣/ ٦٢

نصيب صاحب الاثني عشر: ١٢×٣/ ٢ = ٨][١].

٩ ـ استخرج بهاء الدين العاملي القيم التقريبية للجذور الصماء[٢] باستعمال طرق خاصة[٣].

١٠ ـ ومن مبتكراته ما جاء في الباب التاسع من خلاصة الحساب حيث يقول: «قواعد شريفة وفوائد لطيفة، لا بد للحاسب منها ولا غناء له عنها»، وقد اقتصر هذا الباب على اثنتي عشرة قاعدة وفائدة، يقول إنها كلها من مبتكراته وأنه لم يسبقه أحد إليها. يقول طوقان[٤] «الحقيقة أنه مبتكر في بعضها وقد استعمل لها طرقاً طريفة فيها بعض الإبداع، وفيها شيء من المهارة والمقدرة تدلان على عمق التفكير».

---

(١) *رياضيات بهاء الدين العاملي* ص١٤٥ ـ ١٥٣ *وإسهام علماء المسلمين في الرياضيات* ص٢٢١.

(٢) الأعداد الصمَّاء N. Irrationnels، قال طوقان: كان الخوارزمي أول من استعمل كلمة «أصم» لتدل على العدد الذي لا جذر له، ومن معنى هذه الكلمة استعمل الإفرنج لفظة (Suro)، وهي تعني أخرس... ويمكن القول إن العرب (المسلمين) وجدوا طرقاً لإيجاد القيم التقريبية للأعداد والكميات ووقوف تام على علم الجبر «*تراث العرب العلمي*» ص٨٢.

(٣) *اللباب* ص١١٠، ١١١، ١١٢.

(٤) *تراث العرب العلمي* ص٤٨.

١١ ـ وجاء في خاتمة خلاصة الحساب: «قد وقع للحكماء الراسخين في هذا الفن مسائل صرفوا في حلها أفكارهم، ووجّهوا إلى استخراجها أنظارهم، وتوصلوا إلى كشف نقابها بكل حيلة، وتوسلوا إلى رفع حجابها بكل وسيلة، فما استطاعوا إليها سبيلاً، وما وجدوا عليها مرشداً ودليلاً، فهي باقية على عدم انحلال من قديم الزمان، ومستصعبة على سائر الأذهان إلى الآن، وقد ذكر علماء هذا الفن بعضَها في مصنفاتهم، وأوردوا شطراً منها في مؤلفاتهم، تحقيقاً لاشتمال هذا الفن على المستصعبات الأبيات، وإفحاماً لمن يدّعي عدم العجز في الحسابيات، وتحذيراً للحاسبين من التزام الجواب، عما يورد عليهم منها، وحثّاً لأصحاب الطبائع الوقادة على حلّها والكشف عنها، وأنا أوردت في هذه الرسالة سبعة منها على سبيل الأنموذج اقتداء بمنارهم، واقتفاءً لآثارهم...»[١].

ومن المستصعبتين الثانية[٢] والرابعة[٣]، يمكن القول بأنه من المحال تقسيم المكعّب إلى مكعّبين، أو ضعف المربّع إلى مربّعين، ومن هذا يتضح سبق علماء المسلمين على «فيرما»[٤] في النظرية المنسوبة إليه، فقد جاءت ملاحظة «فيرما» بعد وفاة بهاء الدين العاملي بحوالى خمسة عشر عاماً[٥]، وبعد تأليف بهاء الدين العاملي لكتاب «خلاصة الحساب»

---

(١) *المخطوط* ص١١٠ *واللباب* ص٣٥٨.

(٢) *المخطوط* ص١١٠ *واللباب* ص٣٨٧.

(٣) *المخطوط* ص١١٠ *واللباب* ص٣٨٨.

(٤) ولد پيير دي فرما Pierre de Fermat في بومون دي لومانيه Beaumont de Lomagne سنة ١٦٠١م وتوفي سنة ١٦٦٥م. وهو من واضعي الرياضيات الحديثة، وله السبق في أكثر من مجال: حساب التفاضل، الهندسة التحليلية، نظرية الأعداد، وحساب الاحتمالات.

(٥) جلال شوقي. *رياضيات بهاء الدين العاملي* (١٤٥ ـ ١٥٠).

بأكثر من أربعين سنة، لأنَّ العاملي قدَّمه إلى وليِّ عهد السلطان محمد خدابنده «حمزة ميرزا»، الذي قُتِلَ سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م[(١)].

١٢ ـ تطبيق علم الجبر على الحياة اليوميَّة:

نماذج من المسائل المتفرقة التي أوردها في الباب العاشر[(٢)]، بقصد شحذ ذهن الطالب وتمرينه على استخراج المطالب، يستعمل في حلول بعض المسائل طرقاً جبرية، وفي بعضها الآخر طرقاً حسابية، يجد فيها الطالب ما يشحذ ذهنه ويقوي فيه ملكةَ التفكير، من هذه المسائل:

أ ـ «عدد ضوعف وزيد عليه واحد، وضرب الحاصل في ثلاثة وزيد عليه اثنان، وضرب المبلغ في أربعة وزيد عليه ثلاثة، بلغ خمسة وتسعين فما العدد؟».

ب ـ «سمكة ثلثها في الطين وربعها في الماء والخارج منها ثلاثة أشبار، كم أشبارها»؟.

ج ـ «رجلان حضرا بيع دابَّة، فقال أحدهما للآخر، إن أعطيتني ربع ما معك على ما معي تمَّ لي ثمنها فكم مع كل واحد منهما، وكم الثمن؟».

د ـ «قيل لشخص كم مضى من الليل، فقال: ثلث ما مضى يساوي ربع ما بقي، فكم مضى وكم بقي؟».

هـ ـ «رمح مركوزة في حوض، والخارج عن الماء خمسة أذرع فمال

---

(١) وقد ذكرت في حديثي عن مخطوطة «*خلاصة الحساب*» أن البهائي قدّمها للأمير «حمزة ميرزا» أخي الشاه عباس الذي قتله القُزَلباش سنة ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م والبهائي توفي سنة ١٠٣٠هـ، فيكون تقديمه له إما قبل وفاته بأربعين سنة إذا كان التقديم قبل رحلة الحج، أو قبل الوفاة بخمس أو ست وثلاثين سنة، إذا كان قد قدمه له بعد رحلة الحج.

(٢) *اللباب* ص٣٣٧ وما بعدها.

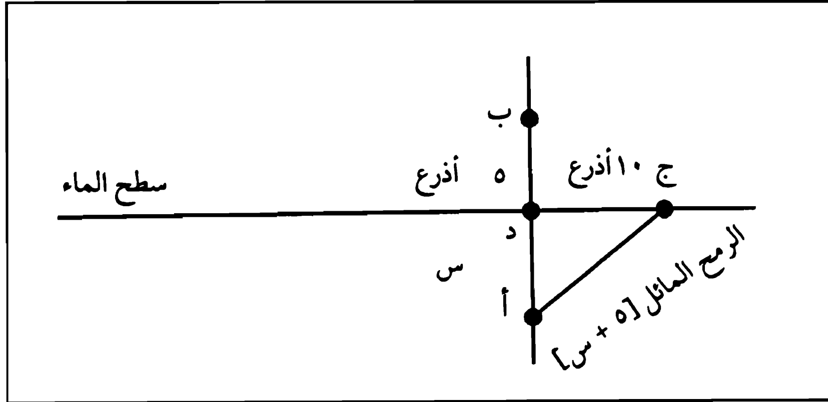
مع ثبات طرفه حتى لاقى رأسه سطح الماء، وكان البعيد بين مطلعه في الماء، وموضع ملاقاة رأسه له، عشرة أذرع، كم طول الرمح»؟.

الحل:

«فبالجبر تفرض الغائب في الماء شيئاً، فالرمح خمسة وشيء، ولا ريب أنه بعد المَيْلِ وَتَرٌ قائمةٌ أحد أضلعها عشرةُ أذرع، والآخر قدر الغائب منه أعني الشيء. فمربع الرمح أعني خمسة وعشرين مالاً وعشرة أشياء مساو لمربعي العشرة والشيء أعني مائة ومالًا بشكل العروس[1]، وبعد إسقاط المشترك يبقى عشرة أشياء معادلة لخمسة وسبعين والخارج من القسمة سبعة ونصف، وهو القدر الغائب في الماء، فالرمح اثنا عشر ذراعاً ونصف.

ب د = ٥ أذرع وهو الجزء الخارج عن الماء.

د ج = البعد بين مطلع الرمح من الماء وموضع ملاقاة رأسه للماء = ١٠ أذرع.



(١) *المصدر السابق* ص٣٨٢، يعني بشكل العروس: «الشكل السابع والأربعين» من كتاب «*أشكال التأسيس في الهندسة*» لقاضي زادة الرومي(*)، وهي: «مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية = مجموع مربع الضلع الأول ومربع الضلع الثاني». =

أ ر = س = الجزء الغائب في الماء.

أ ج = الجزء الخارج عن الماء + الجزء الغائب في الماء = ٥+ س.

استعمل بهاء الدين العاملي في حل هذه المسألة نظرية مثلث قائم الزاوية:

أ ج^{٢} = أد^{٢} + دج^{٢} ⟵ (٥ + س)^{٢} = س^{٢}+ (١٠)^{٢} ⟵

٢٥ + ١٠س + س^{٢} = س^{٢} + ١٠٠ ⟵

س^{٢} - س^{٢} + ١٠س = ١٠٠ - ٢٥

١٠س = ٧٥ س^{شيء}= ٧,٥ الجزء الغائب في الماء

طول الرمح: ٥ + ٧,٥ ^{شيء} = ١٢,٥ ذراعاً[١].

١٣ ـ وفي حله لمسألة السمكة التي ثلثها في الطين وربعها في الماء والخارج منها ثلاثة أشبار: يورد عدَّة حلول:

أ ـ عن طريق التناسب.

ب ـ حلّ جبري.

= (*) **قاضي زادة الرومي**: هو صلاح الدين موسى بن محمد بن القاضي محمد الرومي صلاح الدين المعروف بقاضي زاده موسى چلبي ـ ولد في بروسة وتوفي حوالى (٨٤٠هـ السنة ١٤٣٦م). اشتهر بمؤلفاته، فاستدعاه أولغ بك بن شاهرخ ابن تيمور (٨١٢ ـ ٨٥٣هـ = ١٤٠٩ ـ ١٤٤٩م) ـ الذي اهتم شخصياً بالفلك وأنشأ مرصداً سمي باسمه ـ وقرَّبه إليه، وعنده رسائل نفيسة ومؤلفات قيِّمة منها *«رسالة في الحساب»* و*«شرح لكتاب أشكال التأسيس في الهندسة للسَّمرقندي»* *«شرح التذكرة»* في الفلك: *كشف الظنون* ص١٠٥ *والأعلام* ص٣٢٨/٧ *والرياضيات في الحضارة الإسلامية* ص٧٣.

(١) الحل في اللباب ص٣٨١ ـ ٣٨٢ وإسهام علماء العرب في الرياضيات ص٢٢٠.

ج ـ بحساب الخطأين.

د ـ بالتحليل. وفي نهاية الحل يقول: وقس على ذلك أمثاله:

تنظر النسبة بين الكسور الملقاة، وبين ما بقي من المخرج المشترك، وتزيد على العدد الذي أعطاه السائل بمقتضى تلك النسبة، وهذا العمل الأخير من خواص هذه الرسالة[١]، معنى ذلك أنه من مبتكراته.

أهم ما يميز كتاب «خلاصة الحساب» أنَّ بهاء الدين العاملي، نهج فيه منهجاً فلسفياً يقوم على العناية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية، واستقامته في نظر العقل. هذا المنهج العلمي كما يقول عبد الله الدفاع «اندهش منه علماء العصر الحديث»[٢].

لقد استوعب بهاء الدين العاملي العلوم الرياضية بفروعها المختلفة، وقدَّم العديد من الابتكارات الجديدة التي لم يسبقه أحد إليها، كما أنه اهتمَّ بالناحية التطبيقية في مجالات البيئة بمختلف مظاهرها، كالفلك والهندسة والضوء والهندسة المعمارية وحساب المواريث والأعمال التجارية.

وإلى جانب هذه الابتكارات الرياضية التي تحدّثنا عنها، فإن التجديد عنده كما لاحظنا تجديد منهجي، فهو أبداً لم يسر على خطى أحدٍ غيره، بل هو يأخذ المادة أيّاً كانت ويطبعها بطابعه الخاص، المتحرر من جميع القيود المصطنعة التي كانت تكبّل معاصريه.

الأسلوب:

في كتاب «خلاصة الحساب»: أسلوب سلس، جذاب، تعليمي، يبدأ بمقدّمات كليَّة ثم يلجأ إلى التقسيم والتنفيذ:

---

(١) *المخطوط* ص٩ *واللباب* ص٢٧.

(٢) *المخطوط* ص١٢ *واللباب* ص٣٥ ـ ٣٧.

فمثلاً حين تحدّث عن قاعدة الجمع، فصّل في ما يجب أن يفعله التلميذ: كيفية ترتيب الأعداد، وكيفية جمعها بالتفصيل مع صور بيانيَّة:

«. . .ولنورد هذه الأعمال في فصول:

الفصل الأول: «في الجمع ترسم العددين متحاذيين وتبدأ من اليمين. . . وهذه صورته. . . وإن كثرت سطور الأعداد فارسمها متحاذية المراتب وابدأ من اليمين حافظاً لكل عشرة واحداً، وهذه صورته. . .»[1]. «في التضعيف تبدأ من اليسار وتضع نصف كل عدد تحته. . . فإن انتهت المراتب ومعك كسر فضع له صورة النصف هكذا ١/٢، ولك أن تبدأ من اليمين راسماً للجدول على هذه الصورة. . .

واعلم أن التضعيف في الحقيقة جمع المثلَيْن، إلا أنك لا تحتاج إلى رسم المثلين بل تجمع كل مرتبة إلى مثلها. . .»[2].

وإذا أعطى نموذجين لحل مسألة معينة فإنه يحدّد أيهما الأفضل:

«. . .ولك الابتداء في هذه الأعمال من اليسار إلا أنك تحتاج إلى المحو والإثبات، ورسم الجداول، وهو تطويل بغير طائل وهذه صورته. . .»[3].

«تبصرة: فإن تكثرت المراتب وتشعب العمل فاستعن بالقلم، فإن كان ضرب مفرد في مركب فارسمهما، ثم اضرب المفرد بصورته في المرتبة الأولى، وارسم آحاد الحاصل تحتها، واحفظ لعشراته آحاداً بعدّتها لتزيدها على حاصل ضرب ما بعدها إن كان عدداً، وإن كان

---

(١) *المخطوط* ص١١ *اللباب* ص٣٥.

(٢) *المخطوط* ص١٥ *واللباب* ص٨٥.

(٣) *المخطوط* ص٤٣ *واللباب* ص١٣٦ ـ ١٣٧.

صفراً حافظاً لكل عشرة واحداً لتفعل به ما عرفت، ومتى ضربت في صفر فارسم صفراً، وإن كان مع المفرد أصفارٌ فارسمهما عن السطر الخارج، وإن كان ضرب في مركب فالطرق فيه كثيرة: كالشبكة، وضرب التوشيح والمحاذاة وغيرها... وأشهرها الشبكة...»[١].

هذا الأسلوب التعليمي المباشر يستعمله في الكتاب كله، ونراه يلجأ في كل موضوع من الموضوعات إلى ذكر عدَّة قواعد وطرق وحلول حسابية وجبرية مناسبة: قواعد أساسية وقواعد جزئية مع أمثلة تفصيلية على كل منها...

وبالإضافة إلى الأسلوب التعليمي المباشر، فإنه يلجأ إلى التنويع لتقريب المعلومات إلى الأذهان.

في نبذة تحصيل مخارج الكسور يضع عنواناً: «لطيفة» يقول تحته: «يحصل مخرج الكسور التسعة من ضرب أيام الشهر في عدة الشهور، والحاصل في أيام الأسبوع.

وسئل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ذلك فقال: اضرب أيام أسبوعك في أيام سنتك»[٢].

وعلى هذا النسق من التوضيح والتنويع والتبسيط وعرض الأدلّة يتابع الرسالة.

---

(١) *المخطوط* ص١٥ *واللباب* ص٨٥.

(٢) *المخطوط* ص٤٣ *واللباب* ص١٣٦ـ ١٣٧.

الخاتمة

تلكم كانت أطروحة (بهاء الدين العاملي، إنساناً وأديباً وفقيهاً وعالماً)، التي قدمتها إلى الجامعة اللبنانية لنيل درجة الدكتوراة اللبنانية.

عَرَفت بهاء الدين العاملي منذ اثنتي عشرة سنة، عرّفتني به أصفهانية مجهولة عندما كنت أعيش في إيران في أواخر السبعينات، وهنالك سمعت قصة حمام أصفهان، وقصة المياه الساخنة والساعة الشمسية، وشاء حسن طالعي في ما بعد أن يكون «البهائي» موضوع رسالتي الدكتورية في الآدب، فرافقته على مدى سنوات ست، وزادتني هذه الرفقة معرفة وإعجاباً به، فسعيت جاهدة إلى أن أصحح الأخطاء المتعلقة بسيرته وبحياته وكتبه، وأن أُبرِزَ النقاط المضيئة في أسلوبه ومنهجيته، وأن أحدد أهم مبتكراته في الأدب وفي الرياضيات والنحو والفقه، ففندت الكثير من الأقوال والآراء الخاطئة والأساطير التي دارت حول حياة الشيخ البهائي وأفعاله والكتب المنسوبة إليه وذلك بالعودة إلى المظان الأولى، وباللجوء إلى تحديد القرائن والأدلة ومعالجتها في ضوء التحليل والتعليل والاستنتاج.

وفي دراستي لشعره العربي والفارسي وقفت على أهم مبتكراته وأنه:

ـ لم يصغ قصائده على طراز صياغة أحد من الشعراء بمعنى أنه لم يبنِ قصائده كلياً على أصول الرسم الهندسي الذي خطّطه الشعراء الأعلام قبله.

ـ وإن كثيراً من تجديده كان مردّه إلى تأثره بالبيئة والثقافة الفارسيتين؛ فهو أول من نظم الشعر العربي على طريقة الرباعيات الفارسية، كما أنه نوّع في أوزانه وقوافيه في عدد كبير من قصائده..

ـ إن أجمل قصائده هي التي قالها في مدح أهل البيت ﷺ وقصائده الخمرية التي قالها في العشق الإلٰهي وهي ملمعات بعضها عربي وبعضها فارسي.

ـ اعتمد الرمز وأحياناً القصة على عادة الشعراء الإيرانيين الذين تقدموه باعتماد الرمز في أشعارهم، وهو مثلهم يقصد بالكأس والنديم والمدام والدف والمطرب والقنج والساقي أسراراً يعبِّر عنها بالإيماء.

ـ شعره الفارسي الذي تصبغه كله صبغة عرفانية، يُظهر عمق تأثّره بشعراء الفارسية الأعلام، ولقد وُجد من ينسب بعض أبياته إلى جلال الدين الرومي الذي ينتصب في ذروة شعراء الفارسية ومبدعيها في العرفان..

ـ إن البهائي هو أول من نظم شعراً بالفارسية على وزن الخبب، وهذا الوزن لم يكن معروفاً عند الشعراء الفرس قبل البهائي.

ولقد قاد البهائي الصراع الفكري على جبهتين:

١ ـ مواجهة الفقهاء القشريين الجامدين، المعجبين بالظواهر، المنكرين للتصوف والذوق، المفتونين بظاهر الدين، وقلوبهم خالية من العرفان..

٢ ـ مواجهة متصوفة عصره الذين يدعون إلى الباطن دون الظاهر والذين طغت عندهم الطرق والشكليات على أساليب النظر الفلسفي العميق، وانتهى التصوف على أيديهم إلى طقوس وتقاليد شكلية خالصة.

وإنني سأعود إلى الكتابة في هذا الموضوع من جديد في تحقيقي

لكتابه «موش وگربه»: (القط والفأر) الذي ترجمته في أثناء الدراسة، وسأنشره بعد حين.. [نشر الكتاب في العام ١٩٩٥، بعنوان التدين والنفاق بلسان القطّ والفأر، رياض الريس، بيروت].

كما أنني حققت كتابه «الصمدية في النحو»، وأنا بصدد إنجاز تحقيق متكامل لكتاب «الكشكول» إذا أسعفني الدهر...

إنني أفتخر أن ينسب إليّ شرف العمل على جلاء ما تركه ذلك العبقري من أثر في جملة التراث العربي الإسلامي، والكشف عن عبقريته الأدبية والفكرية والصوفية والعلمية، والتنقيب عن آثاره الضائعة.

والله ولي التوفيق

أيار ١٩٩١

الملاحق

١ ـ لائحة السلاطين الصفويين والعثمانيين الذين عاصرهم البهائي.

٢ ـ مشجرة العائلة الصفوية.

٣ ـ صورة لمخطوط «خلاصة الحساب».

٤ ـ صورة توضيحية من «تشريح الأفلاك».

٥ ـ مؤلفات البهائي

ملحق (١)

معاصرو البهائي من الملوك العثمانيين والصفويين

العثمانيون:

السلطان سليمان القانوني جل ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م

السلطان سليم الثاني: جل ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م

السلطان مراد الثالث: جل ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م

السلطان محمد خان الثالث: جل ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٥م

السلطان أحمد خان الأول: ج١٠١٢هـ/ ١٦١٧م

السلطان مصطفىٰ خان الأول: جل ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م

السلطان عثمان خان الثاني: جل ١٠٢٧هـ/ ١٦١٨م

السلطان مصطفىٰ خان الأول ثانيةً: جل ١٠٣١هـ/ ١٦٢٣م

السلطان مراد خان ثانيةً الرابع: جل ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م

الصفويون

- الشاه طهماسب الأول جل ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م

ـ الشاه إسماعيل الثاني جل ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م

ـ الشاه محمد خدابنده جل ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م

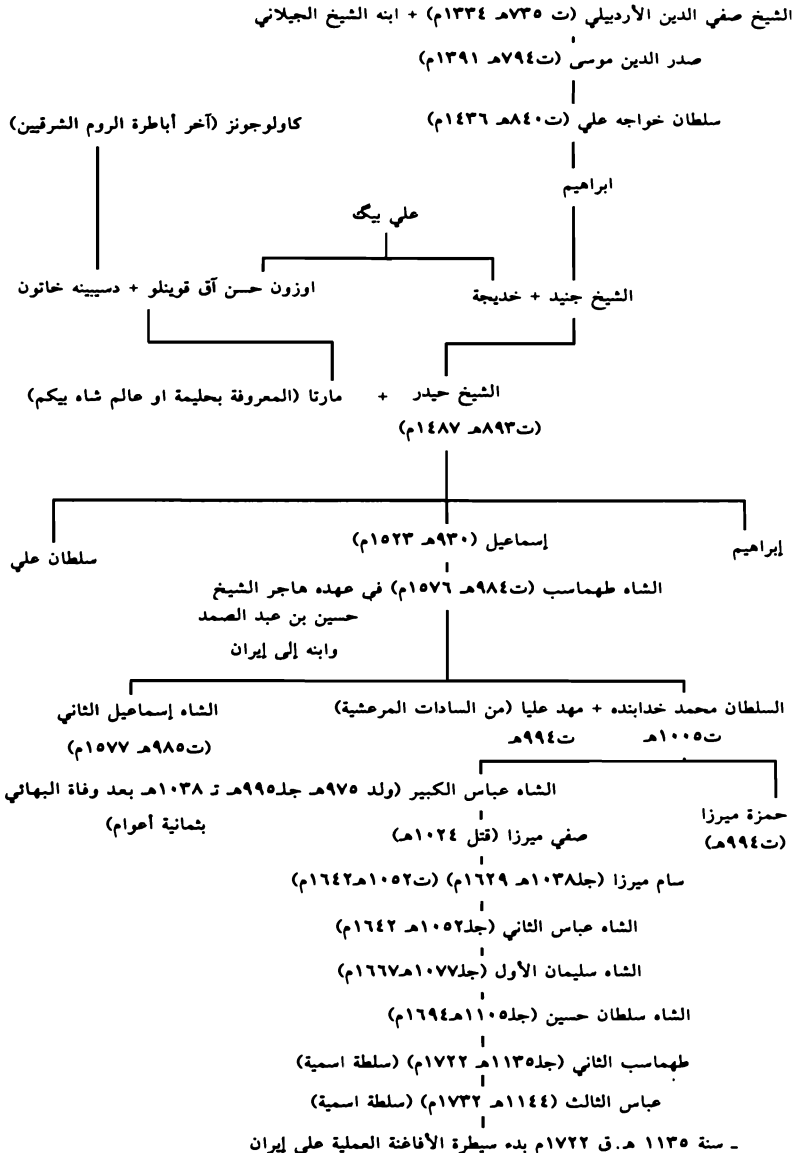
ـ الشاه عباس الكبير ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م

وفاة البهائي ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٣م

وفاة الشاه عباس ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م

ملحق (٢)

مشجرة العائلة الصفوية



ملحق (٣)

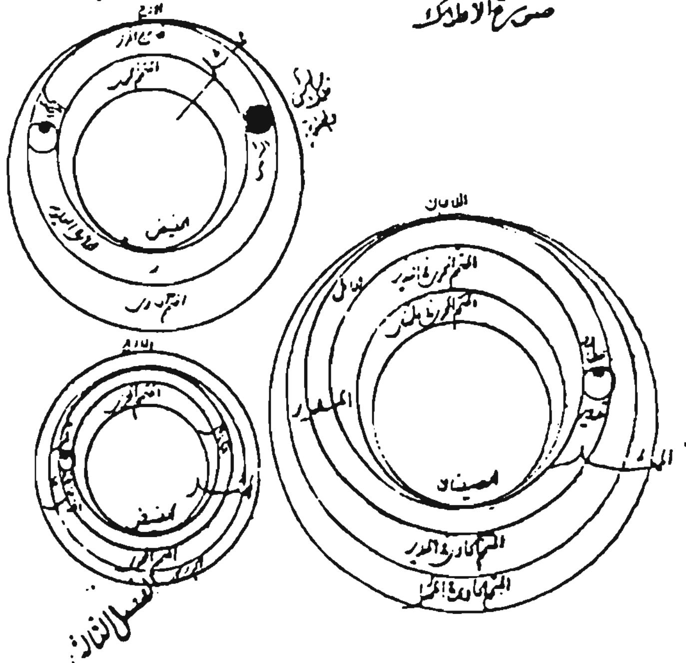
مخطوط «خلاصة الحساب»

ملحق (٤)

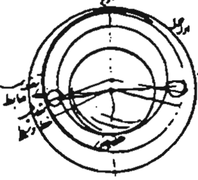
صورة توضيحية من «تشريح الأفلاك»

صورة توضيحية من «تشريح الأفلاك»

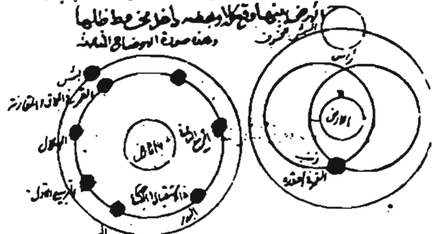
البروج وهو ثم تسمى بالمائل وهي مع الحامل في سطح تقاطع منطقة
البروج على نقطتي الرأس والذنب وله فلك آخر موازي السطحين
محيط بالمائل ويسمى الجوزهر وهو كالممثل في المنطقة والقطبين
وفلك عطارد كالعلوية أيضا إلا أن مركز الفلك الحاوي لحامله وهو
المدير غير مركز العالم ومنطقته ليست في سطح منطقة بل مع منطقة
الحامل في سطح واحد والمدير في ثخن الممثل كالحامل في ثخنه وهذه
صورة الأفلاك



دامت ها بطرز بنقص بنده بالهاء وسطها وما دامت صاعدة بل اهبطها
بحصول الحال التي تقرب بها وهو قوس [illegible] بين اول الحمل وطرف الخط الخارج
على [illegible] هكذا

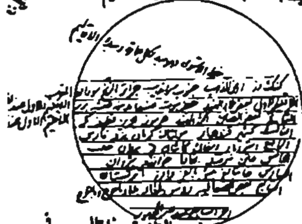


ثم القمر جرم كمد يقبل النور
والنور [illegible] نصفه
بالشمس [illegible] و
يختلف اوضاعه بالقرب والبعد
منها [illegible] الاجتماع وجهه المظلم
الينا [illegible] المحاق
واذا [illegible] الهلال و[illegible]
البعد الى المقابلة فينعكس [illegible] ثم يتنا[illegible]
[illegible] الى المحاق وهكذا واذا [illegible] عند الراس والذنب [illegible] و
بينهما [illegible] اذا [illegible]
الارض بينهما [illegible]
وهذه صورة الاوضاع [illegible]



الفصل الرابع

الفصل الرابع فيما يتعلق بالارض واختلاف اوضاع بقاعها الدائرتان
الحادثتان على سطح الارض من تقاطع المعدل والافق [illegible] تقسمانها
ارباعا والمعمور احد الربعين الشماليين وينقسم بسبعة من المدارات [illegible]
قطع مستطيلة متفاوتة [illegible] النهار [illegible] نصف ساعة [illegible] الاقاليم
[illegible] عند الجمهور [illegible] النهار [illegible] وهذه صورة الاقاليم وما فيها
من البلاد المشهورة
وهذه صورة الربعين
[illegible]
[illegible]
[illegible]
خط
الاستواء



تسامت الشمس [illegible] في الاعتدالين [illegible] غاية البعد في
الانقلابين فتكون جنوبية تارة وشمالية اخرى وفصولهم ثمانية [illegible]
و[illegible] فان [illegible] عن الميل الكلي [illegible]
الشمس في السنة مرتين عند نقطتين [illegible] عن المعدل [illegible]
[illegible] وفصول الاقربين منهم الى خط الاستواء ثمانية ايضا [illegible]

منه فوايد لطيفة هي خلاصة كتب
المتقدمين وانطوت منه فوايد شريفة
هي زبدة رسايل المتاخرين جعلتها تحفة
لحضرة هي كعبة المحتاج والملك كعبة الحاج
ومشعر الكرام والملك مشعر الحرام شجرة
السلطنة القاهرة بدر سماء الدولة الباهرة
شمس فلك العز والجلال مطلع شمس العظمة
والاقبال منبع بحار الفضل والافضال

مركز دايرة الفخر والكمال رافع اعلام حماية سند
المرسلين ناشر اثار اباءه الائمة المعصومين
صلوات الله عليهم اجمعين السلطان ابن
السلطان ابي الغالب سلطان حمزه بهادر خان
لازالت حضرته العلية وسدته السنية
محط رحال الامال بالنبي محمد واله خير الال
فلما تمت بطاعته الزهراء واستضاءت
بغرته الغراء فكرت في شيء ليعنونه ان يهلم

وسنأمل لان يعرض عليه فالم تكن سينا

لم من اهدآه الى حاله ذلك الباب

ما باب التماس رسالة او كتاب فان

وبعث شرحا للفصول فيها غاية المأمول

نهاية السئول ومتنبها خلاصة الصواب

ورتبها على مقدمة وعشرة ابواب بتوفيق

القادر الوهاب ... عالم

منها سنح الى الاثبات ... من ...

ملحق رقم (٥)

مؤلفات البهائي

المصادر المطبوعة:

١ ـ **أربعين شيخ بهائى**: شرح خاتون آبادي ٥٠٩ صفحات. نسخة مصورة عن مخطوطة إسماعيل الخوانساري ١٣٧٥هـ (١٩٥٥).

٢ ـ **أسرار البلاغة**: (منسوب إليه). دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت ـ لبنان، ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م). نسخة ثانية تحقيق محمد التونخي. ط. المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية بدمشق ١٩٨٨م.

٣ ـ **ترجمة وكلچينى أز كشكول شيخ بهائى**: الطبعة الخامسة ـ انتشارات كلي ـ تهران ١٣٦٢ش.

٤ ـ **جامع عباسى**: يك دوره فقه فارسى. مؤسسة انتشارات فراهاني ـ تهران بازاركتابفروشان مصور عن مخطوطة ميرزا الشيرازي ١٣١٩هـ (١٩٠١م).

٥ ـ **الحبل المتين**: منشورات مكتبة بصيرتي. قم. إيران. بدرن تاريخ.

مع رسائل الشيخ البهائي التالية:

١ ـ الرسالة الإرثية.

٢ ـ رسالة الكر.

٣ ـ العروة الوثقىٰ.

٤ ـ مشرق الشمسين وإكسير السعادتين.

٥ ـ الوجيزة في الدراية.

٦ ـ **الدرة اليتيمة في شرح الصمدية**: تأليف السيد محمد جواد الذهني التهراني. المكتبة المرتضوية طهران. بدون تاريخ.

٧ ـ **فالنامه شيخ بهائى**: ناشر كتابفروشىٰ فرزان ـ چاب سوم تيرماه ١٣٦٤ش (٧٢ صفحة).

٨ ـ **الكشكول للشيخ البهائي**:

١ ـ طبعة طاهر أحمد الزواي. جزءان. ١٣٨٠هـ ١٩٦١م.

٢ ـ طبعة بولاق. مصر. ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

٣ ـ طبعة عبد الواحد الطوبي. مصر. جمادى الأولىٰ ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م وعلى هامشها كتاب «أدب الدنيا والدين» للماوردي.

٤ ـ طبعة دار الكتاب اللبناني. والدار الأفريقية العربية. ودار الكتب الإسلامية. بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م مجلد واحد.

٥ ـ طبعة النجف الأشرف قدم له محمد مهدي السيد حسن الخرسان ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م.

٦ ـ طبعة الأعلمي. ثلاثة أجزاء. ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م الطبعة السادسة بيروت.

٩ ـ **كلمات المحققين**: تحتوي على ثلاثين رسالة لأعلام الفقهاء والمحققين.

منشورات مكتبة المفيد ـ قم ـ إيران ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

فيها رسائل الشيخ البهائي التالية:

رسالة في ما تتم الصلاة فيه.

رسالة في ذبيحة أهل الكتاب.

١٠ ـ **كليات آثار وأشعار شيخ بهائى**: تقديم سعيد نفيسىٰ ـ تهران ١٣٦١ش ١٩٨٢م.

١١ ـ **كليات آثار وأشعار شيخ بهائى**: تصحيح غلام حسين جواهري. چاب دوم. ١٣٦٣ش ١٩٨٤م. تهران ـ كتابفروشىٰ محمودى.

١٢ ـ **المخلاة**: (منسوب إليه). دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان. ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٣ ـ **اللباب**: شرح وترجمة خلاصة الحساب، وشرح ترجمة تشريح الأفلاك، المتن للشيخ البهائي والشرح للسيد محمد جواد ذهني تهراني ١٤٠٥هـ.ق ١٩٨٥م، قم. انتشارات كتبي نجفي.

١٤ ـ **مفتاح الفلاح للبهائي**: في عمل اليوم والليلة من الواجبات والمستحبات. دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولىٰ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٥ ـ **الوجيزة في الدراية**: للشيخ البهائي. المطبعة الحيدرية ١٣٩٦هـ ـ ق ١٩٧٦م منشورات المكتبة الإسلامية الكبرىٰ. قم. إيران.

المصادر المخطوطة:

١ ـ **الأجرومية في النحو**: لابن آجروم الصنهاجي المتوفىٰ سنة ٣٢٣هـ ١٣٢٣م لا.ت. مكتبة السيد علي فرحات ـ النبطية.

٢ ـ **رسالة تشريح الأفلاك للبهائي**: بخط عبد الله نجفي ـ ١٩ صفر ١٢٨٣هـ ١٨٦٦م مكتبة جمعية المقاصد ـ النبطية.

٣ ـ **جواهر الحكم**: لمحمد مهدي مغنية. مصورة عن مخطوطة الشيخ علي الزين لا.ت.

٤ ـ **خبايا الزوايا في ما الرجال من بقايا**: الخفاجي شهاب الدين أحمد. المكتبة الظاهرية بدمشق رقم (٧١٠٩).

٥ ـ **خلاصة الحساب للبهائي**: مخطوطة السيد مهدي إبراهيم بخط رقاع واضح، رجب ١٤١٨هـ ١٩٠٠م.

٦ ـ **خلاصة الحساب للبهائي**: مخطوطة بخط محمد بن حيدر بن سليمان ت١٢٤٩هـ ١٨٣٣م.

٧ ـ **زبدة الأصول للبهائي**: مخطوطة السيد مهدي إبراهيم. لا.ت.

٨ ـ **الصمدية في النحو للبهائي**: مخطوط قديم. بدون تاريخ. مكتبة آل مروة ـ النبطية.

٩ ـ **مشرق الشمسين للبهائي**: مخطوط قديم ١١٠٢هـ ١٦٩٠م خاص.

١٠ ـ **مفتاح الفلاح**: نسخة مصورة عن مخطوطة بتاريخ ١٠٨٠هـ ١٦٦٩م.

١١ ـ **منية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ الشهيد**: لابن العودي الجزيني بتاريخ ١٣١٧هـ ١٨٩٩م.

١٢ ـ **نسمة السحر في ذكر من تشيّع وشعر**: ليوسف بن يحيىٰ بن الحسين (المتوفىٰ سنة ١٢٢١هـ ١٧٠٩م.

صورة عن مخطوطة مكتبة المتحف العراقي (رقم ١١٥١٧).

١٣ ـ **واجبات الصلاة اليومية للبهائي**: صورة عن مخطوطة نور الدين ابن علي الحسيني الموسوي ١٣٥١هـ صنعاء، عدد ١٣٢٤.

١٤ ـ **الاثني عشرية الصومية للبهائي**: صورة عن مخطوطة مجهولة التاريخ صنعاء.

الفهارس العامة

١ ـ فهرس المصادر والمراجع مرتبة على التسلل الألفبائي لعناوين الكتب.

٢ ـ فهرس المصادر والمراجع مرتبة على التسلسل الألفبائي لأسماء المؤلفين.

٣ ـ فهرس القوافي.

٤ ـ فهرس الأعلام المعرّفون في الحواشي.

٥ ـ فهرس الأماكن والبقاع المعرفة في الحواشي.

٦ ـ فهرس الفرق والنحل المعرفة في الحواشي

٧ ـ فهرس الموضوعات المختلفة المعرفة في الحواشي.

٨ ـ فهرس الموضوعات.

١ ـ فهرس المصادر والمراجع
مرتبة على التسلسل الألفبائي لعناوين الكتب

أ ــ بالعربية:

أولاً ـ الكتب المطبوعة

١ ـ **الاجتهاد والتقليد**، لرضا الصدر. لا.ط. دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٧٦.

٢ ـ **أحسن الوديعة في تراجم مجتهدي الشيعة**: لمحمد مهدي الكاظمي ـ المطبعة الحيدرية النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٣ ـ **إحياء علوم الدين** لأبي حامد الغزالي، كتاب الشعب. بدون تاريخ. المجلد الثاني.

٤ ـ **إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقطيفي**، دار الآثار، بيروت (بدون تاريخ).

٥ ـ **الأدب الفارسي في أهم أدواره وأشهر أعلامه**، لمحمد محمّدي، منشورات قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٧م.

٦ ـ **أسرار البلاغة**، لبهاء الدين العاملي، تحقيق محمد التونچي. نشر المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية بدمشق ١٩٨٨م.

٧ ـ **إسهام علماء المسلمين في الرياضيات**، لعلي عبد الله الدفاع، تعريب وتعليق جلال شوقي، الطبعة الأولىٰ دار الشروق، بيروت القاهرة، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٨ ـ **الإسلام وإيران**، لمرتضىٰ المطهري، تعريب محمد هادي اليوسفي ـ دار التعارف للمطبوعات، دار التبليغ [١٤٠٠هـ].

٩ ـ **أصل الشيعة وأصولها**، لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، النجف ١٩٦٧م.

١٠ ـ **الأعلام**، لخير الدين الزركلي ط. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان ١٩٨٤.

١١ ـ **أعلام العرب في العلوم والفنون**، لعبد الصاحب الدجيلي. جزءان. الطبعة الثانية، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٢ ـ **أعلام الفيزياء في الإسلام**، ط. أولىٰ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

١٣ ـ **الأعمال الكاملة**، لجمال الدين الأفغاني، تحقيق محمد عمارة، طبعة القاهرة، ١٩٦٨.

١٤ ـ **الأعمال الكاملة**، للإمام محمد عبده، تحقيق محمد عمارة، طبعة أولىٰ، بيروت ١٩٧٢م.

١٥ ـ **الأعمال الرياضية** لبهاء الدين العاملي، ط. أولىٰ. معهد التراث العربي بجامعة حلب، حلب ١٩٧٦، وط. دار المشرق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٦ ـ **أعيان الشيعة** للسيد محسن الأمين، طبعة جديدة. تحقيق حسن الأمين. دار التعارف للمطبوعات، بدون تاريخ.

١٧ ـ **الأغاني لأبي** الفرج الأصفهاني، مصور عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة. . مطبعة كوستا توماس ـ القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

١٨ ـ **الأمالي**، أو (غرر الفوائد ودرر القلائد)، للمرتضىٰ، تحقيق محمد أبو الفضل، إبراهيم، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٩ ـ **الإمام المهدي** لمحمد علي دخيل، النجف الأشرف بدون تاريخ.

٢٠ ـ **أمل الآمل**، لمحمد بن الحسن الحر العاملي، جزءان، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس ـ بغداد. (بدون تاريخ).

٢١ ـ **أوراق أديب** لعلي الزين، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٥م.

٢٢ ـ **أوزان الشعر الفارسي**، ناتل خاتلي پرويز، ترجمة وتعليق نور الدين بن عبد المنعم مكتبة الأنجلو المصرية/ ١٩٧٨م.

٢٣ ـ **إيران والعرب** لسليم واكيم، مطبعة الحكمة، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).

٢٤ ـ **البلاد العربية والدولة العثمانية**، لساطع الحصري، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٢م.

٢٥ ـ **بهاء الدين العاملي**، أديباً، شاعراً، عالماً، لمحمد التونجي، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق ١٩٨٥م.

٢٦ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، لمحمد باقر المجلسي، طبعة ثانية منقحة، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٧ ـ **التاريخ** لليعقوبي ج٢، النجف ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م.

٢٨ ـ **تاريخ آداب اللغة العربية**، لجرجي زيدان، المجلد الثاني: ج٣ و٤، ط. جديدة منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٩ ـ **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، لعبد الله فياض، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧٥م.

٣٠ ـ **تاريخ بخارىٰ**، لأرمنيوس فاميري، ترجمة د. أحمد الساداتي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣١ ـ **تاريخ جباع**، لعلي مروة، طبعة أولىٰ، دار الأندلس، بيروت، ١٣٦٧هـ/ ١٩٦٧م.

٣٢ ـ **تاريخ جبل عامل**، لمحمد جابر آل صفا، ط. ثانية دار النهار للنشر. بيروت ١٩٨١.

٣٣ ـ **تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي**، تحقيق محمد كرد علي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

٣٤ ـ **تاريخ دمشق**، لابن عساكر تهذيب عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت (بدون تاريخ).

٣٥ ـ **تاريخ الدولة العليَّة العثمانية**، لمحمد فريد المحامي، الطبعة الأولىٰ. تحقيق. د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ١٣٠١هـ ـ ١٦٨١م.

٣٦ ـ **تاريخ الرسل والملوك**، لمحمد جرير الطبري، ج٤، مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠م.

٣٧ ـ **تاريخ سوريا**، ليوسف الدبس، ج٧٠ الطبعة العمومية. بيروت ١٩٠٣م.

٣٨ ـ **تاريخ الشعوب الإسلامية**، لكارل بروكلمان، الطبعة الخامسة،

ترجمة نبيه فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، تموز ١٩٦٨، ١٩٧٩م.

٣٩ ـ **تاريخ العرب والشعوب الإسلامية**، لكلود كهان، تعريب بدر الدين قاسم، دار الحقيقة، بيروت ـ ط. ١٩٧٧.

٤٠ ـ **تاريخ العلم**، لجورج سارطون، ترجمة لفيف من العلماء، دار المعارف، مصر ١٩٥٧م.

٤١ ـ **تاريخ العلم والأنسية الجديدة**، لجورج سارطون ترجمة إسماعيل مظهر، دار النهضة العربية القاهرة مايو أيار [١٩٦١م].

٤٢ ـ **تاريخ الفقه الجعفري**، لهاشم معروف الحسيني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣م.

٤٣ ـ **تاريخ علم الفلك عند العرب**، لنلينو، ١٩١١م.

٤٤ ـ **تاريخ علم الفلك في العراق**، لعباس العزّاوي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٨م، ١٣٧٨هـ.

ونسخة ثانية، مطبوعات المطبعة الحميدية، النجف، ١٩٦٣م.

٤٥ ـ **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، لهنري كوربان، تقديم السيد موسىٰ الصدر، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة عويدات، بيروت ١٩٨٣م.

٤٦ ـ **تاريخ كرك نوح**، لحسن عباس نصر الله، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤٧ ـ **تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام**، للسيد حسن الصدر، بيروت ١٩٨٦م.

٤٨ ـ **تراث الإسلام**، لشاخت وبوزورت، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٢ك ١٩٧٨م.

٤٩ ـ **تراث الإسلام**، بإشراف توماس آرنولد، تعريب جرجيس فتح الله. دار الطليعة بيروت ١٩٧٢م.

٥٠ ـ**تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، لقدري حافظ طوقان، الطبعة الثالثة، دار الشروق بيروت ـ القاهرة ـ ١٩٦٣م.

٥١ ـ **تسهيل السبيل بالحجة**، للفيض الكاشاني، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. ١٤٠٧هـ/١٣٦٦ش.

٥٢ ـ **التّشيع والشيعة**، لأحمد كسروي، (طهران ١٣٦٤هـ).

٥٣ ـ **تكملة أمل الآمل**، لحسن الصدر، تحقيق أحمد الحسيني، دار الأضواء، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٥٤ ـ **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة**، للشيخ المفيد، تأليف أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. تحقيق السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٤هـ.

٥٥ ـ **تيارات الفكر الإسلامي**، لمحمد عمارة، دار الوحدة للطباعة والنشر، القاهرة ـ ١٩٨٥م.

٥٦ ـ **ثلاثة ملوك باسم إسماعيل الصفوي**، لأحمد لواساني، بحث مستل من المجلد الثالث عشر من دائرة المعارف، بيروت، ١٩٨٠م.

٥٧ ـ **جامع الرواة**، لمحمد بن علي الأردبيلي الغروي، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٨ ـ **جبل عامل في التاريخ**، لمحمد تقي الفقيه [دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦م].

٥٩ ـ **جامع السعادات**، لمحمد مهدي النراقي، تحقيق محمد رضا المظفر، مطبعة الأمراء، النجف، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

٦٠ ـ **حافظ الشيرازي** شاعر العرفان والإنسان، مجموعة مقالات مهرجان تكريم حافظ بمناسبة مرور ٦٠٠ سنة على وفاته، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية بدمشق.

٦١ ـ **الحدائق الندية في شرح فوائد الصمدية**، لابن معصوم، طهران ١٤٧٤هـ.

٦٢ ـ **الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل**، لمحمد كاظم مكي، ط. أولىٰ. دار الأندلس، بيروت ١٩٦٣م.

٦٣ ـ **حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية**، لروبروت أولسن، ترجمة عبد الرحمن الجليلي، الرياضي. طبعة أولىٰ، ١٩٨٣.

٦٤ ـ **حضارة الخلاص**، لعبد الحميد المهاجر، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

٦٥ ـ **الحضارة الإسلامة في القرن الرابع الهجري**، لآدم متز، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط. أولىٰ. بيروت ١٩٦٧م.

٦٦ ـ **الحكومة الإسلامية** ـ لآية الله الخميني، ط. القاهرة، ١٩٧٩م.

٦٧ ـ **حياة الحيوان الكبرىٰ**، للدّمري، طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، (بدون تاريخ).

٦٨ ـ **خبايا الزوايا في ما في الرجال من البقايا**، للخفاجي، مخطوط المكتبة الظاهرية، بدمشق رقم ٢٨٠٩.

٦٩ ـ **خطط جبل عامل**، للسيد محسن الأمين ط. أولى، الدار العالمية للطباعة والنشر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٧٠ ـ **خطط الشام**، لمحمد كرد علي، ج٢ دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٧١ ـ **خطط الكوفة**، لماسّينيون، ترجمة تقي المصعبي (صيدا ١٩٣٩م).

٧٢ ـ **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، للمحبتي، الجزء الثالث، مكتبة خياط، بيروت، لبنان (بدون تاريخ).

٧٣ ـ **خلاصة تاريخ الكردوكردستان** من أقدم العصور التاريخية وحتى الآن، لمحمد أمين زكي، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة، ١٩٣٦م.

٧٤ ـ **خمسون ومئة صحابي مختلق**، لمرتضىٰ العسكري، بيروت ١٩٦٨م.

٧٥ ـ **الخوارج والشيعة**، لفلهاوزن، ترجمة عبد الرحمن بدوىٰ (القاهرة) ١٩٥٨م.

٧٦ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**، دار الشعب القاهرة والمكتبة الحديثة، بيروت، بدون تاريخ.

٧٧ ـ **دائرة المعارف اللبنانية**، لبطرس البستاني، ج٤ و١١، المجلد الثاني، بيروت، مقالتان عن الصوفيين، وعن بهاء الدين العاملي.

٧٨ ـ **دائرة المعارف المسماة مقتبس الأثر ومجدد ما دثر**، تأليف الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري ط١١، رقم ١٣٧٤هـ.

٧٩ ـ **دراسات في حضارة الإسلام**، لهاملتون جب، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين بيروت/ ١٩٧٤م.

٨٠ ـ **الدولة العربية وسقوطها**، لفلهاوزن، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة) بدون تاريخ.

٨١ ـ **ديوان الإمام علي بن أبي طالب**: عبد العزيز الكريم ١٩٦٣م ـ دار كرم ـ دمشق.

٨٢ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، آغابزرگ الطهراني، ١٤ جزءاً، مطبعة العربي، العربي، النجف الأشرف، ١٣٣٥هـ ١٩٣٦م، طهران، النجف ١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م.

٨٣ ـ **الرجال**، لمحمد بن عمر الكشي، النجف، ١٣٨٣هـ [١٩٦٣م].

٨٤ ـ **رحلة الإمام الزنجاني**، للزنجاني، ط. النجف. ١٩٥٦م.

٨٥ ـ **رسالة التربيع والتدوير**، للجاحظ، تحقيق شارل بلات، دمشق. ١٩٥٥م.

٨٦ ـ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، للخوانساري، ٨ أجزاء، منشورات مكتبة إسماعيليان، إيران ١٣٩٢هـ.

٨٧ ـ **الرياضيات في الحضارة الإسلامية**، لموريس شربل، ط. أولىٰ، جرجس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٨٨م.

٨٨ ـ **رياض العلماء وحياض الفضلاء للأصبهاني**، تحقيق أحمد الحسيني عن مخطوطة مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم، إيران، لا.ت.

٨٩ ـ **روضة الكافي**، الكليني، مطبعة النجف ١٣٨٥هـ.

٩٠ ـ **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، للخفاجي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، طبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه (بدون تاريخ).

٩١ ـ **سعدي الشيرازي**، من خلال مؤتمره في دمشق نيسان/ ١٩٨٥م، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق.

٩٢ ـ **سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر**، لابن معصوم، المكتبة المرتضوية لإحياء التراث، طهران، (بدون تاريخ).

٩٣ ـ **سورية ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي**، لبازيلي، ترجمة د. يسر جابر، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٤ ـ **الشاه عباس الكبير**، محمد بديع جمعة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م.

٩٥ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد الحنبلي، نسخة قديمة (بدون تاريخ).

٩٦ ـ **شرح متن الأجرومية**، للعلّامة الكفراوي، لأحمد الحفناوي، نسخة قديمة (بدون تاريخ).

٩٧ ـ **شرح قصيدة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان**، للشيخ أحمد المنيني، ملحق بكتاب الكشكول. ط. دار الكتاب بيروت ١٩٨٣م.

٩٨ ـ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد، المجلد الأول، دار الأندلس، بيروت ـ (بدون تاريخ).

٩٩ ـ**الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، لطاشكبري زاده، دار الكتاب العربي والعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، بيروت ١٩٧٥م.

١٠٠ ـ **شيراز مدينة الأولياء والشعراء**، لآرثر آبري، سلسلة مراكز الحضارة، ترجمة سامي مكارم مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

١٠١ ـ **طبقات سلاطين الإسلام**، لستانلي پول، ترجمة مكي طاهر الكعبي، دار المنشورات البصري، بغداد. ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

١٠٢ ـ **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة المعهد العلمي، الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٠٣ ـ **طبقات أعلام الشيعة**، لآغابزرگ الطهراني المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م.

١٠٤ ـ **العادات والتقاليد اللبنانية**، للحد خاطر، مطبعة الجبل، بيروت ١٩٧٧م.

١٠٥ ـ **العادات والتقاليد اللبنانية في العهود الإقطاعية**، ط. أولىٰ. دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، ١٩٧٧م.

١٠٦ ـ **عبد الله بن سبأ**، لمرتضىٰ العسكري، النجف، ١٩٥٦م.

١٠٧ ـ **العرب والعلم**، لتوفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٨م.

١٠٨ ـ **العقد الفريد**، لابن عبد ربه، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بدون تاريخ.

١٠٩ ـ **عقيدة الشيعة**، لدونالدسون، ترجمة. ع.م. (القاهرة، ١٩٤٦م).

١١٠ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام**، لكولدزيهر، ترجمة محمد يوسف، القاهرة، ١٩٤٦م. علل الشرائع، للصدّوق، النجف، ١٩٦٣م.

١١١ ـ **علوم الحديث ومصطلحه**، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١.

١١٢ ـ **عيون أخبار الرّضا**، للصدوق، طهران، ١٣١٨هـ.

١١٣ ـ **عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء**، لابن أبي أصيبعة، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٨٨٢م.

١١٤ ـ **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، لعبد الحسين الأميني النجفي، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ (بدون تاريخ).

١١٥ ـ **الفتاوي الواضحة** محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، ج١ ط٦ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١١٦ ـ **فرق الشيعة**، للنوبختي، تحقيق ريتز ـ استنابول (١٩٣١م). وطبعة النجف (بدون تاريخ).

١١٧ ـ **فصول من تاريخ الشيعة في لبنان**، لعلي الزين، الطبعة الأولىٰ، بيروت، لبنان ـ دار الكلمة للنشر، ١٩٧٩م.

١١٨ ـ **الفقيه والسلطان**، وجيه كوثراني، منشورات دار الرشد، الطبعة الأولىٰ، بيروت ١٩٨٩م.

١١٩ ـ **الفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية**، لعلي حسين الجابري، منشورات مكتبة عويدات بيروت ١٩٧٧م.

١٢٠ ـ **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية** حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، لمحمد كامل الشيبي، الطبعة الأولىٰ، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦م.

١٢١ ـ **فلاسفة الشيعة**، للشيخ عبد الله نعمة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون تاريخ).

١٢٢ ـ **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، لشوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، طبعة رابعة ١٩٦٥م.

١٢٣ ـ **فن المنتجب العاني وعرفانه**، لأسعد علي، دار النعمان، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٢٤ ـ **الفهرست**، لابن النديم، نسخة مصورة عن طبعة طهران، تحقيق رضا تجدّد، ١٩٧٠م.

١٢٥ ـ **في رحاب أئمة أهل البيت**، للسيد محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

١٢٦ ـ **كتاب الجبر والمقابلة** لمحمد بن موسىٰ الخوارزمي، علي مصطفىٰ مشرفة ومحمد موسى أحمد، ط. أولىٰ: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٢٧ ـ **كشكول البحراني**، للبحراني، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٣٢٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٢٨ ـ **الكشكول**، لإبراهيم الموسوي النجفي، مؤسسة البلاغ ١٩٨٨م.

١٢٩ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، طبع وكالة المعارف، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه، استنبول ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م.

١٣٠ ـ **الكنى والألقاب**، لعباس القميّ، المطبعة الحيدرية، الناشر محمد صادق الكتبي، النجف، ١٩٥٦م ـ ١٣٧٦هـ.

١٣١ ـ **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٣٢ ـ **لسان العرب**، لابن منظور، منشورات دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ـ ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م.

١٣٣ ـ **لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولىٰ من القرن الحادي عشر**، لنجم الدين الغزي، السفر الثاني، حققه محمد الشيخ، وزارة الثقافة والإرشاد، دار إحياء التراث العربي، ٥٧ ـ دمشق، ١٩٨٢م.

١٣٤ ـ **للبحث عن تاريخنا في لبنان**، لعلي الزين، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

١٣٥ ـ **لؤلؤة البحرين**، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، مطبعة السمان، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٣٦ ـ **ماضي النجف وحاضرها**، لجعفر آل محبوبة، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م.

١٣٧ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، لأمين الدين الطبرسي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

١٣٨ ـ **مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٧٢٨هـ ـ ١٣٢٧م)**، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٣٩ ـ **المدائح النبوية في الأدب العربي**، لزكي المبارك، مصر، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م.

١٤٠ ـ **المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين**، لعلي عبد الله الدفاع، طبعة أولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٤١ ـ **مذكرات جمال الدين القاسمي**، تقديم ظافر القاسمي، دمشق، مكتبة أطلس ١٩٦٥م.

١٤٢ ـ **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، للمسعودي تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٦٦م.

١٤٣ ـ **مستدرك الوسائل لميرزا حسين النوري الطبرسي**، تحقيق آغابزرگ الطهراني، منشورات المكتبة الإسلامية بطهران، دار المكتبة اعلمية، النجف الأشرف، رمضان، ١٣٨٣هـ.

١٤٤ ـ **معالم الحضارة الإسلامية**، لمصطفىٰ الشكعة، طـ. أولىٰ. بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣م.

١٤٥ ـ **معجم الأدباء**، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).

١٤٦ ـ **معجم البلدان**، لياقوت، دار صادر، بيروت ١٩٧٩م.

١٤٧ ـ **المعجم الذهبي**، لمحمد التونجي، فارسي عربي، فرهنگ طلائىٰ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩م.

١٤٨ ـ **المعجم الصوفي**، لسعاد الحكيم، الطبعة الأولىٰ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان.

١٤٩ ـ **معجم المطبوعات العربية، والمعربة**، ليوسف ليان سركيس، مطبعة سركيس بمصر، ١٩٢٨ ـ ١٩٣٠م.

١٥٠ ـ **المقدمة**، لابن خلدون، دار العلم ـ بيروت ـ (بدون تاريخ).

١٥١ ـ **الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٥٢ ـ **مهزلة العقل البشري**، لعلي الوردي، (بغداد، ١٩٥٥م).

١٥٣ ـ **من أعلام الفكر الفلسفي الإسلامي**، لمهدي فضل الله، ط. أولىٰ، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٥٤ ـ **منتخب التواريخ**، لمحمد هاشم خراسان، كتابفروش محمد حسن علمي ـ طهران ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م.

١٥٥ ـ **من لا يحضره الفقيه**، للصدوق، النجف، ١٩٥٧هـ.

١٥٦ ـ **منهج البحوث العلمية**، لثريا ملحس، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣م.

١٥٧ ـ **منية المريد في آداب المفيد والمستفيد**، للشهيد الثاني، تحليل وتحقيق عبد الأمير شمس الدين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.

١٥٨ ـ **موسوعة العتبات المقدّسة**، لجعفر الخليلي، منشورات مؤسسة الأعلمي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ١١٠ جزءاً.

١٥٩ ـ **الموشحات في بلاد الشام**، لمقداد رحيم، الطبعة الأولىٰ، مكتبة النهضة العربية (بدون تاريخ).

١٦٠ ـ **الميزان في تفسير القرآن**، للطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

١٦١ ـ **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**، لحسين مروة، ط. رابعة، دار الفكر في بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م.

١٦٢ ـ **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس**، للعباس الموسوي المكي، ت محمد مهدي الخرسان، النجف الأشرف، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٦٣ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق دكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٨م.

١٦٤ ـ **نقد الرجال**، للسيد مصطفىٰ الحسيني التفريشي، قم ـ طهران، ١٣١٨هـ ـ انتشارات الرسول المصطفىٰ.

١٦٥ ـ **وعاظ السلاطين**، علي الوردي، (بغداد، ١٩٥٤م).

١٦٦ ـ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).

المراجع الفارسية

١ ـ **آثار ملئ أصفهان**، أبو القاسم رفيعى مهر آبادى ـ تهران ١٣٥٣ش، [١٩٧٤م].

٢ ـ **انقراض سلسلة صفويه وأيام استيلاى أفاغنة در إيران ليكهارت**، ترجمه مصطفىٰ قلى عماد تهران، ١٣٤٣ش [١٩٦٤م].

٣ ـ **إيران در زمان صفويه**، أحمد بخش، تبريز ١٣٤٠ش [١٩٦١م].

٤ ـ **تاريخ أدبيات إيران از آغاز صفويه تازمان حاضر**، أدوارد براون، ترجمه رشيد ياسمى، جاب دوم ـ تهران ١٣٢٩ش ١٩٥٠م.

٥ ـ **تاريخ أدبيات إيران**، ذبيح الله صفا، انتشارات أمير كبير، سازمان انتشارات جيبى ١٣٦٢ش [١٩٨٣م].

٦ ـ **تاريخ إيران از أزمنه باستانى تاسال ١٣١٦ش [١٩٣٧م]**، عبد الله رازى همدانى، تهران ١٣١٧ش ١٩٣٨م.

٧ ـ **تاريخ إيران أز مغول تا افشاريه**، رضا بازوكي، چاب أول، تهران، ١٣٣٤ش ١٩٥٥م.

٨ ـ **تاريخ روابط إيران وأوروبا در دوره صفويه.** قسمت أول، چاب تهران ١٣١٦ش [١٩٣٧م].

٩ ـ **تاريخ سلاطين صفويه**، ميرزا محمد معصوم به اهتمام أمير حسن عابدي، تهران ١٣٥١ش ١٩٧٢م.

١٠ ـ **تاريخ فرهنگ إيران از آغاز تازمان حاضر**، عيسىٰ صديق، جاب دوم، تهران، بهمن ١٣٣٨ش ١٩٥٩م.

١١ ـ **تاريخ قم**، حسن بن محمد القمي (ت٣٧٨هـ ٩٨٨م)، تهران ١٣٥٣هـ ١٩٧٤م.

١٢ ـ **تشكيل شاهنشاهى صفويه**، نظام الدين مجير شيبانى، انتشارات دانشگاه تهران (١٣٣٨)، ١٣٤٥ش ١٩٦٦م.

١٣ ـ **ترجمة وكلچينى از كشكول بهائى**، سيد هاشم نجفى يزدى، انتشارات كلى ـ تهران ـ نور وفرخان ـ چاب پنجم (بدون تاريخ).

١٤ ـ **خروج وعروج سربداران**، ترجمة يعقوب آزند، تهران ١٣٦١ش ١٩٨٢م.

١٥ ـ **دين ومذهب در عصر صفوى**، مريم مير أحمدى، چاب أول، تهران ١٣٦٣ش ١٩٨٤م.

١٦ ـ **زندگانى شاه عباس أول**، نصر الله فلسفى، جلد أول، چاب أول، تهران ١٣٣٤ش ١٩٥٥م.

١٧ ـ **زندگانى شاه عباس أول**، ـ جلد دوم، چاب چهارم تهران ١٣٤٧ش [١٩٦٨م].

١٨ ـ **زندگانى شاه عباس أول**، جلد سوم، چاب دوم، تهران ١٣٤٥ش [١٩٦٦م].

١٩ ـ **زندگانى شاه عباس أول**، نصر الله فلسفي، جلد چهارم، چاب دوم، تهران ١٣٤٦ش ١٩٦٧م.

٢٠ **زندگانى شاه عباس أول**، تهران جلد پنجم، جاب أول، تهران ١٣٥٢ش ١٩٧٣م.

٢١ ـ **سبك شناسى**، ملك الشعرا بهار، انتشارات أمير كبير، سازمان انتشارات جيبى.

٢٢ ـ «**سفر نامه**» **برادران شرلي** در زمان شاه عباس كبير، ترجمة آونس با مقدمة وتوضيحات دكتور محبت آميئن، جاب دوم ١٣٥٧ش ١٩٧٨م.

٢٣ ـ **سلسلة النسب صفويه**: ابدال زاهدى، برلين ١٣٤٣ش ١٩٦٤م.

٢٤ ـ **سياست خارجي إيران دوران صفويه**، تهران ١٣٤٢ش ١٩٦٣م.

٢٥ ـ شاردن، **سياحتنامه شاردن**، ترجمة محمد عباس، ٨ج، (تهران؟).

٢٦ ـ **شاه إسماعيل صفوى** (اسناد ومكاتبات)، تهران ١٣٤٧ش ١٩٦٨م.

٢٧ ـ **شاه عباس**، مجموعة اسناد ومكاتبات تاريخى، تهران ١٣٥٢ش ١٩٧٣م.

٢٨ ـ **عالم آراى صفوى**، كوشش يد الله شكرى، تهران ١٣٥٠ش ١٩٧١م.

٢٩ ـ **عالم آراى عباسى**، اسكندر بك تركمان منشئ، تهران ١٣٣٤ش ١٩٥٥م.

٣٠ ـ **شرح جنگها وتاريخ زندگانى شاه إسماعيل صفوى**، باهتمام يوسف پور صفوى، تهران، ١٣٤١ش ١٩٦٢م.

٣١ ـ **فرهنگ إيران وتأثير آن در تمدن إسلام وعرب**، تهران ١٣٢٣ش [١٩٤٤م].

٣٢ ـ **فرهنگ فارسى**، محمد معين، لغت نامه ـ جاب ششم ١٣٦٣ش [١٩٨٤م].

٣٣ ـ **لغت نامه**، تأليف علي أكبر دهخدا، ت١٢٥٨ش، ١٣٣٤هـ، [١٨٧٩م]. تهران. چابخانه دولتى إيران، ١٣٣٧هـ [١٩٥٨م]...

المجلات والدوريات

١ ـ **مجلة الثقافة الإسلامية**: عدد خاص عن بهاء الدين العاملي العدد الخامس، دمشق ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

ـ «ذكريات إيرانية» حسن الأمين العدد التاسع ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

ـ «حاشية على العقائد الثقافية بين إيران وجبل عامل» العدد التاسع ص١٨٢.

ـ «التعرف على التفاسير الفارسية في القرن العاشر والحادي عشر الهجريين» محمد باقر حجتي، العدد الحادي عشر ص١٤٣، رجب ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ «الرسالة الاعتقادية لبهاء الدين العاملي» لجعفر المهاجر ص٢٩٦، العدد ١٢٦ ـ ١٩٨٧م.

ـ «كلا، أسرار البلاغة ليس لبهاء الدين» جعفر المهاجر العدد ١٣ ص٣٦ ١٩٨٦م.

ـ «بهاء الدين العاملي» (١) جعفر المهاجر عدد ١٦ ـ ص١٤٤ ـ ١٩٨٨م.

ـ «بهاء الدين العاملي» (٢) جعفر المهاجر عدد ١٧ ـ ص٢٣٢ ـ ١٩٨٨م.

ـ «بهاء الدين العاملي» (٣) جعفر المهاجر عدد ١٨ ـ ص٢٠٧ ـ ١٩٨٨م.

ـ «بهاء الدين العاملي» (٤) جعفر المهاجر عدد ٢٠ ـ ص١٧٨ ـ ١٩٨٨م.

ـ «بهاء الدين العاملي» (٥) جعفر المهاجر عدد ٢١ ـ ص١٧٤ ـ ١٩٨٨م.

٢ ـ **الدراسات الأدبية**: الشعر الفارسي من العربية جعفر الخليلي العددان ٣ و٤ ص٢٢٨ ـ ٣٢٣.

ـ «تحقيق حول قرية «جبع»، لحسن الأمين العدد الرابع.

٣ ـ **العرفان**: «جبل عامل» لأحمد رضا ج٢٦ وج٢٧ ت١٩٣٧م.

ـ «الكفعمي» محمد خليل الزين، مجلد ٣٠٨ جزء ٢٤ ت١٩٣٥م.

ـ «البهائي العاملي» عيسىٰ إسكندر المعلوف ج٣ وج٤٤ المجد ٢١.

ـ «بهاء الدين العاملي» عبد الله بري، مجلد ٤٦ ج٥ و٦، شعبان ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

٤ ـ **الصفر**: «بهاء الدين العاملي» غازي أبو شقرا المجلد الرابع العدد ١٩، ١٩٨٧م.

٥ ـ **الموسم**: «المخطوطات العربية» في العدد الأول ـ السنة الأولىٰ ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩.

٦ ـ **المورد العراقية**: «رحلة ابن المعصوم» شاكر هادي شكر عدد ٣، ص٣١٥ ـ ١٩٧٩م.

ـ «ابن معصوم»: شاكر هادي شكر عدد ١، ص١٣٧ ـ ١٩٨٠م.

مجلات ودوريات فارسية

- **«أصفهان وآثار تاريخي آن»** عباس إقبال، **مجله يادگار**، شماره نهم، سال دوم مهر ماه ١٣٥٥ش ١٩٧٦م.

- **«پادشاهان إيران**: هريك دركجا مدفونند إقبال، **مجله يادگار**، شماره دوم، سال سوم.

- **«مباحث تادغى از ابتد اى صفويه تا آخر قاجاربه**، إقبال، **مجله يادگار**، شماره سوم سال چهارم.

- **«مطالعاتى در باب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس**، اقبال، **مجله يادگار**، شماره سوم وچهارم.

- **«شيخ لطف الله عاملى»**، **مجله يادگار**، شماره أول، سال أول، ص٦٠، ١٩٤٤م - ١٣٦٣ش.

-**«آثار ملى أصفهان در زمان شاه عباس أول» فرهنگ إيران زمين**، دفتر هاي أو ٤ جلد ٤ تهران ١٣٤٦ - ١٣٤٥ش وجلد هاى ٦ و٧ تهران ١٣٤٩ - ١٣٤٨ش ١٩٦٩م.

- **«جبع»** ابراهيم برهان آزار، **يغما**، سنة ١٣ عدد ٣ خرداد، ١٣٣٩ش ١٩٦٠م ص١٤٣.

٢ ـ فهرس المصادر والمراجع العربية

مرتبة على أسماء المؤلفين

١ ـ ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م)/ عيون الأنباء في طبقات الأطباء.

٢ ـ ابن أبي الحديد، أبو حامد عبد الحميد (ت ٦٥٥هـ ١٢٥٧م)/ شرح نهج البلاغة.

٣ ـ ابن جلجل، أبو داود سليمان (القرن ٤هـ)/ طبقات الأطباء والحكماء.

٤ ـ ابن خلدون، عبدالرحمن/ المقدمة.

٥ ـ ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسىٰ (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)/ الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر.

٦ ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥)/ تاريخ دمشق الكبير.

٧ ـ ابن معصوم، علي بن ميرزا أحمد بن محمد معصوم الحسيني، (١٠٥٢هـ ـ ١٦٤٢م = ١١٢٠هـ ـ ١٧٠٨م)/ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر/ الحدائق الندية في شرح فوائد الصمدية.

٨ ـ ابن منظور، أبو الفضل محمد (ت ٧١١هـ ـ ١٣١١م)/ لسان العرب.

٩ ـ ابن النديم، أبو الفجر محمد (ت ٣٨٠هـ ـ ٩٨٩م)/ الفهرست.
١٠ ـآبري، آرثر/ شيراز مدينة الأولياء والشعراء.
١١ ـ آرنولد توماس/ تراث الإسلام.
١٢ ـ الأصبهاني، أبو الفرج محمد (ت ٣٨٠هـ ـ ٩٨٩م)/ الأغاني.
١٣ ـالأصبهاني، الميرزا عبد الله أفندي (١١٣٥هـ ـ ١٧٢٢م)/ رياض العلماء وحياض الفضلاء.
١٤ ـالأفغاني، جمال الدين/ الأعمال الكاملة.
١٥ ـ آل محبوبة، الشيخ جعفر النجفي/ ماضي النجف وحاضرها.
١٦ ـ الأمين، السيد محسن (ت ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م)/ أعيان الشيعة. / خطط جبل عامل/ في رحاب أئمة أهل البيت.
١٧ ـ الأندلسي، ابن عبد ربه/ العقد الفريد.
١٨ ـ البحراني، يوسف بن أحمد/ كشكول البحراني/ لؤلؤة البحرين.
١٩ ـ أولسن، روبرت دبليو/ حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية.
٢٠ ـبازيلي/ سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي.
٢١ ـ بروكلمان، كارل/ تاريخ الشعوب الإسلامية.
٢٢ ـ البستاني بطرس/ دائرة المعارف.
٢٣ ـالبيهقي، إبراهيم (ق٤هـ)/ تاريخ حكماء الإسلام.
٢٤ ـپرويز، ناتل خاتلي/ أوزان الشعر الفارسي.
٢٥ ـ پول، ستانلي لين/ طبقات سلاطين الإسلام.
٢٦ ـ التفريشي، السيد مير مصطفىٰ الحسيني/ نقد الرجال.

٢٧ ـ التونجي، محمد/ بهاء الدين العاملي، أديباً، شاعراً، عالماً/ أسرار البلاغة/ المعجم الذهبي.

٢٨ ـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت ٣٢٩هـ ـ ١٠٤٧م)/ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر.

٢٩ ـ الجابري، علي حسين/ الفكر السلفي عند الشيعة الإثني عشرية.

٣٠ ـ الجاحظ، أبو عثمان (ت ٢٥٥هـ ـ ٨٦٩م)/ رسالة التربيع والتدوير.

٣١ ـ چب، هاملتون/ دراسات في حضارة الإسلام.

٣٢ ـ جمعة، محمد بديع/ الشاه عباس الكبير.

٣٣ ـ حاجي خليفة، مصطفىٰ/ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.

٣٤ ـ الحر العاملي، محمد بن الحسين (ت١١٠٤هـ ١٦٩٢م)/ أمل الآمل.

٣٥ ـ الحسيني، هاشم معروف/ تاريخ الفقه الجعفري.

٣٦ ـ الحصري، ساطع/ البلاد العربية والدولة العثمانية.

٣٨ ـ الحموي، ياقوت أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ ١٢٢٨)/ شذرات الذهب من أخبار من ذهب.

٣٩ ـ خاطر، لحد/ العادات والتقاليد اللبنانية.

٤٠ ـ خراساني، حاج محمد هاشم بن محمد علي/ منتخب التواريخ.

٤١ ـ الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (٩٧٧هـ ـ ١٥٦٩م)/ ريحانية الألبا وزهرة الحياة الدنيا.

٤٢ ـ الخليلي، جعفر/ موسوعة العتبات المقدسة.

٤٣ ـ الخميني، آية الله/ الحكومة الإسلامية.

٤٤ ـ الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي الأصبهاني (١٣١٣هـ ـ ١٨٩٥م)/ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات.

٤٥ ـ الدبس، يوسف/ تاريخ سوريا.

٤٦ ـ الدجيلي، عبد الصاحب/ أعلام العرب في العلوم والفنون.

٤٧ ـ دخيل، محمد علي/ الإمام المهدي.

٤٨ ـ الدفاع، علي عبد الله/ إسهام علماء المسلمين في الرياضيات./ المدخل إلى تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين.

٤٩ ـ دونا لدسون، دوايت/ عقيدة الشيعة.

٥٠ ـ الدميري/ حياة الحيوان الكبرىٰ.

٥١ ـ زاده، طاشكبري/ الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية.

٥٢ ـ الزّركلي، خير الدين/ الأعلام.

٥٣ ـ زكي، محمد أمين/ خلاصة تاريخ الكرد وكردستان.

٥٤ ـ الزنجاني، عبد الكريم/ رحلة الإمام الزنجاني.

٥٥ ـ زيدان، جرجي/ تاريخ آداب اللغة العربية.

٥٦ ـ الزين، علي/ أوراق أديب/ العادات والتقاليد اللبنانية في العهود الإقطاعية./ فصول من تاريخ الشيعة في لبنان./ للبحث في تاريخنا.

٥٧ ـ زين الدين بن علي بن أحمد/ منية المريد في آداب المفيد والمستفيد.

٥٨ ـ سارطون، جورج/ تاريخ العلم./ الثقافة الغربية في رعاية الشرق.

٥٩ ـ سركيس، يوسف ليان/ معجم المطبوعات العربية والمعربة.
٦٠ ـ شاخت وبوزورث/ تراث الإسلام.
٦١ ـ شربل، موريس/ الرياضيات في الحضارة الإسلامية.
٦٢ ـ الشكعة، مصطفىٰ/ معالم الحضارة الإسلامية.
٦٣ ـ شوقي، جلال وعلي عبد الله الدفاع/ أعلام الفيزياء في الإسلام./ الأعمال الرياضية لبهاء الدين العاملي.
٦٤ ـ الشيبي، محمد كامل/ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية.
٦٥ ـ الصالح، صبحي/ علوم الحديث ومصطلحه.
٦٦ ـ الصدر، حسن (ت ١٣٥٤هـ ١٩٣٥م)/ تكملة آمل الآمل./ تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام.
٦٧ ـ الصدر، رضا/ الاجتهاد والتقليد.
٦٨ ـ صفا، محمد جابر/ تاريخ جبل عامل.
٦٩ ـ ضيف، شوقي/ الفن ومذاهبه في النثر العربي.
٧٠ ـ الصدوق، محمد بن علي القمي (ت١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م)/ الأمالي./ عيون أخبار الرضا/ علل الشرائع/ من لا يحضره الفقيه.
٧١ ـ الطباطبائي، محمد حسين/ الميزان في تفسير القرآن.
٧٢ ـ الطبرسي، أمين الدين أبو علي الفضل (القرن ٦هـ)/ مجمع البيان في تفسير القرآن.
٧٣ ـ الطبرسي، ميرزا حسين النوري (ت١٣٢٠هـ ١٩٠٢م)/ مستدرك الوسائل.
٧٤ ـ الطهراني، آغا بزرگ محمد حسن/ الذريعة إلى تصانيف الشيعة./ طبقات أعلام الشيعة.

٧٥ ـ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ ـ ١٠٦٧م)/ تهذيب الأحكام.

٧٦ ـ طوقان، قدري حافظ/ تراث العرب العلمي.

٧٧ ـ الطويل، توفيق/ العرب والعلم.

٧٨ ـ عبده، محمد (الإمام)/ الأعمال الكاملة.

٧٩ ـ العزّاوي، عباس/ تاريخ علم الفلك في العراق.

٨٠ ـ العسكري، مرتضىٰ/ عبد الله بن سبأ/ خمسون ومئة صحابي مختلف.

٨١ ـ علي، أسعد/ فن المنتجب العاني وعرفانه.

٨٢ ـ عمارة، أحمد/ تيارات الفكر الإسلامي.

٨٣ ـ الغزوي، محمد بن علي الأردبيلي (ت ١١١٠هـ ١٦٨٩م)/ جامع الرواة.

٨٤ ـ الغزالي، أبو حامد/ إحياء علوم الدين.

٨٥ ـ الغزّي، نجم الدين محمد الغزي الدمشقي (ت ١٠٦١هـ ـ ١٦٥١م)./ لطف السمر وقطف الثمر في تراجم أعيان الطبقة الأولىٰ من القرن الحادي عشر.

٨٦ ـ فاميري، أرمنيوس/ تاريخ بخاري.

٨٧ ـ فريد، محمد بك المحامي/ تاريخ الدولة العليَّة العثمانية.

٨٨ ـ فضل الله، مهدي/ من أعلام الفكر الفلسفي الإسلامي.

٨٩ ـ الفقيه، محمد تقي/ جبل عامل في التاريخ.

٩٠ ـ فلهاوزن، يوليوس/ الخوارج والشيعة/ الدولة العربية وسقوطها.

٩١ ـ فياض، عبد الله/ تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة.

٩٢ ـ الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضىٰ (ت١٠٩١هـ) تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لثمرة الحجة.

٩٣ ـ القاسمي، جمال الدين/ مذكرات جمال الدين القاسمي.

٩٤ ـ القطفي، أبو الحسن علي (ت ٦٤٦هـ ١٢٤٨م)/ أخبار العلماء بأخبار الحكماء.

٩٥ ـ القمّي، عبَّاس/ الكنىٰ والألقاب.

٩٦ ـ كاشف الغطاء، محمد حسين/ أصل الشيعة وأصولها.

٩٧ ـ كاهن، كلود/ تاريخ العرب والشعوب الإسلامية.

٩٨ ـ كرد علي، محمد/ خطط الشام.

٩٩ ـ كسروي، أحمد/ التشيع والشيعة.

١٠٠ ـ الكشي، محمد بن عمر/ الرجال.

١٠١ ـ الكفراوي (العلامة)/ شرح متن الأجرومية.

١٠٢ ـ الكليني، أبو جعفر محمد/ روضة الكافي.

١٠٣ ـ كوربان، هنري/ تاريخ الفلسفة الإسلامية.

١٠٤ ـ گولدزيهر، أجناس/ العقيدة والشريعة في الإسلام.

١٠٥ ـ لواساني، أحمد/ ثلاثة ملوك باسم إسماعيل الصفوي الرسول والعترة النبوية.

١٠٦ ـ لواساني حسن/ الدروس البهية في مجمل أحوال الرسول والعترة النبوية.

١٠٧ ـ ماسينيون، لويس/ خطط الكوفة.

١٠٨ ـ المبارك، زكي/ المدائح النبوية في الأدب العربي.

١٠٩ ـ متز، آدم/ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.

١١٠ ـ المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ ـ ١٦٩٩م)/ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار.

١١١ ـ محمّدي، محمد/ الأدب الفارسي في أهم أدواره وأشهر أعلامه.

١١٢ ـ المحبّي، محمد أمين بن فضل الله (١١١١هـ ـ ١٦٩٩م)/ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر.

١١٣ ـ مرة، حسين/ النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية.

١١٤ ـ مروة، علي/ تاريخ جباع.

١١٥ ـ المسعودي، أبو الحسن علي (ت٣٤٦هـ ٩٥٧م)/ مروج الذهب ومعادن الجواهر.

١١٦ ـ مشرفة، علي مصطفىٰ ومحمد مرسي أحمد/ كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسىٰ الخوارزمي.

١١٧ ـ المطهري، مرتضىٰ/ الإسلام وإيران.

١١٨ ـ مقداد، رحيم/ الموشحات في بلاد الشام.

١١٩ ـ المكي، العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي (ت ١١٨٠هـ)/ نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس.

١٢٠ ـ مكي، محمد علي/ لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني.

١٢١ ـ ملحس، ثريا عبد الفتاح/ منهج البحوث العلمية.

١٢٢ ـ المهاجر، عبد الحميد/ حضارة الخلاص.

١٢٣ ـ المنيني، الشيخ أحمد/ شرح قصيدة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان.

١٢٤ ـ الموسوي، محمد مهدي الأصفهاني الكاظمي/ أحسن الوديعة في تراجم مجتهدي الشيعة.

١٢٥ ـ النجفي، إبراهيم الموسوي الزنجاني (ت ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٢م)/ الكشكول.

١٢٦ ـ النجفي، عبد الحسين الأميني/ الغدير في الكتاب والسنة والأدب.

١٢٧ ـ نصر الله، حسن عباس/ تاريخ كرك نوح.

١٢٨ ـ النراقي، محمد مهدي/ جامع السعادات.

١٢٩ ـ نعمة، عبد الله/ فلاسفة الشيعة.

١٣٠ ـ نلّينو/ تاريخ علم الفلك عند العرب.

١٣١ ـ النوبختي، الحسن بن موسىٰ (ت ٣٠٠هـ ٩١٢م)/ فرق الشيعة.

١٣٢ ـ واكيم، سليم/ إيران والعرب.

١٣٣ ـ الوردي علي/ وعّاظ السلاطين/ مهزلة العقل البشري.

١٣٤ ـ اليازجي، كمال/ أعلام الفلسفة العربية.

١٣٥ ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢١٢هـ ـ ٨٢٧م)/ تاريخ اليعقوبي.

فهرس المصادر والمراجع الفارسية

مرتبة على أسماء المؤلفين

١ ـ آونس/ سفر نامه برادران شرلى.

٢ ـ ابدال زاهدى/ سلسلة النسب صفويه.

٣ ـ أبو القاسم رفيعى مهر آبادى/ آثار ملّىٰ أصفهان.

٤ ـ أحمد تاج بخش/ إيران در زمان صفويه.

٥ ـ إسماعيل صفوى/ إسناد ومكاتبات تاريخى.

٦ ـ بهار ملك الشعرا/ سبك شناسى.

٧ ـ حسن بن محمد القمى/ تاريخ قم.

٨ ـ أدوارد بروان/ تاريخ ادبيات إيران آغاز تا زمان حاضر.

٩ ـ ذبيح الله صفا/ تاريخ أدبيات إيران.

١٠ ـ رضا بازوكي/ تاريخ إيران از مغول تا افشاريه.

١١ ـ شاردن، جان/ سياحتنامه شاردن.

١٢ ـ عباس (شاه عباس)/ مجموعة اسناد ومكاتبات تاريخى.

١٣ ـ عبد الله رازى همدانى/ تاريخ إيران از ازمنه باستانى.

١٤ ـ على أكبر دهخدا/ لغت نامه.

١٥ ـ عيسىٰ صديق/ تاريخ فرهنگ إيران از آغاز تا زمان حاضر.

١٦ ـ ليكهارت/ انقراض سلسلة صفويه.

١٧ ـ ميرزا محمد معصوم/ تاريخ سلاطين صفويه.

١٨ ـ مريم مير أحمدى/ دين ومذهب در عصر صفوى.

١٩ ـ محمد معين/ فرهنگ فارسى.

٢٠ ـ نصر الله فلسفى/ زندگانى شاه عباس أول.

٢١ ـ نظام الدّين مجير شيباني/ تشكيل شاهنشاهى صفويه.

٢٢ ـ هاشم نجفى يزدى/ ترجمة وكلچينى از كشكول شيخ بهائى.

٢٣ ـ يد الله شكرى/ عالم آراى صفوى.

٢٤ ـ يعقوب آزند/ خروج وعروج سربداران.

٢٥ ـ يوسف پور صفوى/ شرح جنگها وتاريخ زندگانى شاه إسماعيل صفوى.

المراجع الأجنبية

1 - Amin Maalouf: Léon l'Africain, Go edition. J.G. Lattés 1986.

2 - Aubin, Jean: «La Politique religieuse des safavides» dans: Le Shi'isme imamite, strasbourg 1968.

3 - Brockelamanne: Histoire des peuples et des Etats islamiques, trad. M. tazerout payot, Paris. 1949.

4 - Corbin. Henri: «En islam iranien», Editions gallimard. 1971.

- La place de Mollá sadra shirazi dans la philosophie iranienne. Studia Islamica XVIII Paris 1963.

5 - Deladrière roger: Enseigenment spirituel. Edition Sindbad. La biblio-thèque de l'Islam. 1983.

6 - Huisman. A.J.W.: «Les manuscrits arabes dans le monde». Leiden. E.J.Brill, 1967.

7 - Nasr SeyydH.: «Le Shi'isme et le soufisme» dans: Le Shi'isme imamite colloque strasbourg. 1968.

8 - Sarton, George: History of Science, Cambridge, Mors, Harvard, University Press 1952, vol. 1, Vol. 11.

9 - Smith, David: Engence, History of mathématics. New York. Gimm. and company, 1923 vol. 1, 1925 vol.2.

10 - Tavernier (J.B.): Les six voyages de jean Baptiste tavernier... en Turquie, en Perse et aux Index. 2 vogs. Paris 1962.

٣ ـ فهرس القوافي

قوافي الرباعيات

٤ ـ فهرس
الأعلام المعرّفون في الحواشي

ـ أ ـ

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

٥ ـ فهرس
الأماكن والبقاع المعرفة في الحواشي

٦ ـ فهرس
الفرق والنحل المعرفة في الحواشي

٧ ـ فهرس
الموضوعات المختلفة المعرفة في الحواشي

أعياد

ألقاب ومناصب

آلات

كتب ومصطلحات

٨ ـ فهرس الموضوعات